



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





Vol. 9-12

3941

لجنة

نشر الثقافة الإسلامية

بمقر جمعية الجهاد الاسلامي

الحياة العلمية والدينية

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء التاسع

ALBIRUJOO
UNIVERSITY
LIBRARY

مضاف إليه
تخريج الحافظ العراقي

45-35141

893.791

G346211

v. 8-12

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي ، كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة . فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام . وأما الكلام فيما لا يعني ، أو أكثر مما يعني ، فهو ترك الأولى ، ولا تحريم فيه . نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني ، لا يؤمن عليه الخوض في الباطل . وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ، ولا يمدو كلامهم التفكه بأعراض الناس ، أو الخوض في الباطل .

وأواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنتها . فلذلك لا غلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا . وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها . فقد قال بلال بن الحارث ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالسَّكَمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالسَّكَمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وكان علقمة يقول : كم من كلام منعه حديث بلال بن الحارث . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالسَّكَمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثَّرْيَاءِ » وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالسكامة ، ما يلقى لها بالاً ، يهوى بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالسكامة ، ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة

(الآفة الثالثة الخوض في الباطل)

- (١) حديث بلال بن الحارث أن الرجل ليتكلم بالسكامة من رضوان الله - الحديث : هـ ت وقال حسن صحيح
(٢) حديث أن الرجل ليتكلم بالسكامة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا : إن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن والشيخين وت أن الرجل ليتكلم بالسكامة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً في النار لقطت وقال حسن غريب

لفظ السكامة
النبي يشرها
المرء

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَكْثَرُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ » وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ^(٢)) وبقوله تعالى (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ^(٣)) وقال سلمان : أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة . أكثرهم كلاماً في معصية الله : وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم ، توضؤوا ، فإن بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل ، وهو وراء ماسياتي من الزينة والتميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها ، أو تدبر للتوصل إليها ، من غير حاجة دينية إلى ذكرها . ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ، وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم ، وكل ذلك باطل ، والخوض فيه خوض في الباطل ، نسأل الله حسن العون بلفظه وكرمه

الآفة الرابعة

المراء والجمل — دال

وذلك منهي عنه . قال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « لَا تُنَارِ أَخَاكَ وَلَا تُنَازِحُهُ وَلَا تُعِدَّهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ » وقال عليه السلام ^(٥) « ذَرُّوا الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُمْ حِكْمَتُهُ وَلَا تُؤْمِنُ فِتْنَتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقُّ بَنِي لَهُ يَتُّ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلُ بَنِي لَهُ يَتُّ فِي رِجْلِ الْجَنَّةِ » وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت

ما ورد في ذم
المراء والجمل

(١) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل : ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح
(الآفة الرابعة للمراء والمجادلة)

(٢) حديث لا تنار أخاك ولا تنازحه ولا تعده موعداً فتخلفه : من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٣) حديث ذروا المراء فإنه لا تنفعهم حكمته ولا تؤمن فتنته : طلب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس ابن مالك ورواه ابن الأصبغ بإسناد ضعيف دون قوله لا تنفعهم حكمته ورواه هذه الأربعة ابن أبي الدنيا موقوفاً على ابن مسعود

(٤) حديث من ترك المراء وهو عن بني له يتي في أعلى الجنة - الحديث : تقدم في العلم

(٥) المذنب : ٤٥ : (٦) النساء : ١٤٠

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَوَّلَ مَا يَهْدِي إِلَى رَبِّي وَنَهَائِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مَلَا حَادُّ الرَّجَالِ » وقال أيضا (٢) « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ » وقال أيضا (٣) « لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقَّقًا » وقال أيضا (٤) « سِتٌّ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَلَغَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ الصِّيَامُ فِي الصَّيْفِ وَشُرْبُ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ وَتَعْجِيلُ الصَّلَاةِ فِي الْيَوْمِ الدَّجَنِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَصِيبَاتِ وَإِسْبَاحُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَهُوَ صَادِقٌ »

وقال الزبير لابنه : لا تجادل الناس بالقرآن ، فإنك لا تستطيعهم ، ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن العزيز رحمه الله عليه : من جعل دينه عرضة للخصومات ، أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار : إياكم والمراء ، فإنه ساعة جهل العالم ، وعندها ينتفى الشيطان زلته . وقيل ما ضل قوم بعد إذ هدام الله إلا بالجدال . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المراء يقسى القلوب ، ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العامة فيمقتوك . وقال بلال بن سعد ، إذا رأيت الرجل لجوجا ، مماريا معجبا برأيه ، فقد تمت خسارته . وقال سفيان . لو خالفت أخى في رمانة ، فقال حلوة ، وقلت حامضة . اسعى بى إلى السلطان . وقال أيضا ، صاف من شئت ، ثم أغضبه بالمراء . فلا يرميك بداهية تمنعك العيش . وقال ابن أبي ليلى ، لا أمارى صاحبى ، فإما أن أكذبه ، وأما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء ، كفى بك إثما أن لا تزال مماريا

(١) حديث أم سلمة أن أول ما يهدي الله إلى ربه ونهائى عنه بعد عبادة الأوتان وشرب الخمر ملا حاد الرجال

ابن أبي الدنيا في الصمت والطيرى واليهيق بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في الراسيل من حديث عروة بن ربيع

(٢) حديث ما ضل قوم الأوتوا الجدال : من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعدهدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كذا ذكره النصف

(٣) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وإن كان محققا بإبن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد يلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقا

(٤) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان - الحديث : وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلى من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف يلفظ ست خصال من الخير - الحديث :

ملا حاد الرجال : مقاتلهم ونفادهم يقال : لاجيته ملا حاد ولجاء إذا نازعته

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « تكفير كل لحاء ركعتان » وقال عمر رضي الله عنه ،
لا تعلم العلم ثلاث ، ولا تركه ثلاث . لا تعلمه لتأري به ، ولا لتباهى به ، ولا لترائى به
ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه . ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام ، من كثر
كذبه ، ذهب جماله . ومن لاحى الرجال ، سقطت مروءته . ومن كثر همه ، سقم
جسمه . ومن ساء خلقه ، عذب نفسه

وقيل لميمون بن مهران ، مالك لا تترك أخاك عن قلى ؟ قال لا لئلا أشاريه ولا أماريه
وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، إما في اللفظ ، وإما في
المعنى ، وإما في قصد المتكلم . وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض . فكل كلام سمعته
فإن كان حقا فصدق به ، وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين ، فاسكت عنه
والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو ، أو من
جهة اللغة ، أو من جهة العربية ، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير . وذلك
يكون تارة من قصور المعرفة ، وتارة يكون بطغيان اللسان . وكثيرا كان فلا وجه لإظهار خلله
وأما في المعنى ، فبأن يقول ليس كما تقول ، وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا

وأما في قصده ، فبأن يقول هذا الكلام حق ، ولكن ليس قصدك منه الحق ، وإنما
أنت فيه صاحب غرض . وما يجري مجراه . وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ، ربما
خص باسم الجدال ، وهو أيضا مذموم . بل الواجب السكوت ، أو الدؤال في معرض
الاستفادة ، لا على وجه العناد والنكارة أو التلطف في التعريف لافي معرض الطعن

وأما المجادلة ، فعبرة عن قصد إغاث الغير ، وتمجيذه وتنقيصه بالقدح في كلامه ، ونسبته
إلى القصور والجهل فيه ، وآية ذلك . أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكرها عند
المجادل ، يجب أن يكون هو المظهر له خطأه ، ليبين به فضل نفسه . وتقصى صاحبها . ولا نجاة
من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا ياتم به لو سككت عنه .

(١) حديث تكفير كل لحاء ركعتان : الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف

الباعث على
المرء والجدل

وأما الماعث على هدمه فهو ارتفاع ظهر العبد وانحناءه وانحناءه على العبد لا يرفع نفسه
وهما شورتان باطنتان للنفس ، قويتان لها
أما إظهار الفضل ، فهو من قبيل تركية النفس ، وهي من مقتضى ما في العبد من طبعين
دعوى العلو والكبرياء . وهي من صفات الروحية
وأما التقصير الآخر ، فهو من مقتضى طبع السلبية . فبه تقتضي أن يترك
غيره ، ويقصمه ويصدمه ويؤذيه

وهو صفة مدمومة من مهيكلين ، وبها موتها لما أراد الجدول وهو صب على المرء
والجدول مقولته هذه الصفات المهيكلية وهذا محور حد الكراهية . بل هو مهيكلية مهيكلية
فيه يبداء العبد ، ولا تفتك المماراة عن الأبداء وتبريح المصعب . وحمل الممرض عليه على
بمود في صبر كلامه . يمكنه من حق أوصاف . ويقدر في ذلك كل . فيثور أشجار
بين التمارين ، كما يثور الهراش بين الكائنات . يقصد كل واحد منهما أن يفضي صاحبه
بما هو أعلم نكايته ، وأقوى في إخامه وإلجامه

فهم
المرء والجدل

وما علاجه . فهو أن يكسر الكبر الذي عث له على إظهار فضله ، والسلبية التي عث له على
تقبيص غيره ، كما سمأني ذلك في كسب دم الكبر والمحب . وكسب دم المصعب . ومن
علاج كل علة بمناصه سدها . وسدب المرء والجدل ما ذكره . ثم المواظبة عليه بحسنة عادة
وطبعا ، حتى يتمكن من النفس ، ويعسر الصبر عنه

روى أن أبا حنيفة رحمه الله عليه ، قال لود الصافي : أثرت لأرواء قول لأحمد
بهي ترك الحداد . فقال حصر المحاسن واستمع ما يقدر . ولا يكلمه من سمعت راث
في رأيته محمودة شدة على سم . وهو كما قال ، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو ودر على
كشفه . تعمير عليه الصبر . حدث حد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : من ترك أمر
وهو محق . بي الله له بنت في أغنى الجنة . ثم بعد ذلك على النفس

وأكثر ما يعيب حدث في مذاهب والمعتقدات . فإن المراد طبع ، فإذا نحن شأله عليه ثوما
اشتد عليه حرصه . وتعدون الطمع والشرع عليه . وذاك خطأ محض . بل ينبغي للإنسان
أن يكف نفسه عن أهل القبة . وإذا رأى مبدعا تطرف في صحبه في حلوة . لا بطريق

الحديث من الخدال يحمل فيه حجة منه في السبب وأن ذلك صفة يقدّر الخدول من من مدحه على مثله لو أرادوا فاستمر الدعة في منه الخدول وسألكم وقد عرف أن النصيح لا ينفع، اشتغل بمسحه وركبه، وقال صلى الله عليه وسلم: «رحمة الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأخسر من غدر عليه» وقال هشام بن عمرو، كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من أعاد محذره منه وثق ليس عنه ووجدنا في سنده عرا ورواها، فثبت فيه هذه الملاحظات، ولا ننصحهم بروي هذا جمع عليه ساعد المصنف، والذكر، والراء، وحب الحاء، والعمر، بعض واحد هذه الصفات يشق مجاهدتها، فكيف بمجموعها!

الآفة الخامسة

الخصومة

وهي الخصومة، وهي ورء الخدال ودرء، ودرء طعن في كلام الغير، يظهر حين فيه، من غير أن يرطبه عرض سوى حقير الغير، ويظهر مرة بكسرة وخذل عذرة عن مريضه يظهر المذهب وتقريره وخصومة الخج في الكلام، يستوفى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء، وتارة يكون اعتراضا، والمراد لا يكون إلا ما اعتراض على كلام سوي ففقدت له ما شئت من الله عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا أنقص الرجال إلى الله لألد خصم» وروى أبو هريرة: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خدال في خصومة خير عنه» روي في مسند النبي حتى ينزع»

(١) حديث رحمه الله من كلف لسانه عن أهل القبلة لا أخسر من غدر عليه، أن ثقل الله به ضعف

من حديث هشام بن عمرو عن أبي بصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كلف لسانه عن أهل القبلة لا أخسر من غدر عليه»

الفرديس من روى عنه عن أبي بصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كلف لسانه عن أهل القبلة لا أخسر من غدر عليه»

وهو منقطع وصحيح جدا

(الآفة الخامسة الخصومة)

(٢) حديث عائشة أن أنص الرجل إلى الله الألد الخصم: مع وقد تقدم

(٣) حديث أبي هريرة من خدال في خصومة خير عنه: في مسند النبي حتى ينزع، أن ثقل الله به ضعف

في الحديث والذهب وفيه رخص، أبو هريرة رحمه الله

وإن كان مائة من في شرس عندته في كربة، فقتل ما حلتك عهد، فقتل خصومة
 بي وبس أن عمى فقتل لأيت بي بي، ووتى شرس حركت سم وباني والله
 ما كنت شرس ذهب بي، ولا شرس بي بي، ولا شرس بي بي، ولا شرس بي بي
 الخصومة، ولا فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 عرفت الحق في بي بي، وكان كرم بي بي عن بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 فإن قلت: قد كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه، أو في حفظه، مهما
 ظلمه ظالم، وكيف يكون حكمه؟ وكيف تدم خصومته

المصرفة

المصرفة

فاعلم أن هذا المصروف الذي حسم بالحق، والذي بي بي بي، ومن وكيف
 الله بي بي، فقتل أن عرف بي بي في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 حاسب كالم، فقتل بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 الحاجة، من بي بي في الخصومة، على قصد بي بي، وعلى قصد بي بي
 وتكون الذي عرج، الخصومة ككت مؤدة، بي بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 الحق، وية ول الذي بي بي على خصومه بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 يستحرم ذلك، فقتل بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 عرسه، وباني بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 والخصومة والجحاح، وهو مذموم جدا.

المصرفة

الحق

فإن المصروف الذي بي بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 على قصد بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 إليه سبيلاً في بي بي في الخصومة على حد لا يحد، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 وتصح مصعب، وقد عرج مصعب بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 يهرح كل واحد بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 فقد تعرض لهذه المخدورات، وفي بي بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي، فقتل لأعريف ممل في بي بي
 خصمه، فلا يبقى الأمر على حد الواجب.

الخصام عيسى
الشمس

والخصوصية، مد كل شر. وكذا المرء والجدال قد يسمى أن لا يفتح بابه إلا لضرورة،
وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن سمات الخصومة، وذلك متعذر جدا
من اقتصر على لو حب في خصومته - له من لائمه، ولا بد من خصومه. بل أنه إن كان
مستميا عن الخصومة فيما حاسم فيه لأن عدده كميته، يكون كالأولى، ولا يكون
آثما من ميموه في خصومه والمرء والجدال طبيب الكلام، وهو أودع فيه من الثواب
يدقل درجات طب الكلام، بعد المواظبة، ولا حشوه في الكلام خصم من الضم
والاعراض. الذي حاصه: التحمل، وإيا، انصتار. فإن من جدل عنه ومعه
أوحاصه، فقد حبه أو كده. فيقول به طبيب السلام.

وقال صلى الله عليه وسلم **ذِيكَ كُنْ** من أحسن ضيق الكلام وإطعام الطعام « وقد
 قال الله تعالى (وَقُولُوا لَهُمْ حَسْبِيَ اللَّهُ) وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
 من حلف بالله ، فردد عليه السلام « **وَبِكُلِّ شَيْءٍ يَتَّقُونَ** » (وهذا حديث صحيح)
تَقِيُوا بِأَحْسَنِ مَا فِي رِزْقِهِ » (وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو قال لي فرعون حين الردت
 عليه وقبضت « **وَلِرَسُولِي** » صلى الله عليه وسلم « **إِنْ فِي حُجَّتِهِ أَمْرٌ فَلْيَقْرَأْهُ** ،
 من أطعمها وأضرب من مدهرها عذرها ، أنه تعالى من أطعمها وأضرب من مدهرها

وروى أن عيسى عليه السلام صلبه حنبر، فقتل من سلام فقيل بأروح الله أقول
هذا الحنبر، فقال أكره أن أعودا في الشر وقت فيه عليه السلام "أ" الكلمة
التي به صدقة "و" "أ" اتفقوا بالروا شق ثم فوب لم تجدوا مع كلمة تصبى وون
عمر رضى الله عنه، الرشى، هي، وجه طيب وكلام ابن. وفي بعض الحكمة، الكلام
الابن بمثل الصغار المستكة في الخوارج وفي بعض الحكمة. كل كلام لا يضر طارك

(۱) حدیث: کہ جس نے ایک آدمی سے بدگمانی میں حدیث صادر کر دی وہ اس سے بدگمانی میں حصہ لے گا۔

من حديث هني أن شريح باسناد جيد روجه الجنة بطعام الطوام وحسن الكلام

(۲) حدیث سے اس لئے حوالہ دیا گیا ہے کہ حدیث میں وہ وقت مذکور

(۳) حدیثیہ الکلمۃ: خطبہ صمدیہ میں حدیث و تفسیر

(۴) حدیث ابو لہر و بن مسعود مرسل : حضرت علی رضی اللہ عنہ نے فرمایا کہ میں نے رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم کو دیکھا کہ وہ نماز کرتے ہوئے اپنے ہاتھوں کی پٹیاں اٹھا کر ان سے آنسو بہا کرتے تھے۔

ثم يقولون ويؤذون لأحد الأئمة «وقال صلى الله عليه وسلم» (١) «يؤس المؤمن
 قلوب ولا يمتد ولا أفاحش ولا أمدى» وقال صلى الله عليه وسلم (٢) «جنة
 حرمة على كل فاحش أن يدخلها» وقال صلى الله عليه وسلم (٣) «رعة يؤذون أهل النار
 في ما على مائة من لاذي سموم ثم تحم وأحجم يتحول ماويل والشود رخل
 يسكن قوة مئة وده وقال صلى الله عليه وسلم (٤) «لا يمد مدد على ما من لاذي يؤزل إن لا يمد
 كان نزل إلى كني كمة مدي حبيته مستيدها كي يستد رقت وقال صلى الله عليه وسلم
 له شيء «يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رخل سوء»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) «البداء وألسان شمس من شمس شمس»
 في حديث من روى أن كعب مديح كعبه ويحتمل بعد ما يلهي لإصباح حتى يتهي
 في حديث كعب ويحتمل في الحديث وفي حديث الله تعالى «إن الله ذاك
 محلا في سمع المؤمن من لامة في به مديح من به لامة شكوش وسوس
 وقد أخرج حديث القبول إلى القول وما يظرب ويكر ذكره معروف بالبداء يشبه
 في كعب الرد به لامة في سعي لاسان من به في الأولى في مثله
 الإنحاض والتناقل، دون الكشف والبيان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن من لا يحب الفاحش ينقش الصباح في الأسواق»

(١) حديث من يؤمن بقلب ولا يمد ولا أفاحش ولا أمدى بلسان صحيح من حديث من سمع
 وقال من روى وحده وصححه وروى من موقوف في نفس في الملك والموقوف أصح

(٢) حديث من حرم على كل فاحش أن يدخلها من مديح في حديث من سمع الله عز وجل

(٣) حديث رعة يؤذون أهل النار من لاذي سموم من حديث من سمع الله عز وجل

كلمة حكمة في حديث من سمع الله عز وجل من حديث من سمع الله عز وجل

فذكره في الحديث وذكره في حديث من سمع الله عز وجل

(٤) حديث عائشة «لو كان الفحش رجلاً لكان رخل سوء» من رواية أبي هريرة عن أبي النضر

عن أبي هريرة

(٥) حديث من يؤمن بقلب ولا يمد ولا أفاحش ولا أمدى بلسان صحيح من حديث من سمع الله عز وجل

(٦) حديث من يؤمن بقلب ولا يمد ولا أفاحش ولا أمدى بلسان صحيح من حديث من سمع الله عز وجل

وذكره في الحديث وذكره في حديث من سمع الله عز وجل

وقال جابر بن سمرة (١)، كنت جالسا عند أبي سفيان بن عوف، وأبي أمامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْفُحْشَ وَالشَّحْشَ نَسَاءُ مِثِّ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ أَحْسَنَ الْإِسْلَامِ أَحْسَنُهَا أَحْلَافًا»

وقال إبراهيم بن مسهر، قال أبو ذؤيب الغفاري: «يُؤْتَى بِالْفُحْشِ وَالشَّحْشِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِي صُورَةِ كِتَابٍ أَوْ فِي حُوفِ كِتَابٍ وَهُوَ الْأَحْفُ بْنُ فَيْسَ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ دُورَ اللَّهِ، لِلْإِنْسَانِ الْبُذْيُ، وَالْخَلْقُ الدَّنْيُ، فَهَذِهِ مَذْمَةُ الْفُحْشِ»

فأما حده وحقيقته، فهو التمر عن الأمور المستقبلية بالعبارة الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألقاظ الوقاع وما يتفق بها، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيها، وأهل الصلاح يتعاشون بها، بل يكونون عنها، ويدلون عليها بالمرور، فيذكرون ما يقاربها ويتفق بها، وقد قال ابن عباس، إن الله حيي كريم، يعفو ويكفر، كفى بالله من الجماع، فأسس ولأسس، والدحول، والحكمة، كذا بات عن الوقاع، وأبست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة، يستتبع ذكرها، ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وحسبها فحش من بعض، ورفي أحباب ذلك به دة البلاد، وأولها مكروهة، وأولها محظورة، وفيها درجت يرددها وليس يحسن هذا الوقاع، بل بالكيفية قد، الخجة عن المول، والعاطف أولى من اعطى التعوط والخراء وغيرها، وإن هذا أيضا، يخفى، وكل ما يخفى استحياءه، فلا ينبغي أن يذكر ألقاظه الصريحة، فإنه فحش

وكذلك يستحسن في المادة السكينة عن الدنيا، ولا يقال قالت روحك كذا، بل يقال قيل في الحجرة، أو من وراء السر، أو من أم الأولاد، فاستطاع في هذه الألقاظ محمود، والتصريح فيها يفضي إلى الفحش

وكذلك من به عيوب يستحياءها، فلا معنى أن يعبر عنها بصريح لفظها، كالمرص، والقرع، والبواسير، بل يقال العارض الذي يشكوه، وما يجري مجراه، فالتصريح بذلك داخل في الفحش، وجميع ذلك من آفة اللسان، قال الملاءم هرون، كان عمر بن عبد العزيز

كيف يتحدث
المتأدرون

(١) حدثنا جابر بن سمرة، قال: كنت جالسا عند أبي سفيان بن عوف، وأبي أمامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْفُحْشَ وَالشَّحْشَ نَسَاءُ مِثِّ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ أَحْسَنَ الْإِسْلَامِ أَحْسَنُهَا أَحْلَافًا»

يتحدث في مطلقه ، فخرج تحت إجماعه حراج ، فأيد به سألته أن يرى ما يقول ، فقصا
من أين خرج ؟ فقال من باطن البدن

الباطن على
فمنه

والاعتناء على الفحش بما قصد الاندفاع ، وبما لا يبعد الحاصل من محاطة النفس وأهل
الحسنة واللوثة ، ومن عادتهم السب . وقد أعراني لرسول الله صلى الله عليه وسلم "أوصني
فقال « غيبت بقوى الله وإن أئز في عبادتي شيء ، نعمته فيك ولا تُعبره شيء ، نعمته
فيه يكن وبالله عليه وأجره لك ولا تنس شيئاً » قال فبسم الله ، بعده

وقال عياض بن حمار ^(١) قلت لرسول الله ، إن الرجل من قومى أسبى وهو دوى ،
هل على من أس أن أتصر منه . فقال « أئسب أسب يتعاونان ويتهارجسان » وقال
صلى الله عليه وسلم ^(٢) « سب المؤمن وسوقه كسوق الكافر » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣)
« أئسب من سب ولا يفي المأدى ، حتى يعضد المضموه » وقال صلى الله عليه وسلم
« نعوذ من سب ولديه » وفي رواية « من سب الكبار أن يسب الرجل
والدته ، قالوا ما به ، قال الله ، كيف سب الرجل والدته قال « بسب الرجل فسب لآخر »

الصفة الثامنة

اللعن

بما لحىوان أو جاد أو إسب وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بقوى الله وإن أئز في عبادتي شيء ، نعمته فيك ولا تُعبره شيء ،
نعمته فيه . الحديث : أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي حنيفة الميموني . قال ابن حبان
ابن سليم وقيل سليم بن حمار

(٢) حديث عياض بن حمار قلت لرسول الله ، إن الرجل من قومى أسبى وهو دوى هل على من أس أن أتصر
منه قال رسول الله ، نعمته فيك ولا تُعبره شيء ، نعمته فيه . الحديث : أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي حنيفة الميموني . قال ابن حبان

(٣) حديث سب السليم فوق وقتاله كفر : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٤) حديث سب السليم فوق وقتاله كفر : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٥) حديث معبود من سب والدته وفي رواية من سب الكبار أن يسب الرجل والدته . الحديث

أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ لأول إسناد جيد وأما الشيخان
على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

«الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِفَقِيرٍ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِسْوَاءَ لَكُمْ شَيْءٌ وَلَا عَصِيَّةٌ وَلَا كِبَرٌ» وَقَالَ حَذِيقَةُ: «مَا بَلَغَ قَوْمٌ إِلَّا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَعْسٍ سَمِعَهُ: «إِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ لَهَا فَصَحَرَتْ مِنْهَا، فَلَعَنَهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَذُوا مَا عَلَيْهَا وَتَرَوْهَا قَبْلَ» ثُمَّ مَوَتْ» قَالَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ النَّاقَةِ تَحْتَى بَيْنَ النَّاسِ: لَا يَتَعَرَّضُ لَهَا أَحَدٌ

أبو هريرة
عن رسول الله
صلى الله عليه
وسلم

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَا لَعَنَ أَحَدٌ الْأَرْضَ إِلَّا قَالَتْ: لَعَنَ اللَّهُ أَعْصَانَهَا اللَّهُ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْكَرُ وَهُوَ مِنْ نَعْسٍ قَدِمَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ أَصْدَقُ» وَالثَّانِي: «كَلَّا وَرَبُّ الْكَفَرِيَّةِ» مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا ثَلَاثًا: «يَا أَبَا بَكْرٍ يَوْمَ تَذَرِيْقُهُ» وَثَانِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ لَا أَعُوذُ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَكُونُ شَقِيحًا وَلَا شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ رَجُلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ أَصْدَقُ» وَالثَّانِي: «كَلَّا وَرَبُّ الْكَفَرِيَّةِ» مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا ثَلَاثًا: «يَا أَبَا بَكْرٍ يَوْمَ تَذَرِيْقُهُ» وَثَانِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ لَا أَعُوذُ

وَاللَّعْنُ عِبَارَةٌ عَنِ الطَّارِدِ وَالْإِعْدَامِ مِنَ شَيْءٍ مُعَالِيٍّ، وَذَلِكَ بِإِثْرِهِ عَلَى مَنْ نَفَسَ بَصْمَةً تَعْدِيهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَنْكَرُ وَأَطْوَعُ: أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ

أبو الدرداء

(الآفة الثامنة العشر)

- (١) حَدِيثُ الْمُؤْمِنِ لَيْسَ بِفَقِيرٍ: حَدَّثَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِسْوَاءَ لَكُمْ شَيْءٌ وَلَا عَصِيَّةٌ وَلَا كِبَرٌ»
- (٢) حَدِيثُ لَا تَلْعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ: الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ حَبَّابٍ قَالَ: «حَسَنٌ مُتَّحَجٌّ»
- (٣) حَدِيثُ عِمْرَانِ بْنِ حَصِينٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ لَهَا فَصَحَرَتْ مِنْهَا فَلَعَنَهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَذُوا مَا عَلَيْهَا وَتَرَوْهَا قَبْلَ» ثُمَّ مَوَتْ» قَالَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ النَّاقَةِ تَحْتَى بَيْنَ النَّاسِ: لَا يَتَعَرَّضُ لَهَا أَحَدٌ
- (٤) حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْكَرُ وَهُوَ مِنْ نَعْسٍ قَدِمَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ أَصْدَقُ» وَالثَّانِي: «كَلَّا وَرَبُّ الْكَفَرِيَّةِ» مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا ثَلَاثًا: «يَا أَبَا بَكْرٍ يَوْمَ تَذَرِيْقُهُ» وَثَانِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ لَا أَعُوذُ
- (٥) حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: «لَا يَكُونُ شَقِيحًا وَلَا شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
- (٦) حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ: «كَانَ رَجُلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ أَصْدَقُ» وَالثَّانِي: «كَلَّا وَرَبُّ الْكَفَرِيَّةِ» مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا ثَلَاثًا: «يَا أَبَا بَكْرٍ يَوْمَ تَذَرِيْقُهُ» وَثَانِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ لَا أَعُوذُ

مما على غير ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد

قتلوا على الكفر حتى نزل من السماء سبعه كلاب مدهمة في يومئذ يذوقون ثمرتها
 يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في يومئذ يذوقون ثمرتها (سورة الاحزاب)
 اُولَئِكَ عَلَيْهِمْ اَوَّلُ لعْنَةٍ مِنْهُمْ اُولَئِكَ عَلَيْهِمْ اَوَّلُ لعْنَةٍ مِنْهُمْ اُولَئِكَ عَلَيْهِمْ اَوَّلُ لعْنَةٍ مِنْهُمْ
 وكذبت من بين يديه على الكفر حرة مدهمة ودمع يذوقون ثمرتها على
 مدهمة كلاب مدهمة كلاب مدهمة كلاب مدهمة كلاب مدهمة كلاب مدهمة كلاب مدهمة
 الله مدهمة عن مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 وهو سعيد بن العاص . ففضب ابنه عمرو بن سعيد . وقل يا رسول الله ، هذا امر رجل
 كان ضمه مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 مثل هذا كلامه قال صلى الله عليه وسلم : انك تفتن من كبره وفسقه ان
 على ثي كبره مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 الآية . فكفاه من عده

سبانه صلى الله
 عليه وسلم في
 فعل الصورة

وشره عين مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 الصبح مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة

(١) حديث ابنه كان يعلل مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 الشيطان من حديث أس مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 ابن مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 وهذه من حديث مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 رأسه الحديث : وفيه اللهم ان ليحيا ورعلا الحديث : وفيه ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أمر
 الله ليس لك من الأمر شيء

(٢) حديث مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 قال صلى الله عليه وسلم : مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 على مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 ومدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 من مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة

(٣) حديث مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة
 وفي مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة مدهمة

عَلَىٰ أَحَدِهِمَا فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ ۚ وَنُصِبَ إِلَيْهِمَا مِيزَانٌ عَدْلٌ ۚ وَهَذَا
يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لِمَنْ فَاسَقَ بَعِيْثُهُ - حَدَّثَ

و علی الجبلۃ ففی ارض انجس و فی راسہ کعبۃ من قبلہ
من ربہ و فی سبیل اللہ قتل و شہد

قال قيل : هل يجوز لمن يريد أن يقرأ القرآن في الصلاة أن يقرأه بغير صوت ؟

قلنا: هذا لم يثبت أن...
الامنة، لأنه لا يجوز نسبة...

وفات ابو اؤلؤة عمر رضى الله عنهم

وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّهِمْ فَذُكِّرُوا بِالْعَنَاءِ وَنُفِثُوا بِرَحْمَتِنَا لَأَتَّخِذَ الْفُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَفِينًا لِّمَن يَخْتَرُ

[illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما بعد»

مجلسه اول در تاریخ ۱۳۰۲/۱۰/۱۵

ول الله صلى الله عليه وسلم

$\frac{d}{dt} \left(\frac{\partial L}{\partial \dot{x}} \right) = \frac{\partial L}{\partial x}$

[illegible][illegible]

الاحدی به اراکمه و وسیع فی مدح و ذم کان کاذباً و لا یدحق
فی التحريم بالكذب . کقول الشاعر

ولو لم یکن فی کفه غیر روحه لجاد بها فلیتق الله سائله

این همدار مدح و ذم وسیع است و در مدح و ذم کان کاذب و این
کان سیر و فطیله من صفة لشعر و ذم و مدح و ذم و ذم و ذم و ذم
من لدی رسول الله صی شده و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
حالسة ارض و طرب به و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
و طرب و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

این همدار
مدح و ذم
فی الشعر

ومبرأ من کل غیر حیفة وفساد مرضعة وداء مفیل

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
لله حیراً یا عائشة ما سررت من کلامی و به ذم و ذم و ذم و ذم
و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم
(۱) و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

(۲) حدیث لما قسم العائم امر للعاسی بن مرداس بأربع فلائس و فی

وما کانت بدو ولا عاسی یسودان مرداس فی جمع

وما کتب ذول امری منهما و من قصع الا ذلایع

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

و به ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم و ذم

كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١) «مَنْ لَمْ يَزَحْ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» لِأَنَّ
مثله يقدر على أَنْ يَزَحَ وَلَا يَقُولَ إِلَّا حَقًّا. وَأَمَّا إِذَا قُتِحَ بَابُ الْمَرَّاحِ. كَانَ غَرَضُهُ
أَنْ يَضْحَكَ النَّاسَ كَيْفَ كَانَ. وَقَدْ رَوَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) «إِنَّ الرَّجُلَ
لَيْسَ كَلِمَةً بِأَكْبَمَ مِنْ حَتَّى يَخْشَى خَشْيَةً تُهَوِّى بِهَا فِي النَّارِ» فَمَنْ أَتَى

ثمة لفظة

في القلب

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ. كَثُرَ هَيْبَتُهُ. وَمَنْ مَرَّحَ اسْتَجَفَّ بِهِ. وَمَنْ
أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ. وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ. وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَ وَدُودُهُ.
قَالَ حِرَوُّ بْنُ وَرْعَةَ، وَمَنْ كَانَ وَرْعَةً مَاتَ فَتَاهُ. وَلِذَا اسْتَحَثَّ يَدُ عَلَى امْرَأَةٍ عَنْ لَذَّةِ
دَالٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) «لَوْ لَقِيتُكُمْ لَأَعَذَّبْتُكُمْ كَذِبًا» وَالضَّحْكُ كَذِبٌ

وَقَالَ رَجُلٌ لَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ «لَا تَزَلْ وَرْدًا» قَالَ «مَنْ قَالَ هَذَا فِي شَيْءٍ خَرَجَ
مِنْهَا» قَالَ لَوْلَى فِيمَ الضَّحْكُ فِيمَ قَالَ «يُنْزِلُ حِكْمًا حَتَّى يَمُوتَ» وَقَالَ يُونُسُ بْنُ سُلَيْطَانَ
أَوَّلُ الْحَسَنِ ثَلَاثِينَ سَعَةً ضَحِكَتْ وَقَالَ «مَا عَظَّمَ اللَّهُ لِي مِنْ شَيْءٍ» فَالضَّحْكُ وَطَرٌ
وَهَيْبَتُ بْنُ الْوَدِيدِ يَوْمَ يَضْحَكُونَ فِي عَمَلٍ مَعْرُوفٍ. قَالَ «كَانَ هَذَا يَوْمَ عَمَلِهِمْ مَا
هَذَا فَعَلَّ الشَّكْرُ» وَإِنْ كَانَ لَمْ يَمْرُطْ لَمْ يَضْحَكْ هَذَا فَمَنْ ضَحِكَ وَكَانَ عَمَلُهُ فِي شَيْءٍ
يَقُولُ «تَضَحَّكَ وَعَنْ أَكْثَرِ مَا يَضْحَكُ مِنْ عَمَلٍ مَعْرُوفٍ» وَالضَّحْكُ مِنْ شَيْءٍ
دَلِيلٌ وَهُوَ يَمُرُّ بِالشَّيْءِ دَخَلَ لَهُ وَهُوَ يَكْفِي وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ «إِنْ سَأَلْتَنِي لِمَ ضَحِكْتُ لِمَا
تَمَحَّبُ مِنْ كَلَامٍ فَيُنْزِلُ قَالَ «لَقَدْ ضَحِكْتُ فِي شَيْءٍ وَلَا يَدْرِي بِشَيْءٍ يَدْرِي بِهِ» وَهُوَ مُتَحَبِّبٌ بِهِ
هَذِهِ آيَةُ الضَّحْكِ وَتَدْمُومُهُ مِمَّا تُنْزِلُ سَعَرًا فِي ضَحْكِهِ وَتَحْمُودُهُ مِمَّا اسْتَمَعَ لَدَى
يُنْكَشِفُ فِيهِ النَّاسَ. وَلَا يَسْمَعُ لَهُ سَوْتٌ وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
^(٤) قَالَ الْقَاسِمُ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ «أَعْمَلُ أَعْرَابِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُلُوبٍ لَهُ صَعْبٌ

(١) حديث أنى امرح ولا أقول إلا حقا

(٢) حديث أن الرجل ليس ككلمة يسبح بها ولا يهوى بها

(٣) من لو لقيتكم لأعذبكم كذبا

(٤) حديث كان ضحكه يدمم

(٥) حديث القاسم مولى معاوية قيل عدي بن زيد

كلامه في من قاله وسيد بن قيس في رجل ضحك النبي صلى الله عليه وسلم فاستضحكوا معه

بعض أمته
منهم صلى الله
عليه وسلم

ثم روى أبو هريرة ^(١) قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ
لَا يُقُولُ إِلَّا حَقًّا» وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ «مَنْ كَانَ رَجُلًا مَسْكِينًا سَأَلَ عَنْ عَمَلٍ فَرَأَى
عَلَيْهِ وَسِيلَ يَرْجُو فَقَرَّ عَمَهُ وَهُوَ كَانَ مَرَّاحَةً» قَالَ كَانَ مَرَّاحَةً بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَأَى
كَسْبَ ذَاتِ يَوْمٍ أَمْرًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ وَاسْمُهُ يُوْقَلُّ لَهُ «نَسَبُهُ وَأَتَحَدَّى، وَحُرِّيٌّ مَثَلُ دَيْلَا
كَذِبِ الْأَرُوسِ» وَهَذَا مِنْ إِبْنِ أَبِي حَتَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ مِنْ أَهْلِ كَلْبٍ أَسْلَمَ
سَمِيًّا وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ التَّبَسُّمِ، وَعَنِ الْحَسَنِ «وَلَمْ يَجُورْ فِي ابْنِ أَبِي حَتَّى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَدْخُلُ حَتَّى عَقُورٌ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّكَ سَتَ
تَجُورُ يَوْمَئِذٍ» وَلِلَّهِ تَعَالَى (١) «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»
وَقَالَ رِجْسُ أَسْمٍ «بَنِي أَمْرًا يَنْتَلِهُ ثُمَّ يَنْتَلِهُ مِنْ حَتَّى يَنْتَلِهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي يَدْعُوكَ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ هُوَ نَسَبِي بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَأَى
مَا عَلَيْهِ يَدْعُو فَذَلِكَ إِلَى إِبْنِ أَبِي حَتَّى يَبَيِّنُهُ بَيَاضًا» فَقَالَتْ لَأَوَالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ
أَحَدٌ إِلَّا وَبَيِّنُهُ بَيَاضٌ» وَأَرَادَ بِهِ الْبَيَاضَ الْمَحِيطَ بِالْحَقِّ وَحَدَّثَ مِنْهُ أُخْرَى فَهَذَا
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَحَمَّلَ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا فَهُوَ مُدْخِلٌ فِي النَّارِ» وَكَانَ يَرْجُو
إِلَهُ لَا يَحْمِلُ الْقَوْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ تَحَمَّلَ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا فَهُوَ مُدْخِلٌ فِي النَّارِ» وَكَانَ يَرْجُو

(١) حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»

(٢) حديث عبد الله بن جابر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»

(٣) حديث أسامة بن زيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»

(٤) حديث ابن عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»

(٥) حديث الحسن بن علي بن فضال عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»

(٦) حديث عبد الله بن جابر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُلَّ رَأْيُ رَجُلٍ دَعَا شُكْمٌ»

(٧) حديث قوله لامرأة استحمله حملك على ابن عمر - حديث - يورود في الترمذي وصححه من حديث
ابن أبي حاتم عن علي بن فضال

آية الحجاب. أملا أنزل لك عن إحداهم وروحهم ووحشة حالة تسمع فحجاب. أي
أحسن أم أنت؟ يقول في: أحسن منهم وذكره مصداق رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سؤلها فيه. لأنه كان دوما

وروي عاتقة عن أبي حمزة : قال صلى الله عليه وسلم يدعى له بالحسن بن علي
عليهما السلام ، ويرى الصبي لسانه ، فيشبهه . فقال له عبيد بن عذر القزاري ، والله ليكون
لي الأمر قد تزوج . وقل وجهه . وما أبى . فقال صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحمه لا يرحمه »
فأكثر هذه المطالبات مقولة مع النساء والسيوف وكان ذلك من صلى الله عليه وسلم
مع له صمغ ثوب . من عنده من أبي هريرة . وقال صلى الله عليه وسلم : « من أحب
وهو مد . وهو كل نرا . كل من روت . من كل شئ لا ر
رسول الله . وسلم صلى الله عليه وسلم . ول من روت حتى روت .

و روی آن خواب منجید از هر کار حسد بی - و دهری است باری مکه شمع
عنه رسول الله صلی الله علیه و سلم ، مثل ی . عنه الله الملائک مع الشوق ؟ « قتل یفنان
صهی یجلی لی سرود و ال - می رسول الله صلی الله علیه و سلم ، لاجل ی . ثم عاد

مطابق به علی الله
علیه و سلم
قرئت
از ده ای

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان يدلع لسانه بالحسن بن علي فبصر النبي سانه
فقال ان من لا يرحم لا يرحم أبو علي من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عتبة
ابن بدر وهو عبيد بن حصن بن رستم وحدثني الحطيب في المهرات فوجدت
في هذا الحديث أحسن من غيره من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن الأفرع بن قيس أن نضر بن أبي نضر عن النبي صلى الله عليه وسلم
يصل الحس فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم

(۲) حدیث میں مذکور ہے کہ جو شخص اپنے مال کا ایک سو روپیہ خرچ کرے وہ ایک سو سال تک عافیت حاصل کرے گا۔

[illegible]

من أمارات النبوة قل من أتته نبى الله صلى الله عليه وسلم ^(١) مدته سنة « ومن أتته نبى الله عليه وسلم ^(٢) «الوأتى مثل الدق» وقيل «
ولوأتى بوعده» ومن أتته نبى الله صلى الله عليه وسلم بوعده في كذا من أمره بقال
(إنه كان دق لوعده ^(٣)) بين بوعده في موضع. فميرجع إليه ذلك لأن
بل نبى. فبقى إسماعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره

وبت حضرت عبد الله بن عمر انهم قد رأوا كاهن حبس في ركن من ركن
وفد كان من بوعده الوعد، فوثنه لا نبى الله شئت الحاق. شهدكم في قدر وحيه اتي
^(٤) وعن عبد الله بن أبي الحداد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديث. وبقوله
بقية، فواعده أن آية في مكانه. فبقي يوم واحد، فأتته اليوم اثنتان وهو
في مكانه، فقال «يأتى لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا رهم
الرجل يواعد لرجل لمعه ملاحي. قال يظن أنه في ذلك وقت الصلاة إلى نحي،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذو وعد وعده «نبى» وكان ابن مسعود لا يمد
وعدا ولا يقول إن شاء الله وهو لأولى به. فبقي مع ذلك حرم في لوعده، فلا بد من
الوفاء، لأن يمدد. فإن كان عبد الوعد عارما على أن لا يفي. فهذا هو الله ق

وقال أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن
باعد مني ورعي» ^(٦) إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أمان من

محدثات
هنا

(١) حدثت فيه قصة. عن أبي داود في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه
حدثت من معه ورؤوه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه
من حديث الحسن مرسل

(٢) حدث الوأتى مثل الدين أو أصله. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه
في وعد ورؤوه. وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه

(٣) حدثت فيه قصة. عن أبي داود في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه
حدثت من معه ورؤوه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه
ثلاث أنظرني: رواه أبو داود وأختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أنس أراهم
ابن طهات الأخطأية

(٤) حدثت كان وعد وعده قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه
(٥) حدثت في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه. قال بن عمر. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه

وقال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَرْبَعٌ مَنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُدْفِقًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَتَمَةٌ مَثَرَتْ فِيهِ حَتَمَةٌ مِنَ الْمَقِىِّ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخَذَ وَإِذَا وَعَدَ عَدَرَ وَإِذَا حَصَمَ فَحَرَ » وهذا يدل على من وعده وهو على عزم الحث أو ترك الوفاء عن غير عذر . فإما من عزم على الوفاء ، فعن له عذر معه من الوفاء ، لم يكن مدفقا ، وإن جرى عليه ما هو صورة الله ق

وسكن ينبغي أن يحرر من صورة الصديق أيضا . كما يحرر من حقيقته ولا ينبغي أن يدخل نفسه معدورا من غير ضرورة حاضرة ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « كَلَّ وَعَدَ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَنَا ، فَأَتَى ثَلَاثَةً مِنَ السِّبْىِ . فَأَعْطَى الْكَلْبَ وَفِي وَاحِدٍ فَاتَتْ فَصَمَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اطْلُبْ مِنْهُ حَادَهُ وَتَقُولُ أَلَا رَأَيْتُ نَارَ حَرَى يَدَى » وذكره موهبه له لأنى الهيثم ، فحصل قول « كيف نؤعدى لأنى الهيثم » فأنره به على الصفة ، لما كان قد سبق من مواعده له ، مع أنهم كانت تدبر الرضى بهذه الصفة

^(٣) « وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالُ يَقْسَمُ عَنْهُ هُوَارُنُ بَحْبِى ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ السِّبْىِ . فَقَالَ إِنْ لَيْتَ عِنْدَكَ مَوْعِدًا بِرَسُولِ اللَّهِ . قَالَ « هِيَ لَكَ » وَقَالَ « اخْتَكَمْتُ بِكَ » وَصَاحِبَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَنِي دَأْنُهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ كَانَتْ أَحْرَمَ مِنْكَ وَأَخْرَجَ خُكْمًا مِنْكَ حِينَ خُكِمَ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ خُكْمِي أَنْ رُزِّى شَانَةً وَذُخْلٌ مَعَكَ الْخُتْمَةُ »

(١) حديث ، عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَرْبَعٌ مَنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُدْفِقًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَتَمَةٌ مَثَرَتْ فِيهِ حَتَمَةٌ مِنَ الْمَقِىِّ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخَذَ وَإِذَا وَعَدَ عَدَرَ وَإِذَا حَصَمَ فَحَرَ »

(٢) حديث كان وعدا ، الهيثم بن أبي هُرَيْرَةَ حَدَّثَنَا ، فَأَتَى ثَلَاثَةً مِنَ السِّبْىِ فَأَعْطَى الْكَلْبَ وَفِي وَاحِدٍ فَاتَتْ فَصَمَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اطْلُبْ مِنْهُ حَادَهُ وَتَقُولُ أَلَا رَأَيْتُ نَارَ حَرَى يَدَى » وذكره موهبه له لأنى الهيثم ، فحصل قول « كيف نؤعدى لأنى الهيثم » فأنره به على الصفة ، لما كان قد سبق من مواعده له ، مع أنهم كانت تدبر الرضى بهذه الصفة

(٣) حديث أنه كان حالاً يقسم عن هوارن بحبى ، فوقف عليه رجل من السبى . فقال إن لي عندك موعداً قال صدقت فاختكم ما شئت . الحديث . وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحرم منك . الحديث : أن جان والحاكم في التبرك من حديث أنى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر

بِكَاذِبٍ، وَوَلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
وَيَحْرِي السَّكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا،

(٢) وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَحْلَيْهِ يَتَبَايَعُ شَاةً وَيَتَحَالَفُ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا
وَاللَّهِ لَا أَفْصَلُكَ مِنْ كَذَا وَكَذَا، وَيَقُولُ الْآخَرُ وَاللَّهِ لَا أَزِيدُكَ عَلَى كَذَا وَكَذَا، فَرَأَى شَاةً
وَقَدْ شَرَّهَ أَحَدُهُمَا فَقَالَ «وَأُحِبُّ أَحَدَهُمَا بِالْإِيمَةِ وَكَفَّارَةٍ» وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣)
«كَذِبُ الْبَقِصِ لَرَرِي» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) «إِنَّ الْبَحَارَ هُمْ لَفَحَارُ»
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) «لَا تَكُنْ مِنْ تَحْمُوتٍ وَلَا تَكُنْ مِنْ يَمُوتٍ»
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: «وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ الْبَقِصِ يَتَحَالَفُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَهُمْ لَا يَكْتُمُونَ لِقَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
وَلَا يَكْتُمُونَ لِقَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَسْتَنْبِطُ رَأْيَهُ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦) «مَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ فَنَحْنُ فِيهِ، وَنَحْنُ فِيهِ حَالِفٌ بِاللَّهِ فَنَحْنُ فِيهِ»
كَذِبُ الْبَقِصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ أَبُو دَرْدَاءٍ (٧) «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكُنْ
مِنْ تَحْمُوتٍ وَلَا تَكُنْ مِنْ يَمُوتٍ» قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: «وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ الْبَقِصِ يَتَحَالَفُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَهُمْ لَا يَكْتُمُونَ لِقَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

- (١) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
- (٢) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
- (٣) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
- (٤) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
- (٥) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
- (٦) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»
- (٧) حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) «لَا يَزَالُ الْمُدُّ يَكْذِبُ»

ورجل كان له حارس يؤذيه فصر على أذنه حتى يهرق بيه، وموت أو قصر ورجل كان معه قوته في سمر وسرته فاحسوا السرى حتى أعظمهم أن يمتنوا لأرض من أوفاته حتى يصلي حتى يوفى أحدهم بلزجس ولا يشكوه الله الله حر أو البياع الخلاف وأقرب المختل وأنسب الثمان وقال صلى الله عليه وسلم: «وإن لدى يحدث فيكذب يصحك به أقنود وإن له وإن له»

وقال صلى الله عليه وسلم: «رأيت كأن رجلاً دخل الجنة فقلت معه: فهذا أنا رجلنا أخذها هبة ولا حر حاسن بيد الله كوت من حديد ينفذه في شدة الحس فيخذه حتى يشبع كاهه ثم يخذله ويلتزمه حب الآحر فيمده فبدد مدته جمع الآحر كما كان فقلت لذي أفا مني معه: فقال هه رجل كذاب يذب في الله إلى يوم القيمة» وعن عبد الله بن جرادة: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما مقت بأرسول الله، هل يرى المؤمن؟ قال: «مذ يكون ذلك» قال: «ي الله، هل يكذب المؤمن؟ قال لا، ثم نعم صلى الله عليه وسلم: قول الله تعالى (إن يعزى الكذب بس لؤنه نون بآيات الله)» وقال أبو سعيد الخدري: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوا فيقول في دعائه: اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا والسائي من الكذب»

(١) حدث عن أبي عبد الله كذب في قوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي

في أسكنه من ربه من حكي من أبيه عن ح

(٢) حديث رأيت كأن رجلاً دخل الجنة فقلت معه: فقال هه رجل كذاب يذب في الله إلى يوم القيمة

كوت من حديد ينفذه في شدة الحس فيمده فبدد مدته جمع الآحر كما كان فقلت لذي أفا مني معه: فقال هه رجل كذاب يذب في الله إلى يوم القيمة

إن حدث في حديث طويل

(٣) حدث عن أبي عبد الله كذب في قوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي

قال هل يكذب قال لا - الحديث: ابن عبد الله في التبريد - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

في الصمت مقتصر على الكذب وحصل السائل أنا البدر

(٤) حدث أبي سعيد الخدري: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «دعوا فيقول في دعائه: اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا والسائي من الكذب»

في الدعاء من ربه من حكي من أبيه عن ح

وخرج من ربه من ربه وعمل من ربه وعمل من الحياة وأما

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) : « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ كَذِبًا وَثُوقًا وَثُوقًا أَثَرُ ، أَمْرُهُ هَذَا كَذِبٌ وَأَمَّا ثُوقُهُ فَالْعَصَبُ وَثَرٌ ، كَحَلَّةِ الْمَوْتِ »

وحضب عمر رضي الله عنه يوما فقال : ^(٢) « قَدْ بَيَّنَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَهْدِيكُمْ ، فَقَالَ : « خُذُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ تَدْرُسُ لِمَنْ هُمْ ثُمَّ يَشْؤُا ، أَلَا كَذِبٌ حَتَّى يُخَلِّفَ الرَّجُلُ عَلَى أَبِيهِ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ وَيَشْهَدُ وَثَرٌ يُسْتَشْهِدُ » وروى ابن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) : « مَنْ حَدَّثَ سَيِّئًا حَدَّثَ وَهُوَ بَرِيءٌ كَذِبٌ وَهُوَ أَحْذَالُ كَادِبِينَ »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) : « مَنْ حَلَفَ عَلَى بَيِّنَةٍ ثُمَّ يَنْتَضِعُ بِهَا مِلَّ أَمْرِي ، فَتُسَلِّمُ حَيْثُ حَقٌّ فِي اللَّهِ عَرَّ وَحْدَنَ وَهُوَ عَلَيْهِ عَذَابٌ » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) : « رَدَّ شَرَّ دَرَجَةٍ فِي كَذِبِهِ كَذِبًا » وروى ابن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٦) : « كَيْ حَتَّى تُصْغِرَ وَتُطَوَّى عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُ إِلَّا الْبُخْلَى » وَالْكَذِبُ »

وقال عائشة رضي الله عنها ^(٧) : « مَا كَانَ مِنْ حَقٍّ أَشَدَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَأَعْدَاكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْغُرُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَتْلَاهُ عَلَى الْكَذِبِ ، فَإِنْ جَاءَ مِنْ صَدْرِهِ حَقٌّ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَهْدَى وَثَرَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ »

(١) حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ كَذِبًا وَثُوقًا وَثُوقًا أَثَرُ ، أَمْرُهُ هَذَا كَذِبٌ وَأَمَّا ثُوقُهُ فَالْعَصَبُ وَثَرٌ ، كَحَلَّةِ الْمَوْتِ »

(٢) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُذُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ تَدْرُسُ لِمَنْ هُمْ ثُمَّ يَشْؤُا ، أَلَا كَذِبٌ حَتَّى يُخَلِّفَ الرَّجُلُ عَلَى أَبِيهِ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ وَيَشْهَدُ وَثَرٌ يُسْتَشْهِدُ »

(٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَدَّثَ سَيِّئًا حَدَّثَ وَهُوَ بَرِيءٌ كَذِبٌ وَهُوَ أَحْذَالُ كَادِبِينَ »

(٤) حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ عَلَى بَيِّنَةٍ ثُمَّ يَنْتَضِعُ بِهَا مِلَّ أَمْرِي ، فَتُسَلِّمُ حَيْثُ حَقٌّ فِي اللَّهِ عَرَّ وَحْدَنَ وَهُوَ عَلَيْهِ عَذَابٌ »

(٥) حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَدَّ شَرَّ دَرَجَةٍ فِي كَذِبِهِ كَذِبًا » وروى ابن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيْ حَتَّى تُصْغِرَ وَتُطَوَّى عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُ إِلَّا الْبُخْلَى »

(٦) حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْ حَتَّى تُصْغِرَ وَتُطَوَّى عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُ إِلَّا الْبُخْلَى » وروى ابن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيْ حَتَّى تُصْغِرَ وَتُطَوَّى عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُ إِلَّا الْبُخْلَى »

(٧) حديث عائشة رضي الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا كَانَ مِنْ حَقٍّ أَشَدَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَأَعْدَاكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْغُرُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَتْلَاهُ عَلَى الْكَذِبِ ، فَإِنْ جَاءَ مِنْ صَدْرِهِ حَقٌّ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَهْدَى وَثَرَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ »

وقال موسى عليه السلام : يارب ، أي عدك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يرنى فرجه . وقال لقمان لابنه ، أي ، إياك والكذب ، فإنه شهى كلحم المصمور ، عما قليل يقلاه صاحبه .

وقال عليه السلام في مدح الصدق ^(١) : أربع يد كل بيت فلا يضرك ، فانك من الدنيا صديقٌ حديث وصدق الأمانة وخشيتُ خلق وعمة ضمه «وون» وكر رضى الله عنه ^(٢) في خطبه . مد وفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مسمى هذا عام قول : ثم تكى بول : «عدتكم ما صدق فيه» مع الأرواح في الجنة . وول مود . صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) : «وويلك نقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهود» السلام وحسن الخصال .

الإنذار في دم
الكذب

وأما الآثار فقد قال على رضي الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب . وشر المداومة بدامة يوم القيمة . وول عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كدت كذبه منذ شددت على رازي . وول عمر رضي الله عنه : أحكم إيماناً بركم أحسنكم اسماً فهذا رأيكم فاحكم إيمانكم بهذا حديثكم فاحكم . ثم دعوكم حديث ، وأعصمكم أمانة وعن ميمون بن أبي شبيب قال ، جئت كعب بن مالك فقلت على حرف إن أما كتبتك رب الكذب وكنت قد كدت ، فمررت على تركه فوددت من جانب البيت (يشت الله ليس -وا- أقول لك في آخرة الدنيا وفي الآخرة ^(١)) وول الشعبي ما أدري أيهما أمد عوراني الدار ، الكذاب أو الخيل . وول ابن السكيت ، ما أراي وأجر على ترك الكذب ، لأنني إنما أدعه أنفة

(١) حديث أربع يد كل بيت فلا يضرك من باب صدق حديث الخصال

وحرر في ٥٠ م لأجل من حدث عبد الله بن عمرو وفيه ابن عيسى

(٢) حديث في كبر عدك في موع أبو عمر في الحجة ابن ماجه والسائي في اليوم والليلة وقد

تقدم منه في أول هذا النوع

(٣) حديث مود رسول الله وصدق الحديث ثم يروي في الخبر وقد عدم

وميل إلى أن يسبح. أيسى الرجل كاذبا كذبه واحده. قال م. وقال مالك بن دينار،
 قرأت في بعض الكتب. ماس خطيب، لا تعرض حصيته على عمله، وإن كان صدقا
 صدق، وإن كان كاذبا فرصت شفاء عقاريض من ناره، كلما قرصنا نبتنا. وقال مالك
 ابن دينار، الصدق والكذب يشتركان في القلب. حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر
 ابن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء، فقال له كذبت. فقال عمر، والله ما كذبت. مد
 علمت أن الكذب يشين صاحبه

بيان

ما يخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب ليس حراما مطلقا بل هو من الأمور التي يجب على المحقق أن يتجنبها. فإن قيل
 درجانه أن يعتقد لمحرم الشيء على خلاف ما هو عليه، فيكون جاهلا، وقد تعاق به صرر غيره.
 ورب جهل فيه مفسدة ومضادة. الكذب شخص لذلك الجهل، فيكون مذبذوبا فيه. وربما
 كان واجبا، قال ميمون بن مهران. الكذب في بعض المواضع خير من الصدق، أرايت لو أن
 رجلا سعى خلف سان بالسيوف ليقوله. ودخل دارا انتهى إليك فقال رأيت فلانا. فما كذب
 قائلا. أأنت تقول لم أراه. وما تصدق به؟ وهذا الكذب واجب

وقول. الكلام وسيلة إلى المقاصد. وكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق
 والكذب جميعا. والكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق. والكذب
 فيه مباح، إن كان يحصل ذلك المقصد مباح. وواجب إن كان المقصود واجبا. كما أن عصمة
 دم المسلم واجبة، فلو كان في الصدق سفك دم مسلم، فسدحتي من ظالم، فالكذب
 فيه واجب. ومم كان لا يتم مقصود الحرب، أو إصلاح ذات البين. أو استماله قلب المجنى
 عليه. لا كذب، والكذب مباح. إلا أنه يدعى أن يجتزأ منه ما يمكن، لأنه إذا فتح باب
 الكذب على نفسه، فيجشئ أن يدعى إلى ما يستغنى عنه. وإلى ما لا يضره على حد الضرورة
 فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة.

الكذب
الواجب
رأيت المباح

قال فإني أشك الله قالت نعم : فقال لابن الأرقم أسمع ، ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أضل النساء وأخامهن فسأل ابن الأرقم فبأسأله فأجابه فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة . فدعأت هي وعمنها . فقال أسأت التي تحدثن لروحك أمك . فبأسأله . فقالت إني أول من أتت وراحم أمر الله له لي . إنه شدي فتحرحت أن أكذب . فأكذب بأمير المؤمنين . قال نعم . فأكذبي . فإن كأت إحدكن لا تحب أحد . فلا تحدثن بذلك فإن أقل البيوت الذي يبي على الحب : ولكن السريته شرون بالآلام والأحباب

^(١) وعن النوايس بن سميان الكلاني ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لي أراكم تتهافون في الكذب تهافت الأمرش في الدار كل أركذب ككتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرخص في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحنة فيصليح بينهما أو يحدث أمرأته برحمة ، وفل ثوبان . الكذب كله إثم . إلا ما نفع به مسلما ، أو دفع عنه ضررا . وقال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم . فلأن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم ، فالجرب خدعة

ما يرضى فيه
الكذب

هذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء . وفي بعضها ما عداها . إذا ربط به مقصود صحيح له أو لغيره

أما ماله . فقل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله . فله أن يكرمه . أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبتها ، فله أن يكر ذلك . فيقول ما رأيت وما سرت وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « من ارتكب شيئا من هذه القادورات فليست بستر الله » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى ، فللرجل أن يحفظ دمه ، وماله الذي يؤخذ طعنا وعرضه بلسانه ، وإن كان كاذبا

الكذب لرفع
الضرر من
النفس والغيب

(١) حديث النوايس بن سميان الكلاني في الكذب تهافت الأمرش في الدار كل أركذب ككتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرخص في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحنة فيصليح بينهما أو يحدث أمرأته برحمة ، وفل ثوبان . الكذب كله إثم . إلا ما نفع به مسلما ، أو دفع عنه ضررا . وقال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم . فلأن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم ، فالجرب خدعة

(٢) حديث من ارتكب شيئا من هذه القادورات فليست بستر الله . الخاكم من حديث ابن عمر لفظ اجسوا هذه القادورات إلى هي الله عمن ثم شيء منها فليست بستر الله وإساده حسن

وأما عرض غيره ، فأن يسأل عن سراخيه ، فله أن ينكره . وأن يصلح بين اثنين ، وأن يصلح
بين الصرات من سائه . أن يظهر لكل واحدة منها أحب إليه . وإن كانت امرأته لا تطاوعه
بلا وعلا قدر عليه . ويمدحها في الحال قطير الفلما . أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب
قسه ، لا بإكار ديب وریده تودد ، ولا بأس به .

وقد المر
البيع للكذب

وسكن الحدوه . أن الكذب محذور . ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور .
فيسمى أن ية إلى أحدهما بالآخر ، ويرى بالمران القسط . فإذا علم أن المحذور الذي يحصل
بالصدق ، أشد وقعا في الشرع من الكذب ، فله الكذب . وإن كان ذلك المقصود أهون
من مقصود الصدق ، فيجب الصدق . وقد يترك الأمران ، بحيث يتردد فيهما ، وعند ذلك
الميل إلى الصدق أولى . لأن الكذب يحس ضرورة أو حاجة مهمة . فإن شك في كون الحاجة
مهمة ، فالأصل التحريم ، فيرجع إليه . ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ، ينبغي أن
يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه . وكذلك مهماتها كانت الحاجة له ، فيستحب له أن يترك
أغراضه ويهجر الكذب . وأما إذا تعاق مرض غيره ، فلا تخور المساعدة لحق الغير ، والإضرار به .
وأكثر كذب الناس إنما هو لخطوطهم . ثم هو زيادات المال والجاه ، ولأموال
ليس موافقها محذور ، حتى أن المرأة الحكي عن زوجها ، مخبر به ، وتكذب لأجل مراعاة
الضرات ، وذلك حرام . وقالت أسماء ^(١) ، سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت : إن لي ضرة ، وإنني أتكلم من روجي عما لم يعلم ، أضرارها بذلك ، فهل علي شيء فيه ؟
فقال صلى الله عليه وسلم : « المتكلمة تملك ما لم يملكها ولا يملكها ولا يملكها » وقال صلى الله عليه وسلم
^(٢) « من نكصم ، لا يصح له أن يرضى له أو يعطيت ولم يخطفه هو كلابس ثوبي رور
رور يوم القيمة » ويدخل في هذا فتوى العالم لا يتحققه . وروايته الحديث الذي لا يتثبت
إد عرسه أن يظهر فضل نفسه ، فهو لذلك يستكف من أن يقول لأدري ، وهذا حرام

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإنني أتكلم من روجي بما لم يعلم . الحديث : متفق عليه
وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق

(٢) حديث من نكصم لا يطمع به وقال صلى الله عليه وسلم : « من نكصم لم يخطفه هو كلابس ثوبي رور
نرم القيمة » ثم أحده بعد اللفظ

ومعنى نسوة ، قالت هو ثم ما وجدنا عبيده قري ، لا فدا من اس ، وشرب ، ثم اوله
 عائشة ، قالت فاستعيت الحارث ، فقلت لا تردى ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
 منه ، وان ما حدث منه على حياء ، وشرب منه ثم قال ، ولى سواك ، فقلت لا شيء ،
 فقال « لا تخش خوفا ، وكذا » ، « اني فقلت يا رسول الله ، ان مات احدنا شيئا يشبهه
 لا شيء ، ايعبد ذلك كذا ، ان الكذب ان كذب كذا ، حتى
 نكتب الكذب كذا »

وقد كان من لو ع يخبرون عن الله مع مثل هذا الكذب ، ان الباطن من سجد
 كانت عينا سجد من المسبب ترمص ، حتى مع الرخص خارج عايه ، فيقال له لو مسح
 عيشه ، فيقول واين قول الصديق لا تس عبيد ، فيقول لا فعل ، وهذه مراقبة أهل
 الورع ، ومن تركه اس له في الكذب عن حد حبيبه ، فيكذب ولا يشعر .

وعن حوت النعمي ، حدثت تحت الربع من حشم عائدة لاس له ، في كذب عبيه ، فقلت
 كيف أنت يبي ، فحاس الربع وول رحمة به ، وب لا اول ، عليك لو دلت ناس احي فصدت
 ومن العادة ان يقول بعد الله في لا يعمه ، ان عسى عنه السلام ، ان من اعظم
 الذوب عند الله ، ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم

الكذب
 في الرؤيا

ورب يكذب في حكاية المذموم ، ولا شيء فيه عظيم ، يدول عنه السلام « ان من
 اعظم المذمة ان يدعى ارحم الى عار به ، فيرى عنده في تمام مذهب او يقول
 على . لم اكن ، وول عبيه لسلام « من كذب في حبيب كذب يوم القيمة ان يعقد بين
 شعور ان ولس بعد قد نهب ، اذ »

في الكبر وله عوه من روية من حيث عن اسماء رب ودخو الصور في
 ست خميس كاب يد : عائشة اكن في سجد ، الاصل بين ذى شرح من روية
 من في ربح عن اسماء رب ربح اي شيء من عده وسد عن : في الحديث قد
 كاب ع عائشة من : وحب بعد حبر فلا مانع من ذلك

(١) حدثت من اسماء قري في يداني ارحم في عا فيه في يرى عده في تمام مذهب او يقول
 على منه قال : بخارى من حدث وشبهه من لا سمع به عن حدث ان عمر بن قري
 القري ان يرى عبيه ما لم ترم

(٢) حديث من كذب في حمة كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعور بين بخارى من حديث اس عمر

الواقعة الخامسة عشرة

الغيبة

مررت لغيبة
في الكتاب
والسنة

والنظر فيها طويل، فلذا ذكر أولاً مذمة البراءة وما ورد فيها من شواهد الشرع
وقد عسى الله سبحانه على ذلك وشبهه من كل لحم الميتة، فقال تعالى
(وَلَا يَنْبَغُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَنْ يَحْبِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى الْآخَرِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِمْ فَكَّرَهُمْ وَهُمْ) (١)
وقال عليه السلام (٢) «كُلُّكُمْ نَشِيرٌ عَلَى نَشِيرٍ حَرَامُ دَمِهِ وَنَفْسِهِ وَعَرَضُهُ وَالْغَيْبَةُ» ول
المرض، وقد جمع الله بينه وبين ما يورده من عليه السلام (٣) «لَا حَسَنُوا
وَلَا سَاءَ حَسَنُوا وَلَا سَاءَ حَسَنُوا وَلَا يَنْبَغُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَكَرَّ وَأَعْدَدَتْ حَسَنًا
وعن حارث بن أسيد (٤) «لَا يَنْبَغُ لِرَسُولٍ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا
فِي الْعَمَةِ شَيْءٌ مِنْ زَمَانٍ فَإِنْ كَانَ مِنْ زَمَانٍ فَيُؤْتَى بِمَنْ يَنْبَغُ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ
أَنْ يَكُونَ غَائِبًا حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِمْ وَكَرَّ وَأَعْدَدَتْ حَسَنًا
وَمَرَّتْ بِهِ نَسْرِي عَلَى أَقْوَامٍ يَحْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأَنَاءِ بَرَهَةٍ فَقَبِلَ حَسَنًا مِنْ
هُوَ لَا يَنْبَغُ هَذَا الدَّيْنُ يَفْعَلُونَ النَّاسَ وَفَعَلُوا فِي غَرِّهِمْ وَأَوْسَعُ مِنْ حَارِثٍ (٥) نَبَأَتْ
التي عليه الصلاة والسلام، فثبت علمي حديثه وهو لا يخفى من المعروف شيء ولو
أنَّ نَسْبَ مَنْ دَلَّوْهُ فِي إِهْلَائِهِمْ مَشَقٌّ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ حَسَنٍ وَإِنْ دُرَّ وَلَا مَنَاقِبَ»

بما روي في كتابه

- (١) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه، مسلم من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث أبي هريرة لا حَسَنُوا وَلَا سَاءَ حَسَنُوا وَلَا يَنْبَغُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِمْ فَكَّرَهُمْ وَهُمْ
- (٣) حديث حارث بن أسيد «كُلُّكُمْ نَشِيرٌ عَلَى نَشِيرٍ حَرَامُ دَمِهِ وَنَفْسِهِ وَعَرَضُهُ وَالْغَيْبَةُ» الحديث: ابن أبي الدنيا في الصمت
- وإن حارث في الصعاء وابن مردويه في التفسير
- (٤) حديث أسيد بن حارث «لَا يَنْبَغُ لِرَسُولٍ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا فِي الْعَمَةِ شَيْءٌ مِنْ زَمَانٍ فَإِنْ كَانَ مِنْ زَمَانٍ فَيُؤْتَى بِمَنْ يَنْبَغُ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِمْ وَكَرَّ وَأَعْدَدَتْ حَسَنًا
- (٥) حديث أسيد بن حارث «نَبَأَتْ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ يَنْبَغُ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا فِي الْعَمَةِ شَيْءٌ مِنْ زَمَانٍ فَإِنْ كَانَ مِنْ زَمَانٍ فَيُؤْتَى بِمَنْ يَنْبَغُ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِمْ وَكَرَّ وَأَعْدَدَتْ حَسَنًا

فمن رزيت إن كافي حتى ما قوه ، ولدين كان معه . ثم قال فقد فتنته وإنا لم يكن
 و قد فتنته . ومن معش من حسن . ذكر . حسن . عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 ونوا ما نجره . فقال صلى الله عليه وسلم : " أنتم أحاكم " قالوا يا رسول الله ، إنما ما فيه .
 ول : إن فتنته . أنس منه فتنة . فتوة . وعن حذيفة عن عائشة عني الله عنها ، " أنها ذكرت
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فدهم . ثم قال صلى الله عليه وسلم : " إنما ما فيها .
 وفي الحسن . ذكر الغيبة ثلاثة . الغيبة الواضحة . والغيبة الكاذبة . والغيبة الغريبة .
 والغيبة الواضحة . قال صلى الله عليه وسلم : " لا تقول ما يكره الله عز وجل . وذكر
 أن من رزيت إن كافي حتى ما قوه . قال صلى الله عليه وسلم : " أنتم أحاكم " قالوا يا رسول الله ، إنما ما فيه .
 وذكر أن . من رزيت إن كافي حتى ما قوه . قال صلى الله عليه وسلم : " أنتم أحاكم " قالوا يا رسول الله ، إنما ما فيه .
 " لا يدرى أحدكم حياء ، فهي من لا يدرى مرة . قال صلى الله عليه وسلم : " إن
 هذه أمرو به الدليل ، فقال صلى الله عليه وسلم : " حياء . فمما يجب . فمما يجب .

بيان

أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

من الغيبة
 المحنة
 وأمنه

اعلم أن الذكر باللسان ، إنما حرم لأن فيه تهم الغير نقصان أخيك . وتعرفه بما يكرهه
 . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .
 والحركة . وكل من يهين . لا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .
 لله . فمما يجب . فمما يجب . فمما يجب . فمما يجب . فمما يجب . فمما يجب .

(١) ح . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

الطريق

(٢) ح . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

و . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

ال . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

(٣) ح . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

(٤) ح . من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

من من كان . وأعمال به كالمول . ولا يدرى ما له . ولا يعرفه . ولا يعرفه . ولا يعرفه .

ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان. فلا يذم له بمض الحاضرين، فيقول سبحانه الله ما عجب هذا، حتى يصفى إليه، ويعلو، ويقول هذا كثرته تعالى. وسنعمل اسمه آله في حرم حشاه. وهو تسمى بغيره وحده كرهه. ولا يذم له وعروا. وكذلك يقول، من يرى على مديقة من الأسجد في سأل أن يروح عنه فيكون كادما في دوى لاعمه. وفي إصير لعمه. من لوفقه الله لأفقه في حرمه عقيب صلاه ولو كان يفتن به لا نغم أيضا. كرهه. وكذلك يقول. ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة، تاب الله عليه وعليه. وهو في كل ذلك ظار لعمه. والله مطلع على خبث ضميره، وخفي قصده. وهو لجهله لا يدري أنه لا ترضى بفتن عظم من يرضى به خذل إذا حورو ومن ذلك الإصغاء إلى الله تعالى سبل العجب فإنه إذا ظهر العجب يريد شاطئ المنياب في الغيبة يريد معهم. وكأنه لا يخرج لعمه. هذا الذي يقول عجب، وأما في ذلك من يرضى به. لأن لا يرضى به. وكأنه أحسب فيه. هذا ما قاله الله من ثلاثة. فإن كل ذلك تصديق العقاب، والصدق بالعبية غيبة. بل الساكت شريك المنياب من صلى الله عليه وسلم. كذا في حديثه. من «و قد روى عن أبي بكر وعمر بن الخطاب» أن أحدهما قال لصاحبه. يا أبا بكر، ثم إني، طمأن أديما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكلامه خير من كل ما سأل الله عليه وسلم. وقد أئتمنا «فتلا ما أمناه من «سبحك» من «أخبرني» في طريقتيهما، وكان القائل أحدهما، والآخري سمعا. وفي حديث أبي بكر أحدهما. أفض الرحن كما تعمص الكتاب «سبحك» من هذه حبيبة. ووجهه. ولمسمع لا يخرج من ثم العيبة، لا أن يكره لسانه أو يفسد به خوف. وبينه على أقدم. أو قدع الكلام كلام آخر، فلم يفعل

لوصف في
العبادة عيبة

- (١) حدثنا مع أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عنه وعن لا يجمع إلى عيبه وهو صعب
- (٢) حدثنا أبو بكر بن محمد قال أحدهما صاحبه أن فلانا لنؤم ثم طلق أديما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن قد أئتمنا قد ما يعلم فقال بلى ما أأكلته من لحم صاحبه كما قال الناس الدعوى في
لأدب من روى عنه رحن بن أبي رحنه
- (٣) حدثنا أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحدهما أفض الرحن كما تعمص الكتاب : تقدم
فل هذا باني عشر حديثا

لزمه وإن قال بلسانه أسكت ، وهو مشته لذلك قلبه . فذلك نفاق . ولا يخرج من الإثم .
 لم يذكره فيه . ولا يكره في ذلك . شرب ما دلت أسكت . وشرب ما حبه وحبه .
 فإن ذلك استحقاق . كقول من دلت . فيذهب عنه صريحاً . وقال صلى الله
 عليه وسلم : « من دلت عنه مؤمن من غير أن يخطئ وهو قادر على صبره دلت عنه يوم
 القيامة على رأس الحرامي » . وقال أبو حمزة : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من
 دلت عن عرس أخيه غيب كل أحد على أن يرد عن عرسه » . وقال أيضاً :
 « من دلت عن عرس أخيه غيب كل أحد على أن يرد عنه من أجل يومه » . ورد
 في صرح المسند في الأمة . وفي من ذلك . كذا . فذكر في كتاب أدب السجدة
 وحقوق المسلمين . فلا تطول بإعادتها

بيان

لأدب السجدة على الأمة

أما من الواجب على الأمة كذا . وأما من الواجب على الأمة كذا .
 في حق الأمة . وخاصة من أهل الدين والخاصة . أما الثمانية
 فالأول : أن يشق المص . ودلت بد حرق . فبأن عرسه عليه . بد ح ح عرسه .
 يشق به كرسوه . فبأن من المص . طبع . إن لم يكن ثم دين وأزع . وقد يمنع تشق
 المص عند المص . فيحقق المص في المص . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
 المص . فالحقد والمص من الواجب المصبة على الأمة

المراد بالمص

- (١) حديث من أدل عنه مؤمن وهو قادر على أن يرد عنه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٢) الخلق بالطرائق من حديث سهل بن عبد الله . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٣) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٤) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٥) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٦) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٧) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٨) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (٩) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .
- (١٠) حديث من دلت عن عرس أخيه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه . فبأن كرسوه .

الحامد
الاصحاب

اشي موفقة لأفرب. وعنده رفته. ومعه عذبة على السكالك. فيهم ذكوا
ينفكهم مذكر الأعراض. فهي نهو شكر عهده. أو مضع الحس. سبثاوه. وروا
عنه. فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة. ويظن أنه جملة في الصفة. وقد يغضب
رفقه. فيحتاج إلى أن يغضب لهم. فيأمرهم في السراء والضراء. فيحوض
مهم في ذكر العيوب والساوي

المراد
للدواع
الدين

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده. ويطول لسانه عليه. أو قد حاله عند محشم
أو قد مدعه شهده. قد دره من ش فزع هو حاله. ويظن فيه أنه قد ترشده. أو قد
بذكر ما فيه صادقا. ليكذب عليه يمه. وج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول.
ما من صدق الكذب. في أن يكره كذبه وكذا من نحوه. مكان كما

المراد
للدواع
الدين

الرابع: أن يغضب إلى شيء. وهو مدني به شيء. فيذكر لذي مه. وكان من حقه
أن يغضب. ولا يذكر لذي مه. ولا يغضب. ولا يذكر لذي مه. وكان من حقه
له في الفعل. ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله

المراد
والصنيع

الخامس: برده الصنيع. وهو من رجع نفسه بفتنه. فيقول فلان
حاش. وهو من ركب. وكلامه صعب. ويرى أن يغضب في ضمن ذلك فصل مه.
ويرسم نه عهده. ويحذر أن يغضب من نظيره. فيدفع به

الحمد

السادس: الحسد. وهو نه رتب يحسد من يغضب به. ويكرهه.
فيريد أن يترك النعمة عنه. ولا يحسد به. لا يندح فيه. فيريد أن يسقط ماء وجهه
عند الناس. حتى يكفوا عن كرامته. والثناء عليه. لأنه يشغل عليه أن يسمع كلام الناس
وثناءهم عليه. وإكرامهم له. وهذا هو عين الحسد. وهو غير المعصية والحقد. بين ذلك
يستدعي حمية من المعصوب عنه. والحسد قد يكون مع الصديق المحسن. ورويق الوافي
السبع: اللعب. والهرل. والمخبة. وترجيه الوقت. فيذكر عيوب غيره
بأن يصحح له من على سبيل مح كاذ. ومهشوه الكبير ولعجب

المراد
والطائفة

الضميمة
والنقص

الثامن : الحروف المستهزأة . - حقر له ، فذل ذلك قد عجز في المحذور ويحرق في
في العيبة . ومنشؤه التكرار . والضميمة المستهزأة .
وأما الأسباب التي هي في حصة هي : نقص الواو ، لأن شروها الشديدا
في مرض الجبرات ، وفيها خير ، وسكن باب الشيطان ، الشر
الأول : أن يثبت من حسن دعية العصب في تكرار المكر والخفاء في ليس . فيقول
ما تحب ما ريت من فلان ، فإنه قد يكون له مدقا . ويكون تعجبه من المكر . ولكن
كان حقه أن يعجب ولا يذكر اسمه . فيبطل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه ،
فصار به مقتابا وإنما من حيث لا يدري . ومن ذلك قول الرجل : تعجبت من فلان كيف
يحب حارته وهي قسحة . وكيف تحسن من يدى فلان وهو حائل

المطهر العجب
من حال
المعنى

المطهر الزم

الثاني : الرحمة ، وهو أن يتم بسبب ما ذكره ، فيقول مسكين : والله قد منى أمره
وما أتى به ، ويكون مدقا في دعوى لاشبه ، ويبدله من لحد من ذكر اسمه ، وذكره
فيصير به متما ، ويكون معه ورحمة حبرا . وكذا تعجبه ، ولكن به الشيطان في شر من
حيث لا يدري ، والرحمة ولا عظام يمكن دون ذكر اسمه . ويبدله الشيطان على ذكر اسمه
ليبطل به ثواب اغنامه وترجمه

الفصل
نحو

الثالث : العصب لله تعالى ، فإنه قد نصب على مسكرة . - من يد رآه أو سمعه ،
فيظهر غضبه ، ويذكر اسمه . وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه . بالأمر بالمعروف ، والنهي
عن المنكر ، ولا يظهره على غيره . أو يستتر اسمه ، ولا يذكره . -
فهذه الثلاثة مما يمتص دركهم على الله ، فضلا عن العوام . فإنهم صول أن يعجب
والرحمة ، والعصب إذا كان لله تعالى . كان عدوا في ذكر الاسم . وهو خطأ بل المرحص
في العيبة حاجات مخصوصة . لا بدوحة فيمن عن ذكر الاسم . كما سيأتي ذكره

روى عن عمر بن الخطاب ، قال : رجل من بني نوف في حدة . - ولله صلى الله عليه وسلم
مسلم عليهم ، فمدوا عليه السلام . فمدوا . قال : رجل من بني نوف . إلى أن يصعد في الله تعالى

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا من بني نوف في حدة . - ولله صلى الله عليه وسلم فمدوا عليهم فردوا
عليه السلام فلما حاورهم قال رجل منهم : أي لأنت هذا في الله . الحديث : بطوله وفيه قيل
فمدوا عليه خير منك : أحمد بإسناد صحيح

فقال أهل الخس ، من مات وثمة ثمة ثم قالوا هؤلاء ، الرجل منهم ، فم وأدركه
وأحمره ما قال فأدركه رسولهم ، وأحمره ، وفي الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وسكى له ما من ، وسأله أن يدعوه له ، فدعاه وسأله ، فدعاه فدعاه ، فقال صلى الله
عليه وسلم : « لم تخطه » فقال : « حاره » ، وثمة حاره ، وأنه رآته صلى الله عليه وسلم ،
الأكوة ، ولما سأله يارسلته هل رآته من يوم ، أو سألت الوصوه له ، أو
الركوع أو السجود ، وسأله هل رآته ، والله ما رأته يوم شهر أو ليلة هذا الشهر
الذي يمونه ، والحر ، ولما رآته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل رآته ، فظهرت فيه ، أو نقصت
من شيء ، وسأله عنه ، فقال : « والله ما رأته ، ولا ولا مسك ، ولا رأته
بشيء من شيء ، بل الله ، لا أهدى لركاه ، أني وذيها ، والآخر ، قال : « سأله هل
رآته فقصت منه ، أو ما كسب من شيء ، الذي سأله ، فأله ، ولا رآته ، صلى الله
عليه وسلم ، قال : « فم ، فدعاه ، فدعاه »

بيان

العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

أعلم أن مساوي لأخلاق كانت تخرج من محراب العمل ، وإما علاج كل علة
بمضادة سببها ، فأنفحص عن سببها

وعلاج كذب اللسان عن الله على وجهين ، أحدهما على الآخر ، والآخر على التفصيل
أما على إجماله ، فهو أن به يترفع له اسم الله تعالى ، وهذه الأجر التي رويها
وأن يعلم أنها تحيطه حبه ، ومقدمه ، بهم ، فتن حبه يوم القيمة على من اعتقه ،
بذلك استباحه من عرسه ، فإن كان له حسنة ، فمن إليه من سادات حصمه ، وهو
مع ذلك متمسك ، فتن الله عروجه ، ومشيته عنده ، كل المنة ، بل المدي دخل الدربان
تترجح كثرة سيئاته على كثرة حسناته ، وقد قيل : « الله سيئته وأجده بمن اغتابه ، فيحصل
بها الرجحان ، ويدخل بها النار ، وإن قيل : « لا حجاب أن تنقص من ثواب أعماله ، وذلك

ومخرج الغيبة
على الجملة

بعد المحصنة والمطابقة، والسؤال والحوار والحوار قال صلى الله عليه وسلم ^(١) «مَنْ أَرَادَ
فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يَنْتَهِجَ مِنْ أَلْبَيْتِهِ فِي حَسَنَاتٍ مُعْتَمِدَةٍ»

وروى ثورحلا قال لا بأس بمشي مثله في قول ما بلغ من قدره عندى أنى أحكمك
في حسنتي فمن آمن العبد ما ودم الأحرار في العيبة. لا يحق له أن يهتف من ذلك
ويعتبه أيضاً أن يتدبر في نفسه، فإن وجد منهم أحد شغل عيب نفسه وذكر قوله
صلى الله عليه وسلم ^(٢) «طُوبَى لِمَنْ كَانَ شَيْئاً عَيْبَةً عَنْ عِيُوبٍ» من «وهي وحده عيبه»
فينبغي أن يستحضر من أن «أنت ذم نفسه» ويذكره من «من عيبه» من «يخاف أن يشره»
عن نفسه، في البصر عن ذلك العيب. كما ذكره وهذا من كبر ذلك عيبه في نفسه واحترامه
ومن كان أمر حقيق، فلهذا له ذم ناجح، فمن من ذم نفسه فقد ذم من قال من حكم
باصح الوجه، قل ما كان حق وحيث لا فحسنة، وقد جاء في الحديث، ويشكر
الله تعالى. ولا يلوث نفسه، عصبه العيوب، فمن لم يلبس وكل خطية من عظم
العيوب من لو أنصف به أن ضمه نفسه أنه يرى من كل عيب، جعل نفسه، وهو
من أعظم العيوب، وسماه من «أنت ذم نفسه» كما ذكره من «غيره» من «أنت ذم نفسه»
لا يرى لنفسه شياً يفتخر به، فمدى من لا يرى لنفسه ما لا يرى من نفسه، فلهذا من أحب وجهه
أما العيوب فهو أن يظفر في السبب له عيباً على عيبه، من «أنت ذم نفسه»
سببها وقد قدمنا الأسباب

العصب

أما العصب فيعالج في كتاب آفات اللسان وهو أن يقول في ذم نفسه من
عابه، فعمل الله تعالى تعالى عصبه على سبب العيبة، ومن في علم وحسن على سبب العيبة
بحرره، ومما قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَيْكُمْ
أَنْ تَقُولُوا سَلَامٌ عَلَيْهِمْ» من «تقربك» من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه»
الله تعالى «وقول صلى الله عليه وسلم ^(٤) «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى النَّبِيِّ سَلَامٌ عَلَيْهِ»

(١) حديث مالك في الإيسر بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه.

(٢) حديث طوبى لمن شغلته عيبه من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه»

(٣) حديث من لهنم بالأيدي حله الأمن في «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه»
من حديث ابن عباس (ع) من «أنت ذم نفسه»

(٤) حديث من في ربه كل «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه»

من «أنت ذم نفسه» وروى في «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه» من «أنت ذم نفسه»

وهل مني الله عليه وسلم "كلمة غيبه وغويته على أن يفضيه دعاء الله تعالى يوم
 انفسه على يؤمن حازق حتى حذق في خورثه ، وفي بعض الكتب المنزلة على
 بعض الناس ، بن آدم اذكر في حين غضب ذكر " حين غضب ، ولا يثبت في حق
 وأما الموافقة . فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك ، إذا طابت سخطه في رضا المخلوقين
 فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك ، وتحقر مولاك ، فتترك ربك له . إلا أن يكون
 غيبك قد تم . وذلك لا يوجب أن تذكر معشوقه بسوء . بل معنى أن يغضب الله
 أصابعه في ذلك وهو بسوء . وبه عصور رث تحسن دعاء . وهي العيبة

هم من موافقة
 اللسان
 في دعاءهم

سبب الغيب
 شرا من الغيب

وما يريد الله من الغيب في حقيقته ، حيث لا يدرك بالحواس . بل
 تعرف أن الأرض مقب الحاق ، ثم من الأمر من حيث هو . وبالله من
 اسجد التقي . ولا يأتى أث من من . لا . من من من في الله
 يا وه . ونهك في لآخرة وحسن حسنة . وحسن ما دعا له . فله
 وانصر دمع دم حتى تسبته ، وهذا هو حال وحسن

عمره لا يزال
 العبد
 في دعائه

وقد عرفت كمولاك . فكذلك حرمه من الله . وبالله ما لا يدرك بالحواس . بل
 قد . وبالله ما لا يدرك بالحواس . وبالله ما لا يدرك بالحواس . بل
 تعالى لا يقتدي به ، كائنا من كان ، ولو دخل غيرك النار ، وأنت تقدر على أن لا تدخلها ،
 لم توفقه . ولو وقفه . فله عتق . ذكره الله . وبالله ما لا يدرك بالحواس . بل
 . وبالله ما لا يدرك بالحواس . وبالله ما لا يدرك بالحواس . بل
 ردى . من فيه حين . وبالله ما لا يدرك بالحواس . بل
 . وبالله ما لا يدرك بالحواس . وبالله ما لا يدرك بالحواس . بل
 من حرم . وحاشا من حرم . لا يجب ولا ينبغي من حرم

المباهاة
 وتركه لنفسه

وأما قصدك المباحة وتركه . فمن . برده . بفضل بأن تقدر في غيرك . فيأبى أن تعلم
 أنك بما ذكرته . فأبطلت فضلك عند الله ، وبالله من اعتقاد الناس فضلك على خطر .

(١) حدث من كذا

ورقة نقص اعتقادهم فيك ، إذ اعرفوك ثلب الناس ، فتكون قد بعثت ما عند الخالق يقينا ،
 بعد الخلقين وهما ، ولو حصل لك من الخلقين عقد العمل ، وكا والايام من عايش الله شيئا
 وأما العيبة لأجل الحسد . فهو جمع بين عداين ، لأنك حسدته على عمة لدايا ، وكنت
 في الدنيا معذبا بالحسد . ففقت بذات ، حتى أصبحت إليه عذاب الآخرة ، فكنت حاسرا
 نفسك في الدنيا ، فصرت أعباء حاسر في الآخرة . تجمع بين السكاكين . فقد قصدت
 محسودك ، فأحببت عايش ، وهديت إليه حسدك . وهذا من صدقة وعدو عايش .
 إذ لا تحصره عيناك وبصرك ، وتسمع ما يدق قلبه حسدا . وتقبل إياك سيئا ، ولا تحسن
 وقد جمع إلى حيث الحسد حين اجتماع . ويكون حسدك وقد حاد ، سبب انتشار
 فضل محسودك ، كما بين .

الحسد

وإذا أراد الله شر فبيعه طوبى أرح لها من حدود

وأما الاستمراء فقصودك منه إجراء غيرك عند الناس ، بأخزاء نفسك عند الله تعالى ،
 وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام . فلو تفكرت في حسرتك ، وجذابتك ،
 وخجلتك . وخزيتك يوم القيامة ، يوم تحمل سيئات من استمراءت به وتساق إلى النار ،
 لأدهشك ذلك عن أخزاء صاحبك . ولو عرفت حالك ، لك أولى أن تضحك منك ،
 منك سحرت به عند هرقل ، وعرب سحرت لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملامن
 الناس ، ويسوقك تحت سياحه ، كما في آخر بني الرية . استمراءت . وفرحاً خرياك .
 ومسروور . نصرة الله تعالى به عليك . وتبطله على الألقام منك .

الاستمراء
العبر

وأما الرحمة له على يده . فهو حسن . وأكس حسدك من الناس . ففقتك ما يقدر
 من حسدك . إياه ما هو أكثر من حسدك . ففقتك من الإثم المرحوم . ويخرج عن كونه
 مرحوما . وتقلب مستحق لأن يكون مرحوما . إذ جند حركته ، وقصفت من حسدك
 وكذلك العصب لله تعالى لا وجب العيبة ، وإيا الشيطان حب إياك العيبة ، ليعصه
 آخر عصبك . وعبر مع سامية الله عز وجل بالعيبة

العربة
منهالعربة
منه
الله تعالى

وأما عصب إياك حركته . ففقتك من عصبك . فكيف أهلك

عصب

فإن حدثت عين غيرك أو يد يدك وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الديار، وهو أن يثبت
الله سبحانه، كما هتكت باسمه ستر أخيك

وقد علاج جميع ذلك لمعرفة فقط، والتحقق هذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان
من قوى يثبته لجميع ذلك، الكف يسره عن العيبه لا يحله

بيان

تحريم الغيبة بالقاب

اعلم أن سوء الحرام من سوء القول، مما يحرم عليك أن تحدث به عنك نفسك
بمساوي الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسمى الظن بأخيك، ولست أعني به إلا عقد
القبول وحكمه على غيره سوء، فمما الحرام من حديث النفس، وهو وهو عنه من الذات
أي وهو عنه، وإن كان المسمى عنه من حسن والضم عذرة عما تركى إليه النفس، ويتبين
إليه انقب وقد قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَإِن مِّنْ
أَنفُسٍ إِلَّا فِي غَيْبٍ) . وسبب حرمة أن أسرار ما لو لم لا علام الغيوب، وليس
لك أن تعتقد في غيرك سوء، إلا إذا اكتشف لك، عدان لا يقبل التأويل، فعد ذلك لا يمكنك
إلا أن تعتقد ما علمته وشهدته، وما لم يشهد به عينك، ولم يسمعه أذناك، ثم وقع في
فك فيه الشيطان يلقيه إليك، فعد من أن كذب، وبه فسق الصدق وقد قال الله
تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَفَسَقَ) . فتنبؤ أن نصيبوا موت، نحو له (١)
فلا يجوز تصديق إلهي وإن كان ثم محبة تدل على فساد، واحتمل خلافه، ثم يجوز أن
تصدق به، لأن المصدق تصور أن يصدق في حرمه، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به.
حتى أن من أسسك هو عدمه ربحه خسر، لا يجوز أن عد، بذيقك يمكن أن يكون
قد تمسك بالحق ومجها، وما شربها، أو حن عليه ميرا، وكل ذلك لا محالة دلالة محتملة

التظلم

الأول : التظلم من ذكر قاصد باطل ، والحياة ، وحدثوه كل معصية من لم
 يمكن مظلوما . أما المظلوم من جهة القادى فهو من يجدى السبب ويسمى إلى الظلم
 إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به . قال صلى الله عليه وسلم : ^(١) « إن صاحب الحق مظلوم لا
 وقال عليه السلام ^(٢) « مَطْلُ النَّاسِ ضَرْبٌ وَقَدْ عَصِيَ الْإِسْلَامُ » إلى أن حدثني عن أبيه وعمره
 الثاني : الاستدانة على تغيير المنكر ورد العصى إلى مخرج الإصلاح كما روى عن عمر رضي
 الله عنه من علي بن عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه ، ثم عدهم عليه في رد الإسلام . فذهب إلى أن
 بكر رضي الله عنه . وقد كر له ذلك فوجه أنكر إليه تصح ذلك ، ولم يكن ذلك عينة عدم
 وكذلك ما في عمر رضي الله عنه ، أن أنا حدثنا قد عمار الحارثي كسبه ، به ، سم الله الرحمن
 الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله أنزله أنزلهم ، عامر الذئب وبن لؤي شدة
 ألقاب) الآية وبه ولم ير ذلك عمر ممن سمع عينة . ذلك قصده في تكرار ذلك ،
 فيه من تصح ما لا يصح تصح عنه . وإن حاجة هذا قصد الصحيح . فإن لم يكن ذلك هو
 المقصود كان حراما

الاستدانة على
التغيير المنكر

الاستفتاء

الثالث : الاستفتاء . كما يتول للفقهي ، طمس في ، أو روي . أو حتى ، فكيف صرح في
 في الخلاص . والأسلم التعريض ، أن يتول ، ما مولانا في رجل طامه أنه ، أو نحوه ، أو
 روي عنه . ولكن التبيين مباح بهذا القدر . روي عن هددت عنه ، فقامت ^(١) لابي
 صلى الله عليه وسلم ، أن أسعيا رجل شحيح . لا يعطيني ما يكفيني . ووسى ، فأحد
 من غير عمه ، فقال « خدي ما يكفيك ولديك ما لمزوف » فذكرت الشيخ . والضم لها
 ولولدها ، ولم ير حرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء

تحذير المسلم
من الشر

الرابع : تحذير المسلم من الشر ، فإذا رأيت فقيه يتردد إلى مبتدع أو فاسق ، وخفت
 أن تتعدى إليه بدعته وفسقه ، فبك أن تكشف له بدعته وفسقه ، مما كان البعث لك

(١) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث مطول المعنى في متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حدث لي عن أحد نخل عمره وبنوه أن يروى والد أبي وابن ماجة من حديث أبي بصير

(٤) حديث من هددت فقامت أسعيا رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة

في الحديث الصحيح . مروي في مسند أبيه وسند قول « من كانت لأخيه
عنده . صفة في عرض أو من يستغني عنه من قس أو ياتي يومئذ ليس هناك دين
ولا دين له . يؤخذ من حصة غيره كثر له حسنة أخذ من سيئات صاحبه
فريدت على سائر » وواف عاتقة رضي الله عنها لامرأه قالت لأخيه
طويلة الذيل ، قد اغتنيها فاستحلها

هذا لا بد من الاستعلاء إن قدر عليه . فإن كان عاتق أو ميس ، فيسمى إن كثر له
الاستغفار والدعاء ، ويكثر من الحسنات

نعمين رحمكم

فإن من أحببها لمول لا بد من ع ، واسرع فليس وانس واحب وكمه
مستحسن وسامع منه . شيع في الله عنه ، وتودد به . ويلازم ذلك حتى يطيب منه
وإن لم يطيب قلبه ، كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له ، قال بها سيئة الغيبة في القيامة
وكان من اسبب لأجل من سبب لمسا . لأجل من طاهى . وقال ابن سيرين
إني لم أحره عنه . أحب الله حرم العيبة عليه . وقد كثر لأجل . حرم الله الله
فإن من قال من قول ابن سيرين عنه وسبب . فيسمى إن يستجدها . وتحليل
ما حرمه الله تعالى غير ممكن

فقول : المراد به العفو عن المظالمه . لأن قلب الحرام حلالا . وما قاله ابن سيرين ،
حسن في التحليل بين العيبة فإنه لا يجوز له أن يحال لعبد العيبة
فإن من قال من قول « صلى الله عليه وسلم » « يعجز هذا كعبة ما يكون
كأن سببه كل إد حرج من » قال الأئمة إن من سبب من سبب على الناس
وكيف يتصدق بالمرس : ومن سبب من سبب في حنك سببه . فإن كان
لا تنفذ صدقته . فما معنى الحث عليه

(١) حديث من قال لأخيه عاتق أو من يستغني عنه من قس أو ياتي يومئذ ليس هناك دين ولا دين له . يؤخذ من حصة غيره كثر له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فريدت على سائر »

(٢) حديث « من كانت لأخيه عاتق أو من يستغني عنه من قس أو ياتي يومئذ ليس هناك دين ولا دين له . يؤخذ من حصة غيره كثر له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فريدت على سائر »

« من كانت لأخيه عاتق أو من يستغني عنه من قس أو ياتي يومئذ ليس هناك دين ولا دين له . يؤخذ من حصة غيره كثر له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فريدت على سائر »

وقول معناه أن لا تطلب مصحمة في العبادة ولا أحاسنه ولا فلا تصير العبادة
حلالاً ولا تسقط المصحمة عنه لأنه عمود في الواجب فلا يسهو عنه ولا يتركه ولا يتركه على
الوفاء أن لا يحصى من رجع وحصى من كان القدر كسائر الحقوق أن ذلك من صرح
المحقق أن من نوح القدر لا يسقط حقه من حد القدر وهو مصحمة لا حرة مثل مصحمة الدنيا
وعلى جهة وأما قوله قال الحسن (د حث الأمة من بدى الله عز وجل يوم
القيامة، ودوا يقيم من كان له أجر على الله ولا يقو ولا اله فون عن الناس في الدنيا
وقد قال الله تعالى (خذ أموالكم ومزناكم بأخفاف وأثخاف من الخبيثين) فقال النبي
صلى الله عليه وسلم (١) «احذر من ما هددتموه» فقال (٢) «إن الله لا يأمرك أن تهو عن
طاعتك وتعدل من نعمتك وتمنع من حرمتك وروى عن الحسن أن رجلاً قال له
يا فلان قد اعتك فمت إليه رحمه على طيق، وقال قد اعني أنت هددتني من
حسنتك، هددتني ككثرت غيري فهدني ما بيني لا أقدر أن أكثرت على التهم

الوفقة السادسة عشرة

الجمعة

قال الله تعالى (هَذَا زِمَاءُ يَتَّبِعُونَ) (١) نفوس (عَنْ عَدْلِكَ رَجُلٍ) (٢) قال عبد الله
ابن المبارك (٣) «ربهم ولد الرب الذي لا يكتم الحديث وتشره إلى أن كل من يكتم الحديث
ومشي بالجمعة، دل على أنه ولد ربهم استبانه من موافق عز وجل (عَنْ عَدْلِكَ رَجُلٍ)
والرب هو الذي وقال تعالى (وَمَنْ كُنْ هُمْ رَجُلٌ) (٤) ميل الجمعة لهم وقال تعالى
(حَمْدُ خُصْبٍ) (٥) ميل إليها كانت قديمة حمداً للحديث وقال تعالى (وَمِنْ هُمَا فِيمَ
يُحِبُّ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئٌ) (٦) ميل كانت امرؤ لوطاً تحب ما يحسبها، وامرؤ فوح تحب أنه يحسب

نعم الزم
في الكتاب

(١) حديث نزول خذوا الآيات فقال (٢) ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تهو عن طاعتك وتعدل
من طاعتك وتعدل من نعمتك وتمنع من حرمتك وروى عن الحسن أن رجلاً قال له

(١) لأعرف ١٩٩ (٢) و (٣) عم : ١١ و ١٣ (٤) الجمعة (٥) (٦) التحريم ١٠

ولا ديوث ولا شرطي ولا تحت ولا فمع رجم ولا ندى قول على عهد الله يا
أفعل كذا وكذا ثم لم يفعل به .

وروى كعب الأحبار . أن نبي إسرائيل أصابه قحط ، فاستسقى موسى عليه السلام مرات
ثلاثه ، فأوحى الله تعالى إليه ، إني لا أستجيب لك ولن معك وفيكم دم ، فمد نسر على
الخميرة فقال موسى ، يا رب من هو الذي عنه حتى أخرجهم من بين يدي ، قال موسى ، أنهم كرهوا
عن الخميرة وكروا ما أرادوا جميعا . فسقوا . ويقل ابن عباس رجل حكى سمعته من ربه
في سبع كلمات . فمد يده عليه . قال إني حدثك للذي قال الله تعالى من لعنه . خبرني عن
السما وما أثقل منه ، وعن الأرض وما أوسع منه ، وعن النهر وما أغنى منه ، وعن البحر وما أذل
وما أحر منه ، وعن الزمهرير وما أبرد منه ، وعن الحجر وما أغنى منه ، وعن النجم وما أذل
وما أحر منه ، فقال له الحكميم ، إني أنا الذي أثقل من السموات ، وحدثت من الأرض
والقالب القمع أغنى من البحر ، والحرم والحسد أحر من النار ، والحاجة في أقرب إداة
تجوع أبرد من الزمهرير ، وطلب الكمال أغنى من الحجر ، والحمد لله من أمره ذلك أيام

بيان

حد النيمة وما يجب في ردها

علم أن اسم النيمة إنما يظن في الذكر على من يسم فوا أمري بالمقول فيه . كما تقول
فلان كان يتكلم بكذا وكذا ونسبت نيمة مختصة به . إن حده كشف ما يكره كنهه
سواء كرهه لمقول عنه ، أو المقول إليه ، أو كرهه في نفسه . وسواء كان الكشف بالمقول
أو بالكتابة . أو بالرمز ، أو بالآية . وسواء كان لمقول من الأعمى ، أو من الأفواه
وسواء كان ذلك عينا ونقصا في المقول عنه ، أو لم يكن . من حقيقة نعمة بمشء أسر ،

عن والده ولاديث والنسائي من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل الحنة ما لا ولا عن
ولاد بن عمر . وشيخ من حديث حذيفة لا يدخل الحنة فئات ولها من حديث جابر بن سمير
لا يدخل الحنة . وصاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لا يدخل
ربي فريث من دخل في دخلي ورحمى عنه الهى فقال الله عز وجل لا سكتك تحت لاءه

وهناك سر عم كره كشفه من كل ما آتاه من من أحوال الناس مما يكره، فيسعى
أن يسكت عنه، إلا في حكاية فائدة سر، أو دفع لمصيبة، كما إذا رأى من يتناول مال
غيره، فعليه أن يشهده، مراعاة لحق المشهود له، فمما إذا رأى حتى مالا لنفسه، فذكره
وهو عيمة، وبما يشاء، لا يربك كل ما سمعه فيه في المحكي عنه، كما قد جمع بين العيمة والعيمة
فأدعت على عيمة ما إذا ده السوء المحكي عنه، وبما راحل المحكي له، وأنتصرح
بالحديث والخوض في الفضول والباطل.

الباعث على
الصحة

وكل من أحب به عيمة، ومين له بها ولا قل بيت كذا، أو من في حثك كذا
أوهوب روي إمامكم، وفي ما لا تدرك، وفي ما لا يحال، وما جرى مجراه، وفيه ستة أمور
الأول أن لا يصدقه أن يصدق من يوعو ويداد منه، ولا لله في (يا أيها الذين
آمنوا) ما ذكره من (وَأَنْ تَصْبِرُوا قُوَّةً) بمجمل (١)

رابع الطهر

ثلاثة احرام

منه

الثاني، أن ينه عن ذلك، وينصح له، ويتح عليه فعله. قال الله تعالى
(وَمَنْ مِّنكُمْ مَّرُوفٌ فَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٢)

بعض

تصحيح الظن
بأخيه

الثالث، أن يصدقه في ما يقره من بعض ما يفتنه في ربح بعض من مصلته لله في
الربح من لا يصح أن يربح، أو السوء، تقول لله تعالى (خُذُوا كَثِيرًا مِّنَ الْخُضِرِ
إِن مِّنْ خُضِرٍ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ) (٣)

التميز فيه
التجسس

الرابع، أن لا يصدقه ما يفتنه على التجسس والبحث تحقيق اتباع لقوله
تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا) (٤)

السادس، أن لا يصدقه ما يفتنه من حب الدنيا، ولا حكي نيمته، فتقول ولا تن
قد حكي لي كذا وكذا، فيكون به غدا، ومعه، وقد تكون قد أتت ماعه هيت

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أنه دخل عليه رجل، فذكر له عن
رجل شيء، فقال له عمر، يا شاذل، في أمرك، فإن كنت كاذبا فأت من أهل هذه
الآية (إِنْ كُنْتُمْ فَاسِقُونَ) (٥) (وإن كنت صادقا فأت من أهل هذه الآية
(هَمَّازٌ مَّشْدُودٌ)) (٦) (وإن شئت فقل، فقل العتوب، أي المؤمنين لا أعود إليه أبدا

(١) حبر ٦٠ (٢) حبر ١٧ (٣) حبر ١٢ (٤) حبر ٦ (٥) حبر ١١

وقال رجل لعروس عبيد، أن الأسواري، برأيد كرش في قميصه شرا فقال له
عمره، يا هذا، ما رعت حتى بحمة (رحل). حيث قتلت إبي حديثه ولا أدبت حتى،
حين اعصى عن أحي، كره، وأكرع عمه أن الموت مما واغتر عمنه والقرومة
تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين

ورفع بعض السماء إلى المصاحب من عذوبة، فممن من تم تحمله على أحده
لكثرة وقوعه على ظهرها السمية فيجة، وبسبب تلك فيجة، فإن كات أحري، بحري
المصح، وحسرت فيها أخص من ربح ومعدته أن يمل من وكافي، وسور ولولا أن
في حفره شدة، فاست: بقضيه فملك في مثلك، فتوق ياملون العيب، فإن الله
أعلم بأميب الميت رحمه الله، وإيهم حرد لله، والمثل نره الله، والله على همه لله

وول أقمار لأبه، سي، وصيك حله، من مسكت من م تر، مد، سعد حانت
للقریب والبعید، ونسك حلك عن الكريمة وإيهم، واحد من إخوانك، وصل، لك
وآتهم من مول قول ساع، أو سمع مع برده، ووروم حالك ويك، ورواب
من إذا فارقتهم وفارقتك لم تعلم ولم يعيوك.

وقال بعضهم: تيمة منه على الكذب والحسد والنفق، وهي ثمن الدل وول معهم
لو صح ما نقله الغلام إليك، لكان هو المجتري، أنتم عليك، والمقول عنه أولى بحملك،
لأنه لما يلقاك بشتك وعلى إجهته، فترأى معهم يسمى أن ينوق من حمد
اس سله باع رجل عدا، وول امشدي معه عيب، لا تيمة، ول مدرضيت، فاشتراه
فكث الغلام أياما، ثم قال لزوجته، ولاء، إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك
فجدي موسى وأحق من شعر فقه عده ووه شمرا، حتى أسحره عليها، فيحبك، ثم
قل لزوج، يا امرأتك احدثي حيلة، ويريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك.
فساوم لها، فحدثت امرأة موسى، ففطن ثم يريد فعله، فقام به، فقام أهل الرقة
فقتلوا الزوج. ووقع القتل بين القبيلتين، ففسأ الله حسن التوفيق

بأنير السيرة
في الفرق بين
المرجعين

إِنَّمَا الْكَرَمُ الرَّجُلُ الْكَلِيمُ

ثُمَّ أَمَرَ (حَتَّى حُرُّوا) أَنْ يُرَدُّوا ثُمَّ يُسْأَلُ عَنْ يَسَارِهِمْ وَنُزُولِهِمْ مِنْ
الشَّيْءِ الرَّاحِمِ وَفِي حَرْفٍ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَلَأَيْنِ إِلَّا لِكَثْرَةِ السُّؤَالِ

وَفِي مَعْنَاهُ مَوْجِبُ وَالْخَطْبِ عَلَيْهِمُ الْإِثْمَ فَتُجِبُ بِمَعْنَى السُّؤَالِ مِنْ قَوْلِهِمْ
يُرَدُّونَ (مِنْ) ثُمَّ يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَخْتَلِفَ عَنْهُ ذِكْرًا^(١) فَيَسْأَلُ عَنْ
الْأَمْرِ الْبَاطِنِ حَتَّى يَخْتَلِفَ عَنْهُ ذِكْرًا وَفِي حَرْفٍ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَلَأَيْنِ إِلَّا لِكَثْرَةِ
السُّؤَالِ (مِنْ) ثُمَّ يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَخْتَلِفَ عَنْهُ ذِكْرًا وَفِي حَرْفٍ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَلَأَيْنِ إِلَّا لِكَثْرَةِ

السُّؤَالِ مَوْجِبُ عَنْ مَوْجِبٍ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ
كَلَامًا وَرِسْمًا فِيهِ أَمْرٌ بِمَعْنَى شَيْءٍ وَفِي حَرْفٍ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَلَأَيْنِ إِلَّا لِكَثْرَةِ
السُّؤَالِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ
وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ الْإِسْلَامِ

(١) حَرْفٌ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَلَأَيْنِ إِلَّا لِكَثْرَةِ السُّؤَالِ . الرار باسناد جيد

كتاب فم الغصبر والحفد والحسد

رحل من قريش لعمر بن عبد الله بن قيس . فأتى عمر زمانا طويلا ، ثم قل أردت أن
 يفتنني الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان .
 يافني ، لا يثبت العقل عند الغضب ، كما لا تثبت روح الحي في الثناير المسحورة .

أقول اداس
 أفتنهم غضبا

وقال له : لا تفتنك الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان .
 حذروا عنه . فمد قوسا من غضب . وقال : لا تفتنك الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان .
 إذا خطب قال في خطبته : أبلغ منكم من حفظ . من الطمع ، والهوى ، والغضب . وقال
 : لا تفتنك الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان . فقال له : لا تفتنك الشيطان .
 في دين . وشره في غير دين . وشره في غير دين . وشره في غير دين .
 وقد في غير دين . وشره في غير دين . وشره في غير دين . وشره في غير دين .
 لا تفتنك الشيطان . ولا تفتنك الشيطان . ولا تفتنك الشيطان . ولا تفتنك الشيطان .
 حرسه . ولا تفتنك الشيطان . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 ولا يخذل . ولا تفتنك الشيطان . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 ومن الله الله . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 من الأنبياء . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 حذروا عنه . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 في ماله . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 بن مية . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،

بيان

حذروا عنه

أما أن الله تعالى ما حذر من الغضب . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 وأما حذروا عنه . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 سماه في كتابه . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،
 الحرارة والصورة . فتنصر المعلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يخذل ، ولا يخذل ،

طبيعته
 الجسم
 قازمه

فالسفينة في ماضهم الأمواج . عند اضطراب ربح في لحمة البحر أحسن حالا . وأرجى
سلامة من النفس المضطربة . إذ في السفينة من يخلل اتسككهم وتديرها . ويضطرب
له ويسوسه . وإنما القلب . هو صاحب السفينة . وقد سقطت حيلته . إذ تمده العصب وأوصاه
ومن ر هذا الغضب في الظاهر . تغير اللون . وشده لرعدة في الأطراف . وخروج
الأفول عن الترتيب والنظم . وندرات الحركة والكلام . حتى يصير الزمان على الأشدق
وتعجز الأحمق . وتغيب البصيرة . وتستحيل الحقيقة . ولو رى العبد في حانة عصبه
فتح صورته . اسكن عصبه . من فتح صورته . واستحله حلقته . وقبح باعته عظم من
فتح طهره . فإن الطاهر عنوان اليأس . ورة محبت صورة الباطن أولاً . ثم انتشر قبحها
إلى الطاهر الطاهر ثمره من ثمره بالمشرة . وهذا أثره في الحسد
وأما أثره في الناس فلهذا ما شئنا من الكلام . الذي يستحق منه
دوام من مدققة عدمه فذلك مع خط النظم . واضطراب الاعتدال
وأما أثره على الأعداء فاضرب . والذبح وتخرج . والخرع عند التمكن
من غير مداه من ضرب منه المصوب عنه وقتة ربح عن الشئ جمع
العصب على ثوب منه ربح عنه وقد يضرب يده على الأرض
ويعدو عدو نوله السكران والمدمون بالبحر ربح بسقمه سريره لا يطق السعدو
والهوض بسبب شدة الغضب ويمتريه مثل النشبة ورة يضرب الجمادات والحيوانات
فيضرب الفصاة مثلاً على الأرض ويديكسر المائدة يد عصب عليم ويتعاضى أفعال
الحسين فيشتم الهيمة واحداث ويخطم ويقوب إلى متى ملك عدا ما كيت وكيت كآه
يخطب غافلاً حتى ربح رفته دابة فيفس لذة وقتة لم ذلك

أثر العصب
في الظاهر

أثره في الناس

أثره
في الأعداء

أثره في القلب

وأما أثره في القلب مع المصوب عليه فالحقد وإصهار السوء والشامة
بالسبات والخراب بالسوء والعزم على إنشاء الشر وهلاك السر والاستهزاء وغير
ذلك من اقبح فلهذا ثمره العصب المضطرب وأما ثمره الخيبة الحميمية فقلة الألفة مما
يؤلف منه من التعرض للحر والروحة والأمة واحتمال الدل من الأحساء وصغر
النس والقهاء وهو أيضا مضموم يد من ثمراته عدم الثيرة على الحرم وهو خوثة

بيان

العصب هل يمكن بقاءه بالرضا فلا

اعلم أنه من طوائف الصور نحو العصب بالكتابة، وعموائف الرضا به تتوجه
وبأنه تقصد وطوائف أخرى أنه ليس لا قبل الملاح، وهذا ترى من خلق الخلق كخلق
وكلاهما لا يقبل التغيير. وكلا الرأيين ضعيف. بل الحق فيه ما نذكره، وهو أنه ما بقي
الإحسان يحب شيئا ويكره شيئا، فلا يحسن من العيب والعصب وما دام بواقعة شيء،
ويكرهه آخر، فلا بد من أن يحب ما يوافقه، ويكره ما ينافيه والعصب يتبع ذلك.
فإنه ما أخدمه بحبويه عصب لا يكره، وإذا فقد يكره عصب لا يحله إلا أن
ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام

أقسام ما يحبه
الإنسان

الضرورات

الأول، ما هو ضروره في حق الكائن، كالتقوى، والمساكن، والمأمن، وصحة البدن
من قصد بده باصبر والحرص، ولابد وأن يعصب وكذلك إذا أخدمه ثوبه الذي
يستر عورته، وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه، أو رقيق مؤثمه لدى إعطائه.
وهذه ضرورات لا يحلو الإنسان من كراهه روالها، ومن عبط على من يتعرض لها

الكليات

القسم الثاني: ما ليس ضروريا لأحد من الخلق، كالخدا، والمال الكثير، والعصران
والدواب، فإن هذه الأمور صارت بحبونه بامده، والخلق غلة صد الأمور، حتى صار
الذهب والقصة من بين في أنفسهم فيكرهان. ويعصب على من يسرقهما، وإن كان مستغنيا
عنهما في القوت فهذا الخس مما يتصور أن يملك الإنسان عن أصل العيب عليه، وإذا
كانت له دار رثية على مسكنه، فهذا، طم، فيعوز أن لا يعصب إذا تخور أن يكون
لصرا بأمر الدنيا. فيزهد في أريدة على الحاجة، فلا يعصب أحدها، فإنه لا يحب وجودها
ولو أحب وجوده لعصب على الصروة أخذها، وأكثر عصب الناس على ما هو غير
ضروري، كالحل، والصيت، والتصدر في مجالس، والمباهلة في العلم، فمن غلب هذا
الحب عليه، فلا محالة يعصب إذا زاحمه من أحم على التصدر في المجالس. ومن لا يحب ذلك

ولا يزال ولو جلس في صف العمال ، فلا يفتنب إلا جلس غيره فوقه . وهذه العادات
الرديئة هي التي أكثرت محاب الإيثار ومكارمه ، فأكثر غضبه ، وكلما كانت الإرادات
والشهوات أكثر ، كان صاحبها أخطأ رتبة وأقص لأن الحقصة نقص . ثم أكثر
كثرة النقص . والجاهل أبدا حبه في أن يريد في حاجاته وفي شهواته ، وهو لا يدري أنه
مستكثر من أسبب العم والخرن ، حتى انتهى بعض الجهل بانه ذات الرديئة ، ونحو طاعة
قرباء السوء . إلى أن يصيب لو قبل له إياك لا تحسن اللعب بالخيور ، واللعب بالشرطح
ولا تقدر على شرب البحر الكثير . وتداول الطعام أكثر ، وهو بحري بحرا من الرذائل
فالمفتنب على هذا الخمس ليس ضروري ، لأن حبه ليس ضروري

القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكذب مثلا
في حق العالم ، لأنه من طريقه يحبه ، فمستحب على من يحبه وهو مرفوع وكذا ذات البهائم
في حق الكسب ، الذي لا يمكنه الوصول إلى القوت ، لأن من ما هو وسيلة إلى الضرورى
والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا . وهذا يحسن لأشع من وإنه لم يلزم الضرورى ما شر
إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ^(١) « من أصبح آمنا في سربه أمنا في ماله
وله قوت يومه فكأنما حيرت له الدنيا بحذيقها » . ومن كان يصبر أخته ثقي الأمور .
وسلم له هذه الثلاثة ، يتصور ، أن لا يفتنب في غيرها

فهذه ثلاثة أقسام ، فمذكر آية الرياسة في كل واحد منها

أما القسم الأول . فثبت الرياسة فيه بعدم عطاء الغيب ، وإن كان يمكن تقديره على
أن لا يطبع الغيب ، ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحقه لشرع ، ويستحقه
العقل . وذلك ممكن بالمجاعدة . وتكامل الحظ والاحتياط مدة ، حتى يصير الحظ والاحتياط
حلقا راسخا . فمما وقع أصل العيظ من القوت ، فذلك نفس مدة صبي الصبح ، وهو غير ممكن
نعم يمكن كسر سوره وتضميقه ، حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن . وينتهي ضمغه
إلى أن لا يظهر أثره في لوجه وإن كان ذلك شديدا . وهذا حكم القسم الثالث أيضا

(١) حدث من أصبح آمنا في سربه يوفى يومه مثله . حدث له الله ما لا يخفى عليه . قوله

وابن ماجه من حديث عنه أنه سمع رسول الله يقول عدا فيرها قال الترمذي حسن عراب

الضرورات
فمن
البعض
دونه
البعض

نفس
الغيب
الضرورات

وإنهم قطعوا ، ثم لما تقول : وسب رجل نأبكر رضى الله عنه ، فقال ما سب الله منك أكثر .
 فكأنه كان مشغولاً بالضر في تفسير نفسه عن أن يتق الله حق تقته ، ويعرفه حق معرفته
 ثم بعثه سيرة غيره إليه إلى نقصان ، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لحلافة
 قدره . وقالت امرأة لمالك بن دينار : يا صراخى . فقال ما عرمتى غيرك . فكأنه كان مشغولاً
 بأن يلقى عن نفسه آفة الرياء . ومكراً على نفسه ما يقيه الشيطان إليه . فذا يعصب لما سب
 إليه . وسب رجل الشعي فقال : إن كنت قد دققت الله لى ، وإن كنت قد دققت الله لك
 وهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يعصوا . لا اشتغال قلوبهم بغيرها .
 ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم . وانكسرهم لم يشتغلوا به ، واشتغلوا بما كان هو
 الأغلب على قلوبهم ، فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات ، لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب
 عند فوات بعض المحاب . فإذا يتصور فقد الغيظ . إما بأشغال القلب بهم . أو بقلية نظر
 الوحيد . وبسبب ثلث ، وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يتطأ ، فيطأ . شدة حبه
 لله عيشه ، وذلك غير محل في أحوال أدركه . وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص
 من العصب نحو حب الدنيا عن القلب ، وذلك بمعرفة آفات الدنيا وعوائدها . كما سيأتى
 في كتاب دم الدنيا . ومن أخرج حب المراءى عن القلب . تخلص من أكثر أسباب العصب
 وما لا يمكن محوه ، يمكن كسره ونسيجه بضعف العصب بسببه ، وهو دفعه . سأل
 الله حسن الزريق رحمه وكرمه . إله على كل شيء قدير ، واجد الله وحده .

بيان

الأسباب المهيجة للعصب

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مادتها . وإزالة أسبابها . فإزالة أسباب
 العصب وقد قال نوحى لميسى عليه السلام : أى شيء أشد قال عصب الله قال ثم يقر من عصب
 الله قال أن عصب . قال فما يدنى العصب وما يبره ؟ قال ما دنى السكر . والفجور . والتعدي . والجمية
 والأسباب المهيجة للعصب . هى الزهو . والعجب . والمزاج . والهرل . والهرج . والتعير
 والمزلة . والسادة . والندى . وهذه الخمسة على مسرل الال واجده ، وهى بأحمد أحلاق

رديئة مدمومة شرعاً ولا خلاص من العصب مع ققاء هذه لأسباب. فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأعدادها. . . فيسمى أن تنبت الزهوا بالتواضع، وتنبت العصب بمروءة سميت، كما يأتي بيانه في كتب الكبر والعجب، وتربل الحجر، سميت من جنس عبدك إذ ليس يجمعهم في الانساب أب واحد، وإن احتشوا في لفصل شتاء، فهو آدم حسن واحد، وإن الحجر بالصدائل، وهو حجر والعجب والكبر، كبراردن وهي شهاب ورأسها وبها لم تحل عنها فلا فصل لك على عبدك، فله حجر وسميت من جنس عبدك، من حيث البنية والنسب، والأعضاء الظاهرة والباطنة

وأما ادراج قتريله بالمشاعل سميت الدية التي بسوء العبد وتفضل إذا عرفت ذلك، وأما الهرل فتريله بالحد في طب البصائر والأخلاق الحسية. والمعلوم الدية، التي سميت إلى سعادة الآخرة. وأما الهرل، فتريله بالكبره عن إله العبد، وانسابة النفس عن أن يستمرأ لك، وأما التعبير فله من القول القديح، وصيانة النفس عن مزالج ووب وأما شدة الحرص على مراد العبد فتريل بالقدرة الضرورية، كما مر لا سيما وترفعها عن دل الحاجة. . . وكل خلق من هذه الأخلاق، وصفة من هذه الصفات، يقرر في علاجه إلى نامة وتحويل مشقة وحاصل رغبته يرجع إلى معرفة عوائدها، لرغب النفس عنها، وتفر عن فحشها ثم الموطنة على مشقة صدادها مدة مديدة، حتى تصير بالعادة مأثومة هيئة على النفس فإذا امتعت عن النفس، فقد ركت وتطهرت عن هذه الرذائل، وتخلص أيضاً عن العصب الذي تولد منه. . . ومن أشد التواضع على العصب عند أكثر الجاهل، تسميتهم العصب شدة، ورحاوية، وعرة نفس، وكبرهية، وتلقيه بالأتقاب المحموده، عذوه وحمله، حتى تزيل النفس الله وتسجد له وتدين كدلك تحكيه شدة العصب عن الأكبر، في معرض المدح بالشفاعة. والمفوس مائلة إلى التشبيه بالأكبر فيميج العصب إلى العصب بسببه وتسمية هذا عره نفس وشدة، به جهل، بل هو مرض قلب، وتقصير عن، وهو ضعف النفس وقصورها. وآية أنه ضعف النفس أن المريض أسرع عصباً من الصحيح، وإنما أنه أسرع عصباً من الرحي، ولا تصح سرعة عصب من الرجل الكبير والشح الضعيف أسرع عصباً من الكبير، ودو الخلق إلى الرذائل القبيحة أسرع عصباً

ليس العصب
شعاع

من صاحب الفضائل وردل بحسب شهوته دافاته القيمة، ولجله دافاته الحقة، حتى
 "بحسب على أهله وولده وأصحابه" بن النوى من تلك عنه عبد الغضب، كما قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم "من الشدة الصرعة بما تشد بذلدى يهلك نفسه عند الغضب" بن
 يمتحان مع محمد الحنبل بن تميم عليه حكاه من الحلم والعمو، وما استحسن منهم من كظم
 الغيظ، من ذلك ما قول عن الأبرار والأولياء، والحكماء والعلماء، وكار الملوك القضاة
 وسد ذلك قول عن الأكراد والأشرار، والحباب والأعداء، الذين لا عقول لهم، ولا أمل فيهم

بيان

علاج الغضب بمدهيجانه

• ذكره هو حسم، وإذا لم يستوفى له حتى لا يفسد، ويدخرى سبب هجده
 همدت نيت، حتى لا يضره حبه إلى العن على الوجه المذموم، وإذا لم يعلج
 الغضب عند هيجده فيمحور العلم والعمل، ثم العلم هو منه نور
 الأول: أن يهكر في الآخر إلى سوره، في كظم الغيظ، والعمو، والحلم.
 والاحتمال، ويرغب في ثوابه، وحبه شدة الحرص على ثواب الكصم عن التثني والاعتقام
 ويطلق، عنه عيظه قال مالك بن نويس الحدثن، غضب عمر على رجل وأمر بصره
 وقت الأمر المؤمن (حد الأمر) وأمره وأمره عن الأهديين (١) وكان عمر
 يقول (حد الأمر) وأمره وأمره عن الأهديين (٢) فكان يتأمل في الآية، وكان
 وفاه عند كذب الله مهم، عليه، كثير التذرية، فمدريه، وخي الرجل وأمر عمر
 أن يمد العرر صرب رجل، ثم وأمره أنه لي (وأما كظم الغيظ) (٣) فقال لعلامه خل عنه
 الذي أن يخوف نفسه بمقاب الله، وهو أن يقول قدره الله على أعظم من قدرتي على هذا
 الإنسان، فلو نصبت عني عنه، له آمن أن ينص الله عصمه عن يوم القيامة أحوح
 • كونه في العمو، وقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة، يا بن آدم، اذكرني حين

رهباء نواب
 كظم الغيظ

الحرف مبد الله
 نألي

(١) حدث ليس الشدة سرعة مدم منه

١٣٤٥ (٢) لأغراف ١٩٩ (٣) عمر ١٣٤٥

تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أعفك فيمن أعتق . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصيحا إلى حابجة ، فأبطأ عليه ، فلما جاء قال ^(١) " لو لا ألقصاص لأؤتيتك " أي القصاص
في القبضة . وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم . إذا غضب أعطاه صحيفة
فيها أرحم المسكين ، وأحش الموت . وادكر الآخرة . فكان يقرأها حتى يسكن غضبه
الثالث . أن يحذر منه عامة العداوة والانتقام . وتشمع المدونة له ، واسمى في هدم
أعراجه . والشامة بعينه . وهو لا يخلو عن لمصائب . فيخوف منه عوالم العصب
في الدين . إن كان لا يخف من الآخرة . وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على عصب . وليس
هذا من أعمال الآخرة . ولا ثواب عليه ، لأنه من دد على حظوظه المعاجلة . تقدم له من على
نفس . إلا أن يكون محذوره أن تشوش عليه في الدنيا مراعاة للعالم والموت . وما يسهل على
الآخرة . فيصكون مثابا عليه

المدرسة
الكتاب
الهداية

الرابع . أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب ، بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب
ويتفكر في قبح العصب في نفسه . ومشاهدة صاحبه لا كلب البصري . والسمع البصري .
ومشاهدة الحليم الذي ترك للعصب . لأنبياء وأولياء ، وأمهات والحكام . ويغير نفسه
بين أن يشبه بالكلاب والسياف وأرادل الناس . وبين أن يشبه بالعباد والأبداء في عاداتهم
لتجمل نفسه إلى حب الالفداء هؤلاء . إن كان قد بقي معه مسكة من عقل

الزاد
صورة
العصبية

الخامس . أن يتفكر في السبب الذي يدعو إلى الانتقام . ويعلمه من كظم العيظ ولا بد
وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له . إن هذا يحمل ميث على العذر . وسفر النفس
والدنه . والمهابة . ونسحقه يروى في أعين الناس فيقول نفسه ، ما أعتقت تأففين من
الاحتمال الآن . ولا تأمن من حري يوم القيامة والافتتاح . إذا أخذ هذا بيدك وانتقم
منه وتحذرس من أن تصغرى في أعين الناس . ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله
وباللائكة والعباد . كظم العيظ ويبقى أن يكظمه الله . وذلك مظنة عند الله له وللناس . يدل
من ظمه يوم القيامة أشد من دله لو انتقم الآن . فلا يجب أن يكون هو القاتم إذا نودي يوم القيامة
ليقيم من أجره على الله . فلا يقوم إلا من عفا فهدأ أمثاله من معارف الإله يسبح في بقرره على نفسه

السادس. أن علم أن عبية من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله، لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى من مراد الله، لو يثبت أن يكون عصب الله عليه أعضاء من عباده وأما العمل، فإن تقول إن الله يعود بالله من الشيطان الرحيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) أن يقال عند التيقن: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا عصت عائشة، أحد أمره وقال: غوثي غوثي بالله رب النبي محمد أغفر لي ذنبي وذهب عني وبني وأحزني من فضلات أمي «قد تعبت من قول ذلك

فإنه بل ذلك فاحسن إن كنت قائمًا، وإن طمع إن كنت حاسبًا، ومرب من لأمرين التي منها خلقت، لتعرف بذلك ذل منات وذل أحسن والأصح جامع السكون بين عصب العصب الجراحة وسب الجراحة حركه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) «إن أمة من أمة وفقد في عصب الأمة روث إلى» ما ح ودحه ونخره عيشه وإد واحد أخذكم من ذلك شيء، فإن كان فاشه فخذ من ذلك ما كان حاسبًا ففهم»

وإن لم ير ذلك مسودًا من الرد أو من من، فإن الرد لا يحد من الماء فتدقل صلى الله عليه وسلم^(٣) «يد عصب أخذكم فنبوه» إن الماء عصب من النار» وفي رواية «إن العصب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنه تصعد النار

(١) حديث الأمر بالعود بالله من الشيطان الرحيم عند الأبيظ: متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم فوجد رجلان يسان فأحدهما أحر وجهه واتبعته أوداعه - الحديث وفيه لو أن نبي الله من الشيطان رحيم يذهب عنه ما يجد قصوه له النبي صلى الله عليه وسلم هل يعود بالله من الشيطان الرحيم - حديث

(٢) حديث كان راضعت عائشة أحد أمره وقال: غوثي غوثي بالله رب النبي محمد أغفر لي ذنبي وأذهب عني وبني وأحزني من فضلات أمي «قد تعبت من قول ذلك

(٣) حديث إن العصب حجرة توقد في القلب - الحديث: الترمذي من حديث أبي سعيد دول قوله توقد وقد تقدم ورواه - الحديث: الترمذي من حديث أبي سعيد دول قوله توقد

(٤) حديث إذا عصب أحدكم فنبوه - الحديث: أبو داود من حديث عتبة السدي دول قوله يذهب النار وهو معتد رواية إني ذكرها - الحديث: الترمذي من حديث

حتى تغلب حاملة حمله . وصبره شهوره . ولا يبع ذلك ، لا بقوة الله . وقال معاوية لعمر و
 ابن الأئهم . أي الرجل شجاع ؟ من رد حبه نخمه . و أي الرجل تسجي دل من دل
 ديه اصلاح ديه . وقال أس بن مالك . في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) و منه عداوة
 كائنات و من حميم ') في قوله (عظيم ') هو الرجل يشتمه أخوه . فيقول يا كذا
 فغفر الله لك ، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي .

وقال بعضهم شتمت فلاناً من أهل البصرة أخيراً . و تمتد لي سم رمان . وقال
 معاوية لعرابة بن أوس ، بم سدت قومك يا عرابة ؟ قال يا أمير المؤمنين . كتب أحله عن
 جاهلهم ، وأعطى سائلهم . وأسمى في جوانبهم . فمن فعل على ، و من شئ ، و من و ، و في هو
 أو بال مي ، و من فصر على ، و من حر ، و من راحل ان عدى رضى الله عنها . و من
 ورج ، و من بكرمة . و من لارحل ، و من و من ، و من كس الرجل رأسه واستحي . و من
 رجل لعمر بن عبد العزيز ، أشهد أنك من الفاسقين . فقال ليس أتقبل شهادتك .

مهم على
 الحسين

و من على بن الحسين بن علي رضي الله عنهم . و من سرحه فرمى إليه حبيصة كانت عليه .
 وأمر له بأف درهم . فقل منهم ، جمع له خمس حصص محموده ، الخلم ، وإسطة الأذى
 وتخليص الرجل بم يعد من الله عز وجل . و جماله على الدم واللوة ، و رجوعه إلى مدح
 بعد الدم . اشترى جميع ذلك شيء من لدن يسير . و قال رجل لعمر بن محمد . إنه قد
 وقع بيني وبين قوم من ردة في مصر ، و بيني أردن تركه ، فأحشى أبقية لي إن تركته
 دل . فقل حمير . إنا الدليل الظلم . وقال الحبيب بن أحمد ، كان يقاتل من أساء فأحسن
 وإياه ، فقد جعل له حاجر من ماله يردعه عن ماله . و قال الأحف من فليس ،

حكم غالية
 لاديه منبه

لست بحميم ، و لكنني أنحيم . و قال وهب بن منبه ، من برحم برحم ، و من بصمت
 يسلم . و من يحمل عيب ، و من يحمل يحطى . و من يحصر على الشر لا يسلم ، و من لا
 يدع المرء يشتم ، و من لا يكره الشرا ثم . و من يكره الشر يعصم و من يتبع وصية الله يحفظ
 و من يحذر الله يأمن ، و من يتول الله غلب ، و من لا يسأل الله يعتقر ، و من يأمن مكر الله

والفحش والسب ، ما روت عائشة رضي الله عنها : ^(١) أتت أرواح أبي علي الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة . فجاءت فقالت يا رسول الله : أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في أمية أي فاطمة ، وإني في الله عليه وسلم ، فقلت : « يا أمية أنت خير ما أحب » . قالت نعم . قلت : فأجبي هذه . فرحمت . إيهن . فأجبتن بذلك ، ففمن ما أعيت عما شئت . فأرسلن ربيب من حش ، قالت وهي التي كانت تسمى في الحب ، فحدثت فقات . فب أني كثر ، وميت أني كثر ، ثم رآني كذا في رؤيا ، ساكنة ، تنظر أن يأذن لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الخواب ، فأذن لي . فسمعت ، حتى حبسني في الله الذي صلى الله عليه وسلم . « كلاً إلهاً » . أي كثر . يعني لك لانه وميم في الكلام على وفوقه ستمها .

المراد به الفحش ، بل هو الخواب عن كلامه ، بل في ، ومقاتتها بالصدق .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون ، ولا يعني أسدي ، منهم . حتى متى المتكلمة ، فأنت المتكلمة التي رايتني نمتي . وهذا القدر هو الذي أمانه هؤلاء ، وهو رخصة في لاء حراء على يد الساق . ولا مد الرخصة في هذا المدرك . ولكن الأفضلي تركه .
وهو يحجره إلى ما وراءه ، ولا يمكنه لاسف على مدار الحب فيه . والسكرت عن أصل الخواب . أمية أيسر من الشروع في الخواب ، والوقوف على حد الشرع فيه . ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب . ولكن مودسره . وهو منهم من كتب عنه في الانداء ، ولكن يحقد على الامام .
والس في الغضب أمانة . معصية كالحق . . . سريع الوعود سريع الخود . ومنهم كاحصاء . حتى لو فود يعني الخود . وهذا هو بطن . لو فود سريع الخود ، وهو الأحمد .
لم يله إلى فتور احبة والمدة . ومعهم سريع الوعود بطن . الخود . وهذا هو شرهم .
وفي الخبر ^(٢) : « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » . بهذه بئلك . وقال الله في رحمة الله من استغضب ولم يعصب فهو حرام . ومن استغضب في برص فهو شيطان .

درجات الناس
في الغضب

(١) حدثت عائشة بأرواح أبي علي الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أيسألك العدل

يا رسول الله في أمية أي فاطمة . حدثت روى عنه

(٢) حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » . وقال الله في رحمة الله

(٣) حديث آخر من سريع الغضب سريع الرضا . روى عنه

وقد قل أبو سعيد الخدري^(١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن بي آدم حرقوا على صفت شئ شئتة بضئ: أعصب سريع أنى، ومهته سريع أعصب سريع أنى، فتلك تلك ومهته سريع أعصب بضئ أنى، ألا وإن حرقهم بضئ الأعصب السريع أنى، وشترهم السريع الأعصب البطئ أنى»

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان، وحب على الإنسان أن لا يماق أحدا في حال غضبه، لأنه رغا يتعدى الواجب، ولأنه رغا يكون متعطفا عليه، فيكون متشعبا لمعطفه، ومريخا منه من ألم الغيط، فيكون صاحب حفظ فيسعى أن يكون اتقاءه وانصاره لله تعالى لا نفسه. ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويمرره، فشتمه السكران فرجع عمر وقيل له: «مير المؤمنين»، شتمك تركه، قال لأنه أعصى ولو عمره السكران ذلك لغنى نفسه. ولم يحب أن ضرب مسلم، حميه نفسي. وقال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله: حل أعصه، لولا أنك أعصى ما بيت

القول

في معنى الحق وتناجيه ومضيلة الغفو والرفق

اعلم أن الغضب إذا لم كفه لجر عن النفس في الحال، رجع إلى الماطن واحتقن فيه، وصار حقدا ومعنى الحقدان بد منه أسنة له، والمضلة والمضلة عنه، وإن يدوم ذلك وفي ومد فالنبي الله عليه وسلم: «المؤمن من يس حقود الحقده الغضب والحقده يشتر ثمانية أمور»

مسارى الحق

الحذر

الأول: الحسد، وهو أن يملك الحق على أن تمتي زوال ائمة عنه، فبعض ائمة إن أصابها، ونشر تصيبه إن رابته وهذا من عمل المنافقين، وسبب في دمه إن شاء الله تعالى

النسار

الثاني: أن يرب على إسمار الحسد في النفس، فشتم ما أصابه من الملاء

السرور

الثالث: أن يهجره وتصاره وتقطع عنه، وإن طملك وأقل عليك

(١) حديث أبي سعيد الخدري أن ابن آدم حرقوا على طبقات - الحديث: تقدم

(٢) حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من يس حقود الحقده الغضب والحقده يشتر ثمانية أمور»

«قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَبُّ أَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى عَنْكَ عَبْدِي إِذَا مَدَّ يَدَهُ» وَكَذَلِكَ
سَمِعْتُ أَوَّلَ الدَّرَاءِ عَنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ . قَالَ الَّذِي يَقُولُ إِذَا مَدَّ يَدَهُ مَعَهُمَا مَرَكَةُ اللَّهِ
وَحَاءَ رَحِلٌ إِلَى الْيَمَانِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَكْوَةِ طَائِفَةٍ . وَفَرَّغَهُ إِلَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ يَحْلِسَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ نَظْمَتَهُ فَقَالَ لَهُ سَيِّدِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ الْمُنْذَرِينَ هُمْ
الْمُنْذَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَأَمَّا أَنْ يَأْخُذَهَا حِينَ سَمِعَ الْحَدِيثَ . وَفَاتَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ مُدْمَنَةً فَقَدْ انْتَصَرَ» وَعَنْ سَيْدِ الْقَامِلِ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا دَعَا اللَّهُ خَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يَدْعُو مَنْ يُدْعَى مِنْ تَحْتِ أَعْرَاشِ
ثَلَاثَةِ أَسْوَاقٍ يَنْشُرُ مُوَحَّدِينَ إِنَّ اللَّهَ فَتَنَ عَذَابُكَ فَتَمُوتُ مِنْكَ مَنْ تَصْنَعُ
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجِيءٌ بِكَلَامٍ ثَلَاثِينَ مَرَّةً
وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ أَقْبَلَ الْكَلِمَةَ . فَأَخَذَ بِمِصْبَاحِي الْإِبْرَةِ فَقَالَ «مَنْ قَوْلُكُمْ وَهُوَ يُقَالُ
فَقُولُوا قَوْلَ أَحِبِّ النَّاسِ عَلَيَّ حَلِيمٍ رَحِيمٍ» قَالُوا ذَلِكَ ثَلَاثًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَقُولُ
كَمَا قَالَ يُوسُفُ» (لَا تَرْيَبُ سَيِّدُكَ) «يَوْمَ يَفْقَرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (١)

(١) حَاضِرَاتُ قَالَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «إِذَا مَدَّ يَدَهُ مَعَهُمَا مَرَكَةُ اللَّهِ فِي حَالِهِمْ إِلَّا إِلَى

مَنْ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفِيهِ ابْنُ لُحَيْعَةَ

(٢) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِذَا مَدَّ يَدَهُ مَعَهُمَا مَرَكَةُ اللَّهِ فِي حَالِهِمْ إِلَّا إِلَى

أَبِي صَالِحٍ الْحَنْظَلِيُّ مَرْسَلًا

(٣) حَاضِرَاتُ قَالَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «إِذَا مَدَّ يَدَهُ مَعَهُمَا مَرَكَةُ اللَّهِ فِي حَالِهِمْ إِلَّا إِلَى

بِأَمْرِ الْمُوَحَّدِينَ . اللَّهُ فَتَنَ عَذَابُكَ فَتَمُوتُ مِنْكَ مَنْ تَصْنَعُ

الْقُرَى فِي كِتَابِ الْفَصْرِ وَالْمَكْرَمَةِ . عَنْ سَيِّدِ الْقَامِلِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا مَدَّ يَدَهُ مَعَهُمَا مَرَكَةُ اللَّهِ فِي حَالِهِمْ إِلَّا إِلَى

بِأَمْرِ الْمُوَحَّدِينَ . اللَّهُ فَتَنَ عَذَابُكَ فَتَمُوتُ مِنْكَ مَنْ تَصْنَعُ

رَحْمَتِي وَاسْتَدْرَجَ عَيْفَ وَرَوَاهُ الْقَصِيرِيُّ فِي (أَوْسَطِ الْعَمَلِ) بِإِسْنَادٍ يَدْعُو بِأَهْلِ تَجَمُّعِ نَهْ كَوَالِ الْفَصْرِ

بِكَلِمَةٍ وَتَوَاتُرًا عَلَى وَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ . يَدْعُو بِأَهْلِ الْوَحْدَةِ لِمَنْ هَبَتْ كَلِمَةً

عَنْ بَعْضِ وَعَلَى الثَّوَابِ

(٤) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِذَا مَدَّ يَدَهُ مَعَهُمَا مَرَكَةُ اللَّهِ فِي حَالِهِمْ إِلَّا إِلَى

الْكَلِمَةِ فَأَخَذَ بِمِصْبَاحِي الْإِبْرَةِ فَقَالَ «مَنْ قَوْلُكُمْ وَهُوَ يُقَالُ

ابْنُ أَبِي الْهَدْيَا وَفِيهِ صَحَّفَ

قال فخرجوا كأننا شربوا من القصور، فدخلوا في الإسلام وعن سهل بن عمرو قال: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وضع يديه على باب الكعبة. والناس حوله فقال: «لا إله إلا الله وخذوا لأشريك له صدق وعنده وعصر عنده وهزم الأخراب وخذوا» ثم قال: «يا مشركي فاقولوا، ما تصوب» قال قلت يا رسول الله، تقول خيرا وعضن خيرا أح كريمة وابن عمي رحيم. وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقول كما قال أحي يوسف» (لا أشرب عذبة كذا) يوم يفر الله لكم" (١)

الآثار
في فضل العفو

الآن قال ارفع اسمي يا رحمن واسمك يا رحيم وهذا هو العفو لا
يشعر فيه بمرسته بمعية تته من صدم. وأنه صاب يوم القيمة لا يكون له جواب
وقال معصيه. يا أبا عبد الله. سمعت عبد الله يقول له من عفا عنه ورخص رخص على عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله. فممن شكوا به رجلا ظاهرا. وقع فيه فقال له عمر. يا
ابن تاتي الله ومظالمك كما هي، خير لك من أن تته وقد وصفتك ووثب برأسه من مسرة
ب طلب تدعو على من ظلمك. بل أنت في يقين. يا آخر تدعو عليك أنت صاه.
وبن شئت استعبد لك وأحد عبيك. وبنا شئت حر. يا بني يوم القيمة فاستعبدوا
وقال لهم من يسر رجل دنا على منه كل الصدى منه. وبنا تسرع به من دعائك
عنه. إلا أن تداركه من. ومن أن لا يعم. وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال. يا
أن الله تعالى يأمر من دنا يوم القيمة. يدنى من كاهنه عذابي. فبفهم أهل
العفو. فمكافأة الله لك من عفو عن الناس. ومن شهد من محمد. في
المن من المذنبين من مذنب أحدهم دنا عن عفو عنه. ولا آخر
أدب دنا حمية. فمما وقال

تفوق الملوك عن العظيم من الذنوب بفضائها
واقدر تعاقب في اليسير وليس ذلك لجلها
إلا يعرف حلالها ويخاف شدة دخلها

وعن مالك بن فضالة قال. وقد سورت من عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي حمزة
قال فكتب عنه. إذا في رجل فممن تته ففقت بعض رجل من المسلمين وأ
حاصر فقت ما من المؤمنين. لا أحدث حدث سمعه من الحسن. قال وما هو. فقت
سمعت قول. إذا كان يوم القيمة. جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد. حيث سمعهم
الدعي. ويعدهم البصر فيقوم من دنا. من له عبد الله. فاستقم. فلا قوة إلا من
عفا. فقال والله قد سمعت من الحسن. فقت والله سمعته. فقال حيث عفا

وقال معاوية. عبيكم بالخير ولا أحب حتى تذكركم امرضة فيد أمككم وميركم بالصريح
ولا يصل. وروى س. ه. دحل على شهد من عبد الملك. فقال له هب. رأيت القريين

وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله لعقو عن حصن إخوانه، فلان هارب من زنته إلى عموك.
 لأنه منك لك . واعلم أنه لن يرداد الذب عظم إلا إرداد العفو فصلا وأنى
 عبد الملك بن مروان بأمرى من الأشعث . فقال لرجاء بن حيوة ، ماترى ، قال إن الله تعالى
 قد أعطاك ما تحب من الضر ، فأعط الله ما يحب من العفو فمعافاه وروى إرداد أخذ
 رجلا من الخوارج فأمعت منه ، فأخذ حاله ، فقال له إن حدث بأخيك ولا ضربت عنقك
 فقال أرايت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين نخلي سبيلي ؟ قال نعم . قال فانا آتيك
 كتاب من العزيز الحكيم ، وأقيم عليه شهادين ابراهيم وموسى ثم تلا (أَمْ لَمْ يُدْأَ)
 على نكف موسى و ابراهيم لذي وقى . لا برؤ و ارره و رر خرى (١) فقال رداد .
 حلوا سيدها ، هذا رجل قد أقر حخته . وقيل مكتوب في الأنجيل ، من استمر
 من ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرقيق

اعلم أن الرقيق محمود ، ويعدده الصف والخدمة والصف نتيجة الغضب والمطاطة ،
 والرق واللبس نتيجة حسن الخلق والسلامة . وقد يكون سبب الخدمة الغضب ، وقد يكون
 سببا شدة الحرص واستيلاءه . بحيث يدهش عن التفكير . وينبع من التمسك . فالرق في
 الأمور ثمة لا يثمرها إلا حسن الخلق . ولا يحسن الخلق إلا بصحة قوة العصب وقوة
 الشهوة . وحفظهما على حد الاعتدال . ولأجل هذا أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على الرقيق ، وما فيه . فقال (٢) « عَائِشَةُ رَأَتْهُ مِنْ أَعْطَى حَضَّةً مِنَ الرَّقِّ فَقَدْ أُعْطِيَ حَضَّةً
 مِنْ حَبِيرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ حَرَّمَ حَضَّةً مِنَ الرَّقِّ فَقَدْ حَرَّمَ حَضَّةً مِنْ حَبِيرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ أَهْلًا سَبَّ أَحَدُكُمْ عَلَيْهِمُ الرَّقِّ »

الإمامية في
 فضيلة الرقيق

حديث عائشة في الرقيق

(١) حديث عائشة أنها من أعتق حصة من الرقيق فقد أعتق حصة من حبر الدنيا والآخرة - الحديث . محمد
 والعمري في الترمذي . ورواه . د . رحمن بن أبي بكر البجلي وصححه عن لقمان عن عائشة
 وفي الصحيحين من حديث عائشة . قاله عبد الرزاق في المصنف

(٢) حديث روى الله أهل بيت أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي في الشعب . مدحهم من حديث عائشة

الحمود وسط من العف والم. كما في سائر الأجزاء والكرات كانت الصواع
في العف والحدة من. كتاب الحجة إلى تربيةهم في جانب الرفق كثير فلهذا كثير
من الشرائع على جانب الرفق دون العف. وإن كان العف في محله حس. كما أن الرفق في
محله حس. وقد كان الواجب هو العف، مقصد من لحق الهوى، وهو الدمن الزند
شبهه، وهكذا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، روى عن عمرو بن العاص. كتب
إلى معاوية يعاتبه في الثاني، فكتب إليه معاوية

أما بعد. فإن التفهم في الخير لله. وإن ارشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب
من حب عن الأوه. وإن مشت مصيب، أو كاد أن يكون مصيبا. وإن العجل محطى،
أو كاد أن يكون مخطئا. وأن من لا ينفعه الرفق يصير المحرق. ومن لا ينفعه التعارب
لا يثبت المولى وعن أبي عون الأصبغى، قال، كلمة الناس كلمة سمعة، إلا وإلى جانبها
كلمة من منهم تخبرني شرهم. ومن ثوب حمة الكوفي لا تحمد من الحمد إلا ما لا بد
منه. من مع كل. من شيب. وعنه أنهم لا مضوث، شدة شيب، لا أعطوا لأهل البيت
، وهو قولهم. ومن حس. ومن وقف من. ومن كطاب أيل
فهذا من العبد على الرحمن. وذلك لأنه محمود، وهو مدق كثير الأحوال وألعاب الأوز
والحدة إلى العف مدقق، وكان على المدور. وإن الكامل من تميز مواقع الرحمن عن
مواقع العف، فيعطى كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصرة. أو أشكل عليه حكم واقعة من
الوقائع. يمكن منه إلى الرحمن، فإن المدح معه في الأكثر

القول

في ذم الحسد وفي حقيقته ونسبه ومع لحنه وعاية الواجب في رآته

بيان

ذم الحسد

اعلم أن الحسد يمد من تايح الحقد، وحققت من تايح العصب، فهو فرع فرع. و
والعصب أصل أصل. ثم إن الحسد من المروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم

أدُمَ اربث
الواردة
سُورَةُ الْحَمْدِ

الحسد خاصة أخبار كثيرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الْحَسَدُ بِأَكْبَرِ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ " ، وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد ونسبائه وثرائه : " لَا تَحْسَدُوا وَلَا تَقَاتِلُوا وَلَا تَعْصُوا وَلَا تَدَارُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " .

وقال أنس ، " كُنَّا يَوْمًا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « يَطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ مِنْ هَذَا النَّفْعِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ، قَالَ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَنْفُضُ لَحْيَتَهُ مِنْ وَصْوئِهِ ، قَدْ عَلِقَ عَلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّيْءَ ، فَمَكَاهُ الْمَدَى . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِثْلُ ذَلِكَ . فَصَبَّحَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَقَالَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَلَمَّا قَامَ أَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْعَاسِ . فَقَالَ لَهُ : « ابْنِي لَا حَيْثَ أَنِي ، فَأَوَسَمْتَ أَنْ لَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي ، إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ الثَّلَاثَ فَعَمْتَ » فَقَالَ بَعْدَ فَيَاتَ عِنْدَهُ ثَلَاثَ أَيَّامٍ ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا . غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَابَ عَلَى فَرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَلَمْ يَقُمْ حَتَّى يَقُومَ صَلَاةَ الْفَجْرِ . قَالَ غَيْرُ أَبِي مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ إِلَّا حَبِيرًا فَمَا عَمِمْتَ الثَّلَاثَ ، وَكَدْتَ أَنْ أُحْتَقِرَ عَمَلُهُ . فَلَمَّا يَعْبُدُ اللَّهَ ، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي عَصَبٌ وَلَا هَجْرَةٌ . وَالْكَسْبُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ عَمَلَكُمْ ، فَلَمَّا أَرَأَيْتُكُمْ تَعْمَلُونَ عَمَلًا كَثِيرًا فَمَا الَّذِي يَمُنُّ بِكَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ فَمَا وَابَيْتُ دُعَايَ فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ . غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي نَهْشٍ غَشَاوًا لِحَسَدٍ . عَلَى خَيْرِ أَعْظَاهُ اللَّهُ بِأَهْلِهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَقُلْتُ لَهُ هِيَ أَتَى بِعَمَّتْ لَكَ . وَهِيَ الَّتِي لَا يَطِيقُ

(أقول في ذم الحسد)

(١) حدث الحسد بأكل الحسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ : يُؤَدُّ وَدَّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ

أنس وقد تقدم

(٢) حدث لا تَحْسَدُوا وَلَا تَقَاتِلُوا وَلَا تَعْصُوا : أَخْبَرْتُ : مَتَّى عَلَيْهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

(٣) حديث أنس كَمَا يَوْمًا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قِيلَ يَطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ مِنْ هَذَا النَّفْعِ

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - أَخْبَرْتُ بِصَوْلِهِ وَفِي ذَلِكَ الرَّجُلِ قَالَ لَا أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

فِي نَهْشٍ غَشَاوًا لِحَسَدٍ عَلَى حَبِيرِ أَخْبَرْتُ أَنَّهُ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ وَصَحَّحَ عَلَى مُرَدِّ الشَّيْخَيْنِ

وَرَوَاهُ الْبَرَاءُ وَبَشَى الرَّجُلَ فِي رِوَايَةٍ لَهُ سَعْدًا وَفِيهَا ابْنُ لُحَيْعَةَ

الآثار
الوردة
في رسم الحسد

ربه تعالى أن يخبره باسمه ولم يخبره ، وول أحدنا من عمه ثابت . كان لا حسد إلا من على
 ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يعق والديه ، ولا ينشئ بالهزيمة . وقال زكريا عليه السلام .
 قل لله تعالى . الحاسد عدو لعمتي . متع خطا فتداني ، غير راض بقسمتي التي قسمت من عبادي
 وقر صلى الله عليه وسلم . "خوف من الحسد على نفسي من كثر همي" .
 فينه سذون ويث خوف ، وقل صلى الله عليه وسلم . "سعدوا على ما ، حوائج الكثر
 من كثر دى نعمه تحسذون" . وقل صلى الله عليه وسلم . "يا أيها الله الله . عفيف ومن
 هم" . وقل . "لكن تحسذون الناس على ما آتاهم الله من فضله" . وقل صلى الله عليه وسلم .
 "لست بذي حيل ولا حيل من الحساد" . وقل رسول الله صلى الله عليه وسلم . "لا امر بأخوة ولا غريب
 بالعداوة ولدتها من . كثر وانحر زناخه وأخبر برشوق رحم له ولله . الحسد .
 الآثار قال مص الصنف . أول حطته كانت هي حسد حسد إيس دم عليه السلام
 على ربه . وأتى أن سجده ، فحمله حسد على حصة وحكي أن عوب بن عبد الله
 دخل على الفضل بن الرب . وكان يومئذ على واصل . فقل صلى الله عليه وسلم .
 فقال وما هو قال بك والسكر ، فبه أول دم عصي لله . ثم مر (وذكره) لأهل الكفا

- (١) حدث خوف من الحسد على نفسي من كثر همي .
 رم حسد من حديث أبي عامر الأتخري وفيه ثابت بن أبي ثابت .
 من حديث أبي سعيد بن مسروق .
 وفي من حديث عمرو بن شعيب .
 عديك من حديث يونس بن عبد الله بن عمرو .
 الحديث وفيه ينافون ثم يتحاسدون ثم يتدانون الحديث ولأحمد والبرار من حديث عمر
 لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة
- (٢) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان قال كل دى نعمة عموذ : ابن أبي الدنيا والطبراني من
 حديث معاذ يستد صغيف
- (٣) حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
 في الأوسط من حديث ابن عباس أن لأهل العلم حسادا فاحذروهم
- (٤) حدث ستة يدخلون النار من الحساد .
 وفيه والعداء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأبي سعيد

وقال ابن سيرين رحمه الله : ما حسدت أحدٌ على شيء من أمر الدين ، لأنه إن كان من أهل الجنة ، فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ؛ وإن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يسير في النار . وقال رجل للحسن ، هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما أسأت بي مقرب ، نعم . وإن كنت محباً ، فإني لا يصيرك ما لم يبدؤا لاله . وقال أبو الدرداء ، ما أكثر عبد ذكر موت إلا فرح به ، وفرح حسده ، وفرح مع وية ، كل إنس فقدر على ربه ، إلا حاسداً . فإنه لا يرصيه إلا رواله . وذلك قيل : كل المداوات قد ترحى إيمانهم ، * إلا عداوة من عاداك من حسد

وهو من الحكماء : الحسد حرج لا ير ، وحسد الخوارج ما يلقى . وقال عراقي : ما رأيت ظالماً أشبه مظلوماً من حاسد ، إنه يرى النعمة عليته قيمة عليه . وقال الحسن : إن آدم ، لم يحسد أحد ، فإن كان الذي أعطاه إكرامته عليه ، لم يحسد من أكرمه الله ؛ وإن كان غير ذلك ، لم يحسد من خصه به إلى الأبد . وقال بعضهم : الحاسد لا يسأل من تحس إلا مدة ودلاً ، ولا يسأل من الملائكة إلا أمة ومعد . ولا يسأل من الخلق إلا حراً وعمى ، ولا يسأل عند الترفع إلا شدة وهو لا ، ولا يسأل عند الوقوف إلا صيحة وكلاً .

بيان

حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة ، وإذا أكرم الله على أحبك نعمة ، فذاك منها ، وإن أحداً أنكره تلك النعمة ، وتحب روالها . وهذه الحالة سبب حسداً ، فالحسد حده كراهة النعمة . وحب روالها عن المنعم عليه

من الحسد

الحالة الثانية أن لا تحب روالها ، ولا تكره وجودها وودها ، ولكن شتمت لنفسك منها . وهذه تسمى عضة . وقد تختص باسم العفة . وقد تسمى إساءة حسداً ، والحسد منافسة ، وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر . ولا حجر في الأسماء بعد فهم المعنى . وقد قال صلى الله عليه وسلم : " **إِنْ آمَنَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَآمَنَ بِنَحْسِهِ** ،

من الفحشاء

فأما لأول فهو حرام بكل حال، إلا نعمة نص بها فجر أو كافر، وهو مستحب بها على
 تبيين الفتنة، وإفساد ذات النفس، وإبداء الحق، فلا يحرك كراهتها لها. ومحبته رواها
 وإياك لا تحب رواها من حيث هي نعمة. بل من حيث هي آله المسد ولو كانت
 مسددة. لم يمتدح بمشبهه ويدل على تحريم الحسد الأخير إلى قدها، وأن هذه الكراهة
 تسقط لثقلها في مقبول بعض عدده على بعض. وذلك لأعذرية ولا رحمة، وفي
 مصيبة تريد عن كراهتها لراحة مسلم، من غير أن يكون لك منه مصرة. وإلى هذا أشار
 القرآن قوله (إِنْ تَسْتَكْبِرُوا حَسْبُ سُنْظِهِمْ وَإِنْ تَنْصَرِكُمْ سِئْتُهُمْ يَرْجُؤْا بِهَا) وهذا
 المرح شمله، والحسد والشبهة يتلزمان

وقال تعالى (وَذَكِّرْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْذُلُوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَدْحٍ حَسْدٍ
 مِنْ عِنْدِ قَوْمِهِمْ^(١)) فأخبر تعالى أن حبهم رواه نعمة الإيمان حسد. وقال عز وجل
 (وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا كَمَا كَفَرُوا فَمُكُونُوا سَوَاءً^(٢)) وذكر الله تعالى حسد إخوة
 يوسف عليه السلام. وعبر عما في قلوبهم قوله تعالى (إِذْ بُلُوا يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
 إِلَى آبَائِهِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَخِلَافَةُ زُلْزَلَةٍ^(٣)) أي من أحبهم يوسف وأخوه أحب
 إليهم. ويحسب الكفر وخلافته^(٤) فمكرها أحب إليهم له. وساء ذلك وأحبوا زواله عنه،
 فمحبوه عنه. وولاه إلى (ولا يخذلوني في صدورهم حاجة مما أوتوا^(٥)) أي لا تضيق
 صدورهم به ولا يفتنون فأشبههم مدم الحسد

وقال تعالى في معرض الإنكار (أَمْ يَخْذَلُونَ النَّاسَ عَلَى بُعْدِهِمْ مِنْهُمْ^(٦))
 وقال تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً^(٧)) إلى قوله (إِلَّا نَدْبَسُ أَلْوَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
 أَنْبِئَاتُ بَعْضُهُمْ أَمَّا بَعْضُهُمْ^(٨)) قيل في التفسير حسد. وقال تعالى (وَمَا تَقْرَءُوا إِلَّا مِنْ قَدْ
 مَضَى أَمْرُهُمْ^(٩)) فأمر الله العلم بجمعهم. ويؤلف إليهم على طاعته، وأمرهم

(١) حديث مؤمن حسد واستحق عاب : : حمله أصلا مرفوعا وإنا هو من قول الفضيل بن عياض

كذلك رواه ابن أبي الدنيا في دم الحسد

(١) لعمري ١٢٠ (٢) ر. م. ١٠٩ (٣) النساء : ٨٩ (٤) يوسف : ٨ (٥) الخضر : ٩ (٦) النساء : ٤٥

(٧) و (٨) سورة ٢١٣ (٩) السورى ١٤

الأهوال في المكريم والحمدات . فمفسدة هم مدحها إليها . وإن كانت عمة يتعم بها
عن وجه مباح . فله عمة فيها مسحة . وكل ذلك يرجع إلى رادته مساواته . والحق في
في النعمة . وليس فيها كراهة النعمة . وكان تحت هذه النعمة أمران . أحدهما : راحة المنعم
عليه ، والآخرون : ظهور نقص غيره ونحوه عنه . وهو كره أحد الوجهين . وهو تحيف
بمنه . ويحب مساواته له . ولا حرج على من يذكره تحيف منه وقصاها في المدح
ثم ذلك نقص من الفضل . ونقص الرهد ، والتوكل ، والرضا . ويحب عن المقات
الرفيعة ، ولكنه لا يوجب المصيان

وهذا دفيقة سامعة ، وهو أنه إذا أس من من شأن تلك النعمة . وهو كره
نحوه ونقصه ، ولا تحل له يجب رول النقص . وما يرون نقصه إما بأبيل مثل ذلك
أو بأثرون منه المحسود فإذا استحدث الطريق ، في كاد القلب لا ينك عن شهوة
الصريق الآخر . حتى إذا زالت النعمة عن المحسود . كان ذلك شئ عنه من دواها . إذا
بزوالها يزول تخافه وتقدم غيره . وهذا كاد لا يثبت لقلب عنه . وإن كان بحيث لو أنق
الأمر إليه ، ورد إلى احتاره . لسمى في إزالة النعمة عنه ، فهو محسود حسدا مذموما .
وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك ، فيبقى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن
محسوده ، مهما كان كارها لذلك من عمة مقلة ودينه : وأعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم
(١) « ثلاث لا يبعث الله منهن أحداً والظن والطيرة » ثم قال « وبه منهن عرخ إذا
حسدت فلا تنفع » أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به . وتعيد أن يكون الإنسان
مريداً لئلا يأتى أحبه في النعمة . فيمجر عنها . ثم يبعثك عن ميل إلى روال النعمة . إذ يجد
لا محالة ترجيحاً له على دواها . فهذا الخد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام ، فيدفع إلى تحط
فيه . إما في موضع الخطر . وإما في غيره . وهو يرى فرق عمة جماعة من ماله وفراجه
يجب مساواتهم . ويكاد يجر ذلك إلى الحسد المخطور . لم يكن قوى الإيمان . رزين لتقوى
ومهما كان محرکه خوف التفاوت وصهور نقصه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم

(١) حديث ثلاث لا يبعث الله منهن أحداً والظن والطيرة - الحديث : تنقسم غيره مره

وإن قيل الطبع إلى روال النعمة عن أحده . حتى حرل هو إلى مسواته . يده تقدر
هو أن يرتقي إلى مسواه . يده في النعمة وذلك لأرحمة الله . بل هو حرام . سواء
كان في مقصد الدين . أو مقصد الدارين . ولكن يفي عنه في ذلك لما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله
وأنكون كراهته لذلك من نفسه كراهة . فهدم حقيقة الحسد وحكامه . وأما من رآه فأنزع
الأولى . أن يحب روال النعمة عنه . وإن كان ذلك لا يتم . به . وهذا عية الحسد
الثانية . أن يحب روال النعمة إليه . لرأيه في تلك النعمة . مثل رعيته في دار حسنة .
أو امرأة جميلة . أو ولاية مودة . أو سمع لها غيره . وهو يحب أن تكون له . ومطوبه
تلك النعمة لا زوالها عنه . ومكروهه فقد النعمة لا تتم

الثالثة . أن يشتهي غيره . له . إلى شئ من شئ . فإن عمر عن شئ . يحب رواله
كيلا يظهر التفاوت بينهما

الرابعة . أن يشتهي نفسه . شئ . فإن . يحب رواله عنه . وهذا الأخير
هو المنفوع عنه إن كان في الدنيا . والمندوب . به . إن كان في الدين . والثالثة فيها مذموم
وعمر مذموم . والثانية أحب من الثالثة والأولى مذمومة . وتسمية لرأيه الثانية
حسداً فيه . ورد وتوسع . وأما كراهة مذمومة لقوله تعالى (ولا سموا ما فعل الله)
منكم على منكم) . فتميزه من ذلك غير مذموم . وأما كراهة عين ذلك فهو مذموم

بيان

أسباب الحسد والمنافاة

ما المودة . فسد حب ما فيه المنافسة . فإن كان ذلك مريض . فبببب حب لله تعالى
وحب طاعته . وإن كان ديوماً . فبببب حب . محلات الدنيا . والتمتع فيها . وبببب لنا لأن
في الحسد للمذموم . ومداحه كثيرة جداً . وأمكن يحصر محتبب سبببب . أبواب . المداوة .
والعذر . والكبر . والتمجب . والخوف من موت . فقد حسد المحبوبة . وحب الرخصة .
وحب التمس ونحب

أسباب المنافسة

أسباب الحسد

وهو لا يخص الأمثال بل يحسد الحاسد المثل . نسي أنه يحب رول عنه كونه
مبغضاله بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه . وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر
بالنعمة عليه ، وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره امزة نفسه ، وهو المراد بالتعزز
وإما أن يكون في طبعه يستكبر على محسود ، ويتعزز ذلك عليه نعمته وهو المراد بالتكبر
وإما أن تكون النعمة نصيبه ، والمتعزز غضبه ، فيعجب من موارشة مثل تلك النعمة ،
وهو المراد بالتعجب . وإما أن يحف من موت مودة صده سبب عنه ، فإن يتوصل
بها إلى مراحته في عراضه . وإما أن يكون يحب الرسله التي نسي على الاحتصاص
نعمته لا يساوي فيها . وإما أن لا يكون سبب من هذه الأسباب . بل لخت الحاس
وشحها بالخير بعد الله تعالى . ولابد من شرح هذه الأسباب

الأسباب الأول المدونة والعمدة . وهذا شأن سبب الحسد . فمن هذه شخص
بسبب من الأسباب ، وخالفه في غرض بوجه من الوجود ، أبغضه قلبه ، وغضب عليه ،
ورسح في نفسه الخقد . والحق قد قصي الشئ والاقم . فمن غر المبعص عن شئ تشق
نفسه . أحب أن ينشئ منه الزمان . ويرى يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى . فمن
أصابته عدوه لية فرحهم . وطبها . كرامة . من حبه الله على عبده ، وأنهم لأجله . ومنها
أصابته نعمة ، ساء ذلك . لأنه سدد مراده . ويرى حصره أنه لا ماله عند الله . حيث
لم ينتقم له من عدوه لدى آدم . من نعمه عليه . وبالحلة والحديد المص والعداوة
ولا يفارقهما . ويتاعبه النقي أن لا يسي ، ونسب يكره ذلك من نفسه . وإنما ينفص . من
ثم يستوى عدوه مسرته ومساوئها . وهو غير ممكن . وهذا وصف الله تعالى الكفار به
أعنى الحسد بالعداوة . إذ قال تعالى (وَيَذَرُوا نَفْسَهُمْ وَأَوْآمُوا وَيَذَرُوا عَمَلَهُمْ عَنِكُمْ
الْأَكْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ قُلْ مَوْتُوا يَنْصِبُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) . تَسْتَكْبِرُ حَسَهُ
تَسْوَفُهُمْ ^(١) الآية . وكذلك قال تعالى (وَذُؤَا مَاعَتْمُ قَذَابٌ مُنْقَضٌ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ
وَمَا خَفِيَ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ^(٢)) . والحسد سبب الحصر في بعض الشئ والتعزز ،
واستعراق العمر في إزالة النعمة بالخيل ، والسعاية ، وهتك الستر ، وما يجري مجراه

العداوة
والبغضاء

التعريف

السبب الثاني العجز وهو أن شئ عنه أنت ترفع عليه عهده ، وهذا أصاب بعض
 المشاهير واليه ، قوله ، وملا ، حذف شئ كبره عنه ، وهو لا طاق لكبره ، ولا تسمع
 عنه ما تحت صوته وتدخره عبه ، وأيس من عرسه شئ تكبره ، بل عرسه أن يدفع كبره
 فإنه قد رضى بمساواته مثلا ، ولكن لا يرضى بالترفع عليه

الشمس

[illegible]

۱۰۰

[illegible]

وَأَمَّا تَعْلَى (وَأَعْتَنُكُمْ أَنْ تَحْكُمُوا دِكْرُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) الآية

الخوف من
قوله الماحض

السبب الخامس الخوف من موت نفسه، وذلك يختص بالترحمين على مقصود واحد من كل واحد يحسد - أحده في كل منه تكوّن عو له في لأغراض مقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزامهم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة في التزامهم على من لمرة في حب لأخيه، للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والميل وكذلك تحاسد العبيد لأسياد واحد على بل منته من حب لأسياد واحد سدا سماء لمثل وجوانه في بل لغيره من حب للتوصل به إلى الميل والحق وكذلك تحسد بعض عظماء التزامهم على أهل بيته وخدمة به كان عروجه من أصله بقول عده وكذلك تحسد العلماء التزامهم على طائفة من متفهمة محسوبين، إذ طيب كل واحد مبراة في ألوهم للتوصل بهم إلى أغراض له

السبب السادس حب الرئاسة، وحب الخاء الله، من غير توسل به إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم البصر في من من العيون، إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح في يدح به من أنه واحد مدبر وفريد البصر في من، وأنه لا خطر له، فإنه لو سمع خبر أنه في أقصى الأمم سجدت، وأحب موته، ورواى البعثة عنه، التي سشاركه في مبراة، من شدة حبه، وعينه وخدمة وساعة، وأحسن، وأثروه أو غير ذلك ثم يرد هو به، ويخرج سبب تمردده وليس سبب في هذا عدوة، ولا تهمر، ولا تكبر على المحسود، ولا خوف من موته مقصود، سوى محض الرئاسة عوى الأعراد وهذا وراء ما من أحد العلماء من طيب أخيه ومبراة في موت الناس، للتوصل إلى مقاصد سوى الرئاسة وقد كان عنه اليهودي كرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به، خيفة من أن تبصر راسه وسدته عيه، منها اسبح عنه

حب الرئاسة

حب النفس

السبب السابع: خبث النفس وشهواتها، فخير له أن يموت من لا شغل برهنة وتكبر، ولا صبر من، إذ وصف عده حسن حال عبد من عباد الله تعالى، في

أعم الله به عليه . شق ذلك عليه . وقد وصف له اضطراب أمور الناس ، ويزداد ، وفوت
 مآلهم ، وتقص عيشهم ، فرح به ، وهو لم يحب فذلهم ، وسعى بعملة الله على
 عبده ، كأنهم يأخضرون ذلك من مكره وحراة . ويقال الحيل من يحيل حال نفسه .
 والشحيح هو الذي ييخل بحال غيره . فهذا يحل بعملة الله تعالى . على عباده الذين ليس
 بينهم وبينهم عدوه ولا رخصة . وهذا ليس له سبب ظاهر ، لا حدث في الناس ، ورواياته
 في الجمع ، عليه وقعت الحلة . وهذه حلة شديدة . لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب ،
 تسببه عارضة يصور رولها . فيضع في رأتهم . وهذا حدث في حلة ، لا عن سبب عارض
 فتعسر إزالته ، إذ يستحيل في العادة إزالته . فهذه هي أسباب الحسد . وقد يجتمع بعض
 هذه الأسباب ، أو أكثرها ، أو جميعها في شخص واحد ، فيضربه فيه الحسد . ويقوى
 قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة . بل يتم ذلك في نفسه ، وتظهر أمداه بمكانة
 وأكثر المحاسنات جميع فيها جملة من هذه الأسباب . ولما يتجرد سبب واحد منها .

بيان

السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأمران والأخوة وبنى العم والأقارب
 وتأن كده وقلة في غيرهم وضعفه

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها ، وإنما يقوى
 بين قوم يجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظهر : إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد
 لأنه قد يمنع عن قبول التكبر . ولأنه كبير : ولأنه عدو ، ولغير ذلك من الأسباب . وهذه
 الأسباب إنما تكثر بين قوم جمعهم روابط تجتمعون بينهم في محاسن الخصال ،
 ووردون على الأعراض . وهذا حلف واحد به . ساحة في عرص من الأعراض ، غير
 طاعة عنه . وإنما فيه ، ومنه الحسد في فيه . فمما ذلك ربما أن يستحقه ويتكبر عليه ،
 ويكافئه على مخالفته لفرسه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أعراضه ، وتترادف
 جملة من هذه الأسباب . إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متبعتين ، فلا يكون بينهما

محمده وكذلك في محسنه ثم يدخر في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد
توارد على مقاصدته فص في غراسه وثور من الدمن وروالد عصب ووجه شور
فيه سبب الحسد ولذلك ترى أنه يحسد المدون والمد والعد حسد العبد
دون المدد وحر يحسد الحر لا يكف يحسد لا يكف ولا يحسد الحر
إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة.

أما يكونه
الحسد

ويحسد زحدر مدون معه، كما ثم يحسد لأحاب ودرأه تحسد صرم أو صريه
روحه أكثر ثم يحسد روح ووجه لأن المدد الحر لا يقصد لا يكف ولا
تراجيح على المدد، يقصد الحر أثره ولا يقف إلا بكثرة برون، وإنما
يدعه فيه بر آخر بد حريف البر لا يقف إلا بكاف بن البر ثم مراحة البزاز
المجاور له، أكثر من مراحة العبد عنه إلى طرف السوق فلا حرم كونه حسده أكثر
وكمث الشعاع حسد الشعاع ولا يحسد المدد لأن مقصده أن يذكر بالشعاع
ويشهره، ويرد هذه الحسد ولا يرجمه مدعى مد مرض وكذا يحسد المدد
المد ولا يحسد الشعاع ثم حسد لوطا لوطا أكثر من حسده لوطيه والظن
لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص

فأصل هذه المحاسدات العداوة، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد، والغرض
الواحد لا يجمع متباعين بل مدد مدد، بذلك يسكن الحسد بينهما، نعم من اشتد حرصه
على أحده، وحب احده في جميع أحوال المدد هو وجهه، وجهه يحسد كل من هو
في العالم، وإن بعد، من يمد في الحسد إلى غيره.

منشأ الحسد

ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدراهي التي تصيب على التراجيح، فالأحرار ولا يقف
وبذلك الأحرار مدد المدد، فلا حرم من يجب معرفته لله تعالى، ومعرفة مددته، ولا يمكنه
وأبياته هو ملكوت سمواتهم، المدد مدد، يعرف مددته، لأن معرفته لا تصيب عن
العارفين، بل يعود لوجه مددته، ثم مدد مدد مدد مدد، ولا نقص
لذة واحد بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الألس، وثمره الاستفادة والإفادة
فهناك لا يكون من مدد مدد الحسد، لأن مقصده معرفة الله تعالى، وهو بحر واسع

لأنهم فيه وعزهم في معرفة الله تعالى ولا سبق لهم من عند الله تعالى ، لأنهم ما عبدوا
لله سبحانه من المعجم لهذه الأسماء ، وليس فيهم معرفة ومراعاة ، ولا سبق من عند الله تعالى
على من يزيد الأسماء بكثرتهم

مقارنة بين
العلم والماله

مما قد قصد الله تعالى به العلم بالمال ، وخبره حاسم ، لأن المال عند الله تعالى ، إذا وقعت
فيها واحدة من هذه الأمور ، ومعنى هذه الأمور ، وهي : ما لا يقبض شخص
تعليم علم ، أو صرف عن تصحيح الآخر ، أو نقص عنه لاشئ ، أو كونه من عند الله تعالى
وهو ما لا يقبض بالمرح معرفة الله تعالى ، لا يتبع ذلك شيء ، قلب غيره بها ، وأن يفرح
بذلك ، والمرق بين العلم والماله ، أن المال لا يحل في المذبح عن اليد لأخرى ، والعلم
في باب الله مستقر ، ولا يحل في باب غيره ، من غير أن يرسل من قلبه والمال أجسام وأعيان ،
وله منة ، وهو ملك لأحد جمع من الناس ، وليس منه من ، كماله ، ولا يملكه غيره
ولا يتوارثه ، من عود الله تعالى في المال ، لا يتوارثه ، ولا يكون له
وسمائه ، صار ذلك الله عنده من كل نعم ، ولا يكون له ، ولا يكون
في قلبه حسد لأحد من الخلق ، لأن الله تعالى لو عرف مثل معرفته لم ينقص من الله تعالى
رذات الله ، وإنسته ، فتكون هذه في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام ، أعطاه
من لذة من صعد إلى أشجار الجنة وسائيتها بالعين الظاهرة ، فإن نعيم المعارف وجنته
معرفة ، التي هي سعة دهر من رزقه ، وهو ثباته في ربه ، فهو رزقه ومنه عند
ما كفاه عنه ، وهي ما كفاه غير مقصودة ولا مدعوة ، في ظهوره دية فهو رزقه ، ومنه
الدين الظاهرة ، فروجه أبدا ترتفع في جنة عالية ، ورياض زاهرة ، من عرض كثره في
العلم ، لم يكره وفتح سدين ، كما قال فيهم رب العلمين (ورزقه في تدويرهم)
من عن ، وأول على ، من الله تعالى ، حاله وجهه مد في ليد ، وقد يرضيهم عند
الكشف لهم ، وشهده المحبوب في المقى ، لا يسوء ، يكون في الجنة مساعدة
ولأن يكون بين أهل الجنة في تدبير محسنة ، لأن الجنة لا يفتنة فيها ولا مزاحمة ،
ولا ليل ، لا معرفة الله تعالى ، التي لا مر حمة في الدين ، فأهل الجنة بالضرورة رآه

انتظار الحسد
في الجنة

من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً. من الحسد من حصدت المعدن عن سعة عيبي، إلى
 مصق سحبي. ولذلك وسم به الشيطان الأعين. يذكر من صفاته أنه حصد آدم عليه السلام
 على ما حصد به من لاحتاء، وودعي إلى السجود اسكر وألى. وتردوعصى
 فقد عرفت أنه لا حسد إلا لتوارد على مقصود يصيق على لوءه بأكل. ولهذا
 لا ترى الناس يحاسدون على الخطر إلى ربه السماء، ويحسدون على رؤية الناس، التي
 هي حرة، يستر من حملة الأرض، وكل الأرض لا وزن لها، لا رفعة إلى السماء، والحصن
 السماء لسعة الأنظار وافية بجميع الأبصار، فإذ يكن فيها تراحم ولا تحاسد أصلاً
 فمالك إن كنت بصيراً، وعلى نفسك شفاء، أن تطلب نعمة لازمة فيهم، ولذة لا كدر
 لها، ولا يوجد ديث في الدنيا، لا في معرفة شاعر وحيد، ومعرفة ممد، وقوله، وغائب
 ملكوت السموات والأرض، ولا في ذلك في الآخرة إلا به، معرفة الله، فإن كنت
 لا تشق إلى معرفة الله تعالى، وود أحد مدته، ومعرفة ربه، وصعقت به رعاتك
 فأنت في ديث معدور، إذ العيب لا يشق إلى لذة لودع، وأسي لا يشق إلى لذة ملك
 من هذه مدت يحتص إدراكه، رحل دون الصديق والمحبين. فكذلك مدة المعرفة
 يحتص إدراكه الرحان (رحل لا منهم عذره ولا ينفع عن ذكر الله) ولا يشق
 إلى هذه الله عذره. لأن الشوق مد لموق، ومن مد يدق يعرف، ومن لا يعرف لم يشق، ومن لم
 يشق لم يطالب، ومن لم يطالب لم يدرك، ومن لم يدرك في مع الخرومين في شمن الله
 (ومن يشق عن ذكر الرحمن يفتن به شيطان، فهو له قرين)

بيان

الدواء الذي ينقي مرض الحسد عن القلب

اعتزل الحسد من الأمر من العزيمة للقبول، ولا تدوى مرض القلب إلا به
 والعمل والعلم، مع مرض الحسد، هو أن يعرف حقيقة الحسد، ورضه في الدين،

وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين من يتفقد بهما. ومهما عرفت هذا عن بصيرة، ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك، فارت الحسد لا محالة.

ضرر المحسود
على دينه
المعاصي

فما كونه ضرراً عيباً في نفس المؤمن بالحسد، صاحب قضاء الله على، وكرهت منه التي قسم من عدوه. وعدة الدين فاقه في حكمة، وسد كرت دأب واستشعته. وهذه حيلة على حدة التوحيد، ونذرى في عين لا ين، وبعث به حيلة على ليس. وهذا صواب في ذلك، عشت رحلاً من المؤمنين. وركب صيغته. وفقت وراء الله وبقية في حبه خير من عدوه. وشركه من وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين. وروى عنهم. وهذه حيلة في لقب، لكل حسنة القلب كما تأكل النار الحطب، وتعجوها كما يحول الليل النهار.

ضرر المحسود
في الدنيا

وما كونه ضرراً عيباً في الدنيا، وهو أن الحسد في الدنيا، وعذب به ولا تزال في كد وغم، إذ أعداؤك لا يخلوهم الله تعالى عن أمر، فيضها عليهم. فلا تزال تعذب بكل سمعة ترها، وأنك بكل سمعة تصرف عنها، وهي سموم، عروسة، تشمب القلب، ضيق العبد، قدر لك ما شئ به لأعدائك، وشبهه لأعدائك. وقد كنت تريد الحيلة لعدوك فتحزرت في حال محبت رعتك فدا، ومع هذا فلا تزال السمعة من المحسود حسنة ولو لم تكن تؤمن بالله والحب، كان مقصص المظنة، إن كنت عدواً من الحسد لما فيه من ثم القلب ومسيرته. ومع عدم العلم فكيف زالت عدوت في الحسد من العبد الشديد في الآخرة. فأنجى من العبد كيم. مرضى سمعته تعالى من غير معية الله. بل مع ضرر يحتمله، وأن يقاسيه، فيبث دية ودية من غير حدود ولا فائدة.

عدم ضرر
المحسود في
نفي الدنيا
والآخرة

وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودينه وروايج، لأن السمعة لا تزال عدو الحسد بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة، فلا بد أن يدوم في حال معلوم، قدره الله سبحانه، فلا حيلة في دفعه من كل شيء، عده تقدر، وأكل أهل كتاب. ولذلك شكاي من الأنبياء، من امرأة عمة مسووية على الخلق، فأوحى الله إليه من قدامه، حتى تنقص أيامها، أي ما قدره في لأزل لأمد إلى أتميره. فأصبر حتى تنقص المدة التي سبق لقصده.

بدوام إقلاها فيها ومما ترن النعمة بالحسد . ثم تكرر على المحسود صردي لذيها ولا يكون عليه إثم في الآخرة . ولعلك تقول أيت النعمة كانت ترول عن المحسود يحسدي وهذا غاية الجهل ، فإنه بلاء تشبيهه أولا لنفسك ، فربك أيضا لا يخلو عن عدو يحسدك ، فلو كانت النعمة ترول بالحسد . لم يبق لله تعالى عليك نعمة ، ولا على أحد من الحق ، ولا نعمة الإيمن أيضا . لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمن . قال الله تعالى (وقد كثر من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفار حسدا من عند أنفسهم ^(١)) إذا ما يريد المحسود لا يكون . نعم هو يرضى بإرادته الصلال لغيره ، فإن إرادته الكفر كفر من انتهى أن ترول النعمة عن المحسود بالحسد . وكذا ما يريد أن يسلب عنه الإيمن بحسد الكفار ، وكذا سائر النعم .

وبن انتهيت أن ترول النعمة عن الحق يحسدك ولا ترول عليك بحسد غيره ، فهذا غاية الجهل والعمى . وإن كل واحد من حتى الحسد أيضا . يشتهى أن يخص بهذه الخاصة . وست تأولي من غيرك . وسمعة الله تعالى عدت في أسم ترول النعمة بالحسد . مما يجب عليك شكرها ، وأنت يحسدك تكرها .

وأما أن المحسود يتمتع به في الدين والدنيا . فواسع أما مسعته في دين ، وهو أنه مصوم من جهتك . لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى اقول والعمل . نعمة والقدر فيه . وهناك ستره ، وذكر ما به . فهذه هدايات هدية . إليه . نعمي لك ذلك تهدي إليه حسنا ، حتى تلقاه يوم القيامة مصفا . محروما عن النعمة ، كما حرمت في الدين عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم ترول نعم كان لله عليه نعمة ، إذ وفقتك لأجست فبقتم إليه . فأصفت إليه نعمة إلى نعمة ، وأصفت إلى نفسك شدة إلى شدة .

وأما مسعته في الدين ، فهو أن ثم أغراض الحنف مساءة لأعداء . وعجمهم . وشقاوتهم ، وكونهم معدن ، معموين . ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . وعيه أمانى أعدائك . أن يكونوا في نعمة ، وأن تكون في عمة وحسرة لئسهم . وقد فمت نفسك

انتفاع المحسود
على حساب
عاصره في
الآخرة

المحسود يفتقد
لأغنام عاصره

ما هو مرادهم . ولذلك لا يشبهى عدوك موتك ، بل يشتهى أن تطول حياتك ، ولكن
 في عذاب الجسد ، ^١ حذر إلى نعمة الله عليه . فينقطع قلبك حسدا . ولذلك قيل
 لامات أعدائك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
 لازات محسودا على نعمة ^٢ فأما الكمال من يحسد

ففرح عدوك بحبك وحسدك ، تنظم من فرحه بعمته ، ولو علم خلاصته من أم الحسد
 وعدمه . وكان ذلك نصرة صفة ربه عنده . فأنسب فيها لارحمه من عم الحسد ، لا كما يشبهه عدوك
 من أنسب عد . عرب أن عدو حاك . وصدق عدوت ، بدنه طيب ما نصرت
 به في الدنيا والآخرة ، واتعم به عدوك في الدنيا والآخرة ، وصرت مذموما عند الخالق
 والخلاق . شقيا في الحال والمآل . ونعمة المحسود دائمة ، شئت أم أيت نامية

ثم لم يفرح على تحصيل مراد عدوت ، حتى وصفت إلى دعاء أعطه سرور على ^٣ من
 الذي هو أعدى أعدائك ، لأنه لما آت بخروما من معه له ، وأورع . والحياه ، والمال .
 الذي لم ينس به عدوك عاك . حتى أن حب ذلك له ، ففكر في الثواب سبب له ،
 لأن من أحب الخير لمسلمين كان كافي الخير . ومن دعه الحق مدح الأكار في الدن
 به بتمه ثواب الحب لهم ، من أحب ذلك فحسب أن يحب ما نفع الله به على عنده
 من صلاح دينه ودنياه . فهو ثواب الحب ، فبمعه ^٤ . حتى لا تنجسه بحبك . عالم
 مدحه حلال . وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وسلم : رسول الله ^٥ " الرجل يحب
 القوم ويدع الحق منهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لم . مع من أحب " وقام عمر بن
 أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحض . قال ^٦ " برسول الله ، متى الساعة " فقال
 " ما أعددت لهذا " ، قال ما أعددت له من كثير - إلاه ولا صميم ، إلا أني أحب الله ورسوله
 قال صلى الله عليه وسلم : " أنت مع من أحببت " قال أنس ، فافرح المسلمون به إسلامهم
 كرههم يومئذ . إشارة إلى أن أكبر حبهم كان حب الله ورسوله . قال أنس ، ونحن
 نحب رسول الله ، وأبا بكر ، وعمر ، ولا نعلم مثل عملهم ، . ونرجو أن نكون معهم

الفرح في
 شباك بظانه
 بالمرح

(١) حديث - رجل حب قوم وساء حتى بهم قتال هو مع من أحب : معنى عليه من حديث عمر بن الخطاب

(٢) حديث - رجل لا يرى في الله عليه وسلم ما أعددت له - الحديث . معنى عليه من حديث أنس

وقال "و موسى" "فمت رسول الله. ارحل يحب المصالح ولا يضرى، ويجب
السواء ولا يه. وم حتى عند شيء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "هو مع من أحب"
وقال رحن ممرى عند الر. به كان قد استصمت أن يكون. ففكر. علم
وإن. استطع أن يكون. ممكن. ففكر. استطع أن يكون. ففكر. ففكر. ففكر.
فإن. استطع أن يكون. ممكن. ففكر. استطع أن يكون. ففكر. ففكر. ففكر.

فاطر. لأن كيف حدث. بس. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
فمصر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
من. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
أن. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
ذلك. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
وقد جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة: من أحب إلى الله، ومن أحب إلى رسوله، ومن أحب إلى
يحب. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
الداخل. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
وما نفذ حسدك في عدوك، بل على نفسك.

ل لو كوشمت. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
سها إلى عدوه. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
غضبه، فيعود ثانية، فيعود من الأولى. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
فيزداد غيظه، فيعود ثالثة، فيعود على رأسه فيشجبه، وعدوه سالم في كل حال، وهو إليه
راجع صره بعد أخرى، وعدوه حوله بمرحون. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.
الحسود: وسخرية الشيطان منه

(١) حدث في موسى: ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.

فمصر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.

(٢) حبت غير حبه. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر. ففكر.

من ذلك في الحسد فتح من هـ ، لأن الرمية له تدمر تقوت بلا العيس ، ولو قتل
 له تدمر تقوت لا محالة . والحسد يعود ، لأنه ذو إثم لا يموت بالموت ، ولعله يسوقه إلى عصب
 الله ، وإلى لهز فلا تذهب عيبه في نديه ، وحمل له من شئ إلى عيبه حتى يهلكه الله ، ويقضم له قلب الله
 وطر كيف تنقذ الله من الحسد ، بدور أدروا أن الجمع عن الحسد ، فهو يربط عنه ،
 ثم أربطه عن الحسد . إذا السلامة من الإثم همه . والسلامة من الإثم والكف منه ، وقد
 رآته عنه ، تصديق قوله تعالى (ولا تحقق منكم كلمة مني ، إلا بأفقه) (١) وأرى مني من
 ما يشتهي أعدوه ، ولما يشمت شامت عساة إلا ويبتلى بشها . حتى قالت عائشة رضي الله
 عنهم . ما سببت من شئ ، إلا ربي . حتى لو سببت به أهل اقتت

فهذه الحسد منه . فكيف ما يحرق به الحسد من الاختلاف ، وجود الحق . وجود الحق
 الإنسان واليد بالفواحش في الشقي من الأعداء ، وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة
 وهذه هي الأدوية العلية ، فيها فكر إلى ربه من صف ، وفات حاصر ، الطعنة
 من الحسد من قبه ، وعلم أنه مهلك منه ، ومخرج عدوه . ومخرج عدوه . ومخرج عدوه
 وما يعمل الله مع منه ، فهو من حكمة الحسد . فكل ما يقع به الحسد من قول وفعل
 فيسعى أن يكلف منه قبحه من منه الحسد على المدح في تحسوده ، كلف سببه المدح
 له ، والله عليه . وإن حمله على التكبر عليه . ثم منه اتوا به له ، والاعتذار إليه وإن
 منه على كلف لا منه سبه . ثم منه أراده في الآراء عليه . فبها فعل ذلك عن كلف ،
 وعرفه تحسود ، طاب فيه وأحبه . ومما ظهر حبه . عند الحسد أحبه ، وتولا من ذلك
 الموافقة التي تقطع مادة الحسد ، لأن اتوا به ، والله ، والمدح ، وبه راحرور سامعة
 يستحب قلب الله عليه . ويستمره ، ويستمره . ونحوه على مقالة ذلك الإحسان . ثم
 ذلك الإحسان يعود إلى الأول ، فصب فيه ، ويصير ما يكفه أو لا يرضى آخره ولا يرضاه
 عن ذلك قول الشيطان له . لو لم يصب وثبت عليه ، حرك العدو على العدو . أو على الله ق
 والخوف ، وأن ذلك منه ومهابة . وذلك من حدة الشيطان ومكايده . من الحجة تكفما
 كات أو طعنا ، تكسر سورة العداوة من الحسد ، وتقتل من غوهم . ولود اقرب

هذا هو
 الحسد

الثبات في الصبر
على مرارة
الرداء

الثأف والحب ، وهذا استريح الغيوب من ألم الحسد ، وعمي الغم عن
فيله هي ذوبه الحسد ، وهي ، فمة حذاء ، إلا أنها ، صرعة على الغيوب حذاء ، وكان الغم
في بدواء مر ، فم ، يصبر على مرارة الدواء ، لا يبين حذوه شيء ، وإذ تهون مرارة
هذا بدواء ، أعنى الوضع للأعداء ، والتقرب إليهم ، مدح والثناء ، بقوة الغم بالله في التي
ذكرها ، وموه راحة في ثواب الرضا ، فقد ، الله تعالى ، وحب ما حبه ، وعرة لنفس وترهها
عن أن يكون في الغم شيء ، على خلاف مراده ، فمن وعد ذلك يريد ما لا يكون ، إذ
لا يصح في أن يكون ما يريد ، وموت المراد ذلك وحشة ، ولا صرق إلى الخلاص من هذا
لأن ، إلا أحد صديق ، ما أن يكون ما يريد ، وإن نريد ما يكون ، والأول ليس إتيان
ولا تدخل لا كتاب ، ولما هذه فيه ، وإنما ، إلى فله عهدة فيه ، مدح ، وحشية ما ربيعة
ممكن ، يجب تحصيله على كل حال هذا هو بدواء السكلى

وأما بدواء النفس ، فهو تتبع شرب الحسد ، من الكبر وعبره ، وعبره النفس ، وشدة
الحرص على ما لا ينبغي ، وسيأتي تفصيل مداواة هذه لأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى
فإن ، مود هذا مرض ، ولا يجمع المرض ، لا تقع مودة ، فإن لا تقع مودة له حصل بما
ذكره إلا سكن وسهولة ، ولا يزال بمودة مرة مدح ، ويصمول لخطب في تسكينه
مع قلة موده ، فيه مدمح ما حبه ، ولا بد من الحسد من سائر الخلق والمربى في قلوب
الذين ذوبه ، وعنه ذلك لا محالة ، وبما حبه ، في بوب الغم عن غمه ، ولا يظهر غمه
ويده ، فأما الخلق عنه رأساً فلا يمكنه ، والله الموفق

بيان

القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم أن المؤدى ممقوت ، طمع ، ومن آتة فلا يمكن أن لا تبعه عالماً ، فإذا تسمرت
له عمة ، فلا تنكح أن لا تكرهه له ، حتى يكون عدوك حسن حال عدوك وسوء حاله
أن لا زال تترك في النفس ، بهما عرفة ، ولا يزال الشيطان يرمي إلى الحسد له ، ولكن
إن قوى ذلك حيث ، حتى عشت على ، ظهر الحسد قول ، فوعن ، بحيث يعرف ذلك

من هراك أفعالك الاحترام. فأنت حسود من تحذرك. وإن كتمت ما هرت بكلمة
إلا أنت. صحت حب رول لعممة. وأنس في غيبك كرهة لهذه الحلة. فأنت أيضا
حسود من أن الحسد صفة قلب لأصمة أعمل في قلبه (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ
شَايَةً مِّنْ وَرُوْهُ) (وقل عرواحي) (ودود) (كفرؤك كثرؤوا متكؤنؤن سوء) (١)
وقل (بِئْسَ تَكْنُكُمْ حَسَدُكُمُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَيْبُ) (٢) أما الفعل، فهو غيبة وكذب، وهو عمل
صادر عن الحسد. وبس هو عن الحسد. عن الحسد لقب دون الجوارح. مع هذا
الحسد ليس مصمة يحب الاستحلال منه، بل هو مصيبة يست و من الله تعالى، ويحب
الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح.

فما بد كتمت ما هرت. ورويت مع ذلك يست كره ما يشرح منه طبع. من حب رول
العممة، حتى كائنات قلب يست على ما في طبع. فمكون لك السكره من حبة العقل.
في ملة أميل من حبة الطبع. فندرت بوحب عينك. ولا بد من تحت أخيرك في
أغلب الأحوال أكثر من هذا.

وأما نية الطبع، مستوى عنه يؤدي والحسن، ويكون فرجه أو عده. فليس
لهذا من عمة، أو حسب عنهم من بية سواء، فبد من لا يدوع الطبع عليه، مداوم الحسد
إلى حصول نديا، إلا أن حبه مستمر قانحب الله تعالى، مثل السكران الواله فقد ينهي
أمره إلى أن لا يثبت فيه إلى تعيين حبوب العدد. بل ينظر في الكل عين واحدة،
وهي عين فرجه. ويرى الكل عدد لله. وقد لهم قدا لله، ويرى مسحري ودهك
إن كان، فهو كالحرق الخطف لا يدوم، ثم يرجع قلب عد ذلك إلى طبعه، ويعود العدو
إلى مدركته، أعني لشبصن، فبه يبرع بالوسوسة. فمما قال ذلك كرايته. وألم فيه
هذه الحالة، فقد أدى ما كلفه.

وفد ذهب دهبون إلى أنه لا يأتيهم داء ينظر الحسد على حورجه. بل روى عن
البحسن، أنه سئل عن الحسد فقال: عمة فيه لا يصره ما لم يده. وروى عنه موقوفا

ومرهموعارن"أي مني ثمعليه وسيد"مقال"لا تعذرومنهن"مؤمن"وبه منهن"مخرج"
 وخرجه من الحسد أن لا ينفى .

والأولى أن يحسن هذا على ما ذكره ، من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ،
في مدة حب الصبي لواله مدة العدو . ولما كانت الكراهة تدفعه من الدين والأيدى ، فإن جميع
ما ورد من الأحكام في دم الحسد ، من صهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة
القلب لا عن الأفعال فكل من يحب ، به ، عدوه فهو حاسد . وقد كونه آثم بمجرد
حسد القلب من غير فعل هو في محال . ولا ظهر ما ذكرناه من حيث ثوابه والآيات
والأخبار . ومن حيث المعنى ، يدعى من يكره من العدو ، لأنه يكرهه بسببه ، وأشهره
بأنه على ذلك من غير كراهة . وقد عرفت من هذا أن لك في أحداث ثلاثة أحوال
حسد . أن يحب من يكرههم صفاك وتكره حبك لذاتك ، وبين ذلك إياه عقلك ،
وتقتل نفسك عليه ، وتود لو كان لك حبيبة في إرثه ذات الميل مث ، وهو يدعى وهو عنه
قطعا ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه

الثاني ربح دك. و نصهر المرح مساهمة. دك. و نصهر ارحا. و هذا هو
الحسد المحظور قطعا

الاثاث وهو من الصوف ، ان نحسد ، فب . من غير عيب عيبك على حدك .
ومن غير اسكار مث على مث . ولكن جمع حوارث عن طاعة حسد في مقصده ،
وهذا في من الخلاف والظاهر انه لا يخبر عن . ثم . بقدر فوه ذاك احب وصومه .
والله تعالى اعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

هناك طمس
معه

كِتَابُ فِتْحِ الدُّنْيَا

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربيع المملكات
من كتب إحياء علوم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عرف أوابه عوالم الدنيا وآفاته . وكشف لهم عن عيوبها وعورتها .
حتى نظروا في شواهد ما وآياتها ، ووروا حسنتها سيئاتها ، وعللوا أنه يريد مكرها على
معروفها ، ولا يبي مرجوها ، نخوف . ولا يسم صنوعه من كسوف . وكفهم في صورة
امرأة مديحة ، تستميل الناس بخلاف . وله سرار سوء ، لا يدرى بها إلا الذين في ربها . ثم
هي فرارة عن طلائع . شجيحة بدهل . وقد قامت لا يؤمن شره وودده . إن حسنت
ساعة ، أسدت عنه . وإن أسأت مرة . حملت عنه . ويدور إلهها على المقرب دأره
وتحارة فيها حاسرة ناره ، وقاتها على النوى لصدور طلائع . راضقة ، وعورى حواله بدل
طالبيها ، طمة . فكل مرور . في الدل مصيره . وكل متكر . في التضرع مسيره .
شأن . لرب من طائمه ، والصلب لها بها . ومن خدمها فاته ، ومن أعرض عنها واثمه
لا يخالصه . عن شوائب الكدورات ، ولا يملك سرورها عن المعصيات سلامته . تعقب
السقم ، وشربها يسوق إلى الهرم ، وإميه . لا تمر إلا بالحسرة والندم . هي حداة . كارة
طيارة واردة ، لا تزال تزين اطلالها . حتى يدوروا من حداثها ، كشرت لهم عن ثيابها
وشوشة عليهم مضام أسباب . وكشفت لهم عن مكنون عجزها ، قد قتمت قول سماها
ورشقتهم بصواب . ربما أصبح . في سرور وادع . يدوات عنهم كذا . صنعت
أحلام ، ثم عكرت عليهم دوا . فطحتهم عن الحصيد . ووارثهم في كفاهم تحت
الصعيد . إن ملكك واحد . جميع . أظمت عليه الشمس . حده . حصيدا كأنهم . عن بالأس
تعي أصحابها سرورا ، وتدهروا . حتى يأمون كثيرا . وينسوا فصورا . فتصبح فصورهم قورا .

الذي جاء به
للإمام في
نعم الدنيا

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «مر على شاة مية ، فقل
«رؤوف هذه الشاة هبة على أهلها» قالوا من هو ؟ فقوله قال «وعدى
أعني بيده لأشياء» فقلت على الله من هذه الشاة على أهلها ووكالات الدنيا بعدل
عند الله حجاج موصية ماسق كافر من شاة مية» وقال صلى الله عليه وسلم «لئن
سخر المؤمن وحنة الكافر» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لئن سخر المؤمن
والمؤمن» قالوا كان الله بها» وقال موسى لأشعري «قل رسول الله صلى الله
عليه وسلم» من أحب دنياه أضرب أجزائه ومن أحب آخرته أضرب دنياه وأرؤوا
«شي على ما يقضى» وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الدنيا رأس كل خصيئة»

(١) وقال زيد بن أرقم ، كان مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، مائة شراب ، فأتى ثناء
وعسل فله دنياه من مائة حتى أكل حتى ، وسكتوا وما سكت ثم عدوا حتى
حتى طموا أنهم لا يقدر على مائة قال ثم مسح عبده ، فقالوا يا خليفة رسول الله
ما كاش قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت يده عن مائة شيء ولم أراه
أحدًا ، فقلت برسول الله ، «لدي تدفع عن نفسك» قال «هذه الدنيا» فقلت

كتاب دم الدنيا

(١) حدث مرعى ثناء «قال رؤوف هذه الشاة هبة على أهلها» حدث ابن ماجه وصححه

اسناده من حديث - هذا من مائة وأخبره عبد البرمدي وقال ابن ماجه وصححه ورواه الترمذي

و ابن ماجه من حديث اسود بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لئن سخر المؤمن

(٢) حديث الدنيا سخن المؤمن وحنة الكافر: مسلم من حديث أبي هريرة

(٣) حديث الله «ما هو به ملعون» فيها الترمذي وحسنه و ابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه الأكر الله

وما والاه وعالم ومتعلم

(٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب أجزائه - حدث ابن ماجه وصححه

وابن حبان والحاكم وصححه

(٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطية - من أبي الدنيا في دم الدنيا واليه في شمس الآيات من

من رواية الحسن مرسلًا

(٦) حديث زيد بن أرقم كان مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعسل فله دنياه من مائة حتى

فيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم «لئن سخر المؤمن وحنة الكافر» حدث ابن ماجه وصححه

بسنده ضعيف بحوه والحاكم وصححه اسناده من أبي الدنيا واليه في من طريقه بلفظه

هَذَا إِثْبَاتٌ عَلَى ثَمَّةٍ رَجَعَتْ فَتَمَّ بِأَثَرِهَا ثَبَتَ مَعْنَى الْإِثْبَاتِ مِنْ هَذَا ،
 وَقَالَ صَاحِبُ الْإِسْلَامِ وَاسْمُهُ "ابن أبي عمير" كَانَ مَحَبَّ مُصَدِّقٍ دَاخِلًا فِي خُودِهِ وَهُوَ يَقُولُ
 لَهُ "أَلَمْ تَرَ" وَرَوَى "ابن رسول الله" أَنَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى مَرَلَةٍ ، فَقَالَ « هَذِهِ نَدِيَّةٌ »
 بِأَنَّ نَدِيَّةً « وَوَاحِدٌ حَرَقَ قَامِدَ بَيْتٍ عَلَى ثَمَّةٍ الْمَرَلَةِ ، وَغَضَّ مَا قَدْ خَرَّتْ ، وَقَالَ « هَذِهِ نَدِيَّةٌ »
 وَهَذِهِ إِشْرَافُهُ بِأَنَّ رِيَّةَ الْإِسْلَامِ سَحَابٌ مِثْلُ ذَلِكَ الْخُرْقِ ، وَهُوَ الْأَحْسَنُ الَّذِي تَرَى ،
 سَتَجِدُهُ عَظِيمًا مَالِيَةً . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِصْرًا وَابْتَغُوا اللَّهَ
 مُسْتَعِينًا فِيهِمْ فَطَرَكْتُ مَنُوبًا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا يُسَيِّطُوا لَهُمْ أَدْنِيَ وَهُمْ هَدَتْ
 تَأْهُوَاتُ الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ وَغَيْبِ الْإِثْبَاتِ .

تفسيره
 عيسى عليه السلام
 الدنيا

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَعْبُدُوا دُنْيَاكُمْ وَتَعْبُدُوا كَمَا تَعْبُدُونَ كَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ
 لَا تَعْبُدُونَهَا ، فَإِنَّهَا تَحْبِبُ كَمَا تَحْبِبُ إِلَهِكُمْ . وَابْتَغُوا اللَّهَ لَكُمْ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا
 فَلَا تَعْبُدُونَهَا بَعْدِي . فَإِنَّ مَنْ خَبِثَ الدُّنْيَا نَعَصَى اللَّهَ فِيهِ ، وَإِنْ مَنْ خَبِثَ الدُّنْيَا أَنْ الْآخِرَةَ لَا تَذْكُرُ
 بِأَنَّ كَمَا الْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ
 سَعَى وَرَبِّهَا حَرَامًا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا
 وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا
 وَأَمَّا الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا وَنَهْيًا وَيُؤْتُونَ زَكَاةً وَيُطِيعُونَ أَمْرًا وَنَهْيًا
 تَطْلُبُهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ فِيهَا رِزْقَهُ . وَطَالِبُ الدُّنْيَا تَطْلُبُهُ الْآخِرَةُ حَتَّى يَحْيِيَ الْمَوْتَ فِي أَحَدِ مَمَلَكَةِ

- (١) حَدَّثَنَا بِإِسْنَادٍ كُلِّ الْعِلْمِ بِأَنَّ دُنْيَاكُمْ تَحْبِبُ كَمَا تَحْبِبُ إِلَهِكُمْ . وَابْتَغُوا اللَّهَ لَكُمْ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا فَلَا تَعْبُدُونَهَا بَعْدِي . فَإِنَّ مَنْ خَبِثَ الدُّنْيَا نَعَصَى اللَّهَ فِيهِ ، وَإِنْ مَنْ خَبِثَ الدُّنْيَا أَنْ الْآخِرَةَ لَا تَذْكُرُ بِأَنَّ كَمَا الْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ
- (٢) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِصْرًا وَابْتَغُوا اللَّهَ مُسْتَعِينًا فِيهِمْ فَطَرَكْتُ مَنُوبًا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا يُسَيِّطُوا لَهُمْ أَدْنِيَ وَهُمْ هَدَتْ تَأْهُوَاتُ الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ وَغَيْبِ الْإِثْبَاتِ .
- (٣) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِصْرًا وَابْتَغُوا اللَّهَ مُسْتَعِينًا فِيهِمْ فَطَرَكْتُ مَنُوبًا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا يُسَيِّطُوا لَهُمْ أَدْنِيَ وَهُمْ هَدَتْ تَأْهُوَاتُ الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ وَغَيْبِ الْإِثْبَاتِ .

وقال موسى بن - قال صلى الله عليه وسلم : « يا الله عز وجل اني ارجو ان
 احب اليك من الدنيا واثرة ما احب اليك من الآخرة » وروى في مسند
 ابن داود عنهم ان الامام مرقى بن ابي ربيعة قال : « يا الله عز وجل اني ارجو ان
 قال في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 قال في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 ما أعطى ابن داود يذهب ، والتبيحة - وقال صلى الله عليه وسلم :
 « أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ بِنُفُسِكُمْ وَمِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا أَكَلْتُمْ فَأَقِيتُمْ
 أَوْ لَبَسْتُمْ وَلَبَسَتْ أَوَانِدُكُمْ » وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 لادركه من الدنيا واثرة ما احب اليك من الآخرة » وروى في مسند من في سرائر -
 يستد من الدنيا واثرة ما احب اليك من الآخرة » وروى في مسند من في سرائر -
 ولا في الدنيا واثرة ما احب اليك من الآخرة » وروى في مسند من في سرائر -
 ما في الدنيا واثرة ما احب اليك من الآخرة » وروى في مسند من في سرائر -
 وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 حمية - وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 وروى في مسند من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -

كتاب ذم
 الدنيا يورث
 الضرر

- (١) حدث موسى بن - قال صلى الله عليه وسلم : « يا الله عز وجل اني ارجو ان احب اليك من الدنيا واثرة ما احب اليك من الآخرة » وروى في مسند من في سرائر -
 إلى الدنيا من هذا الوجه بلاغا وفي - من في سرائر -
 (٢) حديث ألكاثر يقول ابن آدم مالي مالي - الحديث - من في سرائر -
 (٣) حدث من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 (٤) حدث من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 (٥) حدث من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -
 من في سرائر - وروى في مسند من في سرائر -

كَمَا تَسْمُوهُ فَمِنْكُمْ كَذَلِكَ تَمْسِكُوهَا. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَكْرَهَ مَا حَفَّ عَيْنُكُمْ، بَخَرَجَ مِنْكُمْ مِنْ تَرَكَاتِ الْأَرْضِ» قَبْلَ مَارَكَاتِ الْأَرْضِ، قَالَ وَرَهْرَهَ دُنْيَا. وَوَصَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْمُو قُدُومَكُمْ بِذِكْرِ الدُّنْيَا، فَهِيَ عَنْ ذِكْرِهَا، فَضْلًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ».

وَقَالَ عِمَارُ بْنُ سَعِيدٍ: مَرَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرَهْرَهَ، إِذَا نَهَضَ، وَوَقَفَ فِي الْأُوقِيَةِ وَالْعَرِيقِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْخَوَارِجِينَ، إِنْ هُوَ لَا مَا تَوَاعَى عَنْ سَخِطَةِ. وَلَوْ مَا تَوَاعَى عَنْ عَرِيقٍ لَمَدُّوا. وَقَالُوا يَا رُوحُ اللَّهِ، وَدَدْنَا أَنْ لَوْ عَلِمْنَا حَرْجَهُ، فَسَأَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ، يَذْكُرُكَ نَامِلٌ فَادْعُهُمْ يَحْبِبُوكَ، فَلَمَّا كَانَ الْآخِرُ، شَرَفَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ دَنَى بِأَهْلِ التَّرْبَةِ، فَجَاءَهُمْ بِأَنْتِ يَا رُوحُ اللَّهِ. فَقَالَ مَا حَالَكُمْ وَهَذَا؟ فَقَالُوا: «نَحْنُ فِي عَيْنِهِ، وَنُحِبُّهُ فِي الْهَوَايَةِ، وَنُحِبُّكَ دُونَ ذَلِكَ، وَقَدْ نَحْنُ الدُّنْيَا، وَطَعْنَا نَهْلَ الْمَدَامِيِّ، نَمَلٌ وَكَيْفَ كَانَ حَرْجُكَ الدُّنْيَا، وَنَمَلٌ حَبِ الصَّبِيِّ لَأَمَّهُ إِذَا قُبَابَ وَرَحْمَتِهَا، وَبَدَأَتْ حَرْجُكَ وَكَيْفَ تَرَى. وَلَمْ تَمَلْ شَيْئًا لَمْ يَحْبِسُونِي، قَالَ لَأَنَّهُمْ مَحْمُودُونَ، مَحْمُودٌ مِنْ نَارِهِ، أَمْدَى مَلَائِكَةُ غَلَاظِ شَدَادٍ. قَالَ فَكَيْفَ أُجِيبَتِي أَنْتَ مِنْ يَسْمُ، قَالَ لَأَنْتِ كَبْتُ وَهْمٌ وَهْمٌ، وَهْمٌ كَرِهْتُمْ، وَهْمٌ رَسَمْتُمْ، الْمَدَامِيُّ أَمْدَى مَهْمٌ. فَأَتَاهُمْ عَلَى شَهِيرِ حَرْجِهِمْ، لَأَدْرِي أَوْ هَمُّهُمْ كَمَا كَبْتُمْ، فَتَمَلَّسَ مَسِيحُ الْخَوَارِجِينَ، لَأَكْلَ خَبْزِ الشَّعِيرِ بِالْمَلْحِ الْجَرِيشِ، أَمْسَ الْمَسُوحُ وَالْوَمَلُ عَلَى الْمَرْبِ، كَرِهْتُمْ عَوْدَةَ الدُّنْيَا، وَلَا حَرَةَ. وَقَالَ أَمْسَ^(١). كَانَتْ «رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصَا، لَأَنْتِ قِيَامُ عَرَانِي بِإِفْقَالِهِ مَسْقَاهَا، فَتَقِ دَلَاكَ عَلَى الْمَسَاهِيرِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا، لَا وَهْمَهُ». وَهَلْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ لَدَيْ «نَبِيِّ عَلَى رُوحِ الْمَعْرِ دَارًا تَلِكُمُ الدُّنْيَا فَلَا تَنْجِيكُمْ مِنْهَا، وَفِيهَا أَمْسَى إِلَهُهُ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَحَدِّدَ بِحَسْبِ اللَّهِ عَلَيْهِ. قَالَ ابْتَغُوا الدُّنْيَا بِحَبْكُمُ اللَّهُ تَعَالَى».

عن الدنيا
طريق السراية

(١) حديث أبي سعيد أن أكثر ما أخطى عليكم ما يخرج منكم من تركت الأرض.

(٢) حديث لا تسمو قديمكم، كذا الحديث الباقي في الشعب من طريق أبي الحسن بن عمار.

عن عمر بن الخطاب

(٣) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الدار من الدار.

أن لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وجهه البخاري

له أهل فمات . وسيكون له من حمة . ومن مات من الدنيا ، إلا عشاء ليلة وعشاء يوم ،
 إلا سكر في سكر . ومنع عن الدنيا ، وفطر على الآخرة وإيا رأس من الدنيا الهوى ،
 وزعم لمار . وقيل بعض رهبان ، كيف يرى الدهر ، من يخلق الأبدان ، ويحدد الآمال ،
 ويقرب لمية ، ويعمد لأمية ، في حال أهله ، من طرفة عين ، ومن به نصيب وفي ذلك قيل

ومن يحمى الدنيا يعيش يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها

قد دبرت كات على لمره حسره وإن نصبت كات كثير همومها

وقال بعض الحكماء : كات يد يد ، وإن كان فيها . ويذهب يد ولا أكون فيها ،
 فلا سكر ، ولا غير عشاء كات . وصوفيه كات ، وفهم من على وجل ، إما معمة رثة
 أو شبه رثة . ورواية صبية وقال بعضهم : من عبت الدنيا لا تعطى أحد ما يسحق
 أسكنها إيماناً تريباً وإيماناً . فقص وقال بعضهم : فما ترى الدنيا كات ، معصوب عليه ،
 قد وضعت في عاتقها . وفي نويسين السرائر : من صاب الدنيا على أخته لها ، لم يعد
 به شيء إلا أذا كبر . ومن صاب الآخرة على نفسه لها ، معصوبه شيء ، إلا أراد
 أكثر . ومن طهده رثة . وفي رجل لأني حاد . شكرو بيت حب الدنيا ، وميت
 في نذار . وقال بعضهم : آكه لله من روحه . وفي آخده إلا من حله ، ولا سمه ، لا في
 حقه ، ولا حشر حب الدنيا . وفي من هذا . لأنه لو آخذ عساه بذاك لأمنه ، حتى تنهم
 بالدي ، ويطلب الخروح منه . وفي حتى من معد . الدنيا حاوت الشيطان ، فلا تصرف
 من حاوته شيئاً ، فيجىء في طلبه فيأخذك . وقال القضاة : لو كات الدنيا . من ذهب هي
 والآخرة من حرف يبق ، السك يدعي أن حشر حرف يبق ، على ذهب هي فكيف
 وما حشر حرف يبق . على ذهب يبق . وفي نويسين ، يأكو الدنيا ، مع غنى أنه يوقف
 المديوم الشهامة . إذ كان معص نادر . فيمن هدأ عصبه حشره لله وقال اس مسعود . فيج
 أحسن ليس ، لا وهو مصوب . به عارة فصب من حشر . وإعاريه من دودة . وفي ذلك قيل .
 ومن مل ولاه من إلا ودع ولا يد يد . فف نرد الودائع

ورار راسة أصحها ، فذكروا الدنيا ، فأقبلوا على ذمها ، فقاتلوا أسكتوا عن ذكرها ،
 فلولا عوقب من يذكروا ، أكثر من ذكرها . فلا من حب شيئاً أكثر من ذكره

وقيل لإبراهيم بن آدم كيف أنت؟ فقال:

ترفع ذنبا^١ تمزيق دينا
فصوتى بعد أثره

وقيل أيضا في ذلك

رى طالب الدنيا وإن طال عمره
كعبان بنى نبيانه فأقامه

وقيل أيضا في ذلك

هب الدنيا تساق إليك عفوا
أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء
أظلك ثم آذنت بالزوال

وهل اتقن لا يهوى مع ذلك آثر رحا حليم ولا مع آثر بدو
عبرها محم ومن مصرف من أشجر لا صر من حصن عيش ووثق من شهيم
وكن صر من صر من شهيم ووثق من شهيم ووثق من شهيم
حره له مؤمن وحره له مؤمن وحره له مؤمن وحره له مؤمن
وهل سمع... راحته فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشره الكلاب وفي ذلك بين

يا خاطب الدنيا إلى نفسها
إن التي تخطب غدارة
تنح عن خطبتها تلم
قرية العرس من المآثم

ومن بو لرداء من هو لا يما على الله لا يما على الله ولا يما على الله
إلا بتركها وفي ذلك بين

إذا لم يكن ليدايا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ومن يـ

يارافد الليل مسرورا بأوله
أنفى القرون التي كانت منعمة
قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
من مرق دنيا لا بقاء لها

إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
كر الجديدين إقبالا وإدرا
قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
يمسى ويصبح في دنياه سفارا

ثم أتى به إليه يوم ربه إلا سعة وبرسه ورحله ، فذل له عمر بن الخطاب ، لو أتتكم ،
فقال يا أمير المؤمنين ، إن هذا به المقييل . وقال سفيان ، خذ من الدنيا ليدلك ، وخذ من
الآخرة لقبك . وقد لحق . والله قد عدت ، وإسرائيل لأب . وعدتكم به رحمتي بها .
ول وهب قرنت في عصي الكتب ، أديا عييه لأكييس . وعنده الحسن ، لم
يعرفوها حتى خرجوا منها ، فأتوا ربيعة فمد يدها وقال لقين لأمه ، ما لي .
ستدبرت الدنيا من يوم نزلتها ، واستقبلت الآخرة . فأتى في درقرب .
من درنة عدتها . وول سعيد بن مسعود ، در رب مد تردد .
وهو راض ، فذلك المعبود ، لدى سم ووجه وهو لا يشتر

وول عمرو بن ميمون على ميم .
حيي لله عليه وسلم بره فيه . والله ما من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ولي
عليه أكثر من لدى به . وول الحسن بن علي بن فضال ،
من وول دونه من حقه ، ومن هو أعلم .
الأشهر . لا يبيع رجل على عبه ثاب عمل .
أبواب وول بقاء ، مسكين من آدم ربي .
أخذه من حله حوسب .
عمله . يفرح بمصيبته في دينه ، ويحزح من مصيبته في دنياه .

وكتب الحسن بن عمرو بن عبد الله ، سلام عليك ، أما بعد .
عليه الموت قد مات .
لم تزل . وول الفضيل بن عمار ،
وول منهم .
كيف يصحح .
وول منهم .

(١) حدث عمرو بن ميمون عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهد
بهكم . الخ : الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان

أن القدر حق ، كيف ينصب ! وقدم على مودة ربي ثم عذره رجل من بحرين ، عمره
ما نسيه ، سأله عن الدين كيف وجدته ، فقال : سببت بلاء وسوءت رجة ، يوم فيوم وإيلة وبيلة
بولد ولده وبهلك هلاك . فلو لا المولود له الحق ، ولو لا الهلاك من الدنيا فيها ، فقل
لهل ما شئت . قال : عمر ثم صغى فترده . أو حين حصر مقدمه من لأهلك ذلك . من لا حاجة في إياك
وقال داود الطائي رحمه الله : داس آدم . مرحمت بلوع أملك ، وإياك أعتقه باقتضاء
أحلك ثم سوف مملك ، كن . نعمته منك . وول شر ، من سأل الله لذيها غايته
طوب الوهوف بين يديه . وول ثم حريم ، ما في الدين شيء ، سررت ، إلا وقد اتفق الله بإيه
شيئا يسوءك . وقال الحسن : لا تخرج نفس إن آدم من الدنيا إلا تحسرات ثلاث ، أنه لم
يشمع بما جمع . ولم يدرك ما أمل . ولم يعس الرذيل بقدم عليه . وقيل : له من الله ، وقد
نالت الغنى . فقال : إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا .

وقال أبو سبيح : لا يصبر عن شهوات الدنيا ، إلا من كان في قلبه ما شعله بالآخرة
وول مالك من ديرة ، اضطلع على حب الدنيا ، فلا يفر من الله . ولا يهوى مضيا
بعضا . ولا يدعى الله على هذا . مات شمرى أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم ،
بشر الدنيا يشعل عن كثير الآخرة . وول الحسن ، أهيروا الدنيا ، هو الله ما هي لأحد
أهنا منها من أهيا . وول الحسن ، إذا رد الله حمد حيرا ، أعزه من الدنيا عطية ، ثم يمكك
فقد مد أعده عليه . وإذا هان عليه عده ، سطه له الدب سط . وكان منهم قول في دعائه
يا مملك السماء أن تقع على الأرض ، لا يدلك ، أملك الدنيا عى . وقال محمد بن الكدر .
أرايت لو أن رجلا صم الدهر لا يهضر ، وقام الليل لا يهمل ، وأصدق عاه . وحده في
سبيل الله ، واحتجب بحارم الله ، غير أنه يؤتى به يوم القيمة ، فيقول : إن هذا عظم في عيه
ما صغره الله ، وصغر في عيه ما عظمه الله . كيف ترى يكون حبه دفين ما ليس
هكذا ؟ الدنيا عقيمة عده ، مع ما افتره من الذنوب والخصا .

وقال أبو حازم . اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، وأما مؤنة الآخرة فيك لا تحو عليك ،
أعو ما وأما مؤنة الدنيا فيك لا تصرف بك إلى شيء منها . إلا وجدت فاجر أقدم بك إليه .

إخوانك ، وأخبرت أكتافك فعمرك ، وكعبك ، وقصع عوادك . واستراح حسادك
وانصرف أهلك إلى مالك ، وفتت مرتبتك بأعمالك

[illegible]

الحسين بن علي
عليه السلام
عليه السلام

فصرورها مشوب بالآخرى ، لا يرجع منها ماولى وأدر ، ولا يدري ما هو آت ،
 وينظر فيها كادية ، ومطاطة ، وصعوه كدر ، وعدتها . كد ، وإن آدم فيها على
 حطر ، إن عقر وطر ، فهو من المعى على حطر ومن السراء على حدر ، ولو كان الخاق لم
 يحجر عنها حبرا ، ولم يحبر لها مثالا . ككاتب الدنيا قد أيقظ الدائم ، وسهت الدائم
 فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنيار حر ، ووهبها واعطى ، فبها عند الله حل ثبوته وقدر
 وما نظر إياها من حلقها ^(١) . وأتت عرست على نيل من الله عليه وسه ما يحجرها وحراستها
 لا ية منه ذلك عند الله حرج موسى ، فأنى أن قسها . ذكره أن يحجر على الله ثمره .
 أوجب ما أحسنه حلقه . أوبرع موضوعه كد . ورواه عن الصالحين احتسرا . وسهها
 لأعدائه اغترارا ، فيص المعروها . لمقتدر عليها ، أنه ذكره . وسى ما صنع الله
 عز وجل محمد من الله عليه وسه ^(٢) . حين شد الحجر على طه ، وأتت حلت الزهراء
 عن ربه عز وجل . أنه قال لموسى عنه السلام ، إذ رأت العى مة لالا . فقل دت عات
 عقو . وإذ رأيت القمر مة لالا ، فقل مرحبا بشمار الصالحين وإن شئت وأدب صاحب
 الروح والكلمة ، عيسى بن مريم عليه السلام ، أنه كان يقول ، إدامى الجوع ، وشمدى
 اخوف ، وألمسى الصوف ، وصالحى فى الشتاء ، مشاقق الشمس . وراحى القمر ، وذاتى
 رجلاى ، وطماى وفاكمتى ما أشتت الأرض ، أيدت وايس لى شيء ، وأصبح وليس لى
 شى . ويس على الأرض أحد أعى مى . وقال وعب من مة ، لما عت لله عز وجل
 موسى وهرون عيهما ، السلام لى فرعون ، قال لا يرو عدي . مة لى ليس من الدنيا ، فإن
 مة لى . ليس يصى . ولا يطر . ولا ينفس إلا بدنى ولا يحس كد متبع مة لى
 وإياها هى مة لى الحية تدبر . مة لى مرفين فلو شئت أن ترككم مة لى من الدنيا ، يعرف

(١) حديث الحسن بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار . عن عمار بن محمد بن عمار .

في ذلك لكم فيها من طعم مكمل عصف . ومن شر لكم شرقي ، لأنتم عوا لكم أمة تسرون بها
إلا عراق أخرى سكر هون في هذه عمولاً ثم ترون به ، واحدون فيه ثم عده اليكاء و برل
وقال على كرم الله وجهه في خطته ، وصيكم بنقوى الله ، وأمرك لاديا ، التركة لكم
وإن كتمه لا تخون تركه . لمبية أحبكم . وأنتم تريدون تحديده . فبب مثلكم
ومثله ، كمش قوة في سفر ، سلكوا طريقه وكتمهم مد مظموه . وأنصوا إلى علم وكلمهم
بعموه . وكما عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهي إلى نهاية ، وكما عسى أن يبقى من له يوم في
الديار وحسب حداثته حتى يهرقه ، ولا تخرو عوا المؤ . أو صرنا فيه في غطاع . ولا صر حوا
تدعها ومعه ثيابا إلى روائ . عجب حب الدنيا والموت بطاله . وعمل وفسس تعول عنه
وقال محمد بن الحسين ، لما علم أن القدر والعلم ودرهه لأدب أن القدر وحل مداهب
الدنيا ، وأنه لا يرهم . لأوايه . وثبها عده حقه فدية . ورسول الله صلى الله عليه وسلم
رهديه . وحذر أحمده من قتلها ، ككوا مبه فصدار فده وافتلا وأحدرا . م ميكي ،
ونزكو . يمين . لبسوا من الثياب ماستر العودة . رأكلوا من الطعام أدناه مما سدا الجوعة
وصروا إلى الدب حين أنها فانية ، وإلى الآخرة أم ابافية . فترودوا من الدنيا كزاد الركب ،
فجروا الدب . وعمرها لا حرة وطرأ إلى لا حرة قلوبهم . فعملوا أنهم سيمضون إليها
أعينهم ، ورتخلوا أيهم قلوبهم . لما عموهم سيرة حلون إليها أديانهم فعبو قبيلا ، ونعموا
طولا . كل ذلك يوفق مولاهم المكرم . أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

مطبوعه
كرمه الله
رجه

عبد المحسن بن
الحسين

بيان

صفة الدنيا بالأمثلة

اعلم أن الدنيا سرعة الفناء ، فرة الانقضاء ، نمد نامة ، ثم تحف في الوفاء . تطر
إليها فترها ، ساكمة مستقرة . وهي سائرة سيرا عتبا ، ومرحلة ارتحال سريعة . وليسكن
الطائر إليها فلا يحس تحركه . فيصن إليها . ويما عس عدا قصدا
ومثالها الصل . فإنه متحرك في الحقيقة ، ساكن في الظاهر ، لا يدرك حركته
بالبصر الصافي . بل بالسيرة الباطنة . وذكرت الدب عبد الحسن البحرى رحمه الله . أشد وقال :

أحلام يوم أو كحل رائى من الملب شبه لا يجدع
وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، تمش كثيرا ويقول
يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها بن اعترار ظل رائى حق
وقيل إن هذا من قوله

وقيل أن أعرايا نزل قوم ، مقدمو به شدة ما كل ، ثم قام إلى مثل حربة لهم
فدام هناك . فاقبلوا الخيمة ، فأصابته الشمس ، ففقدوا مقيم وهو قول
ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك رائى
وكذلك قيل

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

تمثيل الدنيا
بالنام

مثل آخر للدنيا ، من حيث المرير نعيم لآنها ، ثم لا يلبس منه مداها آتيا
تشبه خيالات المنام ، وأضحت الأحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا
حناء وأنها عذبة تحرقون وقتها ، فموتون » وقال ورس بن عيسى ، ما شئت منسى فى الدنيا
إلا كرجل نام ، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب . فبينما هو كذلك إذ منه فكذلك
الذي من يوم ، فبدأوا ، وانتهوا ، فبدأ من أنفسهم شئ ، فماتوا ، فبدأوا به . وهو حواءه .
وقيل من بعض الحكاية . شئ شئ شبه بالناس . قال أحلام العالم
مثل آخر للدنيا ، فى عدوتها ، وأنها كجمل

تمثيل الدنيا
بالمرأة الفائرة

أعمى من طبعه لا يدرى فى الاستدراج أولا ، والتوصل إلى الإهلاك أخرا . وهى
كأمرأة ، من لا تدرك . حتى يتركها . وقد زوى أن عيسى عليه السلام ،
كوشف بآدم ، فراه فى حواء محو هواء . عسى من كل . فمد له كم تروحت
قات لا أحصهم . من فكاهم مات عك ثم كاهم طافت قات من كاهم مات فقال
عيسى عليه السلام ، يؤسف لى واحد منكم لا يدرون أزواجك الماضين !
كيف يهسكنهم واحدا بعد واحد . ولا يكون لك على حد

(١) حديث الدنيا حلم وأهوها عليها عارون وهما ياتون : لم أجده أصلا

وَأَمَّا حَتَّى يَمُوتَ أَقْلُ مَنْ مَنَزَلَ قَصِيرٌ ، فِي سَفَرٍ بَعِيدٍ . وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « يَا وَلَدُ اللَّهِ ، وَرَبِّكَ عَلَى وَشْنٍ ، كَيْفَ رَأَيْتَ رَأْيَ كَبِيرٍ » . وَفِي يَوْمٍ جَاءَتْهُ مُرُفَعَةٌ لَهُ
 شَجَرَةٌ فَمِنْ تَحْتِهَا سَاعَةٌ تُنَارِحُ وَرُكْبَةٌ ، وَهِيَ رَأْيُ الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا
 وَمِنْ كَيْفَ انْتَبَهَتْ لَهُ ، فِي سِرٍّ وَبَعِيدٍ . أَوْ فِي سَةِ وَرَهْبَةٍ . بَلْ لَا يَبْنِي لِبْنَةً عَلَى لِبْنَةٍ
 تَوْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، وَمَا وَصَفَ لَنَا عَلَى لِبْنَةٍ ، وَلَا قَصَبَةٍ عَلَى قَصَبَةٍ ^(٢) .
 وَرَأَى مِنْ أَصْحَابِ الْبَيْتِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرِ عَجَلًا مِنْ هَذَا ، وَاشْكُرَ ذَلِكَ
 وَإِلَى هَذَا أَتَانَا مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ حَيْثُ مِنَ الدِّينِ وَطَرَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَلَا يَعْرِفُهَا ، وَهُوَ
 مِثْلُ رَاصِحٍ ، وَإِنْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَمْ يَلْزَمْ لَهَا حَرَفٌ ، وَهُوَ يَلْزِمُ الْأَرْضَ عَلَى نَسِ الْقَطْرَةِ وَاللَّحْدِ هُوَ
 الْمَلِكُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ مَعْدُودَةٌ مِنْ الْأَمْرِ مِنْ مَطْعَمِ الْمَطْرَقَةِ ، وَهُوَ مِنْ مَطْعَمِ النَّاسِ وَمِنْهُمْ
 مَنْ مَضَى فِيهِ ، وَهُوَ مِنْ الْأَمْرِ لَمْ يَلْزَمْ لَهَا حَرَفٌ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَكَيْفَا كَانَ مِثْلَهُ
 مِنَ الْعَمَلِ وَالْإِسْلَامِ عَلَى سِرٍّ وَبَعِيدٍ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ
 مِثْلُ الْأَمْرِ ، فِي سِرٍّ وَبَعِيدٍ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

نَحْنُ بَابُ

وَأَمَّا حَتَّى يَمُوتَ أَقْلُ مَنْ مَنَزَلَ قَصِيرٌ ، فِي سَفَرٍ بَعِيدٍ . وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « يَا وَلَدُ اللَّهِ ، وَرَبِّكَ عَلَى وَشْنٍ ، كَيْفَ رَأَيْتَ رَأْيَ كَبِيرٍ » . وَفِي يَوْمٍ جَاءَتْهُ مُرُفَعَةٌ لَهُ
 شَجَرَةٌ فَمِنْ تَحْتِهَا سَاعَةٌ تُنَارِحُ وَرُكْبَةٌ ، وَهِيَ رَأْيُ الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا
 وَمِنْ كَيْفَ انْتَبَهَتْ لَهُ ، فِي سِرٍّ وَبَعِيدٍ . أَوْ فِي سَةِ وَرَهْبَةٍ . بَلْ لَا يَبْنِي لِبْنَةً عَلَى لِبْنَةٍ
 تَوْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، وَمَا وَصَفَ لَنَا عَلَى لِبْنَةٍ ، وَلَا قَصَبَةٍ عَلَى قَصَبَةٍ ^(٢) .
 وَرَأَى مِنْ أَصْحَابِ الْبَيْتِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرِ عَجَلًا مِنْ هَذَا ، وَاشْكُرَ ذَلِكَ
 وَإِلَى هَذَا أَتَانَا مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ حَيْثُ مِنَ الدِّينِ وَطَرَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَلَا يَعْرِفُهَا ، وَهُوَ
 مِثْلُ رَاصِحٍ ، وَإِنْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَمْ يَلْزَمْ لَهَا حَرَفٌ ، وَهُوَ يَلْزِمُ الْأَرْضَ عَلَى نَسِ الْقَطْرَةِ وَاللَّحْدِ هُوَ
 الْمَلِكُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ مَعْدُودَةٌ مِنْ الْأَمْرِ مِنْ مَطْعَمِ الْمَطْرَقَةِ ، وَهُوَ مِنْ مَطْعَمِ النَّاسِ وَمِنْهُمْ
 مَنْ مَضَى فِيهِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ
 مِنَ الْعَمَلِ وَالْإِسْلَامِ عَلَى سِرٍّ وَبَعِيدٍ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ
 مِثْلُ الْأَمْرِ ، فِي سِرٍّ وَبَعِيدٍ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

(١) حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

(٢) حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

(٣) حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

حَاتٍ مَنِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْإِسْلَامِ

مشى آخر ساعة علائق ديرة مصر إلى مصر حتى المذلة

فمن عيسى عليه السلام : مشى من ديرة مشى شرب ماء البحر . كذا إرداد شرب .
إرداد عطشا حتى يقفه

قال آخر ساعة آخر ليلة وله ، والماء أو غيره ، وحاشا له

عمر من شوات الدار في الدنيا . كشهوات لأشبهه في عمله وسبب الدار
عند الموت . شهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والاشفاق ، ما يجده للطعمة اللذيذة
إذا مات في المدة . وكان اسمه كذا كان له طعامه ، وكان اسمه . وأما حلاوة
كان رجبها أقدر وأشد منه ، وكذا كل شهوة في قلبه هي شهوة وتوهم
وكراهته . والذى هي عند الموت . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
وأما أهله وولده . يكون معه . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
له وحده . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
ولا من الموت . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
ان سفيان الكلاني . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
قال أبي . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
الله صلى الله عليه وسلم . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
وإن مدحه . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
من آدم . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .

(١) حديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
قال في حديثه . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
على . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
(٢) حديث أبي بن كعب أن النصارى من أهل ديرة . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
وغيره . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
(٣) حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .
الأول منه غريب والشرط الآخر هو الذي تقدم من حديث الصالح بن مخلوف . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا . ثم في الدنيا .

مخبري عن
سبب الدار
ما ذكر

مخبري عن
الطعام
والشراب
أمر

الخط. ولذلك قال عمر رضي الله عنه، اعزلوا عني حسابها، حين كان به عطش، فعرض عليه ماء بارد بمسل، فأداره في كفه، ثم امتنع عن شربه.

فليس قبيلهم وكثيرهم حرامهم وحلالهم . معونة لا مانع على قوى الله . فإن ذلك
انقصر ليس من الدين وكل من كانت معرفته قوى وقوى ، كان حذره من إيمان الدنيا
أشد حتى أن ينسى عليه السلام . ويحرسه على حذر لا يترك . ثم رماه ، إذ تشبه له الناس
وقال . رعبت في الدين وحتى أن سميت عليه السلام في مكة . كان صمم الناس لذائد
لأصمة . وهو يأكل حذر أشمير . فحس الله على عهده الصديق أمته وشدة ،
فإن الصبر عن لذائد لأصمة . مع انقذاره عنهم ووجوده . شد ولقد روى الله تعالى
روى الدين عن أبيه صلى الله عليه وسلم . مكان يصوي ألباء . " وكان شد الحذر على
طعمه من الجوع ولقد سبقت الله الله ونحن على الألباء والأولياء . ثم الأمان والأمان ،
كل ذلك طرا لهم . وأما عيهم . فيؤمر من آخره حفظه . كما نزع الوائد الشفيف
وأما لذة الغواكه . وكرم الله الله الله . شدة عيه . وحده لا حلاله . وقد
عربت بهذا أن كل ما ليس به فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدين

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا الَّذِي هُوَ اللَّهُ؟

فأقول الأشياء الثلاثة هي : ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي من عنده من
وخطواته وروح المعنى في الذات، وهي : المنة المدعوة من الدنيا بغيره ومعنى
وهي ما لا يتصور لله، وتلك أن نحن مع الله. وهي : المنة، والفكر، والتذكر، والكف
عن الشهوات في هذين الثلاثة بدخول سر، وما كان غير باعث سوى أمر الله واليوم
الآخر، معنى لله، وصف من الدنيا، وبين كل العرض من الفكر، طيب العلم لا يشرف
به، وصف أقول بين الحق بصير المعرفة، وكان العرض من ترك الشهوة حتى يدل

(۱) ت. روى ابي الدیال بن مینا على الله عليه وسلم قال: سمی محمد من خمس في تسميته .

في حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عما لمن

خودت و ظهور و ...

جنتی اللہ! وہ تو میری - اُحد: ول اللہی عسی

(۲) حضرت امام رضا (ع) فرماتے ہیں:

فأنت يا حبيبي ففت رحمتك الله وأوبس وغفر لك ، كيف أنت رحمتك الله . ثم خنقتي العبرة
من حتى إنه . وروني عليه . درأت من حاله ما رأيت ، حتى بكيت وبكى . فقال وأنت
خبرك الله بهر من حسن . كيف أنت يا حبيبي ومن ذلك على " قال قلت الله فقال لا إله إلا الله
سمعتك الله . من كان وعذره . لمعولا . قل فمعتك حتى عرفني . ولا والله ما رأيت
من ذلك ولا رأي . ففت من من عرفك سمي واسم أبي . وه رأيت قبل اليوم ؟ قال
نبأني العليم الخبير . وعرفت روعي روحك . حين كنت نفسي منك . يا الأرواح له
أنفس كأففس الأجساد . ومن المؤء بين أيعرف بعضهم بعضا . ويندبون روح الله وإن لم
يلتقوا . يتعارفون ويتكلمون وإن أت بهم النار . وتعرف بهم النار . قال قلت حدثني
رحمتك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . تحدثت اسمه . ك . قال إني لم أدرك رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ولم تكن في معه صحبة . إني وأمي رسول الله . وسكن رأيت رجلا
وه صحبه . وسمي من حديثه كما سمعت . وأنت أحب من فتحت على نفسي هذا الباب . أن
أكون عندك . ومعي . وقام في عني شعاع من النور بهر من حسن . ففت يا حبيبي
مرأى على آية من القرآن أسمهم منك . وأدع في دعوات . ووصي بوصية حفظها منك .
هزني أحبك في الله حشيدا . قل فقه وأحد يدي على شطئ ليرات . ثم قل . أعود
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم بكى . ثم قل . قل في . ولحق قول ربي . وأصدق
الحديث حديثه . وأصدق الكلام كلامه . ثم قرأ (وما حدثت السموات والأرض
وما بينهما لا عيسى ما حملتها إلا . خف وانكسر كثرهم لا يفتون) حتى انتهى
إلى قوله (إنه هو المرر رحيم) وشبه شهفه صدق أنه قد عشي عليه . ثم قل .
يا ابن حسان . مات أول حيدر . ووشاك من نموت . فإمري حبة وبه إلى در ووات نوك
آدم . ومات أمك حواء . ومات نوح . ومات إبراهيم خليل الرحمن . ومات موسى حبي
الرحمن . ومات داود حبيبة الرحمن . ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى . وهو رسول
رب العالمين . ومات نوك حبيبة المسلمين . ومات عمر بن الخطاب حبي وصفي . ثم قل
يا عمرام . عمرام . قال ففت رحمتك الله إن عمر لم يأت . بل فقد بعد إلى ربي . ولعي إلى نفسي

ثم قال ، و أنت في الموتى كأنه قد كان ثم سبى على سبى صلى الله عليه وسلم ،
ثم دعا بدعوات حقيقت ، ثم من هذه وصيتي إياك بهر من حين كتاب الله ، وفتح الله لك
المؤمنين ، فقد نعت إلى نفسي ونفسك ، عليك بذكر الموت ، لا يهوى منك طريقة عين ما قريب
وأبذر قومك إذا رجعت إليهم ، والصبح لأمة جميعا ، وإياك أن تهرق الجماعة بيد شبر ،
فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار يوم القيامة ، ادع لي وانفسك ، ثم قال ، اللهم
إني هداير عمه أنه يحس بك ، وإني من أحدث معرفي وحبه في الجنة ، ودخله على في
دارك دار السلام ، واحفظه مادام في الدنيا ، حين كان ، ومنهم علمه صبيته ، ورصه من والده
بأمره ، وما أعصيه من أمره ، فسر ، وحمته ، أعصيه من نعمتك من
الشاكرين ، وأحره على خير طر ، ثم قل ستودعك الله بهر من حين كتاب ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته ، لا ترك مدالبوم رحمت الله تعالى ، وبني كرهة ، وكونه وحدة
أحب إلى ، إلى كثير اللهم ، شدد الله مع هؤلاء ليس مادمت حيا ، فلا تسأل على
ولا يصي ، واعلم أنك سبى على بل وإياك ولم ترى قد كرى ، وادع لي ، وبني سادرك
وأدعوك إن شاء الله ، انطلق أنت ههنا ، حتى أنطلق أنا ههنا ، فخرت أن أمشي معه
ساعة ، فاني على ، وفارقه ، مسكني وأركاني ، وحممت أنظر في فقهه ، حتى دخل بعص
اسكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك ، ثم وجدت أحدا يجترى عنه شيء ، رحمه الله وعمره
فبكدا كانت سيره ، الآخرة المعرضين عن الدين ، وقد عرفت مما سبق في بيان
الدنيا ، ومن سيرة الأئمة ، وأؤيد ، أن حد الدين كل ما نصبه الحصر ، وأقلته العراء ،
إلا ما كان لله عز وجل من ذلك ، وحد الدين الآخرة ، وهو كل ما أريده الله تعالى ، مما
يؤخذ قدر الصلوة من الدين ، لأجل قوة طاعة الله ، وذلك ليس من الدنيا ، وينبغي
هذا مثل ، وهو أن لحاح يد حطب أنه في طريق الحطب ، لا اشتعل بغير الحطب ، بل يتجرد له
ثم اشتعل بحفظ لراد ، وعنف الجمل وحرر لراوية ، وكله لا يباحج منه لم يحنث في يمينه
ولم يكن ، شمولاً بمر الحطب ، فكذلك البدن مركب النفس ، تقطع به مائة العمر ، فتعبد
البدن بما مقي به قوته على سلوك الصريق ناعم والعمل ، هو من الآخرة لا من الدنيا ،

أمر إذا قصد تعدد السرة وتعمه شيء من هذه الأسباب فكان حرقه من الآخرة وحشي على
عليه القدوة قال الصديقي كتب على باب بيته في مسجد الخرامسة بعد طرده
فسمعت في ليله الشبهة مدد وأن من أبقضه وأومده لأن من جحد من الدنيا فكأن
يحتاج إليه تعالى الله عن قبح هذا من حقيقة الدين في حقيقة ما عرفت ترشد به في حقيقة

بيان

حقيقة الدنيا في ما وأشد له في استغرقت هم الخلق حتى أنتمهم أنفسهم
وخالقهم ومصدرهم وموردتهم

اعلم أن الدنيا عذبة عن أعيان موجوده . إنسان فيها حظ ، وله في إصلاحها شغل .
فهذه الالة أمور مدحش في الدنيا عذبة عن آحادهم ، وليس كذلك

أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عذبة عنها . فهي الأرض وما عليها . قال الله تعالى
(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّلَّذِينَ فِيهَا لَنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ^(١)) فالأرض فراش
للأديين ، ومهاد ، ومسكن ، ومستقر . وما عليها لهم ، ليس ، ومطعم ، وشرب ، ومنكح
ويجمع ما على الأرض ثلاثة قسم : المدن ، والبلدات ، والحيوان . أما البساتين ، وبساتين الآدمي
الافتيات والندوى . وما المدن ، وبساتين ، آلات ولأولئك كالمحس والوصف .
ولاشك كالذهب والفضة ، وميراث من بقية . وما الحيوان . ينقسم إلى ثلث ،
واليهائم ، أهاليهم ، فيصنف من لحوم ، للكل . رزقهم هو المراكب والوفاء ، وليس
فقد يصط لا آدمي أن يملك ذلك من يستخدمهم . وبساتين حرقهم كالمحس ، ولأنهم
هم كالخواري والسموات . ويضرب ثلث القسم : البساتين ، والبساتين من البساتين ، كرم
وهو الذي يمر عنه بالجاه ، إذ معنى الحرام من ثلث القسم : البساتين ، والبساتين من البساتين ، كرم
عنها بالدنيا ، وقد حمد الله تعالى في قوله (رِزْقٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ^(٢))
وهذا من الإنس (وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالنَّصِيبُ ^(٣)) وهذا من الخوهر والمعادن
وفيه تشبه على غيرها من الآلات واليواييت وغيرها (وَخَيْرٌ الْمُسْتَوْدَعُ لَكَ ^(٤)) وهي

أعيان الدنيا
الموجودة بها

المياه والحجوات (واخرت^(١)) وهو البت والردع

[illegible]

وهذا النوع في البدن في سيرة حسنة وتقصده مثل الخاج الذي يقف في منازل
الغربى ولا يرتكب من سوء العادة ولا يمدد ولا يخطىء ولا يركب ولا يثيب ولا يحمل
إسماً من الأعاجيب ولا يخلط بالمالجى حتى تنفوته القصة وهو عاين عن الخاج وعن
ضرورة أهله وعن دناءة في الدار ورغبة في الخراج هو واهل الخاج المتبر لا يهمل من
أمر اهل إلا التمسك بقوى على المشى متعبه وفاته في السكينة والخاج وإغا
يقتضى في الدقة قدر الضرورة وكذلك السيرة في السفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن
بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء بالضرورة ولا فرق بين إدخال الصدم في البطن
وبين إخراجها من البطن في كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همت ما يدخل بطنه
وقيته خارج منه وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن حين تقوت ضرورى
ومن الممكن وأساس هون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وقصروا عليه
لم تستمر بهم شدة الدين وإغا السمر قته خيبره بالذبا وحكمه وخطوطه بها وانكهم

جهلوا وتعموا، وتناحت أشغال ألبس عليهم، واتصل بعضها بعض، وتداعبت في عرسهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال، وهو مقاصدها، ونحن نذكر تمصيل أشغال الدنيا، وكيفية حدوث الحاجة إليهم، وكيفية عطف الناس في مقاصدها، حتى نتضح لك أشغال الدنيا، وكيف صرفت الخلق عن الله تعالى، وكيف سلبهم عفة قلوبهم وقبورهم :

تمصيل اشغال
الدنيا

الأشغال الدنيوية هي الحرف، والفساد، والأعمال التي ترى الخلق منكسرين عليها وسبب كثرة الأشغال، هو أن الإنسان مضطرب إلى ثلاث، القوت، والمسكن، والملبس، فالقوت للعداء والبقاء، والملبس للدفء والبرد، والمسكن لدفء الحر والبرد، ولدفع أسبوت الهلاك عن الأهل والمال، ولم يخف الله القوت، والمسكن، والملبس، صبيحة حيث يستعني عن صفة الإنسان فيه، ثم حتى ذلك الباب، فإن لذلك يمدى الجوارح من غير طبع، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه، فيستغنى عن البذاء، ويقع بالصحراء، وليباسها شهورها وجلودها، يستعني عن اللباس، والإنسان ليس كذلك، فحدث الحاجة لذلك إلى خمس صناعات، هي أصول الصناعات، وأوائل الأشغال الدنيوية، وهي الملاحقة، والرعاية، والآفة، والحياكة، والنسج، أما النسج، فله مسكن، والحياكة وما يكسبه من أمر العمل والحياطة، فله ملبس، والملاحقة للمطعم، والرعاية للموتى، والحيل أفعال للمطعم والمركب، والآفة من هي به تحصيل حقه لله من صيد، أو معدن، أو وحشيش، أو حطب، والملاح يخصص السمات، والاربع يخصص الجوارح، والنسج، والمقتصد يحصل ما يفتت ويحرم منه من غير صنع آدمي، وكذلك يأخذ من معدن الأرض، حتى فيها من غير صنعة آدمي، وحتى بالآلة من ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة :

أصول
الصناعات

آلات
الصناعات

ثم هذه الصناعات تقتصر إلى أدوات وآلات، كالخياكة، والملاحقة، والنسج، والآلة من والآلات، عما يؤخذها من السمات وهو الأختاب، أو من المعدن كالحديد والبرص وغيرها، أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخرى من الصناعات، الحجر، والحداثة والحر، وهؤلاء هم عمل الآلات، وهي سبعا، كل عمل في الحطب كإيمان، والحداثة كل عامل في الحديد، وجواهر المعدن حتى النحاس والاربع وغيرها، وعرض ذكر الألباس، وما آخر الحرف فكثيره، وأما المزارع، فهي به كل عمل في - نوع الجوارح وأخرها -

الليل والليل في الأسرار مرض عبيد ، وصديهم ، جمع المال الذي تكافأ له عنه ه
بما قاصع حريق ، وإما سلطان طام ، ولكن حين الله تعالى في عمتهم وجرم طاماً للملاد
وهو صفة للعبد من جميع أمور يدي تصبأ منه وحسنة طمة ولوعقن الحسن ورتعت همهم
زهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك ، انصابت معيشتهم ولو صلبوا كوك ، ولطفت الزهد أديت
ثم هذه الأمور التي سفل لا يقدر الناس على جمعها ، فتحتاج إلى دواب تحمّلها

وهذه الدواب
إلى القدر

وصاحب المال قد لا يكون له دابة ، فتحدث معاملة ، وبين مالك الدابة تسمى
الإجارة . وبصير السكران نوعان إلا كتاب أيضاً . ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة
إلى المتبذرين ، فمن من يريد أن يشري طعم ما ثوب . ثم أين يدري المقدار الذي يساويه
من الضمام كهمو والمهنة عري في حارس محفظة ، كما عثوب اضمه وحيوان
شوب وهذه أمور لا تنسب ، فبما من حاكم عند وسطا بين الله بين . ثم من
أحدهم الآخر ، فيصيب ذلك العدل من ثوب الأموال ، ثم يحتاج إلى مال بحلول بقوه
لأن الحاجة إليه تدوم وفي الأموال معدن ، فحسب القود من الذهب ، والفضة .
والحاسن ثم مست الحاجة إلى الصبر ، والفتش ، والتقدير . فمست الحاجة إلى دار الصبر
والصيارفة ؛ وهكذا تتدأب لأشمل والأشمل معدي ، حتى تترتب إلى . تراهم

كأنه ينشأ
فطاع بطرقة
والصبر
والصبر

فهذه أشمل الحلق ، وهي معشيرة وثى ، من هذه الحرف لا يتكلم . شره إلا نوع
تعلم وتعب في الاتداء . وفي الماني من يعقل عن ذلك في الصفة فلا شتمه ، أو يثمه
عنه ما ع ، فيبقى عاجراً عن لا كنه ، أمحره عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما
يسمى فيه غيره ، فحدث منه حرفان حسبيته ، بالصوعية ، والكذبة ، فجمعهما أنهما
ياكلان من سمى غيرهم . ثم الله من خبرون من اللصوص والمكدين ، ويحفظون عنهم
موالهم ، فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنصاح الجبن والتدابر مما للصوص . فثمهم
من يطلب عموماً ، ويكون في يديه شوكة وقوة . فيجتمعون وينسكثرون ، ويقصمون
الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الصنف منهم ، فيهرعون إلى التحيل ، إما بقلب
أو بالنسق عند سهر فرصة العفلة . وإما بأن يكون صرا أو سلالاً ، في غير ذلك من أنواع
التلصص . البعدنة بحسب ما تتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها

وجهة نظر
أقسام
الشهوات

وذلك كسب الحوائى . فهو سرف لا يجمع إلا شوب وطائفة أخرى رعموا
أنهم تعطنوا الأمر ، وأنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يقتنع في الدنيا ، بل
السعادة في أن يقضي ونزه من شهوة الدني ، وهى شهوة النقص والفرح ، وهؤلاء سوا
أقسامهم ، وصرفهم همهم إلى أربع الدنوس . وجمع لذائد الأنظمة . يأنسون كما أكل
الأمة . ويطلبون شهوة دلو ذلك فقد ذكر كوا عية السعادة . فشمعهم ذلك عن التمتع إلى
وعن اليوم الآخر . وصائفة طلوب أن السعادة في كثرة المال ، والاسم ، بكثرة الكسب .

وجهة نظر
بما معنى المال

فأسهروا ألبهم ، وأمسوا سهرهم في جمع ما يجمعهم في لذة طوب الألب والبر ،
ونرددون في الأعمال أشده ، ويكنسون ويجمعون . ولا أكلون ولا يمدن انصروا .
وتحلا عليهم أن تقص ، وهذه لذتهم . وفي ذلك دأبهم وحركاتهم . إلى أن يتركهم الموت في
تحت الأرض أو يظهره من يأكله في الشهوات والذات ، فيكون ناج مع نمة ووبلا ،
والآكل لذته . ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة طنبوا

وجهة نظر
عباد الطاعة

أن السعادة في حسن الاسم . واصداق الألفة . وسدح النجمل والبروة . وهؤلاء
يتبعون في كسب المعاش ، وحقيقون على أنفسهم في المنظم واشرب ، ويصرفون جميع
مالهم إلى اللباس الحسة ، والدواب الميصة ويرحرفون أبواب الدور ، وما يجمع عيش
أبصار الناس ، حتى ينال به عى ، ووجه دروز . وضون أن ذلك هى السعادة فهمتهم

وجهة نظر
عباد الجاه

في سائرهم والجاه في تهمد ، ومع نظر الناس . وطائفة أخرى صواب السعادة في الجاه
والكرامة بين الناس ، والتعبد الخلق ، تواضع والتوقير ، وفصرفهم إلى استعجال الناس
إلى الطاعة أصاب الأولات . وتقلد الأعمال السعيدة ، يسعد خبرهم بها . على طائفة من
الناس . ويرون أنهم إذا تسعت ولائهم ، واقعدت هم رعاه . فقد سعدوا به ذعظيمة
وأن ذلك عاية أصاب . وهذا أعاب الشهوات على قلوب انه فبين من الناس . وهؤلاء أشعهم
حب تواضع الناس لهم عن الواسع لله . وعن عبده . وعن المكسر في آخرتهم ومعهم

ووراء هؤلاء طوائف يحول حصرها ، يريد على بيع وسبعين مرفقة ، كما به يد صلوا
وأصلوا عن سواء السبيل . وإلى حرم إلى جميع ذلك حدة المنضم والنفس ومسكن ،
وسوا ما ترادله هذه الأمور الثلاثة ، والقدر الذى يكفى لهم ، وواحررت سوا أولئ ساسها
إلى أواخرها ، وتداعى بهم ذلك إلى ما هو لم ينكبه الرقى .

من عرف وجهه لحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال ، وعرف غاية المقصود منها .
ولا يحوط في شغل وحرفة وعمل ، إلا وهو عالم بمقصوده . وعالم بحضه ونصيبه منه ،
ون غاية مقصوده تمهيداً له بالقوت والكسوة حتى لا يهلك . وذلك إن سلك فيه سبيل
التقيل ، دفعت لأشغال عنه . وخرج القلب ، وغلب عليه ذكر الآخرة ، وانصرفت الهمة
إلى الاستعداد له . وإن تمضى به قدر الضرورة . كثرت الأشغال ، وتداعى البعض إلى البعض
وتسلسل إلى غير نهاية ، فاشتب به الهموم . ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا ،
فلا يلقى الله في أي ودعة ، ككسبه . فهذا شأن المهملين في أشغال الدنيا .

المتعبون
يقولون أنفسهم

ومنه لذلك ما نرى من سوء عباد الله ، بخسده الشيطان ، وإغترافهم . وأنهم في الإغراض
أبداً ، حتى يشتموا على طوائف ، فصارت طائفة من الدنيا دار بلاء ومحبة ، والآخرة دار
سعادة لكل من وصل إليها ، سواء تعب في الدنيا أو لم يتعب ، فرأوا أن الصواب في أن
تكون أنفسهم ، خارجين من تعب الدنيا ، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهدى ،
فهم يطمعون على الدورية بغير تعب ، فيضنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا .

بعض أسباب
الافلاس

وكان طائفة أخرى من الناس ، لا يدركون إمامة الصفات البشرية
وقطعوا عن النفس ، سكينة . ونالوا السهولة في قطع الشهوة والمضغ . ثم أقبلوا على المجاهدة
وشددوا على أنفسهم ، حتى هلك منهم شدة الرقة ، وعجزهم عن مدقة لهوهم ، وعجزهم
مرحى واستدعاهم في المعرفة . ومنهم عجز عن جمع الصفات بالكتابة ، فظن أن
ما كلفه الشرع محال ، وأن الشرع ليس لأحد له . فوقع في الإلحاد . وظهر لبعضهم
أن هذا التعب كله لله ، وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد . لا يتقصه عصىان عاص ،
ولا تزيد عبادة متعبين . فعدوا إلى الشهوات ، وسلكوا مسلك الإباحة ، وطأوا مسط
الشرع والأحكام . ورمحوا بذلك من صدقوا به ، حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد .

المخدوعون

ومن طائفة من المقصود من المذات المحمودة ، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله
تعالى ، وقد حصلت المعرفة وقد وصل . وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيطة ، فتركوا
السمي والعبادة ورمحوا الله أربع توبة في معرفة الله سبحانه عن شغلهم بالتسكليف ،
وبالتكليف على عوام الخلق ووراء عدد مدامهم ، وبصلاوات هائلة ، تطول إحصاؤها
إلى ما يبلغ ألف وسبعين فرقة . وهذا الدجى منها فرقة واحدة ، وهي السلكة ما كان عليه

انظر في انجيل

فهرست الجزء التاسع

رقم الصفحة	رقم الصفحة من الجزء	الموضوع
٣	١٥٥٦	روايات - الخوض في الباطل
٤	١٥٥٨	حشر - كلمة في ...
٥	١٥٥٨	الوقت - ...
٦	١٥٦٠	ماورد في ذم الراية والجدال
٧	١٥٦١	... في ...
٨	١٥٦٢	الوقت - ...
٩	١٥٦٣	... في ...
١٠	١٥٦٤	الحصان مبدأ الشرور
١١	١٥٦٥	الوقت - ...
١٢	١٥٦٦	ماورد في التشويق والتعص
١٣	١٥٦٦	في محمد بن ...
١٤	١٥٦٨	الوقت - ...
١٥	١٥٦٩	حد المحش - كيف يتحدث التأديب
١٦	١٥٧٠	... في ...
١٧	١٥٧١	... في ...
١٨	١٥٧٢	... في ...
١٩	١٥٧٣	خطر رمي المسلم بالكفر أو الفسق
٢٠	١٥٧٤	... في ...
٢١	١٥٧٥	... في ...
٢٢	١٥٧٦	... في ...
٢٣	١٥٧٧	... في ...
٢٤	١٥٧٨	... في ...
٢٥	١٥٧٩	... في ...
٢٦	١٥٨٠	... في ...
٢٧	١٥٨١	... في ...
٢٨	١٥٨٢	... في ...
٢٩	١٥٨٣	... في ...
٣٠	١٥٨٤	... في ...
٣١	١٥٨٥	... في ...
٣٢	١٥٨٦	... في ...
٣٣	١٥٨٧	... في ...
٣٤	١٥٨٨	... في ...
٣٥	١٥٨٩	... في ...
٣٦	١٥٩٠	... في ...
٣٧	١٥٩١	... في ...
٣٨	١٥٩٢	... في ...
٣٩	١٥٩٣	... في ...
٤٠	١٥٩٤	... في ...
٤١	١٥٩٥	... في ...
٤٢	١٥٩٦	... في ...
٤٣	١٥٩٧	... في ...
٤٤	١٥٩٨	... في ...
٤٥	١٥٩٩	... في ...
٤٦	١٦٠٠	... في ...
٤٧	١٦٠١	... في ...
٤٨	١٦٠٢	... في ...
٤٩	١٦٠٣	... في ...
٥٠	١٦٠٤	... في ...

رقم الصفحة ورقم	من الجزء مسائل	من الجزء مسائل
١٦٠٦٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٦٩/١١٥ دليل حوار الرد على الشافعي
١٦٠٧٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٧٠/١١٦ دوحات الناس في العصب
١٦٠٨٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٧١/١١٧ القول في معنى الحسد و... و... و...
١٦٠٩٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٧٢/١١٨ الأعراس - العبة - الاستبراء - الأيذاء
١٦١٠٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٧٣/١١٩ أنقضاء الحسد و... و...
١٦١١٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٧٤/١٢٠ الآثار في فصل العود
١٦١٢٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٧٥/١٢١ الحسد في فصل النفس
١٦١٣٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٧٦/١٢٢ الآثار الواردة في الرافق
١٦١٤٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٧٧/١٢٣ الحسد في فصل النفس
١٦١٥٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٧٨/١٢٤ الحسد في فصل النفس
١٦١٦٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٧٩/١٢٥ الحسد في فصل النفس
١٦١٧٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٨٠/١٢٦ الحسد في فصل النفس
١٦١٨٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٨١/١٢٧ الحسد في فصل النفس
١٦١٩٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٨٢/١٢٨ الحسد في فصل النفس
١٦٢٠٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٨٣/١٢٩ الحسد في فصل النفس
١٦٢١٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٨٤/١٣٠ الحسد في فصل النفس
١٦٢٢٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٨٥/١٣١ الحسد في فصل النفس
١٦٢٣٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٨٦/١٣٢ الحسد في فصل النفس
١٦٢٤٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٨٧/١٣٣ الحسد في فصل النفس
١٦٢٥٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٨٨/١٣٤ الحسد في فصل النفس
١٦٢٦٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٨٩/١٣٥ الحسد في فصل النفس
١٦٢٧٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٩٠/١٣٦ الحسد في فصل النفس
١٦٢٨٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٩١/١٣٧ الحسد في فصل النفس
١٦٢٩٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٩٢/١٣٨ الحسد في فصل النفس
١٦٣٠٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٩٣/١٣٩ الحسد في فصل النفس
١٦٣١٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٩٤/١٤٠ الحسد في فصل النفس
١٦٣٢٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٩٥/١٤١ الحسد في فصل النفس
١٦٣٣٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٩٦/١٤٢ الحسد في فصل النفس
١٦٣٤٩٣	مكة تكوّن الجسم تنقضي فتاؤه	١٦٩٧/١٤٣ الحسد في فصل النفس
١٦٣٥٩٣	أسباب الخارحة عن الجسم التي يهلك منها	١٦٩٨/١٤٤ الحسد في فصل النفس

لجنة
نشر الفتاوى الإسلامية
بدار جمعية الجهاد الإسلامي

أَحْيَاءُ الْعَالَمِ الدِّينِيِّ

للإمام أبي حنيفة النعمان

الجزء العشرة

مضاف إليه
تخريج الحافظ المراق

كِتَابُ فَرْحِ الْبَيْتِ وَفَرْحِ الْغَيْبِ

كتاب فروع الفهم وزخرف البرهان

وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات

من كتب إحياء علوم الدين

بسم الرحمن الرحيم

أحمد لله مستوحى الحمد بريقه المذوق ، وكاشف الصرمد القوط . الذي حقق الخلق
ووسع الرق ، ونقص على المدين شرف الأموال . وبإلاعقها بتقلب لأحوال ،
ورددتهم فيها بين العسر واليسر . والى والفقر . والطمع واليأس ، والثروة والإفلاس .
والعجز والاستقامة ، والحرص والاعانة ، والمجن والحود ، والفرح بالموحود ، والأسف
على المفقود . والإيثار والإيق ، والتوسع والإلاق . والسذير والمقنير ، والرضا بالقليل
واستحقار الكثير . كل ذلك لم يوهبهم أحسن عملا . ويصير أيهم آثر الدنيا على الآخرة
بدلا . وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا . وخذ الدنيا دجيرة وحولا

والصلاة على محمد الذي سيج تنه . ولا . وصوى شريعته أدا . وتحلا ، وعلى آله وأصحابه

الذين سلكوا سبيل ربهم دالا ، وسلم نسبهم كثيرا

أما بعد . فإن من الدنيا كثرة الشمت والأطراف . واسعة لأرجاء والأكفاف
ولكن الأموال أعظم منها ، ونظم محم . وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ، ثم
إذا وجدت فلا سلامة منها . فإن فقد مال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا
وإن وجد حصل منه الطمع الذي لا يكون عمة أمره إلا حمرا . وابتغى من لا تحب من
الهوائ والآفات . وهوائها من الحديث ، وآدم من الله . كات ، وتبهر خبرها عن شرها
من المعوصات التي لا تقوى . بها . لا دورا . في الدين ، من العلماء لراسخين دون
المتوسمين المعبرين . وشرح ذلك . على لأعداد . من . ذكرناه في كتاب دم الدنيا لم يكن
بظرافى المال خاصة . بل في الدنيا عامة . إذ الدنيا كل حظ عاجل ، والمال بعض
أجزاء الدنيا ، والحام منها . واتباع شهوة النفس والفرح بعصها . وتضييع العبط بحكم

العصب والجسد معصاهما والسكينة وحسب العو مصها، ولهذا من كثرة . ويجمعها كل ما كان إلا - فيه خط عاجل . وخطر ، لأن في هذا الكتاب في المال وحده ، إذ فيه آفات وعوائق ، ولا يسان من فحده صفة فقر ، ومن وجوده وصف العي . وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والأمنع . ثم لاء قد حان ، القناعة والحرص ، وإحدهما مذمومة والأخرى محمودة . وللعرض حال ، طمع من في أيدي الناس . وتشير للحرف والاصطاعات مع اليأس عن الحق والطمع شر حاتين . والواحد حالتان ، إما التحكم البذل والشح ، وإمافاق وإحدهما مذمومة ، والأخرى محمودة . والله في حالتان . تنذير ، واقتصاد . والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة ، وكشف الغطاء عن الفموض فيها مهم

ونحن شرح ذلك في أربعة عشر فصلاً . الله تعالى وهو يدين دم المال . ثم مدحه ثم نصيب فوائد المال وآفاته ، ثم دم الحرص والطمع ، ثم علاج الحرص والصمغ ، ثم فضيلة السخاء ، ثم حكايات الأسجد . ثم دم البذل ، ثم حكايات البذل ، ثم الإيثار وفصله . ثم حذو السخاء والبذل ، ثم علاج المحس . ثم مجموع القول في هذا . ثم مدح الفقر إن شاء الله تعالى

بيان دم المال وكرامة حه

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَمْلِكُوا نَافِلَتَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (١) وقال تعالى (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ خِزْيٌ عَظِيمٌ) (٢) من احتار ماله وولده على ما عهد الله ، فقد خسروا من خسرا عظيماء . وذل عرواح (من كان يريد الحياة الدنيا ويأس) (٣) الآية وقال تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافٍ) (٤) لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقال تعالى (أَلَمْ تَكُنْ مِنْ الْكَاثِرِينَ) (٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحبُّ الناس إليَّ وأشرُّهم " (٦) في القلب كما

(١) كتاب دم أهل بيت

(٢) حيث حبس ولده ، من كان في بيت المال البخل يتم أحده هذا اللغو وذكره
وهو مدح السخاء والبذل

(٣) المملوك : ٩ (٤) النفاق : ١٥ (٥) هود : ١٥ (٦) الملقى : ٦ ، ٧ (٧) الزكوة : ١٠

الروايات الواردة في زعم المال

يُنْبِتُ الْمَاءُ أَنْفَقَ «وقال صلى الله عليه وسلم» «مَدَّ يَدَايَ صَارِيَانِ صَارِيَانِ فِي زُرِّيَّةٍ عَلَيْهِمُ» كَثُرَ
إِفْسَادًا فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَدِّ وَالْحَدِّ فِي دِينِ الرَّحْلِ مُنْجَمًا «وقال صلى الله عليه وسلم»
(١) «هَلَاكُ الْمُكْتَنُونَ إِلَّا مَنْ قَنِيَ فِي عِنْدِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَفَقَدْ مَاتَهُمْ» (٢)
وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ أُمَّتِكَ شَرٌّ؟ قَالَ «الْأَخْيَرُ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَسَيَأْتِي
تَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ أَطْيَابَ الدُّنْيَا وَيَرْكَبُونَ فُرُجَ الْخُسِّ وَأَتْوَاهَا وَيَتَكَلَّبُونَ
أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَأَتْوَاهَا وَيَتَسَوَّوْنَ نَحْمَ الشَّيْبِ وَأَتْوَاهَا لَهْفَةُ نَحْوٍ مِنْ أَتْمِيلٍ لَا تَسْمَعُ
وَأَتْمَسُّنَ بِالْكَثِيرِ لَا تَسْمَعُ» كَقَوْلِهِ عَلَى «لَا يَحْذَرُونَ وَزَوْجُونَ بِأَتْمَسِّ حَذَرِهَا أَهْلُهُ مِنْ
دُونِ إِيَّاهُمْ وَرَبَّ دُونِ رَبِّهَا إِلَى مَرْهَةِ نَهْيٍ وَهُوَ أَتْمَسُّ يَتَمَلَّوْنَ» فَعَرِيقَةُ مَنْ تَحْمَدُ
عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ ذَرَكَهُ ذَلِكَ لِمَنْ مِنْ حَتَبِ عَيْسَى وَحَتَبِ حَكِيمٍ لَنْ لَا يُسَيِّدَ عِيْثَهُمْ
وَلَا يَعُودَ مَرْبَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُ حَارِثَهُمْ وَلَا يُؤَدُّ كَقَوْلِهِمْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْبَى عَلَى

(١) حدثنا ما شاء صاريان صاريان في زُرِّيَّةٍ عَلَيْهِمُ «مَدَّ يَدَايَ صَارِيَانِ صَارِيَانِ فِي زُرِّيَّةٍ عَلَيْهِمُ» كَثُرَ
إِفْسَادًا فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَدِّ وَالْحَدِّ فِي دِينِ الرَّحْلِ مُنْجَمًا «وقال صلى الله عليه وسلم»
وهو عولاني زُرِّيَّةٍ وَهَذَا لِيَرْفَعَهُ عَنْ حَتَبِ عَيْسَى وَحَتَبِ حَكِيمٍ لَنْ لَا يُسَيِّدَ عِيْثَهُمْ
من حديث أبي سعيد ما دثبان صاريان في زُرِّيَّةٍ عَلَيْهِمُ «مَدَّ يَدَايَ صَارِيَانِ صَارِيَانِ فِي زُرِّيَّةٍ عَلَيْهِمُ»
صاريان حاشان واسناد الطبراني فيها ضعيف

(٢) حدثنا هذا لا كَثُرَ لَمْ يَنْقُلْ فِي حَرْفِهِ هَكَذَا وَهَكَذَا «حدثنا الطبراني من حديث
عبد الرحمن بن أبي عمير عن أبي بصير عن عبد الله بن عمرو عن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي بصير
عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير
قَالَ هُمْ إِلَّا كَثُرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا - الحديث :

(٣) حديث قبل يارسول الله أَيُّ أُمَّتِكَ شَرٌّ؟ قَالَ «الْأَخْيَرُ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَسَيَأْتِي
تَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ أَطْيَابَ الدُّنْيَا وَيَرْكَبُونَ فُرُجَ الْخُسِّ وَأَتْوَاهَا وَيَتَكَلَّبُونَ أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَأَتْوَاهَا
يَتَسَوَّوْنَ نَحْمَ الشَّيْبِ وَأَتْوَاهَا لَهْفَةُ نَحْوٍ مِنْ أَتْمِيلٍ لَا تَسْمَعُ وَاتْمَسُّنَ بِالْكَثِيرِ لَا تَسْمَعُ»
وهو عولاني زُرِّيَّةٍ وَهَذَا لِيَرْفَعَهُ عَنْ حَتَبِ عَيْسَى وَحَتَبِ حَكِيمٍ لَنْ لَا يُسَيِّدَ عِيْثَهُمْ
أَتْمَسُّنَ بِالْكَثِيرِ لَا تَسْمَعُ» كَقَوْلِهِ عَلَى «لَا يَحْذَرُونَ وَزَوْجُونَ بِأَتْمَسِّ حَذَرِهَا أَهْلُهُ مِنْ
دُونِ إِيَّاهُمْ وَرَبَّ دُونِ رَبِّهَا إِلَى مَرْهَةِ نَهْيٍ وَهُوَ أَتْمَسُّ يَتَمَلَّوْنَ» فَعَرِيقَةُ مَنْ تَحْمَدُ
عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ ذَرَكَهُ ذَلِكَ لِمَنْ مِنْ حَتَبِ عَيْسَى وَحَتَبِ حَكِيمٍ لَنْ لَا يُسَيِّدَ عِيْثَهُمْ
وَلَا يَعُودَ مَرْبَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُ حَارِثَهُمْ وَلَا يُؤَدُّ كَقَوْلِهِمْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْبَى عَلَى

(٤) حديث سَأَلَنِي تَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ أَطْيَابَ الدُّنْيَا وَيَرْكَبُونَ فُرُجَ الْخُسِّ وَأَتْوَاهَا وَيَتَكَلَّبُونَ
أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَأَتْوَاهَا وَيَتَسَوَّوْنَ نَحْمَ الشَّيْبِ وَأَتْوَاهَا لَهْفَةُ نَحْوٍ مِنْ أَتْمِيلٍ لَا تَسْمَعُ
وَاتْمَسُّنَ بِالْكَثِيرِ لَا تَسْمَعُ» كَقَوْلِهِ عَلَى «لَا يَحْذَرُونَ وَزَوْجُونَ بِأَتْمَسِّ حَذَرِهَا أَهْلُهُ مِنْ
دُونِ إِيَّاهُمْ وَرَبَّ دُونِ رَبِّهَا إِلَى مَرْهَةِ نَهْيٍ وَهُوَ أَتْمَسُّ يَتَمَلَّوْنَ» فَعَرِيقَةُ مَنْ تَحْمَدُ
عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ ذَرَكَهُ ذَلِكَ لِمَنْ مِنْ حَتَبِ عَيْسَى وَحَتَبِ حَكِيمٍ لَنْ لَا يُسَيِّدَ عِيْثَهُمْ
وَلَا يَعُودَ مَرْبَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُ حَارِثَهُمْ وَلَا يُؤَدُّ كَقَوْلِهِمْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْبَى عَلَى

كَمَا تَكْفَأُ بِهِ الصَّرَاطُ قَالَ أُمَامَةُ وَبُنَاتٌ لَا أَذِيبُ حَقَّ اللَّهِ فِي هَذَا رَأَى كَذَلِكَ حَتَّى
يَذْعُو مَأُونِي وَالْجُورُ « وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ رَهْدٍ وَالْفَقْرِ - فِي دَمِ الْعَمَى وَمَدْحِ
الْفَقْرِ ، يَرْجِعُ جَمِيعَهُ إِلَى دَمِ الْمَالِ ، وَلَا يَطُولُ تَكَرُّرُهُ . وَكَذَا كُلُّ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي دَمِ الدُّنْيَا
فَيَتَأَوَّلُ دَمَ الْمَالِ بِحُكْمِ الْعُمُومِ . لِأَنَّ الْمَالَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الدُّنْيَا . وَإِنَّا ذَكَرْنَا الْآنَ مَا وَرَدَ فِي
الْمَالِ خَاصَّةً . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ مَاتَ مَالُهُ مَعَهُ » وَفِي
النَّاسِ مَا حَلَفَ « وَفِي مَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَحْدُوا الْعَتَمَةَ فَتَحْدُوا الدُّنْيَا »

الأنوار الواردة
في ذم المال

الْآنَارُ رَوَى أَنَّ رَحْلًا مَرَّ بِأَيِّ الدَّرْدَاءِ . وَأَرَاهُ سَوَاءً ، فَقَالَ لِحَمٍّ مَنِ فَقَلَ بِي سَوَاءً
فَأَصْبَحَ جَسَمُهُ ، وَأَطْلَعَ عَمْرُهُ . وَأَكْتَرَهُ لَهُ فَحَضَرَ كَيْفَ رَأَى كَثْرَةَ الْمَالِ عَلَيْهِ لَمَلًا ، مَعَ
صَحْبَةِ الْحَسَمِ وَطُولِ الْعَمْرِ ، لِأَنَّهُ لَا دُونََ يَفْضِي إِلَى الطَّعِينِ . وَوَصَّعَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَحَبِّهِ
دَرَاهِمًا عَلَى كَرَمِهِ . ثُمَّ دَلَّ أَمَّا إِلَيْكَ مَا لَمْ تَوْرَحْ عَنِّي لَا تَسْمَعَنِي . وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
أَرْسَلَ إِلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ لِعَطْفِهَا . فَقَالَتْ مَا هَذَا ؟ وَلَوْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ عُمَرُ مِنَ الْخَطَابِ
قَالَتْ عُمَرَ اللَّهُ ثُمَّ سَأَلَتْ سَتَرَ كَأَنَّهَا ، فَطَعَمَتْهُ وَجَعَلَتْهُ صَرْدًا ، وَقَسَمَتْهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهَا
وَرَحْمَتِهَا وَأَيَّتِهَا ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَهَاتَتْ . لِحَمٍّ لَا يَذْكُرُ كَيْ عَطَا عُمَرَ بَعْدَ عَامِي هَذَا . فَكَانَتْ
أُولَى نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُوفَا بِهِ

وَقَالَ الْحَسَنُ ، وَاللَّهُ مَا عَرِ الدَّرَاهِمُ أَحَدٌ إِلَّا أَدْلَهُ اللَّهُ . وَقَبِلَ إِنْ أُولَى مَا عَسِرَ الْبَدِيَارُ وَالْدَّرَاهِمُ
رَفَعَهَا إِبْنُ نَبِيَسَ . ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى حَبِيبَتِهِ . ثُمَّ فَلَمَّا وَقَالَ . مَنْ أَحْمَكُ مَعَهُ عَبْدِي حَقًّا وَقَالَ
صَمِيطُ بْنُ عَجْلَانَ . إِنْ الدَّرَاهِمُ وَالْأَرْمَةُ الْمُسْقِيَةُ ، يَقَادُونَ بِهَا فِي الدَّر . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ
مَعَادٍ الدَّرَاهِمُ عَقْرَبُ ، فَإِنْ لَمْ تَحْسَنْ رَقِيقَتَهُ فَلَا أَحَدَهُ ، وَإِلَّا هَذَا لَدَعَا قَتْلَكَ سَمَهُ . قَبِلَ وَمَارِ قِيَّتَهُ ؟
قَالَ أَخَذَهُ مِنْ حُلِهِ . وَوَسَعَهُ فِي حَقِّهِ . وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ رَهْدٍ ، تَمَنَّتْ لِي الدُّنْيَا وَعَلَيْهَا مِنْ
كُلِّ رِيَّةٍ ، فَقَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شِرْكِكَ . فَقَالَتْ إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَعْبُدَكَ اللَّهُ مَعِي . فَأَخْضَ الدَّرَاهِمُ
وَالْبَدِيَارُ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّرَاهِمَ وَالْبَدِيَارَ هُمَا الدُّنْيَا كُلُّهَا ، وَذِي تَوَصَّلَ بِهَا إِلَى جَمِيعِ أَصْنَافِهَا مِنْ
صَبْرٍ عَنْهَا صَبْرٌ عَنِ الدُّنْيَا وَفِي ذَلِكَ قِيلَ

(١) حَدِيثُ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ مَاتَ مَالُهُ مَعَهُ . حَدِيثُ « وَفِي النَّاسِ مَا حَلَفَ » وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
يَبْلُغُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آدَابِ الصَّحْبَةِ

(٢) حَدِيثُ لَا تَحْدُوا صَبْرًا مَحْبُورًا . التِّرْمِذِيُّ وَحَاكِمٌ وَصَحَّحَ سَادَةُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ وَبَنِي قَتْرِبُونٍ

إني وجدت فلا تظنوا غيره
 أن التورع عند هذا الدرهم
 فإذا مدرت عليه ثم تركته
 فأعلم بأن تقالك تقوى المسلم
 وفي ذلك قيل أيضا

لا يفرنك من المر في قيص رقعته
 وإر موق عصيه ساق منه رقعته
 وحس لاح فيه أثر قد خلعه
 له الدرهم تعرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته
 فقال يا أمير المؤمنين، صمت صمتا، فبصره فوجدته بكركب ولدت أسلم لهم درهم
 ولا دينار، وكان له ثلاثة عشر من الولد، فقال عمر، ثم دعوني، فأمدوه فقال، أما قولك
 لم أدع لهم دينارا ولا درهما، فإني لم تمنهم حقه لهم، ولم أعظم حقهم لهم، وإما ولدي
 أحمد رحمن، بما مضى لله فله كافي، والله يولي العادلين وإياهم الله، فلا أنالي على ما وقع
 وروى أن محمد بن كعب القرظي كتب ما لا أكثرا، فقبل له لو أذخرته لوندت من بعدك
 قال لا، ولكني أذخره أسمى عدلي، وأذخره لولي أولدي، وروى أن خلافا لابي عبدربه
 بأنني، لا تذهب بشر وتترك ولادك بخير، فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة
 ألف درهم، وقال يحيى بن معاذ، مصيبتك لم سمع الأولون والآخرون تنالها للعبد في له
 عند موته، قيل وبه هي، قال يؤخذ منه كله، وبسان عنه كله

بيان

مدح المال والجمع بينه وبين النعم

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز، فقال حل وعز
 (إن ترك خيرا) الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) "يُحِبُّ الْمَالُ الصَّالِحُ"

(١) حديث عم ابن الصالح لا حين الصالح، أحمد والطبراني في الكبير وذاؤد من حديث عمرو بن العاص
 بسند صحيح يلفظ نعمنا وقال الله

من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم أي من قطعته ذات عن الله تعالى . وعن أداء حقه . فهو
كعابد صنم وهو شرك . إلا أن الشرك شركان . شرك حتى لا يؤحب الخلود في النار ، وإنما
يعكس عنه المؤمن . فإنه حتى مرداب النمل . وشرك حتى يؤحب الخلود في النار . وهو دأبهم من الجميع

بيان

تفصيل آيات المال وهو ثمة

اعلم أن المال على حية فيها سم وتريق . فهو ثمة تراقه ، وغوائله سمومه . فمن عرف
غوائله وفوائده ، أمكنه أن ينجو من شره ، ويبعد من حبه .

أما الفوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودنية . أما الدنيوية ، فلا حاجة إلى ذكرها ، فإن
معرفة مشهوره . مشرکه بن آدم . فالحاق . ولولا ذلك لم يتم الكوا على طلبها
وأما الدينية ، فتتضمن جميع . في ثلاثة أنواع

فوائد المال
الدينية

النوع الأول . أن يحق على عبده ، ما في عبده . أو في الاستعانة به على عباده . أما في
العبادة ، فهو كالاستعانة به على الحج والعمرة . به لا توسل ، اللهم لا مال ، وهو من
أهميات القربات . والمقرب محروم من فوائدها . وأما ما في قلوب عباده ، فذلك هو المطعم
والمسكن . والمسكن ، والمسكن . ومسرورات المعيشة . فإن هذه الحاجات إذا لم تنس ، كل
القلب مصروفها إلى تدبيرها . ولا يترغ الدين . ولا يوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة
فأحد السكينة من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين . من الفوائد الدينية . ولا يدخل في
هذا التمتع والزيادة على الحاجة ، فإن ذلك من حضور الدنيا فقط

الاستعانة به
على العبادة

النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس . وهو أربعة أقسام : الصدقة ، والمروءة ، ووقاية
العرض ، وأجرة الاستخدام . أما الصدقة ، فلا يخفى ثوابها ، وإنها تنطق غضب الرب
تعالى ، وقد ذكرنا فضيلتها فيما تقدم . وأما المروءة : فهي ما صرف المال إلى الأغنياء
والأشراف . في صياغة ، وهدية ، وإمارة ، وما غري غيرها ، فإن هذه لا تسمى صدقة .
بل الصدقة ما يسلم إلى المحسح . إلا أن هذا من الفوائد الدينية . إذ به يكتسب المد الإحسان
والأصدقاء ، وبه يكتسب معه الصفاء ، ويتحقق رحمة الأصحاب ، ولا يوصف بالخلود

الصدقة
المروءة

إلا من استطاع إمداد ، وسلك سبيل المروءة والقدرة . وهذا أخص ما يعظم الثواب فيه .
فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا ، وأصبر ، وإمداد الطعام ، من غير اشتراط الفقر
والفاقة في مصادرها . وأما وقاية العرض . فمعنى به بدل ما يدفع به نحو الشراء وثب
السفهاء ، وقطع ألسنتهم . ودفع شرهم . وهو أيضا مع . مجرد تدته في العاجلة ، من الحظوظ
الدينية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يوفى به امرؤ عرضه كُتب له به صدقة »
وكيف لا وفيه مع المعاتب عن معصية العيبة . وإحراز عما يشور من كلامه من العداوة ،
التي تحمى في الكفاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة

وقاية العرض

الاستعداد

وأما الاستعداد . فهو أن لا يعمل إلى محتاج إليها إلا ما له من أسبابه كثيرة . ولو
تولاه نفسه صاعدا أو فاقه ، وأمدد عليه سأل . بل الآخرة بالذكر والذكر . الذي هو
أعلى مقامات السالكين . ومن لا مال له فيقتدر إلى أن يتولى نفسه خدمة نفسه . من شراء
الطعام ، وطحنه ، وكبس البهت ، حتى يبيع الكتاب الذي يحتاج إليه . وكل ما يتصور
أن يقوم به غيره ، ويعمل به عرسا . فبأنه محبوب إذ اشتتات به . إذ عليك من العلم
والعمل . ولذكر وتفكر ، مما لا يتصور أن يقوم به غيره ، فتصبر لوقت في غيره حسران
الدواعي . ثلث مالا يصرفه في . من مذهب . والذكر يحمل به حيراه . كبناء المساجد
والقنابر . والرباطات . ودور المرحى . وصب الخبث في الطريق . وعرض ذلك من الأوقاف
المرصدة لأخبارات . وهي من الخبرات المؤيدة . الدارة بعد الموت ، المستجيلة بركة أدعية
المصالحين إلى أوقات متبادلة . وتأهيك بها خيرا .

الخبرات العامة

فهذه حلة فوائد المال في الدين . سوى ما تنفق بالخطوط العاجلة من الخلاص من ذل
السؤال . وحقاره الفقر . والوصول إلى العز والنجدين الحق . وكثرة الإحوان والأعوان
والأصدقاء . ولوقار والكرامة في القلوب . فكل ذلك مما يقتضيه مال من الخطوط لديوية
وأما الآفات فدينية ، ودنيوية . أما الدينية فثلاث

آفات المال

تسبيل سبل

المعاصي

الأولى أن تحر إلى المعاصي . فإن الشهوات متصلة ، والمعاصي يتحول بين المرء والمعصية
ومن العصمة أن لا يجد . وهما كالآسن آساعن . وع من المعصية . لم تتحرك داعيته

صلى الله عليه وسلم ^(١) « يَا رُوحُ الْقُدُسِ خُذْ رُوحِي أَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رُوحِي مَا تَقُولُ اللَّهُ وَتُخْبِرُنِي فِي الصَّبْرِ » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَا أَبُ هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَدْبَحْتَ خُذْ مِنْ مِثْلِكَ بِرِجْلٍ وَكُورٍ مِنْهُ » وَعَلَى الدُّثْنِ الدَّمَارُ » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) « كُنْ وَرِدًا كُنْ أَعْمَدَ النَّاسِ وَكُنْ مَعَهُ كُنْ شُكْرَ النَّاسِ وَأَحَبَّ النَّاسِ » مُحِبُّ مِثْلِكَ كُنْ مُؤْمِنًا »
وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع مما رواه أبو أيوب الأنصاري ، أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا رسول الله عظمي وأوحي قل ^(٣) « إِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُؤَدِّعٍ وَلَا تُخَدِّنْ حَدِيثَ تَعْدِيرٍ مِنْهُ عَدٌّ وَتُجَمِّعُ أَيْدِي النَّاسِ » وقال عوف بن مالك الأشجعي ، كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) « تَسْعَةُ أَوْ ثَمَانِيَةُ أَوْ سِتَّةٌ » فَقَالَ « أَلَا تَسْمَعُونَ رُفُوعَ اللَّهِ » . وَأَوْ يَسْ مَدَامَةَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ « أَلَا تَسْمَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ » . فَقَالَ وَشَيْءٌ مِمَّا قَدِمَ بِهِ لَكَ ، فَعَلَى مَاذَا نَدَامَتْ ؟ قَالَ « أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَتَعَادُوا خَمْسَ وَثَلَاثِينَ مَرَّةً وَتُصْبِحُوا » وَتُسْرَكَةُ حَقِيَّةٍ « وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا » قَالَ فَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُهُ ، فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا . وَلَهُ يَا ه

النسبي
الطمع

الرواية الواردة
في الطمع
والقناعة

الآثار . قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّمْعِ فَقَرَأَ وَإِنْ الْإِنْسَانُ عَمِي . وَإِنَّهُ مِنْ يَأْسٍ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَعْنَى عَمَهُمْ . وَفِيهِ لِبَعْضِ الْحِكْمَةِ . مَا أَلَمِي ؟ قَالَ قَدَمَةُ نَيْكٍ ، وَرَضْتُ بِمَا يَكْفِيكَ . وَفِي ذَلِكَ قِيلَ

(١) حديث ابن مسعود أن روح القدس بعث في روعي شيء من موت حتى - الحديث :

ابن أبي شيبة في غرر الحديث والحكم مع اختلافه فيه وقد تقدم

(٢) حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس - الحديث : ابن مسعود وقد تقدم

(٣) حديث أبي أيوب الأنصاري ، أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا رسول الله عظمي وأوحي قل . الحديث : ابن مسعود وقد تقدم

(٤) حديث عوف بن مالك الأشجعي ، كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث : ابن مسعود وقد تقدم

أحمد وهو عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

سبح لا تسبح
ولم يمتدحى ربه كثيره المدح
وقال عمر رضي الله عنه، ألا تسبح
وما يسعني من الظاهر لحبي وعمرتي
أرفق به، ولا أظنني أشد من
هو، وهو مدح ربه
تسبح، أنت طائب ومطلوب، طالك من لا
تسبح، قد كُتِف لك، وه
محروما، وراعدا مرا

ومن
والتسبح
خصال، هي خير لك من
صرت على الشجرة، وأما الثالثة
على ما فاتك، فحذرا، فلا
أنت تكون، تسبح ربه
من خصوصيات ذراته، تسبح ربه
الثالثة، قالت تسبح ربه، تسبح
تسبح، ولا تسبح، تسبح ربه، تسبح ربه
فكيف يكون في حوصتي ذرات كل واحد من
مثل الحصى، تسبح ربه، تسبح ربه، تسبح ربه
وقال من أسكنه، تسبح ربه، تسبح ربه، تسبح ربه
يخرج اليد من رجلك، وقال برنهد، تسبح ربه، تسبح ربه، تسبح ربه

مثال لطمع
الادري على
سأله الطيور

مكتوب فيها بالذهب . فلما رآني تبسم . فقلت فائدة أصاح الله أمير المؤمنين ؟ قال نعم .
وجدت هذين البيتين في بعض خزائن خزانة أمية . فاستحسنتهما . وقد أضفت إليهما بيتا وأشدني

بذا سد باب عليك من دون حاجة فداءه لأحرى من دمج لك ناسها
فإن فراب البصر بكهيك منوره ويكهيك - واثم الأوراح ناسها
ولأنك مبدل الأرض لك راحتك ركوب المصاحبة يحديث عفاها

وقال عبد الله بن - حم السكيت . ما ذهب العلوم من قلوب العلماء بعدد وعوها
وعقلهم . ذل الطمع . وشبه العس . وطلب الخواص . وقال رجل لأبصار . سر لي قول
كعب . قل يطعم الرجل في شيء . فله . ويدعم عليه دية . وتم الشربة . فشربه العس
في هذا وفي هذا . حتى لا تحب أن يفوتها شيء . ويكون لك إلى هذا حاجة . وإلى هذا
حاجة . فإذا قضاها لك خزم أثقت . وقادك حيث تريد . وأنت يمكن منك . وخففت له .
من حيث لم يدرك . سلمت عليه إذا مررت به . وعدته إذا مرض . لم تنم عليه شيء . وحل .
ولم تعده شيء . فلو لم يكن لك إلا به حاجة كان حراما لك من ماله . حديث عن قتادة عن قتادة
قال بعض الحكماء . من عجب أمر إنسان أنه لو يودي بدوام البقاء . في أيام الدنيا
لم يكن في موى حنقه من الحرص على جمع . كثر من ماله مع قصر مدة الجمع .
وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد . مررت براهب . فقلت له من أين ؟ قال
قل من ينذر اللطيف الخبير . الذي خلق الرجا يأبى بالظنين . وأودأ بيده
إلى رجا أضراسه . فسبحان القدير الخبير

بيان

علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكسب به صحة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان . الصبر . والعلم . والعمل . ومجموع ذلك خمسة أمور
الأول : وهو العمل . الاقتصاد في الماشي . والرفق في الإنفاق . من أراد عرق القناعة .
فيسمى أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه . ويرد نفسه إلى ما لا يملكه . من
كثر حرجه . واسع . موه . لم تمكنه القناعة . بل إن كان وحده . فيسمى أن يقع شوب

الارتقاع في
المعيشة . ما
لهذا

واحد خشن ، ويقع شيء طعام كان ، ويتن من الأدام ما أمكنه ، ويوطن نفسه عليه ، وإن كان له عيال ، يبر ذلك واحد إلى هذا القدر إلى هذا القدر ، يسر أدنى جهد . ويمكن ، مع الإجمال في الطيب والصف في الميعة وهو الأصل في السادة ، ونسب الرقيق في الإلحاق ، وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إن الله يحب الرقيق في الأمر كنه » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « ما عال من اتعبد » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « ثلاث فتعبد حشية الله في السر والعلانية والتعبد في أمني وأمنه وألحقت في رعيه وألحقت » وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض ، وهو يقول : إنه من فقها رفقاك في معدنتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) « الإقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من سبع وعشرين جزءا من النبوة » وفي الخبر ^(٥) « إن الله يحب من أتى الله بغيره » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « من أتى الله بغيره ومن أتى الله بغيره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبته الله » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) « من رغب أن يفتقر ما يؤده حتى يغفل الله له من حبه ، ويؤده في الإلحاق من أهم الأمور الثاني : أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه ، فلا يذم أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ، ويحب على ذلك قصر لأجل ، والحق أن الرقيق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه

مقدم تقدم
في روي الخبر

- (١) حديث أن الله يحب الرقيق في الأمر كنه : معناه عليه من حديث عائشة وتقدم
- (٢) حديث ما عال من اتعبد : معناه أحمد وأحمد في من حدث في مسند دوره ، ومن حديث ابن عباس : معناه
- (٣) حديث ثلاث : معناه حشية الله في السر والعلانية والتعبد في أمني وأمنه وألحقت في رعيه وألحقت : معناه
- والطراي وأبو نعيم واليق في الشعب من حديث أسس بسند ضعيف
- (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من سبع وعشرين جزءا من النبوة : معناه
- أودا ومن حديث ابن عباس مع تقدم : معناه وقال السبايح وقال من حبه وعشرين ورواه
- الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن مسعود وقال الترمذي الصالح وقال من أرسى
- (٥) حديث التفسير : معناه للعيشة يرواه أبو داود الترمذي في مسند الفردوس من حديث أسس وفيه خلل
- ابن عيسى جهله العقيلي ورواه في مسند
- (٦) حديث من أتى الله بغيره : معناه حديث ابن عباس : معناه في مسند دوره ، ومن حديث ابن عباس : معناه
- الله ورواه عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه في حبه أي حبه
- الحديث والآخر وأما ما في حديثه في حبه : معناه كثير من ذكر الله أحبه الله
- (٧) حديث من رغب أن يفتقر ما يؤده حتى يغفل الله له من حبه ، ويؤده في الإلحاق من أهم الأمور

أرادل الناس ، أو على الاقتداء بمن هو أعز أشتاف الخلق عند الله ، حتى يهول عليه بذلك
 العسر على العبدك ، والقناعة باليسير ، وإن تعم في البطش ، والجار أكثر اكلامه
 وإن تعم في الوقاع ، والخير أعلى رتبة منه ، وإن تربي في اللبس والخيل ، ففي اليهود من
 هو أعلى رتبة منه ، وإن نفع بالميل ورصيه ، لم يساهمه في رتبته إلا الأدياء والأولياء ،
 الخامس ، أن يهم ما في جمع المال من الخطر ، كما ذكرنا في آت المال ، ومما فيه من خوف
 السرقة ، والنهب ، والمصاع ، وما في نحو اليد من الأمن والفرغ ، وتأمل ما ذكرناه
 في آت المال ، مع ما يهوته من المدفعة عن باب الحجة إلى خمائة عام ، فإنه إذا لم يقنع
 بما يكفيه ، ألقى برمرة الأغنياء ، وأخرج من جريدة الفقراء ، ويتم ذلك بأن ينظر أبدا
 إلى من دونه في الدنيا لا إلى من ورثه ، فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من دونه
 فيقول لم فتر عن الطيب ، وأرباب الأموال يتبعون في المضاعف والملاص ، ويصرف
 نظره في الدين إلى من دونه ويقول ، ولم تصيق على هات ونحو الله ، وولان أعلم ،
 وهو لا يخاف الله ، والناس كلهم ، شغلون بالثمن ، فلم تريد أن تتميز عنهم ، قال أبو ذر
 (١) أوصاني حذلي صلوات الله عليه ، أن أنظر إلى من هو دوني ، لا إلى من هو فوق أي
 في الدنيا ، وقال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إذا نظر أحدكم
 إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه بمن فضله عليه ،
 فهذه الأمور يقدر على اكتساب حلق القناعة ، ويماد لأمر العسر وقصر لأمل ، وأن
 يعلم أن عية صره في الدنيا أيام ، لا تمنع دهر طويلا ، فيكون كالمرص الذي
 يصبر على صرارة الدواء ، أشدة طعمه في النظر شيء .

مصرف البطش
 عسر هو فوق
 إلى من هو
 دور في المال

بيان

هزيمة السوء

اعلم أن المال إن كان مضمود ، فيه نبي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص .

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوق

أحمد وابن حبان في ثمة . حديث وقد تقدم

(٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه وسلم أن من فضله الله عليه في المال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه

ممن أصل عليه : متفق عليه وقد تقدم

وَأَمَّا الَّذِي يَشْعُرُهُمُ اللَّهُ فَسَوْءُ الْخَلْقِ وَالْأَعْمَى وَبَدَأَ اللَّهُ بِعَبْدٍ حَيِّراً اسْتَعْمَلَهُ فِي أَصْحَابِ
 جَوَانِحِ النَّاسِ « وَرَوَى الْقَدَامُ بْنُ شَرِيحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُسَيْدٍ . (١) قُلْ ، قَالَتْ نَارُ رَسُولِ
 اللَّهِ دَانِي عَلَى عَمَلٍ يَدْحِي لِحْمَةً . قُلْ « إِنَّهُ مِنْ مَرْحَبَاتِ الْمَعْرِفَةِ بِمَا أَصْنَعُ مِنْهُ وَبِأَمْرِ »
 السَّلَامِ وَحُسْنِ الْكَلَامِ » . وَقُلْ أَبُو هُرَيْرَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « السَّجَاءُ شَجَرَةٌ فِي أَحَدِ مَسْكَانَيْ أَحَدِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا ، فَإِذَا تَرَكْتَهُ ذَلِكَ الْأَرْضَ حَتَّى
 يَدْخُلَهُ لِحْمَةٌ وَالشَّيْخُ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ فَمَنْ كَانَ شَجَرَةً أَحَدِ عَشْرٍ مِنْ عَشْرٍ ، فَلَمْ يَتْرُكْ
 ذَلِكَ الْأَرْضَ حَتَّى يَدْخُلَهُ النَّارُ » . وَقُلْ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ ، قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَتَمُّوا أَحْسَنَ مِنَ الرَّحْمَةِ مِنْ عِدَدِي تَمِشُوا فِي كَسْبِهِمْ فَإِنِّي جَعَلْتُ
 فِيهِمْ رَحْمَتِي وَلَا تَضُومُوا مِنْ أَقْدَابِهِ فَمَنْ هُوَ؟ فَإِنِّي جَعَلْتُ فِيهِمْ سَحَابِي » . وَعَنْ أَبِي عَدَّاسٍ
 قُلْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ تَعَفَّوْا عَنْ دُخَانِ النَّجَى فَإِنَّ اللَّهَ يَخْدُمُ يَدَهُ
 كُلَّمَا عَثَرَ » . وَقُلْ ابْنُ مَسْعُودٍ . قَالَ سَمِعْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَرَارَ رَزَقُ إِلَى مَطْمِهِ الطَّعَامِ أَسْرَعُ
 مِنَ السَّكِينِ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَمْرِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاعِي نَفْسَهُ الطَّعَامَ مَا أَتَى لَكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ »

الصغار شجرة
في الجنة

- (١) حديث القدام بن شريح عن أبيه عن حده ان من موحات المعرة بذل الطعام وإشياء السلام وحسن
 الكلام غير من كلامه قال السلام وحسن الكلام وروى به له يوجب به طعام الطعام
 وقت . الام وروى به له عاتق بن . كلامه وروى به عنهم
- (٢) حديث أبي هريرة السجاء شجرة في الجنة . حدث . وهو الشيخ شجرة في النار . الحديث : البخاري
 في السجاء وفيه عند العزيز بن عثمان . هري . ضعيف جداً
- (٣) حديث أبي سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفصل من الرحمة من عدي اميشوا في كسبهم الحديث :
 ابن حبان في الضعفاء والخرائط في مكارم الأخلاق والام . في ذؤيب . وهو محمد بن مروان
 السدي الضعيف . وروى له عاتق في الضعفاء . عنه . بن . رحمن السدي . وهو في الضعفاء .
 محمد بن مروان . في . عنه . عند عاتق بن الضعفاء . وقد عده . بن . القطب . والله عليه عبد القادر
 ابن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وركب فيه أبو حاتم . في . لا يردى ورواه
 الحاكم من حديث علي وقال انه صحيح الاسناد وليس كما قال
- (٤) حديث ابن عباس . تافوا عن ديب . حتى . قال . الله . كذا . في . الأوسط . والخرائط
 في مكارم الأخلاق وقال الخرائطي اقبلوا النجى زله وفيه ليش . بن . في . س . ع . ابن . في
 ورواه الطبراني في . وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه . بسناد ضعيف ورواه . الخوري
 في موضوعات من طريق اندرقتي
- (٥) حديث ابن مسعود الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين في ذروة الام . الحديث : . حده
 من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس . لهط

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «إن الله خواف يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاهتها». وقال أنس - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه. وأما رحل فسأله، فأمر له شيء كثير من جليل من شاء الصدقة فرجع إلى موته فقال، يا قوم أساموا، فإن محمد أعطى عطاء من لا يخاف الفاقة. وقال ابن عمر، قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «إن الله عود يخضبكم بأعمدة من أعمدة من يحسن تلك المدايع على أعمدة منها لله من عتده وحرث لها إلى غيره». وعن الحلاني قال - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) ما سرى من بني العبر، فمهر قسهم، وفرد منهم رجلاً فقال على أن في طالب كرم لله ووجهه، يا رسول الله، أرب واحد، والدين واحد، والديب واحد فمال هذا من سهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم «رب عن حنة فقل أوّل هؤلاء وأركب هذا وإن الله تعالى شكر له سعد، فيه». وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) «إن لكل شيء ثمرة وثمرته المعروف، فمن السراج» وعن - عن ابن عمر قال قال رسول الله

سواء المرء
بعضه

حيث ع إلى البيت الذي ينشئ وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الثمرة إلى سام
المرء ولأن السراج في كتاب الواف من حديث جابر بن عبد الله بن أبي أسود السجاء
الحديث: وكلها ضبيعة

(١) حديث إن الله خواف يحب الجود وح معنى الأمور وكما عدا في الحديث في مكارم الأخلاق
من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريب وهذا مرسل والطبراني في الكبير والأوسط والحاكم
والبيهقي من حديث سهل بن عبد الله بن كريب في مكارم ويحب مكارم الأخلاق في الكبير
والبيهقي في الأخلاق الحديث في زيادة صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة

(٢) حديث أنس - قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا رجلاً فأنه فأنه شيء كبير في حديث
الحديث - وهو وعظم في أخلاق النبوة

(٣) حديث ابن عمر إن الله عود يخضبكم بأعمدة من أعمدة من يحسن تلك المدايع على
أعمدة منها لله من عتده وحرث لها إلى غيره في الحديث في أخلاق النبوة

(٤) حديث الحلاني أني سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سرى من بني العبر فمهر قسهم وفرد منهم رجلاً
فقال على أن في طالب كرم لله ووجهه، يا رسول الله، أرب واحد، والدين واحد، والديب واحد فمال هذا من سهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم «رب عن حنة فقل أوّل هؤلاء وأركب هذا وإن الله تعالى شكر له سعد، فيه»

(٥) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته المعروف، فمن السراج» ولم أقص له على أصل
حديث: وفيه من الله شكر له سعد، فيه

(٥) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته المعروف، فمن السراج» ولم أقص له على أصل

لا تبغفن دنيا وهي مقسلة . فليس يفتنه التبتير والسرف
وإن توات فأحرى أن تحودهم . وحدهم بذم أدبرت حاف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما . عن المروعة ، والحدة ، والكرم . فقال
أما المروعة ، فحط لرحل دية . وحذر منسه . وحسن قية عييه . وحسن المروعة
والإقدام في الكراهية . وأما الحدة ، فلبس من الحذر . والصبر في المواضع . وأما
الكرم ، فشرع بالمعروف قبل السؤال ، والإصغاء للحسن . والرفقة بالمال . مع نذل المال
ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقة . فقال حديث مقضية . فقبل له
يا ابن رسول الله ، لو نظرت في رقتي ، ثم رددت الجواب على قدر ذلك ؟ فقال ، يا ابن
الله عز وجل عن ذل معناه . بن يدي حتى أفر رقتي . وقال ابن السكيت . عجت من شترى
المال يك بابه . ولا يشترى لأحرار ثمروقه . وسئل عن الأعراب . من سيدهم ؟ فقال
من أحسن شمس . وأعطى سائلا . وأعصى عن حاشه . . وقال علي بن الحسين رضي
الله عنهما . من وصف بهذا ماله لطلابه ، لم يكن حبي . وإنما السعي من ، ندى ، محقوق
الله تعالى في أهل طامه . ولا تدرعه نفسه إلى حب الشكر له . إذا كان يقبض ثواب الله
تماما . وقيل للحسن البصري ، ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل . قيل
ما السخاء ؟ قال أن تنبع ماله فيه . قال فما الإسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة

منتهى الدرر
كرم الحسن بن
علي رضي الله
عنه

وقال حمير الصادق رحمه الله عليه . لا من أعون من امتن ، ولا مصيبة أعظم من
الحزن ، ولا مطهره كاستورة . لا وإن الله عز وجل يقول . يا بني جواد كرم ، لا بد ورنى
نسيم . والأؤم من الكرم . وأهل الكرم في . . . والجود والكرم من الأيدين . وأهل
الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه ، ب فدا في دية ، أحرق في ممشته . يدخل
الجنة سماحته . وروى أن الأصم بن ميس روى رجلا في يده درهم . فقال لمن هذا الدرهم ؟
فقال لي . فقال أما إنه ليس لك حتى تخرج من يدك . وفي معناه قيل
أنت للمال إذا تمسكه . فدا ففته فليل ناك

وسمى واصل بن عطاء أعرال ، لأنه كان يلبس إلى العراش . وهذا رأى امرأة صبيغة
أعدها شيء . وول الأسمى . كتب الحسن بن علي ، إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما

بعتب عليه في إعطاء الشمر ، فكتب إليه ، حذر المال ما وقى به العرض ، وقيل لسهيل
 ابن عديته ، ما السخاء ؟ قال السخاء البر بالاحوال ، والحدود بالناس . قال زورث أنى تخمين
 كف درهم . معثم بن ضرار بن إخوانه وول ، قد كسب أسأل الله تعالى لأخواني الحلة
 في صلاتي ، فأحسن عييتهم بمال . وول الحسن . بدل المهود في بدل الموحود ، انتهى الحد
 وقيل لبعض الحكماء ، من أحب الناس إليّ : رجل من كثرت أهديه عدي فيل وإيلم يكن قال
 من كثرت أهدي عنده ومن عداه من مروان ، إذ رحن مكبتي من هاهنا حتى أصعب وعروني
 عنده ، عديته عديته مثري عنده . وقال يهودى اشبب بن شبة ، كيف رأيت الناس في دارى ؟ قال
 يأمر المؤمنين ، بأرحل منهم يدحرج راحبه وخرج راحبه . وتتشتمش عند عبد الله بن جعفر وول

بن الصديقه لانكون يديعه حتى يصعب بها طرق المصع
 فإذا اصططعت صديقه وتهدبها لله أو لنوبي القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر ، بن همدان ابنى الحلال الناس ، والسكر أنظر المعروف
 مطرا . وبن ثبات الكرام كالأهلا . وبن ثبات لثام كنب له أهلا

مطبوعات الأسياف

سماز عائشة
 رضى عنها

عن محمد بن المنكدر ، عن ثمة درة ، وكانت حدة داسة رضى الله عنها ، قال ، إن
 معاوية عث إليهم رجل في عري رين ، ثمة بن ومثمة بن درهم فدعت بطبق . فحمت تقدمه
 بن الناس . فلما أمست ، قالت يا جارية ، هلى فطورى . فجاءتها بخر وريت . فقات لها
 أم درة . مستطمت فيما قدمت اليوم . بن تشرى . بدهم حم غفار عيه دفقات لو كنت
 دكرتني معاف . وعن أنس بن عمنه . بن . رد رجل بن نزار عبيد الله بن عباس ،
 فأنى وحوه قرش فقال . يقول لكم عبيد الله بعدو عدي اليوم . فأنوه حتى ملأوا عليه
 الدر . فقال ما هذا ؟ حذر الخبر . فأمر عبيد الله شراء كمة ، وأمر فوما مطبخوا ، وخبروا
 وقدمت لها كمة إليهم . فم يمزعوا منها حتى ودمت الموائد ، فأكلوا حتى صدروا .
 فقال عبيد الله بولكلاء . وموجود . بعد كل يوم . ولو نعم قال عبيد الله . هؤلاء في كل يوم
 وقال مصعب بن زبير ، حج معاوية . فم بصرف من بالندية . فقال الحسين بن علي

سماز عبيد الله
 بن عباس

سماز معاوية

سما، ابن عباس
ونواصب
واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامي بالبصرة، فقلوا: الناحار صوامع يمتلئ
كل واحد منها أن يكون مثله، وقد روي عنه من ابن أخيه، وهو فقير، وليس عنده
ما يهره له، فقام، فداش من عيس، فأخذ أيديهم، وأدخلك داره، وفتح صندوقاً، فأخرج
منه سب بدر، فقل أحملوا، فحملوا، فقل ابن عباس، ما أنقصناه، فطعام ما يشمله عن
قيامه وصياحه، أرحموا ما كان أعوانه على تجهيزها، فبس للديار من القدر ما يشعل، وما
عن عبادة ربه، وما يار من أكر ما لخدمه أولاء الله تعالى، فعمل وفعلوا

سما، عبد الحميد
ابن عباس
وحكي أنه لما أحدث السع نصر، وعبد الحميد سعد أميرهم، فقال، والله لأعلمن
الشیطان أني عدوه، فقال نحو ونحوه إلى أن رحلت الأسماء، ثم عزل عنهم، فرحل
ولانحدر عليه ألف ألف درهم، فزعمهم حتى ساء، وقيمة جملة ألف ألف درهم،
تعدر عليه أرتمه، كتب إليهم بديها، ودفع الفاضل، عن حقوقه إلى من لم تله سلالة

سما، أبي طاهر
ابن عباس
وكان أبو طاهر من كثير شربها، فقل له ربح، فحفي على بن أبي طالب لما وهبت لي
نحاتك موضع كذا وكذا، فقل مدومات وحقه لأعطيت ما يابيه، وكان ذلك أنه فمأطاب الرجل
وكان أبو مرند أحد الكرماء، فدحه بعض الشراء، فقل للشاعر، والله ما عدى

سما، مصعب
ابن عباس
ما أعطيتك، ولكن قدمي إلى القاصي، وأذع على بعشره آلاف درهم، حتى أفر لك بها،
ثم أهدني، فإن أهلي لا يبركوني محبوباً، فعمل ذلك، فلم يس حتى دفع إليه عشرة آلاف
درهم، وأخرج أبو مرند من الحبس، وكان ممن من رائدة عاملاً على المرايين بالبصرة،

سما، زائدة
ابن عباس
فحضر به شاعر، فأقام مدة، وأراد الدخول على ممن، فلم يسهأ له، فقال يوماً بمريض خدام
ممن، إذا دخل الأمير البستان فمر في فلما دخل الأمير البستان أعماه فكتب
الشاعر يتألى خشبة، وألقها في الماء الذي يدخل البستان، وكانت ممن على رأس

الماء، فلما بصير بالخشبة، أخذها وقرأها، فإذا مكتوب عليها

أيا جود ممن أحرمها محاحتي فقل إلى ممن سواك شفيع

فقال ممن صاحب هذه، فدعى بالرجل، فقال له كيف قلت؟ فقال له، فحرف له عشر بدر
فأخذه، ووضع الأمير الخشبة تحب بصاطه، فلما كان يوم الثلاثاء فخرجهم من تحت البساط

وقراها ، ودعا بالرجل ، فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل ، تفكر ، وخاف
أن يأخذ منه ما يشاء ، فخرج وهو كان في اليوم الثالث . قرأ ما فيها . ودعا بالرجل فطلب
فلم يوجد . فقال ممن . حتى عني أن أصيبه حتى لا يبقى في باب مالي درهم ولا دينار .
وقال أبو الحسن المدائني ، خرج الحسن . والحسين . وعبد الله بن جهمر حجاجاً فماتهم
أنفق لهم فجعوا وعطشوا ثمروا محجور في حائط . ولواهل من شرب فقلت .
فأجابوا إياه . وأمس له ، لا شوية في كسر خيمة فتب رحبوه . وامتدوا إليه .
ففعّلوا ذلك ثم قالوا له . هل من طعم . قالت لا لهذه انشاء . فبعدة . أحسدكم . حتى
أهوى . لكم ما تأكلون ففهم إياه أحدهم . ودعهم . وكسطنهم ثم هيأت لهم طعم ما .
فأكلوا . وأقاموا حتى تردوا فصار نحوها . قالوا له . نحن نمر من قريش يريد هذا
الوجه . فإذا رجعنا سمين . فبني . فإجابهم أن حبوا ثم ارتحوا . وأقبل روحها
فأخبرته بخبر القوم والشاة . فعصب الرجل . وقال ويحك . مدحيت شقي قوم لا تعرفهم
ثم تقولين نمر من قريش . قال ثم بعد مده . أحبهم . حاجة إلى دخول المدينة . فدخلها
وجعلوا ينقلان البئر إليها ويبيعانها . ويتميشان بئسها . ففرت المعجوز بهض سبك المدينة
هكذا الحسن بن علي حابس على باب داره . فمرف المحجور . وهي له مكرمة . فحدث علامه
فدعا بالمحجور . وقال له بأمة الله . أنمر فبني . قال لا قال أنا . صيفك يوم كذا وكذا
فقلت المعجوز بأبي أنت وأمي أنا هو ؟ قال نعم . ثم أمر الحسن . فاشترى لها من شياه
الصدقة ألف شاة . وأمر له معها بألف دينار . وبعث به مع علامه إلى الحسين . فقال لها
الحسين . بكم وصفت حتى ؟ قالت بألف شاة وألف دينار . فأمر له الحسين أن يبعث ذلك
ثم بعث بها مع علامه إلى عبد الله بن جهمر . فقال له بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت
بألف شاة وألف دينار . فأمر له عبد الله بألف شاة وألف دينار . وقال لها لو دأبت في
لأنك تشينها . فرجعت المعجوز إلى روحها بأربعة آلاف شاة . وأربعة آلاف دينار .

سواء الحسن
والحسين
وعبد الله بن
جهمر

وخرج عبد الله بن عامر بن كريمر من المسجد يريد منزله . وهو وحده . فقام إليه علام
من تقيف . فمشى إلى جابه . فقال له عبد الله . تلك حاجة بأعلام . قال سلاحتك وفلاحك
رأيتك تشي وحدك . فقال أنيك بفسى . وأعوذ بالله من طار ينجذ بك . مكرره . فأخذ

سواء عبد الله
ابن عامر

عبد الله يده، ومشى معه إلى منزله. ثم دعى ألف دينار، فذهب بها إلى العلام، وقال استمق هذه، فبقيت ما ذاك أهلك. وحكى أن قوما من العرب، جاؤا إلى قبر بعض أسحياتهم البرابرة، فبرلوا عند قبره، وباتوا عنده. وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد، فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له، هل لك أن تبذل بعيرك نحبي؟ وكان السحى الميت قد حلف نحيبا معروفا به. ولهذا الرجل أمير سبعين. فقال له في اليوم نعم، فبقي في اليوم لم يبره نحيبه، ثم ومعهم، فمعد، فمعد هذا الرجل إلى مبره، فمعد في اليوم. فمعد الرجل من نومه، فإذا الدم يسبح من نحر بعيره. فقام الرجل، ففحره، وقسم لحمه، فطعموه وقبوا حاجتهم. ثم رحلوا وروا. معك كان اليوم الثاني وهو في الطريق، استقبلهم ركب فقال رجل منهم، من أولان بن ولان بك. سمع ذلك الرجل، وقال أنا. فقال هل سمعت من أولان بن ولان شيئا؟ وذكر الميت صاحب القبر، قال له، سمعت به بعير نحيبه في اليوم. فقال حذره حبه. ثم قال، هو أنى، وقد رأيت في اليوم. وهو يقول إن كنت أنى فادفع حبي إلى أولان بن ولان. وسمعه. وقد رحل من فرش من السهر فر برجل من الأعراب على قارعة الطريق، فمد يده الدهر، وضربه المرض. فقال بهذا أعم على الدهر. فقال الرجل علامه. ما في معك من الصدقة فدعها إليه. فصب العلام في حجر لأعمرني أربعة آلاف درهم. فذهب إليه، فمعد من الصدقة فبكي. فقال له الرجل، ما بك بك، أملك استقلال ما أعطيتك؟ قال لا. ولكن ذكرت ما أكل الأرض من كرمك فأبى كافي. واشترى عبد الله بن ولان من حلة بن عقبة بن أنى معيط داره التي في السوق، تسعين ألف درهم. ولم كان نابل، سمع. كفاء من حلة، فقال لأهله، ما هؤلاء؟ فقلوا، كواكول لدرهم. فقال لعلام، انهم فاعلهم من المال والدار لهم جميعا.

سفر الميت
إلى سعد

وقيل مات هارون الرشيد إلى مائة من أسرى رحمة الله بحماسة ديار. فبلغ ذلك الميت بن سعد. فمعد به فمعد ديار. فمعد هارون وقال، أعطيه خمسمائة. وتعطيه ألفا، وأنت من ريعي؟ فقال يأمر المؤمنين، إننى من غلتي كل يوم ألف دينار، فاستحييت أن أعصى مثله. فلما من دخل يوم. وحكى أنه لم يصب عليه الزكاة، مع أن دخله كل يوم ألف دينار. وحكى أن امرأة ماتت أسفا. سمع حلة الله عليه شيئا من غسل. فمعد

له برق من عمل فقيل له بها، كتاب تقع يدون هذا فقر إليها سأت على قدر حاجتها
ومحس مطهر، على قدر الممة عليها . وكان الأيت بن سعد لا يتكلم كل يوم، حتى يتصدق
على ثمانية وستين مسكياً . وقال الأعمش، اشكت شاه عدي، وكان خيشمة بن
عبد الرحمن يهودها بالخدمة والمشي، ويسألني هل استوفيت علفها؟ وكيف صبر الصبيان
منذ فقدوا لبنها؟ وكان يحيى ابن أخيس عليه، فإذا خرج قال: خذ ما تحت اليد، حتى وصل
إلى في علة الشاة أكثر من ثمانية دنانير من ربه، حتى تسب أن الشاة لم تقرأ

وقال عبد الملك بن مروان، لأسماء بن حارثة، بلغني عنك خصال، فحدثني بها . فقال
هي من عبي أحسن منها مني . قال عزمت عليك إلا حدثتني بها . فقال يأمر المؤمنين
ما مدت رحلي بين ياي حارس لي وط، ولا صنعت طعاماً قط، فمدعوت عليه قوماً، إلا
كانوا أمر على من عليهم . ولا نصب لي رجل وجهه قط، يسألني شيئاً، فاستكثرت شيئاً
أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد، على سليمان بن عبد الملك، وكان سعيد رجلاً جواداً
وإذا لم يجد شيئاً، كتب أن سألته حكا على نفسه . حتى يفرح وطاؤه . فلما نظر إليه سليمان
تمثل بهذا البيت قال

إني سمعت مع الصباح فساداً يا يامن يمين على الهى المنوان

ثم ذل ما حاذك قال ديبى قال وكه هو قال ثلاثون ألف دينار قال لا تدريث و مثله
وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة، وسأله إخوانه، فقيل له إهم يستخبون مما
لأك عليهم من الدين، فقال أغزى الله، لا يتبع الإخوان من الزبارة، ثم أمره أدا ما دى
من كان عليه أيس بن سعد حق فهو ماله رى، فاستكسرت ذريحته بالمشي،
لكثرة من رآه وعاده وعن أنى إسحق قال سميت الفخرى مسجداً لأشمت
بأد كوفه، أطاب عريماً إلى فلهما سميت، مع بن ياي حلة وأملان فقامت است من
أهل هذا المسجد . فقالوا بنت لأشمت بن عيس الكندي، قدم الرحلة من مسكة .
فأمر الكل من حلى في المسجد حلة وقال الشيخ أوسمدا الحركوشى أيسا وري
رحمه الله، سميت محمد بن محمد الحافظ يقول، سميت الشافى الله عكة يقول .
كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للعقراء شيئاً مولد بمصر دل فجات إليه، وطلب

فسوّى زمره ، فأخرج إليه حرة فيها عشرة دنانير ، فسلها إلى الخياط ، واعتذر إليه من قتلها ، وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه

بالهزم فني على مال أحوده
من اعتداری إلى من جاء يسائي

على المقدم من أهل المروات
مأيس عدي من إحدى المعديات

وعن الربيع بن سليمان قال ، أهدر رجل دما في ركاب النبي صلى الله عليه وآله ، فقال ياربيع ، أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني . ومن الربيع ، سمعت الحميدي يقول ، قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة عشرة آلاف دينار ، فصرف جزءه في موضع خرج عن مكة ، وشرها على ثوب ، ثم أقبل على كل من دخل عليه ، فهدى له قسمة ومطية ، حتى صلى الظهر . وممن الثوب والمس غيره شيء . وعن أبي ثور قال ، رآه في الخرج إلى مكة ومعه مال وكان قلب يمسك شدة من صماعة ، فقلت له يميني أن تشري بهذا مال صيغة تكون لك ولولدك . قال مخرج ، ثم قدم عليه . فهدى له عن ذلك المال ، فقال ما وجدت لك صيغة يمكنني أن أشير بها . فأمرني أن أهدى . وقد وهب أكثره . وكفى ميت يفتي مضربا ، يگون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه . وأشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول

اُری نہی - وق بل نور یقہ دیوبہمہی مانی

فَفِي لَا تَطَارُتَنِي بِخَدْلِي وَمَالِي لَا يُبْلَغَنِي فَعَالِي

وقال محمد بن عبد المولى . دخل أنى على المؤمن ، فوصلته تسعة ألف درهم ، فلما سمع من
عنده تعذر بها فأخبر بذلك مؤلفه . فلما عاد إليه ، سابه المؤمن فى ذلك وقال
يا مؤلف المؤمن . مع وجوده ، حس الله . وقد وصلته تسعة ألف حرى

وقام رجل إلى سعيد بن العاص - رضي الله عنه - فأمر له بثمان مئة درهم وبكى وقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أرى على الأرض من تأكل مثلك . فأمر له بعشرة ألف أخرى

ودخل أبو ذؤلم علي براعيم من شكة بنات المدحها فوجدته على فراش
المدح، وأمر حاجبه بئله ما يصاحبه، وقال عسى أن أقوم من ربي كائنه فقام شربس

١٣١. فأوحشه طولُ المقام ، فكتب إليه يقول :

من حر ما يقول مدحها وترك ما رثي من السوء

كما الدرام والدنانير في البئع حرام إلا ما يسد
فما وصل الخبر إلى إراهم . قال لخاصة : كم قام . اب . قال شهرين . قال أعطه
ثلاثين ألفاً . وحدثني مدونة ، فكتب إليه .

نحسب فأشعرنا
خذ تقين وكن كأنك تقي . ونقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان منهم على صفة رضى لله عنهم . سمعوا من درهم . فخرج عثمان يوماً
إلى المسجد ، فقال له طلحة ، قد تهايمالك ومنه فقال هو لك يا أبا محمد ، فمؤنة لك على مروءتك .

وقالت سمدي بنت عوف ، دخلت على صفة . فريت منه ثقلاً . فقلت له مالك ؟
فقال احتج عدي مال وقد سمي . فكتب ومعه : أدع قومك . فقال يا غلام . على بقوى
فقسمة فيهم . فسألت الخدم كم كان . قال ثمانية ألف . ووجه عرائ إلى طلحة . فسأله
وتقرب إليه رحمه . فقال إن هذه الرحم ما سألني بها أحد قط . إن لي أرضاً قد أعطاني بها
عثمان ثمانية ألف ، وإن شئت فمضها . وإن شئت فمضها من عتق . ودعوت إليك المن
فقال انمن فباع من عثمان . ووجه إليه المن . وميل كي على كرم الله وجهه يوماً . فقبل
ما يكيف ؟ قال لم يأتني صيف منذ سنة . فحاف أن يكون الله قد أهني

وأمر رجل صدقائه ، فصدق عليه . فمات ما جاء به . قال على أرمائة درهم دين فوراً
أرمائة درهم ، وأخر حقه . إليه ، وصادركي . فمات امرئته . فعلمه بدشق عليك . فمات بعد أكي
لأن لم تفقد حاله ، حتى احتج إلى ما نحتي . ورحم الله من هذه سنة . وعمر لهم أحسن

بيان

دم الحزن

قال الله تعالى (وَمَنْ يُوقِ شَيْئاً مِّنْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (١) وقال تعالى (وَلَا
يُحْسِنُ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُمْ لَا يَشْكُرُونَ هُمْ سَيُطَوَّقُونَ
مَا بَدَّاهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢) وقال تعالى (الَّذِينَ يُجَادُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِحِّ وَيَكْتُمُونَ

الروايات
في ذم الجمل

ما آثمُ الله من وصلته ^(١)) وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) «إياكم والشح وإياكم أهلك من كان قبلكم حدثهم على أن يسكنوا دماءهم وأستحلوا حرمهم» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «إياكم والشح وإياكم دعاتن كان قبلكم فسكنوا دماءهم ودعاهم وأستحلوا حرمهم ودعاهم فقصموا أرحامهم» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) «لا يدخل الجنة رجل ولا حب ولا خاش ولا سبي ولا ملكة وفي رواية ولا حيز» وفي رواية «ولا من» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) «ثلاث مهلكات شح مضاع وهوى متبع وإن فاتت المرأة» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) «إن الله يفضي ثلاثة الشيوخ الرائي والتأجيب التماس والتعيب» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) «مثل المؤمن كمثل رجلين علمتهما خمتان من حديد من لهن نذيرهما إلى ترافيقهما وأما المؤمن فلا ينفق شئ إلا سمعت أو أمرت على حلاله حتى يحق له وأما المنافق ولا يريد أن ينفق شئ إلا لمصت ولزم أن كان حذرة مكانها حتى أحدثت ترافيقه فهو يؤسف ولا تسع» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٨) «حذران لا يجتمعان في مؤمن المؤمن وشؤ الخلق» وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح - الحديث - مصدر من حدث - جاء - لفظ واحد الجمع قال الشيخ - الحديث : ولأن داود والسائي في التكملي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو بن مالك والشيخ طائفة من كان فيكم بأسع أمرهم بالجن وجنوا وأمرهم بالقطعة فقتلوا وأمرهم بالمحور فقتلوا

(٢) حديث إياكم والشح فدماء من كان قبلكم فسكنوا دماءهم ودعاهم فقصموا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة - حرم دماءهم - كان أرحامهم وقول صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة عبد ولا حب ولا حيز ودسي الملكة وفي رواية ولأمان: أحمد وأحمد بن حنبل ومن حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولأمان في عبد الترمذي وله ولأبي ماجه لا يدخل الجنة سبي الملكة

(٤) حديث ثلاث مهلكات - الحديث - تقدم في آخر

(٥) حديث إن الله يفضي ثلاثة الشيخ - رأي وشغل سائر القضاة الجلال : التكملي والسائي من حديث أبي در دون قوله الجدل سب وقال فيه القلي الطوم وقد تقدم وبطرائق في الأوسط من حديث علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير

(٦) حديث مثل المؤمن كمثل رجلين علمتهما خمتان من حديد - الحديث - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث حذران لا يجتمعان في مؤمن الجمل وسوء الخلق - الترمذي من حديث أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير

وقال أبو سعيد خديجة بن أسد بن حذاف عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سأله عن رجل من أصحابه من غزوته فلقبهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 فأجابوه لا معروفه وشكر ما صنع بهم . فحدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسلم
 فأخبرني أنه قال صلى الله عليه وسلم : « كان فيكم رجل غفلة ، بل مشقة إلى الله يوم
 قيل ذلك بن آدم كتم ، شيئا منكم في منة الله ، فأنظر وهي : « قال عمر ، ثم
 تعظيم ما عونا ؟ فقال : « يَأْتُونَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُوا ذَوِي الْمَنَةِ » .

وعن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخُوذُ مِنْ خُوذِ اللَّهِ تَعَالَى
 فَخُوذُوا خُوذَ اللَّهِ لَا يَأْتِي شَيْءٌ عَزَّوَجَلَّ مِنْ خُوذِ خُوذِ اللَّهِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ وَحِينَ
 رَأْسُهُ رَأْسُهُ فِي أَصْلِ عَزَّوَجَلَّ مَوْفَى مَشْرِقِ النَّبِيِّ سَدَّ عَنْ نَفْسِي وَذِي مَنْصُ
 أَنْصَبَ إِلَى مَنْ يَنْتَهِى عَنْ نَفْسِي دَحِيَّةٌ دَحِيَّةٌ لَا يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَأْتِي
 فِي أَجَلِهِ وَحِينَ يَأْتِي مَنْ يَنْتَهِى عَنْ سَدِّ رَسَدِي مَنْ شَعَرَهُ بِرُؤُوسِ وَذِي مَنْصُ
 أَنْصَبَ إِلَى لَا يَأْتِي مَنْ يَنْتَهِى عَنْ رَأْسِهِ رَأْسُهُ لَا يَأْتِي مَنْ يَنْتَهِى عَنْ رَأْسِهِ
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّهَ نَفْسٌ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَلْحَقُ الْجَنَّةَ
 إِلَّا سَحَى وَأَنْتَ شَعَرَهُ نَفْسٌ فِي النَّارِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا نَحْسٌ » . وقال أبو هريرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ دَيَّ أَحَدٌ « مَنْ سَبَّكَ كَيْفَ » يَأْتِي أَحَدٌ « قَالُوا
 سَبَّكَ أَحَدٌ مَنْ سَبَّكَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَخَلَ مِنْ
 قَوْمٍ »

البطلان في هذا
 كراهة المحدثين
 قوله

(١) حديث أبي حمزة عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ »
 وقوله : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . رواه أحمد وأبو يعلى والبرار نحوه ولم يقل
 « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . من رواه أبي سعيد عن عمرو بن خالد أسيدهم ثقات
 (٢) حديث أبي حمزة عن عمرو بن خالد : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . رواه أحمد وأبو يعلى
 وقوله : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » .

(٣) حديث أبي حمزة عن عمرو بن خالد : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . رواه أحمد وأبو يعلى
 وقوله : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . رواه أحمد وأبو يعلى
 (٤) حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . رواه أحمد وأبو يعلى
 شرط ما لم يلقط يأي : « مَنْ دَخَلَ مِنْ قَوْمٍ » . رواه أحمد وأبو يعلى
 ابن الجوزي رواها الطبري في « تاريخه » من حديث كعب بن مالك مضافا حديث

يرسل الله . وله مدركك أعطه أم ألعز ، قال بن دى أعطه رسول الله . ول «مدركك»
 أعطهم أم العز ، ول بن دى أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه أم ألعز .
 قال بن دى أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه أم ألعز . قال بن الله أعطهم وعلى
 قال «وليك نصف ذكرك» قال رسول الله . إلى رجل ذو ثروة من المال ، وإن
 الله إن أيتى بشئ فكأنه - تقبلي شقة من ر . قال بن دى فاعده وسلم «إليك شئ»
 لا تحزننى بدينى هو لى من الخدمة والكرامة وانفت بن ركن والقدم ثم
 صيب أنى تم كات حتى خرى من ذكرك لا تروى . الأعر
 ثم أنت وأنت انهم لا كات لله فى لى ويحك أم أنت بن ألعز كات رسول الأعر
 فى لى ويحك . أنت بن الله . بن دى (ومن نحن) بن دى بن الله (الومن)
 يوق شيخ عسه فريك هذا ألعز (١٢)

الوفاء الواردة
 فى ذم البخل

الأعر من ابن عباس رضى الله عنه . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول لى لى من مكرمت
 ثم قال لى لى من مكرمت . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه رسول الله .
 فمكرمت فى الحب لى لى . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه رسول الله .
 وكركك ، وكركك ، وكركك ، وكركك . فمكرمت . فنظر إليها فقال لكركك .
 فقالت طوى لمن دخلنى . فقال الله تعالى . وعزى لى لى لكركك بخيلا

وقالت أم البنين ، أحب عمر بن عبد العزيز ، فالبخل . وكركك لى لى فمكرمت
 ولو كركك لى لى . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه رسول الله .
 ما يجد البخل ، لكركك لى لى . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه رسول الله .
 أمر عيسى بن مريم . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه رسول الله .
 لى لى على لى لى . ول «مدركك» أعطه رسول الله . ول «مدركك» أعطه رسول الله .
 الله تعالى (ول لى لى لى لى) (١٣) وقال عبد الله بن عمرو ، الشح أشد من البخل .
 لأن الشح هو الذى يشح على . فى يد بيرة حتى يأخذه ، ويش ما فى يده مكرمت والبخل

الناس إلى المؤمنين الجحش، وأعضى الدس إلى الفاسق الجحش. قال لأن الجحش قد كرهني
بجملته، والفاسق الجحش تخوفت طمع الله عليه في سجده وقبضه ثم ولئ
وهو يقول، أولا أنك يحيى لأخبارك

خطبات الجحش

قيل كان ما صرة ربح موصر نجس، فعداه بعض جهالة، وقدمه إليه طهعة بعض
فأكل منه، فأكثر وجعل شرب ما يبيع طهعه ويرى به الكبر والوث
فجعل يلقى فلما أحده الأمر يوسف حبه لأصريف. من لاس عليك، قياماً كان
وقل له، طهعة بعض الموت ولاداك. وقيل من عراقي طاب حاله،
وبين يديه بين معضى الدين كساه. من لاس لآخر في، فبذل له الرخ، وهي نجس من
القرآن شيء قول مع فقر (ورزقون وورزقون) (نقل وورزقون) هو سب كسب
ودس منهم أحله. ولم طعمه شيء مناسه إلى المصرة حتى شد حوصه. وأحده مثل
الجنون فأخذ صاحب البيت العود، وقال له بجرائي أي. وت شني ز شمعك من. وبني
ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان مخلاً بين الجحش. فبذل له سب كان
يعرفه عنه. فقال له يحيى، من لي ما تده. فقال له يحيى مبرق مبرق. وت فده. وهو من سب
المشغاش. فبذل من يحضرها؟ قال البركram الكاتب. قال يحيى كل منه أحده؟ قال لي
الذاب. فقال سواك شت، وأب حصه، وثوكت عرق. وث. والله ما أقدري على
إره أحيطه. وأوملت محمد بن يحيى من عديدي الروة، ثم بوزر، ثم جاءه حله لي.
ومبكال، وهوها يعقوب النبي عليه السلام، يطول منه إره، وسأله إره إره إره
أحيطها فبذل. وسب لذي مد من در. م. فعل. وت كان مروان بن الحنفية
لا يأكل اللحم حلالاً. ثم إره إره إره إره. ثم إره إره إره إره. ثم إره إره إره إره
فقبل له نراك لا تأكل إلا الرؤس في الصيف والشتاء. فبذل. قال نعم. إره
أعرف سقره. ومن حرة عاتمه. ولا. ثم إره إره إره إره. ثم إره إره إره إره.

فمتد أن يأكل من عبيد ووداد. ووجدت على ذلك وآكل منه أو أعبه أو ما
 ووداد أو ما عبيد أو ما عبيد أو ما عبيد أو ما عبيد أو ما عبيد أو ما عبيد
 وخرج وما ردا الحصة المأبى. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 فله من عبيد من أمه. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 مرة من عبيد من أمه. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 وكان من عبيد من أمه. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 كسرة وملحاً، فبأنى إليه الأعمش. فمرض به دت يومه، فوفق جوع الأعمش. فقال
 سربنا. فدخل منزله، فقرب إليه كسرة وملحاً. فقال له رب المنزل، بورك
 فيك فأعاد عابه المسألة فقال له بورك فيك. فلما سأل الثامنة، قال له اذهب وإلا والله خرجت
 إليك ما عبيد من أمه. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 هو عبيد من أمه. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة

بيان

الإشارة ومفاده

الذي يار أفعى
 درجوات اسراء

الذي يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى
 وهو من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى
 أو أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى كل من يار أفعى
 على عبيد من أمه. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 يملك المال ويمرض، فلا يتداوى. ويشتهي الشهوة. فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن
 ولو وحده مع الأكل. فمقت له مرة من أهله، ما لي عبيد من رحمتك، ثمرة
 مع أنه محتاج إليه. فانظر ما بين الرجلين، فإن الأخلاق عطايا، يضعها الله حيث يشاء
 وليس بعد الإثارة ودرجه في السوء وقد أتى الله على الصفة رضى الله عنهم فقال
 (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَغْنِيَهُمْ وَلَوْ كَانَتْ بِهِمْ حَسَبَةٌ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم

«أَيْدِي شَهْوَى شَهْوَى وَرَدَتْهُمَا وَكَرَّ عَلَى مَاءٍ عَذْبٍ لَهُ» وَقَالَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 مَا شَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ، حَتَّى فَرَّقَ لَدَيْهِ وَلَوْ شَاءَ
 أَشْعَبًا، وَأَيْدِيكَمَا، وَكَرَّ عَلَى مَاءٍ عَذْبٍ. وَرَوَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا
 فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَهْلِهِ شَيْئًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَذَهَبَ بِالصَّبِيفِ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ وَضَعَ
 فِيهِ يَدَيْهِ الطَّعْمَ، وَتَمَرًا مَرَّتَهُ بِإِعْطَاءِ الْمَرْحُومِ، وَحَمَلَتْ يَدَاهُ إِلَى الطَّعْمِ مَكْنًى، فَأَكَلَ،
 وَلَا يَأْكُلُ، حَتَّى أَكَلَ الصَّبِيفَ الطَّعْمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 «لَمَّا عَجَبْتُ لَكَ مِنْ صَبِيفِكَ الثَّمَلَةَ إِلَى ضَيْفِكَ» وَتَرْت (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
 كَانَ مِنْ حَصَاةٍ) ^(٢) فَاسْتَعَاذَ خَلْقٌ مِنْ أَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِشَارَةُ أَعْلَى دَرَجَاتِ
 السَّجْدَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى سَمِعَهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ،
 فَقَالَ تَعَالَى (وَلَا تَكُنْ لِمَنْ خُلِقَ عَظِيمٌ) ^(٣)

هذه أمثلة
الأيام

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَخَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَدْ نَزَلَ مُوسَى، فَاتَّكَفَى تَحْتَهُ، وَكَانَ أَرِيضًا، فَدَخَلَ مِنْ
 مَدْرَلِهِ، حَتَّى لَاحَظَهُ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ عَلَى جَمْعٍ جَانِبِي، قَالَ فَكَشَفْتُ لَهُ عَنْ مَكْنُوتِ
 السَّمَوَاتِ، فَخَاضَ فِي مَدْرَلِهِ كَأَنَّهُ سَابَّ سَهْمًا مِنْ نَوَارِهِ، وَفَرَسَ رَسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ
 يَا رَبِّ، بِمَاذَا بَأْسَتْ بِي إِلَى هَذِهِ الْكَرَامَةِ؟ قَالَ يَخُوضُ حَتَّى يَصْلُحَ مِنْهَا، وَهُوَ لَا يَدْرِي
 بِمَا مَوْسَى، لَا يَدْرِي أَحَدًا مِنْهُمْ، فَدَخَلَ مِنْ مَدْرَلِهِ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ، إِلَّا اسْتَعْدَدْتُ مِنْ مَحْسِنَتِهِ، وَوَدَّعَهُ
 مِنْ جَنَّتِي حَيْثُ يَشَاءُ. وَقَالَ حَرَجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَى صَبِيحَتِهِ لَهُ، هَلْ عَلَى بَدَنِكَ شَيْءٌ؟

(١) حَدِيثُ أَبِي حَرَجٍ أُنْتَبِهُ شَهْوَى شَهْوَى وَرَدَتْهُمَا وَكَرَّ عَلَى مَاءٍ عَذْبٍ لَهُ، وَأَبُو الْخَثِيبِ فِي التَّوَابِ
 مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُمَرَ أَنَّكَ ضَعِيفٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ

(٢) حَدِيثُ عَائِشَةَ مَا شَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ فِي
 الصَّبِيفِ أَسْبَقَ فِي الصَّبِيفِ، وَكَانَ يَأْكُلُ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 مَا شَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ، فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَرَجٍ، وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ
 أَبِي عُمَرَ، فَتَقَدَّمَ الْقَدِيمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ، فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَرَجٍ، وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُمَرَ، فَتَقَدَّمَ الْقَدِيمُ

(٣) حَدِيثُ أَبِي حَرَجٍ أَنَّكَ ضَعِيفٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَرَجٍ، وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُمَرَ، فَتَقَدَّمَ الْقَدِيمُ
 فِي رِوَايَةِ أَبِي حَرَجٍ، وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُمَرَ، فَتَقَدَّمَ الْقَدِيمُ

وفيه علامة سوديمال فيه . إذ نفي العلامة تقوته ، فدخل الحائط ككلمة ، ود من العلامة ،
فرمى إليه العلامة قرصاً فكلمة ، ثم رمى إليه ثانياً وثالثاً فكلمة . وعند الله يضر إليه .
وقال يا علام ، كم موث كل يوم ؟ قال ما زلت . ول من آت به هذا الكلب ؟ قل ما هي
بأرض كلاب ، إنه جاء من مملكة بعيدة جاءها ، فكرهت أن تشبع وهو جائع . قل فمات
صانع اليوم ؟ قل أطوى يومى هذا . وقال عبد الله بن جعفر : ألام على السجدة ، إن هذا
العلام لأسحقى منى . فاشترى الحائط والعلامة وما به من آلات ، فأعق انه ، ووهبه .
وقال عمر رضي الله عنه . فهدى إلى رحل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأس شاة ، فقال إن أحي كان أحوح منى ، به . فمات به ، به . ثم يزل كل واحد يبعث
به إلى آخر . حتى تداوله سبعة أدت . ورجع إلى الأول .

ایمان علی کرم
الله وجهه
وہدایہ اللہ
بہ عہدہ

ومات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوحى الله له إلى جبريل
وميكائيل عليهما السلام ، إني آتيت بكم ، وجمعنا محمدًا نكاحًا طويلاً من عمره لأحرار ، فأياكم
يؤثر صاحبه بالحياة ، فاحتاروا كلاهما الحية ، وأخبراه ، فأوحى الله عز وجل إليهم : فملا كتاباً ، ثم أتى
إبراهيم عليه السلام ، وأخبرته ، فبينما هم في مجلسهم ، فأتى على فراشه فهدى نفسه ،
ويؤثره بالحياة ، فذهب إلى الأرض ، فاحفظاه من عدوه ، وكان جبريل عند رأسه ، وميكائيل
عند رجليه ، وجبريل عليه السلام يقول : نحن من مثلك يا ابن آدم ، والله تعالى
يذهب لك الملائكة ، فأمر الله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه أُنساً ، مرة من الله
والله راووف بالعباد) . وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه احتجهم بمحمد بن عبد الله وثلاثون
نفساً ، وكانوا في قرية قرب الرى ، ولهم أرغفة معدودة لم تشبع حميتهم ، فكسروا الرغفان

(۱) حدیث بات علی علی فرارش رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم و فرمایا اللہ ای مردی و مکانی ای حیث
 یدیک و حدیث عمر "حدیث اصول من لا یر - حدیث فی رسول قولہ تعالیٰ و من الناس من
 یشری بفسادہ مرصع بہ محمد بن عمر بن عبد اللہ بن عباس شری علی بفسادہ فلیس ثوب
 سی منی اللہ علیہ و سلم تمام مکاتیب - احادیث و حسن و بدکر حدیث - میکاتیل و لم أفہ لحدیث
 ازہدہ علی فی فیہ اولیج محمد فیہ و حدیث - مکر

وأطلقوا السراح. وحسبوا أن دمهم قد رفع. وهذا هو معنى قوله، ولم يأكل أحد منه شيئا. وإشارة إلى دمته على نفسه. وروى أن شعبة جاءه سائل. وليس عنده شيء. فصرع حشمة من سقف بيته. وأعطاه، ثم اعتذر بإيه. ومن حديثة المدوي. انطلقت يوم النوروز أنطاب بن عرنى، ومعنى شيء من ماء. وأقول إن كان به رمق سقته. ومسحت به وجهه، فإذا أنا به. فقلت أسقناك. فوثر إلى أن نعم. فإذا رجل. فوثر رأس عمي إلى أن انطلق. وإيه. فحدثه. فإذا هو هشام بن الهيثم، فقلت أسقيك. فسمع به آخر فقال آم. فأشار هشام انطلق به إليه. فحدثه. فإذا هو قدماء. فرجعت إلى هشام، فإذا هو قدماء. فرجعت إلى أن عمي، فإذا هو قدماء. رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال عيسى بن دعلج، ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها، إلا شرب من الحارث. وإيه. رجل في مرضه. فشكا إليه الحارث، فصرع حديصة وأعطاه إياه، واستعار ثوبا فلبس به. وعن بعض الصوفية. قل كما انظر سوس. فحتمت جماعة، وخرجت إلى باب الجهاد، فتمننا كتاب من البلد. فلبس به. فخرجت إلى موضع عال. وقعدت. فلبس الكتاب إلى الميتة، رجع إلى البلد، ثم عاد بعد مدة فوجدته دار عشرين كلبا. فوجدت تلك الميتة، وقعدت ناحية. ووجدت الكلاب في الميتة. فمالت تأكلها. وذلك الكتاب قاعد يطر إليها. حتى نكس الميتة. وفي المظلم. ورجعت الكلاب إلى البلد. فوجدت ذلك الكتاب، ووجدت إلى تلك المظلمة. فكل ما في عليه أقبلا. ثم انصرف وقد ذكره من خبر رايته. وأحوال الأولياء. في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة هنا، وبالله التوفيق، وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل.

بيان

حد السخاء والبخل وحقيقتها

لعلك تقول قد عرف شواهد شرعية في الحبل من المهمات، ولكن ما حد البخل. وبماذا يصير الإنسان بخيلا. وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سعيًا، ورغبا يراه غيره بخيلا. وقد يصنفر أهل من إنسان، فيخلف فيه ليس، فيقول قوم هذا رجل. ويقول آخرون

ليس هذا من الجن . وما من من ، لا ونخدمه نفسه حب المال ، ولأجله يحفظ
المال ويمسكه في كاي يصر إيساك المال جريلا . وإذ لا يفتد خدمه أبجل وإذا كان
الإيمان مطلق لا يوجب إيمان ، ولا معنى لأيمان ، لا الإيمان ، فلابد أن يوجب
الهلاك . وما حد السجاء الذي يستحقه لعباده الله سبحانه وتعالى وقبور

[illegible]

وقال قائلون البخيل هو الذي يستعصم العطية. وهو أي ذو العيب. والعطية سبب
كل عطية، فكم من بخيل لا يستعصم العطية. كالخلة وما يربط بها، ويستعصم
ما فوق ذلك. وإن أريد به أنه يستعصم من الصدقات من حواد إلا أنه يستعصم
بعض العطايا، وهو ما يستغرق جميع ماله. والمال العظيم. وهذا لا يوجب الحكم بالبخل
وكذلك تكلموا في الجود. وقيل: الجود عطاء بلا من، وإتضاف من غير روية

وقيل: الخود عطاء من غير مسألة، على رؤية القليل. وقيل: الخود السرور والسائل
والفرح بالعطاء، يمكن. وقيل: الخود عطاء على أنه أن المال لله تعالى. والله يدله
عن وجل، فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض،
وأبقى البعض، فهو صاحب سعادة ومن بدل الأكثر، وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود،
ومن قاسى الضرر، وآثر غيره بإيعة. فهو صاحب إيثار ومن لم يبدل شيئاً، فهو صاحب عمل
وجهة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الخود واليحق أن نقول: المال

ميرزا محمد
والفارس والفرزاني

ويسمى وسط وهو المحدود ، و يسمى أن يكون السخاء و حود عبارة عنه ، إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالسخاء ، وقد ورد له (ولا تجعن يدك معترلة إلى عُنُقِكَ وَلَا تَنْطُطَهَا كُنْ أَلَسَطًا ^(١)) وقال تمار (وليس يد تَنْطُطُوا لَمْ يَنْتُزِعُوا وَلَمْ يَشْرَبُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاءً ^(٢)) . فالحد وسط من الإراف والإقتار . وبين الوسط والقبض وهو أن يقدر مدله وإمسه كما يقدر الواجب . ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ، عالم يمكن قلبه طيبا به ، غير مبرع له فيه . فإن قيل في محل وجوب المدل ، وقسه - رعه ، وهو بصارها فهو متسخ . وبس سجي . بل ينبغي أن لا يكون قسه - رعه مع المدل ، بل من حيث يراد المدل له ، وهو درعه إلى ما يحب درعه إليه . فإن قيل فقد ار هذا ونحوها على معرفه الواجب ، ثم الذي يحب مدله . فأقول . بل الواجب صملا ، وحب ما شرع ، وواجب المروءة واهده . والحق هو الذي لا مع واجب الشرع ، ولا واجب المروءة فإن مع واحدا منهما . فهو نهي . وكره . لذي مع واجب الشرع . نحن كالذي مع أداء ركاه ، ونعيم عيله ونهيه العفة ، أو تؤديه ، وإن كانه يشق عليه ، فإنه سهل بالطبع . وإذ يتسحق ما يكاف . أو لذي يرحم الحيات من مائه . ولا يصيب مائه أن يمضى من أطيب ماله ، أو من وسطه ، فهذا ركاه عن . وأما واجب المروءة ، فهو ترك المصايقة والاستقصاء في المحترات . فإن ذلك - مع . واستقبح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله ، استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المصايقة . ويستقبح من الرجل المصايقة مع أهله . وأقاربه ، وماله . لا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار ، ما لا يستقبح مع البعيد . ويستقبح في الصياغة من الحقيقة . ما لا يستقبح في المعاملة . فيختلف ذلك بما فيه من المصايقة ، في صياغة ، أو معاملة . وماله المصايقة ، من طعام ، أو ثوب . إذ يستقبح في الأظلمة . لا يستقبح في غيرها . ويستقبح في شراء الكهر مثلا ، أو شراء الأنصية ، أو شراء خبر البسمة ، . لا يستقبح في . من المصايقة . وكذلك بمن منه المصايقة ، من صدق ، أو أحم ، أو قريب ، أو رجه . أو ولد . أو أجنبي . وبمن منه المصايقة ، من صبي أو امرأة ، أو شرج ، أو شاب ، أو عالم ، أو جافل ، أو موسر ، أو فقير .

(١) لاسراء : ٢٩ (٢) الفرقان : ٦٧

فالتجيب هو الذي يقع حيث ينبغي أن لا يقع ، إمام المحكم الشرع ، وإمام المحكم المروءة ، وذلك لا يمكن
 التصييص على مقداره ، ولعل حد النحل هو إباحة المال عن عرض ، ذلك العرض هو أهم
 من حفظ المال ، فإن صيانة ليس أهم من حفظ المال ، ثم إن الزكاة والمققة تحيل وصيانة
 المروءة أهم من حفظ المال ، والمصدق في ذلك مع من لا تحسن المصايقه معه ، هالك
 ستر المروءة لحب له ، وهو تحيل ، ثم تنسب درجة أخرى ، وهو أن يكون الرجل من
 يؤدي الواجب ، ويحفظ المروءة ، ولكن مع ما كان كثير من جمعه ، ليس يعرفه في الصدقات
 وإلى الحد ، حين فقد يقاين عرض حفظ المال ، يكون له عده على وثب بره ، وعرض
 الثوب ، يكون رافعه مدحه في الآخرة ، وبذلك المال عن هذا العرض عند
 الأكبر ، وليس من عند عموم حتى ، وذلك لأن طرعوهم مقصور على حصول
 الدين ، وهو إسماعيل كدفع ثواب الزكاة ، وربما يظهر بعد العوام أجمع سمة النحل
 عليه ، إن كان في حواره من ذلك ، ثم هو قال ، قد أدب الزكاة الواحدة ، وليس على غيرها ، ويختلف
 استقناع ذلك اختلاف ، مقداره ماله ، وبذلك يجب شدة حاحه المخرج ، ولا إلاح فيه ، راسخة فيه
 فمن أدى واجب الشرع ، وواجب المروءة اللازمة له ، فقد أتم من النحل

نعم لا يتصف بصفة الجود والبخاء ، ماله بدل ، ذه على ذلك ، طلب العفيلة ، ويؤيل الدرجات
 فإذا اتسمت هذه المدة المال ، حيث لا يوجب الشرع ، ولا تنوجه إليه الملازمة في المادة
 فهو جواد ، بقدر ما تسع له هذه من قليل أو كثير ، ودرجات ذلك لا تحصر ، وبعض
 الناس أجود من بعض ، فاصطاع المعروف وراء ما يوجب العادة والمروءة ، هو الجود ،
 ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ، ولا يكون عن طمع ، ورجاء خدعة ، أو مكافأة
 أو شكر ، أو ثناء ، فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يبيع ، وليس بجواد ، فإنه يشتري
 المدح عاله ، والمدح لذيذ ، وهو مقصود في نفسه ، والجود هو مال الشيء من غير عوض
 هذا هو الحقيقة ، ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى ، وأما الأدنى ، فليس الجود عليه مجاز
 إلا لا يدل الشيء ، لا المرض ، وإسكاه إذا لم يكن عرضة إلا الثواب في الآخرة ، أو اكتساب
 فضيلة الجود ، وتطهير النفس عن الله البخل ، فمن جواد ، فإن كان الباعث عليه الخوف
 من سطوة مثلاً ، أو من علة الخوف ، أو ما يورثه من نفع يداله من المنعم عليه ، فيشكل ذلك

ليس من الجود، لأنه مُقْطَرٌ إليه هذه البواعث، وهي أعوانه وحلته عليه، فهو مقتاض
 لأجود. كما روى عن بعض المتقدمين أنها وقعت على حبر بن هلال، وهو حاسر مع
 أصحابه، فعاتبته هل فكركم من أسأله عن مسألة، فقلوا لها: على عم شئت، وأنشأوا إلى حبر
 ابن هلال، ففقت ما أسجد، عندكم، فقلوا المطاء، وانبدل. والإشارة قالت هذا السجاء
 في الدين، فما السجاء في الدين، فقلوا: من عند الله سبحانه، سبحانه، سبحانه، غير مكرهة
 قالت فتريدون على ذلك تحرا، فقلوا: نعم. قالت ولم، فقلوا: لأن الله تعالى وعد بالحسنة عشرة
 أمثالها. قالت سبحان الله، ورد أعينتم واحدة وحذتم عشرة، معنى شيء، تسعين عليه؟
 قالوا لها: ما السجاء، عندك برحمتك الله، قالت أسجد، عندى، أنتم تدعون الله تسعين، والذين
 تسجد، غير كارهين. لا تريدون على ذلك تحرا، حتى يكون مولاكم يقين، لكم ما شاء
 ألا تسجدون من الله أن يصح على ما لكم، ثم منكم، ثم ريدون شيء، إنا هذا في
 الدنيا أسجد. وقالت بعض المتقدمين: تسجدون أسجد، في مدحهم والثناء فقط،
 فإن فهم، قال السجاء، عندى في المصحح. وقال الحارثي: أسجد، في الدين، تسجد، تسجد
 تسجد، لله عز وجل، ويسجدوا قبلك، يبدل منجبتك، وإهراق دمك لله تعالى، تسجاده من
 غير إكراه، ولا تريد ذلك، وإنما سجدوا ولا سجدا، وبك كتب غير مستعين عن الثواب.
 وأمكن يعلب على ذلك حسن كمال السجاء، نترك الاختيار على الله، حتى يكون مولاك
 هو الذى يعمل لك، لا تخشى أن تختاره نفسك.

السماع في الدين

بيان

علاج البخل

اعلم أن البخل سببه حب المال، وحب المال سبب أن أحدهم يحب المال، وبأنه لا وصول
 إليه إلا بالمال مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يومه، رآه أنه كان لا يبخل
 عماله، يد القدر الذى يحتاج إليه في يوم أو في شهر، أو في سنة، قريب، وإن كان قصير
 للأمن، وأمكن كان له أن لا يفهم الولد مقام طول الأمل، فهو يتصرف بهم كبقية السجاء.

حب المال
 كسر سبيل القصد
 الشهوات

فيمسك لأحدهم ولذا قل عليه السلام "أبوء بكوني منكم منكم منكم" فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر، وثقة الثقة بحىء الرق، فولى ليس لأحده

السبب الثاني أن يحب المال من الناس من معه ما يكفيه بقية عمره، إذا اقتصر على ما حرت به عادة عقله، ومخل - لاف، وهو شيخ بلا ولد، ومعه أموال كثيرة، ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة، ولا تدأواقة نفسه عند المرض، بل صار محبا للدنيا، عاشق لها، يسد وجوده في دمه، وقدره عليه، ويكرها تحت الأرض، وهو يعلم أنه يموت فتصيب أو يأخذها بعداؤه، ومع هذا فلا يمنع عنه أن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة، وهذا مرض للقلب عظيم، عسير العلاج، لا سيما في كبار السن وهو مرض من لا يرحم علاجه، ومثل صاحبه مثل رجل عشق شخصا، فأحب رسوله الله، ثم سعى نحوه، واشتم رسوله، فبذل رسول الله إلى الخبثات فصارت نحوه لذلك، لأن الموصل إلى اللذيق للذيق، ثم مدتنى الحاجات، ويهوى الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه، وهو سيرة الضلال، بل من رأى دمه وبين الحجر فرقا فهو جاهل بالإيمان حيث قضاء حاجته به، فأنزل عن قدر حاجته والحجر ثمرة واحدة.

فهذه أسبب حب المال وإن علاح كل علم قد علمه فله حب الشهوات بالقضاء والمسير، والمصر، وأهل أموال الأمل بكثرة ذكرا موت، والمصر في موت الأفران، ومطول تعسهم في جمع المال، وصياغته لمدحهم، وتدح آيات القلب إلى الولد أن حافة خلق معه رزقه، وكمن ولد لم يرث من أبيه مالا، وحاله أحسن من ورث، وأن يعلم أنه يجمع مال لولده، يريد أن يتركه ولده بخير، ويسقب هو إلى شر، ولده إن كان تقيا صالحة كافيته، وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية، وترجع مظلمته إليه، ويمنح أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم المال، ومدح السخاء، وما وعد الله على الجاهل من العقاب العظيم ومن الأدوية لقيمة كثرة التأمل في أحوال الجلاء، ومرة الطمع عنهم، واستقياحهم له، فإنه مأمور غيل إلا ويستقيح الجاهل من غيره، ويستثقل كل غيل من أصحابه.

(١) حديث الولد محلة راد في رواية حمزة بن ماجه من حديث يعل بن مرة دون قوله حمزة رواه مهدي الزيادة أبو يعلى والبرار من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وأسناده صحيح

فيعلم أنه مستثقل ومستقدر في قلوب الناس ، مثل من أثر البخلاء في نفسه . ويدلح أيضا قلبه بأن التفكير في مقصد المال ، وأنه لما د خلق - ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه . والباقي يدخره لنفسه في الآخرة ، أن يحصل له ثواب بدله . وهذه الأدوية من حكمة المعرفة والعلم . وإذا عرف نور البصيرة ، أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة ، حاجت رغبته في البذل إن كان عاجلا ، فإن تحركت الشهوة ، ويدنى أن يحجب لخطر الأول ولا يتوقف ، فإن الشيطان يصد الفقر ، ويخونه ، ويصد عنه . حكى أن الحسن البوشعي كان ذات يوم في الحلاء ، فدعا تلميذا له ، وقال ارفع عنى القميص وادعه إلى فلان وقال هلا صبرت حتى تخرج ؟ قال لم آ من على نفسي أن تتمر ، وكان قد خصر لى بدله

ولا ترول صفة البخل إلا بالبذل - كما لا يرول العشق إلا بفارقة المشوق ، بالسر عن - تفره ، حتى إذا سافر وفارق - كما ، وصبر عنه . منه تسلي عنه فيه . وكذلك الذي يريد علاج البخل ، يسعى أن يفارق المال تسكما أن يذله . بل لور ماء في الماء كان أولى من إمساكه أياه مع الحب له . ومن طوائف الجبل فيه ، أن يجمع عنه بحسن الاسم والاشتهار بالبر ، فيبدل على قصد الرياء . حتى تسمح عنه بالبدل طعما في حشمة الخود فيكون قد أزال عن نفسه خست البخل . واكتسب بها حث الرياء . وانكسر ينمطف بعد ذلك على الرياء . ويراد به ملاحه ، ويكون طالب الاسم كالنسيبة للعن عند قطعها عن المال ، كما قد يسى العن عند الطعام عن الشدى بالامب بالمصاهر وغيرها . لا يرضى ، والعب وانكسر ايمك عن الشدى إليه ، ثم يقل عنه في غيره . وكذلك هذه الصفات الخبيثة . يسعى أن يسلط بعضها على بعض . كما تسلط الشهوة على الغضب ، وانكسر سورنه ها . ويسلط الغضب على الشهوة ، وانكسر رعونته . إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء ، فيبدل الأقوى بالأسعف . فإن كان الجاه محموبا عنده كمال . فلا فائدة فيه . فيه يقع من علة ، ويريد في أخرى مشها . إلا أن علامة ذلك أن لا يتقل عليه البذل لأجل الرياء . فبدلك يسعى أن لرياء أغلب عليه . فيسلك البذل يشق عليه مع الرياء ، فينبغى أن يبذل ، فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه

مدح البخل
بالرياء

ومثل دفع هذه الصفت من بعض . ما قيل إن الميت يستحيل جميع أجزائه ذوباً
ثم يأكل بعض الديدان لبعض ، حتى قد عدها ثم يأكل بعضها بعضاً ، حتى ترجع
إلى اثنين . قوتين ، عظمتين ثم لا يزالان يقتلان ، إلى أن سب إحداها الأخرى ،
فأكلها ، وتضمن بها ثم لا يزال في حائمه وحدها . إلى أن تموت . وكذلك هذه
الصفات الخبيثة ، يمكن أن يسلط بعضها على بعض ، حتى يجمعها ، ويجعل الأصعب قوتاً
للأقوى . إلى أن لا يبقى إلا واحدة ، ثم تقع المديونية عليها ، ويدن منها عدة ، وهو مع القوت عموماً
ومنع القوت عن الصفت ، أن لا يعمل مقتبها . فإنها تفسد لا تحللاً . وإذا
حاولت تخدمت الصفت ومات مثل الحال ، ثم بقيت صفة إحداهما ، فبدا منع مقضاه
وبدل المال مع الجهد مرة مدحرج . مات صفة الحال ، وبدا المدحرج طبعاً ، وسقط التعب
فيه . فإن علاج الجرح ، من وعمل فاعلم يرجع إلى معرفة فيه الحال ، ومعرفة الخلود . والعمل
برجع إلى الخلود والعمل على سبيل الحكمة . ولكن قد يقوى الحال ، بحيث يعنى ويصم
فيصع تحقيق المعرفة فيه . وهذا لا يتحقق المعرفة ، لم تحرك الرعدة . فم يفسد العمل . فتبقى
الملة مرمية ، كالمريض الذي يمنع معرفة لدواعيها ، كان استعماله ، لا حياة إلا الصبر إلى الموت
وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة ألبعض في المريدين أن يسميهم من الاختصاص
بروايتهم . وكان إذا وقع في صريد فريجه بروته وما فيها ، قلته إلى راوية غيرها ونقل راوية
غيره إليه ، وأخرجه عن جميع مامدكم . وإذا رآه ينشقت إلى ثوب جديد يلبسه ، أو سجد دفين فرح
بها . أمره بتسليمها إلى غيره ، ويلبسه وياخذها . لا يغلب إياه فيه . فبها يتجافى القلب عن متاع
الدنيا . من لم يسلك هذا السبيل ، أنس بالدنيا وأحبها . فإن كان له ألم متاع ، كان له ألم محبوب
ولذلك إذا سرق كل واحد منه . ألت مصيبة قدر حبه له . فإذا مات . نزل به ألف مصيبة دفعة
واحدة . لأنه كان يحب الكل ، وقد سلب عنه كل موافق حياته على خطر المصيبة بالمقدور والهلاك
حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروز ، مرصع بالجواهر ، ثم برله نظير . ففرح الملك
بذلك فرحاً شديداً . فقال لبعض الحكماء عنده . كيف ترى هذا ؟ قال أراد مصيبته أو فقرا
قال كيف ؟ قال إن كسر كان مصيبة لا جبر لها . وإن سرق صرت فقيراً إليه ، ولم تجده مثله

وفد كنت قبل أن يحمل ، مك في أم من المعصية والفقر ثم امن يوما أن كسر أو سرق وعصمت مصيبة المالك عليه ، فقل صدق الحكم . به لا يحمل إليه وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله ، إذ تسوهم إلى النار وعدوة أولياء الله إذ تنعمهم بالعصر عنها وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده ، وعدوة الله ، فإنهم كل منهم ، فإن المال لا يحفظ إلا بالحراش والحراس ، والحراش والحراس لا يمكن تحميم إلا بالنال ، وهو بدل الدراهم والدنانير . فقل لكل منعه وبمزدائه ، حتى متى ومن عرف آفة المال لم يأمن به ، ولم يرح به . ولم يأخذ به إلا قدر حاجته . ومن تقع بقدر الحاجة فلا يخل ، لأن ما منك الحاجة فليس يخل ، وما لا يحتاج إليه فلا يعب منه كحمه ، ويبدله بل هو كالم . على شرط الدعة ، ولا يحمل به أحد ، قد عدا من . قد قدر الحاجة

بيان

بمجموع الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم أن المال كما وصفناه ، خير من وجه وشر من وجه ومثله مثل حياة بأحد الرافق ويستخرج منها الترياق . ويأخذها له من ، فيقتله سمها من حيث لا يدري ، ولا يخلو أحد عن سم المال ، إلا بالمحافظة على خمس وظائف

الأولى : أن يعرف مقصود المال . وأنه مداحق ، وأنه لم يحدح به ، حتى يسكت به ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ، ولا يعطيه من حبه فوق ما يستحقه

الثانية : أن يراعى جهة دخل المال ، فيجتنب الحرام المحض ، وما العاط عليه الحرام كمال السلطان ويحتب الجهات المكروهة ، القدحة في مروءة . كالهدي التي فيها شوائب الرشوة ، وكالسؤال الذي فيه لذة وهلك المروءة ، وما يجري محرام

الثالثة : في المقدار الذي يكتبه ، فلا يستكثر منه ولا يستقل . بل القدر الواجب . ومعياره الحاجة ملئس . وممكن . ومظم . ولكل واحد ثلاث درجات ، أدنى وأوسط . وأعلى . وما دام ما تلا إلى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة ، كان حقا ،

معرفة قيمته

اكتسابه من
المعولاكتساب قدر
الحاجة

ويحيى من جملة المحققين وإن حاور ذلك. ومع في هويته لا آخر لعمقها. وقد ذكرنا
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد

الراعية. أن يراعى حبة مخرج. ويقصد في الإله في غير مبدئ ولا مقتر كما ذكرناه،
فيصع ما اكتسبه من حله في حقه، ولا يسميه في غير حقه. فإن الأثم في الأخذ من غير
حقه، والوضع في غير حقه، سواء

الخامسة أن يصالح بينه في لأحد، والبرك، والافاق، والإمساك. فيأخذ ما يأخذ
ليستعين به على العادة. ويترك ما يترك زهد فيه، واستحقاقه إذا وصل ذلك لم يضره
وجود الله. ولذلك قال على رضى الله عنه. لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض، وأراد به
وجه الله تعالى، وهو زاهد. ولو أنه ترك الجميع. ولم يرد به وجه الله تعالى، فليس زهد.
فيمكن جميع حركات وسكنات الله، مقصوداً على عدة. ثم ما يبين على العادة فإن أبعاد
الحركات عن العادة، الأكل وقصد الخلة وهما مبدئ على العادة فإذا كان ذلك فقصده
هما. صار ذلك عادة في حقك وكذلك معنى أن يكون يدك في كل ما يحفظك،
من قيس، وإبر، وورث، وآية لأن كل ذلك يحتاج به في الدين وما فصل من
الخلة، معنى أن يقصد به أن يسمع به عدد من عدد الله، ولا يسمعه منه عند حاجته. فمن
فعل ذلك. فهو الذي أخذ من حبة كل جوهره، وتركها، وفي سبيلها. فلا تضره كثرة
المال. والى لا يأتى ذلك إلا من ربح في الدين فدهه، وعظم فيه عنه. والعامي إذا
تشبه بالله في الاستكثار من المال، ورغبته يشبه غيره الصعبة، شبه العبي الذي يرى
المعرم لحديق يأخذ الحية، ويتصرف فيها. فيخرج تريده، فيقتدى به، ويظن أنه أخذها
متحسباً صورته، وشكله، ومسيره جالده، فيأخذها مداء به، فتقلبه في الحال إلا أن
قتيل الحية يدري أنه دين، وقتيل المال قد لا يعرف. وقد تشبهت الدنيا بالحية وقيل

هي دنيا كحية تمت الله. وهذه كانت المحسولات

ونما يستعين أن يشبه الأعمى بالعمى. في تخفى من الحرة. وأطراف البحار، والطرق
المشوية. فيجاءل أن يشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان

ذم الغنى وممدح الفقر

اعلم أن السعيد قد احتفوا في تعظيم الغنى لشكره على القدر الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والرهة. وكشفنا عن تحقيق الحق فيه. والكتاب في هذا الكتاب، نذل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الخلة. من غير التفت إلى تفصيل الأحوال. وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الخارث المحسبي رضي الله عنه في بعض كتبه. في الرد على بعض العلماء من الأعيان، حيث احتج بأغنياء الصعابة. وبكثرة مال عبدالرحمن بن عوف وشبهه بهم. والمحاسبي رحمه الله حذر الأثرة في علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس، وآفات الأعمال. وأعواز العبادات، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال مد كلامه في الرد على علماء السوء، نعم أن عيسى بن مريم عليه السلام، قال يا علماء السوء، تصومون، وتصلون، وتصدقون، ولا تعملون ما تؤمرون، وتديرون ما لا تعملون فيأسوء، تحكمون تنوون باقول ولا في، وتعملون بالموى. وإداعي عمن أن تقوا حلوكم، ولعلكم دسة الحق أقول لكم، لا تكونوا كاللحل. يخرج به الذئب الطيب، وتبقى فيه السحرة. كذا ثم خرجوا الحكم من أفواهكم، وينفي العمل في صدوركم يا عبيد الدنيا. كيف يدرك الآخرة من لا يقص من الدنيا شهوته، ولا يقطع بها رعيته الحق أقول لكم، إن قلوبكم تبكى من أفعالكم، حينئذ تحت أمتكم. والعمل تحت أقدامكم. الحق أقول لكم، أفسدت أحراركم. فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأبى الناس أخسرهم لم يوتعمون. وبكم. حاشا لتعمون الطريق المذللين وتقيمون في محل منجيين، كما تدعون أهل الدار ليدكوهاكم مهلاً مهلاً وبكم وإداعي عن البيت المظلم أن يوسع السرح فوق ظهره. وجوفه وحش مظلم؟ كذلك لا يعنى عكس أن يكون نور العلم فواهمكم، وأخوفكم منه وخشة مسئلة يا عبيد الدنيا لا كعبد ثقيلاً، ولا كآثار حرام. وشئت الدنيا أن تلعنكم عن أمواتكم. فأتقواكم على وجوهكم، ثم كسبكم على مآثركم. ثم أجد حظيكم مواصيتكم، ثم تدفعكم من خلفكم

لخدم المحاسبي
في الفناء على
السوء

حتى تسمعهم إلى الملك الديان عرافاً رادى، فيوفى قسركم على سواكم ثم يحجبكم سوء أعمالكم
ثم قال الحارث رحمه الله: إخواني، هؤلاء عماء السوء، شياطين الإنس، وفتنة على
الناس، رعبوا في عرض الدنيا ورفعتهم، وآثروها على الآخرة، وأذلوا الدين للدنيا، فهم
في العاجل عاروشين، وفي الآخرة هم الخسرون، أوبقوا الكريمة فضله . وبعد .

فإن رأيت الهالك المؤثر للديناء سروره ممزوج بالآفة عريضة، ويتهجر عنه أنواع الهوموم، وفنون
المعصية، وإلى الوار والمكسب مهيته فرح الهالك برجائه، فلم تنق له دياه، ولم يسلم له
دينه خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الحيران الميئس، فياله من مصيبة مأفطمة، بوررية
ما أحلها، ألا فراهوا الله إخواني، ولا يركم الشيطان وأولاده، من الآسفين بالحق
الدأصة عند الله، فيهم يتحاربون على الدنيا، ثم يطبسون لأنفسهم المعادير والطحح،
ويرعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لهم أول، فيترين المرورون
بذكر السجدة، يمدحهم الناس على جمع المال، وعدددهم الشيطان وما يشعرون

ويحدث في القلوب، أن احتجوا ذلك بأن عبد الرحمن بن عوف، وسكيدة من الشيطان
ينطق بها على أنه هالك، لأنه متى رعت أن حبيب الصحابة أرادوا المال لكثرة
واشرف، والرياسة، فقد أنت السدة، وانسبهم إلى أمر عظيم ومتى رعت أن جمع
المال الحلال أعلى وقبيل من تركه، فقد ردت محمداً والمراسين، وانبثهم إلى قلة الرغبة
والزهد في هذا الحيز الذي رعت فيه أن رأيتك، من جمع المال، وانسبهم إلى الخون
إذ لم يجمعوا المال كما جمع، ومتى رعت أن جمع المال خلال أعلى من تركه، فقد رعت
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتح لآلئهم، عن جمع المال، وقد علم أن
جمع المال خير الآلة، فقد عشتهم تركه حين نهام عن جمع المال، كذبت ورب السماء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كالت الآلة صحباء، وعليهم شقة، وهم وأنا ومتى
رعت أن جمع المال أفض، فقد رعت أن الله عز وجل لم يظلمهم، حين نهام عن جمع المال،

(١) حدث ابن عباس عن جمع المال، أن رعى من حديث أبي بصير، ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جمع المال وأكون من
الذاهبين - حديث روى به أبو بصير في صحيحه - انتهى في الزهد من حديث الحارث بن سويد
في نسخة أخرى: حدثنا أبو بصير عن أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقد علم أن جمع المال خير طبع أو رعمت أنت الله تعالى لما يعلم أن الفضل في الجمع .
فلذلك سهاهم عنه . وأنت عليم بما في المال من الخير والفصل . فذلك رعبت في الاستكثار ،
كأنك أعلم بموضع الخير والفصل من ذلك . تعالى الله عن جهلك أي المكتوب . تدرى عذبت
مادرك به الشيطان ، حين يريك الاحتجاج على الصحة . ويحك . ما بهلك الاحتجاج
على عبد الرحمن بن عوف ، وقد ودع عبد الرحمن بن عوف في القيمة . ثم يؤت من الدنيا
إلا هو . وأنت باعني أنه توفي عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه . قال أنس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم . خاف على عبد الرحمن في تركه . فكتب كعب . سعد بن
الله ، وما تخفون على عبد الرحمن . كتب كعب . وثني سعد . ورك طاب . فجمع ذلك أنذر ،
فخرج مذهب . يريد كعب . فربطه حتى مات . فأخذه يده . ثم طاق يريده كعبا فقبيل
السكب . إن أنذر بطانك . فخرج هاربا ، حتى دخل على عثمان . سمعت به . وأخبره الخبر
وأنس أبو دريقض "الأثر في حب كعب . حتى أتى في دار عثمان . فمادخل . قام كعب
لخمس حلف عثمان . هربا من بني در . فقال له أنور . هيه . من اليهودية . ترعم أن لا أنس
ما ترك عبد الرحمن بن عوف . وأنت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم . يوما نحو أحد
وأمامه . فقال هيا . در . فقلت ليك رسول الله . فقال : « لا تكبرون هم الأفلون
يوم نقبوا . إلامن قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله . وندامه وحذنه . وقيل : « هم »
ثم قال : « يا در » . قلت : « رسول الله . أتيت وأنتي . قال : « شرتني أن يمشي
أحد نعمة في سبيل الله أموت يوم أموت . وترك . ثم قبر صبي . فمات أو فصار
بارسول الله . قال : « إن قبره أطول . ثم قال : « در . أتريد أن تكبر وأنت الأفلون .
فرسول الله يريده . وأنت تقول : « من اليهودية لا بأس . ما ترك عبد الرحمن بن عوف ،

(١) حدث أنور ذكرهم الأفلون وهم من الأمان قال هكذا وهكذا . الحديث . من هو عنه وقد

نعم من دون هذه رواية . أي في قوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كتب طيب
وربما . أو كذا . فذكره على هذه الرواية . أي قول الحارث بن أسد الحارثي
من كركه . نصف وجهه . وهو أحمد . وثني . نعم . من هذا . ولقد كتب إذا كان قد
منه حتى لا أنس . فمرفوع . ثم روى عنه كعب . وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما أحب لو كان هذا الجبل في دهال الحديث . وفيه أبو حمزة

الديار، ثم تخرج بعد الزجر، وترغم أنت إلى حرم المال فقد جمعه الصحابة، كانت
أشبهت السيف وهمهم ونحش، إن هذا من ليس بالناس، ومن قتيام لأويائمه
وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف، لعرف بمسألتك، ومجمل الصحابة
وامعري لقد كان لبعض الصعدة أموال، أرادوها للسيف، والبذل في سبيل الله،
فكتبوا حلالا، وأكلوا طيبا، وأمعقوا قصدا، وقذفوا فضلا، ولم يندوا منها حق،
ولم يحلواها، لكنهم حادوا الله بأكثرها، وحلوا منهم محبهم، وفي الشدة آثروا الله
على أنفسهم كثيرا، فبالله أكذاك أنت، والله إنك بعيد الشبه بالقوم وبعد
فإن أحوال الصحابة كالإمامة المحمدية، ومن خوف الفقر ميس، والله في أرواحهم واثقين،
وبتقدير الله مسرورين، وفي البلاء راضين، وفي الرخاء شاكرين، وفي البصر صابرين،
وفي السراء حامدين، وكأولئك متواضعين، وعن حب المال والتكاثر ورعين، لم يبالوا
من الدنيا إلا المباح لهم، وورعوا بالشفقة منها، وزجوا الدنيا، وصبروا على مكارها، وتجرعوا
مرارتها، وزهدوا في نعيمها وزغراتها. فبالله أكذاك أنت، ولقد بلغنا أنهم كانوا
إذا قبلت الدنيا عليهم حروا، وقالوا دبت تحت عتوته من الله، وإذا رأوا الفقر، قبلوا
قالوا مرحبا بشار الصالحين. وبعد أن نعلمهم كان إذا أصبح وعنده عياله شيء،
أصبح كشيء حزين، وإذا لم يكن عنده شيء، أصبح فرحاً مسروراً، وثقين له إن الناس إذا
لم يكن عندهم شيء حروا، وإذا كان عندهم شيء فرحوا، وأنت است كذاك قال إلى
إذا أصبحت وأيسر عند عيالي شيء، فرحت، وإذا كرتي رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة.
وإذا كان عند عيالي شيء، إعتمت، وإذا لم يكن لي نال محمد سورة. وبلغنا أنهم كانوا
إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزبوا وأشفقوا، وقالوا مالنا وللدنيا، وإذا سلك بهم
على جناح خوف، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستنشروا، وقالوا لأن تذهب نارنا
فهذه أحوال السلف وحسبهم، وفيهم من المضل أكثر مما وصفنا. فبالله أكذاك
أنت؟ إنك بعيد الشبه بالقوم، وسأصف لك أحوالك أيها المفتون صديا لأحوالهم
وذلك أنك تطعم عند الفنى، وتبخر عند الرخاء، وترحم عند السراء، وتقتل عن
شكر ذى النعماء، وتقطع عند الضراء، وتبسط عند البلاء، ولا ترضى بالقضاء،

مرارة من
الفساد الخلف

منه وتضع يد المقر وأنت من المسكنة، وذلك من المرسى وأنت تأعب من محرمه وأنت تدخر المال وتحميه خوفاً من المقر، وذلك من سوء الظن بالله عز وجل والله اليتيم أعماه وكفى به إثمًا وعساك تجمع المال لتعيم الدنيا، ورهز به ويشهوا بها، ولداته وأقاربها رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) قال «شرا» أي لئن غدا ما نعهم ماتت عينه أحمه لهم»

ولمعا أن بعض أهل العلم دل على إحياء يوم القيامة يوم يملكون حسابات لهم. ويقال لهم (أذهبنكم منكم في حياتكم الدنيا واستغنيتن بها^(٢)) وأنت في غفلة، قد خربت معك كآخرة سبب معك الدنيا، فليها حشره ومعدنه معك وعسك تجمع المال لاكثر والمال والفخر، والريبة في الدين وقد سمعنا من طائفة من الناس لا يبالون بالآخرة، في الله وهو عليه عذاب وأنت غير مكشوف عما حل بك من عصب ريك، حين أردت الكثرة والعو معك وعسك لم تك في الدنيا أحب إليك من العقلة إلى حوار الله، فأتى كرهه الله، واتقاه لك أكرهه وأنت في عملة وعسك تسف على مافاتك من عرض الدنيا، وقد سمعنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أسف على الدنيا فإنه أقرب من النار مسيرة شهر» وقيل سنة وأنت تأسف على مافاتك غير مكثرت بقرتك من عذاب الله نعم وأهلك تخرج من دينك أحياء لتوفير دينك. وتفرح بمبال الله بيا عليك، وتراح لذلك سرورا. وقد سمعنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٣) «من أحب الدنيا وشربها ذهب خوف الآخرة من قلبه» ونقصا أن بعض أهل العلم قال، إنك تحاسب على التحرن على مافاتك من الدنيا، وتحاسب بهر حث في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدينك. وودسلت الخوف من الله تعالى وعسك تهي أمور دينك، أصناف مانعي بأمور آخرتك. وعسك ترى معصيتك في معاصيك، أهون

(١) حديث شراوى حتى القديس عدوا معهم. الحديث عدم ذكره في وثائق كتاب دم الحبل عند الحديث

الرابع منه من سف على دنيا فاته اقرب من النار مسيرة سنة

(٢) حديث من أحب الدنيا وشربها ذهب خوف الآخرة من قلبه. لم أحده إلا بلاغا للعارف بن أسد الهادي كادكره المصنف عنه

(٣) الأحقاف: ٢٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من أكل من الثمنين أو شرب من الثمنين أو وقع في الحرام »
 أي: المغرور، أما علمت أن حرام من الله ما أشبهت، على وأقصر، وأعظم لقدرك
 عند الله، من اكتساب الشهية، ودلج في سبل الله وسبيل البر، لهذا ذلك عن بعض
 أهل العلم قال: لأن تدع درهم واحد، بحجة أن لا يكون حلالاً، خير لك من أن تنسحق
 بألف دينار من شبهة، لا تدري أيحل لك أم لا

والرخصة لك أنى وأورع من أن تنسب ما شئت، وإنما تجمع المال بزعمك من
 الحلال للمد في سبيل الله، ويحدث بك كذا رخصة ما في الورع، ولا تمرض للحساب
 من خير الصلاة حذراً لمأله، وسما أن يحسن الصلاة قال: ما يرى أن اكتساب كل
 يوم ألب دية من حلال، وأنها في طاعة الله، ولم يشهدى اكتساب عن صلاة الجماعة.
 قالو ولم ذلك رخص الله، قال لأنى عني عن مقام يوم القيامة، فيقول عسدى من أين
 اكتسبت؟ وفي أى شيء، أتممت. فيؤذاه مقبول كما في حده الإسلام، والحلال
 موجود لديهم. تركوا المال وجلا من الحساب. بحجة أن لا قوم خير المال بشره، وأنت
 بغاية الأمن، والحلال في دهرك موقوف، تكاتب على الأوساخ، ثم تزعم أنك تجمع
 المال من الحلال، ويحدث، أن الحلال فتدعه، وسما، هو كان لحلال موجودا لديك
 أما تحف أن يتغير عند المعنى ذلك، وقد علمت أن بعض الصلاة كان يرث المال الحلال،
 في بركة بحجة أن يسد فيه، فمطمع أن يكون فمات في من باب الصلاة، ولا يروى
 عن شيء من الحق في ترك حرام الله في ذلك، بعد أحسن النص بمسك الأمانة بأسوء
 ويحك، إلى لك ناصح، أرى لا تفهم، ولا تجمع المال لأعمال البر، ولا تمرض
 بالحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من شرب الحساب
 عذب » وقال عليه السلام: « وقي برحمن يوم القيامة وقد جمع، لا من حرام وأفقته »

(١) حديث من حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في حرام ما عني عنه من حديث الحسن بن علي بن حمزة
 وقد عده في كتاب الحلال والحرام أول حديث

(٢) حديث من وقف على حساب عذب، من عده من حديث علي بن فضال

(٣) حديث يؤى من يوم القيامة وقد جمع ما من حرام وأفقته في حرام وعمل وهو به في النار
 بصلواته في كل يوم

فِي حَرَامٍ فَيُقَالُ أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُؤْتَى رَحْنٌ قَدْ جَمَعَ مَا لَا مِنْ حَلَالٍ وَأُثْقِقَهُ فِي حَرَامٍ
فَيُقَالُ أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُؤْتَى رَحْنٌ قَدْ جَمَعَ مَا لَا مِنْ حَرَامٍ وَأُثْقِقَهُ فِي حَلَالٍ فَيُقَالُ
أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُؤْتَى رَحْنٌ قَدْ جَمَعَ مَا لَا مِنْ حَلَالٍ وَأُثْقِقَهُ فِي حَلَالٍ لَهُ بِأَعْلَى
قَصْرَتْ فِي طَابِ هَذَا شَيْءٌ مِمَّا وَرَدَتْ عِدَّةٌ مِنْ سَلَامٍ لِقَتْمٍ لَوْ قَتَمَ وَفَرَّطَتْ فِي
شَيْءٍ مِنْ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَوُضُوءٍ فَيَقُولُ لَا يَرَى كَثْرَتُ مِنْ حَلَالٍ وَأُثْقِقَتْ
فِي حَلَالٍ وَلَمْ تُصَيِّغْ شَيْئًا مِمَّا وَرَدَتْ عَنِ فَيَقُولُ أَعْلَى خَلَّتْ فِي هَذَا الْمَالِ فِي شَيْءٍ
مِنْ مَرَكَبٍ أَوْ ثَوْبٍ بَاهِيَةٍ بِهِ فَيَقُولُ لَا يَرَى لَمْ أَحْتِجْ وَلَمْ أَهْ فِي شَيْءٍ فَيَقُولُ مَدَّ
مَنْتَ حَقَّ أَحَدٍ مَرَّتْ أَنْ تُعْطَى مِنْ دَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَنِشَاطِ
فَيَقُولُ لَا يَرَى كَثْرَتُ مِنْ حَلَالٍ وَأُثْقِقَتْ فِي حَلَالٍ وَلَمْ تُصَيِّغْ شَيْئًا مِمَّا وَرَدَتْ عَنِ
وَلَمْ أَحْتِجْ وَلَمْ أَهْ وَلَمْ تُصَيِّغْ حَقَّ أَحَدٍ مَرَّتْ أَنْ تُعْطَى وَلَمْ يَجِدْ وَنِشَاطِ
فَيَقُولُ يَرَى أَعْطِيَهُ وَأَعْطِيَهُ وَحَمْدُهُ بَيْنَ أَطْرَافِهِ وَمَرَّتْ أَنْ تُعْطَى بَيْنَ كَلِّ أَعْصَاهُمْ
وَمَا صَيِّغَ مَعَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمَرْحُومِ وَلَمْ يَجِدْ فِي شَيْءٍ فَيَقُولُ مَدَّ أَلَا هَبْ شُكْرَ
كُلِّ نِعْمَةٍ أَعْطَيْتَهَا عِدَّةً مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ شَرْعَةٍ أَوْ لَدَى فَلَا يَرَى يُنَاقِشُ

ويحك . من ذا الذي تعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل . الذي قلب في الحلال
وقام بالحقوق كلها ، وأدى المرائع بخدردها . حوسب هذه الحاسة فكيف ترى يكون
حال أمه لها ، العرفي في عين الدنيا ، وحليظها ، وشبهها . وشهراتها ، وريبتها ،
ويحك لأجل هذه المسائل ، يخاف المقبول أن ينلسوا بالدنيا ، ورسوا بالآخرة .
وعملوا أنواع البر من كسب المال ، فذلك ويحك هؤلاء الأحمار أسوة . فإن أبيت
ذلك ورعمت أمك مانع في لودع وانتقوى ، ولم تجمع مال إلا من حلال برعمتك لا تتعفف .
والبذل في سبيل الله . ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ، ولم يتغير بسبب المال قلبك
عما أحب الله ، ولم تخط الله في شيء من مرائث وعلاقاتك . ويحك . فإن كنت
كذلك ، وأنت كذلك ، فقد يدعي لك أن ترعى ناسه ، وتعتزل دوى الأموال إذا رغبوا
للسؤل ، ونسق مع الرعي الأول في رمية المسقى . لأحس عيبك لأمسائه والحب .

من حلال ، ويحذر أنت في أنواع من النعم والشهوات ، من مكاسب السحب والشهوات
لا تحشى ، لا تقطع أف لك ، ما أعظم جهلك . . ويحك ، فإن تحب في القيامة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم . محرم المصطفى ، لا تظن إلى أهوال حزمت معها الملازمة
والأبياء ، وإن مصرت عن الساق ، فيطوّل عيش اللعق ، وإن أردت الكثرة ، لتصير
إلى حساب غير . وإن لم تقع بالقبيل ، لتصير إلى وقوف طويل ، وضراح وعويل .
وإن رحمت أحوال المحضين . اتق من عن أصحاب الإيمان ، وعن رسول رب العالمين ،
وتبصّر عن نعيم المتنعمين . وإن حالت أحوال السفين ، لتكون من المحتسبين في أهوال
يوم الدين . وسدر ويحك ما سمعت . . وبعد من رحمت أنت في مثل حير الساب . قم
بالليل ، زاهد في الحلال ، بدول لك ، مؤثر على منك . لا تحشى الفقر . ولا تدخر
شيئ لك ، مفضل للكار والعي ، راض بالفقر والذل . فرح بالذل والمسكة . مسرور بالذل
والعنة ، كاره للعلو والرفعة ، قوى في أمرك ، لا يتعبير عن الرشداً لك ، قد حاسبت
معدك في الله ، وأحكمت تورك كام على ما وافق رسول الله . وإن توفيت في المسألة ،
وإن تحاسب مثلك من السقي ، وإنا تجمع المال الحلال لئلا في سدى الله ، ويحك أنها
المرور ، فتدر الأمر ، وأمن المطر ، فما علمت أن ترك الأشغال نادر ، وفراغ القلب
لذاكر ، والذكر ، والذكر . والعكر ، والاعتبار ، أسلم للدين ، وأيسر للحساب ، وأخف
للمسألة ، وآمن من رومات القيامة ، وأحرل للثواب . وعلى اتقك عبد الله أحمد ،
عن بعض الصالحين أنه قال ، لو أن رجلاً في حجره ، يعظم ، والآخرة يدكر الله ، السك
الذاكر أوصل . وبين بعض أهل النعم . عن الرجل يجمع المال لأعمال البر . قال زكاة ربه
ولم ، أن بعض حير المؤمنين ، سئل عن رجلين ، أحدهما طاب الدين ، حلالاً وأساسه . موصل
سها رجه ، وفهم لنفسه . وأما الآخر فإنه حابها فلم يحاسبها ولم يتوكل . فأبها أوصل .
قال بعيد والله ما بينهم . الذي حاسبها . فسل كما بين مشرق لأرض ومعرها

وتحك . بهذا الفصل لك برك الله على من ضربه ولك في العاجل إن تركت الأشغال
بالمال ، أن ذات أرواح السعدك ، وأهل تنبلك ، وأتم عيشك ، وأرضى ليلك ، وأقل
لعمومت . فما عذرتك في جمع المال ، وأنت بركك لم أوصل ممن طلب المال لأعمال البر ؟

نعم : وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله . فاجتمع لك راحة لعمرك . مع
السلامة والفضل في الآجل . ومعد . ولو كان في جمع المال فضل عظيم . لو حب عليك
في كرام لا لاقى أن تفتنى بذلك . فذلك مثله . وتردى ما أداره لنفسه من مجابة الدنيا
ويحك . بدر ما سمعت . وكل على نفس في السعة والوفرة في مجابة الدنيا . فسر مع
لواء المعصية . سقاها في حجة الأولى . فلهذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم له " قل
« دبت المؤمنين في حبه من ربي تسمى بالنجاة » . وهذا يشق في أخذ قوت
وأنه في نفس السوء إلا ما يوازيه وما قد لا على أن يكسب ما يقيه ينشئ مع ذلك
ويشج راحيا عن ربه (وروى مع النبي صلى الله عليه وسلم من الناس والسعداء
والشهداء . وأما طين وحسن وبيت . فبقا) . لا . حتى . متى جمع هذا المال
بعد هذا اليوم . فذلك من ضل فيها دعيت أنت لاير والحق تحميه . لا . وإيكلك خوف
من الفقر تحميه . وتسلم . ولزبه . والكار . والجر . والبلو . ولزبه . والسعة . والتمطم
والتكريمة تحميه . ثم رعبك لأعمال البر تجمع المال . ويحك . راقب الله واستحي من
دعواك أيها المفلور . ويحك . بك كبت . فهو . يحب المال والديار . فكن . قرا أن
امسك . والحق في الرمة . وسمعه . الفصول . نعم : وكل عند جمع المال . رديا على صدك
معد . به . وعلام الحسب . فذلك نعي لك . وأدب إلى العدل من طلب الجميع لجمع المال
إخواني . اعلموا أن دهر السعد كان حلال فيه موحود . وكانوا مع ذلك من أودع
اليس وأرهد في المباح لهم . وحين في دهر الحلال فيه . مقود . وكيف له من الحلال مبلغ
انقوت وسر العورة فأما جمع المال في دهر . فأعاد الله وإياكم

وبعد . فأين البتس تقوى السعد به وورعهم . ومثل زهدهم واحتياطهم . وأين ما مثل
صبارهم وحسن ياتهم دعيا . وبالس . بأدواء النفوس وأهوائهم . وعن قريب يكون

(١) حديث سادات المؤمنين في حبه من الله تعالى . فحدث . به . حديث . غيره . صاحب مسند الفردوس

للإمام من ربه في حرمه عن غيره . فلهذا من ربه . في الحجة . الحديث :

وذكر في صاحبه الطراي

الورود في هذه النعمين عواما مشهورا وحسن ما قيل لأهل السكائر والله اعلم، وقد صدقت
 لكم يا منتم، والقانون لهذا دليل، وقد الله وإياكم بكل خير رحمته آمين
 هذا آخر كلامه، وفيه كفاية في إظهار فضل انقراض على النبي، ولا مزيد عليه، ويشهد
 لذلك جميع الأخبار التي أوردت في كتاب فم الجبل وفي كتاب انقراض ورده، ويشهد له أيضا
 ما روي عن أبي أمامة الباهلي أن نعمة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا
 قال: «يا نعمة، ما لك تؤذي نفسك من كمال الجبن؟» قال يا رسول الله، ادع الله
 أن يرزقني مالا قال: «يا نعمة، ما لك في سنوهم، رزقي أن يكون من شيء من الله تعالى
 أم أولدي مني يده لو ساءت يا نعمة، مني الحسد، والله العرش، قال ولدي
 بمثلك بالحق نبيا، أنت دعوت الله أن يرزقني مالا، لأعطين، كل ذي حق حقه، ولا أفلن
 ولا أفلن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نأية رزقي مني، لا، فتحدثني، فحدثت
 كمالهم، والدود، فحدثت عليه المدينة، فتسعى عنهم، فمزل وأدي من وديهم، حتى جعل يعصني
 الصبر والعصر في جمعة، وبدع ما سواهم، نعمت وكبرت، فتسعى، حتى ترك الجماعة
 إلا الجمعة وهي تسو كمالهم والدود، حتى ترك جمعة وصديق في الزكاة يوم جمعة، فبأسألمهم
 عن الأخبار في المدينة، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فقال: «يا نعمة، ما لك
 حاسب؟» فبينما رسول الله، اخذني، فحدثت عليه مدينة، وحدثت أمره كله، فقال: «يا نعمة
 يا نعمة، يا نعمة، يا نعمة، قل وأمرل منة لي (حدث من مؤالفة صدقة، قصير لهم
 وتركهم بها وحن عنيهم، بسلامة سكن لهم)» وأمرل الله تعالى من أنص الصدقة
 فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهة، ورجلا من بني ربيع على الصدقة
 وكتب لهما كتابا بأحد الصدقة، وأمرهم أن يخرجوا فيأخذ الصدقة من المسلمين وقال
 «مرأيا ثمانية من حاطب، ورجل من بني ربيع» وأخذ صدقتهم ما «تخرجوا حتى
 أتيت ثعلبة، فسألاه الصدقة، وقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل ما هذمه إلا حرية،

نعمت نعمة
 به حاطب

الامة في جمع
 مال يبرهه
 الدر النص

(١) حديث أبي أمامة بن نعمة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا نعمة فبين تؤذي شكره
 خير من كثر لا تطيقه - الحديث : بطوله الطبراني بسند ضعيف

کتاب فتح الحجاب والریاء

كتاب فتح الحاء والراء

وهو الكتاب الثامن من ربيع المهلكات
من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام العيوب ، المطلع على سرائر القلوب ، المتحور عن كثير الذنوب ، العالم بما توجه الصالح من خسر العيوب ، المصير لسرائر ليلت ، ووجه الطلوع ، الذي لا يقل من الأعمال إلا ما كان ووفى . وحسن عن شوائب الرياء ، والشرط وسما ، فهو المهرى بالمصنوع ، وهو أعنى الأعياء عن الشرك . والدلالة والسلمة على محمد وآله وصحبه البرئين من الخيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أخوف . أخاف على ثلثي أرباب : والشهوة الخفية التي هي أخفى من داء البنية السوداء ، على اعتداله الصفاء ، في الآتيه الظلماء ، ولذلك عجز عن الوقوف على عوائدها سيرة العلماء ، ففلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر عوائل النفس . وواس مكانهم . وإنما يسي بالعلماء والعباد والمشمرون عن سبق الخداس لك سبيل الآخرة ، وهم رواهم . وحاهدوها ، وقطعوها عن الشهوات . وصدها عن الشهوات . وحموها بآثار على أصداف العادات عجزت هوسهم عن الجمع في المصطفى الطاهرة الواقعة على الحوارح ، فطوبى الاستراحة إلى المضاهر بالخير ، وإسراع العمل والعلم ، فوجدت محض من مشقة المجاهدة ، إلى مدة السؤل عند الحاق ، ونظرهم إليه بين الوقار والمعصم . فسرحت إلى إشهار الجماعة ، وتوصدت إلى اطلاع الحق . ولم تنفع بالاعلاج الحق ، وهرجت بخمد الدس ، ولم تقع بحمد الله وحده

في كتاب دم الحاء والراء

(١) حديث بأخوف ما أخوف على أمي . وأشبهه خد . من جهة واحد . من حديث شداد بن أوس

وفلا يسر يد الرياء وعسره جرة . قال الخاكم صحيح لا يصدق بل ضعيف وهو عند

ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عبد البر في النعيب يلفظ بالمعصم

وعلمت أمه إذا عرفوا تركه الشهوة . وتوفيه الشهوة . وتحمل مشق العبادات ، أطلقوا
أسمئهم بالمدح والثناء ، وناغوا في قريظ والإطراء . ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام
ونتركوا شهادته وقتله . ورعوا في تركه دعائه . وحرصوا على اتباع رأيه . وفتحوه
بالخدمة والسلك ، وأكرموا في محبة عتبة لإكرامه . وسعوا في البيع والمعاملات .
وأنعموا في محبة ، وآثروا بخدمته . ولا سوا . وعروا له متواضعين ، واثقوا له
في عرسه . وقرين . فاستلهم في ذلك لده هي عصم القديت وشهوة هي غاب
الشهوات ، فاستحققت فيه رتبة من والههوات . والذلات خشوة المواظبة على
العبادات . لإدراكها في الباطل لذة اللذات ، وشهوة الشهوات . فهو يظن أن حياته
بالله . وحياته المرضية ، وإثنا حياته بهذه الشهوة الحسية ، التي تمنى عن دركها المقول النافذة
القوية . ويرى أنه مخلص في طاعة الله . وشأن لمحارم الله ، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة
ترجم للعامة . وبعده الحق . وخرجت من السيرة والوقار . وأجبت بذلك ثواب
العباد . ونود الأهل ، وقد ثبت اسمها في حريدة القديت وهو ما ينشأ عنه عبد الله من المقرين
وهذه مكيدة للنفس لا يسهل إلا صدق . وهو ما لا يرى منها إلا المقرين
ولذلك قيل آخر ما يخرج من دوس الصديق حب الرياسة . وإدراك الرياء هو الداء
الدين ، الذي هو أعظم شبكة لاشيئ من . وحب شرح القول في سنده ، وحقيقته . ودرجته
وتمسكه ، وطرق معالجته . والخبر منه . ويتضح العرض . وفي ترتيب الكتاب على شطرين .
الشرط الأول : في حب الحياء والشهرة . وفيه بيان الشهرة . وبين فضيلة الجول .
وبين دم الحياء . وبين معنى الحياء وحقيقته . وبين السبب في كونه محبوبا
أشد من حب المال ، وبين أن الحياء كان وهمي وليس كمال حقيقي . وبين ما يجمد
من حب الحياء . وبين السبب في حب المدح والثناء . وكرهية الدم . وبين الملاح
في حب الحياء . وبين علاج حب المدح . وبين علاج كراهية الدم ، وبين اختلاف
أحوال الناس في المدح والثناء في عشرة فصلا . منها منشأ مدني لرياء ، فلان من تقديمها ،
والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

بَيَانُهُ

ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم محدثك الله نيل الحام هو نشر الصيت والاشم . وهو مذموم . بل المحدث
 الخول . إلا من شهره شتهه إلى نشر ديه ، من غير كلف طلب الشهرة عنه قال أس
 رضى الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشِيرَ
 النَّاسُ إِلَيْهِ بِأَلَابٍ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ " وقال جرير عن عبد الله بن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نَحْسَبُ امْرَأً مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الشُّوْءِ
 أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِأَلَابٍ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَآكِنٌ يَنْظُرُ
 إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَلِكُمْ " وقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويل . ولا أس ، يروى
 هذا الحديث وقيل له ما سمع . إن الأس إذا رآوك أشاروا . بيت بالأصابع . قال إله
 لم يمس هذا . ويرى عنى المذموم في ديه . والله - في ديه . وقال على كرم شه وجهه
 تبذل ولا تشهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتف ، واصمت تسلم ، تسر الأبرار
 وتغيظ الفجار . وقل إبراهيم بن آدم رحمه الله . ما صدق الله من أحب الشهرة . وقل أيوب
 السجستاني . والله . ما صدق الله عند لا سره . لا يشهر بكاه . وعن جندب معدان . أنه
 كان إذا كثرت حافته ، ومخافة الشهرة . وعن في العارية . أنه كان إذا حاس إليه أكثر
 من ثلاثة دم . ورأى جماعة قوم ما يشون معه نحو من عشرة . قال داب طمع . وهو أشار

(١) حدث أس حبان امرئ من سر بل من عصبه . أن سر الأس . به يادع في به ورده . السبق
 في الشعب مسد ضيف

(٢) حديث جابر بن عبد الله عن أس . حديث . وتأويله في آخره أن لا ينظر إلى صوركم . الحديث :
 هو غير معروف من حديث جابر . من حديث أخرجه رواية الطائفة في الأصول . وروى
 في الشعب . مسد . عن مقصود على قوله ورده . مسد مقصود على زياده في آخره . وروى
 القسري والبيهقي في الشعب . قوله من حديث عمر بن الخطاب . كفي بالمرء . يذبح واهن . وروى
 في تاريخ الأعمام . من حديث من عمر بن الخطاب . هو الألف . رجل . وهو ديه . مسد . ودياه
 بالفق واسادها ضيف

وقال سالم بن حنظلة: بينما نحن حول أبي بن كعب شي خلقه، إذ رآه عمر، فعلاه بالذرية، فقرر الأمر المؤتمر بين ما نفع فداك إن هذه دله لا نفع، وقتية لا مشروع.

وعن الحسن قال: خرج ابن مسعود يوماً من منزله، فأتته امرأة، فالتفت إليهم فقل: السلام عليكم، وهو الله أو رسول الله، فأتى عليه ما، ما أبعثني مسك رحلاً. وقال الحسن: إن جئتكم حول الرحل، فأتى عليه فلو لم ألتحق، وخرج الحسن ذات يوم، فأتته قوم، فقال: هل لكم من حاجة؟ وإلا فاعني أن في هذا من قاب المؤمنين.

وروي أن جرحاً أصاب من عمر في سحر، فأتاه من أوصني، فقال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف، وشي ولا شيء، إيت، وتسل ولا تسأل، وفعل وجرح أيوب في سحر، فشيء، فقل: لو لا أني أعلم أن الله يدبر من في أني هذا كاره.

الحديث الملقب من الله عز وجل: ووفى عمر، فأتى أيوب على طول قبضه، فقال: إن الشجرة فيما بيني كانت في صولة، وهي اليوم في شجرة، وقال: معهم: كنت مع أني فلاة، إذ دخل، فمرحل عليه كسبة، فقال: لا كما وعدنا الخرافة، فشيء، فأتى صلب الشجرة.

وفى الثوري: كانوا يكرهون الشهرة من الثرب الجديدة، والثياب الرديئة، فإذا ألبسوا تمتد بهم، فوفى رحل لشر من الحارث أوصني، فقال: أهل دكرتك، وطيب مطعمك، وكان حوشب يبكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع، وقال بشر: ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب إليه، وافتتح وقال: أيضاً لا يحد حلاله إلا خرة.

رحل يحب أن يعرفه الناس، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

۱۳۸۵

وعصية الجمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «رُبُّ شَعَثٍ أَكْبَرُ دِي ضَرِيرٍ * لَا يُؤْتِيهِ لَهُ
لَوْ أَقْبَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ * هُوَ الْخَرَّاسُ مُبَلِّغٌ» وقال ابن مسعود: قال النبي صلى الله عليه وسلم

(۱) حدث رب شعث أعمرني بصبري لا يؤخّرني لأؤقصر على فقه لأزوره منه العز من المأثبة: علم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أعمرني بصبري لا يؤخّرني لأؤقصر على فقه لأزوره منه العز من المأثبة».

وقال محمد بن سويد : فخط أهل المدينة ، وكان سحر من صالح لا يؤمنه ، لأرم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينهم في دعائهم ، إذ جاءهم رجل عليه طمران حلق ، فقصى ركعتين أوجز فيهما ، ثم سبط يديه ، فقال يارب أسمت إليك ، إلا مطرت علي الساعة ، ولم يرديده ، ولم يقطع دعاءه . حتى تمشت السماء ، فامام وأمطرو حتى صاح أهل المدينة من مخافة المرق . وفر يارب إن كنت تعلم أنهم قد كفوا فرفع عنهم وسكن وتبع لرجل حبه الذي استسقى حتى عرفه ، رله ، ثم بكر عليه ، فخرج إليه ، فقف ، بي أتيت في حاجة ، فقل ما هي ؟ قال : تحضني بدعوة . قال : هجرت الله ، أنت كنت وتبني أنا أحضيت بدعوة ، ثم قل ما الذي بعثك ما رأيت ؟ قال : خدمت الله ، فيما أمرني وسأني ، فماتت الله فأعطاني .

وقال ابن مسعود كونا يا معلميهم ، مصاييح لهدى ، أحلاس البيوت ، سرح القلوب ، خلقان الثياب ، تعرفون في أهل السماء ، وتحمون في أهل الأرض . وقال : ومامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : أعطوا في سبيل الله ، فحقيق أخذ » .
 « دوحا من صلاته حسن عبادته ربه ، وأخاه في الشريعة ، كان في الدنيا لا يشاء إليه بالأصابع ، ثم صار على ذلك » . قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجلت ميثقه ومن رآه » . فمات ، فواكبه . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أحب عبادة إلى الله الغزاة . قيل : ومن الغزاة ؟ قال : الغزاة بديهم ، يهتمون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفخيري بن عباس : « من أن الله تعالى يقول في بعض ما ينزل على عبده : ألم أقم عايتك ؟ ألم أسرك ؟ ثم نحن ذكرك ؟ وكان الخليل بن محمد يقول : لعمري أجعلني عندك من أرفع حقائق . واجعلني عند موسى من أوسع حقائق ، واجعلني عند الناس من أوسط خلائك » . وقال الثوري : وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة ، مع قوم غرباء ، أصحاب قوت وعناء .

وقال إبراهيم بن آدم : ما فرت عني يوما في الدنيا ، إلا مرة ، بت ليلة في بعض مساجد قري الشم ، وكان في المطر . فخرجت المؤذن رحلي حتى أخرجني من المسجد . وهن الخليل : إن قدرت على أن لا تعرف فاعلم . وما عليك أن لا تعرف ، وما عليك أن لا تشي عليك . وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمدا عند الله تعالى .

(١) حديث في نهج من أعطى أولاد في عدى مؤمن حبيب الحاد - الحديث : الترمذي وابن ماجه بإسنادين صحيحين

فهذه الآثار والأخبار تعرف تلك مذمة الشهرة، وصحة الخول وإدخال المصائب الشهرة وانتشار
الصيت هو الجاهل والمزلة في القلوب وحب الحاد هو مشأ كل فساد .
فإن قلت، أي شهرة تريد على شهره الأبي، هو الخلفاء الراشدين، وشمعة العلم فكيف فاتهم مصيبة
الخول؟ و علم أن المذموم طاب الشهرة فأم وجودهم من حمة لله سبحانه من غير تكلف من العبد
فليس مذموم، نعم فيه وثقة على اسمه دون الأسماء، وهم كالحريق الضعيف، إذا كان معه
جماعة من العرق، ولأولى به أن لا يعرفه أحد منهم، فيهم يتفقون به، فيضعف عنهم،
فيهلك معهم. وأما القوي، فلأولى أن يعرفه العرق لينة قوا به، فيحبهم، ويثب على ذلك

بيان

دم حب الحية

قال الله تعالى (تلك النار الآخرة تجعلها للذين لا يؤمنون بالله في الأرض ولا
فساداً) (١) جمع بين إزادة الفساد والمعصية وبين النار الآخرة للحال عن الإرادة بين جميعاً
وقال عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها
لا ينجسون) أو أثبت الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ودفنوا فيها و ظل
ما كانوا يعملون) (٢) وهذا يدل على ما سأل عنه، حب الحية، فإنه أعظم لذة من لذات
الحياة الدنيا، وأكبر رتبة من رتبها . وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم " حب
التمال والحلم يثبتان الصديق في أفتك كل ينسب الله القتل " وقال صلى الله عليه وسلم "
" ما دبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة عدم الفساد من خب أشرف وأذل في دين
الرجل المسلم " وقال صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه " يا هذا هلاكك الله من شاع
الهُوى وحب النساء " سأل الله العفو والعافية منه وكرمه

(١) حدثنا أبو جعفر عن الصادق - حدثنا محمد بن أبي حمزة عن أبيه عن الصادق -

(٢) حدثنا محمد بن عبد الله بن فضال عن أبيه عن الصادق - حدثنا محمد بن أبي حمزة عن أبيه عن الصادق -

(٣) حديث - هلال - ليس - مع الهوى وحب النساء - رتبة عدم الفساد من خب أشرف وأذل في دين

الرجل المسلم - وقال صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه - يا هذا هلاكك الله من شاع

الهوى وحب النساء - سأل الله العفو والعافية منه وكرمه

(١) الفصن : ٨٣ (٢) عود : ١٥ : ١٦٠

بيان

معنى الجاه وحقيقته

اعلم أن الجاه والمال هما ركبا الدنيا ومعنى المال ملك لأعز لمستمع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المنصوب تعظيم وطاعتها وكان معنى هو لدى ملك مدبرهم ونداءهم . ثم يقدر عليهم ، ليتوصل بهم إلى الأرض ، وحفصه ، وفناء الشهوات ، وسائر حظوظ النفس فكذلك دور الجاه . هو لدى ملك فرب الناس . ثم يقدر على أن تصرفهم . ليستعمل بواسطتهم رعايا في أغراضه ومدبره وكانه يكتب الأموال أنواع من الحرف والصفات فكذلك يكتب فرب الخلق أنواع من المميزات ولا يصير القلوب - حرة إلا بالاعراف والاعتقادات . فكل من اعتقد القلب به وسفاه من أوصاف الكمال ، اعتاد له ، وتسخر له بحسب قوة اعتقاده ، وتحتجب به حقيقة الكمال عنده . وليس شرط أن يكون الوصف كمالا في نفسه . بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده . وقد يعقد ما ليس كمالا . ويدعى فيه سموه وفه . قيدا ضروريا بحسب اعتقاده . من اعتقد انقلب حاله لقب . وأحواله لقب . فمما لا اعتقدت القلوب وعلموها وتوحيدها . وكان محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد . فطلب الجاه فطلب من سرق الأحرار . فتمتددهم . فملك رقبهم ملك قلوبهم . بل لوق لدى بضاعة محب الجاه أعصه . لأن الملك يملك العبد . فاعتمد نائب ضيقه . ولو حتى ورثه . سل عن اسمه . ومالك الجاه يصب الجاهة طوعا . ومعنى أن يكون له الأحرار عبيد . طمع وأخوع . مع طرح موديد . والصاعقة له في طامه فوق ما يطالبه مالك الرق بكثير . فبذره من الجاه فيه الميراث في قلوب الناس . ثم اعتقد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه . فتمتددهم . فاعتقدوا من كماله تدعى له قلوبهم . وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب . وقدر مدبرته على القلوب يكون فرجه وحبها لجاه . فهذا هو معنى الجاه وحقيقته . وله ثمرات . كالمدح والإطراء . فإن المعتدلا كما لا يكت عن ذكر ما يعتقده . يعني عليه . وكالخدمة والإعانة . فإنه لا يخل ببدل نفسه في طاعته . بقدر اعتقاده . فيكون سخره . مثل العبد في أغراضه . وكالإيثارة وترك المداغة . والتعظيم

أدواك واضمة، ويخرج فيه إلى الخمسة، وخارج، وانخر من، ويتطرق إليه خطار
كثيره، وأما القلوب إذ سكنت، فلا تتعرض لهذه الآفات، فهي على التحقيق حرائر
عتيدة، لا يقدر عليها سارق، ولا تدور على يدي الهرب والعصاب، وأنت الأول
المقار، ولا يؤمن به العصب والعلم، ولا تسعى عن المرمية والخطأ، وأما حرائر
الغيب فهي محمولة على خمسة أسماء، وحائ في أمن وأمان من العصب والسرفة فيها
نعم، بل تعصب القلوب بالصرها، ونمى حيل، وتغير الاعتقاد فيما صدق، ومن
أوصاف الكمال، وذلك مما يكون دمه، ولا تنس على محوله فيه

الثالث، أن ملك القلوب سرى ويصير ويتزايد، من عرجة إلى نعم ومقاساة،
من القلوب إذا أدعت الشخص واعتقد كماله، بعد أن عمل أو غيره، أمضت الأنسة
لا محالة، فيها، فيصير ما يعتقده غيره، تنص ذلك القلب كماله ولهذا المعنى يجب
الطبع الصديق والتشديد، لذلك إذا استصار في الأضواء تنص القلوب، ودعها
إلى الإذعان والتعظيم، فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد، وليس له مرددين
وأما المال، فمن ملك منه شيء، وما لعله، ولا يقدر على استئثاره إلا بتمتع ومقاساة
واحدة تداني له، فسه، ولا مردد لوجهه، والمال واف، ولهذا إذا عظم الخدم، وانتشر
العيب، وطلعت الأنسة بالشمس، استحققت الأموال في مقاديرها، فهذه مخارج
ترحيات الخدم على يدك، وقد قصت كثيرت وحوه الخرج

في بيت، فالإشكال قائم في مال والخدم جميعه، ولا يدعي أن يحب الإنسان مال والخدم
نعم، القدر الذي يتوصل به إلى حب البلاد ودمع المصار، معوم، كما يحسب إلى المدين ومسكن
والطعم، أو كائني عرض أو عقوبة، إذا كان لا يتوصل إلى دمع العقوبة عن نفسه إلا بمال
أو حياء، فله نعمان والخدم، والخدم، وكل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب، وفي
الصانع أمر محبوب وراء هذا، وهو حب جمع الأموال، وكثير الكسور، وإدخال الدخائر
ويستكثر الخرائر وراء جميع الخصال، حتى لو كان ناعدا وأديان من ذهب لا تنفي لها ثباتا
وكذلك يجب الإنسان تساع الخدم، وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعا أنه
لا يظنهما، ولا يشاهد أحدهما، ليعظموه أو يبروه بمال، أو ليعبوه على غرض من أغراضه

والكمال من ممرضة ذلك . بعد أن لاقب ميلا إلى صمت سلبية . كالأكل والوقوع ،
 وإلى صمت سلبية . كالقتل والصرب والأيذاء ، وإلى صمت شيطانية ، كالسكر والخدعة
 والادواء . وإلى صمت ربوية . كالأكبر والمز والتهجر وطلب الاستعلاء . وذلك لأنه
 مركب من أصول خمسة طول شرحها وتصويرها . هو : منه من الأمر الرأى بحسب
 الروية بالصنع . ومعنى الروية التوحد بالكمال ، والمرد بالوجود على سبيل الاستقلال .
 فصار الكمال من صمت الإلهية . بمصارحها بما طمع الإنسان . والكمال بالتمرد بالوجود
 من المشاركة في وجود قص لا محالة . كمال الشمس في أمها . ووحدة وحدها ، هو كان
 معه شمس أخرى . كمال ذلك قدس ، في حقها ، بل كمن مهردة كمال معنى الشمسية .
 والمرد بالوجود هو الله تعالى ، وليس معه وجود سواء . فإن ما سواه أثر من آثار قدرته
 لا هوام له منه ، بل هو مظهره . كمن وجودا معه . لأن المعية وحسب المساواة في الرتبة
 والمساواة في الرتبة قدس في الكمال . كمال من لا طيلة في رتبته . وكما أن إشراق
 نور الشمس في أنوار الآفاق ليس بمصدر . في الشمس ، بل هو من حملة كمالها ، وإلى بقصد
 الشمس وجود شمس أخرى تسويها في الرتبة . مع الاستعلاء . فكذلك وجود كل
 ما في العالم يرجع إلى إشراق نور القدرة . فيكون تاما ولا يكون مشعرا . فإذا معنى الروية
 التفرد بالوجود ، وهو الكمال . وكل إنسان فإنه بطبيعته يحب لأن يكون هو المفرد بالكمال
 ولذلك قل بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي داخله ماضح به مرعون من قوله
 (أأرثكم الأغنياء) (١) ولكنه ليس يجد له محلا . وهو كما قال : فإن اليهودية قهر على
 النفس . والروية محبوبه بالطبع . وذلك لأنه رغبة الرماية إلى أوما إليها موله تعالى (من الروح
 من أمر ربي) (٢) ولكن لما محزت النفس عن درك منتهى الكمال . لم تنسقط شهواتها
 للكمال ، فهي محبة للكمال ، ومشتبهة له ، وماتدة به لذاته لا معنى آخر وراء الكمال ، وكل
 موجود هو محب لذاته . ولكمال ذاته ، وبمعنى هلاك الذي هو عدم ذاته ، أو عدم
 صمت الكمال من ذاته . وإنما الكمال بعد أن يعلم التفرد بالوجود ، في الاستيلاء
 على كل الموجودات . فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيره منك ، فإن لم يكن منك

فأن تكون مستويا عليه معيار الاستيلاء على الكل نحو ما صنع لأنه نوع كمال. وكل
موجود يعرف ذاته، فإنه يحب ذاته، ويحب كمال ذاته ويلتذ به. إلا أن الاستيلاء على
الشيء بالقدر على الشيء فيه. وعلى ما يبرهن بحسب الإرادة. وكونه مستخرًا لك تردده كيف
تشاء. فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه. إلا أن الموجودات
مقسمة إلى ما لا يقل التغيير في نفسه. كدات الله على وصفاته. وإلى ما يصل إليه،
ونكر لا يستوى عليه قدره الحق. كالأفلاك، والكواكب، وما سكوت السموات
وهو من الملائكة، والجن، والشيطن، والخلق. والبحر، وما تحب الحلال والمحرر وإلى
ما يقبل التعبير بقدرة العبد، كالأرض وأجرته وما علم من المادن، والنبات، والحيوان
ومن حملتها لمحب الدس. فإنهم قالوا: لا شيء وأما من أحد دعوا أحد الحيوانات.

فقد انقسمت الموجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه، كالأرضيات، وإلى
ما لا يقدر عليه، كدات الله على، والملائكة، والسموات. فحب الإنسان لا يستوى على
السموات ما علم. والإحاطة، والامتلاء على أسرارها. فرب ذلك نوع استيلاء. وهذا المعلوم
المحط به كالداحل تحت العلم، والعلم كالمستولى عليه. فثبت حب أن يعرف الله تعالى،
والملائكة، والأفلاك، والكواكب، وجميع عجائب السموات، وجميع عجائب البحار
والحلال وغيره، لأن ذلك نوع استيلاء عليه. والاستيلاء نوع كمال وهذا صاهي اشتد
من عجز عن صنعة عجيبة، إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يبحر عن وضع الشطرنج
فإنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به، وأنه كيف وضع. وكن يرى صنعة عجيبة في الهندسة،
أو الشعبذة، أو حر الثقل أو غيره، وهو مستشعر في نفسه عجز العجز والفصولة،
ولكنه يشتاق إلى معرفة كيميائه. فهو مناه من بعض المعجزات يتبدد كمال العلم إلى علمه

وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها، فإنها يحب ما طمع أن يستوى
عليها بالقدر على التصرف فيها كيف يريد، وهي قسمان أحساد، وأرواح

أما الأجساد، فهي الدراهم. والدنير، والأمتعة، فيحب أن يكون قادرًا عليها. يفعل
فيها منشاء من الرفع. والوضع، والتسليم، والمع. فإن ذلك قدرة، والقدرة كمال، والكمال
من صفات الروحية، والروحية محبوة ما طمع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها

في ملذته ومطعمه ، وفي شهوات غمه . وكذلك طيب استرقاق العبيد ، واستعباد الأشخاص
الأحرار ، ولو به قهر وألملة ، حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاسدسجار ، وإن لم
يملك قلوبهم . فإنها رغم أن تعقد كماله حتى يصير محبوباً لها ، ويقوم القهر من رتبه فيها ، فإن
الحشمة القهرية أيضاً للذينة لما فيها من القدرة

التقسيم الثاني هو من الآداب والوسوس ، وهي أسس ما على وجه الأرض . فهو يحب
أن يكون مستبلاً ، وقدرة عليه . سكون مسخرة له ، متصرفه تحت إرادته وإرادته ،
لم فيه من كمال الاستبلاء ، وإنشاء صفات الربوبية والقلوب إن كانت محبة ولا تحب
إلا ما عقد الكمال ، فمن كل مكان محبوب . لأن الكمال من الصفات الإلهية ، والصفات الإلهية
كلها محوقة بالذات ، المعنى الرماني من جملة صفات الإلهية ، وهو الذي لا يليه الموت فيمدممه
ولا يذمه من الله تعالى . فهو يحب ما لا يذمه من الله تعالى ، وهو الذي لا يليه الموت فيمدممه
وهو يحب ما لا يذمه من الله تعالى . ومن سحر القلوب كانت له قدرة
واستبلاء علم ، وانقدره والاستبلاء كمال ، وهو من أوصاف الربوبية . وقد محبوب
القلب محبة الكمال بآله والقدرة ، والمال والجاه من أسباب القدرة . واللاهية للمعلومات ،
ولا نهاية للمقدورات . وما دام سقى ، ملو أو مقدور ، لا شوق لا يسكن ، راقص لا يزول
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لا شوق إلا لله . وهو محبوب القلوب الكمال ، والكمال
بآله والقدرة ، وأنه من الدرجات غير محصور ، فهو ركن الكمال ولذته قدما يدركه من الكمال
فهذا هو السبب في كونه العلم ، والمال . والجاه محبوباً ، وهو أمر وراء
كونه محبوباً لأجل التوصل إلى قصد الشهوات . فإن هذه المآلة تدفق مع سقوط الشهوات
فيجب لإسكان من العلوم ما لا يصبغ لا يوصل به إلى الأعراض . والذات صوت عليه جملة
من الأعراض والشهوات . وسكن الطمع تنامي طلب العلم في جمع العجائب والمشكلات
لأن في العلم استبلاء على المعلم ، وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية . فكان
محبوباً بالطمع . لأن في حب كمال العلم والقدرة أحاط لا بد من يدها إن شاء الله تعالى

بيان

الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له

قد عرفت أنه لا كمال مدعوات انفرد بالوجود إلا فى العلم والقدرة . ولكن الكمال الحقيقى فيه . ملتصق بالكمال الوهمى . ويظهر أن كمال العلم لله تعالى . وذلك من ثلاثة أوجه . أحدها . من حيث كثرة المعلومات وسمتها . فإنه يحيط بجميع أمم المرات . وذلك كل كانت علوم العدد أكثر كل أقرب إلى الله تعالى

الثانى . من حيث تعاقب العلم بالعلوم على ما هو به . وكون المعلوم مكشوفاً به كشمس تاماً . فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى . ثم أنواعها تكشف على ما هو عليه . هناك . هو كمال العلم العبد أوضاع . ويقرر . أن مدق . روى المعلوم فى صلبه تعلوم . كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث . من حيث قاء العلم . كآداب . حيث لا يتم ولا يرول . من علم الله تعالى باقى لا يصور أن يتمير . فكذلك . هو كمال علم العدد . معلومات لا يقبل التغير ولا انقلاب . كان أقرب إلى الله تعالى

والمعلومات قسمان : متغيرات وأزليات . أما المتغيرات : فتعلمها العلم يكون زيدا فى الدار . فإنه علم له معلوم . ولكنه يتصور أن يخرج ريد من الدار . ويبنى اعتقاد كونه فى الدار كما كان . فيقلب جهلاً . فيكون نقص . لا كمالاً . فكما اعتقدت اعتقاداً موافقاً وتصور أن يقلب المعتقد فيه . عتقده . كمال عدد من يتقلب كماله نقصاً . ويهود علمك جهلاً . ولا تعنى هذا المثال جميع متغيرات العلم . ككلمات . مثلاً ما تارة عجل . ومساحة أرض . ومدد البلاد . وباعد ما يسم من الأسماء والمرايح . وما يمد كرى المسالك والممالك وكذلك العلم بالاعتدال . إلى هي إصلاحات تغير تغير لأعصار والأمر والعادات وهذه علوم . يوم تها مثل الرقيق . تغير من حال إلى حال . ليس به كمال إلا فى الحال ولا يبقى كمالاً فى القرب القسم الثانى . هو معلومات الأزلية . وهو حواجز الجائزات . وجوب الواجبات . واستحالة المستحيلات . هي هذه معرويات . رؤية أممية . إذ لا يستحيل الواجب قط جائراً . ولا الحائر محالاً . ولا المحال واجباً . فكل هذه الأقسام داخلة فى معرفة الله تعالى . ونسبها . هو . يستحيل فى صفته . ويجوز فى صفته . فعلم الله تعالى . وصفه . وأفعاله . وحكمته فى ملكوت

المعلومات
المفيدةالمعلومات
الطرية

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَتَرْتِيبِ الدِّينِ وَآخِرَةِ . وَمَا يَتَّبِقُ بِهِ ، هُوَ الْكَمَالُ الْحَقِيقِيُّ ، لَدَى
 يَقْرَبُ مِنْ يَتَصَفَّ بِهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَبْقَى كَمَالًا لِلْفَسْ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَتَسْكُونُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ
 نُورًا لِلْمَرْفُوعِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، يُسَمَّى بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَخْفَاهُمْ يَقُولُونَ رَأَيْتُمْ لَنَا نُورًا . أَيْ
 تَكُونُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ رُؤْسَ مَالٍ . يُوَصِّلُ إِلَى كَشْفِ الْعَالَمِ . يَكْشِفُ فِي لَدِينِ . كَمَا أَنَّ مَنْ مَعَهُ
 سِرَاجٌ خَفِيَ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ سَبِيلًا لَزِيَادَةِ النُّورِ بِسِرَاجٍ آخَرَ يَقْتَبِسُ مِنْهُ ، فَيَكْمُلُ
 النُّورُ بِذَلِكَ النُّورِ الْحَقِيقِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْمَاءِ . وَمَنْ لَيْسَ مَعَهُ أَصْلُ السِّرَاجِ ، فَلَا مَطْمَعُ لَهُ فِي
 ذَلِكَ . مَنْ لَيْسَ مَعَهُ أَصْلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لَمْ يَكُنْ لَهُ مَطْمَعُ فِي هَذَا النُّورِ . فَيَبْقَى كَمَا كَانَ
 مِثْلَهُ فِي الْعَلَمَاتِ لَيْسَ خَارِجَ مِثْلِهَا ، بَلْ كَهْدَاتٍ فِي نَحْرِ الْحَيِّ . يَمْشِيهِ مَوْجٌ مِنْ قُوَّةِ مَوْجٍ
 مِنْ قُوَّةِ سَجْدٍ . هَكَذَا يَتَّبِعُ فَوْقَ مَعْضٍ . وَبِذَلِكَ لَا فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى .
 وَثُمَّ لَا مَعَادَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ . وَلَا وَدَّعَهُ لَمْ يَتَّعِلْ ، كَمَعْرِفَةِ الشَّيْءِ ، وَأُنْبَاتِ الْعَرَبِ
 وَغَيْرِهَا ، وَمِنْهُ الْمَعْرِفَةُ فِي لَدِينِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَعْرِفَةِ لَمَّةِ الْعَرَبِ ، وَالْقَهْرِ
 وَالْفَتْحِ ، وَالْأَخْبَرِ . فَإِنْ مَعْرِفَةُ لَفْظِ الْعَرَبِ تَعَيَّنَ عَلَى مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرِفَةِ التَّحْقِيقِ
 تَعَيَّنَ عَلَى مَعْرِفَةِ ، فِي الْقُرْآنِ مِنْ كَرِيمَةِ الْعِبَادَاتِ ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ تَرْكَيبُ الدِّينِ ،
 وَمَعْرِفَةُ طَرِيقِ تَرْكَيبِ الدِّينِ هِيَ تَسْمُودُ الدِّينِ لِمَوَاقِفِ الْهُدَايَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى . كَمَا قَوْلُ تَعَالَى (هَذَا نَجْمٌ مِنْ رُكَّاهِ) (١) وَقَدْ عَرَّجَ وَحَلَّ (وَلَدَيْنِ جَعَلُوا فِينَا
 لِنَهْدِيهِمْ سُبُكًا) (٢) فَكَأَنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ كَأَنَّهَا تَنْتَهِي إِلَى تَحْقِيقِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَّا
 الْكَمَالَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، وَمَعْرِفَةُ صِفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ، وَيَنْطَوِي فِيهِ جَمْعُ الْمَعَارِفِ الْمُحِيطَةِ بِالْمَوْجُودَاتِ
 إِذَا الْمَوْجُودَاتُ كَمَا . مِنْ أَعْمَالِهِ . مَنْ عَرَفَهُ مِنْ حَيْثُ هِيَ . وَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ حَيْثُ
 إِرَادَتُهُ أَعْمَلُهُ وَلَا دَوَائِلُ كَمَا . بَلَى مِنْ كَمَالِهِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا حِكْمُ كَمَالِ الْعِلْمِ ،
 ذِكْرُهُ وَبَلَى لَمْ يَكُنْ لِأَنَّ أَحْكَامَ الْعِلْمِ وَارِدًا ، وَكَانَ يُورَدُ لَأَسْمَاءِ . قَسَمَ كَمَالَ
 وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ . فَهِيَ . كَمَا حَقَّقَ لِمَعْدِنِ . لَمْ يَكُنْ لِمَعْدِنِ . وَلَيْسَ بِهِ مَعْرِفَةُ حَقِيقَةِ
 وَإِنَّمَا الْقُدْرَةُ لِحَقِيقَتِهِ . وَمَا يَحْدُثُ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَقِيبَ إِرَادَةِ الْعَبْدِ ، وَقُدْرَتُهُ وَحَرَكَتُهُ ،

وهي حادثة بإحداث الله . كما قررته في كتب العبر والشجر ، وكتب التوكل . وفي مواضع شتى من ربح المحييات . فكل العلم يبقى معه بعد الموت . وبوصله إلى الله تعالى . وأما كمال القدرة فلا . ثم له كمال من حبه لقدرة ما يفيض به إلى الحب . وهي وسيلة له إلى كمال العلم ، كسلامة طرافه ، وقوة يده لا تضل . ورحله لا تضي . وحواسه لا يرداك . فإن هذه القوى آله للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم . وقد يحتاج في أليه ، هذه القوى إلى القدرة بالمال والجم ، للوصول به إلى المظهر والمشرى ، ومنه . والمسكن ، ودلائل إلى قدر معلوم . فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفته حلال منه ، فلاحير منه نبتة إلا من حيث المدة الحاية ، التي تقضى على اقرب . ومن من ذلك كما لا يقد جهر

ولكن أكثرهم لا يكون في محبة هذا العلم . فهم يصونون القدرة على لأحسن دقير الحشمة . وعلى أعيان الأموال . وعلى نصم القلوب . بما لا يمكن كمال . فمما يفتقدوا ذلك أحبوه . ولما طلبوا مشاغلوا به ، وتهاكوا عليه ، ففسدوا الكمال الحق في أدي يوجب القرب من الله تعالى ومنه . وهو العلم والحرية . أما العلم . ذكره من معرفة الله تعالى . وأما الحرية . فالحاصل من أسرار الشوا وبعموم نديا ، والأسبلاء عبيها بالقهر ، نشم . فلا يمكن لأستقره الشهوة . ولا سهره . فإلى دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال . الذي هو من سمات اللائكة .

ومن سمات الكمال لله تعالى استجالة العبر والناس عليه . من كان عن التمر والناس بالعوارض أبعد ، كان إلى الله تعالى أقرب ، وبالله لا يشبهه ، ومنزلته عند الله أعظم . وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة . وإدراكه في فهم الكمال لأن حقيقة ترجع إلى عدم وقته . فإن العبر تقص ، وهو عدمه عن عدم صفة كائنة وهلاكه ، والهلاك تقص في الملمات وفي سمات الكمال . وإدراك الكمال . فإدراك عدم الصفة . الشهوات وعدم لا يقيد له . كما لا ، كمال العلم . وكل الحرية . وأعلى به عدم العبودية للشهوات وبراده الأسس الديوية . وكل القدرة المعدل في . كساب كمال العبد وكل الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الذاتية بعد موته . إذ قدرته على أعيان الأموال ، وعلى استحضار القلوب والأبدان ، تنقطع بالموت . وهو رفته وحرية لا يعدمان بالموت ،

من يقدر كما لا يهـ . ووسيله إلى القرب من الله تعالى . وطرق كيف اعلم الجاهلون
والكموا على وجوههم الكتب العميم . فمروا على طلب كل القدرة بالحـ والمال . وهو
الكم الذي لا يهـ . وبسببه ملاقاته . وعمدوا على كل طريقه والعم . الذي إذا حصل
كان أمدا لا قصده . وهو لا يهـ لمن اشتروا به . لا يهـ . فلا حرمه لا يخفف عنهم
العداب ولا يهـ . مصرون . وهم الذين يهـ . بقوله تعالى (**الْمَالُ وَالْبَنُوتُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا زِينَةُ الْمَوْتِ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ هَذِهِ سُبُلُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ**)
إلى تنفي كما لا يهـ . وذلك والله هو الذي يقضى على القرب وهو كما شبه الله تعالى
حيث هو (**إِنَّمَا مَن حَرَّمَ ذَاتُ الذَّكَاءِ أَنْ تَزْنُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَخُتِلَ فِي ذَلِكَ فَصَلَّى**)
الآية . وقال تعالى (**وَضَرَبَ لَهَا مِنْ رَبِّهَا كِتَابًا فَبَدَّلَ اللَّهُ مَا فِي الْكِتَابِ طَاعَتًا**)
(**فَأَصْبَحَ رُءُوسُهُمْ فِي الْوَيْحِ**) وكل ما يدور به روح الموت وهو زهرة الحياة الدنيا
وكله لا يقطعه الموت . والموت الصلوات . فقد عرف من هذا كل القدرة بماله واحده
كل ما لا يهـ . ومن قصر لوم على ما به . ومنه مقدورهم وسع . وبه أشد . والطيب قوله
ومن من الساعات في جمع ماله . مخافة فقره الذي جعل الفقر
لا مدد له . منهما إلى الكمال الحقيقي . لا يهـ . من وفقه لاجه . وهديته بطقك

بيان

ما يحمد من حب الجاه وما يذم

منهما عرفت أن معنى الجاه ملأه التوب . والقدرة علمه . فعلمه حكم . ملك الأموال
فإنه عرض من أعرض لحياة الدنيا . وينقطع موت كماله . والدنيا مرذعة الآخرة .
وكل ما حاق في الدنيا . فيمكن أن تزود منه الآخرة . وكما أنه لا بد من أدنى مال لصورة
المطعم . والمشرب . والملبس . فلا بد من أدنى حاح ضرورة المعيشة مع الخلق . ولا يهـ
كما لا يستغنى عن طعام يتناول . فيجوز أن يحب الطعام . أو المال الذي يتبع به الطعام . وكذلك

لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ، ورفيق يعبه ، وولد يرشده ، وسلطان يحرسه ويدفع
عنه ظم الأنسار ، فله لأن يكون له في باب خدمته من المال ما ياتوه إلى الخدمة ، من
مذموم . وجهه لأن يكون له في قلب رقيقه من المال ما يحسن به من فقهه ومعدونه ، من
مذموم . وجهه لأن يكون له في قلب أسدده من المال ما يحسن به برشاده وتعليمه والتمانية
به من مذموم . وجهه لأن يكون له من المال في قلب سبطه ما يثبته ذلك على دفع الشر
عنه من مذموم . فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كاللذات ، فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق
في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه مأخوذ به محضاً له . بل ينزل ذلك منزلة حب
الإنسان أن يكون له في دأه بيت ماء ، لأنه يضطر إليه قسراً ، ويود أن يستغنى
عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء . فهذا على التحقيق ليس بحباييت الماء ، وكل
ما يراد للتوصل به إلى محبوب ، ومحبوب هو لنفسه الوصول إليه . وتذكر أن الفرق
بين آثر ، وهو أن الرجل قد يحب روحه من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما
يدفع بيت الماء فضلة الطعام . ولو كفى في الشهوة ، كان يهجر زوجته ، كما أنه لو كفى
في الماء لم يكن لا يدخل بيت الماء ولا يدور به . ومحب المال ليس بروحه لذاتها حب
الاشق ، ولو كفى الشهوة لبقى مستسحاً السكاهة . فهذا هو الحب دون الأول . وكذلك
الجاه والمال ، فمحب كل واحد منهما على هذين الوجهين . محبهما لأجل التوصل بهما إلى
مهمات البدن غير مذموم . ومحبهما لأعيانها مباح . يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم .
ولكنه لا يوصف بمحبته بالمشق والمصيبة ، بل بمنحله حب على مباشرة مصيبة ، وما يتوصل به
إلى اكتساب كذب وهدايات كاذب محذور . وما يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل
بجاه والمال بالعبادة بعبادة على الدين ، وهو حرام ، وإليه يرجع معنى الرياء المحذور ، سيأتي
في قلت : طلبه منزلة والجاه في قلب مستدده ، وخادمه ، ورفيقه . وسلطانه ، ومن يرتبط
به أمره مباح على الإطلاق كيما كان ، أو يباح إلى حد مخصوص . على وجه مخصوص ؟
فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان منه مباحان . ووجه محذور

فما الوجه المحذور . فهو أن يطلب قيام امرأة في دوسهم باعتقادهم فيه صفة هو منفعت
عنها . مثل العلم ، والورع ، والنسب . فيظهر لهم أنه علوي . أو عالم . أو ورع ، وهو لا يكون كذلك

فهذا حرام . لأنه كذب ونسب إما بالقول أو بالملء .
 وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المزية بعدة هو متص به ، كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرباعى (حملى على حرائر الأرض إلى حيث علم)
 فإنه من باب مدح في نفسه كونه حقيقا عابدا . وكان متصا به ، وكان سادقا فيه .
 والذى أنكره أصحابنا من عيب من عيوبه ، ومنعه من مدحه حتى لا يلم ، فلا تروى
 معناه . وهذا أيضا واضح لأن مدحنا لغيره على المنع حائر . ولا يجوز حدث السيرة وطهار
 القبيح . وهذا ليس فيه أذى ، بل هو سداد طرق العلم بما لا فائدة في العلم به . كالذى يخفى
 عن السلطان أنه يشرب الخمر ، ولا يلقى إليه أه ورع . فإن قوله إني ورع تلبس ، وعدم
 إقراره بالشرب لا يوجب علة للورع ، بل يقع المدح بالشرب . ومن جهة المحظورات
 تحسين الصلاة من يديه ، ليحسن فيه اعتقاده ، فإن ذلك ربه . وهو مدح ، إذ يحيل إليه
 أنه من المحسنين الحسنين لله . وهو مراد . فكل من يكون محسنا فطلب له
 بهذا الطريق حرام . وكذلك كل مدحه . وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام
 من غير فرق . وكذا لا يجوز له أن يمدح من غيره تلبس في عوض أو في غيره . فلا يجوز
 له أن يتملك قلبه بتروير وحرار ، من ملك القلوب أعظم من ملك الأموال

بيان

السبب في حب المدح والثناء والرياح المدح . ومبين الطمع إليه
 وبغضها المذم . وفرتها منه

اعلم أن حب المدح والتثاقل القلب به أربعة أسباب

السبب الأول . وهو الأذى . شعور النفس بالكمال . فإنما يريد أن الكمال محبوب ،
 وكل محبوب فادرا كه ليد . فهما شعرت لنفس كمالها ارتفعت ، واعتزت وتهدت .
 والمدح يشعر نفس بمدح كمالها . فإن الوصف لدى مدح لا يجوز إما أن يكون حليا
 ظاهرا ، أو يكون مشكوكا فيه . فإن كان حليا ظاهرا محسوسا ، كانت المدة به أقل . ولكنه

لا يخبر عن لذة . كذا فيه عليه . أنه طويل انقائه . أنقض اللون . فإن هذا نوع كمال . ولكن
 النفس تعمل عنه . ويحلو عن لذته . فهذا يشعر به لم يحل حدوث اشهر عن حدوث لذة
 وإن كان ذلك لوصف مما يتطرق إليه الشك . وهذه فيه أعظم . كذا فيه كمال العلم
 أو كمال الورع . أو بالحس المصانق . فإن الإنسان به يكون شكا في كمال حسه . وفي
 كمال عمله . وكمال ورعه . ويكون مشقة في روال هذا الشك . بأن يصير مسية . السكون
 عديم الظير في هذه الأمور . إذ يظن من عنه به . وقد ذكره غيره . وورث ذلك طمأنينة
 وثقة باستعمار ذلك الكمال . فمعظم لذة . فإن تعظم لذة هذه العلة . بها صدر انشاء من
 يصير بهذه الصفة . جبره . لا يخبر في القول . لا عن تحقيق . وذلك كمرح التمهيد
 شيء أسنده عليه . كرامة . والذكاء . وعززه الفضل . فإنه في غاية العلة . وإن صدر من
 يخبر في الكلام . أو لا يكون عبر ذلك لوصف . صفت العلة . وهذه العلة بمص الذم
 أيضا ويكرهه . لأنه يشمره بمص . عنه . والقصور به السكك المحبوب . وهو بمقوت
 والشور به مؤلم . ولذلك يعظم الذم إذا صدر آدم من صيره مؤثوق . كما ذكره في المدح
 السبب الثاني : أن المدح يدل على أن قلب المدح مملوك بمدح . وأنه مريد له . وهو مقتد
 به . وهو بحر تحت مشيئة . وملك الملوك محبوب . واشهر خصوا به . وبهذه العلة
 تعظم العلة . بها صدر انشاء من تسع قدرته . ويستع به من قبه . كما لو كان كار .
 ويعتد بهما كان المدح من لا يؤبه له . ولا يقدر على شيء . فإن القدرة عليه بملك قلبه
 قدرة على أمر حقير . فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة . وبهذه العلة أيضا يكره الذم . ويتألم
 به التمام . وإذا كان من الأكار كانت كرامته أعظم . لأن الله تعالى أعظم

السبب الثالث : أن ثمة المشي ومدح له مدح سبب لا يصفى دق ب كل من يسمعه . لا سيما
 إذا كان ذلك من ينعت إلى قوله . ويعتد به . وهذا يختص شيء يقع على أملا . فلا حرم
 كلما كان الجمع أكثر . والمشى أجدر بأن ينعت إلى قوله . كان المدح لذة . والذم أشد على النفس
 السبب الرابع : أن المدح يدل على حشمة المدح . وطرار المدح إلى إطلاق اللسان
 بالثناء على المدح . إما عن طوع . وإما عن مهر . فإن الحشمة أيضا الذمة . لما فيها من
 القهر والقدرة . وهذه اللذة تحصى وإن كان المدح لا يقتد في الباطن بمدح به . ولكن

كونه مضطرا إلى ذكره نوعا من الاستيلاء عليه ، فلا حرم تكون لذته بقدر تنعم المادح وقوته ، فتكون لذته ثم ، انتهى لمصنع عن التواضع بالثناء تشدد . وهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادح واحد ، فيصمم به الألداد وقد تفرق ، فتقص اللذة بها .

والعلة الأولى ، وهي استشعار الكمال ، ويدفع بأن يعلم المدح أنه غير صادق في قوله . كما إذا مدح أنه بسبب . أو حتى . أو عالم تعلم ، أو تورع عن المحظورات ، وهو يعلم من هذه صدقات . من قول المدة التي سبها استشعار الكمال ، وتبقى لذته الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية الذات . فإن كان يعلم أن المدح ليس بمنقذ ما يقوله ، ويعلم خلوه عن هذه الصفة ، أصاب اللذة الحقيقية ، وهو استيلاءؤه على قلبه . وتبقى لذته الاستيلاء والحشمة على اضطراب لسانه إلى الحق ، وإن لم يكن ذلك عن خوف أن كان طريق اللعيب . تحت اللذات كما . فلم يكن فيه أصل لذته لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الخط ، عن علة الداد ليس بمدح . وتبطل بسبب الدم . وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الله ، وحب المحمدة ، وخوف المذمة . فإن ما لا يعرف سببه ، لا يمكن مع حبه . إذ العلاج عبارة عن حب شيء من مرضي والله الموفق بكرمه ولطفه ، وصلى الله على كل عبد مصطفى

بيان

علاج حب الخاء

اعلم أن من غلب على قلبه حب الخاء ، صار مقصورا لهم على مراعاة الحق ، مشغوقا بالتودد إليهم ، والمرأة لأحلام ولا يزال في أمواليه وأفعاليه ملتفتا إلى ما عظم منزلته عندهم وذلك من الله في أصل الفساد ويخرج ذلك لانه إلى انه في العبادات ، والمرأة بها ، وإلى اهتمام المحظورات ، للتوصل إلى اقتناص القلوب ، ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال ، وإسادهما للدين ، حنين صاريين ، وقال عليه السلام : لا يثبت الصديق كذبت النساء البقل . إذ الله في هو شيء من القول أو الفعل وكل من طاب امره في قلوب الناس ، فيصطر إلى اتفاق معهم . وبني النظائر بحصول

جميدة هو حالها. وذلك هو عين الله في قلبه إذ من الله بركات. فيجب علاجه وإزالته
عن القلب، وإليه ضاع حين عليه قلب كمن على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل
أما العلم، فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب إليه، وهو كمال القدرة على أشد من
الإنسان. وعلى قلوبهم وقد يمان أن ذلك إن شاء وسيله حرة الموت. فحين هو من المأفقات
الماضيات بل أو سجدات كل من على سيطر الأرض من المشرق إلى المغرب، بينهم وبين
سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له. ويكون حادث كحل من مات قلبك من ذوى الجاه
مع المتوسمين به، وهذا لا يسمى أن يبرثه لئلا الذى هو الحياة الأبدية التى لا تقطع لها
ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق، صغر الجاه فى عينه، إلا أن ذلك إنما
يصغر فى عين من، طربى الآخرة كأنه يشاهده، ويستحق العاجلة. ويكون الموت
كالخاضع عنده. ويكون حبه كحل الحسن البصرى حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز.
أما بعد. فسكان آخر من كتب إليه الموت قدماء، وطر كيم مد طر به نحو
المستقبل، وفقدته كأنه وكذا حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه. أما بعد،
وسكانك بالدين لم يكن، وكانت بالآخرة لم تر. فهؤلاء كان الله بهم إلى العاقبة. وكان
عملهم لها بالقوى، إذ عمو أن المية للمؤمنين. فاستحقوا الجاه والمال فى الدنيا وأصغر
أكثر الخلق ضئيفة مقصورة على الماحلة، لا يتقدم نورهم إلى مشاهدة العواقب. ولذلك
قال تعالى (أَنْ تَوَكَّرُونَ حَيَّةً لَمْ تَمُوتْ وَلَا حَيَّةً حَيَّةً وَتَتَّقِي) (وقال عروجل) (كلاً
نُتَحَمَّونَ أَمْ حَيَّةً وَتَمُوتُونَ وَلَا حَيَّةً) (٢١) من هذا حده فيبقى أن يعلم الحية من حب
الحية ما لم بالآفات العجبة، وهو أن يتفكر فى الأضرار التى يستهدفها رب الحية فى
الدنيا. فإن كل دى حية عند ودود قدود لا بد، وحاشى على الدوام على حياه، ومحتوز
من أن تضر منزلته فى القلوب، والقلوب أشد تميراً من القدر فى غلباتها. وهى مترددة
بين الإقبال والإعراض. فكل ما يفتى على قلوب الحرف يدها من على أمواج البحر،
فإنه لا نبات له. والاشتهار برعاء القلوب، وجمعها الحية. ودمع كبد الحساد يدمع ندى الأعداء،

كان ذلك عموم عاحدة ، ومكدره للذة العدم ، فلا يفي في الدين مرحوها مخوفها .
 فضلا عما يموت في الآخرة . فهذا يسعى أن تدخ النصيرة الضعيفة . وأما من هدت
 بصيرة . وقوي إيمانه ، فلا يفت إلى الدين . فهذا هو الملاح من حيث العلم
 وأما من حيث العمل : فيسقط الجاه عن قلوب الخلق ، ثم شرة أفعال يلام عليها ، حتى
 يسقط من أعين الخلق . وانه رفعة له القول . ويأس باحمول ورد الحق ، ويقع بالقبول
 من الخلق . وهذا هو مذهب الملامية ، إذ اتعموا الموحش في صورها ، ليسقطوا
 أنفسهم من أعين الناس ، فيسلموا من آفة الجاه . وهذا غير جائز لمن يقتدى به ، فإنه يوهن
 الدين في قلوب المسلمين . وأما الذي لا يقتدى به : فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل
 ذلك . بل له أن يعمل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس . كما روى أن مص الملوكة قصد
 بعض رهاد ، ثم علم قربه منه ، استدعى طهاما وقتلا ، وأخذ يأكل شره . وبهظم
 اللقمة . ثم نظر إليه الملك سقط من عيه وأصرف . وقال لراهد الحمد لله الذي صرفت عني
 ومنهم من شرب شرابا حلالا في فدى لونه لون الخمر . حتى يطمع به أنه يشرب الخمر .
 فيسقط من أعين الناس . وهذا في جواره نظر من حيث الفقه . إلا أن أرباب الأحوال
 ربما يخلون أنهم عما لا يعتنى به الفقيه ، مما رأوا الملاح فلوهم فيه ، ثم يتداركون ما فرط
 منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم . فاعترف بالزهد . وأول الناس عليه . فدخل
 حما . ولبس ثياب غيره وخرج ، موقف في الطريق حتى عرفوه . فأحذروه وصروه .
 واسبر دوامه الثياب ، وقالوا له طرر . وهجروه . وأوى الطرق في مطع الحمة الاعتزال
 عن الناس ، والمهجرة إلى موضع تحول فيه المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور
 لا يخلو عن حب المدة التي ترسخ له في القلوب سبب عمارته . فإنه ربما يطمع أنه ليس
 بحمدك الحمة ، وهو مغرور . وإنما سكت عنه لأنها قد طعرت حقصودها . ولو تعبر
 الناس عما اعتقدوه فيه . فذموه ، أو نسبوه إلى أمر غير لائق به . جرعت عنه وتملت ،
 وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك ، وإمالة ذلك المذموم عن قلوبهم . وربما يحتاج في إزالته
 ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتبليس ، ولا يبيح له . ولا يبين بعد أنه يحب للجاه والمدة
 ومن أحب الجاه والمدة فهو كمن أحب المال . بل هو شر منه ، فإن فتنة الجاه أعظم ،

ولا يمكنه أن لا يحب المنه في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى، ووضع طعمه عن الناس رياء، أصبح الناس كلهم عنده كالزبد ولا يلبس له من له منته في قلوبهم ثم لم يكن، كما لا يلبس في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق. لأنه لا يراهم، ولا طمع فيهم ولا يقض الطمع عن الناس إلا باغداقة. فمن قنع استغنى عن الناس. وإذا استغن لم يشتغل فيه الناس. ولم يكن اقيام مراتبه في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الحاح لا باغداقة وقطع الطمع. ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في دم الحمار، مدح الخول والدل، مثل قوله المؤمن لا يخلو من دله، أو دة، أو علة. ويظهر في أحوال السلف، رياءهم على المنه، ورعيتهم في نواب لا حرفة مني منهم أحمين.

بيان

وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم أن أكثر الناس يهابون خوف الذم، ليس وحب المدح، فصارت حركاتهم كلها، وقوفة على ما يوافق رياء الناس، رياء المدح وخوف من الذم. وذلك من المم كات فيجب معالجته ومطرقه، لاحظنا الأسباب التي لأحباب حب المدح ويكره الذم أما السبب الأول، وهو استشعار السبب سبب قول المدح، وطريقته فيه أن ترجع إلى عقلك، وتقو القبول، هذه الصفة التي تدلح بها أنت متعصب بها أم لا، فإن كنت متعصفاً، فهي إمامسة تستحق المدح، كما لم والوزع، وإمامسة لا تستحق المدح، كالثروة والجاد والأعراض الدنيوية، كات من الأعراض الدنيوية، كات من كات الأرض، الذي يصير على القرب هشياً تدروه الروح. وهذا من قوة العقل، الذي يقول كات النبي.

أشد الغم عندي في سرور، يقن عنه صاحبه انتقلا

ولا ينبغي أن يفرح إلا - إن يروض لديه - وإن فرح فلا يرضى أن يفرح بمدح المادح بها، بل بوجوده، والمدح ليس هو سبب وجوده. وبك كات الصفة لا يستحق الفرح بها، كما لم والوزع، ويدينى أن لا يفرح بها. لأن الخنة عير معلومة. وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زاني. وخطر الخنة باق. ففي الخوف من سوء الخاتمة

شغل عن امرح بكل في الدنيا من الداء دار أحزان وغموم . لادار فرح وسرور . ثم إن
كذب تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة . فينبغي أن يكون فرحك بعرض الله عليك بالعالم
والمتقوى . لأن المدح والمدح في المدة في مشهور الكبر . والكبر هو حود من فضل
الله لا من المدح والمدح . مع له . فلا ينبغي أن يفرح بالمدح . والمدح لا يربك فضلا
وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت حسنها . وفرحك بالمدح غاية الحنون . وهذا
مشهور من يهرأ به . حس وقبول . سبحانه الله . ما كبر العطر الذي في أحسنه . وما أطيب
الروائح التي تفرح به . د نصي حاشته وهو يعلم ما تشتمل عليه . ثم أنه من الأقدر والأتم
ثم يفرح بذلك . فكذلك إذا تلو حديث الإصلاح ولودع . وفرحت به . والله مطلع على
أحوالنا طيب . وعون من سريرت . وقدر صدك . كان ذلك من غاية الجليل
فإذا المدح من صدق فيمكن فرحك بصفاته . لتي هي من فضل الله عليك .
وإن كذب فينبغي أن يفهمك ذلك ولا تفرح به

وأما السبب الثاني : وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح . وكونه سببا لتسخير قلب
آخر . فهذا يرجع إلى حب الحية والمهنة في القلوب . وقد سبق وجهه لحية . وذلك بقطع
الصمم عن الناس . وطوبى لغيره عند الله . وأن نعمت طيب المراه في قلوب الناس .
وفرحك به . يسقط منزلتك عند الله . فكيف تفرح به !

وأما السبب الثالث وهو الخشعة التي اضطرت المادح إلى المدح . فهو أيضا يرجع
إلى قدرة عارضة لا يثبت لها . ولا تستحق الفرح . بل ينبغي أن يفهمك مدح المادح وتكرهه
ونعوض به . كما تعلم ذلك عن السبب . لأن آفة المدح على المدوح عظيمة . كما ذكرناه
في كتب آفات اللسان . قال بعض السلف . من فرح بمدح فقد مكس الشيطان من أن يدخل
في نطه . وقال بعضهم . يد بينك ثم الرحمن . وكان أحب إليك من أن يقال لك
نفس الرجل أنت . فأتى والله نفس الرجل . وروى في بعض الأخبار . فإن صح فهو قاصم
للصهور . أن رجلا أتى على رجل حبرا . عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال « لو كان
صاحبك حاضرا قرأ حتى تأتي فتد ثمت على ذك ذلك الشر » . وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ابن حنبل في حديثه على رجل خير فقال لو كان صاحبك حاضرا قرأ حتى تأتي فتد ثمت على ذك ذلك الشر . ثم أحله أصلا

«مَرَّمَهُ الْمَدْحَ» وَيُنْحَتُ نَحْوَهُ لَوْ سَمِعْتَ «مَأْمَدَحَ» بَنِي يَوْمَ الْأُمَيَّةِ» وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 «أَلَا لَا تَعْدَحُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدْحِينَ فَخُشُوا فِي وَجْهِهِمْ إِبْرَاهِيمَ»

فإن هذا كان الصَّحَابَةُ رَضُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ عَلَى وَجَلٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمَدْحِ وَوَدَّعَهُ. وَهُوَ أَيْدَحِلُ
 عَلَى الْقَلْبِ مِنَ السَّرُورِ الْعَظِيمِ بِهِ، حَتَّى نَافَسَ الْخُدَّاءَ الرَّاشِدِينَ سَأَلَ رَجُلًا عَنْ شَيْءٍ،
 وَقَالَ: أَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَمْرٌ بِمَعِيبٍ وَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَمْرُكَ أَنْ
 تَرْكَبَنِي وَفِيمَنْ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ لَا يَرَى النَّاسَ نَحْوَهُ أَتَقَرُّكَ اللَّهُ بِمَعِيبٍ وَقَالَ: أَنِّي
 لِأَحْسَنُكَ عَرَاوِي. وَقَدْ مَضَى لَمْ يَدْحُ. لِأَنَّ هَذَا عَمْدُكَ تَقَرُّبُ فِي تَقَرُّبِكَ، فَأَشْهَدُكَ عَلَى
 وَاقِعِهِ. وَإِنَّ كَرَهُوا الْمَدْحَ حَيْثُ أَنْ هَرَجُوا بِمَدْحِ الْخَلِيفَةِ، وَهُمْ مُتَوَاتِرُونَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ. وَكَانَ
 أَشَدَّ لِقُلُوبِهِمْ نَحْوَهُمْ عَمْدُ اللَّهِ بِبَعْضِ أَجْمَعِهِ مَدْحُ الْخَلِيفَةِ لِأَنَّ الْمَدْحَ هُوَ الْمُقَرَّبُ عَمْدُ اللَّهِ،
 وَالْمَذْمُومُ الْحَقِيقَةُ هُوَ الْيَمْدُ مِنَ اللَّهِ الْمُنْقِي فِي الدَّرَجَةِ الْأَشْرَارِ هَذَا الْمَدْحُ إِنْ كَانَ عَمْدُ اللَّهِ
 مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَةِ الْعَظِيمِ حَيْثُ إِذْ فَرَحَ نَدَحَ عَمْرٍو. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحِمَاةِ، وَلَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَفْرَحَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشَهِيدِهِ عَلَيْهِ، إِنْ أَيْسَ أَمْرُهُ بِدَلَالَةِ وَمِنْهَا عِلْمُ الْأَرْاقِ وَالْأَجَابِ يَمْدُ
 اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ الْمَدْحِ إِلَى مَدْحِ الْخَلِيفَةِ وَذَمِّهِمْ، وَسَقَطَ مِنْ قَلْبِهِ حُبُّ الْمَدْحِ، وَاشْتَغَلَ
 بِعَمَلِهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَاللَّهُ الْمُوفِقُ لِلصَّوَابِ بِرَحْمَتِهِ

بيان

علاج كراهة الذم

قد سبق أن أَمَلْنَا فِي كَرَاهَةِ الذَّمِّ، هُوَ صَدَاقَةُ فِي حُبِّ الْمَدْحِ وَمَعْلَاةُ أَيْضًا يَفْهَمُ
 مِنْهُ وَالْقَوْلُ الْوَحِيدُ فِيهِ، أَنْ مِنْ دَمِكَ لَا يَخْبُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدَّقَ
 فِيمَا قُلَّ، وَقَصْدُهُ الصَّحِيحُ وَالشَّقِيقَةُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، وَلَكِنْ قَصْدُهُ الْإِذَاءُ وَالتَّعَنُّتُ
 وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَادًا فَإِنْ كَانَ صَادِقًا وَقَصْدُهُ النَّصِيحُ. فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَدْمَهُ، وَتَعْصِبَ عَلَيْهِ
 وَتَحْقُدَ لِسَبِّهِ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَقْلُدَ مِمَّنْ فَإِنْ مِنْ أَهْدَى إِيَّاكَ عِيَوَاتٍ. فَقَدْ أُرْشِدُكَ

(١) حديث ويثقت فظهره - الحديث: قاله المادح تقدم

(٢) حديث لا تادحوا وإد رأيتم المادحين فخشوا في وجوههم النار، تقدم دون قوله لا تادحوا

إلى المهلك حتى تتقيه . فينبغي أن تفرح به ، وتستغل به الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها . فأما اغتمامك بسببه ، وكرامتك له ، وذمك إياه ، فيه عاية الجهل

الذم في هذا
الفتن

وإن كان قصده التعتن ، وأنت قد انتفعت بقوله إذ أُرشدك إلى عيبك ، إن كنت جاهلا به ، أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا به . أو تفتح في عيبك ، ليثبت حرصك على رايه إن كنت قد استعصمه . وكل ذلك أسباب سوء ذلك . وقد استندته منه ، فاشتغل بطالب السعادة . وقد أتيح لك أسباب ما سمته من المدة . ففهم قصدت الدخول على .ك . وثوبك الموت المذرة ، وأنت لا تدري ، وأودحات عيه كذلك خلفت أن يحرق رقبك بالموت بك . فقل لك قائل أيها الموت المذرة طهر نفسك ، فينبغي أن تفرح به ، لأن تبهت بقوله غيبة . وجميع منوى الأخلاق مبهكة في الآخرة . والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه ، فينبغي أن يتسمه . وأما قصد الدخول التعتن بحياة منه على دين الله ، وهو دمة منه عيب . فم تقصص عليه بقول انتفعت به ، وتصرره هو

الذم في غيره

الحالة العائمة : أن يفترى عليك بما أنت ترى منه عند الله تعالى ، فينبغي أن لا تكره ذلك ، ولا تشتغل بذهمه . بل تفكر في ثلاثة أمور

أحدها . أنك إن حاولت من ذلك الغيب ولا تخلو عن أمهاته وأشباهه ، وما ستره الله من عيوبك أكثر ، وشكر الله تعالى إذ لم يضامه على عيوبك ، ودفعه عنك بذكر ما أنت ترى عنه والثاني . أن ذلك كعارات ببقية مسووك ودو لك ، فسكانه ربه كنعيب أنت ترى منه ، وطهرتك من دواب أنت ملوث بها . وكل من اعتك فقد أهدي إليك حسنة . وكل من مدحك فقد قطع طهرتك . فإياك تفرح قطع الطهر ، وتحرب لهدايا الحسنة التي تقربك إلى الله تعالى . وأنت ترغم أنك تحب القرب من الله

وأما الثالث . فهو أن المسكين قد جنى على دمه حتى سقط من عين الله ، وأهلك نفسه بأمرائه . وتعرض لعقابه الأليم ، فلا ينبغي أن تعصب عليه مع غضب الله عليه ، فغضبت به الشيطان ، وتقول اللهم أهلكه . بل ينبغي أن تقول اللهم صلحه . اللهم تب عليه ،

اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم ^(١) «الإنسان أعمر شعوى ثم أهْد قَوْسِي ثم لا يَمْلِكُونَ» ما أن كسرو شميته، وشجرو وجهه، وفنلوا عنه حمرة يوم حد ودعا إبراهيم بن ذهم لم يشرح ريشه بغيره. فعبر له في ذلك. فقال «ما أتى من حور سميته، وما أتى من إلاحير. ولا رضى أن يكون هو من مديني. ومديني من أياك كراهة المذمة قطع الطمع. فإن من استعصت عنه مهم دامت له أعظم ثمرة في نفسه ونفسه من إقضاءه وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه. وما دام الطمع قائمًا، كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبًا، وكانت همتك إلى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة، ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين فلا بد من أن يطعم طاب من واحد هو محب المدح ويمنع لده في سلامة قدومه، فإن ذلك يعمد حد

بيان

اختلاف أحوال الناس في المدح والذم

اعلم أن الناس أربعة أحوال بالآلة إلى المدح والمدح
الحالة الأولى: أن يمدح المدح، وشكر المدح، ويمنع من المدح، وتنفذ على
الدم ويكافئه ويحب مكانه وهذا حال كثير الخلق وهو علة درجته العنصرية في هذه الآلة
الحالة الثانية: أن يتمنع في المدح على المدح، والشكر تملك له وحور حه عن
مكافأته، ويفرح بانه ويرتج المدح، ولكن لا يجمع به هره عن، فهو السرور
وهذا من العصب، إلا أنه يلبس في ما يملكه كمال
الحالة الثالثة: وهي أول درجات الكمال، أن يستوى عنه داهه ومادحه ولا تعه
المذمة، ولا تسره المذمة. وهذا قد يظنه بعض المتدعسه، ويكون مغرورًا إن لم يتحس
هسه، ملاماه. وعلاماه أن لا يجد في هسه استه لا للدم عند تصوله الجلوس عنه
أكثر مما يجده في المدح وأن لا يجد في هسه ردة هزة واشط في فيه، حوائج المدح،
فوق ما يجده في قضاء حاجة لده وأن لا يكون إقطاع لده عن محسه، هون عيه

(١) حديث يهد عمر شعوى فيه لا يملكون به. صريحه مومه أبقى في دلائل سورة ومهتدم وحديث
في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين صربه مومه

العتوف إلا من « فليل بأمر الله إلا من » فقل « إلا من » ترهت نسبة عن الدنيا
وأخص المدحة واستحب المذمة « وهذا شديد جدا

ونغية أمثلة الصمغ في الحلة الثانية . وهو أن ينضم المرح والكرامة على الدام والمادح
ولا يظهر ذلك بالنول والعمل فأما الحلة الثالثة وهي التي فيه بين المدح والدام ، فلسا
نطمع فيها ثم يطالب أمسا حلاقة منه الثانية ، بإب لا يسيها ، لأنها لا بد وأن تتأرجع
إلى إكرام المدح ومساء حاحه ، وتتذلل على إكرام الدام والله عليه وقضاء حوائجه .
ولا تدرك على أن يسوي بينهم في الفعل الطاهر ، كما لا يقدر عليه في سريرة القلب . ومن قدر
على التسوية بين المدح والدام في طاهر الفعل ، فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وحده
فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الدس هو لا يرى ، فكيف تبعده من المرتبة

درجات الدس
بالنسبة للمدح

وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما لدرجات في المدح . وهو أن من الناس
من يتعمى المدحة وأشياء وانتشار المصيت . فيتوصل إلى بل ذلك بكل ما يمكن حتى يراني بالعبادات ،
ولا يلبث أن يقدّر له المحظورات ، لاسم له لوب الدس ، واستنطق لستهم بالمدح : وهذا من الهالكين
ومهم من يريد ذلك ، وطبقة مباحات ، ولا يطبقة بالعبادات ، ولا يشر المحظورات .
وهذا على شفا جرف هار فإن حذر الكلام لدى . يبين به ألقوب وحدود الأعمال . لا يمكنه
أن يضبطها . فيوشك أن تقع فيما لا يحل لين الحمد . وهو قريب من الهالكين جدا
ومهم من لا يريد المدحة ، ولا يهي الخلفاء . ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه .
فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة ، ولم يتكاف الكراهية ، فهو قريب من أن يستجره فرط السرور
إلى الزمة التي فيها . وإن جاهد معه في ذلك ، وكلف قلبه الكراهية ، ونقص السرور إليه
بما مكر في أدب المدح ، فهو في خطر المجاهدة ، ورة تكون الأدلة . وتارة تكون عليه

ومهم من إذا سمع المدح لم يسره ، ولم يهتم به . ولم يؤثر فيه ، وهذا على خير . وإن كان قد بقي
عليه قية من الإخلاص . ومنهم من يكره المدح إذ سمعه . وإن كان لا يهتم به إلى
أن يعصب على المدح . يكره عليه وأقصى درجاته أن يكره . ويتعصب ، ويظهر العصب وهو صادق
فيه . لأن يظهر العصب وقبه محبة . وإن ذلك عين العاق ، لأنه يريد . أن يظهر من نفسه
الإخلاص والصدق ، وهو مناسب عنه . وكذلك ما قدم من هدايات في الأحوال في حق الدام

ولذلك ورد ^(١) أن مومن عمل السر على عمل الجهر بسهمين ضعفا . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إن المرأتى ينادى عليه يوم القيامة يا فاحر يا غادر يا مرائى ضل عملك وحبص أجرك اذهب وخذ أجرك بمن كنت تعدن له » ^(٣) وقال شداد بن أوس : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي ، فقالت ما يبكيك يا رسول الله قال « إني تخوفت على نبي أشرك الله إلههم لا يحبذون صابرا ولا شمتا ولا قرا ولا حرا واليه يراؤون » ^(٤) فقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « لما خلق الله الأرض مدت أرضها فجعل الخبال فسترها أو تنادى للأرض فقالت الملائكة : ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الخبال فجعل الله الحديد فقطع الخبال ثم خلق الدار فاداب الحديد ثم أمر الله الله أن يطعم الدار وأمر الرياح فكثرت الله . فخلق الملائكة فقالت بنان الله تعالى قاتوا يارب ما أشد ما حدثت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من ذنبا من آدم حين يتصدق صدقة يمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقا خلقته » وروى عبد الله بن المبارك ، بإسناده عن رجل ، أنه قال لما ذهبت من حديثي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبكي ما أدرك حتى طمعت أنه لا يسكت ، ثم سكت ثم قال ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي دياره د « قلت أملك يا نبي أنت وأمي يا رسول الله قال « إني أحدث حديثا إن أنت حرصت عليه لم أك وأنت صيغته »

(١) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا الباقى في التمهيد من حديث أبي الدرداء أن الرجل

ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معقول حتى السر يضعف بخره سبعين ضعفا قال الباقى هذا

من إسناده عن شيوخه عن أبيه عن أبي الدرداء في كتاب الإخلاص من حديث عائشة

بسنده صحيح يدل على الذكر الحق الذي لا يسمعه الحنفية على الذكر الذي يسمعه الحنفية سبعين درجة

(٢) حديث أن المرأتى ينادى عليه يوم القيامة يا فاحر يا غادر يا مرائى ضل عملك وحبص أجرك - الحديث : أن أبي الدرداء

من رواية جيلة البجلي عن صحابي لم يسم وزاد يا كافر يا حاسر ولم يقل يا مرائى وإسناده صحيح

(٣) حديث شداد بن أوس : تخوفت على نبي الشرك - الحديث : أن ما ذكره من قوله قد تقدم قريبا

(٤) حديث لما خلق الله الأرض مدت أرضها فجعل الخبال فسترها - الحديث : قوله ما خلق خلقا هو أشد من آدم يتصدق

يمينه فيخفيها عن شماله الترمذي من حديث أس مع اختلاف وقال غيره

وَيَقْبَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِأَحَدٍ فَضْلًا مِنْ أَمْرٍ مَحْسُودًا يُحْسِنُهُ وَيَتَّبِعُ مِمَّا أَمَرَ
رَبِّي أَنْ لَا أُدْعَى عَمَلُهُ يُجَاوِرُنِي إِلَى عَذَابِي وَفِي مَسْجِدِ الْحَقِصَةِ عَمَلٌ أَمْرٌ مِنْ صَلَاحٍ
وَرِكَافَةٍ وَحِجٍّ وَعُزْرَةٍ وَحَبِيبَةٍ وَزَيْنٍ بِإِلَهِ السَّادَةِ يَقُولُ لَهَا ثَمَّتْ مُوَكَّلٌ
بِهَا فَمُوا وَصُرُوا بِهَا أَمْرٌ وَحَقٌّ - حَقٌّ بَلَّغَ كَانِ لَا يَرْجُوهُ - فَقَدْ مَرَّ عَدَدُ اللَّهِ
أَصْلُهُ ثَلَاثٌ وَصُرُّوا صُرًّا - كَانِ ثَمَّتْ - مَدَّتْ أَرْجَمَهُ مَرَّتِي رَأَيْتُ لَيْلًا لَاحِقَ
عَمَلُهُ يُجَاوِرُنِي إِلَى عَذَابِي وَفِي مَسْجِدِ الْحَقِصَةِ عَمَلٌ أَمْرٌ مِنْ صَلَاحٍ وَحِجٍّ
وَصَلَاةٍ وَدَقَّةٍ وَرِكَافَةٍ وَحَقِّقَةٍ وَبِيعَ دَوَى دَوَى رَتَدَهُ - وَكَافُوهُ - أَتَمَّسَ
مَعَهُ ثَلَاثٌ كَلَفَ مَدَّكَ مَعَهُ وَبَيْنَ الْإِنْسَاءِ الْإِنْسَاءِ مَعَهُ يَقُولُ لَهَا ثَمَّتْ مُوَكَّلٌ
بِهَا فَمُوا وَصُرُوا بِهَا أَمْرٌ وَحَقٌّ - حَقٌّ مَرَّتِي - حَوَارِجَهُ أَقْبَلُوا - عَلَى قَدَمِهِ إِلَى
أَحْجَبَ عَنْ رَأْيِي كُنْ مَعَهُ مَرَّتِي وَحَقٌّ رَأَيْتُ - مَرَّدَ مَعَهُ - اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ
رَفْعَةً عِنْدَ الْقَهْرِ وَدَكَرَ عِنْدَ الْعَمَاءِ وَصَلَّى فِي الْمَدَائِنِ مَرَّتِي رَأَيْتُ لَيْلًا لَاحِقَ عَمَلُهُ
يُجَاوِرُنِي إِلَى عَذَابِي وَكُنْ عَمَلٌ - يَكُنْ - حَقٌّ مَرَّتِي - لَا يُقْبَلُ اللَّهُ عَمَلُ الْمَرَاتِي
قَالَ وَتَمَدَّدُ حَقِصَةُ عَمَلٍ أَمْرٌ مِنْ صَلَاحٍ وَرِكَافَةٍ وَحَبِيبَةٍ وَحِجٍّ وَعُزْرَةٍ وَخُلُقٍ حَسَنٍ
وَصَدَقَ وَدَكَرَ شَرَاهُ إِلَى وَتَشْعُرُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ حَتَّى يَقْضُوا - حَقٌّ كُنْهَا
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقُولُ نَسْتَعِينُكَ وَشَهِدُونَ بِأَمْرِ الصَّابِحِ مُخْتَصِصٌ لَهُ - هَذَا يَقُولُ
اللَّهُ لَهُمْ أَسْمُ الْحَقِصَةِ عَلَى عَمَلٍ عِبَادِي وَفِي رُتْبَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ إِنَّهُ لَمْ يَرُدَّ سَهْدًا أَمْرٌ
وَأَرَادَ بِهِ عِزِّي فَعَدَّيْنِي فَقُولُ أَمَّا لَكُنْ كُنْهَا عَلَيْهِ نَفْسُكَ وَالْعَمَلُ وَتَقُولُ السَّمَوَاتُ
كُنْهَا عَلَيْهِ نَفْسُ اللَّهِ وَتَعَدُّ وَتَعَدُّ السَّمَوَاتُ السَّمَوَاتُ السَّمَوَاتُ وَفِي مَسْجِدِ الْحَقِصَةِ عَمَلٌ أَمْرٌ مِنْ صَلَاحٍ
فَلْتِ يَا رَسُولَ اللَّهِ - أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ - وَأَمَّا مَعَدَدُ قَلْبٍ مَعَدَدِي وَفِي كَانِ فِي مَدَّكَ قَصٌّ
يَأْمُرُكَ حَافِظًا عَلَى - لَكُنْ مِنْ التَّوْبَةِ فِي إِخْوَانَةٍ مِنْ حَبِيبٍ مُقَرَّبٍ وَفِي مَدَّكَ
عَمَلُكَ وَلَا تَحْمِلْهُ عَنِّيهِ وَلَا تُرِكَ نَفْسُكَ بِمَنْهَجِهِ وَلَا تَرْفَعْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ وَلَا تُدْجِنِ
عَمَلُ الدُّنْيَا فِي عَمَلٍ آخِرِهِ وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَحَبَّتِكَ إِنْ كُنِيَ يَحْذَرُ الدَّاسُ مِنْ رُوءِ خَلْقِكَ

وَلَا تُبَاحُ رَجُلًا وَعِنْدَكَ أَحَرُّ وَلَا نَعْمَةٌ عَلَى أَمْسٍ فَتَقْصِعُ عَنْكَ حَيَّةٌ الذَّبَابُ وَلَا تَمُرُّ بِ
الْبَاسِ مِمَّا رَمَتْ كَلَابُ أَدْرِيوْتُهُ أَتَقِيهِ فِي أَدْرِيوْتِهِ (وَالنَّشِطَاتُ نَشِطَةٌ) (١) أَتَذَرِي
مَنْ هُنَّ يَا مُعَاذُ ؟ « فَبِمَا هُنَّ » أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « كَلَابُ فِي الدَّارِ تَنْشِطُ
اللَّحْمَ وَالْعَصْمَ » قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَطْبِقُ هَذِهِ الْخِصَالُ ؟ وَمَنْ يَنْجُو
مِنْهَا ؟ قَالَ « يَا مُعَاذُ إِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ » قَالَ فَمَا رَأَيْتَ أَكْثَرَ تَلَاوَةِ
لِلْقُرْآنِ مِنْ مَعَاذٍ : لِحَدِيثٍ عَمَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ

وَأَمَّا الْآخَرُ : وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَأَى رَجُلًا يَطْلُبُ رَقَبَتَهُ فَقَالَ
صَاحِبُ الرِّقَةِ : ارْمِ رَقَبَتَكَ . لَمْ يَسْخَرْ وَفِي رَقَبٍ ، إِنِّي لَخُشُوعٌ فِي الْقُلُوبِ وَرَأَى
أَنَّهُ مُؤَمَّمَةٌ عَلَيْهِ عَلَى رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ يَكُنِي فِي سَعْدِهِ ، فَقَالَ : أَنْتَ لَوْ كَانَ هَذَا فِي يَدِكَ ؟
وَوَلَّى عَلَى كَرَمٍ ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الْمَرْثَى ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَكْسِلُ بِكَ وَحْدَهُ ، وَيَشْطُرُّ إِذَا كَانَ
فِي الْهَيْسِ ، وَيُرِيدُ فِي الْعَمَلِ بِدُنْيَى عَلَيْهِ . وَيَقْصُرُ بِدَاخِمٍ . وَقَالَ رَجُلٌ لِمُعَاذٍ بَنِ الصَّامِتِ
أَوْ تَرَى . قَالَ : بَلَى اللَّهُ ، أُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَمُحَمَّدَ النَّبِيَّ ، وَلَاشَيْءَ عَلَيْكَ وَسْأَلُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .
كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَأَشْيَءَ عَلَيْكَ ، ثُمَّ قَالَ فِي ثَلَاثَةٍ بِرَأْسِهِ يَقُولُ : أَعْنِي الْأَعْيَاءَ عَنْ الشَّرِكِ ، الْحَدِيثُ
وَسَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ الْمَسِيْبِ فَقَالَ : إِنِّي أَجِدُ بَطْنِي الْمَعْرُوفِ يَحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ وَيُؤْخَرُ
فَقَالَ لَهُ : تَحِبُّ أَنْ تَقْتَدِيَ دَوْلًا ؟ وَنَعَمْ ، وَدَعَمْتُ اللَّهُ عَمَلًا فَأَحْبَبَهُ . وَقَالَ الصَّحَابُ : لَا يَقُولُ
أَحَدُكُمْ هَذَا لَوْحَدِهِ اللَّهُ وَلَوْحَدِكَ وَلَا يَقُولُ هَذَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ ، فَإِنْ أَلْفَتْ لِي لَأَشْرِيكَ لَهُ .
وَصَرَفَ عُمَرَ رَجُلًا مَادَرَهُ ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَنْتَهَ عَنِّي . فَقَالَ : لَا أَدْعِيهَا شَأْنُكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :
مَا صَنَعْتَ شَيْئًا . بِمَا تَدْعِي فَأَعْرِفْ ذَلِكَ . أَوْتَدْعِي شَيْءًا وَحْدَهُ . فَقَالَ : وَدَعَمْتُ اللَّهُ وَحْدَهُ
فَقَالَ : وَمِمَّ ادَّبَ ؟ قَالَ : وَلِلْحَسَنِ أَمْدٌ حَسْبَ أُمُومٍ ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُ لَتَعْرِضَ لَهُ الْحِكْمَةُ لَوَاطَقَ
بِهَا بَعْمَتَهُ وَصَفَ أَحَدَهُ . وَهُوَ يَسْمَعُ مِنْهُ لَأَسْخَفَةُ الشَّيْءِ . وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُ لَيَمْرِي الْأَدَى
فِي الطَّرِيقِ . فَمَا يَنْتَعِمُ أَنْ يَنْجِيهِ إِلَّا مَخَافَةُ الشَّيْءِ . وَيَقَالُ : إِنْ الْمَرَاتِي يَنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءَ : يَا مَرَاتِي ، يَا مَرَاتِي ، يَا مَرَاتِي ، يَا مَرَاتِي .

وقال العفيل بن عريض كما وبراء بن تميم يعملون ، وروا أبوهم رادف عملاً
يعملون ، وول عكرمة إن الله يعطي العبد على منه ما لا يعطيه على عمله ، لأن الدنيا لا رياء
فيها ، وقال الحسن رضي الله عنه لم أر شيئاً يريد أن يحب قدر الله له وهو رجل سوء .
يريد أن يقوب الناس هو رجل صالح ، وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأرباء ، فلا بد
لقلوب المؤمنين أن تعرفه ، وول متذلة يدار على العبد . قول الله تعالى انظروا إلى عبادي
يستهيئون . وقال مالك بن دينار الفرقة ثلاثة : قراء الرحمن ، وقراء الدنيا ، وقراء الملوك . وإن محمد
ابن واسع من قراء الرحمن ، وقال العفيل . من أراد أن ينظر إلى مرءٍ من عباد الله
وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمات بالليل ، فهي شرف من سمات النهار ، لأن السمات
بالنهار لا تلوّن ، وصمت الليل لب العبد ، وول وسيل النوف عن العمل شدة من
العمل . وول ابن المبارك إن كل امرئ ليظوف بيت وهو خراسان ، فليل له وكيف
ذلك ؟ قال يحب أن يذكر أنه مجرب ، وول إبراهيم بن دهقان . صدق الله من رزق بشهر

بيان

حقيقة الرياء وما يراى به

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية . والسمعة مشقة من السماع . وول الرياء أن يراى طالب
المعزة في قلوب الناس برأيهم حمس الحار ، لأن الحار ودرجة تصاب في القلب بأعمال
سوى العبادات . وتصيبه ذات . واسم الرياء مخصوص بحكمة أعاده بحسب المعزة في القلوب
بالأدات وإظهارها . فحداها هو إرادة العبد من الله . والمرأى هو العبد . والمرأى
هو الناس ، مطلوب رؤيتهم بحسب المعزة في القلوب . والمرأى هو الحار ، الذي قصد المرأى
إظهارها . والرياء هو قصد إظهار ذلك . والمرأى كثير ، وتجمعه خمسة أقسام ، وهي
تتألف من : يترى ، العبد للناس ، وهو الدين ، والرى ، والتقول ، والعمل ، والأثر ، والأشياء
الخارجية . وكذلك أهل الدنيا يريدون هذه لأسباب خمسة : لأن حب الحار وقصد
الرياء بأعمال يست من جهة الطاعات ، فهون من الرياء ما يصعد

[illegible]

الناس قد بدله من الزهد، ورجع عن تلك الطريقة. ورغب في الدنيا. وطلقة أخرى يطالبون القبول عند أهل الصلاح. وعند أهل الدين من الملوك، والوزراء، والتجار. ولو يسروا الثياب الماحقة، ردعوا الفراء. ولو لبسوا الثياب المخزفة المدلة، أردتهم أعين الملوك والأعيان. فهم يريدون فتح بين هؤلاء أهل الدين والدين. بذلك يطمعون لأصناف الدفقة والأكسية الرفيعة. والمرقعات المصنوعة، والقوطة الرقيقة فليدوسهم. ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الأعيان، ولونه وهيمته لون ثياب الصفاة، فيتمنون القول عند الفريقين. وهؤلاء يكاهنوا من ثوب حش أو وسج، السكك عندهم كالديح، خوف من السقوط من أعين الملوك والأعيان. ولو كاهنوا من الديني، والكائن الديني الأيضا، ولتقص المعلم. وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم، أعطوا ذلك ثيابهم، خوف من أن يقول أهل الصلاح قد رعبوا في رأي أهل الدنيا. وكل طائفة منهم ترى منارته في رأي محسوس، ويثقل عليه لاسهل إلى مادونه، أو إلى ما فوقه، وإن كان مدحاً حيفة من امدمة.

وأما أهل الدنيا: فمراآهم ثياب الممسة. وأما كسب الرقيقة. وأنواع الوسم والتجمل في الماس، والمسكن، وأثاث البيت، وفرة الحيول، وثياب المصيفة، والطيايسة الممسة. وذلك صاهر بين الناس، فهم يدسون في موتهم الثياب الخشنة. ويشدد عليهم لوبرزوا للناس على تلك الهيئة، ما لم يبالغوا في الزينة.

الرياء بالقول

الثالث الرياء بالقول. رياء أهل الدين بالوعظ، والتذكير، والناطق بالحكمة. وجمع الأحرار والآثر لأجل الاستعمل في المحورة، وإظهار إعرارهم العلم، ودلالة على شدة العناية بأحوال السامع السامع، وتحريك الشئ من الذكر في محضر الناس، والأمر المعروف والهي عن المنكر بشهد الخلق. وإظهار العصب للمكرات. وإظهار الأسف على معرفة الناس لعدمه، واتصيف الصوت في الكلام، وترقيق الصوت قراءة القرآن، ليبدل بذلك على الخوف، والحرر، ودعاء جمع الحديث، وثناء الشيوخ، والحق على من يروى الحديث بدين حبل في عصبه، يعرف أنه به بالأمديت والمادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح، لإظهار الدين فيه. ومثله على قسده بالخصم. ليطار للناس فواته في علم الدين. والرياء بالقول كثير، وأنواعه لا تنحصر.

ويعرف به سبوه إلى حريمه في ديره أو صومعته ، انشوش قلبه ، ولم يقع بعلم
الله براءه ساجدة ، بل يشد لسانه به ، حتى بكل حيلة في إظهار ذلك من دلوهم ، مع
قطع طمعه من أمواله ، وانكبه يجب مجرد الجاه ، فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه ، فإنه
يؤثر في الخلق ويكسر عروق الأرواح ، إلا الخيال ، ولكن أكثر الناس جهال
ومن لم يمس من لا يقع بدمه ويرى من تمس مع ذلك يتردى لسانه في الحرام
وهم من يريد أن يشر السب في الحرام ، حله به ، وهو به لا شتم
عند الموت ، بل شتم ، وهو جر الخواص على دمه ، وتوهم له بذلك عند الموت

وهم من يقع في سب أو سب ذلك إلى جميع حوائجهم ، وكسب المال ولو من الأذوة
وأول التي هي براءة من الحرام وهو لا يشرطه ببراءة من براء ، بل لا سب التي
ذكره هذه حقة أربعة ، مع أربعة من سب : فإليه حرام أو مكره أو مباح أو مية تمصيل
فأقول فيه تفصيل ، من الرأ ، هو سب حرمه ، وهو ما يكون بالعدوات ، من كان
من العدوات ، فهو كسب المال ، في حرمه من حيث به سب مكره في طوبى المذنب والساكن
كما ذكر كسب المال ، سب بونته ، فكذا الحاء وكما كسب قبيل من
أهل ، وهو مباح إليه إلا سب محمود ، فكسب من حرمه ، وهو ما يمد به عن الآفات
أب محمود وهو الذي طه به يوسف ، لا محض قل (إني جمعهم) وكما كسب
فيه سمع ، ودقيق ، مع ، فكذلك الحاء وكما كسب ما يمد به عن صفى ويصلى ذكر الله
ولذا لا حرة ، فكذلك أكثر الحاء في شدة وعقبة الحاء أعظم من عقبة المال وكما لا أقول
تلك المال الكثير حرام ، ولا أقول تصانف أبواب كثيرة حرام ، إلا بحجمه كثرة
المال وكثرة الحاء على ما شره ما لا يجوز ، نعم صرف لهم به سب حاء مبدأ شرور ،
كما صرف لهم به كثرة المال ولا يقدر بحب الحاء والمال على تركه حتى انقلب ولسانه وغيرها
وأما سب الحاء ، من غير حرص على تركه ، ومن غير اعتناء برواه ، بل بالصرر
فيه ، وإلا جاء أوسع من طاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجه الحاء ، الرشد ، ومن لم يمد
من علماء الدين ، وانكر صرف لهم إلى سب الحاء فمعدن في الدين ، ولا يوصف بالتحريم

مكتم الرأ

فعلى هذا نقول . تحمين الثوب الذى يليه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراآة . وهو ليس بحرام ، لأنه ليس بآءاءة . بل بالدنيا . وقس على هذا كل تجمل للناس وترى لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة . صلى الله عليها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوما إلى المسجد ، وكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره . فأتته عائشة فقلت : يا رسول الله ! هل لك أن تلبس ثوبا من الثياب التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد ؟ قال : لا ، بل لبس ثوبا من الثياب التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد . ثم قال : من كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يلبس ثوبا من الثياب التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد . ولولا أنى ألبس ثوبا من الثياب التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد ، لكانت المرأة من النساء التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد . وكان ذلك قصدا . قال الله صلى الله عليه وسلم : وإن كان لو قصدت أن تلبس ثوبا من الثياب التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد ، لكانت المرأة من النساء التى ترين لإخوانك إذا خرجوا إلى المسجد . وأنسى الإخوان . وهما الساقطون واستغفروا لم يأنس بهم . وقد تكون من المحدثات قد تكون . وقد تكون طاعة . وقد تكون مذمومة . وذلك بحسب العرص المصلوب بها . ولذلك قول . الرجل إذا أتى ماله على جماعة من الأعيان ، لاقى معرض المودة والصدقة . وإن كان ليعتقد الناس أنه سخي ، فهذا مراآة ، وليس بحرام . وكذلك أمثاله . ثمة المحدثات ، كالصدقة . والملاحة . والمصيام . والعرو ، والخلع ، فلعمري فيه حالان . إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر . وهذا يبطل عبادته ، لأن الأعمال بالنيات . وهذا ليس بقصد العبادة . ثم لا يقتصر على إحباط عبادته ، حتى نقول صار كما كان قبل العبادة . بل يعصى بذلك ويأثم ، كما دلت عليه الأخبار والآيات ، والمعنى فيه أمران :

أحدهما : تعاقب العبادة وهو التلبس والمكر ، لأنه خيل إليهم أنه محاض طيب لله ، وأنه من أهل الدين وليس كذلك . والتلبس في أمر لذي الحرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة ، وخيل للناس أنه مترع عليهم ليعتقدوا سجدته ثم به ، لم فيه من التلبس وتلك القلوب بالخدع والمكر

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أمهات وكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره . الحديث : أبرمدي في الكمال وقد تقدم في " الظاهرة "

لا يعلوكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف يملكون غيرهم هذا في الدنيا ! فكيف في يوم لا يحصى والد عن ولده، ولا مولود هو جار عن والده شيئا ! بل تقول الأنبياء فيه نفسى فكيف يستدل الخس عن ثواب الآخرة، وبين القرب عبد الله، ما يرتقيه بطعمه الكاذب في الدنيا من الناس، فلا يدعى أن نشك في أن المرائى بطاعة الله في سخط الله، من حيث الحق والقيس حمدا هذا لما قصد لأخر فأما إذا قصد الآخر واحدا منهما في صدقته أو صدقه، فهو اشترى لدى - قص لإخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار، قول سعيد بن المسيب، وعبد الله بن الصامت إنه لا أجر له فيه أصلا

بيان

درجات الرياء

اعلم أن مص ثواب الرياء شدة وعطف من مص واحدا، فلهذا آلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه. وأركانه ثلاثة: المرائى، والمرائى لأخيه، ومص قصد الرياء

الركن الأول: مص قصد الرياء. وذلك لا يكون إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب، وإما أن يكون مع إرادة الثواب. فإن كان كدس، فلا يخبر إمام أن يكون إرادة الثواب أقوى وعصب. فلو لم يأت به إرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة الأولى: وهي شطط، أن لا يكون مرده الثواب فلا كلالى يعلى بن أطهر الناس ولو اشترى لكان لا يعلى. بل رعا يعلى من غير طهارة مع الناس. فهذا مجرد قصده إلى الرياء، وهو الملقوت عند الله تعالى. وكذلك من يخرج الخدمة خوفا من مذمة الناس. وهو لا يقصد الثواب، ولو خلا به لكان ذمها بهذه الدرجة العبر من الرياء

الثانية: أن يكون له قصد ثواب أي. وإن كان مقصدا سعيه بحيث لو كان في الخلوة لمكان لا يسمعه ولا يحمده، ذات القصد على العمل ولو لم يكن قصد ثواب السكك الرياء يحمده على العمل وهذا رتب مما قبله. وما فيه من شائعه قصد ثواب لا يستقل نعمته على العمل، لا يلقى عنه لمقت والإثم الثالثة: أن يكون له قصد ثواب وقصد الرياء، ساويين، بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتشه على العمل فلهذا خمسة أبعث الرعة أو كان كل واحد

منها لو امرد لاسقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصبح فمرحوا أن يسلم رأسا
رأس لاله ولا عليه . أو يكون له من الثواب مثل ما عساه من العقاب . وطواهر الأخبار
تدل على أنه لا يسلم ، وقد حكاه عليه في كتاب الإخلاص

الرابعة . أن يكون اطلاع الناس مرححا ومقبولا لشبهه ، ولو لم يكن لكان لا يترك
العادة . ولو كان قصد الرياء وحده لم أقدم عليه . ولدى نصه والتم عبد الله ، أنه لا يحبط
أصل الثواب ، وإنه يقتضيه منه ، أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ، ويثاب على مقدار
قصد الثواب . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أعني الأعمى » عن الشُّرك
فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان ، أو كان قصد الرياء أرجح

الركن الثاني الرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء
بأصول العبادات ، وإلى الرياء بأوصافها

القسم الأول وهو الأخط . الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات :

الأولى . الرياء بأصل الإيمان ، وهذا غلط أو باب الرياء . وصاحبه نهى في البار .
وهو الذي يظهر كلتي الشهادة ، وسطه مشعون بالتكذيب . وإنه يرى الظاهر
الإسلام . وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى ، كقوله عز وجل (إذا حدث
الأنبياء قووا فأنوا يشهدوا إنا أرسلناك الله والله يشهد إنا
المنافقين السكاكوت^(١)) أي في دلائلهم قلوبهم على حمارهم . وقال تعالى (ومن الناس
من يحبك قوله في الحية الدنيا ويشهد الله على ما في نفسه وهو كاذب خبيث^(٢)) وإذا تولى
سعى في الأرض ليفسد فيها^(٣)) الآية وقال تعالى (وإذا لقوكم فأنوا آمنا وإذا خلوا
غضوا عنكم^(٤)) الآية من الخبيث^(٥)) وقال تعالى (يرآون الناس ولا يدكرنهم^(٦)) الله
إلا قولا * مدد من بين ذلك^(٧)) والذين فيهم كثيرة . وكان الفارق يكثُر في ابتداء
الإسلام . ثم يدخل في طاهر الإسلام أثناء عرض . وذلك مما يقل في زماننا . وإنه
يكثُر اتفاق من مسلم عن الدين . ومجهد الجنة والنار والدار الآخرة ، يلا إلى قول الملاحدة .

الرياء بأصل
العبادة

(١) مفسر . ١١٠ سورة . ٢٠٤ ، ٢٠٥ آل عمران : ١١٩ (٢) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣

أو يعتقد على بسط الشرع والأحكام . ميل إلى أهل الإباحة . أو يعتقد كرها
أو بدعة . وهو يظهر خلافه . فهو لأهل المواقفين والمرائين المخالفين في الدار . وليس وراء هذا
الرباءة . وحال هؤلاء عند حال من السكة والمجاهرين . فيهم جموع من كبراءة طين وفاق الطاهر
الذينة . الرياء . أصوب المذات . مع التصديق بأصل الدين . وهذا أيضا عظيم عند الله
ولسكنه دون الأول بكثير . ومثله أن يكون مال الرجل في يد غيره . فيأمره بإخراج الزكاة
خوفا من ذمه . والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها . أو يدخل وقت الصلاة وهو
في جمع . وعادته ترك الصلاة في الخلوة . وكذلك يصوم رمضان . وهو يشتهي خلوة من
الخلق يعطّر . وكذلك يحضر الجمعة . ولو لاحوف المدة لكان لا يحضرها . أو يصل رحمه
أوليه والديه . لا عن رغبة . ولكن خوفا من الناس . أو يعرف . أو يحس كذلك فهذا
مراء . مع أصل الإيمان بالله . يعتقد أنه لا مود سواه . ولو كان أن يبدع الله أو يسجد
لغيره لم يعمل . ولسكنه يترك العبادات لا يسكن . ويدشط عند اطلاع الناس فتكون
منزلة عند الخلق أحب إليه من مراتبه عند الخلق . وخوفه من مذلة الناس أعظم من خوفه
من عقاب الله . ورغبته في محمدتهم شدة من رغبته في ثواب الله . وهذا غاية الخلق . وما أجدر
صاحبه بالقت . وإن كان غير مسلم عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد

الرياء بالوائيل

الرياء أن لا يرى مدعى ولا نامراض . والسكنه يرى بالواهل والناس التي
أوركاها لا يعصى . والسكنه يكس عنها في الخلوة . فتور رغبته في ثوابها . ولا يثار للذة
السكنل على ما يرحى من الثواب . ثم يرش الرياء على فعلها . ودان كحضور الجماعة
في الصلاة . وعيادة المريض . واتباع الحذرة . وعسى الميت . وكاتبه لليل وصيام يوم
عرفة وعاشوراء . ويوم الاثنين والخميس . فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة
أو طيبا لله حمدة . ويعلم الله تعالى منه أنه أو حلا نفسه . أراد على أداء المرائض فهذا
أيضا عظيم . والسكنه دون ما منه . فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخلق . وهذا
أيضا قد فعل ذلك . وفي ذم الخلق دون ذم الخلق . فكان دم الحق أعظم . ذم من عقاب
الله . وإنما هذا علم بفعل ذلك . لأنه لم يحب عطاء على ترك الدفعة أو تركها . وكأنه على
الشطر من الأول . وعقابه نسيب عقابه . فهذا هو الرياء بأصول العبادات

الرياء بأوصاف
العبادات

القسم الثاني الرياء أوصاف العبادات لأصولها ، وهو أيضا على ثلاث درجات .
الاولى : أن يرأى بفعل ما في تركه تقصير العبد ، كالذي عزمه أن يخفف الركوع
والسجود ، ولا يطول القراءة ، وإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود ، وترك لالهات ،
وتعم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود : من فعل ذلك فهو استهانة يستهين
سأره عروجه أي أنه ليس له في بادئ الأمر شيء عليه في العبادة ، فإذا اطاع عليه آدمي أحسن
الصلاة ، ومن جلس بين يدي حسن متر ، ومتكئا ، ودخل علامه مستوى وأحسن
الجلوس ، كان ذلك منه تقدما للغلام على السيد ، واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال المرأى
تتحسين الصلاة في ملائكة دون العلوة . وكذلك لدى عدد حراح الركاه من لسان
الرديئة . أو من الحبيب الرديء . فإذا اطاع عليه غيره حرجا من الحيد خوف من مدمته
وكذلك الصائم يمسك صومه عن الغيبة وأرض لأجل الحقي ، لا لئلا يبادى الصوم ،
خوفا من المذمة . فهذا أيضا من الرياء الضعيف . لأن فيه تقدما للمسلمين على الحق ،
ولسكنه دور الرياء أصول الخطوات . فإن قال المرأى إنه فعل ذلك صيانة لأستهم
عن الغيبة ، إنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود ، وكثرة الأسماء ، ألقوا اللسان
بالدم والغيبة ، وإذا قصدت حياتهم عن هذه المصيبة . فيقول له هذه مكيدة للشيطان عندك
وتبليس وإيس الأمر كذلك . فإن صررك من تعصا ثلاث ، وهي حده ، ملك لولاك
أعظم من صررك بعبية عرك . فهو كالأشعث ليس . كان شعثا على عسك أكثر .
وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك . لا يملكه ولا يملكها ، فيهديها
إليه وهي عوراء قبيحة مقصوعة الأضراس . ولا يملكها . إذا كان الملك وحده ، وإذا كان معه
بعض غلمانة امتنع خوفا من مذمة غلمانة . وذلك محال . بل من يرأى جانب غلام الملك ،
ينسى أن يكون مرأى الملك أكثر . ثم المرأى فيه حالس . حداثها أن يطلب ذلك
المعولة والمحمدة عند الناس ، وذلك حرام قطعا . والثانية أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص
في تحسين الركوع والسجود . ولو سمعت كتاب ملاقى عند الله نافسة ، وآذاني الناس
بدمهم وعيبتهم ، فاستميد تحسين الهيئة دفع مذمتهم ، ولا أرحوا عليه ثوبا ، فهو خير من
أن أترك تحسين الصلاة ، فيعوت الثواب وتحصل المذمة . فهذا فيه أدنى خطر . والصحيح

أن الواجب عليه أن يحسن وعرض . فإن لم يحضره إليه . فيدعى أن يسير على عادته في الخاوة
مجلس له أن يدعو له كلما آتت به شئ . من ذمت استهزاء كما سبق .

الدرجة الثانية : أن يرى عمل مالا تتدنى في ركة . واسكن فعله في حكم السكينة
وامة أمده . كالطوبى في الركوع والسجود . ومد القية . ونحوها الهيئة . ورفع اليدين
والدرة في السكينة الأولى . وتحسين لأعداد . وإزادة في قرءه على السورة لمعة
وكذا كونه خيره في صوته رمض . وضوء الصمت . وكاحية . الأجل على الحيد في الركة
وعدة في الرمة العاية في السكينة . وكل ذلك مما لو خلا عنه كان لا يقدم عليه .

الثالثة : أن يرى ربه في حرجه عن مس البوق في ركة . كصوره الخامة قبل القوم
وقصده نصف لأول . ووجهه في . من الإلهام وما يخرج عن عراه . وكل ذلك مما يعلم الله
به أنه أو خلا عنه كان لا يرى . ومنه . ومنه . ونحوه .

رابعة : درجات الرمة . الأولى : يرى . ونحوه . شدة من مص . والسكل مذموم
ركن اثبات المرائي لأجله . فإن امرأى مقصودا لا لعله . وبها يرى لإدراك المال
أو حاه أو عرس من الأعراس لا لعله . وله ثبات درجات .

الأولى وهي أشده وأعظم . أن يكون مقصوده أن يمس . كالذي يرى
بمعداته . وظهر القوى ولورع كثرة البراءة ولا تمتنع عن أكل الشهوات . وعرضه
أن يعرف بأمره . مولى القصد . أو لأوقاف . أو أوصياء . أو مال الأيتام . فيأخذها .
أو يسلم به . معرفة ركة . والصدقات . من ثمرته قدر عليه . أو يودع أو يبيع فيأخذها
ويجدها . أو تسلم به . الأهل التي حق في طريق الخبيث . فيحتزل بعضها أو كلها .

أوتوصل بهم إلى استتبع الخبيث . ويتوصل بموتهم إلى مقصوده الفاسدة في المعاصي . وقد
يظهر مصهم في التصوف . وهيئة الخشوع . وكلام الحكمة . على سبيل الوعظ والتذكير
وإن قصده الحب إلى امرأته أو علام لأجل المحور . وقد يحضرون مجالس العز والتذكير
وحلق انقراء . يظهرون الرعة في سماع العز والقرآن . وعرضهم . لاحظطة النساء والصبيان
أو يخرج إلى الخبيث . ومقصوده الصبر عن الرفقة من امرأته أو علام . وهو لا يمتنع المرائين إلى الله
تعالى . لأهمهم جمعوا طمة ربههم سبعا . إلى معصيته . ونحوها آله ومتجرا . ونحوه طم في فسقهم

الرباء
بالكمالات
في العبادة .

الرباء
بالزيارات
في العبادة .

الرباء بالطاعة
للمعصية من
المعصية

ويقرب من هؤلاء وإن كان دونه من هو ، فتعرف حريجة اتهامها ، وهو مصر عليها
ويرد أن يبي التهمة عن نفسه ، فيظهر التقوى إلى التهمة ، كالذي حدد ودية ، واتهمه
الإنسان ، من صدق بالمال ، ليقال إنه صادق ، قال نفسه ، فكيف استحل من غيره ، وكذلك
من يذهب إلى فحور امرأة أو غلام ، مبدع التهمة من عصبه بالخشوع وإسهار القوى
الذاتية أن يكون عرضه بين خطيئته من حصود الدين ، من ما : أو كاح امرأة
حميلة أو شريفة كالذي يظهر الحرج والسكاء ، ويشعل بالوعظ والمكبر ، بل دل له الأهل وال
ويرغب في كاح النساء ، ويقصد إما امرأة يملكها ، أو امرأة شريفة على الجملة ،
وكان الذي يرغب في أن يتزوج من عالم عام ، فيظهر له العبد والمادة ليرغب في رويحه ، فتهدار به
محظور ، لأنه طلب مطاعه الله مع الحية ، ليداهن الكبدون الأول ، فإن ، ذلوت مبدع ما ح في نفسه
الثالثة : أن لا يقصد بل خط ، ويدرك مل أو كاح ، ولكن يظهر عاداته حوافر من
أن ينظر إليه حين القص ، ولا يمد من الحصة والرهاد ، ويعتقد أنه من جملة العامة ، كالذي
يشي مستعدلا ، فيقطع عليه الناس ، ويحسن المشي ويترك المجلة ، كيلا يتل به من أهل
الحول ولهو لأمس أهل اوقار ، وكذلك إن سب إلى الضحك ، أو بدامنه المراح ، فيحذف
أن ينظر إليه من الاحتقر ، ويبيع ذلك بالاسمعار وتوس الصعداء ، وإظهار الحزن ، ويقول
ما أعظم علة آدمي عن نفسه ، وأنه يعلم منه أنه لو كان في خبوة لما كان يشغل عليه ذلك
وإما يخاف أن ينظر إليه من الاحتقر لأمس التوقير ، وكان الذي يرى جماعة يصاون التراويح
أو يتحدون ، أو يصومون الخيس والإثنين ، أو تصعدون ، فيوافقهم حيفة أن يذهب
إلى السكس ، ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يعمل شيئ من ذلك ، وكان الذي يعطش
يوم عرفة أو عاشوراء ، أو في الأشهر الحرم ، فلا يشرب حوفا من أن يعلم الناس أنه غير
صائم ، فإذا ظلوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله ، أو ندعى إلى طعام فيمتنع بظن أنه
صائم ، وقد لا يصرح بأني صائم ، ولكن يقول لي عذر ، وهو جمع بين حبشين ، فإنه يرى
أنه صائم ، ثم يرى أنه مخلص لبس براء ، وأنه يحتز من أن يذكر عاداته للناس فيكونوا
مراثيا ، فيريد أن يقال إنه سائر لعبادته ، ثم إن اضطر إلى شرب ، لم يصبر عن أن يذكر نفسه
فيه عذرا ، تعريحا ، أو تعريضا ، بأن يتمل بمرض يقتضي فرط العطش ويجمع من الصوم

الرباء بالطاعة
سبل مذهب
من عظم
الدنيا

الرباء بالطاعة
رفعا لله

أو يقول أظفرت أطيب ألقب ثلاث ثم قد لا يدرك ذلك متصلاً بشيء . كي لا يرضى ،
 به أنه يتدبر رياءه . وإن كانه صام ، ثم يدرك عذره في مرض حكاية عرساً ، مثل أن يقول
 إن فلا . محب للإخوان ، شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من سائمة ، وقد ألح على اليوم
 ولم أجديداً من تطيب قلبه . ومثل أن قول إن أمي ضعيفة القلب ، مشفقة على ، تظن أنني
 لو صمت وما صرحت . فلا تدعى أصوم . فهذا وما يحرق عذره من آتت الرياء . فلا
 يسبق إلى الإنسان ، لا رسوخ ، عرق الرياء ، في الحظ . مما يخص ، وإياه لا بد لي كيف صر
 الحاق إلى . فإن لم يكن له رعة في الصوم ، وقد علم الله ذلك منه ، ولا يريد أن يعتقده غيره
 ما يخالف علم الله ، فيكون ملبساً . وإن كان له رعة في الصوم لله ، فنعلم بعلم الله تعالى ، ولم
 يشرك فيه غيره . وقد يحظر له أن في إظهاره اقتداء غيره به ، وتحريك رغبة الناس فيه .
 وفيه مكيدة وغرور ، وسيأتي شرح ذلك وشروطه

فهذه درجات الرياء ، ودرجات تصرف المرائين ، وجميعهم تحت مقت الله وعضه ، وهو
 من أشد المهادكات . وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب التمل . كما ورد به
 الخبر ، يرل فيه حول الله ، فصلا عن الله ، الحيلولة فأت الموتوس وغواش القلوب ، والله أعلم

بيان

الرياء الخفي الذي هو أخفى من ديب التمل

اعلم أن الرياء جلي وخفي وحلي هو الذي يثبت على العمل ، ويحمل عليه ، ولو قصد
 الثواب . وهو أحلام . وأخفى منه قليلاً هو ما لا يحمل على العمل تجرده ، إلا أنه يخفف
 العمل الذي يريد به وجه الله . كالذي يعتد التهجيد كل ليلة ، ويثقل عليه ، فإذا نزل عنده
 ضيف تشط له ، وخف عليه ، وعم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان .
 وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل . ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ، وإن كانه مع ذلك
 مستبطن في القلب . ومما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل . لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات
 وأجلى علاماته أن يعرف بالأماع الناس على طاعته . فرب عبد يخص في عمله ، ولا يعتقده

الرباء من يكرهه ويرده ، ويتمم العمل كذا . و لكن اذا طمع عليه ان يسره ذلك .
 وارتاح له ، وروح ذلك عن قلبه شدة العدة . وهذا السرور يدل على ربه حتى . ومنه يرشح
 السرور . ولولا البصيرة القوية في الله . لما ظهر سروره عند اطلاع الله . وقد كان
 الربه مستقرا في القلب . الساكن في الخلق . فظهر عنه اطلاع الحق اثر الفرح
 والسرور . ثم اذا استشعر له السرور بالاطلاع . ومات في ذلك كراهية . فبسه ذلك
 قونا وعداء للمعرق الحق من الربه . حتى جرت على نفسه حركة خفية ،
 فيتقاضي تقاضيه . حتى انك يتكلم به بضع عنه ، بتعريض ولفظ الكلام عرف
 وان كان لا يدعو الى التصريح . وقد سمي هذا بدعوى في لظهور بانطق تعريضه وتصريحه
 ولكن باشياء ، كالمطعم . الخوف . والسهو . وخصص الصوت . ومن الشبهتين ، وحذف
 الرقي ، وآثر لهووع . وعلة الله من ادل على قول المحدث . وحتى من ذلك ان
 ان يخفى بحيث لا يريد الاطلاع . ولا يسر ظهوره . وانك معه ذلك بدرى الله
 أحب ان يبدوه بالسلام . وان يدعوا الله سنة واليوم . وان شوا عليه . وان يمشطوا
 في قضاء حوائجه . وان يسبحوه في السبع والشرع . وان يسموا له في المكان . فان قصر
 فيه مقصر . قل ذلك على ربه . ووجد لذلك استه داف عنه ، كأنه يثبته الاحترام مع
 الطاعة التي أحفظها . مع أنه لم يضع عليه . ولولا يكن قد سبق منه تلك الطاعة . كان
 يستبعد تقصير الله في حقه . ومنه لم يكن وجود الله كمدته . في كل ما يتوافق بالحق
 لم يكن قد فزع علم الله . ولم يكن حاليه عن شوب حتى من الربه . ' ' أحق من ديب
 اعمل . وكل ذلك يوشك ان يحصه لأخر . ولا سله منه . لا التصديق

وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال . إن الله عز وجل يقول للقرآن يوم القيمة
 ألم يكن يرخص عليكم أسعروا لم تكونوا تدعون بالسلامة . لم تكونوا تقضون لكم الحوائج ؟
 وفي الحديث لا تحركواكم قد استوفيتكم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب ان مسه

(١) حدث في زياد بن جابر عن ربه . قال محمد بن الحسن . من حديث حماد بن عيسى عن حماد بن عيسى

عن حماد بن عيسى عن حماد بن عيسى عن حماد بن عيسى عن حماد بن عيسى عن حماد بن عيسى

وصفه هو وبارك في

أنه قال : إن رحلا من السواح قال لأخيه : إني قد فرقت الأموال ولأولاد غفوة الطمیان وقد فرت كور قد دخل عبيد في مناهل هدام من الضعفاء أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحد يد في حبس يطمم لكاديه . وإن اشترى شيئا أحب أن يحرص عليه لمكان ديه . فمع ذلك مدركهم . فركب في مركب من الناس ، فيذا السهول والحدود الأولى ، أس فتد السواح ما بعد ، ويل هذا الملك قد طلاك . فقال للعلام الذي طام فاه بعت . ورت ، وفلوب الشجر فحمل يحشوشدقه وياكل أكلا عيما فقال الملك أين صحك ، فقلو هذا قل كيف أت ، قال كاماس . وفي حديث آخر يخبر فتد الملك ما بعد هدام من حبر وصرق عنه فتد السواح الحمد لله الذي صرفك عن وقت في دام . فديرل نخسبون حامين من الرياء الخي ، يجتهدون لذلك في مودة أس عن أمهم الله لحة ، محزون على ، عظم مما يحرص الناس على ، فواشهم كل ذلك رجاء نخسبهم الله لحة ، فبه ربه الله في القيامة بخلاصهم على . إلا من الحق ، يدعوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا لخاص ، وعلموا شدة حاجتهم وفاتهم في القيامة ، وأنه يوم لا مع فيه من ولا مؤن ، ولا يعزى والد عن ولده وشغل السديقون أنفسهم . فيقول كل واحد مني ، ففلا عن عيرم فكاوا كروا بيت الله يد توحوا إلى مكة ، فبههم مستحقون مع قسم الذهب المرفى الخاص لهم . إن رب الوادي لأبروح عدهم رائف والمخرج . والحاجة تشد في إليه ، ولا مثل يهرع إليه . ولا حميم تمسك به ، فلا يعزى إلا لخاص من القدر فكدا يشهد أرباب المهوب يوم القيامة ، والزاد الذي يتزودونه له من التقوى

فإن قلت : عما يرى أحدنا يهلك عن السرور بد عرفت طاعته ، فالسرور مذموم كله ؟
أو بعضه محمود وبعضه مذموم ، فنقول أولاً : كل سرور فليس مذموم بل السرور ينقسم
إلى محمود ، وإلى مذموم ، فأما المحمود : فإنه طاعة لله .

الأول : أن يكون قصده إخفاء الصفة وإحلالها في شئ ، ولو كرهاً ، اضطلع عليه الحق ، علم أن الله
أطلعهم . وأصح الجليل من أحواله يستدل به على حسن صنع الله به ، وحسن عظمته ، وإظهاره
يدبر الطاعة والمصيبة ثم الله يسر عايه المصيبة وظهر الطاعة ولا لطف أعصم من ستر القبيح
وإظهار الجليل فيكون فرجه بجليل نظر الله له . لا يحمد الناس وقيم المنزل في قلوبهم ، وقد قال تعالى
(فَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينَةٍ) فذلك قوله (فَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينَةٍ) فذلك قوله (فَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينَةٍ)
الثاني : أن يستدل بإحسان الله الجليل ، وسنذكر القبيح عليه في الدين . أنه كذاك يفعل
في الآخرة . إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ستر الله على عبده ديناً ، في الدنيا
ولا ستره عليه في الآخرة ، فبكون الأول فرحاً بقبول في الحس . من غير ملاحظة
المستقبل . وهذا التمتع إلى المستقبل

الثالث : أن يظن رغبة المصالح على الاقتداء به في الصفة . فيبذل ذلك أحرم ،
فيكون له أحر العلية ، وأما آخرها : وأحر السرور ، فقصده أولاً . ومن امتدى به في طاعة
له . من أجزأ أعمال المقتدين به ، من غير أن ينقص من أحوالهم شيء ، وتوقع ذلك جدير
بأن يكون سبب السرور ، فإن فلهود مخايل الرشح لذيق ، وموجب للسرور لا محالة .

الرابع : أن يحمده المصالح على طاعته . فيمرح بطاعتهم لله في مدحهم ، وبحبهم له طبع
وعين فلههم إلى الطاعة . إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيعتنه ويحسده ، أو يذمه
ويهرأه ، أو يسبه إلى الزبلاء ولا يحمده عليه . فهذا فرح بحسن بيان عباد الله . وعلازمة
الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره . مثل فرحه بحمدهم إياه
وأما المذموم وهو الخاس : فهو أن يكون فرحه ببقاء منزله في قلوب الناس ،

(١) - من ستر الله على عبده في الدنيا لا ستر له في الآخرة . من حدث أنه

حتى يدحوه ويضوه، وقوموا بقضاء حوائجه . ويقالوه بالإكرام في مصادره
وهو وارده . فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

بيان

ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

وارد الرياء
بعض الفرائض
من العمل

فبقول فيه . إذا عقد العمد العبادة على الإخلاص . ثم ورد عليه وارد الرياء ، فلا يحبط
إما أن يرد عليه مدح رغبته من العمل ، أو قبل الفراغ . فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد
بالظهور من غير إصرار ، فهذا لا يفسد العمل . إذاً العمل قد تم على امت الإخلاص . سالماً
عن الرياء ، فإبطراً بمدحه فنرجو أن لا ينطفئ عليه أثره ، لاسيما إذا لم يتكافأ هو بإظهاره
والتحدث به ، ولم يمتن بظهوره وذكره ، وانكسرت مق طهوره بإظهار الله ، ولم يكن منه
إلا ما دخل من السرور والارتياح على عمله . لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد
رياء ، ولكن ظهرت له مدح رغبته في الإظهار . فتحدث به وأظهره . فهذا يخوف
وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول قرأت
أربعة البقرة ، فقال ذلك حظه من . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أنه
قال لرجل قال له صمت لدهر يا رسول الله فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له فمضم
إذا قال ذلك لأنه أصره . ومن هو إشارة إلى كراهة الصوم الدهر . وكيف كان فيحصل
أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ابن مسعود ، استدلالاً على أن
قلبه عند العبادة لم ينح عن عقد الرياء وقصد له ، لما أن ظهر منه التحدث به . إذاً يمد أن
يكون ما يبطرأ بعد العمل . بخلاف ثواب العمل . بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي
مضى ، ومما يقب على صرا آتته بطاعة الله بعد الفراغ منها . بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء

(١) حديث قال رجل قال صمت لدهر يا رسول الله فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت .
حديث قال رجل قال صمت لدهر يا رسول الله فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت .
حديث قال رجل قال صمت لدهر يا رسول الله فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت ، فقال له ، صمت ولا أفطرت .

مع هذا الشوب والعل عند الله فيه وقد ذكر في كتب الإخلاص كلاماً أوفى مما أوردناه
الآن ، يرجع إليه . وهذا حكم الرباء الطارىء ، مد عقد الله له . بما قبل الفراغ أو بعد الفراغ
القسم الثالث . لدى بقرن حال العقد ، بأن يمدى الصلاة على قصد الرباء من استمر
عليه حتى سلم ، فلا خلاف في أنه يقضى ، ولا يعتد بصلاته . وإن ندم عليه في أثناء ذلك ،
واستغفر ورجع قبل الأداء ، فصلى مرة رتبة واحدة . قالت مرة لم تعتد صلاته مع قصد
الرباء مستأنف . وقالت مرة لمزمه بإعادة الألف كركوع والسجود ، وفقد أهله
دون تحريرة الصلاة . لأن الحرمة نقد . والرباء حطر في هذه لا يخرج الحرمة عن كونه
عقداً . وقالت مرة لا يلزمه إعادة شيء . بل يسهل الله نفسه . ويتم الله له على الإخلاص
والنظر إلى حمة العادة ، كالمواظبة بالإخلاص وحتم بالرباء . كان يفسد عمله وشمله
ذلك ثوب أيضاً . بعدة عريضة ، هذا دليل على رض الله على الأصل فلو لم يزل الصلاة
والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد أمير الله . كان كافراً . واسكن اقربن به
عارض الرباء . ثم إن بالدم والنوة . وصار إلى حاله لا إلى نعمه الله من ذمهم ، فتصح صلاته
وهذه المرقبين الآخرين خارج عن قياس الفقه جداً ، خصوصاً من قال يرميه إعادة
الركوع والسجود ، دون الافتتاح ، لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالاً زائدة
في الصلاة ، يفسد الصلاة . وكذلك قول من يقول لو حتم بالإخلاص صح نظر إلى الآخر
فهو أيضاً ضعيف ، لأن الرباء يفتح في أية ، وأولى الأوقات راءة أحكام البينة حاشية الافتتاح
فالذى يستقيم على قياس الفقه هو أن يعتد . إن كان يمتنع مجرد الرباء في ابتداء العقد
دون صبب الثواب وامتنال الأمر . لم يعتد افتتاحه ، ولم يصح ما بعده . وذلك ومن إذا
خلا بنفسه لم يصل . ولما رأى الناس تحريم ما يصلاه . وكان بحيث لو كان ثوبه نجساً أيضاً كان يصل
لأجل الناس . وهذه صلاة لاية فيها ، بدلية عبارة عن إجابة بعث الدين ، وهو لا باعث ولا إجابة
فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضاً لكان يصل . لأنه طهر له الرغبة في الخدمة أيضاً
فاجتمع الباعثان ، فهذا إما أن يكون في صدقة وفراة وما ليس فيه تحليل وتحريم ، أوفى
مقدمه لا راجح . فإن كان في صدقة ، فقد عصى إجابة الرباء ، وأطاع إجابة باعث الثواب

(مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَمْشِ بِشَرٍّ يَجِدْهُ) (١)

بقدر قصده لصالح . وعقب قدر قصده لفساد . ولا يحط أحدهما لآخر

وإن كان في صلاة قبل العشاء طريق حسن في النية . فلا يعبأ إن لم يكن قاصدا
أو نفلا . فإن كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة . ولا تعصى من وجه ، وأطاع من وجه
إذا اجتمع في قلبه الباعثان . ولا يمكن أن يقل صلاته فاسدة ، والافتداء به باطل . حتى أن
من صلى التراويح ، وتبين من رآه أن قصده الرياء ، بإظهار حسن القراءة ، ولولا
اجتماع الناس معه ، وحذفي من وجهه ما في الأصل لا بد منه . فإن قصده في هذا
بعيد جدا . بل يظن بالمرء أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه ، فتصح باعده ذلك القصد
صلا . وصح الأول . وإن كان من قصد آخر وهو

فما إذا كان في فرض أو نفل . وكان كل واحد لا يقبل . وإنما يحصل
الامتثال بموئيد لا بد . وأما ما في ذلك من أن لا يفتي في حقه
بجرده واستقلاله . وإن كان كل باعث من باعثي الرياء لأدى إلى انقراض
ولولم يكن باعث الفرض لأشأ صلاة تطوعا لأن الرياء ، فهذا محل النظر ، وهو محتمل جدا
فيحتمل أن يقبل أو يجب صلا . وهو متروك يوم يؤد أو يجب حاص . ويحتمل أن
يقال الواجب امتثال الأمر بباعث مستقل عنه وقد وجد ، فإقران غيره به لا يمنع سقوط الفرض
عنه كما لو صلى في دياره . وإن كان عاصيا في صلاة في الدار المقصوبة ، فإنه مطيع
أصل الصلاة ومستطاع فرض عن نفسه . وفي الاحتمال في دار من الموعظ في أصل الصلاة
فما إذا كان الرياء في الدرة مثلا دون أصل الصلاة ، مثل من راد إلى الصلاة في أول
الوقت لحضور جمعة . ولو حلا لأخرى وسط الوقت ، ولو لا الفرض لكان لا يتبدى
صلاة لأجل الرياء . فهذا لا يقض صلا . وسقوط الفرض به . لأن باعث أصل
الصلاة من حيث إن الصلاة رضة غيره . من حيث تعيين الوقت . فهذا أبعد عن القدر في النية
هذه في رياء يكون باعث على العمل ، وحال لا بد . وما مجرد الضرورة ضائع الناس

عليه ، إذالم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل ، فبعد أن يفسد الصلاة بهذا ماراه لا تقا . تقاؤون الفقه والمساله عامه من حيث إن الفقهاء يتعرضوا لها في من الفقه والذين حاسوا فيها ونصروها لم يلاحظوا قوايين الفقه ، ومقنصى فتوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها ، من جهة الحرص على تسمية القلوب وضبط الإخلاص على إفساد العبادات ، بأن الخوض وما ذكر انه هو الألفيد فيها ، والعلم عند الله عز وجل فيه ، وهو عالم الغيب والشهادة ، وهو الرحمن الرحيم

بيان

دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

قد عرفت مما سبق أن الرياء محظ لأعمال . وسبب لماقت عند الله تعالى ، وأنه من كبرائر المذمات وما هذا وصفه فحذر بالشمع عن ساق الخد في إرضه ، وأو بالمحودة وتحمل المشاق ، فلا شه ، إلا في شرب الأدوية المرة الشمة وهذه محودة يسطر بها العباد كاهم . إذ الصبي يخلق ضيف العقل والتميز ممتد العين إلى الخلق ، كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض ، فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ، ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر كونه مأكلا عند مجال عقله . وقد اعرس الرياء في قلبه وترسخ فيه ، فلا يقدر على قومه إلا ما عاده شديدة ، وما كانه انوره الشهوات فلا يفت أحد عن الحاجة إلى هذه المحودة ولا كتب نشق أولا وتحف آخر . وفي علاجه منه أن أحدهم مع عروقه وأصوله التي منها شمه ، والذي دفعه من يحظر منه في الخ

استعمال الرياء

المقام الأول في فتح عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المارة والحله . وهذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي لفة المحدة ، والقرار من ألم التهم . والطمع فيما في أيدي الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب . وأما الدائمة للمرائي ما روى أبو موسى أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يتل حمية . ومعه أنه يأب أن يقهر ، أو يدب بأنه مقهور مطلوب . وقف والرجل يقابل ليرى مكانه . وهذا هو طاب لفة الجاه

والقدر في القلوب والرحل يمتن للذكر وهذا هو الحمد باللسان. وقال صلى الله عليه وسلم
 « من فأن لسكون كلمة الله هي الدنيا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود. إذا التقى
 الصفار ربنا الملائكة. مكسبوا الدس على مرأهم فلان يقال للذكر وفلان قاتل للملك
 والقتل للملك إشارة إلى الطمع في لذي. وقال عمر رضى الله عنه يقولون فلان شهيد،
 وأمله يكون قد ملا ذمتي راحته ورقا. وقال صلى الله عليه وسلم « من عرا
 لا ينمى إلا عقلا منه » وى « هذا إشارة إلى الطمع. وقد لا يشتهى الحمد
 ولا يسمع فيه. والكر يحذر من ألم الله. كالجبن من الأسخياء وهم يتصدقون بالمال
 الكثير، في يتصدق باقبيس كي لا يبحس وهو ليس بطمع في الحمد وقد سبقه غيره.
 وكالحزن بين الشجاء، لا يهر من الرحب خوفا من الدم. وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم
 غيره على صف القتال والكر إذا ليس من الحمد كره الدم وكالرجل من قوم يصلون
 جمع الليل. ويسلى ركعت مدودة حتى لا يدم بالسكن. وهو لا يطمع في الحمد. وقد
 يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد. ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد
 يترك السؤال عن علم هو محج إليه. حيفة من أن يدم بالجهل. ويهتئ بغير علم. ويدعى
 العلم بالحديث وهو به جاهل. كل ذلك حذرا من الذم

هذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرئى إلى الرياء. وعلاجه ما ذكرناه في الشطر
 الأول من الكذب على الحجة. وذكر الآن ما يخص الرياء. وليس يخفى أن الإنسان
 إما يقصد الشيء ويرغب فيه لصلته به حريته. ومع ولدي. بما في الحال. وإما في المال. فإن علم
 أنه لذي في الحال. واسكنه. ارفى المال. سهل عليه بطع الرعة عنه. كمن يعلم أن المسك للذيد،
 ولكن دانا له فيه سم. أعرض عنه. فكذلك طريق بطع هذه لرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة
 وهما عرف العبد مضرة الرياء. وما عوته من صلاح قلبه. وما يحرم عنه في الحال من
 التوفيق. وفي الآخرة من المنزلة عند الله. وما يتعرض له من العقاب العظيم. والمقت
 الشديد. والحري الظاهر. حيث يردى على رؤوس الخلائق يا فاجر. يا عادر. يا مرأى.
 أما استحييت إذ اشتريت لطاعة الله عرض الدنيا. وراقبت قلوب العباد. واستمزأت بطاعة الله

ولو أحسن الله لكشف الله لهم إخلاصه، وحيه إليهم، وسخرهم له، وأطاع أسفهم بدمع
والثناء عليه. مع أنه لا يكمل في مدحه ولا في دمه. كما قال شاعر من قديم
إلى مدحى ربي. وورد في شمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كذب دشت الله
الذي لا يلهي، لا هو، لا دار، لا في مدحه، لا شين إلا في دمه. فأي خير لك في مدح الله وأنت
عبد الله مذموم ومن ههنا الذي لا يثرك من دمه ليس بربك عبد الله محمود في ربه الملقى
من حصر في قلبه لا حرة وأمية، لا مؤد، لا ربيعة عبد الله استحقه يتعلق بالخلق
أنه الحية. مع ما يهيم من الكدورات والصفات. واحتجهم معه. وأحرف إلى الله فبه. وتخلص من
مدله الرياء، وهمة من أبواب الحق. ومطعم من إخلاصه. نوار عن وجهه يشرحها بدمعه.
ويصبح له من تحت المكاشفات. يريد به أنه بالله، ووحشته من الخلق، واستحقاقه للديار
واستحقاقه لا حرة وسقط الخلق من دمه. وأحسن عبد الله الرياء، وتدل به معجبه لإخلاص
فهذا وما قدمناه في الشطر الأول، هي الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء

وأما الدواء العملي، فهو أن يعود معه إخلاء الصدقات. وإعلاق لأواب دونها، كما
تعلق الأبواب دون الفواحش، حتى تقع منه من شئ. وتندفع على عدايه، ولا تنازع
الله إلى طلب غير الله. وقد روى أن بعض أصحاب أبي حمزة أحماد ذم الدنيا
وأعمالها، فقال أظهرت ما كان سبيلك أن تحفيه، لا تلهي مدحه فيه برخص في إظهار
هذا القدر، لأن في سمن دمه في دعوى الرشد منه. ولا دواء للرياء، مثل الإجماع، وذلك
يشق في حبه موهدة. وقد صرح عليه مدحه بالكلية سقط عنه ثمة، وهو عليه ذلك
تواضع أعف الله، وما يهيم من حسن التوفيق والتأييد والتأييد. ولكن الله
لا يبرر ما تقوم حتى يبرر ما تمسكهم من أمد موهدة، ومن الله له بداية ومن العبد
فرع الله، ومن الله معجبة. وإنما لا يصح آخر المحمدية، وبه أنت حسبه
يضاعفها، ويؤثر من لدنه أجرا عظيما

(١) حديث قال شاعر من قديم إن مدحى ربي لا يكمل في مدحه ولا في دمه. كما قال شاعر من قديم
إلى حاس وهو قائم، لك دون قوله كذب ورجاله ثقات إلا أنى لا أعرف لاني سامة بن
مدح ربي، مع ما لا يفرح وروى عنه من حديث أبي حمزة. وورد في شمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتدفع ورد لمرءة مثل مرارة القضب ، وإليه أشار جابر بقوله . (١) ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تمر ، وروى غيره عن أبي بصير عن جابر حتى نودي بأشحب الشجرة ، فوجدوا . وذلك لأن الموت أمةأت بالخوف . فحدث العهد السابق . حتى ذكروا . وكثيرا ما يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في مكة المكرمة وقد يتذكر الإنسان . فيذكر الحاضر الذي غفله هو حذر الرياء الذي يمرضه السخط الله ، وإن كان يستمر عليه لشدة شهوة . فيسب هو الله ، ولا تقدر على ترك لذة الحزن فيسوف بهوثة . أو يثقل عن التفكير في ذلك شدة الشهوة ، فيكم من علم يحصر بكلام لا يدعوه إلى عمله إلا بالحق . وهو يعلم ذلك . لكنه يسر عليه ، فيكون لذة ما به يؤكد ، إذ قبل داعي الرياء مع علمه . فثبته ، وكونه مذهباً عند الله . ولأنفهم معرفته ، إذ أحب المعرفة عن الكراهة . وقد حصر المعرفة والكراهة ، وإن كان مع ذلك يتقبل داعي الرياء ويعمل به ، لأنكون الكراهة سببه . لا إغارة إلى قوة الشهوة . وهذا أيضا لا يمنع كراهته ، إذ المرص من الكراهة أن يصرف عن الفعل

هذا لفائدة الإلزام في جميع المقالات . وهي معرفة ، والكراهة والآباء . والآخرة . الكراهة ، والكراهة ثمره معرفة . ومعرفة معرفة بحسب موه لا بد من العلم ، ومعرفة المعرفة بحسب العلة ، وحب الدين . وبين الآخرة ، ومعرفة التفكير في عند الله ، ولاة الأعمال في آت لذة الدين وعصمهم من الآخرة . ومضى ذلك بانحسار العلم . وأصل ذلك كلام حب الدنيا وعبية الشهوات ، فهو أنس كل حضية . ومع كل ديب ، لأن حلاوة حب الجاه والنزلة ومعهم الدنيا . هي التي تعصب القلب وتسه . وتحول يده وبين التفكير في العفة ، والاستقامة . نور الكذب والسنة . وتوارى العلوم . في قلب . فمن صدق من عساه كراهة الرياء ، وجهته الكراهة على الآباء ، ولكنه مع ذلك عرجان عن ميل الظمع إليه ، وجهته . ومساغته به . لأن الكراهة لحيه وبه . وغير محب إليه . يكون في رصده المرائية ؟

(١) حدث جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة على أن لا تمر . حديث . مسلم لم يحصروا

دون ذكر يوم حين فروا مسلم من حديث أبي بن

والمختصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب .

الأولى : أن يردده على الشيطان فيكذبه ، ولا يقتصر عليه ، بل يشغل عبادته ، ويبتلي الجدل معه ، لظنه أن ذلك أسلم إليه . وهو على التحقيق قصار ، لأنه اشغل عن مساحة الله ، وعن الخير الذي هو صده ، وأصرف إلى قتل قطع الصرق . والتعريح على قتل قطاع الطريق تقتصاف في السلوك

الثانية . أن يعرف أن الجدال والقتل تقتصاف في السلوك ، فيقتصر على تكذيبه ودفعه ، ولا يشغل عبادته

الثالثة . أن لا يشغل تكذيبه . لأن ذلك مهمة وإن لم يكن قد قرر في عقد صميمه كراهة الرضا ، وكذب الشيطان ، فـ مر على ما كان عليه مسجدا لا كراهة غير مشغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة

الرابعة . أن يكون مدغم أن الشيطان سيحسده عند حرب شهاب الرياء ، فيكون قد عزم على أنه يهزم روع الشيطان رادع هو فيه من الإخلاص . والاشتغال بالله ، وإحصاء المصدة والمعدة . عيط للشيطان وذلك هو الذي يسلط الشيطان ويقعده ، ويوجب يأسره وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن عروان أنه قيل له إن فلانا يذكرك . فقال والله لأعطين من أمره قيل ومن أمره . قال الشيطان . اللهم اغفر له . أي لأعطينه بأن أطيع الله فيه . ووهما عرف الشيطان من عند هذه المدة . كيف عم حيلة من أن يريد في حسنة . وقال إبراهيم التيمي . الشيطان ليدعوا بعد إلى الداء من كتمان ، فلا يطعمه ، وليحدث عند ذلك حياء . فإذا رآه كذلك تركه . وقال قتادة . يدرك الشيطان ، وتردد جامع بينك وإدارته مدارما . ذلك وملاك . وضرب الحارث المحسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثلا أحسن فيه فقال : مثلهم كالأربعة قصصوا مجلس من العلم والحديث ، ليتلوا له فائدة وفضلا وهدية ودرشدا . فشد على ذلك . لم يستمع ، وحاف أن يعرفوا الحق . فقدم إلى واحد فسمعه وصرفه عن ذلك . ودعاه إلى مجلس صلاه . فلي عرف بإداه شعله بالجدلة . فاشتغل معه ليرد صلاته ، وهو يظن أن ذلك مصلحة له . وهو غرض من الغش لا يموت عليه بقدر

تأخره فصار الثاني عبه بهاء والله يومه عوقب، فدفق في نحر الفضال، ولم يش من ناقه ل
وامتعل، ففرح منه الفضال بقدر توفقه لدمع فيه ومصره الثالث، فلم يبق، ولم
يشغل بدفعه ولا يقتاله. بل استمر على ما كان، فحباب منه رجوه بالكلية في الرابع،
فلم يتوقف له. وأراد أن يظهره في عبه وترك الثاني في أمشي فيوشثين سادوا وصروا
عليه مرة أخرى أن يماود الجميع إلا عذراً لأخبره به لانه ووده حبة من أن يردده ثمة باستمعه
في وقت، وقد كان الشيطان لا يؤمن برعاه، وقد يجب أن يصد له من حضوره لأخبره به
باعتبار الوروده، أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعمادة والعمقة عنه
لما اختلف الناس به على ثلاثة أوجه فذهب فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء
قد استمروا عن الحذر من الشيطان لأنهم قطعوا إلى الله، واشتغلوا بعمه، وعملهم الشيطان
وأيسر منهم، وحسن عنهم. كما أس من صمغاء، ثم دفي الدعوة إلى خروار، فمضت
ملاد الدنيا عندهم. وإن كانت مباحة. كالحذر والحريز، وتخلوا من حسم بالحكمة، فدفق
للاشيطان إليهم سبيل، فلا حاجة بهم إلى الحذر. وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن
الترصد لأخبر منه، ما نحتاج إليه من هل يقبه. وقصص توكاه. ثم يقن بأن لا شريك لله
في تدبيره فلا يحذر عره. ونعم أن الشيطان قد يخلو بس له أمر، ولا يكون إلا ما أراد
الله، فهو الضار والدافع، والعارف يستحي منه أن يحذر عره لا يقين بأوحدانية عبه من الحذر
وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من
أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر. وحلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية، فهو وسيلة الشيطان
يكاد يكون غرورا إذا لم يعلم السلام لم يتحصوا من وسواس الشيطان ورعه
فكيف يتخلص ويرى. وأيسر كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا، بل في
صحت الله تعالى وأسمائه، وفي تحسن الدعاء والصلوات وغير ذلك ولا يجوز أحد من الخطر
فيه. ولذلك قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا بأمر مني في الشئص
في أميته ميسخ الله ما بقي الشئص ثم يحكمه الله آية) (يؤول أبي صلى الله عليه وسلم

(١) « إِنَّهُ أَيْعَنُ عَلَى مُنِي » (٢) مع أن شيطانه قد أسر ولا يأمره إلا بحر . فمن طن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور . ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان . ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور . « إِنْ هَذَا عَذْرَاؤُكَ وَزَوْجُكَ وَلَا يُحَرِّسُكَمَا مِنْ الْجَنَّةِ وَشَقَى » إِنْ تَكُنْ أَنْ لَا تُخَوِّعَ هُمَا وَلَا تُغْرِيَهُمَا . وَتَكُنْ لَا تُظَاهِرُ فِيهِ وَلَا تُنْجِي (٣) ومع أنه لم يره إلا عن شجرة واحدة . وأنشأ له وراء ذلك ما أراد . فإدالم يأمن بي من الأبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان ، فكيف يجوز لعمره أن يأمن في دار الدنيا . وهي منبع المحن والهمم . ومعدن المآلذ والشبهات المنهى عنها ! وقال موسى عليه السلام . « مَنِ اخْبَرَ نَفْسَهُ لِي (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) » (٤) ولذلك حذر الله منه جميع الخلق . فقل له إلى (٥) لا تَسْكُنُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ (٦) وقال عز وجل (٧) إِنَّكُمْ رَأَيْتُمُوهُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُ (٨) والقرءان من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن به ؟ وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له يمثل أمره . وقد أمر بالحذر من العدو ، كما أمر بالحذر من الكبر . فقال تعالى (٩) وَأَعِدُوا حُدُودَكُمْ وَاسْمِعُوا صَوْتَكُمْ (١٠) وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَعْتَقْتُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَمِنْ رِجَالِ الْجِدَارِ (١١) وهذا المزمع بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه في سيرته الحذر من عدو رارك ولا تراه أوفى . ولذلك قال عمر بن الخطاب : صيد تراه ولا يراك يوشك أن تصير به . وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يضر بك . فأشار إلى الشيطان فكيف وأيسر في العقبة عن عدوه الكافر إلا قتل هو شهادة . وفي إيهام الحذر من الشيطان التعرض للهزيمة وإعقاب الأثم . وأيسر من الاشتغال بالله إذ يعرض عما حذر الله . وهو يهمل مذهب المروءة الدينية في صميمه أن ذلك ودح في الوكل . فإن أحد الدرس والسلاح ، وجمع الحدود . وحذر الخدق ، لم يتقدح في وكل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكيف يتقدح

(١) حاشية ١٠٩ على ١٠٨

(٢) حاشية ١٠٩ على ١٠٨ : تقدم أيضا

(٣) طه : ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ (٤) القصص : ١٥٠ (٥) الأعراف : ٢٧ (٦) النساء : ١٠٣ (٧) الأعراف : ٢٧ (٨) طه : ١١٧

في التوكل المخوف من خوف الله ، واحذر من أمر الحذر منه . وقد ذكر في كتاب
التوكل ما ليس عند من رآه أن معنى التوكل الخروج عن الأسباب بالكتابة وقوله تعالى
(وَعُدُّوا نِعْمَتَكُمْ مِنْ فَوْقِ رَبِّكُمْ ط) لا يافص امتثال التوكل ، مهما
اعتقد القلب من الضر والدمع ، والخبي ، والمبيت هو الله تعالى . فكذلك يحذر الشيطان
ويعتقد أن المدي والمحل هو الله . ويرى الأسباب ونظام مسخرة كما ذكره في التوكل
وهذا ما حذرته الحارث المحسني رحمه الله . وهو الصحيح لدى شهادته ورأيه . وما يشبهه
أن يكون من كلام الله الذي لم يمرر عنهم ، ويظنون أن ما بهجاء غيره من الأول
في بعض الأوقات من الاستمرار في التوكل على الله ، وهو امید

ثم اختلفت هذه المبره على منة أوجه في كيفية الحذر . فمثل قوم إذا حذر الله تعالى
البدوة . فلا يسمي أن يكون شيء غيب على الله من ذكره ، والحذر منه . والله سبحانه وإنا
إن عندنا حطة . وبوشك أن يهلك . وقال قوم : إن ذلك يؤدي إلى خلل القلب
عن ذكر الله ، واشتغال القلب بالهوى . وذلك مراد الشيطان . ما من شغل بالعبادة
وبذكر الله تعالى ، ولا يسمي الشيطان وعدوه ، والحاجة إلى الحذر منه . فنجمع بين الأمرين
فيما لا يسيء مرة عرض من حيث لا حدس . به عرد لذكره . وقد ذكر الله فالجمع أولى
وقال العلماء المحققون : على المبره . أما لأن من عرد لذكر الشيطان . يسمي ذكر
الله . ولا يخفى عاصه . وإما أمر بالحذر من الشيطان كيلا يفسد . عن لذكره . فكيف نجعل
ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا ، وهو . انتهى ضرر البدوة ثم يؤدي ذلك إلى خلل القلب
عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان . من هذا القلب ، وأيس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة
الاشتغال به ، فيوشك أن يظهر به . ولا يقوى على دفعه . من أمر ما يتعذر الشيطان . ولا يمداد ذكره .
وأما الفرقة الثانية . فقد شاركت الأولى . إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان
وقدر ما تشغل القلب . ذكر الشيطان . من ذكر الله . وقد أمر الله الخلق بذكره
وسر ما ساءه . وأيس وعينه . فلو أن ما ساءه الله الحذر من الشيطان . ويقدر
على عاصه عداوه . وإذا اعتقد ذلك وسدق به ، وسكن الحذر فيه فيشغل من ذكر الله ، ويكسب

عليه بكل الهمة ، ولا يخطر بباله أمر الشيطان . فإنه إذا اشتعل بذلك بعد معرفة عداوته ، ثم خطر الشيطان له تنبيه له : وعند التنبيه يشتغل بدفعه . والاشغال يذكر الله لا يمنع من التيقظ عند ترغية الشيطان . بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح ، فيلزم نفسه الحذر ، وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت ، فيتنبه في الليل مرات قبل أوائه ، ثم أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم عاين عنه فاشتته له بذكر الله كيف يبع نفسه ، ومثل هذا القلب هو الذي تقوى على دفع العدو . إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات به الهوى ، وحيه به نور العقل والعلم ، وأماط عنه طامة الشهوات

وأهل البصيرة شملوا دوسهم عداوة الشيطان ونصرته ، وأرهموا الحذر ، ثم شغلوا بذكره ليذكر الله . ودمعوا بالذكر ثم المذو ، واستصاءوا . وبذكر حتى صاروا خواطر العدو مثل القلب ، قال ثم أريد تطهيره من الماء القدر لينتجح به الماء الصافي في المشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القدر . والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد رح الماء القدر من جانب ، ولكنه تركه جرياً إليها من جانب آخر فيصول عنه . ولا تجف النار من الماء القدر والبصير هو الذي حمل لمحري الماء القدر سداً ، وبالأها ماء الصافي فإذا جاء الماء القدر دمه بالسكر والسد من عركامة ، ومؤنة ، وريده تعب

بيان

الرخصة في قصد إظهار الطاعات

العلم في الإسرار الزمحل ، ثمرة الإحلاص ، والبعث من الرياء . وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير . وسكن فيه آفة الرياء فان الحس قد علم المسهر أن السر آخر العمل . والسكن في الإظهار أبعاد ثمرة . ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلاية وقال (^(١)) أن تذكروا الصلوات . ما هي . وبين حقوه ونواصيهم . فهو حذر لكم ^(٢))

والإظهار . ما هي . فذكرهم في نفس العمل . ولا حرج ما حدث . ما عمل

المهم الأول . ما هي . نفس العمل . كما عهده في الأثر عيب الناس . ثم طاروا عن الأضار

إظهاره
العمل

واحد في الحالتين ، فما يقتدى به أفضل لأجله . وإذا تخوف من ظهور الرياء ؛ ومهما حصلت شائبة الرياء ، لم ينفعه اقتداء غيره . وهلك به ، فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان

إحدهما : أن ضرره حيث عدته يقتدى به ، أو يرضى به . ورب رحل يقتدى به أهله دون غيره . وبنه . يقتدى به حواشي دون أهل السوق . ورب يقتدى به أهل محافته . وإنما العالم المعروف هو الذي يتتدى به الناس كافة . فقير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاق ، وذمومه ولم يقتدوا به . فليس له الإظهار من غيره ثمة . وإنما سبب الإيهام بانه اقتدوه ممن هو في حق الله على من هو في حق الله لا بداهة

والثانية : أن رتبته من رتبة الرياء ، يكون فيه حب الرياء لحي . فبدونه في الإظهار بعذر الاقتداء ، وإذ كانت رتبته العمل بالعمل ، ويكون مقتدى به . وهذا حال كل من صبر عمله . فلا لأفواه من عيين ، وقليل مأم . فلا يسمي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر . من الضعيف مشقة المرق الذي يحسن سراحة ضيقة ، مضرب في جماعة من العرق في رحمتهم . فمن سمع حتى تشبوا به . ولا يكوا وهدت والمرق مات في الدنيا أمة . علة وأيت كان له رتبة . لأن عدده دائمة مديدة وهذه ملة أقدام العباد والعلماء . وإليه يشبهون بالأفواه في الإظهار . ولا تقوى فلو بهم على الإحلاس ، فتعظم حورم بالرب . والتعظيم لذلك سمى . ومحت ذلك أن يمرض على نفسه أنه لو ميل له حجب العمل حتى يقتدى الناس بما دأب من أقرانك . ويكونك في السر مثل أجرة الإعلام . فرب ما من منه . أن يكون هو المقتدى به . وهو المظهر للعمل ، فبعثه الرياء دون طالب الأجر ، واقتداء الناس به . ورعتهم في الخير فإنهم قد عبروا في الخير بالظن إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع أسراره . فبالقوة على الإظهار أولاً . لاحظنه لأعين الخلق ومراآتهم . فربما الممدوح من الناس قد دأب والشيطنة بعدد . وحب الحمة على القلب غالب . وقلمت اسم الأعمال الصالحة عن الآفة . فلا يسمي أن يعمل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإحفاء وفي الإظهار من الأخطار . لا تقوى عليه أمه . فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع الصغفاء

التمت
بالفعل
المراغ منه

الاسم الثاني : أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ . وحكمه حكم إظهار العمل نفسه . والخطر في هذا أشد ، لأن مؤنة الحق حفيظة على اللسان ، وقد تجرى في الحكاية زيادة ومخالفة والنفس لذة في إظهار الدعوى عظيمة ، لأنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد المراغ منها . فهو من هذا الوجه ثور . والحكم فيه أن من قوى فيه . وتم إخلاصه . وصغر الناس في عينه ، واستوى عنده مدحهم وذمهم ، وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به . والرغبة في الخير بسببه . فهو حائر بل هو مستودع إليه إن صفت الية وسعت عن جميع الآفات لأنه ترعيب في الخير ، والترغيب في الحق خير . وقد نقل عن ذلك عن جماعة من السلف الأوفياء . قال سعد بن معاذ : ما سلبت صلاحه منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ، ولا تبعت جبره فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو قول لها . وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قولا . فولا قط إلا سمعت الله تعالى . وقال عمر رضي الله عنه : ما أنالني أصبحت على غير نواسر ، لأنني لأدري فيما أحذر . وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال سمعت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه ^(١) ما تميت ، ولا تنيت . ولا سمعت ذكرني بيمينى من دعايت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال شداد بن أوس : ما تكلمت كلمة من دعايت حتى أرى ، وأخطئها غير هذه . وكان قد اتى له لعله أنه ما سمع في بيتها حتى يترك الدعاء . وقد توسل أن لأهله حين حضره الموت لا ينكروا علي ، فإني ما حدثت دعاء من دعايت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما وصى الله في بقية ، قط فسرني أن يكون نصي لي غيره . وما أصبح لي هوى إلا في وقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال شريعة ، وفيه عاية المراءة إذا صدرت من يراني بها . وفيها عاية الترعيب إذا صدرت ممن يقتدى به . وذلك على قصد الاقتداء جار للأوفياء بالشروط التي ذكرناها . فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال . والطماع بحوله على حب التشبه والاقتداء . بل إظهار المرائي للمادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء ، فيه خير كثير للناس ، ولكنه شر للمرائي .

(١) حديث عثمان قوله ما تميت ولا تنيت ولا سمعت ذكرني بيمينى من دعايت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أو من أنوصلي في معجزة ناسا صعيص من رواية أس عن في أثناء حديث ابن عثمان قال

يرسول الله فذكره بلقص من دعايت قال هو ذلك يا نون

الدم
الذنب

مكرهية الدم

الدم

الثاني : أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المصى ، ويحب سترها ، كما قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقُدُورَاتِ قَسَّيَتْ سِتْرُ اللَّهِ » فهو وإن عصى الله بالذنب ، فله يخفى قلبه عن محبة ما أحبه الله . وهذا يشاهد من قوة الإيمان بكرامة الله الظهور المصى وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ، ويعتم بسببه الثالث : أن يكره ذم الناس له ، من حيث أن ذم يفضي ، ويشعل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى من الطبع تأدى بالدم ، ويأرجع العقل ، ويشعن عن الطاعة وسهده الملة أيضا ينبغي أن يكره أحمد الذي يشمله عن ذكر الله تعالى ، ويستغرق فيه . وبصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الإيمان . إذ صدق الراعي في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان الرابع : أن يكون سره ورعيته فيه السكر اهتبه لدم الناس من حيث يتأدى طمعه ، فإن الدم مؤلم لقلب ، كما أن الصرب مؤلم للبدن وحرف تألم القلب ، لدم ليس تحرام ، ولا الإنسان به عاص وإغاي مصى إذا حرعت نفسه من ذم الناس ، ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من دهم . وليس يجب على الإنسان أن لا يتم به الحق ولا يتألم به ، نعم . كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق . ويتولى عذبه دمه ومادحه ، لعله أن الصدق والسمع هو الله وأن الله دكاهم عا حرون ودمت فابل حذا وأكثر الطماع تألم بالدم ، وفيه من الشعور بالقصا . ويرب أنه بالدم محمود ، إذا كان الدماء من أهل البصيرة في الدين ، وفيهم شهداء الله ودمهم يدل على دم الله تعالى ، وعلى غيبه في الدين مكيب لا تتم به المة . الدم المذموم هو أن يفتن نفوات الحمد بالورع ، كأنه يحب أن يحمد لورع ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله . فيكون قد ضل طاعة الله ثوبا من غيره . فإن وحدك في الله وحبه عليه أن يقا به ما كراهة والرد وإنما كراهة الله مصيه من حيث الطبع ، فليس عذوم الله استر حذرا من ذلك . وفي صور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ، وليسكن يكره الدم . وإما مراده أن يكره الله من حمد ودما . وكلم من صار عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الدم ، إذ الحمد يطالب الله ، وعنده المدة لا تؤلم . وأما لدم فإنه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طاب ثواب على الطاعة في الحن . وأما كراهة الدم على المصية فلا محذور فيه إلا من وحد

(١) حديث من ارتكب من هذه القُدُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسِّرْ لَكَ تَرْكُهَا . الحاكم في المستدرک وقد تقدم

وهو أن يشعنه عنه اطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله . فإن ذلك عايه القصصان في الدين بل يدعى أن يكون عنه اطلاع الله وذنبه له أكثر

كسافية الذم
لصباية
الذام به

سر الذم
فردا منه عافية

الخامس: أن يكره الذم من حيث أن الذم مدعى الله تعالى به وهذا من الإيذان بوعلامته أن يكره ذنبه غيره أيضا. فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره . بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس: أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم . فإن الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصه وحسنه ، وإن كان ممن يؤمن شره وقد يحاف شر من يصمغ على ذنبه سبب من الأسباب ، فله أن يستر ذلك حذرا منه

سر الذم
مباد

السابع: مجرد الحياء . فإنه نوع ألم وراء أنه العدو المقصد بالشر . وهو خلق كريم يحدث في أول الصداقة ، هما شرف عليه ور القن ، فيستحي من الفأخ إذا شوهدت منه . وهو وصف محمود . إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " « الحياء حُرٌّ كَنُةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم " « الحياء شُمةٌ من الإيمان » وقال صلى الله عليه وسلم " « الحياء لا يأتي إلا بخَيْرٍ » وقال صلى الله عليه وسلم " « إن ته يُحِبُّ حَيٌّ حَلِيمٌ » فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس ، جمع إلى الفسق التهلك ، والوفاة ، وقد الحياء . فهو أشد حالا ممن يستر ويستحي . إلا أن الحياء ممتزج بالرياء . وشتمه اشتباها عظما ، قل من يتعطل له . ويدعى كل مرء أنه مستحي ، وأن سبب تحسبه العبادات هو الحياء من الناس وذات كذب لالحياء خلق يابست من الخلع الكريمة ، وتهيج عقبيه داعية الرياء وداعية الإخلاص ، ويتصور أن يخلص معه ، ويتصور أن يرائي معه . فإنه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا . ونفسه لا تسخر بإراضه ، إلا أنه يستحي من رده . وعلم أنه لو أرسله على لسان غيره لكان لا يستحي ، ولا يقر من رياء ولا يطلب الثواب . فله عند ذلك أحوال أحدها . أن يشفه بالرد الصريح ولا يفي ، فيسبب إلى قلة حياء وعدا من لا حياء له

(١) حديث الحياء حركته عالم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٢) حديث الحياء شمة من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٤) حديث الحياء حُرٌّ كَنُةٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الحليم السعيف وقيل أي من أي شيء يفتخر به

فإن المستحي بما أن يعلن أو يقرض فإن أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال أحدهم أن يبرح الرياء بالحياء ، أن يبرح الحياء فيقع عنده لرد . يبرح حاضر الرء ، ويقول ينبغي أن تعطي حتى يثني عليك ، ويحمدك . ويشتر اسمك بالسجاء . أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل . وإذا أعطى فقد أعصى بالرياء . وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء

الثاني : أن يتعذر عليه الرد بالحياء . ويبقى في نفسه البخل ، فيتعذر الإعطاء . فيهيج داعي الإخلاص ويقول له : يا المدمة واحدة ، واقترض ثمان عشرة . وفيه حر عظيم ، وإدخال سرور . على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى . فمدحوا النفس بالإعطاء ، ذلك ممدوح يخص به الحياء بإخلاصه الثالث : أن لا يكون له رعة في الثواب . ولا خوف من مدمته . ولا حب للمحمدية ، لأنه لو علمه مراعاة الكمال لا يصيبه ، فأنه لا يحرص الحياء . وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولو لا الحياء لردده . ولو علمه من الاستحي منه من لأحب أو الأراد ، كان يردده . وإن كثرت الحمد والثواب فيه . فهذا محرد الحياء . ولا يكون هذا إلا في القدر ، كالبخل وقارعة الدنوب . والمرئي يستحي من المذات أفعال . حتى أنه يرى مستعجلا في المشي ويمود إلى الهدوء . أو صاحب جمع إلى الأقباض . ورعة ذلك حياء ، وهو عين الرياء . وقد بين أن بعض الحياء صعب ، وهو يتضح . والمراد به الحياء مما ليس بقربح . كالحياء من وعط الناس ، وإمامة الناس في الصلاة . وهو في العار والثناء محمود . وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شبح . فندحي من شبهة أن تشكر عليه ، لأن من إجلال الله إجلال ذي الشبهة المسلم . وهذا الحياء حسن . وأحسن منه أن تستحي من الله ، فلا تضع الأمر بالبروف . والقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس ، والصعب قد لا يسدر عليه ففهمه هي لأسباب التي يجوز لأهلها ستر القبايح والذنوب

الثامن : أن يخاف من ظهور دمه أن يستحى عليه غيره . وفيه دمه . وهذه الملة الواحدة فقط هي الخارية في إطار المصانة . وهو الهدوء ويحس ذلك بالذمة أو عن يقتدي به . وهذه الملة ، هي أيضا أن يحس العاني . من مديته من أهله وولده ، لأهم حاله ودمه في ستره . وهذا لأنداء الملية ، وليس في إطار الطاعة عذر إلا هذا الذر الواحد . وهذا قصد ستر المعصية . لا يخل إلى الناس ، وروح . كما مر في هذا قصد ذلك بإصدار الطاعة

فإن قلت . فهل يجوز لأبعد أن يحب حمد الناس له بالصالح . وحبهم إياه بسببه ، وقد قال
 رجل لأبي حنيفة عليه وسلم ^(١) دأبى على ما يحبب الله عليه . ويحببى الناس . قال « أرهذه
 في الدنيا يحببك الله ، وتندب إليهم هذا الخطأ كما يحببوك »

فقول حبك حب الناس لك وقد يكون مباحا ، وقد يكون محمودا . وقد يكون مذموما
 والمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك . وبه تعالى إذا أحب عبدا حبه في الموب
 عاده . والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حبك ، وعرضك ، وصلاتك ، وعلى طاعة
 لعباد . فإن ذلك صلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله . والمذموم أن تحب
 أن يحبوك لسمعت محمودة سوى الطاعات المحمودة المعية . فحبك ذلك كحبك المال
 لأن تلك القلوب وسببه إلى الأعراض كك الآمال ، فلا فرق بينهما

بيان

ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مريضا . وذلك غلط ، وواحدة
 ناشطة . بل الحق في تركه من الأعمال وما لا ترك لحوف الآفات ما ذكره
 وهو أن الطاعات تنقسم إلى ما لا بد منه . كالصلاة ، والصوم ، والحج . والعرو ،
 وهي ما قدسه . ومنها هذب . إنما يصير لدية من حيث إنها توصل إلى حمد الناس ، وحمد
 الناس لدية ، وذلك عند اطلاع الناس عليه . وإن ما هو لدية . وهو أكثر ما لا يقصر على
 البدن ، بل يمتد إلى الحق ، كالخلافة ، والفتنة ، والولايات ، والحبية ، وهامة الصلاة ، والدكبر
 والتدريس . وفي المال على الحق . وغير ذلك من معظم الآفة فيه المنة للحق ، ولما به من الادة
 انقسم الأول ، الطاعات ، لاربه لدية إلى لا تنافي بالمر ، ولالده في عيها ، كالصوم ،
 والصلاة ، والحج . محطرات الرء فيها ثلاث : أحدها ما يدخل من العبد ، ويثبت على
 الابتداء لرؤية الناس . والناس معه امت الدين . فدانم من أن يترك له منيرة لاطاعة فيه .

(١) حديث قال رجل لأبي حنيفة عليه وسلم « دأبى على ما يحبب الله عليه » . قال « أرهذه » .

من حديث سهل بن سعد بلغه وأرعه في أيدي الناس وقد تقدم

فإنه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة فإن قدر الإنسان على أن يدفع عن نفسه
باعث الرياء ، ويقول لها : ألاتستحيين من مولاي ، لاسحين بالعمل لأجله ، وتسجين
بالعمل لأجل عباده ، حتى يندفع باعث الرياء ، وتحو النفس بالعمل لله ، عقوبة للنفس
على خاطر الرياء ، وحكمة له ، فليشتغل بالعمل

الثانية : أن يبعث لأجل الله ، ولكن يعرض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي
أن يترك العمل لأنه وحدنا دينا ، فيشرع في العمل ، وليجاهد نفسه في دفع الرياء ،
وتحصيل الإخلاص بالله لحالت التي ذكرها ، من إرام النفس كراهة الرياء والإباء عن قبول
الثالثة . أن يعقد على الإخلاص ، ثم يطرأ الرياء ودواعيه فيدبى أن يجهد في الدفع ،
ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الإخلاص ويرد نفسه إليه فها حتى يتم العمل .
لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل ، فإذا لم تحب واشتغلت ، فيدعوك إلى الرياء .
فإذا لم تحب ودعوت ، في يقول لك : هذا العمل ليس يحسن . وأنت مرء ، وتعبت ، ثم
فإن فائدة لك في عمل الإخلاص فيه ، حتى تعملك ذلك على ترك العمل فإذا تركته فقد حقت عرسه
ومثل من يترك العمل خوفا أن يكون مرء . كمن سأل إليه مولاه حطة فيها رؤى
وقال خلصها من الزواني ونقها منه نقية ناعة ، فترك أصل العمل . ويقول أخاف إن اشتغلت
به لم تحاص خلاصا فبقيا فترك العمل من أجله وهو ترك للإخلاص مع أصل العمل ، فلامع له
ومن هذا القيس أن يترك العمل خوفا على الله أن يقولوا : مرء ، ويعصوب الله به
فهذا من مكاييد الشيطان . لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين ، وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك
ثم إن كان فلا يضره قولهم ، ويقوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم : مرء
هو عين الرياء ، فهو لأجله لمحمدتهم ، وخوفا من دهم . مثله وهو قولهم : قالوا : مرء ، وقالوا : إنه
نحوه ، وأى مرقى أن يترك العمل خوفا من أن يقال : مرء ، ومن أن يحسن العمل
خوفا من أن يقال : إنه حاسن مقصر ، من ترك العمل أشد من ذلك

فهذه كلها مكاييد الشيطان على العبادة الخيال ثم كبرى طمع في أن يتخلص من اشتغال
بأن يترك العمل . والشيطان لا يخاف . بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل
ايقال : إنه شمس لا يشترى الشهرة فيضطررك بذلك إلى أن تهرب . وإن هربت ودخلت

قلنا هذا يعارضه ما ورد من طبري انما يصح في إظهار الحس البصري هذا الكلام في مرض الوعظ ، أقرب إلى خوف الشهرة من الكفاء ، وباطلة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه .
والمحملة تركه الوافين جازر . والكلام في الفصل . والأفضل إن يقدر عليه الأقوياء دون السعفاء . فالأفضل أن يتعمد العمل ويحتهد في الإحلاص ، ولا يتركه . وأرباب الأعمى قد يهملون الجور أنفسهم بخلاف الأفضل أشده الخوف . ولاقتداء يتفنى أن يكون بالأقوياء . وأما إطباق إراهم النحوي المصحف ، فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج إلى تركه القراءة عمداً حوله ، واستند فيه بدخول وجه الاشتغال بكماله . فرأى أن لا يراه في القراءة

أبعد عن الرياء ، وهو سرور على التبرك الاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك . وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة ، وإيمان الناس عليه ، وشغلهم بانه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق . فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق . وأما قول النبي : « إذا أعجزك الكلام فسكت » يحوز أن يكون قد أراد به مساحت الكلام . كما مضت في الحكايات وغيرها . فإن ذلك يورث العجب . وكذلك العجب ما سكت الله عن محذور . وهو عدول عن مباح إلى مباح حذر من العجب . فأما الكلام الحق المندوب إليه فله بعض عليه على أن الآفة به تنظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني . وبما كلاماً في العبادات الخاصة بيد العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تنظم فيه الآفات . ثم كلام الحس في تركهم البسكاء وإمالة الأذى لحوف الشهرة ، ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يرفعون الأضراس ، ولا يدركون هذه الدقائق ، وإنما ذكره نحو ما للناس من آفة الشهرة ، وزجر عن طلبها .

القسم الثاني : ما يتعلق بالحق . وتنظم فيه الآفات والأخطار . وأعظمها الخلافة ، ثم القضاء ، ثم التدبير والتدريس والقوى ، ثم به في الدل .

أما الخلافة والإمرة فهي من أفضل الهدى . ذلك ما كان ذلك مع العدل والاحسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يوم من يوم إمام عذب خير من عذب رخص وحده » سنن ع . « فاعظم بعدة يوارى يوم من يوم من عذب سنن ع . وقال صلى الله عليه وسلم : « « أول من يدخل الجنة ثلاثة : الإمام المفسر ، وأحد من أولي الشهادة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العدل ، وأحد من أولي الشهادة ، قال رسول الله عليه وسلم : « أقرب الناس مني محمد يوم القيامة ، الإمام العدل ، وأحد من أولي الشهادة » رواه أبو سعيد الخدري .

(١) حديث يوم من يوم من إمام عذب خير من عذب رخص وحده سنن ع . غير رواه في حديث ابن عباس وقد تقدم

(٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة : الإمام المفسر . رواه من حديث عيسى بن حماد أهل الحقة ثلاث

دوسن من ع . الحديث . ومرفعه بكر لاو .

(٣) حديث في هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العدل . تقدم

(٤) حديث في سعيد الخدري أقرب الناس مني يوم القيامة : الإمام العدل ، وأحد من أولي الشهادة ، وأحد من أولي الشهادة .

من رواية غطف العوفي وهو ضعيف عنه وفيه ضعف . اسحق بن إبراهيم الديلمي ضعيف أيضاً

ولامارة والحلافة من أعظم المدات ولم يرل المتقون يتركونها، ويحترزون منها، ويهربون من تقلدها، وذلك ما فيه من عظم الخطر، إذ تتحرك بها السمات الباطنة. وينقلب على النفس حب الحام والده الاستيلاء، وفيه دال الأمر، وهو أعظم ملل الدنيا. وإذا صارت الولاية محبوبة. كان الوالي ساعياً في حفظ نفسه، ووشش أن يتبع هواه، فيمتنع من كل ما يقدح في حاهه وولايته وإن كان حق. ويقدم على ما يريد في مكانه وإن كان باطلاً. وعند ذلك يهلك. ويكون يوم من سطون حائر شراب من فوق ستين سنة، مفهوم الحديث الذي ذكرناه. ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول: «يا أحدها عا فيها، وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مأمن» وألى عشره إلا جاء، ولم أقيامة مقولة يده» إلى غنمه أئمة عذلة أو أوت بقه جوزة» روى مقل بن يسار. وولاه عمر ولاية. وقال: «يا أيها المؤمنون أئمة على. قل أحسن وأكرم على وزوى الحسن، أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم». «وقال لى حر لى، قل «أحسن» وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها من غير مشاورة عني غلب عليها وإن أوتيتها عن مشاورة عني كانت إني»»
وقال أبو بكر رضى الله عنه لما رفع من عمر لا أئمة على ابنين. ثم ولى هو الحلافة م بها وقال له رافع

(١) حديث طعن والى عشرة الأحاء يوم القيامة يا معقولة بن علقمة لا تكلموا بأحد من حديث عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والبرار من رواه رجل بسند من سعد بن عباد ومحمد بن عبد الله بن جابر متكلم فيه ورواه أحمد والبرار وأبو يعنى والطبرانى فى الأوسط من حديث ثور بن عمار ورواه البرار والطبرانى من حديث ثور بن عمار فى الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي هريرة طعن طعن والى ثلاثة لى الله - قوله - الحديث: وقد عرى بسند هذا الحديث: رواية مقل بن يسار والمعروف من حديث مقل بن يسار من عند يستر عوى الله رعية يعطها بسبعة إلامرج راحة الجنة: متفق عليه

(٢) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يخبرنى قال اجلس الطبرانى موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه النعل بن الحار وأحدش مكرة يحدث بالأطيل قاله أبو حمزة ورواه سعد بن حديث بن عمر بن عبد الله بن مسعود فيه مراب بن أبي العريب صعه ابن معين وابن عدى وقال أبو حامد صدوق

(٣) حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة - الحديث: متفق عليه

ألم تقل لي لأمر على اثنين . وأنت قد وايت أمراً محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بلى
وأنا أقول لك ذلك ، فن لم تعد فيها فعليه هبة الله . يعني لمة الله . ولعل القليل البصيرة
يرى ماورد من فصل الإمارة مع ماورد من الهى عنها متباعد ، وليس كذلك من الحق
فيه أن الخواص الأقوياء في الدين ، لا ينبغي أن يقتنعوا من تقليد الولايات . وأن الضملاء
لا ينبغي أن يدوروا بها فيهم يسكوا . وأعني بالقوى لدى لائمه الدنيا ، ولا يستمره الطمع
ولا تاحده في الله لومة لائم ، وهم الذين سقطوا الخلق عن أعينهم . ورهروا في الدنيا . وتبرءوا
منها ، وبجأطة الخلق . وقبروا أنفسهم وملكوها ، وقموا الشيطان فأيس منهم . فهو لاء
لا يجرهم إلا الحق ، ولا يسكنهم إلا الحق ، ولورهم فيهم أرواحهم . فهم أهل نيل الفضل
في الإمارة والخلافة . ومن علم أنه ليس هذه الصفة فيجزم عليه الخوض في الولايات

ومن جرب هذه فرآها صابرة على الحق . كافة عن الشهوات في غير الولايات ، ولكن
خاف عليها أن تنزير إذا دامت لهذه الولاية ، وأن تستعجل الحاء ، وتسلط هذا الأمر ، فتكره
الزل ، فيداهن خيفة من الزل ، فهذا قد احتلف العلماء في أنه هل يرمه الحرب من تولد
الولاية . فقال قائلون لا يجب ، لأن هذا خوف أمر في المستقبل ، وهو في الحال لم يهد نفسه
إلا فوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس . والصحيح أن عليه الاحتراز ، لأن النفس
خداعة ، مدعية للحق ، واعدة بالخير . فلو وعدت بالخير جرماً لكان يخاف عليها أن تتغير
عند الولاية . فكيف إذا أظهرت التردد ؟ والامتاع عن قبول الولاية أهون من الزل بعد
الشروع . فالزل مؤلم . وهو كما قيل : المرل طلاق الرجال . وإذا شرع لا تسمح نفسه بالمرل
وتميل نفسه إلى المذاهبة وإهمال الحق ، وتهوى به في معرهم . ولا يستطيع النزوع منه
إلى الموت ، إلا أن يعزل بها . وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية . ومهما مالت
النفس إلى طلب الولاية . وحملت على السؤال والطالب ، فهو إمارة الشر . ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ^(١) « إنا لا نؤلى أمرنا من سألنا » ، وإذا فهمت اختلاف حكم القوى والصميف ،
عست أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ، ثم تقليده لها ليس متناقض

(١) حديث إنا لا نؤلى أمرنا من سألنا . : يعنى عليه من حديث أبي بكر .

القضاء

وأما القضاء . فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة . فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر . فذل . والإمارة محسوبة بالطمع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ قَاصِدِينَ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْحَنَّةِ » وقال عليه السلام ^(٢) « مَنْ اسْتَقْصَى فَقَدْ دُبِحَ بِتَرْسِكَيْنِ » فحكمه حكم الإمارة ، ينبغي أن يركه الصفة . وكل من الدنيا ولذاتها وزن في عبده . وليتقلده الأموياء . الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم . ومهما كان السلاطين طمعة . ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بتداهتهم . وإهمال بعض الحقوق لأجلهم . ولأجل المتعدين بهم . إذ يعلم أنه أو حكم عليهم بالحق لزأوده . أو لم يطيعوه . فليس له أن يتقلد القضاء . وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق . ولا يكون خوف العزل عدرا مرصدا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت المهمة عنه . ويدعى أن يرح بالمرل إن كان يقضى لله . فإن لم تسمح نفسه بذلك . فهو إذ يقضى لاتباع الهوى والسيطان . وكيف يرتقب عليه ثوابا . وهو مع الطمعة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ . والفتوى . والتدريس . ورواية الحديث . وجمع الأسانيد العالية . وكل ما ينفع بسبب الجاه . ويعظم به القدر . مآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات . وقد كان الخثعمون من السامع يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا . وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أو سمعوا لي ودفن بشر كذا وكذا فطر من الحديث . وقال بمعنى من الحديث أي أشتى أن أحدث ربوا اشتيت أن لأحدث لحدث والواعظ يحذف في وعظه وتأثر قلوب الناس . وتلاحق بكانهم . ورعااتهم . وإقبالهم عليه . لذة لا توازها لذة . بيد علب ذلك على عبده . مال طمعه إلى كل كلام مرخرف يروح عند الدوام . وإن كان باطلا . ويفر عن كل كلام يستثقله الدوام . وإن كان حقا . وبصير معصوف المهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب الدوام . ويعظم منزلته في قلوبهم . فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه . من حيث إنه يصاح لأن يذكره على رأس المبر وكان ينبغي أن يكون فرحه من حيث إنه عرف طريق السعادة . وطريق سلوك سبيل الدين . ليعمل به أولا

الوعظ
والفتوى

(١) حديث القضاء ثلاثة . الخ . الحديث . صحيح الحديث . مائة وبقدر في العلم وإسناده صحيح

(٢) حديث من استقصى فقد دبح . الخ . الحديث . صحيح الحديث . مائة وبقدر في العلم وإسناده صحيح
وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح

إلى طلبها . وكذلك حب الرئاسة لا يترك العاوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالأسل
والأغلال من طلب المعلوم التي فيها القول والرئاسة . لأننا من الخدس ونطمعوا السلال
وطلبوها . وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأموام لأخلاق لهم فلا تشعل قلبك بأمر
الناس . فإن الله لا ينجيهم . وانظر إلهك . ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد
جماعة يقومون بالوعظ مثلاً . مبس في السبي عنه إلا امتناع بعضهم . ولا فيعلم أن كلامهم
لا يهتمون ، ولا يتركوا لذة الرئاسة . فإن لم يكن في البلد إلا واحد . وكان وعظه أفعال الناس
من حيث حسن كلامه . وحسن سنده في الظاهر . وتحويله إلى العوام أنه إذا يريد الله وعظه
وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها ، ملا نعمته منه ، ويقول له اشتغل وجاهد نفسك . فإن قال
است أقدر على نفسي . فيقول اشغل وجاهد . لأن يعلم أنه لو ترك ذلك لطلب الناس كلامهم
إذا لقائهم غيره . وأول واجب وغرضه أخوه . فهو الله لك وحده وسلامة دين الجميع أحب
عندنا من سلامة دينه وحده . فتجمله فداء لا تقوم ، ويقول لعل هذا هو الذي قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إن الله يؤيد هذا الدين بأموام لأخلاق لهم »

صفحة الواط

ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ، ويرهد في الدنيا كلامه . وبطاهر سيرة فاما
ما أحدثه الواعظ في هذه الأعصار ، من الكلمات المرحفة ، والألفاظ المسحمة المقررة
بالأشعار ، ثم ليس فيه تعظيم لأمر الدين ، وتحويل للمسلمين . بل فيه الترقية والتحرية
على المأوى طيرات السكت ، فيجب إخلاء اللادينهم ، وإسهم بواب الدجال وحلفاء الشيطان
وإعلاء كلامه . في واعظ حسن الوعظ . جميل الصبر ، بطن في عسبه حب القبول ولا يقصد
غيره . وفي أوردناه في كتاب العلم من الوعيد لواردي في حق علماء السوء . ما يبين لزوم
الحذر من من العلم وعوائله ولهذا قال المسيح عليه السلام . باعوا السوء ، تدومون
وتصرون . وتصدقون ، ولا تعلمون ما تأمرون ، وتدرسون ما لا تعلمون ، وبسوء ما تحكمون
تتوبون ما قول والأمانى . وتعملون بالهوى ، وما يفتني عنكم أن تتوا جودكم ، وفلوركم
دسة نحو قومكم . لا تكونوا كالمحل يجرح منه الدقيق الضيق ويبقى فيه الحالة

كذلك أتم تخرجون الحكم من أهواهم ، ويبقى الفل في صدوركم . يا عبيد الدنيا ، كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ، ولا تقطع منها رغبته . بحق أقول لكم إن قلوبكم تبسكن من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت أنسنتكم ، والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم . أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم . فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة . فأى ناس أخس منكم ؟ لو تعلمون ربكم حتى متى تصفون الطريق للمدحلين ، وتقيمون في محلة المتحجرين ، كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركوه لكم ، مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوسع السراح فوق ظهره . وحوفه وحش مظلم ؟ كذلك لا يغنى عنكم أن يكون نور العلم بأهواهم ، وأنجواكم منه وحشة مظلمة يا عبيد الدنيا ، لا كمبيداتقيده ، ولا كأحرار كرام . توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم . ثم تكبكم على مناخركم ، ثم أخذ حظاياكم مواصبكم . ثم يدفعكم الله - لم من حاكمكم ، ثم يسلمكم إلى الملك الديان حقة عرافة فإدى فيوفهكم على سواكم . ثم يخبركم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث الحدادي هذا الحديث في بعض كتبه ، ثم قال . هؤلاء علماء السوء شياطين الإيس ، وقسة على الناس ، رعبوا في عرص الدنيا ورفعتها . وآثروها على الآخرة وأدأوا الدين للدنيا فهم في الماحل عار وشين ، وفي الآخرة هم الخاسرون

فإن قلت : فهذه الآفات طاهرة . وإن كان ورد في العلم والوعظ رعايب كثيرة ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « لأن يهتدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « أئتموا دعاء دعا إلى هدى وأبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه » إلى غير ذلك من فضائل العلم . وبغنى أن يقان للعالم اشتغل بالعلم وترك مآثر الخلق كما يقول لمن حالفه الرباء في الصلاة لا ترك العمل . وإن كان أتم العمل وجاهد نفسك فاعلم أن فضل العلم كبير : وخطره عظيم . كفضل الخلافة والإمامة . ولا أقول لأحد

(١) حديث لا يهتدى الله برجل واحد خيرا من الدنيا وما فيها . رواه ابن عسك عن حديث سهل بن سعد

عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد عظم في العلم

(٢) حديث أئتموا دعاء دعا إلى هدى وأبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه . رواه ابن عسك عن حديث سهل بن سعد

عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد عظم في العلم

من عباد الله ترك العلم . إذ ليس في نفس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث . ولا نقول له أيضا تركه مادام يجد في نفسه باعثا دينا ممزوجا بباطل الرياء . أما إذا لم يحركه إلا الرياء ، فترك الإظهار أفع له وأسلم . وكذلك نوافل الصلوات إذا مجرد فيها باعث الرياء وحب تركها . أما إذا حطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره ، فلا يترك الصلاة . لأن آفة الرياء في العبادات صعبة . وإنما تعظم في الولايات . وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم ، وباجملة المراتب ثلاث :

الأولى : الولايات ، والآفة فيها عظيمة . وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم . والصلاة ، والحج ، والعزو . وقد نرض لها أنوباء السلف وضمة فؤادهم ولم يؤثر عنهم الترك لحرف الآفة . وذلك لضعف الآفة الداحلة فيها ، والقدرة على نقيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة .

الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبةين ، وهو التصدي لمناصب الوعظ والفتوى ، والرواية والتدريس والآفة فيها أقل مما في الولايات . وأكثر مما في الصلاة . فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوى ، والسكن يدفع حاضري الرياء . والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأنوباء . ومناصب العلم بينهما . ومن حرب آفات مناصب العلم علم أنه بالولاية أشبه ، وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم ، والله أعلم .

وهي رتبة رابعة ، وهي جمع المال ، وأخذها للترقة على المستحقين . فإن في الإماق وإظهار السخاء استجلانا للنساء ، وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة . ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أهمل ، وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به ، فقل القاعد أفضل . لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا ، وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو النرداء ما يسرني أني أقت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها . أما إني لأحرم البيع والشراء ، ولكنني أريد أن أكون من الذين لا يلبسهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وقد اختلف العلماء ، فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال ، وسلم منها ، وتصدق بها ، فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل . وقال قوم : الجلوس في دوام ذكر الله أفضل ، والأخذ والإعطاء يشغل عن الله .

وقد قال المسيح عليه السلام باطاب الدنيا لغيره ، بركاك لها أثر . وقد : أقل ما فيه أن يشمله إصلاحه عن ذكر الله ، وذكر الله أكثر وأفضل . وهذا ميمس سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء ، فيركه لها أثر . والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل وبالجملة ما يتعاق بالحق والحق فيه لذة فهو مثر الآفات . والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن عجز فيضطر ، وليجتهد ، واستغنى عنه ، وإيرن ما فيه من الخير ، فيه من الشر ، وليعمل ما يدب عليه نور العلم دون ما يتيل إليه الطبع . وبالجملة ما تحده أخف على قلبه وهو في الأكثر أضر عليه ، لأن النفس لا تشبه إلا بالشر ، والله مستند لحر وتيل إليه . وإن كان لا مد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على بعضها حتى وبثبات . فهو . وكول إلى اجتهد القلب ليطر فيه لديه ، ويدع ما يريه إلى ما لا يريه .

ثم قد يقع ثم ذكرناه عرور للجاهل ، ويمسك المس ولا يقه خيمة من الآفة ، وهو عين الجدل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المداحت وبلا عن الصدقات أفضل من إساءة الكه وإساءة الخلاف وبين يحسب إلى الكسب أن لا يصل ترك الكسب ولا هاق ، أو لا يجد المذكر وذلك في الكسب من الآفات وأما المال الحاصل من الحلال ، فمفرقة أفضل من إساءة ، ككل حال . فإن قلت وبأني علامة تعرف العالم والواضع أنه صادق محاص في وعظه غير مرید رياء الناس ؟ . فأعلم أن لذلك علامات

إحداها : أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظه ، أو أعز منه عملا ، والناس له أشد قبولاً ورح به ولم يحسده . نعم لأناس بامبغة ، وهو أن يمتي نفسه مثل علمه

والأخرى . أن إذا كان إذا حصروا مجلسه ، لم يتغير كلامه . بل بقي كما كان عليه فيضطر إلى الحق بيمين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها . وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال

كنت جالسا إلى جنب الحسن ، إذ دخل عبدا الحاج من بعض أبواب المسجد ومعه الخرس وهو على رذون أصغر . فدخل المسجد على رذونه . فجعل يلتفت في المسجد ، فلم ير خلفه أحدا من حقة الحسن ، فتوجه نحوها حتى سمع قريبا منها ، ثم ثنى وركه فنزل وشى نحو الحسن . فلما رآه الحسن متوجها إليه ، نجح في له عن حية مجلسه . قال سعيد ، وتجايفت له أيضا

علامات
الواضع
الصادق

فمن رياءه

عنت حبه شديداً حتى قال: متى وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج . فجاء الحجاج
حتى جلس من وسمه . والحسن تكلم بكلام له تكلم به في كل يوم ثم قطع الحسن كلامه
قال سعد فقلت في نفسي لأمر الحسن اليوم . ولأنظر هل يحمل الحسن حلو من الحجاج
. ثم ربي في كلامه يقرب إليه . ونحن الحسن هبته الحجاج أن يقص من كلامه فتكلم
الحسن كلاماً واحداً . نحو ثم كان تكلم به في كل يوم . حتى انتهى إلى آخر كلامه . فلما
فرغ الحسن من كلامه وهو غمر مكث . ثم فرغ الحجاج منه فصرخ على مكب الحسن
ثم قال صدق الله عز وجل . يكلمه الله نورا من نوره . . . فدعوا حبه وعدة . فإنه نهي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن يمس لذكره من حبة ولو لا ما جده من نور
الاسماء . . . و على هذه الحواس . . . ثم قال في آخر الحجاج . . . وتكلم حتى عجب
الحسن ومن حضر من كلامه . ولم يفرغ حتى عجب . . . فعداء من أهل الشام إلى الحسن
الحسن حين قام الحجاج . فقال : والله لسمعت . . . لا يجدون أن رجل شبح كبير . وأنه
أعز . فأكف فرس . . . وكأف فسطح . . . وثلى شطاة درهم من لعمري . وأنه سبيع
. . . ثم من اسم . . . وشكاه حبه حتى رقى الحسن له وأصبح . . . والحسن مكب فلما فرغ
الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه . فقال : اللهم قاهم الله أحدوا عدا الله خوفاً . ومال الله
دولاً . وقبوا الحسن على الديار ولدرهم . . . وقد عرا عدوا الله عرا في الله . . . طلبط الهداية . وعلى
أهل السدة . . . وقد عرى حبه عرا ضوياً راحلاً . . . فتر الحسن حتى ذكرهم بأفصح العيب
وأشده . . . رجل من أهل الشام كان حبه . . . الحسن . . . فسمى به في الحجاج وحكى له
كلامه . . . ثم يأت الحسن أن . . . رسل الحجاج . . . فقلوا نجيب الأمير فقام الحسن . وأشفقوا
عليه من شدة كلامه . . . تكلم به . . . ثم يست الحسن أن يرجع إلى مجلسه وهو يتبسم . ولما
رأته وعراوه يصحك . . . إنما كان يتبسم . . . فأقبل حتى فعد في مجلسه . . . فبطم الأمانة . وقال
لما تجلسون بالأمانة . . . كما تفضون الحياة ليست إلا في الديار والدرهم . . . إن الحياة
شده الحياة . . . فبطن إلى جابه . . . ثم يطق يد . . . ما إلى حرارة من نار

(١) حديث ابن عباس الذكر رياض الجنة تقدم في الأدكار والاعوات

إني أنبت هذا الرجل . عقل فصر عليك من الله وقواك . إذ عرا عدو الله كذا وكذا
 وإذا عرى أخاه أعراه كذا . لأنك . تحرض عبيد الله . أم . على ذلك لأنهم مستعدون
 فافصر عليك من الله . قال فدمعه لله عني . وركب الحس حرا يري المنزل ، فبما
 هو يسر إذا نبت فرأى قومه ينعمون . موقف قل . هل لكم من حاجة . أو . أول . عن
 شيء . وإلا فارجعوا . فإني هذا من قلب العبد . فهذه العلامات وأمثالها تبين سريرة
 الباطل . ومهما رأيت العبد . به روح . وتجد سدود . ولا يتوانسون . ولا يتعاونون . فاعلم
 أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون . اللهم ارحمنا باطعك يا أرحم الراحمين

بيان

• يصبح من شرط امد للمعدة . من روية الحس . وما لا يحج

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع ، فيقومون للتحديد ، أو يقوم بعضهم فيصلون
 لاين كله أو بعضه . وهو من قوم في . . . عة فرقة . فإذا رآهم امت شاطئه العوامنة
 حتى يريد على ما كان يعتده . أو يصلي ، مع . . . كان لا يناد الصلاة بالليل أصلا . وكذلك
 قد يقع في موضع يسوء به أهل الموضع . فيدع له شاطئ الصوم . ولولا لم لا يمت
 هذا الشط . فمدارة بطنه رياء . وأن لو أحب ترك الموافقة . وابتس كذلك على لإصلاح
 بل له تفصيل . لأن كل مؤمن راعب في عيادة الله تعالى . وفي يوم القيل وصيام النهار . ولكن
 قد تموقع العواني . ويسته لاشتهت . ويسته استسكن من الشهوات . أو تستهويه الفعلة
 فربما تكون مشاهدة الغير . من رول الفعلة . أو مدوم العوق والأشغال في بعض المواضع
 فينسى له الشط . فقد يكون الرجل في منزله . فقطعه لأسباب عن التجهد . مثل تمسكه
 من النوم على فرش وغير . أو تمسكه من اختار روحه . أو لمخوذة مع أهله وأقاربه . أو
 الاشتغال بأولاده . أو مظامة حساب له مع ماله . فإذا وقع في منزل غريب . اندفعت
 عنه هذه الشواغل إلى تفر رعيه عن الخير . وحصلت له أسباب باعثة على الخير . كشاهدته
 بياحه وقد أجبلو على الله . وعرضوا عن الدنيا . وبه يطر إليهم فهم . ويشق عليه أن يسبقوه
 بطاعة الله . فتشرك داعيته الذين لا لرياء . أو ربما يه رقه النوم لاستنكاره الموضع .

أو سبب آخر، فيستم زول اليوم، وفي منزله رغبته اليوم. وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام، والتمس لا تسمع بالهجد دائما. وتسمع بالهجد وقت فيلا، فيكون ذلك سبب هذا المشط، مع المدح سائر العواقب. وقد يسر عليه الصوم في منزله ومعه طائب الأظعمة، ويشق عليه الحذر عن هذا عورته تلك الأظعمة لم يشق عليه، فتنبهت داعية ليس للصوم، بين الشهوات الحاضرة عوائق ودواعي تغلب باعث الدين فإذا سلم منه قوى الباعث. فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه، ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم. واشتد مع ذلك رغبته يصعد عن العمل ويقول: لا تعمل فإنك تكون مرائيا. إذا كنت لا تعمل في ذلك. ولا ترد على صلاحك المعتادة.

وقد تكون رغبته في دراسة لأجل رؤيتهم، وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به. يقوم الليل، فإن نفسه لا تسمح بأن يستقطع من أعينهم، فيريد أن يحضرهم. وعند ذلك قد يقول الشيطان: صل فإنك محض نواست تصلي لأجلهم. إن لله، وإذا كنت لا تصلي كل ليلة أكثره العوائق، و. داعيك إزال العوائق لا لأجلهم وهذا أمر مشتبه، لا على دوى المسائر. وقد عرف أن المحرك هو الرياء، فلا ينبغي أن يريد على ما كان يعتاده ولا ركة واحدة، لأنه يهوى الله أصب محمد الناس طاعة الله. وإن كان انبساطه لدفع العوائق، وتحرك الغبطة والمذاقة بسبب عيبه. بلوافق. وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه، بل من وراء حجاب، وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه، فإن سخطت نفسه فليصل، فإن باعته الحق وإن كان ذلك يشغل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك، فإن باعته الرياء.

وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من حيث ط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب محمدهم. ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم، وزوال عوائقه بسبب إقبالهم على الله تعالى. وقد يحرك ذلك باعث الدين، ويقاربه نروغ النفس إلى حب الحمد. ولها علم أن العاقبة على نفسه بإرادة الله، فلا ينبغي أن يترك العمل ما يحده من حب الحمد. بل ينبغي أن يرتد ذلك على نفسه بالكرامية. ويشتمل بالعادة. وكذلك قد يكثر جماعة، فيظفر بهم، فيحضره السكاء خوفا من الله تعالى، لا من الرياء، ولو سمع

ذلك الكلام وحده. كى والسكر سكاء الدس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحصره
 البكاء فينبأ كى تارة رياء وتارة مع الصدق، إذ يخشى على نفسه مساواة القلب حين يكون
 ولا تدمع عينه، فيبكي بكاءً وذاك محمود، وعلامة الصدق فيه أن يمرض على نفسه
 أنه لو سمع سكاءهم من حيث لا يرويه، هل كان يحوف على نفسه أم لا؟ كى فلا؟
 فهو لم يجد ذلك عند تقدير الاحتياج، عن أنفسهم، وفي خوفه من أن يقل إليه قلبه
 فيسمى أن يتركه الله كى قل قلبه عليه السلام لأنه لا ترى الدس تخشى الله أيكرهه
 وقدك فاجر وكذلك الصبيحة، والدمع، ولأين عند القراء أو الذكر، وبعض مجاري
 الأحوال تارة تكون من الصدق، والحرب، والخوف، والدمع، والتألم، وربما يكون
 لمسه هذه حزن، وفدوة عليه، فيسكت الدس ولأين ويتجنى وذاك محمود،
 وقد قهره الرعية به نداه على أنه كتم الحرب، يعرف بذلك من حزنه هذه
 الداعية من الرياء، وإن امرت بدعية الحرب، من ثمه وقد ذكرها باسم كؤم
 وكية، وإن قد رثاها ذكر إياه دابة حسنة جرد، خوف عسيرة، وأمر من له حسنة تسمى
 وقد يكون أصل لأين عن الحرب، وإن يكن يده ويرد في رجع الصوت، من ربيعة
 رياء، وهو محذور، لأنها في حكم لانداء خرد الرياء، فقد خرج من الخوف ما لا يستلزمه
 معه منه، وإن كان يسقطه حائل الرياء، فيدعو إلى رياءه تحسن للصوت، ورفع له
 أو حفظ الدفعة على الوجه حتى تعبر أمكن السرب خشية الله، وإن كان يحفظ أثرها
 على الوجه لأجل الرياء، وكذلك قد اسمع لذكر فتصعب قوه من خوف فيسقط، ثم
 يستحي أن يقال له إنه سقط من غير رول عقل وحده مدد، ويرقى، وتواحد سكاء، يرى
 أنه سقط لكونه مغشياً عليه، وقد كان اتد، السقطه عن صدق، وقد يرول عقلاه،
 فيسقط، ولكن يفيق سريعاً، فخرج عنه أن يدل حبه عرفتة، وفيه هي كبرق
 خاطف، فيستدبر الرعدة والرمض ترى دونه حله، وكذلك قد يهريق عند الضعف
 ولكن يرول حبه سريعاً، فخرج أن يقال لم تكن عشيتة صحيحة، ولو كان لدام سمعه
 فيستديم إظهار الضعف والأثمن، فيتكى، على عرء، يرى أنه يصعب عن القيام ويتجنى
 في المشي، ويقرب الخطأ يظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي، وهذه كلها كيد الشيطان

ونزعات النفس قد حصرت مراحليها، أن تذكر أن النفس لو عرفوا ثقافتها في الباطن،
 وظهروا على صبرهم مقهوره، وأن الله مضع على صبره، وهو له أشد مقتا، كما روى عن
 ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق، فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكاف، فقال يا شيخ
 الذي يراك حين تقوم، مجلس الشيخ، وكل ذلك من أعمال المذنبين، وقد جاء في الخبر
 «تَعَوَّدُوا^(١) بالله من حُشْوَةِ النَّفْسِ» وفيه حشوة النفس في تحشع الجوارح والقلب غير خاشع
 ومن ذلك الاستعمار والاستمدة لله من عدايه وعظيمة، وإن ذلك قد يكون لحاظ
 خوف، وذكر ذلك وتنبه عليه، وقد يكون للمراعاة، وهذه حواطر ترد على القلب
 متعددة مرادفة متشعبة، وهي مع تقربها من الشهوة وأمرها فلتك في كل ما يخطر لك
 و نظر ما هو، ومن هو، فإن كان منه فأنه واحد مع ذلك أن يكون قد حشيت عليك
 شيء من أمر، الذي هو كدب من، ولكن على وحش من عداك هي مقوله أم لا لحولك
 على الإخلاص فيها، واحذر أن يحدث بك حذر الزكوة إلى حمد مد الشريعة والإخلاص
 في ذلك مما يكاد يحدث، وقد حضر لك في المنافع الله عينك، ومقتك، وتذكر
 مدله أحد الثلاثة ليس حو، يوب عليه السلام، إذ قل يا يوب، أما علمت أن العبد
 تضل عنه ثلاثيه أي كان قد دعاه عن نفسه، ونحري سريره، وفول إمامهم، أعوذ بك
 أن يرى الناس في حشيت وأنت في، وت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما
 اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامة العيون علي، وتقيح لك فيما أحسن سريري،
 تحفص على ربك النفس من هسي، ومصيبة من أنت مضع عليه مني، أنتي للناس أحسن
 أمري، ونهضي إليك أسوتهمي، نغز إلى النفس بحسرتي، وهو من مهم إليك بسببنا
 فيحل في مقتك، ويجب على غضبك أعذني من ذلك يارب العالمين
 وقد قال أحد الثلاثة نغز لأيوب عليه السلام: يا أيوب، لم تعلم أن الدين حفظوا أعلامهم
 وأصعوا سريره من الحشيت من الرحمن، أسود وجوههم؟

(١) ح بقى في الحشيت من حدث أي كرا، في فيه حارث من عبيد
 الأيادي ضعه أحمد وابن معين

وإحباط للعمل العظيم . فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمحمد الخلق ، وهم عاجزون
لأنهم يدرسون لي على ورق ولا أجل ؟ فيلزم ذلك قلبه

ولا يسمى أن يأس عنه ، فيقول إنما يقدر على الإخلاص الأوفياء ، فأما المحبطون فيبس
ذلك من شأنهم فينبغ للمعدة في الإخلاص لأن المحبط إلى ذلك أحوج من المتق ، لأن
المتق إن مسدت بوجهه بقيت فرصته كاملة ، والمحبط لا تحلوفرائضه عن النقصان ، والحاجة
إلى الحران بالنوافل . وإن لم تسد به أخوذ بالفرصة ، يهلك به . فالحط إلى الإخلاص أحوج
وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنه قال « يُحَاسِبُ الْعَبْدُ يَوْمَ
أَتَيْتُهُ مِنْ قَصِّ فَرْصَةٍ قَبْلَ أَنْ تَرُوءَاهُ لَهُ مِنْ نَصْوَعٍ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَنْ تَطْوُعَ أَكْمَلَ
بِهِ فَرْصَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصْوَعٌ حُدَّ نَصْرِيَّةٌ وَأَتَقَى فِي الدَّرَجَةِ ، فَبَاتِيَ الْمَحْطُومُ الْقِيَامَةَ
وَفَرْصَةً ، وَقَصَّ ، وَعَلَيْهِ دُوبٌ كَثِيرٌ ، وَحَتْمٌ ، وَدَهْ فِي حَرِّ الْمَرَاتِفِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ ، وَلَا يَمُكِّنُ
ذَلِكَ إِلَّا بِخُلُوصِ النَّوَافِلِ . وَأَمَّا الْمُتَقِيُّ ، فَجَهْدُهُ فِي رِبَادَةِ الدَّرَجَاتِ . وَإِنْ حَبِطَ تَطْوَعُهُ بَقِيَ مِنْ
حَسَنَاتِهِ مَا يَتَرَجَّحُ عَلَى السَّيِّئَاتِ ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ . » فإذا يسمى أن يلزم قلبه خوف اطلاع
غير الله عليه ، فيصيح بوافيه ثم يرد منه ذلك بعد المراع ، حتى لا يظهره ولا يتحدث به .
وإذا فعل جميع ذلك فيدعى أن يكون وحلا من عمله . سائفا أنه ربما داخل من الرياء الخفي
مما يقف عليه . فيكون شاكا في قوله ورده ، محورا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته
الخفية ما دقته بها ، ورد عمله بسببها . ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده
لأن استثناء المقدس لا يدعى أن يكون متيقنا في الاستثناء أنه محض ، ما يريد عمله إلا الله . حتى
يصبح عمله إذا شرع ووضعت لخصه بنكس فيه العملة والسيان ، كان الخوف من الغفلة عن
شائبة حمية أحبطت عمله ، من رياء أو عجب أولى به . ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه
لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص ، وشك في أنه هل أفسده رياء . فيكون رجاء القبول أغلب
وبذلك تمضم لذه في المداواة والطاعات . والإخلاص يقين وارياء شك وخوفه لذلك الشك
جدير أن يسكهر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو عاقل عنه . والذي يتقرب إلى الله
بالسمى في حوائج الناس وإفادة العلم ، يسمى أن يلزم منه رجاء الثواب على دخول السرور

ومكابد النفس وخفائها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينحصر منها إلا أن تخرج ماسوى
الله من قلبك ، وتتجرد بالشفقة على عباد قلة عمرتك ، ولا رضى لها من سبب شهوات
منغصة في أيام متقاربة ، وتكوب في ليل ككأنك من ملوك يد يدك قد تمسكت الشهوات ،
وسعدته لذات ، وسكن في مدته سقمه ، وهو يحف هلاله على مدته في كل ساعة لو اتسع
في الشهوات وعلم أنه لو حث على وجع شهوته عيش مدته ، وقد اعرف ذلك
جالس الأطباء ، وحارف الصيادلة ، وعود نفسه شرب الأبرية المرة ، وصبر على بشاعتها
وهجر جميع اللذات ، وصبر على مدتها ، فمدته كل يوم يزداد حولاً سنة ، وكان
سقمه يزداد كل يوم تقصصاً لشدة احتماله ، فمدته غصه إلى شهرة تفكر في توالى
الأوجاع والآلام عليه ، وأدب به من موت عرق ، وهو من سبب ، موجب اشامة
الأعداء به ، ومما اشتد عليه شرب دواء الكرم ، فمدته من شهوة ، الذى هو
سبب لئيم ، كنه وجبه ، في عيش عيش ، وهو من سبب ، وقت حتى هو صبر ، وقد وجف
عليه من حره لذات ، ومن ربه المكروهات ، فكذلك المؤمن المرید للملك الآخرة ، احتفى
عن كل هلاك في آخرته ، وهى الذات الدنيا وزهرتها ، فاجتزى به ، قليل ، واختار النحول
والمذل ، والوحشة ، والحر والحر ، ورث المؤمن ، حوله من أن يحل عليه
غضب من الله ويهلك ، ووجد أن حوله من مدته ، فمدته به عدسة يقيه ،
وبدته بمقابلة أمره ، وقد عدله من النعم التي في ، وهو تله الآداب ثم علم أن الله
كريم رحيم ، لم ير له من المراد من مرضته عو ، وهو يعو ، وبه يحلو ولوشاء
لأعدم عن التعب ، ولكن أراد أن يلو ، ويعرف صدق ، دهر حكمة منه وعدلا
ثم إذا تحمل التعب في بدايته ، أقبل الله عليه بالأمونة والتيسير وحط عنه الأعباء ، وسهل
عليه الصبر ، وحسب به الطاعة ، ورفعهم من مدته ، فمدته عن سائر اللذات
وقويه على إمارة الشهوات ، ويتولى سببه وتوابعه ، ومدته تواتره ، فإن الكريم
لا يسمع سمى الراحى ، ولا يجيب كل حب ، وهو من يتولى من تقرب إلى شدا
تقرب ياء ذرعاً ، وقول على العدل شوق لأمر ، من ، وفى إلى لقائهم أشد
شوقاً ، فيصير العبد في ألبديه حبه وسببه ، وحاله ، وهو من الله تعالى على القرب
ما هو اللقى ، نخوده ، وكرمه ، ورأيه ، ورحمته ، تمسك به ، وأحمدته وحده

لجنة نشر الثقافة الإسلامية ٣٠٠٠ ١٥٠٠ شركة حمادى الأولى - ١٩٥٧

فهرست الجزء العاشر

رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل	رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل
١٧٦٠ ٤	كتاب ذم البخل
١٧٦١ ٥	وزم من المال
١٧٦٢ ٦	باب ذم المال وكراهة حبه
١٧٦٤ ٨	الأثر الواردة في ذم المال
١٧٦٥ ٩	آثار الواردة في ذم المال
١٧٦٦ ١٠	باب مدح المال والجمع بينه وبين الذم
١٧٦٨ ١٣	فوائد المال الدينية
١٧٦٩ ١٣	الاستخدام
١٧٧٠ ١٤	الحجرات العامة
١٧٧١ ١٥	آفات المال
١٧٧٢ ١٦	تسويل سبل المعاشي
١٧٧٣ ١٧	النعم وما يترتب عليه
١٧٧٤ ١٩	الاشغال بالمال عن ذكر الله تعالى
١٧٧٦ ٢٠	باب ذم الخرس والتمسك بالمال
١٧٧٧ ٢٠	والرأس مما في أيدي الناس
١٧٧٨ ٢١	طمع الانسان
١٧٧٩ ٢٢	مدح التماسه
١٧٨٠ ٢٤	باب عن شدة الخرس
١٧٨١ ٢٥	باب عن التطلع
١٧٨٢ ٢٦	الآثار الواردة في الطمع والصناعة
١٧٨٣ ٢٧	مثال لطمع الأدي على لسان الطيور
١٧٨٤ ٢٨	طمع العالم يذهب علمه
١٧٨٥ ٢٩	باب علاج الخرس والطمع والادوار التي
١٧٨٦ ٣٠	يكتسب به صفة القناعة
١٧٨٧ ٣١	لأقرباء في ثلثة باب للصناعة
١٧٨٨ ٣٢	باب حكر في باب العدد
١٧٨٩ ٣٣	باب حسن وإساءة
١٧٩٠ ٣٤	التشبه بالصالحين
١٧٩١ ٣٥	باب في "المرء" هو واقع في ذم هو و هو
١٧٩٢ ٣٦	باب في المال
١٧٩٣ ٣٧	باب فضيلة السجاء
١٧٩٤ ٣٨	باب ذم السجاء
١٧٩٥ ٣٩	باب ذم السجاء
١٧٩٦ ٤٠	باب ذم السجاء
١٧٩٧ ٤١	باب ذم السجاء
١٧٩٨ ٤٢	باب ذم السجاء
١٧٩٩ ٤٣	باب ذم السجاء
١٨٠٠ ٤٤	باب ذم السجاء
١٨٠١ ٤٥	باب ذم السجاء
١٨٠٢ ٤٦	باب ذم السجاء
١٨٠٣ ٤٧	باب ذم السجاء
١٨٠٤ ٤٨	باب ذم السجاء
١٨٠٥ ٤٩	باب ذم السجاء
١٨٠٦ ٥٠	باب ذم السجاء
١٨٠٧ ٥١	باب ذم السجاء
١٨٠٨ ٥٢	باب ذم السجاء
١٨٠٩ ٥٣	باب ذم السجاء
١٨١٠ ٥٤	باب ذم السجاء
١٨١١ ٥٥	باب ذم السجاء
١٨١٢ ٥٦	باب ذم السجاء
١٨١٣ ٥٧	باب ذم السجاء
١٨١٤ ٥٨	باب ذم السجاء
١٨١٥ ٥٩	باب ذم السجاء
١٨١٦ ٦٠	باب ذم السجاء
١٨١٧ ٦١	باب ذم السجاء
١٨١٨ ٦٢	باب ذم السجاء
١٨١٩ ٦٣	باب ذم السجاء
١٨٢٠ ٦٤	باب ذم السجاء
١٨٢١ ٦٥	باب ذم السجاء
١٨٢٢ ٦٦	باب ذم السجاء
١٨٢٣ ٦٧	باب ذم السجاء
١٨٢٤ ٦٨	باب ذم السجاء
١٨٢٥ ٦٩	باب ذم السجاء
١٨٢٦ ٧٠	باب ذم السجاء
١٨٢٧ ٧١	باب ذم السجاء
١٨٢٨ ٧٢	باب ذم السجاء
١٨٢٩ ٧٣	باب ذم السجاء
١٨٣٠ ٧٤	باب ذم السجاء
١٨٣١ ٧٥	باب ذم السجاء
١٨٣٢ ٧٦	باب ذم السجاء
١٨٣٣ ٧٧	باب ذم السجاء
١٨٣٤ ٧٨	باب ذم السجاء
١٨٣٥ ٧٩	باب ذم السجاء
١٨٣٦ ٨٠	باب ذم السجاء
١٨٣٧ ٨١	باب ذم السجاء
١٨٣٨ ٨٢	باب ذم السجاء
١٨٣٩ ٨٣	باب ذم السجاء
١٨٤٠ ٨٤	باب ذم السجاء
١٨٤١ ٨٥	باب ذم السجاء
١٨٤٢ ٨٦	باب ذم السجاء
١٨٤٣ ٨٧	باب ذم السجاء
١٨٤٤ ٨٨	باب ذم السجاء
١٨٤٥ ٨٩	باب ذم السجاء
١٨٤٦ ٩٠	باب ذم السجاء
١٨٤٧ ٩١	باب ذم السجاء
١٨٤٨ ٩٢	باب ذم السجاء
١٨٤٩ ٩٣	باب ذم السجاء
١٨٥٠ ٩٤	باب ذم السجاء
١٨٥١ ٩٥	باب ذم السجاء
١٨٥٢ ٩٦	باب ذم السجاء
١٨٥٣ ٩٧	باب ذم السجاء
١٨٥٤ ٩٨	باب ذم السجاء
١٨٥٥ ٩٩	باب ذم السجاء
١٨٥٦ ١٠٠	باب ذم السجاء

رقم الصفحة رقم من الجزء مدخل	رقم الصفحة رقم من الجزء مدخل
١٨٤٠ ٨٤	١٧٩٩ ٤٣
١٨٤١ ٨٥	١٨٠٠ ٤٤
١٨٤٢ ٨٦	١٨٠٢ ٤٦
١٨٤٨ ٩٢	١٨٠٣ ٤٧
١٨٥١ ٩٥	١٨٠٤ ٤٨
١٨٥٣ ٩٧	١٨٠٥ ٤٩
١٨٥٥ ٩٩	١٨٠٦ ٥٠
١٨٥٨ ١٠٢	١٨٠٧ ٥١
١٨٦٠ ١٠٤	١٨١٠ ٥٤
١٨٦١ ١٠٥	١٨١١ ٥٥
١٨٦٢ ١٠٦	١٨١٢ ٥٦
١٨٦٤ ١٠٨	١٨١٤ ٥٨
١٨٦٥ ١٠٩	١٨١٥ ٥٩
١٨٦٦ ١١٠	١٨١٦ ٦٠
١٨٧١ ١١٥	١١٣٠ ٦٤
١٨٧٢ ١١٦	١٨٢٨ ٧٢
١٨٧٣ ١١٧	١٨٢٩ ٧٣
١٨٧٤ ١١٨	١٨٣١ ٧٥
١٨٧٥ ١١٩	١٨٣٤ ٧٨
١٨٧٦ ١٢٠	١٨٣٦ ٨٠
١٨٧٩ ١٢٣	١٨٣٧ ٨١
١٨٨٠ ١٢٤	

السطر الثاني من الكتاب

في طلب الجاه والمزلة بالاصوات

جاهه دم الرياء - آيات دم الرياء

أحاديث دم الرياء

الأثر في ربه في دم الرياء

بذمه خفيه في الرياء ومبراهي به

الرياء بالبدن - الرياء بالهيئة والزي

الرياء بالمال

الرياء بالعلم - الرياء بالاصحاب والزائرين

حكم الرياء

جاهه دم الرياء - فضل الرياء

الرياء في الدنيا والآخرة

سجاء الجحيل عند موته لا يجمع

الآثار الواردة في دم الجحيل

حكايات الجحلاء

جاهه الآثار وفضله

الآثار على درجات السجاء

بعض أمثلة الآثار

أثر على كرم الله وجهه ومجاهدة الله به ملائكة

جاهه حد السجاء والحدود فيه

حد الجحيل

حد الحدود

حد الجحيل والحدود لا يفر إلى

الجحيم في الدين

بجاهه علاج الجحيل

حب المال كوسيلة لغناء الشهوات

حب المال لذاته

علاج الجحيل بالرياء

جاهه مجموع المؤلفات التي على الصدق في مال

معرفة فيجته

كيفية من خلال

اكتساب قدر الحاجة

معاقة في الحلال

نية الاستعانة على العادة

جاهه دم القوي ومصدق القفر

كلام المحاسن في إعطاء غناء السوء

مؤامرة بين السلف والخلف

فقه أمثلة من حاسب

بعضه في جمع المال يلبي عن المرائين

حكم الله به

عدم قبول توبته

حب المال في حبه

كتاب ذم الجاه والرياء

جاهه ذم الرياء في الدنيا والآخرة

جاهه ذم الرياء في الدنيا والآخرة

رقم الصفحة رقم	رقم الصفحة رقم	من الجمل	من الجمل
١٢٥	١٨٨١	الرياء بالعادات المفروضة	١٥٣ ١٩٠٩
		الرياء بالنوازل	١٥٣ ١٩٠٩
١٢٦	١٨٨٢	الرياء بأوصاف العادات	١٥٣ ١٩٠٩
١٢٧	١٨٨٣	الرياء بالسكولات في العادة	١٥٣ ١٩١٠
		الرياء بالزيادات في الله	١٥٣ ١٩١٠
		الرياء بالطاعة للمعصية	١٥٣ ١٩١٠
١٢٨	١٨٨٤	الرياء بالطاعة لئيل حاتم من خطوط الله	١٥٣ ١٩١١
		الرياء بالطاعة لئيل حاتم	١٥٣ ١٩١١
١٢٩	١٨٨٥	الرياء الخفي الذي هو أخفى من	١٥٣ ١٩١٣
		ديب السيل	١٥٣ ١٩١٣
١٣٣	١٨٨٩	ما يجب على العمل من الرياء الخفي	١٥٣ ١٩١٩
		والخفي وما لا يحيط	١٥٣ ١٩١٩
		وارد الرياء بعد الفرج من العمل	١٥٣ ١٩٢١
١٣٨	١٨٩٢	بيان دواء الرياء ورفق معه	١٥٣ ١٩٢٢
		التمس به	١٥٣ ١٩٢٢
		الرياء	١٥٣ ١٩٢٢
١٣٩	١٨٩٥	علاج طلب المحمدة عند الناس	١٥٣ ١٩٢٦
١٤٠	١٨٩٦	علاج الطمع فيما في أيدي الناس	١٥٣ ١٩٢٧
		علاج خوف مذمة الخلق	١٥٣ ١٩٣٠
١٤٩	١٩٠٥	بيان الرحمة في قصد اظهار العادات	١٥٣ ١٩٣٠
		يظهر نفس العمل	١٥٣ ١٩٣٠
		التحدث بالعمل بعد الفراغ منه	١٥٣ ١٩٣٠
		الرياء في كمال الدواب وكراهة	١٥٣ ١٩٣٠
		بطلان الناس عليه ودهم له	١٥٣ ١٩٣٠
		الفرح بكراهة المصيبة	١٥٣ ١٩٣٠
		أمر من الدواب	١٥٣ ١٩٣٠
		كراهة سم	١٥٣ ١٩٣٠
		لأذى بالدم	١٥٣ ١٩٣٠
		كراهة الدم لعيان الدمام	١٥٣ ١٩٣٠
		بتر الدب خوفا من عاقبه	١٥٣ ١٩٣٠
		بتر الدب حياء	١٥٣ ١٩٣٠
		ترك الطاعات خوفا من الرياء	١٥٣ ١٩٣٠
		ودخول الآفات	١٥٣ ١٩٣٠
		الانصاف	١٥٣ ١٩٣٠
		الوعظ والفتوى	١٥٣ ١٩٣٠
		صفة الواعظ	١٥٣ ١٩٣٠
		علامات الواعظ الصادق	١٥٣ ١٩٣٠
		الحسن والحجاج	١٥٣ ١٩٣٠
		بيان ما يجب من نشاط العبد للعامة	١٥٣ ١٩٣٠
		رؤية الخلق وما لا يصح	١٥٣ ١٩٣٠
		امثلة من خشوع الساق	١٥٣ ١٩٣٠
		بيان ما ينبغي للبريد أن يدرم منه قبل	١٥٣ ١٩٣٠
		تعمل ويمنه وفيه	١٥٣ ١٩٣٠

لجنة
نشر الثقافة الإسلامية
مدار حميد، سهار، لا سلاي

أَحْيَاءُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الدِّينِ

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء العاشر

مضاف إليه
تخريج الحافظ العراقي

كِتَابُ فَتَحِ الْكَبِيرِ وَالْعَجَبِ

كِتَابُ ذَمِّ التَّكْبَرِ وَالْعَجْبِ

وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات
من كتب إحياء علوم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الخالق ، الباري ، المدبر ، العزيز ، الحكيم ، العلي الذي لا يخضع من عبده
واضع ، الجبار الذي كل جدار له ذليل خاضع ، وكل متكبر في حساب عرصة مسكين متواضع .
فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع . العلي الذي ليس له شريك ولا معاد . القادر الذي
سهر أنصار الخلائق جلالة وسعته . وقهر العرش المجيد استوائه واستعلاءه واستبلاؤه . وحصر
السنن الأنبياء وصفه وشأنه . وارتفع عن حد قدرته إحصاؤه واستقصاؤه . فاعترف بالعجز
عن وصف كنه جلالة ملكوته وأبدؤه ، وكنه ظهوره لا كسرة عرصة وعلاؤه . وقصر
أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه . فاعطاه إزاره والكبرياء رداؤه ، ومن نازعه فيها قصمه
بذات الموت فاعجزه دعوؤه . حل جلالة وتقدس أسمائه . والصلوة على محمد الذي نزل عليه
النور المنير صوره ، حتى شرف سوره كفاف العالم وأرحامه . وعلى آله وأسمائه الذين
هم أحياء الله وأولياؤه ، وخيرته وأصفيائه . وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : أتكثرون يا رسل الله والعظمة
إزارى من أرغني فيهما عظمتي » وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مهلكات : شح
مطاع وهووى متبع وإعجاب المرء بنفسه » فالتكبر والعجب داء آثم مهلك . والتكبر

(كتاب ذم التكبر والعجب)

(١) حديث قال الله تعالى : « أتكثرون يا رسل الله » أى قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتكثرون يا رسل الله ؟

ذكر العظمة وقال صحيح على شرطه ثم وعدهم في العلم وسياق بعد حديثين « مطاع »

(٢) حديث ثلاث مهلكات : الشح ، الخبث ، البخل . والخبث هو البخل . والخبث هو البخل . والخبث هو البخل .

صحيح وتقدم فيه أيضا

والمعجب سقيان مرطون : وهما عند الله ممتوون فيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات ، وحب إيصاح الكبر والمعجب بإيهام من قبائح المرديات ونحو ستة هي ياهما من الكتاب في شطرين ، شطر في الكبر ، وشرط في المعجب

السطر الأول

من الكتاب في الكبر

وفيه بيان ذم الكبر ، وبيان ذم الاحتيل ، وبيان فضيلة التواضع . وبيان حقيقة التكبر وآفته ، وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر ، وبيان ما به التكبر ، وبيان الواعظ على التكبر ، وبيان أخلاق المتواضع وما فيه بظهر الكبر ، وبيان علاج الكبر . وبيان امتحان النفس في حق الكبر ، وبيان المأمود من خفي التواضع والمذموم منه

بيان

ذم الكبر

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه ، وذم كل حار متكبر ، فقال تعالى (سَأَصْرِفُ عَنْ آتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِفِرَاقٍ مُتْرَكٍ) (ص) ، وحل (كذا) يطبع الله على كُنْ قَدْ مُنِكَتَ حَمَارٌ ^(١)) وقال تعالى (وَأَسْمُنْ وَحَابٍ كُنْ حَمَارٌ عِيدٌ ^(٢)) وقال تعالى (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ ^(٣)) وقال تعالى (اقْبَلُوا كُفْرًا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوً كَبِيرًا) (إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عَادَتِي سَمْعًا حَلُونَ حَتَمٌ دَاخِرِينَ ^(٤)) وذم الكبر في القرآن كثير ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَنَافَةٌ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ وَلَا يَدْخُلُ الدَّرَجَاتِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَنَافَةٌ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ يُبَابٍ » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه خردل من كبر ولا يدخل الدار من كان في قلبه منافاة حبة من زبد . مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) (عرف : ١٥٦) (٣) (عرف : ٣٥٥) (٤) (عرف : ١٥) (٥) (عرف : ٢٣) (٦) (عرف : ٢٠)

الآيات التي بها ذم الكبر

أما ذم الكبر

من حديث أبي هريرة

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِن أَحَبَّكُمْ إِلَيْنَا وَأَقْرَبُكُمْ مِنَّا فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَنْفُسَكُمْ إِلَيْنَا وَأَتَعَدَّكُمْ مِنَ التَّرْتِبُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا »
 قالوا يا رسول الله قد علمنا الترتيبون والمتشددون ، فما المقيفون ؟ قال « الْمُسْكِرُونَ »
 وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « يُخْشَرُ الْمُسْكِرُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِي مِثْلِ صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ ذَرَفِي مِثْلِ صُورِ الرَّحْلِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَرِ ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَى سَخْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ نُؤَسْنُ يَعْدُوهُمْ مِنَ الْأَثَرِ يُسْقُونَ مِنْ ثَلَاثِ الْخَبَالِ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ »
 وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) « يُخْشَرُ الْخَثَرُونَ وَالْمُسْكِرُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ لَهَا سَمٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي ردة ، فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) أنه قال « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيَيْنِ يُقَالُ لَهُمَا مَبِيتٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُشْكِبَهُ كُنَّ حَبَّارَةً فَبَايَاكُ يَابِلَالُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَيْكِهِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) « إِنَّ فِي الدَّارِ قَصْرًا يُجْمَلُ فِيهِ الْمُسْكِرُونَ وَبُطْبِقٌ عَلَيْهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَجَةِ الْكِبَرِيَاءِ »

(١) حديث إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحسنكم أخلاقاً - الحديث - أحمد من حديث أبي ثعلبة الخنسي

القعدي وممن وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في باب العس أول الحديث

(٢) حديث يخشرون يوم القيامة ذرا في صور الرحل - الحديث : الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال حسن حديث

(٣) حديث في هريرة يخشرون يوم القيامة ذرا في صور الذر - الحديث : البراء هكذا مختصرا دون قوله الخثرون واستاده حسن

(٤) حديث أبي موسى أن في جهنم واديين له مبيت حتى يحس الله أن يشكبه كل حبار أو يبي وطيراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أنهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وورد له في المصنف هذا الحديث

(٥) حديث أن في النار قصر يعمل فيه مسكروا وممن عليه السبق في شعب من حديث أسس وقال نوايت مكان قصر أو قال يعمل مكان بطس وفيه ثاب بن عبيد وهو صحيح

(٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من هجة الكبرياء وأره هدا يروى أبو داود وممن حجه من حديث جابر بن مضمع عن النبي صلى الله عليه وسلم في ثناء حديث أعوذ بالله من شيطان من يهجه ويهجه وعمره

قال عنه الشعر ومعه الكبر وعمره سوتة ولا صاحب الدين من حديث أبي سعيد الخدري نحوه

تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب

[illegible]

ما

دم الاخيرات وظهر آثار السكر في الشئ وحر الثوب

وَلَقَدْ سَوَّاهُ لَنَا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) «لَا تُفَرِّقُ اللَّهُ بَيْنَ رَحْمَتِي وَرَحْمَةِ إِبْرَاهِيمَ نَصْرًا» وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) «لَا تُفَرِّقُ اللَّهُ بَيْنَ رَحْمَتِي وَرَحْمَةِ إِبْرَاهِيمَ نَصْرًا»

(١) حديث عن ثوري. وجه حده وهو يرى من ثلثة دحل خه الكبر والدين والعقول القمدي واللساني
 ومن صاحبه من حديث ثوبان وبكر بن الصديق له حديث هذا ما وصى به ثوري في الرواية
 انه لا يكبر ما وجدوا وراءه كمن ذكر من ثوري في جمع ما يند عن الدرر فيقال انه هو الكبر
 ما حول واري وكذلك ما ذكر ان مردويه الطرث في عديرو ومن كقول له وهو النصة

(۲) حدیث لا یشتر الله فی حربه اعداءه فخرنا منہ من حدیث و عریبہ

(٣) حديث بن عمر رضي الله عنهما في زوجه وقد تحبها بعه الحديث . معنى فيه من حديث أبو هريرة

م ۴ : عبادی عشر - احیاء

(۹) لغات، ۴۹

(وَلَا تَنْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا زَيْتٌ أَنْ تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَأَنْ تَنْفُخَ الْحَدِيدَ طُولًا^(١))
 ومروا الحسن شاب عليه برة له حسنة ، فدعاه فقال له : يا آدم معجب بشأناه ، معجب
 لشئنا الله ، كأن القبر قد وارى مدث ، وكأنك قد لايت عمك . ويحكك دأو قدك ، فإن
 حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستحب
 فطرا إليه طرس وهو يحد في مشيته . فمر حسنة أصمته ثم قال : بدت هذه مشية
 من في نظره حرة . فقال عمر كالعتذر . يا عمر لقد صرت كل عضو مني على هذه المشية حتى
 تدمتها . ورأى محمد بن واسع ولده يحد . فدعاه وقال : أتدري من أنت ؟ أما لك فاشترها
 بمائتي درهم . وأما أبوك فلا . كثر الله في المسلمين مثله . ورأى ابن عمر رجلا يحد بداره
 فقال : إن للشيطان إخوانا . كررها مرثيا أو لا . . . وروى أن مصرف بن عبد الله
 ابن الشخير رأى المهاب وهو يتختر في جبة حرة . فقال : عبد الله ، هذه مشية يبعثها
 الله ورسوله . فقال له المهاب : أما تعرفني ؟ فقال بلى أعرفك . أو لا . لئمة مدرة . وحرك
 جيفة مدرة . وأنت بين ذلك تحمل المدرة . فخصى المهاب ورث مشية ذلك . وقال محمد
 في قوله تعالى (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى^(٢)) أي يتحدر
 وإذا ذكر ما دم الكبر والاحتيال . فذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم

بيان

فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) : مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا مَعْرُوفًا إِلَّا عِزًّا وَوَسَّعَ
 أَحَدَهُ اللَّهُ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ . وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) : مَا مِنْ حَدِيدٍ إِلَّا وَهُوَ مَدِينٌ
 وَعَيْنُهُ حَكْمَةٌ يَتَسَكَّنُهَا مَنْ هُوَ رَفِيعُ مَنْسَبٍ جَبَدَهَا نَمْرٌ لَا تَأْلَهُمْ صَعَةٌ وَإِنْ وَصَّعَ

(١) حديث مرسل . والله سبحانه وتعالى أعلم . أخرجه ابن جرير . وفيه تقدم

(٢) حديث مأمون أحد الأئمة . أخرجه ابن جرير . وفيه تقدم . أخرجه ابن جرير . وفيه تقدم

في "شأن من حدث أدهر" . والشيخ "شأن من حدث" . ابن جرير . وكلاهما صحيح

(١) كان يطعمه ، فداء رجل أسود به جذري قد تمشر ، فجعل لا يحبس إلى أحد إلا قام من جنبه . فأحسبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى حبه . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِيَّاهُ يُعْتَبَرُنِي أَنْ يُخَوِّلَ الرَّحُلُ الشَّيْءَ فِي يَدِهِ يُكُونُ مَهْمَةً لِأَخِيهِ بِدَفْعِهِ » أنكر عن نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) « لا أرى غديكم حلاوة العبادة » قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال « التواضع » قال صلى الله عليه وسلم (٤) « إذا رأيتم التواضع من مني فواضعوا لهم وذا رأيتكم أنكرين فاكثروا عليهم فإنه ذلك مدله لهم وضاغرة الآثار » قال عمر رضي الله عنه بن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته . وقال أنس رضي الله عنه . وإذا أنكر وعدا طوره رخصه الله في الأرض ، وقال الحسن حبسك الله فهو في همه كبير ، وفي أعين الناس حقير ، حتى أنه لا يحقر عديم من الخبز . وقال جرير ابن عبد الله . انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل قائم ، قد استظل بنطع له ، وقد جاوزت الشمس النطع ، فسويته عليه . ثم إن الرجل استيقظ ، فإذا هو سلمان الفارسي . فذكرت له ما صنعت . فقال لي : يا جرير ، تواضع لله في الدنيا ، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة . أتدري ما طلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا . قال إنه طلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها : إنكم لتفخرون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يحرق قليل الورع من كثير العمل ، ويحرق قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال المصلي . وقد سئل عن التواضع ما هو فقال : أنت تحصم لاحق وتقادله ، ولو سمعته من صبي ملته ، ولو سمعته من أهل البيت فله . وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تصنع نكبات عديم دواك في حمة لذي ، حتى تعلم أنه ليس لك يدراك

الآثار في دم
الكبر ودم
التواضع

(١) حديث كان يطعمه رجل أسود به جذري جعل لا يحبس إلى أحد إلا قام من جنبه فأحسبه النبي

صلى الله عليه وسلم إلى حبه . وأما هذا : أو مردي أنه مع حرمه وأهله أو نود والتدري

وقال جرير بن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته

(٢) حديث إذا رأيتم التواضع من مني فواضعوا لهم وذا رأيتكم أنكرين فاكثروا عليهم فإنه ذلك مدله لهم وضاغرة

(٣) حديث لا أرى غديكم حلاوة العبادة . قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال « التواضع »

(٤) حديث إذا رأيتم التواضع من مني فواضعوا لهم وذا رأيتكم أنكرين فاكثروا عليهم فإنه ذلك مدله لهم وضاغرة

الآثار في دم

عليه فضل وأن ترفع نفسك عن هو وموتك في الدنيا ، حتى تعلم أنه ليس له مدنياد عليك فضل وقال قتادة : من أعطى مالا أو حبالا أو ثيابا أو عساة ثم لم يتواضع فيه ، كان عليه وبالايوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إذا أمنت عليك سمعة فاستقلها بالاستكانة أتمها عليك ، وقال كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها الله أو تواضع لله ، إلا أعطاه الله مالا ، ورفعه في درجة في الآخرة ، وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا لم يشكرها ، ولم يتواضع لله ، إلا سمعه الله سمع في الدنيا ، وفتح له طوقا من النار يومئذ .

إسناده : الله توبته وزعمه . ومين أحمد المالك بن مروان ، أي الرحمن ، فضل قال من تواضع عن قدرة ، ورفعه عن رعية ، وترك البصرة عن قوة ، ودخل ابن السماك على هارون فقال : يا أمير المؤمنين ، إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك . فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين . إن مرأى آية الله حملا في حقه ، ومودعا في حسبه ، واسطاه في ذات يده ، فف في جملة ، وواسى من ماله ، وتواضع في حسبه ، كتب في ديوان الله من خاص أولياء الله . فدعا هارون بدواه وقرطاس وكتبه بيده . وكان سليمان بن داود عليها السلام إذا أصبح ، تصبغ وحوه الأديان والأشراف ، حتى يحيى إلى المساكين فيقدمهم ويقول : مسكين مع مساكين . وقال معهم كما تذكروا أن يراك الأعيان في الثياب الدون فكذلك فأكروا أن يراك الفقراء في الثياب من نعمة . وروى أنه خرج يوس وأيوب والحسن يتدأكرون التواضع ، فقال لهم الحسن : أندرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من مراك ولا تنق مسلما إلا رأيت أنه عليك فضلا . وقال مجاهد : إن الله تعالى لما عرق قوم نوح عليه السلام . شمتت الجبال ونطوان ، وتواضع الخوذي ، ورفعه الله فوق الجبال وحين قرار السمعة عليه . وقال أبو سيار : إن الله عز وجل أطام على الملوك الآدميين ، فلم يجد قلب أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام ، فخصه من بينهم بالكلام .

وقال يوس بن عبيد : وقد انصرف من عرفت لم أشك في الرحمة لولا أنني كنت معهم أني أخشى أنهم حرموا سبي . ويقال : أرفع ما يكون أو من عند الله ، أوضع ما يكون عنده .

وأوضع ما يكون عند الله ، أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد لم يري الزاهد غير تواضع كالشجرة التي لا تنمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شرما

رحلاً ، وثمة ما كان أحد يستقي إلى الرب ، إلا ما كان مودة أو سعي ، بل فما مع
 ابن المارك مولهول ، هذا ما كان له ، وكان له من أحب إليه ما كان له ،
 وقال موسى بن القاسم : كانت عند ربه وريح حمراء ، مدهمت إلى محمد بن مقل
 فقلت يا أبا عبد الله ، أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا ، فكنى ثم قال : إني لما كر سب
 هلاككم . قال فرأيت إلى سبلى الله عليه وسلم في اليوم مقل ، إن الله عز وجل رفع
 عنكم بدعاء محمد بن مقل ، وحاء رجل إلى الشبي رحمه الله مقل له . ما أت ، وكانت
 هذا دأه وعده . فقال : المنة التي تحت الماء ، قال له الشبي : ناد الله شاهداك
 أو تحمل أميت موصفا ، وقال الشبي في أميت كلامه : من عظماء اليهود ، ويقال من
 يرى لهه قيمة ميس له من التواضع ، وعين أو التواضع شرف ، بل رأيت
 على أنى طاب ربي الله عز وجل في الماء ، فبأنه طاب ربي الله عز وجل ، أحسن
 التواضع بالأغنياء في عائلته ، رعة منهم في ثواب الله . وأحسن من ذلك تيه الفقراء
 على الأغنياء ، ثم إنهم عز وجل ، ولا توضع بعد حتى تعرف الله
 وهل أو يريد ، مادام بعد صرا في الحس من هو شر منه ، وهو منكبر ، فقل
 له حتى يكون ، تواضعا ، فقل له بر الله عز وجل ، ولا توضع كل إحسان على قدر
 معرفته بره عز وجل ، وهو مرته . قال أبو سليمان ، لو اجتمع الخلق على أن يضموني
 كاتبا ، عني ما قدروا عليه ، وروى بن الورد . التواضع أحد مصايد الشرف
 وكل حمة محسود عليه صاحبه ، لا تواضع ، ولا يحسب من حمة الكبر ، الشرف إذا تشك
 تواضع ، والسفيه إذا تشك تماطم ، ولا يحسب من ممد الكبر على ذوي الكبر ، بل تواضع
 ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن ، وفي الأغنياء أحسن . والتكبر في الخلق
 كلهم فحش ، وفي الفقراء فحش . ويقال لأمر إلا من تدس الله عز وجل ، ولا رعة ، إلا من
 تواضع لله عز وجل ، ولا أمر إلا من حاف الله عز وجل ، ولا ربح إلا من ابتاع الله
 من الله عز وجل . وقال أبو علي الحورحلي : اللهس معجوه بالكبر ، والحرص ،
 والحسد ، من أراد لله تعالى هلاكه مع منه التواضع ، والصحيحة . والله عز وجل ، وإذا أراد
 الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك . وإذا حاجت في الله ناز الكبر أدركها التواضع ،

مع حسرة الله تعالى وإدراكهاحت راحته في نفسه أدركتم المعجزة مع توفيق الله عز وجل وإدراكهاحت في نفسه نار الحرص أدركتها القاعة . مع عون الله عز وجل

وعن الحيد رحمه الله : أنه كان يقول يوماً الجمعة في محاسنه ، لولا أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « كُتِبَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ زَعِيمُ الْقَوْمِ أُرْدَلُهُمْ » ما تكلمت عليكم .
 وقال الحيد : هذا التواضع عند أهل التوحيد تكبر . وأمل مراده أن التواضع شئت نفسه ثم يضعها ، والوحيد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى تضعها أو يرفعها .

وعن عمرو بن شبة قال : كنت عكة من السما والمروة ، فرأيت رجلاً راكماً مائة وبن يديه علامان ، وإدغم يعمون الناس . قال ثم عدت بعد حين ، فدخلت بغداد ، فكنت على الحمر ، فإذا أنا برجل حاف حلس حول الشجر ، ول محمداً أنظر إليه وأتمله ، فقلت لي مالك أنظر إلى ؟ فقلت له شئتك برجل رأيتك عكة ، ووصفت له الصفة فقال له :
 أ. ذلك الرجل وقت ما فعل الله لك ، فقال لي تروفت في موضع يتواضع فيه الناس .
 فوصفني الله حيث يرفع الناس . وقال المعيرة : كما سباب .
 إبراهيم الخمي هبة الأمير وكان يقول إن زماناً صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء ، وكان عطاء السمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد ، وأخذ يبطئه كأنه امرأة محض ، وقال هذا من أجبي بعبيدكم ، أو مات عطاء ، لا استراح الناس . وكان شرا الحفي يقول : سلاموا على أساء الدنيا برك السلام عليهم .
 ودعا رجل أبا عبد الله بن المبارك فقال : أعطاك الله ما ترحوه . فقال إن الرعاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة ؟ وتفاخرت قريش عند سلعان الفارسي رضي الله عنه يوماً ، فقال سلمان :
 لسكني خلقت من نقطة نذرة ، ثم أعرد جبعة منتنة ، ثم آتى الميزان حين ثقل فأنا كريم ،

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أردلهم . الترمذي من حديث أبي هريرة : إذا نادى ، وولا حديث : يا أيها الناس أعوذ بكم من أردلهم . الحديث . وقال عريب وله من حديث علي بن أبي طالب : إذا ماتت أمي خمس عشرة ليلة حل بها . التلاوة فذكر مر وكان زعيم القوم أردلهم ولأبي إمام في حديث من حدث حدثه من اقتراب الساعة أثني وسبعون خصلة فذكرها منها وفيها ما

منح من صلاة صديق

وإن خف فأنا إليهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وحدهما الكبر في التقوى ،
والعجب في اليقين ، والشرف في النواصيح . بسأل الله الكريم حسن التوفيق

بيان

حقيقة الكبر وآفته

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر . فالباطن هو خالق في النفس ، والظاهر هو
أعمال تصدر عن الخواارج واسم الكبر باطن الباطن أحق . وأما الأعمال وإياها ثمرات
لذلك الخلق وحق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الخواارج يقال كبر
وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر . فالأصل هو الخلق الذي في النفس . وهو الاسترواح
والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه . وإيا الكبر يستدعي متكبراً عليه ، ومتكبراً به
وبه ينمصل الكبر عن العجب كما سيأتي . فإن العجب لا يستدعي عجباً للعجب بل لو لم
يأت إلا وحده تصور أن يكون معه ، ولا يتصور أن يكون متكبراً ، إلا أن
يكون مع غيره ، وهو يرى نفسه فوق ذلك العجب في صفات الكمال ، وعند ذلك يكون
متكبراً . ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً ، فإنه قد يستعظم نفسه . واسمه
يرى غيره أعظم من نفسه . أو مثل نفسه ، فلا يتكبر عليه . ولا يكفي أن يستحق غيره
فإنه مع ذلك لورأى غيره مثل نفسه لم يتكبر . بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ، ولغيره
مرتبة ، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره . فمعد هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل
فيه خالق الكبر ، لأن هذه الرؤية في الكبر . بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تهيج
فيه ، فيحصل في قلبه اعتداد ، وهرة . وفريح . وركون إلى ما اعتقده ، وعزف عنه سبب
ذلك . فذلك العرة ، والهرة ، والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر . ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ('أعوذ بك من نفخة الكبرياء') وكذلك قال عمر أحشى أن
تدفع حتى تسف اثرياً ، للذي استأذنه أن يعطيه بد صلاة الصبح

الفرق بين
الكبر والعجب

فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين ، وهو الاستمطام ، كبر وانتفخ وتبرز .
فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ، وتسمى أيضا عورة وتعلما
ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى (إِنِّي فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَثِيرٌ مَّا يَتَّبِعُهُ ^(١))
قال عظمة ميموها . فصر الكبر تلك العظمة . ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر
والباطن هي ثمرات . وتسمى ذلك تكبرا . فإيه مما عظم عده قدره بالإضافة إلى غيره
حقير من دينه ، وازدراه . وأنصاه عن نفسه ، وأبعده ، وترفع عن محنته ومؤاكله
ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره . فإن كان أشد من ذلك استنكف
عن استجدائه ، ولم يجعله أملا لا قيم بين يديه ، ولا بخدمة عتبته . فإن كان دون ذلك قيا بم
من مساواته ، وتقدم عليه في مصابق الطرق ، وارتفع عليه في المخافل ، وانظر أن يبداه
بالسلام ، والتمدد قصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه . وإن جاح أو ناظر أن يرد
عليه . وإن وعط استنكف من القبول . وإن وعط عطف في الصبح . وإن رد عليه شيء
من قوله غصب ، وإن علم لا يرفق بالمتعلمين ، واستدلهم ، واتهمهم . وإن لم يلهم ، واستخدمهم
ويظهر إلى العامة كأنه يطر إلى الخير ، استجده لآلهم واستعقرا . والأعمال الصادرة
عن خلق الكبر كثيرة ، وهي أكثر من أن تحصى ، فلا حاجة إلى تعدادها إنها مشهورة
فهذا هو الكبر ، وآمنه عظيمة ، وعاقبته عنة ، وفيه يهلك الخواص من الحق ، وقلمها
يملكه العباد ، والرهز . والمص . وميلا عن عوام الحق . وكيف لا تعظم آفته وقد
قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لا يدخل الجنة من في فمه شئ من كبر » وإنا
صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها ، وتلك الأخلاق
هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يعاقب تلك الأبواب كلها ، لأنه لا يقدر على أن يحب
للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من المر . ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين
وفيه المر . ولا يقدر على ترك الحقد وفيه المر . ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه المر
ولا يقدر على ترك العصب وفيه المر . ولا يقدر على كظم العيظ وفيه المر . ولا يقدر على

بعض أعمال
التكبر

(١) حديث لا يدخل الجنة من في فيه شيء من كبر

يذبحا أنت رب تبارك وتعالى صرت عبداً لغيري فاستكشف عن عبودية الله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم (١) وقالت قریش فیما أخبر الله تعالى عنهم (لَوْلَا رُؤِيَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِیْقَتَیْنِ عَظِیمٍ ^(٢)) ولقد قدوة عظیم القریبتین هو الولید بن المغيرة وأبى مسعود الثقفی طلبوا من هو أعظم ریاسة من الی صلی الله علیه وسلم ، إذ ولوا علام یتیم کیف بعثه الله إلینا . فقال تعالى (هُمْ مُسْمُومُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ ^(٣)) وقال الله تعالى (یَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَدَا ^(٤)) یتعجبوا لهم واستعباداً لتقدمهم وقالت قریش رسول الله صلی الله علیه وسلم . ^(٥) کیف یجلس إلیک و عندک هؤلاء یتأروا إلى فقراء المذاهب ، فاردروهم فاعینهم لافقرهم ، وتکبروا عن محاللتهم . ونزل الله تعالى (وَلَا تَصْرُدُ الَّذِينَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ^(٦)) إلی قوله (عَذِيبٌ مِنْ حَسْبِهِمْ ^(٧)) وقال تعالى (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ الَّذِينَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ یُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زُرَّتِهِمْ ^(٨)) ثم أخبر الله تعالى عن تقدمهم حين دحوا جهم ، إذ لم یروا الذين اردوهم ، فعلموا ما لا لاری رجلاً کما عددهم من الأشرار . فیل یملون عماراً ولالاً وسبیلاً . والمقداد رضي الله عنهم ثم کان منهم من سمعه الذکیر عن الذکر والمعرفة شغل کونه صلی الله علیه وسلم محققاً ومنهم من عرف به معه الذکر عن الاعتراف . ولله تعالى عماراً ^(٩) (وَلَمَّا حَاكُمُوا عَرَفُوا كِبَارَهُ ^(١٠)) وقال (وَحَدَّثُوا بِمَا وَاسْتَفِیَتْهَا أَفْسُهُمْ ضَلَّاهُ ^(١١)) وهذا الذکر قریب من الذکر علی الله عز وجل ، وإن کان دونه ، والذکر تذکر علی قول أمر الله ، والواجب لرسوله

القسم الثالث : التکبر علی العباد . ودان بأن یتعظم نفسه ، ویستعقر غیره . فتأبى نفسه عن الاتقیاد لهم ، وتدعوه إلى الترفع علیهم ، فیرد ربهم ویستغفرهم . ویأنف من مساواتهم وهذا وإن کان دون الأول والثانی ، فهو أکبر عظیم من وحین

(١) حدیث فاب قریش رسول الله صلی الله علیه وسلم کیف یجلس إلیک و عندک هؤلاء . حدیث .
فی قول قوله تعالى - ولا تَصْرُدُ الَّذِينَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ - من حدیث - عذیب من حَسْبِهِمْ -
قال قتادة المذکور وقال بن ماجة وکذا فی قریش

(٢) حرف ٣١ (٣) حرف ٣٢ (٤) حرف ٣٣ (٥) حرف ٣٤ (٦) حرف ٣٥ (٧) حرف ٣٦ (٨) حرف ٣٧ (٩) حرف ٣٨ (١٠) حرف ٣٩ (١١) حرف ٤٠

وقتل المتكبر الذي حاله ، والذي أمره كبراً ، وقال بن مسعود كفى بالرجل إثماً إذا قيل له اتق الله هل عليك فساد. وروى صلى الله عليه وسلم 'الرجل' كُنْ مَبِيكْ ذَنْبٌ لَا تُسْتَطِيعُ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ' لا اختصمت ' مع منعه لا كبره . قال فافهمها مدد لك أى اعتلت يده . وإد كبره على الخلق عظيم ، لأنه سيدعو به إلى التكبر على أمر الله . وإذا ضرب الإنسان مثلاً لهذا ، وما حكماء من أحواله فلا يهين به . فإنه قال (أحضر منة (١) وهذا التكبر مذهب ، لأنه قال (أحضر منة حمقى من أرواح منة من منة (٢) ففهم ذلك على أن يمنع من السجود لدى أمره الله تعالى . وكان مدوّه الكبر على آدم ، والحسد له وجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى . وكان ذلك سبب هلاكه بعد الآداب . وهذه آفة من آفات العجب على العباد تطبق . ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر سبباً من الآفات ، إذ سألته ثمان بن قيس بن شمس فقال ما رسول الله ، 'إني أروى مذهب ابن من الحلال ما ترى ، أمس الكبر هو ؟' قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن 'أذكر من بطن الحق' ونمض الناس . وفي حديث آخر (٣) 'من سفة الحق' وقوله ونمض الناس ، أى ازدراء واستحقارهم وهم عباد الله أمثله . وأخرج منه ، وهذه الآفة الأولى وسعة الحق هو رذلة ، وهى الآفة الثانية .

فكل من رأى أنه خير من أخيه ، واحتقر أخاه وازدراه ، ونظر إليه بمن الاستهغار ، أورد الحق وهو يعرفه ، فقد تكبر فيما يراه وبين الحق ومن ثمة من نزع لله تعالى ، ويتواضع لله بطاعته واتبع رسوله ، فقد تكبر بما يراه وبين الله تعالى ورسوله .

بيان مآله التكبر

اعلم أنه لا يتكبر إلا متى استعظم نفسه . ولا يستعظمه إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال .

(١) حديث قال رجل كل يوم قال لا أستطيع . لا - سب - الحديث : مسلم من حديث سلمة بن الأكوع

(٢) حديث قال ثمان بن قيس بن شمس 'أروى مذهب ابن من الحلال ما ترى' - الحديث : وفيه التكبر من نظر الحق ونمض الناس . ولم يروى سوى وقد تقدم قبله بحديثين

(٣) حديث الكبر من سفة الحق ونمض الناس : تقدم معه

وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدني هو العلم والعمل . والدنيوي هو النسب ،
والجمال ، والقوة ، والمال ، وكثرة الأنصار . وهذه سبعة أسباب

العلم

الأول . العلم . وما أسرع الكبر إلى الممات . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « آفة
العلم الممات » . ولا شك أن العلم أمر عظيم يستشرف في مسه حال العلم وكاله ويستعظم
مسه . ويستحققر الناس ، وينظر إليهم نظره إلى البهائم . ويستجهلونه . ويتوقع أن يبدوه
بالسلام . فإن بدأ واحد منهم بالسلام ، أورد عليه نشر ، أو قام له ، أو أجاب له دعوة ، رأى
دلائل صديقه عنده ، ويداعليه يلزمه شكرها واعتقد أنها كرمهم ، وفعل بهم ما لا يستحقون
من شدة وأتية مني أن يرمواله ويخذه . شكر له على صديقه . من أنه بآسهم يروونه ولا يكرمهم ،
ويروونه ولا يروهم . و يودونه ولا يودهم ، ويستخدمهم من حاله منهم ويستخرجهم من حوائجهم ،
فإن مصر فيه السكبر ، كآسهم عبيده أو أجرأؤه ، وكان تمليه العلم صديقه منه إليهم ، وممروف
لديهم ، واستحقة في حق علمهم . هذا مما يتماق بالديا . أما في أمر الآخرة فكبره عليهم
أن يرى مسه عند الله . في أعلى وأفضل منهم ، فيح ف عليهم كثر مما يحف على مسه ،
ويرجو لنفسه أكبر مما يرجو لهم . وهذا أن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما .
من العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان مسه وره ، وخطر الحقة ، وحجة الله على الممات
وعظم خطر العلم فيه . كما سيأتي في طريق معالحة الكبر بالعلم . وهذا العلم يريد خوفا ،
وتواضعا ، وتخشعا ، يقتضي أن يرى كل الناس خيرا مسه ، لعظم حجة الله عليه بالعلم ،
وتقصيره في القبر . شكرامة العلم ، ولهذا قال أبو الدرداء من إرداد علما إرداد وجعا . وهو كما قال
فإن قلت : ما بال بعض الناس يرداد بالعلم كبرا ومسا . فاعلم أن لذلك سببين :

أحدهما : أن يكون اشتغاله بما يسمى علما ، وليس علم حقيقيا وإما العلم الحقيقي ما يعرف
به العبد ربه ونفسه ، وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه . وهذا يورث الخشية والتواضع
دون الكبر ، والأمن . قال الله تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ^(١)) فأما وراء ذلك

(١) حديث في العلم الخلاء . وفيه هكذا ذكره مصنف والمعروف آفة لعلم اللسان وآفة جمال الخلاء هكذا

رواه النعماني في مسند المشيخات من حديث علي . بن . صديق وروى عنه أبو منصور الديلمي

في مسند الفردوس آفة لجمال الخلاء . وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفي لا يدرى من هو حدث

عن أبيه بخديث موضوع قاله صاحب الليران

وكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمة فأعز على بسبط الأرض عالم يستحق أن
يقال له عالم، ثم إنه لا يجر كره العالم، جلاؤه، فإن وجد ذلك فهو صدق ربه فلا يسمى أن يفارق
بل يكون المضرب إليه عبدة، وصلا عن الاستعانة من أهله وأحواله، لو عرف ذلك ولوى أقصى
الصين استعيا به، وحاتن نشمد بركته، وتسرى إليه سيرته وسجيته وهيباته، فإني بسمع
آخر الزمان تشبههم، فهم أرباب الإيمان وأصحاب الدول، قد أقروا في القرن الأول ومن بعدهم،
بل يعرف في زمانهم محتج في عسسه الأسف والحرى على فوات هذه الحصلة، فذلك أيضا
إمام مدوم وإمام رر ولولا شارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله "تسبني على الناس زعمان
من تسبني فيه مشرك، تسبني عبدة، تسبني الكاذب، تسبني مقتحم، والعباد الله تعالى ورحمة اليأس
والقنوط، مع ما نحن فيه من سوء الحال، ومن أياض بالتسك بشرك ما كانوا عليه، ولينا تسكنا
بشر عشر دة، تسبني الله في زعماء ملابأه وأهل وسر عبيد، تسبني كفاية تسبني كره وفصله
الثاني: العمل والعبادة، وليس خلوع رذيلة العز، والكبر، واستمالة قلوب الناس الزهاد
والعباد، وترشح السكر منهم في الدين والدين، أه في الدنيا، وهو منهم يرون غيرهم زيارتهم
أولى منهم بزيارة غيرهم، ويتوقعون به من قضاء حوائجهم، وتوفيقهم، والتوسل لهم
في الحاس، وذكركم بأورع والتقوى، وتقديمهم على سائر الناس في الخطوط، بل جميع ما ذكرناه
في حق العلماء، وكأنهم يرون عبادتهم على الحق، وأه في الدين، فهو من يرى الناس
هالكين، ويرى الله حيا، وهو الهلك تحفة، هارثى ذات قال صلى الله عليه وسلم "إذا
سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكة"، وإذ قل ذلك لأن هذا القول منه يدل
على أنه مردد بخالق الله، فخر الله، آمن من مكره، غير حائف من سطوته، وكيف لا يخاف
وكعبه شرا أحقره ميره، قال صلى الله عليه وسلم "وكنى بأمره شر أن يخفر أحامه"
المسلم، وكمن من المرق منه وبين من يحبه الله، ويعظمه لعبادته ويستعظمه، ويرحو له
، لا يريوه الله، فخلق مدركون الله، فظنوا به الله، فمقربون إلى الله، في بالدوم،
وهو يثبت إلى الله بالتبصر، والتباعد منهم، كأنه يرفع عن استهم، قد أحدهم، إذا أحدهم

العمل والعبادة

(١) حديث يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده".

(٢) حديث الشيخين الرازي والبيهقي "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده".

(٣) حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده".

إصلاحه ، أن يقتلهم الله إلى درجته في العمل ، وما أجدره إذا دارهم بعينه . أن يقتله الله إلى حد الإهمال ، كما روي أن رجلا في إسرائيل كان يقال له خلع بن إسرائيل ، كثرة فسادته من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل ، وكان على رأس العامة تظلمة ومامر الخبيث به ، فقال الخبيث في نفسه ، أنا خبيث في إسرائيل ، وهذا عابد بن إسرائيل ، فلو جعلت إليه لعل لله يرحمني فليس إياه . فقال العابد ، أنا عابد بن إسرائيل ، وهذا خلع بن إسرائيل ، فكيف يحسن إليّ فأبى منه ، وقال له قم عني فأوحى الله إلى بن ذلك الزمان ، مرهما فليستأفعا العمل . وقد عرفت للخبيث ، وأحطت عمل العابد . وفي رواية أخرى ، فتحوست العامة إلى رأس الخبيث ، وهذا هو ذلك أن الله تعالى إن عابدين العبيد فلو سبهم ، فالجهنم له منى ، وأوصع هيبة لله ، ودل خوفه منه ، فقد أطاع الله بقلبه ، فهو أنطوع لله من الله لم المكبر . والله ذم المحب . وكذلك روي أن رجلا في بني إسرائيل ، أتى عابدا من بني إسرائيل ، فوطني على رقبته وهو ساجد . فقال أرفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله إليه أيها المتأني على ، ل أن لا يفر الله لك وكذلك الحسن وحتى أن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطر زالحري أن صاحب خريدل لصاحب الصوف . ويرى الفضل له ، وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه . وهذه الآفة أيسر ما يفتك بها كثير من العباد وهو أن يلو استعجب به مستعجب . أو آذاه وذا . أو مدان يفر الله له . ولا يشك في أنه صار ممقوتا عند الله . ولو أدى مسامحة آخر لم يستكر ذلك الاستنكار . وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل . وجمع بين الكبر والمحب . والاعتراف بالله . ودينه في الحق والعبادة . فمضمون إلى أن يتحدث ويقول : سرون ما جرى عليه . وإذا أصيب بكفة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله أراد به الإشهاد عليه . ولا تتم له منه مع أنه يرى ثمرات من الكبر ليسون الله ورسوله ، وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم ، فقتلهم من قتلهم ، ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعافهم في الدنيا ، إن ربنا أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة . ثم الجاهل المعرور يرض أنه أكرم على الله من أنبيائه ، وأنه قد اتقى الله . لا يدقم لأبيه فيه وله في مقت الله إعدابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه بهذه عقيدة المعرور

(١) حدث الرجل من بني إسرائيل الذي ولى على رقبته عابد بن إسرائيل وهو ساجد . فقال أرفع الله لك فأوحى الله إليه أيها المتأني على ، ل أن لا يفر الله لك وكذلك الحسن وحتى أن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطر زالحري أن صاحب خريدل لصاحب الصوف . ويرى الفضل له ، وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه . وهذه الآفة أيسر ما يفتك بها كثير من العباد وهو أن يلو استعجب به مستعجب . أو آذاه وذا . أو مدان يفر الله له . ولا يشك في أنه صار ممقوتا عند الله . ولو أدى مسامحة آخر لم يستكر ذلك الاستنكار . وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل . وجمع بين الكبر والمحب . والاعتراف بالله . ودينه في الحق والعبادة . فمضمون إلى أن يتحدث ويقول : سرون ما جرى عليه . وإذا أصيب بكفة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله أراد به الإشهاد عليه . ولا تتم له منه مع أنه يرى ثمرات من الكبر ليسون الله ورسوله ، وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم ، فقتلهم من قتلهم ، ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعافهم في الدنيا ، إن ربنا أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة . ثم الجاهل المعرور يرض أنه أكرم على الله من أنبيائه ، وأنه قد اتقى الله . لا يدقم لأبيه فيه وله في مقت الله إعدابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه بهذه عقيدة المعرور

رأى الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقولوا به من السلي حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة بما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي، ولومات غطاء اتخذوا. وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات: كنت أرجو الرحمة جميعهم لولا كوني فيهم. فانظر إلى الفرق بين الرحلين. هدايتي الله طهرها وناظر. وهو وجل على عسسه، مردرا عمله وسعيه، وذا رتبا يفسر من الرياء، والكبر، والحسد، والعل، ما هو صفة للشيطان به. ثم إنه ينس على الله بعمله ومن اعتقد حرمانه فوق أحد من عباد الله، فقد حبط عمله جميع عمله فإن الجهل الخش المعصى وأعظم شيء يبعد العبد عن الله، وحكمه نفسه بأنه حرم من غيره جهل محض، وأمن من مكر الله ولا آمن مكر الله إلا تقوم الحسرون. ولذا ذكر روى أن رجلا ذكر بحيرة للنبي صلى الله عليه وسلم: «فأول ذات يوم، فقالوا يا رسول الله هذا لذي ذكر. لك فقال: «إني أرى في وجهه سعة من الشيطان، وسلم ووقف على الذي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أشأئت الله حدثتك نفسك أن تنس في القوم أفضل منك؟» قال اللهم نعم. فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الموت. أكر في آية سعة في وجهه وهذه آية لا يمك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله. أكر الله، والعدا في آية أكر على ثلاث درجات الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقرا في قلبه، يرى عسسه حراما من غيره، إلا أنه يجاهد ويتواضع، ويفعل فعل من يرى غيره حراما من عسسه وهذا قد رشح في ميه مشجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالسكينة

التيية: أن يظهر ذلك على أفعاله، فالمرجع في الجاس. والقدم على الأقران، وإظهار الإكبار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في أنه لم أن سر حده ناس كأنه ممر من عسهم وفي العباد أن يمس وجهه، ويقطب حبيبه، كأنه متبره عن الدنيا، يستنذر لهم، أو عصيان عليهم. وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الجيبة حتى تقطب، ولا في الوجه حتى يمس، ولا في الخلد حتى يصعر، ولا في الرقبة حتى ضاغطا، ولا في الدال حتى يصم، إنما الورع في القلوب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره. فقد كان رسول الله

(١) حديث: «لا رياء ولا مدح ولا منة ولا رياء ولا مدح ولا منة» رواه الشيخان في الصحيحين.

قال تعالى: «أرى في وجهه عسسه من الكبر» حديث أحمد بن حنبل، رواه دارقطني في حديث أسن.

(٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره: مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

صلى الله عليه وسلم^(١) أكرم الخلق وأنفاهم، وكان أسمهم حلقه وأكثرتهم أشراوتسماء وانيساطا
ولذلك قال الحارث بن حزم الرندي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحسن من القراء كل
طابق مضحك، وأما الذي تلقاه بشرويلقاك موس، فمن عيبك معه، فلا أكثر الله في المسكين
مثله، ولو كان الله سبحانه وتعالى يرصى ذلك لما قال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه (واحدة من حبات
لبن أتيتك من مؤمنين^(٢))

وهؤلاء الذين يظهر في الكبر على شتمهم، فأما والهم أحب حالا ممن هو في الرتبة
الثالثة، وهو الذي يظهر الكبر على الله، حتى يدعو إلى الدعوى، وأنه حرة، والمباهاة
وتركية النفس، وحكايات الأحوال والمقامات، والتشمر لمعية العز في العلم والعمل

أما العائد فإنه يقول في ممرض الفاجر لعبد من العباد من هو؟ وما عمله؟ ومن أين
زهد؟ فيطول الناس فيه بالسقص، ثم يمتد على نفسه ويقول: إني لم أفطر منككدا وكدا
ولا أنام الليل، وأحتم القراء في كل يوم، وهلا في سحر، ولا يكبر القراءة وما يجري
محرام، وقد يركى نفسه مما يقول، فصد في هلا وسوء هلاك ولده، وأخدماله، أو مرض
أو ما يجري محرام، يا عي الكرامة، وأما مبهاته، وأنه لو وقع مع قوم مسلمون
بالليل، قام وصلى أكثر مما كان يصلي، وإن كانوا يصرون على طوع، فيكف نفسه
العبد ليعلمهم، ويظهر لهم موته وعجزهم، وكذلك يشد في العبادة خوفا من أن يفتن غيره
أعبد نفسه، وأقوى منه في دين الله، وأما العلماء في الفاجر ويقول: أنا متدين
في العلوم، ويخضع على الخلق، وأب من الشيوخ ولا وهلا، ومن أتتوه أفصاك
ومن أقيمت، وما الذي سمعت من الحديث، كل ذلك يسمع ويحفظ، وأما مبهاته
وأنه يخدم في المطرة أن يغلب ولا يغلب، ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل
علوم يتعمل بها في المحفل، كالمطرة، والحدل وتعد بين العبارة، وتسجيل الألفاظ، وحفظ
العلوم العربية لعربها على الأقران، ويتعظم بها، ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها
حتى يرد على من أخطأ فيها، ويظهر فضله وقتب أنراة، ويفرح بها أخطأ واحد منهم

(١) كانت كان أكرم الخلق وأنفاهم الخديت تهم في كتاب أخلاق

(٢) السرا، ٢١٥

عند النبي صلى الله عليه وسلم . "وقال أحدهما للآخر أفلان من فلان . فمن أنت لأفلانك ؟
فقال إلى صلى الله عليه وسلم وأفلان من فلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أأفلان
من فلان حتى عند تسعة . ووحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل لأبني أفلان
كل التسعة من أهل النار وأنت خيرهم . وول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أريد عن
قوله أفلان يا سيدي . وهذا رواه في حديثه . وأبكون هؤلاء على الله من الجماعة
أبني يدركونهم القدر .

الحيون

الرابع التفاح راحل ، وذلك كثر ما جرى من الدم ، ويدعو ذلك إلى الانقاص ،
والثوب ، والغيبة ، وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
دخلت امرأه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت يدي هكذا ، أي إنها قسمة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم « قد أعنتها » وهذا مشوه غلط الكبر ، لأن لو كانت تريد فيه فلا ذكرتها
بالنهر ، فكأنها أعجبت بقامتها ، واستقصرت المرأة في جنب نفسها ، فقلت ما قالت

Jill*

الخمس أكبر المال و ذلك يجري من أموالك في خربهم ، و بين التجر في حوائجهم ،
و بين الذهبين في أراضيهم ، و بين المتجولين في إبلاتهم ، و حبولهم ، و مراكبهم ، و يتحقر الغني
الفاقر و يتكبر عليه و يقول له : أنت مكدر و مكين ، و أنا لو أردت لا اشتريت مثلك ،
و استخدمت من هو فوقك و من أنت و أمك ؟ و أساس بيتي سوى أكثر من جميع ، لك
و أنا ألقى في اليوم ، لا أكله في سنة و كل ذلك لاستعصمه للفني و استحقاقه للفقير و كل
ذلك حمل منه مضيلة الفقر و آفة العي و إليه الإشارة قوله تعالى (فقال صاحبه وهو
محاورة أنا أكثر منك ، ألا وأعره) حتى أحياه فقال (يا ابن ترن ، أقل منك ، ألا وولداً

[illegible]

(٢) حديث لمدعي يوم القدر بآبائهم وقد صاروا نجسا في جهنم أولئك من أهول على الله من الحملان - الحديث !
نوداود والله مدعي وحسنه وابن حبان من حديث أبي هريرة

(٣) حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت يدي هكذا أي انهم قصيرة - الحديث :
مقدم في آت الآيات

فمضى . فَرَى أَنَّهُ يُؤْتَى حُبْرًا مِنْ حَبِّكَ وَتُرْسَلُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا رَاقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غَوْرًا وَلَنْ تَسْتَظِيحَ لَهُ طَلَبًا^(١) وكان ذلك منه تكبراً بالمال والولد . ثم بين الله عاقبة أمره بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا^(٢)) .

ومن ذلك تكبره قارون . إذ قال تعالى إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّارِ عَاقِبَةً لِقَوْمِكِمْ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ كُوفًى وَفُتًى وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا ثَقِيلًا لَمَّا قَالُوا إِنَّا بُدِئْنَا بِهَذِهِ الْقَوْمِ الْغَافِلِينَ^(٣) .

القرء

الانجام

السادس : التكبر بالقوة وشدة النفس . والتكبر به على أهل الضعف والضعف . التكبر بالأمان ، والأمان ، والاعتماد ، والاعتماد ، وبالشبهة ، والأقارب ، والأقارب ، والابن . ويحرق ذلك بين الموتى في الكثرة بالحدود ، وبين الممات في الكثرة بالمستفيدين . وبالخطاة وكل ما هو حمة ، وأمكن أن يتمتد كمالاً ، وإن لم يكن في حمة كمالاً ، كمن أن يتكبر به حتى أن يحدث إيكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المحشين ، لأنه يرى ذلك كمالاً في محجبه ، وإن لم يكن فعله إلا نكالا . وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب ، وكثرة المأخوذ بالأسوان والمندان ، ويتكبر به . لأنه أن ذلك كمال ، وإن كان مخطئاً فيه . فهذه مجامع ما يتكبر به العباد مضمر على بعض ، فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به . أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده ، وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى . كالمالم الذي يتكبر بملامه على من هو أعلم منه ، لأنه أنه هو الأعم ، ولحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بطلعه ورحمته . إنه على كل شيء قدير .

بيان

البواعث على التكبر وأسبابه المبهجة له

اعلم أن التكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأفعال والأقوال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن تسمى تكبراً . ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن لدى هو استعظام النفس ، ورؤية قدرها فوق قدر الغير . وهذا له طن أنه موجب واحد ، وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتي معناه .

(١) التكبر : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، (٢) التكبر : ٤٣ ، (٣) التكبر : ٧٩ م ٥ - حادي عشر - إحياء

بإيه بدأ أعجب نفسه ، ونعمه . وعمله . أو شيء من أسسه . استعظمه عنه وكره .
وأما الكبر الظاهر ، فأسابه ثلاثة . سبب في التكبر ، وسبب في التكرار عليه . وسبب
فيما يتماق غيرهما . السبب الذي في التكبر ، وهو المحب . والذي يتماق في التكبر عليه ،
هو الحقد والحسد . والذي يتماق غيرهم . هو الرياء . انصير لأن سببهما لا اعتبار أرمية :
المعجب . والحقد . والحسد ، والرياء . أما المحب . فقد ذكر ، أنه يورث الكبر الباطن ،
والكبر الباطن يشتر الكبر الظاهر في الأعمال ، والأقول والأحوال . وأما الحقد ، فهو
يحمل على التكبر من غير عجب ، كادى يكبر على من يرى أنه مثله أو هو به ، ولكن قد
عصب عليه بسبب سبق منه . فأورثه العجب حقدا ، ورشح في إياه عنه فهو بذلك لا تطاو
نفسه أن يتواضع له ، وإن كان عنده استعداد للتواضع فكم من دل لا يطاوعه على التواضع
لواحد من الأكارح لخطئه عليه ، أو حسده له . ومحملة لك على رد الحق إذا جاء من حبه ، وعلى الأمانة
من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم إليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك ، وعلى أن لا يستحل
وإن طامعه فلا يعتد بإيه وإن حتى نليه ولا يسأله عما هو جاهل به . . . وأما الحسد فإيه أيضا
يوجب البهس له جسود . وإن لم يكن من حبه يبداء وسامة صبي العصب والحقد ويدعو
الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يجمع من قول العصبية وتوهم العلم فكم من جاهل يشاق
إلى العلم . وقد قي في رديلة الجهل لاسد كانه أن يستفيد من واحد من أهل الله أو أقاربه حسدا
ونفيا عليه ، فهو يمرض عنه ، ويتكبر عليه ، مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه . ولكن
الحسد يبعثه على أن يبداه له بأخلاق المكبرين ، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه
وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق المكبرين ، حتى أن الرجل لينظر من يعلم أنه فضل
منه . وليس به ويده معرفة . ولا محسده . ولا حقد . ولا كبر يتبع من قبول الحق منه .
ولا تواضع له في الاستفادة . حيلة من أن يقول لغيره فضل منه فيكون ناشه على التكبر عليه
الرياء المحرد ولو جلا معه نفسه لكان لا يتكبر عليه . وأما الذي يتكبر بالمحب . أو الحسد ،
أو الحقد . فإنه يكره أيضا راحلوه مهمام كمن معجزة ثمت وكذلك قد ينتمى إلى سبب
شريف كادا . وهو يعلم أنه كاذب . ثم يتكبر به على من ليس يتسبب إلى ذلك السبب ، ويرفع
عليه في المجلس ، ويتقدم عليه في الطريق . ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير . وهو عالم

باطلًا بأنه لا يستحق ذلك ، ولا كبر في باطله ، بل هو منه بأه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله
الرياء على أفعاله المتكبرين . وكان اسم المكبر إنَّه يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال
عن كبر في البص ، صادر عن العجب ، والمظهر إلى العريين الاحتقار . وهو وإن سمي متكبراً
ولأنَّه لا يشبه بأفعال المكبر ، بسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

بيان

أحلاق المتواضعين ، ومجايع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر

بعض صفات
التكبرية

اسم من التكبر يظهر في شئ من الرجل ، كعصر في وجهه ، ونظرة شردا ، وإطرافه رأسه
وجلوسته نر . ومتكبرا وفي أحواله ، وح في سوته ونعمته ، وببقته في لا يراد . ويظهر في
مشيته . ويجزعه ، وفيه وهو جلوسه ، وحركاه وسكاته . وفي تعاطيه لأفعاله ، وفي سائر تقلباته
في أحواله وأحواله . وأفعاله من التكبر من يجمع ذلك كله ، ومنهم من يتكبر في بعض
ويتواضع في بعض . فسمي التكبر أن يحب يوم الناس أو يبين يديه وقد قال على كرم الله
وجهه . من أراد أن يظهر إلى رجل من أهل النار ، فيظهر إلى رجل قد يدوي يديه قوم قومه .
وقال أسلم لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكا والدار أو لم
يقوم والى ما يمهون من كرامته لذلك . ومما أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء
لا يزال العبد يردده من الله فدا ما يمشي حده . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبده . إذ
كان لا يميزهم في صورة طهرة . ومشي قوم حلب الحسن المصري فسمهم وقال ما بقي هذا من
قلب العبد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب
فيأمرهم بالتقدم ، ويمشي في غمارهم ، إماما لهم . أو يمشي عن نفسه وسأوس الشيطان بالكبر .

(١) حديث أسلم مكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الدار أو لم يقوموا له
أحدث . عدم في آراء أصحابه في أحلاق الأرواح

(٢) حديث كان في من الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أو يمشي عن نفسه وسأوس الشيطان بالكبر
من حديث أبي سعيد . سمع من أحد أصحابه خرج يمشي إلى أبيه . سمع من أحد أصحابه خرج يمشي إلى أبيه . سمع من أحد أصحابه
ومشي . سمع من أحد أصحابه خرج يمشي إلى أبيه . سمع من أحد أصحابه خرج يمشي إلى أبيه . سمع من أحد أصحابه
وهو متكبر به جماعة ضعفاء

والجيب^(١) كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة ، وأبدله بالخلع ، لأحد هذين المعنيين . ومنها أن لا يزور غيره . وإن كان يحصل من زيارته حيرانه في الدين وهو صد التواضع . روى أن سفيان الثوري قدم الرملة . فبعث إليه إبراهيم بن أدهم أن تعال فحدث . فجاها سفيان وقبل له . يا أماه اسحق . تبعث إليه بهذا . فقال أردت أن أصر كيف تواضع . ومنها أن يستكشف من جلوس غيره باقرب منه . لأن يخالس بين يديه . والتواضع خلافه . قال ابن وهب : جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد ، فمس يدي فحذوه . ففحيت نفسي عنه . فأخذني ففحرتني . فبى نفسه . وقال لي : ألم تعلموني . فاتهموني بالجباة . فبى لأعرف رجلا مسكم شرأمتي . وقال أس^(٢) كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يبرع يده . فها نحن تذهب به حيث شامت . . . ومنها أن يتوفى من حالة المرضى والمعلولين ، ويتعشى عنهم وهو من الكبر^(٣) . دخل رجل وعليه حذرى قد تشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنده ناس من أصحابه يأكلون . فجلس إلى أحد الأقام من جنبه . فأجلسه إلى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه . وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طاعة . فجدوما . ولا أرض ولا مربي إلا أقدم على ما دونه . . . ومنها أن لا يتعامل يده شمالا في يمينه . والتواضع خلافه . روى أن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة ضيف ، وكان يكتب ، فكاد السراح يطأ . فقال الضيف أهوء . فبى المصباح فأسلحه . فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه . قال فأبى له لعل . فقال هي أول تومة ناهها . فقام وأخذ البطة . وملا المصباح زيتا . فقال الضيف قت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين . فقال ذهبت وأهمر . ورجعت وأنا ممر . ما قص مني شيء . وخبر الناس من كان عند الله متواضعا . . . ومنها أن لا يأخذ متاعه^(٤) . ويحمله إلى يمينه . وهو خلاف عادة المتواضعين . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك . وقال على كرم الله وجهه لا يمس الرجل الكاهل

(١) بحث جراحه الموت الخ في الصلاة ويدل عليه ما في معروفي من " الخ - احدا ورأى الخ "

الحلق أو زرع الخبيثة وليس الأيضية وكلاهما تقدم في الصلاة

(۲) حدیث اس کتاب کو پڑھنے میں ہر لائق مسلمان کو ایک پندرہ سو روپے کی اجر عظیم سے نوازا گیا ہے۔ حدیث :

مَدَامُ فِي رَدِّ عِثَرِهَا

(٣) حديث الرجل الذي يرى واحداً من هذه نعم قريباً

(٤) حديث حملة متاعه إلى يبه^١، يبعس من حديث^٢ ربه يرة في شرانته للصراويل وحمله وتقدم

من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أو عبدة بن الحراح ، وهو أمير ، يحمل سطلا له من خشب إلى الخمر . وقال ثابت بن أبي مالك : رأيت أميراً يحمل من السوق حزمة حطب وهو يومئذ خبيث لمروان فقال : أوسع الطريق للأمة يا ابن أبي مالك . وعن الأصمعي بن بياتة قال : كأنني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معقلاً في يده اليسرى ، وفي يده اليمنى لدرة ، يدور في الأسواق حتى يدخل رحله ، وقال بعضهم : رأيت عمار رضي الله عنه قد اشترى سمندرهم فعمله في ما حفته . فقلت له : حمل عتياً يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، أبو العجل أحق أن يحمل

ومنها الآية . إذ يظهر به السكر والتواضع . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« أمدادة من كبرياء » . وقال هارون سألت من أمداد عن البدة . فقال هو الدر من اللبس . وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرج إلى السوق ، وبده الدرة وعيه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من آدم . وعوتب على كرم الله وجهه في إزاره مرقوع . قال : يقتدى به المؤمن . ويخشع له القلب . وقال عيسى عليه السلام : حودة الثياب خيلاء في القلب . وقال صاوس : إني لأعجل ثوبي هذين ، فأذكر قلبي ماذا يقين .

ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، كان قبل أن يبعث يمشي له الخلة بألف دينار ، فيقول ما أحوده الولا حشونة فيها . فلما استخاف ، كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم . وفيقول ما أحوده الولا ليته . فيقول له أين أباك ، ومراكك . ومطرك بأمر المؤمنين . فقال إني أهدأ ذواقاً ، وإني أهدأ من الدنيا طيقته . إذ أتت إلى الطيبة إلى فرقاً ، حتى إذا دوت الخلافة ، وهي أرفع الطباق . تأتت إلى ماعد لله عز وجل . وقال سعيد بن سويد : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك ، فلو أهدت . فكس رأسه ملياً ، ثم روم رأسه فقال ، إن أفضل القصد عند الحدة . وإن أفضل المصير عند القدرة . وقال صلى الله عليه وسلم : « من رث ربه لله ووضع شيئاً حسنه نواضعته وإنه كان المرصاه كان حقاً على الله أن يذخر له عتقاً » .

(١) حدثت البدة من لابس . وروى عن صاحب من حدث ، أنه من مائة وروي عدم

(٢) حدثت من رث . لله ووضع ثوباً حسنة . وصدقته . الخ . وروى عن أبي عبد الله في مائة وروي عدم

وأيضاً في الحديث من حديث بن عباس من رث الله . حديث وفي أسنده بغير

فإن قلت : فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خلاء القلب . وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم ^(١) عن الرجل في الثياب ، هل هو من الكبر ؟ فقال : لا ولكن من سبه الحق ونغم من الناس فكيف ضيق الجمع بينهما ؟ . فاعلم أن الثوب الحديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) من حال ثابت ابن نيس ، إذ قال إني امرؤ حبيب إلى من أجل ما ترى ، فعرف أن ميله إلى الطعنة وحوادة الثياب . لا يتكبر على غيره ، فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرثايب الدون قد يكون من التواضع . وعلامة المتكبر أن يطب التحمل إذا رآه الناس ، ولا يهتدي إذا امرد سبه كيف كان . وعلامة طاب الحال أن يحب الجمل في كل شيء ، وأو في حالته . وحتى في سوء داره . فذلك من التكبر .

وإذا قسمت الأحوال نزل قول عيسى عليه السلام على مضمون الأحوال على أن قوله خلاء القلب يعني قد تورث خلاء في القلب . وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب . ويجوز أن لا يوجب الكبر ، ثم يكون هو مورثاً للكبر .

والحكمة في الأحوال تختلف في شأن هذا والمحذوب الوسط من الناس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) : كذبوا واشترؤا وأفسدوا وتصدقوا في غير سرف ولا محبة ^(٤) . والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده . وقال بكر بن عبد الله المزني : الدوايب ملوك ، وأمايتوا فلوكم الخشية . وهذا هو ما يطيبون التكبر . ثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم بأتوني وعبيكم ثياب الرهبان ، ولبوكم ثياب الدواب الضوازي . الدوايب ملوك ، وأمايتوا فلوكم بالخشية .

(١) حديث ابن عمر في رجل في ثياب من الكبر . لا حديث عدمه .

(٢) حديث ثابت بن نيس قال قال صلى الله عليه وسلم : إن امرؤ حبلى حال - حديث : هو الذي فيه سبي في البذل وهو عدم .

(٣) حديث كذا في غير ذلك . وأما في غير أسراف ولا عيلة : الثاني وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

(٤) حديث : والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده . الحديث . وهو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . أيضاً ورواه جميعاً في حديث واحد .

الأرض وتجارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها . ورأى ملكيت رحمة الله
 مما أتى من الجوع ، فأصبح عطش يدي . وقول صلى الله عليه وسلم : لو تمت من الدنيا قدر
 ما قوتك ويمتلك من الجوع ، فيقول ما عأشنة ، إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا
 على ما هو أشد من هذا ، فثبوا على حالهم ، وتقدموا على ربهم ، فأكرمهم ، وأجرل
 ثوابهم . فأحدثني استحيي إن ترفعت في معيشتي ، أن يقصر بي دعوهم ، فأصبر أياها يسيرة
 أحب إلي من أن يقصر حظي عدا في الآخرة ، وما من شيء أحب إلي من الحقوق لإخواني
 وأحلامي . قالت عائشة رضي الله عنها : والله ما استكمل مد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل
 فما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم نجمع جملة أحواله المتواضعين من طيب المواضع
 على قدره . ومن رأى الله فوق محله صلى الله عليه وسلم ، ولم يرص نفسه بآرامته هو به
 ، أشد حياء . وقد كان أعظم خلق الله منزلة في الدنيا والدين ، فلا عرف ولا رخصة إلا في
 الامعاء . ولذلك قال عمر رضي الله عنه : يا قوم أعز الله بالإسلام . والله صاحب العز
 في غيره . لما عوتب في دأبه هيشه عند دخوله الشام . وقول أبو الدرداء : اعلم أن الله
 عدا يقاتلهم الأبدال ، حلف من الأبداء ، ثم ود الأرض . فلما انتقضت النبوة . أبدل
 الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لم يفصلوا بين سكرته صوم ولا صلاة
 ولا حسن حلية ، وأسكر صدق الورع . وحسن النية . وسلامة الصدر لجميع المسلمين
 والنصيحة لهم . الله . مرضاة الله ، بصير من غير تبجح ، وتواضع في غير مدانة . وهم قوم
 اضطهم الله واستخلصهم لنفسه ، وهم أرباب صديقا ، أو ثلاثون رجلا ، فلوهم على مثل
 يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . لا ينوت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه
 واعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شيئا . ولا يؤدون ، ولا يحقرونه ، ولا يتناولون عليه ،
 ولا يحسدون أحدا ، ولا يحرصون على الدنيا ، هم أطيب الناس خيرا ، وألينهم عريكة ،
 وأصدقهم نفا . علامتهم السخاء ، وسجيتهم الشاشة ، وصفتهم السلامة . ليسوا اليوم
 في خشية . وغد في علة . ولكن مداومين على حالهم الطهر . وهم فيما بينهم وبين ربهم
 لا تدر كم الرياح العواصف . ولا الخيل المجراء . فلوهم تصعدارتياحا إلى الله ، واشتد قباله
 وقدما في استباق الخيرات . أو انك حزب الله ألا أني حزب الله هم المفلحون .

قال الراوى فقلت يا أبا الدرداء ، ما سمعت اصفة أشد على من تلك الصفة ، وكيف لى أن أبلغها ؟
 فقال ما يملك ويدين أن تكون في أو سمي إلا أن تكون ببعض الدنيا . فإنك إذا أبغضت الدنيا
 أغبات على حب الآخرة . وقد رحبتك الآخرة ترهق في الدنيا . وقد رحبتك تصرم ما يملكك
 وإذا علم الله من عبد حسن الطالب أفرع عليه السداد . واكتشفه بالمصمة . واعدى يا من أحيى
 أن ذلك في كتاب الله تعالى المثل (يا الله مع الذين آمنوا وأتوا بآياتهم نحن نسير)
 قال يحيى بن كثير فظهر في ذلك ، مما تلهى المبدعون مثل حب الله وطالب مرضاته .
 اللهم احمل من محب المحب لله يا رب العالمين . فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضى به
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بيان

الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له

اعلم أن الكبر من المماليك ولا تحلو أحدهم الحق عن شيء منه . وإرادته فرض عين .
 ولا يرول مجرد التفتي . بل بالمخالطة . واستعمال الأدوية القائمة له وفيه . الحنة . قمان
 أحدهما . استعمال أصله من سجنه . وفتح شعرته من مرسى في القلب
 الثاني : دفع العار من منه بالأسباب الخاصة التي بها ينكر الإنسان على غيره
 المقام الأول : في استعمال أصله . وعلاجه على وعمل . ولا يتم الشفاء إلا بمجموعها .
 أما المعنى ، فهو أن يعرف نفسه . ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر . فإنه مهما عرف
 نفسه حق المعرفة ، علم أنه أدل من كل دابة ، وأقل من كل قليل . وأنه لا يليق به إلا التواضع
 والدلة والمهانة . وإذا عرف ربه ، علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله .

أما معرفته ربه وعظمته ومجده . فاقول فيه بطول ، وهو منتهى علم المكاشفة
 وأما معرفته نفسه . فهو أيضا بطول ، ولكن يدكر من ذلك ما يقع في إزالة التواضع
 والمدة . ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله . فإن في القراءات علم الأواين
 والآخريين لمن فطنت بصيرته . وقد دل أماني (قدس الإنسان ما أكرمته من أي شيء خلقه)

وغيره بعد العقر فكان في ذاته لا شيء، وأنى شيء أخس من لا شيء، وأنى قوة أقل من العدم المحض، ثم صار بالله شيئاً. وإنا خلقه من التراب الذي في الدير يوطأ بالأقدام، والطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً، ليعرفه خسة ذاته، ويعرف به نفسه. وإنا أكل العمة عليه ليعرف به ربه. ويعلم بها عظمتها وحلاته، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به حل وعلا، ولذلك امتن عليه فقال (أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ) (١) وشمساً وهدية التحدث (٢) وعرف خسته أولاً فقال (أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مِمِّي يُنْتَبِى) (٣) ثم ذكر متهنئته عليه فقال (فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ أَتْرَابًا حِينَ الدَّكَّارِ وَالْأُنْثَى) (٤) ليدوم وجوده بالتناسل، كما حصل وجوده أولاً بالاختراع

فمن كان هذا مداه، وهذه أحواله، فمن أين له البطر والكبرياء، والمغز والحيلة، وهو على التحقيق أخس الأخساء، وأضغف الضغفاء. ولكن هذه عاره الحسيس، وإدافع من خسته شبح أفعه تعظم، وذلك لدلالة حسة أوله، ولا حول ولا قوة إلا بالله نعم لو أكمله وفوض إليه أمره، وأدام له الوجود باختباره، لحار أن يضع في رعي البدأ والمتهى، ولكنه ساطع عليه في دوام وجوده الأمراض المائلة، والأسقام العظيمة، والآفات المختلفة، والطباع المضادة من المرة، والبلم، والريح، والداء، هذه البعض من أحرانه البهض شاء أم أبى، أم سحقاً، ميجوع كرها، ويهش كرها، ويترص كرها، ويموت كرها، لا يملك لنفسه معاولاً صراً، ولا خيراً ولا شراً، يريد أن يسلم الشيء فيدهله، ويريد أن يذكر الشيء فيدسه، ويريد أن ينسى الشيء، ويغفل عنه فلا يعقل عنه، ويريد أن يصرف قلبه إلى مديته فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك به قلبه، ولا عهده به. ويشتهي الشيء ورعاً يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء ورعاً. يكون حياته فيه. سيد الأظمة وتهتك وتزده ويسد شع الأدوية وهي تعمه وخيه، ولا يأمن في لحظة من أبله وسهارة أن يسلب سمه ومهره، وماله أعساؤه ويخلص عقابه، ويختطف روحه، ويسلب جميع إيهامه في دياره فهو منتظر دابل، لا تراثي، وإن احتطف في عدم مملوك لا يقدر على شيء من عمله ولا شيء من غيره فأى شيء أدل منه لو عرف منه ونى أبق الكبر به لولا جهله، فقد أوسط أحواله فليأمله

(١) البقرة: ٨، ٩، ١٠ (٢) (٣) (٤) القيامة: ٣٧، ٣٨، ٣٩

الإنسان امر
الموت

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ^١) ومعناه أنه يسلب روحه، وسمعه، وبصره، وعلمه، وقدرته، وحسه، وإدراكه وحركته، فيعود جسدا كما كان أول مرة، لا يبقى، لا شكل أعضائه وصورته، لا حس فيه ولا حركة. ثم يوضع في التراب فيصير حيفة مندة فذرة، كما كان في الأول نقطة مندة. ثم تبلى أعضاؤه، وتتفتت أجزاؤه، وتجر عظامه. ويصير رميا رافانا، ويأكل الدود أجزائه فيتبدى، ويحذفه فيقلعهما. ويخذه فيقطعهما، ويسائر أجرامه فيصير روثا في أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان. ويستقذره كل إنسان، ويهرب منه بشدة الإنسان. وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان. فيصير ترابا يعمل منه الكبريتان، ويعمر منه النيران، فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا، وصار كأن لم يكن بالأمس حصيدا، كما كان في أول أمره أمدا مديدا. وإليه في كدالك، فاحسبه لو ترك ترابا لا ينحبه بعد طول البلى ليقسى شديد البلاء. فخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة. ويخرج إلى أحوال القيامة، فينظر إلى قيامته. وساء مشقة ممره، وأرض مدله. وحبال مسيره وبحره مكدره، وشمس مكسفة، وأحوال مظنة، وهلاكه علاط شديد، وجهم تراف وحمة ينظر إليها المحرم فينحسر. ويرى منه ثوب مشورة. يقال له اقرأ كتابك، فيقول وما هو؟ يقال كان قد وكل لك في حياتك التي كنت تفرح بها، وتكبر بغيرها، وتمتع بأسبابها، ملكان رقيبان، يكسان عذاب ما كنت تطيق به أو تعمله. من قایل وكثير، وقير وفطير، وأكل وشرب، وقيام وقعود. قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك. فلم إلى الحساب، واستعد للحواب، أو تساق إلى دار العذب. فيقطع الله فرعا من هول هذا الخطاب. قبل أن تنتشر الصحيفة وبشاهد ما فيها من محاريبه. فإد شاهد قال: يا ويلتنا. ما لهذا الكتاب لأية درصيره ولا كلمة إلا حصاهها بهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ^٢) . ثم من هذا حاله والكبر والتمظم، بل ماله ولا يخرج في لحظة واحدة، فصلا عن المطر والشمس، فتد طار له أول حابه ووسطه، وطار آخره والعيد بالله تعالى ربنا احتار أن يكون كاليا أو حنيريا. ليصير مع البهائم رانا، ولا يكون إنسانا

يسمع خطانا ، أو يلقى عدانا . وإن كان عند الله مستحقا للعار فالخزير أشرف منه وأطيب وأرفع . إذ أوله التراب ، وآخره التراب . وهو يعمل عن الحساب والعذاب . والكاب والخزير لا يهرب منه الخالق . ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لعمقوا من وحشة خلقه ، وقبح صورته . ولو وجدوا ريحها لما تواضعوا من ريقه ، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي بقي منه في بحار الدنيا لدارت أمم من الجيعة . فمن هذا حاله في العقوبة ، إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو . كيف يفرح ويهبط . وكيف يتكبر ويتعبر ، وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتد له فضلا . وأنى عدل لم يذب ذنبا استحق به العقوبة ؟ إلا أن يعفو الله الكريم بهضه ، ويحبر الكسرى به . والرحمة منه ذلك الكرمه وحسن الظن به ، ولا قوة إلا بالله . أرايت من جنى على بعض الملوك فاستحق بحايته صرب ألف سوط ، فخبس في السجن ، وهو يظن أن يخرج إلى العرض ، وتقام عليه العقوبة على ملأ من الحق . وليس يدري أي عاقبة ثم لا ، كيف يكون دله في السجن ؟ فيرى أنه يتكبر على من في السجن ؟ وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه . وقد استحق العقوبة من الله تعالى ، ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكم فيه ذلك حرا وخوفا ، وبه قلوبهم هامة . ردلا فهذا هو الملاح العلمى القامع لأهل الكبر وأما الملاح العلمى فهو التواضع لله تعالى واستشعر الخالق . بالواضحة على أملاق المتواضعين ، كما وصفناه وحكيما . من أحوال الصالحين ، ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) حتى أنه قال يا كل على الأرض ويقول : إنا أنا عبدة آكن كآ كن العبد . وفيه اسم من لم لا يس توه حديدا . قال : إنا أنا عبد ، وهذا اعتقت يوما لبست حديدا . أشربه إلى العنق في الآخرة . ولا يتم اتواضع مدالمره ، إلا بالعلم . ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلوة جرة . وبيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا . ومن جرتها ما فيها من التواضع بالمثل قائما ، وبالركوع والسجود . وقد كانت العرب فدينا يأمون من الأعداء . وكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا يشحن لأحذه ، وينقطع شركاء فعله فلا ينكسر رأسه لإصلاحه ، حتى قال حكيم بن حرام

(١) حدثنا كل على أرض وروى التواضع كل كآ كل العبد . تقدم في آداب التواضع

(١) بايعة النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أحرز إلا قنًا ، فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، ثم فتنه ولكن إيمانه سد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الده والصفة . أمروا به لتكسر بذلك خيالاتهم . ويرول كبرهم ، ويستقر التواضع في قلوبهم . وبه أمر سائر الخلق فإن الركوع ، والسجود ، والمثول قنًا ، هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذا ذلك من عرف نفسه فليطرح كل ما يتقرب به الكبر من الأفعال ، ويبواطب على تقيده ، حتى يصير التواضع له خلقا ، فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة ، لا العلم والعمل جميعا ، وذلك لجهالة الملافة بين القلب والحوارج . وسر الارتاب الذي ير عالم الملك وعالم الملكوت . والقلب من عالم الملكوت المقام الثاني : فيما يعرض من التكبر « الأسباب السبعة المذكورة » . وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عدا ما يفي بموت كمال وهو في هذا يصير على العالم أن لا يتكبر . والكمال مذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة الأولى : الذنب . فمن يعتريه الكبر من جهة الذنب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما : أن هذا جهل من حيث أنه تمرر بكمال غيره ، ولذلك قيل :

مدح التكبر
بالنسب

لئن خرت آية دوى شرف * لقد صدمت ولكر نس ما ولدوا

فالأكبر بالنسب إن كان حيا في صفة دته ، من أن يجبر حسنه بكمال غيره . بل لو كان الذي ينسب إليه حيا . كان له أن يقول : الفصل لي ، ومن أنت ؟ وهذا أنت دودة خافت من بولي . أفري أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس ؟ هيئات . بل هما متساويان ، والشرف للإنسان لا للدودة

التي . أن يعرف نسبه الحقيقي ، يعرف أمه وحده . فإن أمه القريب ، طرفة قدرة ، وجده البعيد تراب ديل . وقد عزمه الله تعالى سبه فتلا (أندي أحسن كن شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) ثم جعل سنة من سنة له من سنة من () ومن أصله التراب المهيى الذي يده من بالأقدام . ثم حمر طينه حتى صار حماسو . وكيف يتكبر

(١) حديث حكيم بن حزام بايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أحرز إلا قنًا . الحديث : رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال حتى

وأخس الأشياء عما يراه الله ، بإذنه ، ما أدل من التراب ، وبأنه من الحماة . وبأنه من المصنعة ، فإن كان كونه من الله أقرب من كونه من التراب ، فقولوا بغير ما اقرب ذون البعيد فالنطفة والمصنعة أقرب إليه من الأب ، فليحقر نفسه بذلك . ثم إن كان ذلك يوجب رغبة أقره . فالأب الأعلى من التراب ، فمن أين رغبته ؟ وإذا لم يكن له رغبة ، فمن أين جاءت الرغبة لولده ؟ بعد أسفه من التراب ، ومصله من النطفة ، فلا أصل له ولا فصل . وهذه غاية حسة السب . فالأصل يوماً بالأقدام ، والفصل نفس منه الأبدان . فهذا هو السب الحقيقى للإنسان . ومن عرفه لم يتكبر بالسب ، ويكون مثله بعد هذه المعرفة والكشاف العطاء له عن حقيقة أصله . كرحل لم يرل عند نفسه من شيء شتم . وقد أخبره بذلك والداه فلم يرل فيه نخوة الشرف ، فبيما هو كذلك إذا أخبره عدول لا يشك في قولهم ، أنه إن همدى حجام يتعاطى القادورات ، وكشفوا له وجه التلييس عليه ، فلم يبق له شك في صدقهم . فأمري أن ذلك يبقى شيئاً من كرهه ؟ لا لا ! بصر عند نفسه أحقر الناس وأذلهم . فهو من استشهارة الحري لحسنه في شغل عن أن يتكبر على غيره . فهذا حال الصبر إذ تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة . والمصنعة . والتراب . إذ لو كان نوره من يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها . لكان يعلم به حسة عسة لماسة . فعداء أليه للتراب والدم . فكيف إذ عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القادرة التي يتبرء عنها هو في نفسه

ممدج التكبر
بالحال

السبب الذي . التكبر . أجل . ودواؤه أن يطر إلى باطنه نظر العقلاء ، ولا ينظر إلى الظاهر نظر الأمته . ومهما نظر إلى باطنه رأى من القرائح ما يقدر عليه تمرره الجبال . فإياه وكل به الأقدار في جميع أحواله ، الرجيع في أمعائه ، والبول في مثنته ، والمخاط في أنفه . والبراق في فيه ، والوسخ في أذنيه . والدم في عروقه ، والصديد تحت بشرته . والصنان تحت إبطه . ينسل العنط بيده كل يوم دفعة أو دفتين . ويتردد كل يوم إلى الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه غيره لاستفدزه . فضلاً عن أن عسه أو يشمه ، كل ذلك ليصرف قدرته ودله . هذا في حال توسطه . وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة المصور ، من المنطقة ، ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار ، إذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول . ثم من الرحم مفيض دم الحيض ، ثم خرج من مجرى القدر

قال أنس رحمه الله: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحطنا هبة—نذر إياها أنفسا ويقول: خرج أحدكم من محرى المول مرتين، وكذلك قال صابوس لعمر بن عبد العزيز. ما هذه مشية من في طبعه خرة، درآه يتختر، وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه. ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعبها بالتصنيف والميل، وأثارت عنه الأمان والأقدار، وصار أسوأ قدر من الدواب الهائلة التي لا تتعب نفسها قط.

فإذا نظر أنه حاق من أقدار، وأنه سكن في أقدار، وسيموت فيصير حيلة أقدار من سائر الأقدار. لم يتجر بحاله الذي هو كحصره الدمن، وكان الأرهار في البوادي، فينما هو كذلك إذا صار هشيا ندروه الرياح كيف ولو كان حماله مايا، وعن هذه القلائع حاليا. السكك يجب أن لا ينكسر به على القسح، بل لم يكن قسح القبيح إياه فيفيه، ولا كان حمل الجليل إليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له. بل هو في كل حين يتصور أن يرول بمرض. أو جدرى، أو فرجة، أو سبب من الأسباب. فكم من وجوه جملة قد سمعت بهذه الأسباب. فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر ما للجليل لمن أكثر تأملها. السبب الثالث. الكبر بالقوة والأياى. ويمتد من ذلك أن يعلم ما يسطر به من المال والأعراض، وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار عجيب من كل عاجز، وأدل من كل دليل. وأنه لو ساءه الدباب شيئا لم يمد يده منه. وأن قوة لودحات في أمه، أو ثلث دخات في أدنه لقتله. وأن شوكة لودخلت في رجله لأعجزته. وأن حمى يوم تحبل من قوته مالا ينحدر في مسدة. فن لا يطبق شوكة، ولا يقاوم نقة، ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه دابة، فلا يبنى أريهتخر بقوته. ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار، أو بقرة أو ميل، أو حمل. وأي افتخار في صفة يسبقك فيها الله ثم

مدح التكبر
بالقوة

السبب الرابع والخمس المنى وكثرة المال. وفي معناه كثرة الأنواع والأنصار، والتكبر بولاية السلاطين. ولتمسك من جهة هم. وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجلال والقوة والعلم. وهذا أقبح أنواع التكبر. فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره، ولومات فرسه وأنه دمت داره لعداد دليلا. والمتكبر بتمكين السلاطين وولايته لا بصفة في نفسه. نبي أمره على قلب هو أشد غيا من القدر. فإن تغير عليه كان أذن الخلق.

مدح التكبر
بالمال والجاه

وكل متكبر أنكر حاج عن ذاته فهو طاهر الجاهل . كيف والتكبر بالغى لو تأمل
 رأى في اليهود من يريد عليه في العى والثروة والحمل . فأف اشرف يسبقك به اليهودى
 وأف اشرف يأخذه اسارق في لحظة واحدة ، فيود صاحبه ديلا مقاسا . فهذه أسباب
 أدت في ذاته . وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده ، وهو في الآخرة وبال ونكال
 فاما آخره عاية الجاهل . وكل ما ليس إليك فليس لك . وشىء من هذه الأمور ليس إليك
 بل إلى واهبه . إن أبقاه لك . وإن استرحمه . إن عنت . وما أنت إلا عبيد مملوك لا تقدر
 على شىء . ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره . ومثله أن يفخر الغافل بقوته ، وجماله
 وماله ، وحرته ، واسقلا له ، وسعة وكرمه حيوانه وعمله ، إذ شهد عليه شاهدان
 عدلان عند حاكم . صف ، أنه رقيق له ل . وأن ثوبه كالمملوك كبره . فملم ذلك وحكم
 به الحاكم . فخدمه . وأخذ جميع مافي يده . وهو مع ذلك يغشى أن يه يقبه ويسكل به
 لم يبط في أموانه ، وتقصه . في طاب ما كره ليمرف أن له مالكا . ثم نظر العبد فرأى
 نفسه محبوسا في سبرل ، قد أحدثت به الحيات والمقارب والظوام ، وهو في كل حال على
 وحل من كل واحدة منها ، ومدى لا يملك نفسه ولا ماله . ولا يعرف طريقا في الخلاص
 ألبتة . فترى من هذا حاله هل يخر بقدرته ، ونزوته ، وقوته ، وكاله . أم تذلل نفسه
 ويتخضع ، وهذا حال كل عاقل يصبر . فإنه يرى نفسه كذلك ، فلا يملك رقبته ، وبذنه
 وأعضائه ، وماله ، وهو مع ذلك بين آفات ، وشهوات ، وأمراض ، وأسقام . هي كالمقارب
 والحيات . يخوف منها الهلاك . فمن هذا حاله لا يتكبر . قوته وقدرته . إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة
 فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب المرححة . وهو أهون من علاج التكبر . بعلم
 والعمل . فإنهما كدالان في النفس جديران بأن يفرح بهما . ولكن التكبر بهما أيضا نوع
 من الجهل يغنى كما سنذكره .

هذه التكبر
 بالعلم

السبب السادس . الكبر بالعلم . وهو أعظم الآفات . وأغلب الأدواء . وأبعد ما عن قبول
 العلاج إلا بشدة شديدة وجهود جهيد . وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله . عظيم عند
 الناس . وهو أعظم من مد المال والجمال وغيرها . بل لا قدر لها أصلا إلا إذا كان معها علم وعمل

وقد كان بعضهم يقول . يا ليتني لم تلدني أمي ويأخذ لآخر تبة من الأرض ويقول :
يا ليتني كنت هذه التبة . ويقول الآخر . ليتني كنت طيرا أو كل . ويقول الآخر . ليتني
لم أكن شيئا مذكورا . كل ذلك خوفا من خطر العقوبة . وكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من
الطير ومن العنكبوت ، ومنهم من أطال وكبره في الخطر الذي هو مصده . بل بالكيفية كبره ،
ورأى نفسه كأنه شر الخلق ، ومثاله مثل عبد أمره سيده بأمر فشرع فيها ، فترك بعضها
ودخل القصر في بعضها ، وشك في بعضها أنه من أذائها على ما يرضيه سيده أم لا فأخبره
نحو أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج من كل ما هو فيه عربا دليلا ، ريقه على يده في الحر
والشمس زماما طولا ، حتى إذا حرق عبيد الأمر ، ومعهم المحمود . أمر برفع حسابه . وفش
عن جميع أعماله قليلا وكثيرها ، ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم ، لا يروح عنه ساعة
وقد علم أن سيده قد فعل أطوائف من عبيده مثل ذلك ، وعما عن بعضهم ، وهو لا يدري
من أي الفريقين يكون . فإذا تفكر في ذلك اكسرت عنه ردة . وبصل عزه وكبره ،
وطهر حزنه وخوفه ، ولم يتكبر على أحد من الخلق . بل تواضع رجا أن يسكون هو من
شبهه . عند رول العذاب . فكذلك لم يدتمكر فيما سيمه من أوامره . بخوايات على
جوارحه ، وبذوب في باطنه من الرياء ، والحمد ، والحمد . والمحب ، والله قوعيره .
وعلم بما هو مصده من الخطر العظيم . فارتبه كبره لا محالة

الأمر الثاني : أن العالم يعرف أن التكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده . وأنه إذا
تكبر صار ممقوتا عند الله . بخيضا ، وقد أحب الله . أن يتواضع ، وقال له إن لك عندي
قدرا ما لم تر نفسك قدرا ، فإن رأيت نفسك قدرا فلا تدرك عندي . فلا بد وأن يكلف
نفسه ما يحب مولاه . وهذا يراد بالتكبر عن قلبه . وإن كان يستيقن أنه لا ديب له مثلا
أو تصور ذلك . وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام . إذ علموا أن من راع الله تعالى
في رداء التكبرياء نفسه . ومد أمرهم الله بأن يصعروا أنفسهم حتى يعظم عند الله شأنهم فهذا
أيضا مما يبعثه على التواضع لا محالة

التكبر
على المبتدئين
والضالين

فإن قلت . فكيف يتواضع لله من الخطيئة المتعدي . وكيف يرى عسره وهم
وهو عالم عابد . وكيف يحجل فصل العلم والعبادة عند الله تعالى ، وكيف يفتيه أن يخطريه

خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفسق والمبتدع أكثر ؟

فاعلم أن ذلك إما يمكن بالتفكير في خطر الحاققة ، بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه . إيدي تصور أن يعلم الكافر ، فيختم له بالإيمان ، ويصل هذا العالم ، فيختم له بالكفر والكبر من هو كبر عند الله في الآخرة ، والسكاب والخزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك . وكلم من مسلم حضر إلى عمر رضى الله عنه قبل إسلامه ، فاستحققه وأزدرأه أسكره ، وقد رآه الله الإسلام . وفق جميع المسلمين إلا بالكبر وحده فانه واقب . مطوية عن العباد ، ولا يضر الماقل إلا إلى العاقبة وجميع الفصائل في الدنيا تراد للعاقبة فإذا من حق العبد أن لا يتكبر على أحد . بل إن نصر إلى جاهل قال . هذا عصي الله بحول ، وأنا عصيته يعلم ، وهو أعذر مني . وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم ، فكيف أكون مثله . وإن نظر إلى كبر هو أكبر منه ساقال هذا قد أطاع الله وولى ، فكيف أكون مثله . وإن نظر إلى صغر قال . إني عصيت الله قبله ، فكيف أكون مثله . وإن نصر إلى مبتدع أو كافر قال . ما يدري إمامه يختم له بالإسلام . ويختم لى ما هو عليه الآن ، وليس دوام الهداية إلى ، كما لم يكن اتداؤها إلى . وللاحظة الحاتمة يقدر على أن يفي الكبر عن نفسه ، وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله ، لا فيما يظهر في الدنيا لا لقاءه ، ولا يرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمكبر عليه . وإسكن حق على كل واحد أن يكون معروف المهمة إلى الله . مشغول تقرب بحووه لعاقبته لأن يشتغل بخوف غيره . فإن الشقيق بسوء الظن مواع ، وشفقة كل إنسان على نفسه . فإذا حبس جماعة في حياية . ووعدا أن تضرب رقابهم . لم يترعوا التكبر . فضعهم على حصص وإن عظم الخطر ، إدشمل كل واحد منهم نفسه عن الامعات إلى هم غيره . حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبيته وخطره فإن قالت . فكيف أنفض المبتدع في الله ، وأنفض الفاسق ، وقد أمرت بنفضهما ، ثم مع ذلك أتواضع لهما ، واجتمع بينهما متافض .

فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق . إذ يترجح عندك الله في إكثار البدعة والفسق كبر النفس ، والإدلال بالعلم والورع . فكلم من عابد جاهل وعالم مغرور ، إدارأى فاسقا جلس بحبه أرعبه من عبده . وترعاه بكبر باطن في نفسه ، وهو طائر أنه قد غضب الله

كما وقع لعائد بني إسرائيل مع خليمهم . وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا
والحذر منه ممكن . والكبر على الفاسق والمتدع يشبه الغضب لله ، وهو خير . فإن الغضمان
أيضا يتكبر على من غضب عليه ، والمكبر بغضب وأحدهما يشتر الآخر وبوجبه . وهما
ممتزجان متمسان لا خير بينهما إلا الموفقون . والذي يخلصك من هذا ، أن يكون الحاضر
على قلبك عند مشاهدة المتدع أو المفسق . أو عند أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر
ثلاثة أمور أحدها التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وحطائك ، ليصغر عند ذلك قدرك في
عينك ، والثاني أن تذكر ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم ، واعتقاد الحق ، والعمل
الصالح ، من حيث إنها أمة من الله تعالى عليك ، وله المنة فيه لا لك ، وترى ذنبك منه حتى
لا تمجد نفسك ، وإدراكك لمعجب لم تكبر ، والثالث ملاحظة إهمام عاقبتك وعاقبته . أنه
ربما يختم الله بالسوء ، ويختم له بالحسن ، حتى يشعل الخوف عن التكبر عليه

فإن قلت : فكيف أعضب مع هذه الأحوال ، فأقول : تصيب مولدك وسيدك إذ أمرك أن
تعضب له ، فاعلم أنك لا ترى نفسك أحبا وصاحبا لك . كما بل يكون خوفك
على نفسك . علم الله من حميد واث . أكثر من حروفك عليه مع الجهل الخفية وأعرفك ذلك بمثال
أنه لم يمس من ضروره العصب لله أن تكبر على المعصوب عنه وترى قدرك فوق قدره فأقول
إدراك الملك علام وولده هو قرعة عنه ، وقد وكل العلامة بالولد بمرامه ، وأمره أن يضربه
مما أساء أدبه واشتعل بالاريق . ويصعب عليه ، وإن كان الغلام محبا مطيعا مولاه .
فلا يجد بدا أن يعذب . رأى ولده قد أساء لأدب . وإدراكك يصعب عليه مولاه ، ولأنه
أمره به ، ولأنه يريد التقرب بمثال أمره إليه ، ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه ،
ويضرب ولده ويصعب عليه ، من غير أن يكره عليه . بل هو متواضع له . يرى قدره عند
مولاه فوق قدر نفسه ، لأن الولد أعز لآله من العلامة ، وإدراكك من ضرورة العصب
التكبر وعدم التواضع فكذلك يكاد أن يطر إلى المبتدع والمفسق ، وتظن أنه ربما
كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم ، لما سبق لهما من الحسن في الدنيا ، ولما سبق لك
من سوء القصد في الدنيا . وأنت غافل عنه . ومع ذلك فعصب بحكم الأمر بحجة مولائك
إذ جرى ما يكرهه ، مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة .

فهكذا يكون معص العلماء والأكابر، فيصم إليه الخوف والتواضع وأما الفرور فلا يتكبر ويرحو لنفسه أكثر مما يرحوه لغيره. مع حمله بالعاقبة، وذلك غاية الفرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد المدعة مع الغضب عليه ومع نيته بحكم الأمر

السبب السابع: التكبر بالورع والعبادة. وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد، وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا يذنب أن يتكبر عليه كيفما كان، لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال صلى الله عليه وسلم "« فَعَلَّيْتُ أَلَمَ عَلَى أَلَمَاءِ كَعَصِي عَلَى أَذَى رَحْلِي مِنْ أَصْحَابِي » إلى غير ذلك ثم ورد في فضل العلم. فإن قال العابد ذلك لغيره عامل بعلمه، وهذا عالم بهجر. فيقول له أما عرفت أن الحشرات يدهس السباع، ويكأن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم. فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكسرة لدنوه. وكل واحد منهم ممكن. وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك. وإذا كان هذا الأمر عايبا عنه، لم يخرجه أن يحتقر عالما. بل يجب عليه التواضع له.

عصم التكبر
بالورع
والعبادة

هنا قلت: فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد، لقواه عليه السلام « فَعَلَّيْتُ أَلَمَ عَلَى أَلَمَاءِ كَعَصِي عَلَى أَذَى رَحْلِي مِنْ أَصْحَابِي » فاعلم أن ذلك كل ممكن لو علم العالم عامة أمره، وحاشية الأمر مشكوك فيها، فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الخاضع المذيق. لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم. وقد يقنه به. وإذا كان هذا ممكنا، كان على نفسه حاشية فإذا كان كل واحد من العابد والعالم حاشية على نفسه. وقد كانت أمر نفسه لا أمر غيره، فيمضي أن يكون العابد عليه في حق همه الخوف وفي حق غيره الرضاء وذلك يسمعه من التكبر بكل حال. فهذا حال العابد مع العالم

فأما مع غيره لم. فهو مستحسن في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فيجب أن لا يتكبر

(١) حديث فصل العالم على العابد كعصبي على أدنى رذل من نحاس. أخرجه من حديث أبي أمامة وعنه في العلم

على المستور بماله أقف منه دوا ، وأكثر منه عادة ، وأنشد منه جباله ، وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما ترده عليه دواك في طول عمرك ، فلا ينبغي أن تكبر عليه ، ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني دنيا ، لأن عدد ذنوبك في طول عمرك ، وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائهم حتى تعلم الكثرة . نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل ، والشرب ، والزنا ، مع ذلك فلا ينبغي أن تكبر عليه ، إذ ذنوب القلوب من الكبر ، والحسد ، والرياء ، والامل ، والاعتقاد الباطل ، ولو - وسة في صفات الله تعالى . وتحيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله . فرما حري عليك في باطنك من حفايا الذنوب ما صرت به عند الله بمقوة . وقد حري للمعاصي القسق من طاعات القلوب من حب الله ، وإخلاص ، وحق ، وتعظيم . ما أت حال عنه . وقد كفر الله بذلك عنه سبحانه ، فيكشف الغطاء يوم القيامة . فمره فوق نفسك بدرجات . وهذا ممكن . والإمكان المميد فيما عليك به من أن يكون قريباً عندك ، كمت مشقاً على نفسك . فلا تفكر فيما هو ممكن غيرك ، بل مما هو عوف في حقله ، لا ترز وازرة ورر أخرى . وعذاب غيرك لا يخفف شيئاً من عذابك . فإذا تكررت في هذا الخطر ، كان عندك شغل شاعل عن الكبر ، وعن أن ترى نفسك فوق غيرك . وقد قال وهب بن منبه : ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال : فقد نعمة حتى سمع المشرقة ، الماشرة وما الماشرة . بها سد محله ومها علا ذكره ، أن يرى الله من كلامه حراماً ، وإلا الله من عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع ، وفرقة هي شر منه وأدنى . فهو يتوابع للمرتبتين جميعاً بقلبه . إن رأى من هو خير منه سره ذلك ، وتغنى أن يلحق به . وإن رأى من هو شر منه قال له هذا يتجو وأهدك أنا ، فلا تراه إلا حائفاً من العاقبة . ويقول لعل بر هذا باطن ، فذلك خير له ، ولا أدري لعل فيه حلقاً كريماً . وبين الله ، في حمد الله ويتوب عليه ، ويحتم له بأحسن الأعمال . ويرى طاهر فذلك شرئ . فلا يأن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخام الآلات فأحبطتها ثم قال : حينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه ، هدا كلامه . وبجمله من جوراً أن يكون عندنا شقياً وقد سبق القضاء في الأزل شقوته . فماله سبيل إلى أن يتكبر بحمل من الأحوال . نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيراً من نفسه . وذلك هو الفضيلة . كما روى أن عابداً أوى إلى جبل

فَقِيلَ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْتَ فَلَانٌ ، لِإِسْكَافِ مَا بِهِ أَنْ يَدْعُوا لَكَ فَأَمَّا هُوَ فَسَأَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ . فَأَجَابَهُ
أَنَّهُ يَصُومُ الْيَوْمَ ، وَيَكْتَسِبُ فَيَتَصَدَّقُ بِمَعْصِيَةٍ ، وَيُطْعِمُ عِيَالَهُ بِمَعْصِيَةٍ . فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ .
إِنْ هَذَا الْحَسَنُ ، وَالْكَرُّ أَيْسَرُ هَذَا كَانَتْ تَمْرَعُ اطَاعَةُ اللَّهِ ، وَثَانِي فِي الْيَوْمِ : بَيَانُ قِيلَ لَهُ أَنْتَ فَلَانٌ
الْإِسْكَافِ فَقِيلَ لَهُ مَا هَذَا الْعَمَارُ الَّذِي وَجَدْتَهُ ؟ فَسَأَلَهُ فَقِيلَ لَهُ . مَا رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْ
النَّاسِ إِلَّا وَقَعَ لِي أَنَّهُ سَيَمُوتُ وَأَهْلُكَ أَتَانَا . فَقَالَ الْعَابِدُ سَهْدَهُ . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ هَذِهِ
الْخُصْلَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى (يُؤْتُونَ ، وَنُؤْتِيهِمْ وَحَدَّثَهُمْ بِمَنْ رَحِمُونَا) (١) أَيْ أَنَّهُمْ
يُؤْتُونَ الطَّاعَتِ وَهُمْ عَلَى وَحَلِّ عَظِيمٍ مِنْ قَبُولِهِ . وَقِيلَ لَهُ لِي إِنْ أَدَسْتُ هُنَّ مِنْ حَشِيَّةٍ رَجَعَتْ
مُشْفِقُونَ (٢) . وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّا كُنَّا مِنْ فِي أَهْلِ مُشْفِقِينَ) (٣) وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَعْتَدِهِمْ عَنِ الدُّوْبِ . وَمَوَاطِنِهِمْ عَلَى الْعِبَادَاتِ . عَلَى الدُّوْبِ ، لِإِشْرَاقِ
مَقُولِهِ إِلَى مَحَرِّ رَأْيِهِمْ (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) (٤) (وَهُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ
مُشْفِقُونَ) (٥) فَتَنَى رَأَى الْإِشْرَاقِ وَالْحَذَرِ مِنْ سَبْقِهِ الْقَضَاءِ فِي الْأَزَلِ ، وَيُنْكَشِفُ عَمْدَ حَاطَةِ
الْأَحْسَنِ ، غَلَبَ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَدَلَّكَ بِرَحْبِ الْكِبَرِ ، وَهُوَ سَابِقُ الْهَلَاكِ فِي الْكِبَرِ دَائِلُ الْأَمْنِ ،
وَالْأَمْنِ مَهْلِكُ . وَالتَّوَاضُّعُ دَلِيلُ الْخُوفِ ، وَهُوَ مَسْمُودٌ . وَبِذَنْ مَا يَفْسُدُ الْعَابِدُ بِإِصْحَارِ الْكِبَرِ
وَاحْتِقَارِ الْخَلْقِ ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ بِمَعْنَى الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ أَكْثَرُ مِمَّا يَصَاحِبُهُ بِظَاهِرِ الْأَعْمَالِ .

وَهَذِهِ مَعَارِفُ سَائِرِ أَلْوَانِ الْكِبَرِ عَنِ الْقَلْبِ لِأَعْرَ . إِلَّا أَنَّ النَّفْسَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ قَدْ تَضَمَّرَ
الْوَارِعُ وَتَدَعَّى الْبَرَّةَ مِنَ الْكِبَرِ وَهِيَ كَادِمَةٌ ، بِإِدَاوَةِ الْوَاقِعَةِ عَادَتْ إِلَى مَلِكِهِ ، وَسَيِّتَ وَعَدَهَا
وَمِنْ هَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكْتَفَى فِي الْمَدَاوَةِ بِمَجَرَّدِ الْمَعْرِفَةِ . بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ بِالْعَمَلِ ، وَتَجَرُّبِ
بِأَفْعَالِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي مَوَاقِعِ هَيْجَانِ الْكِبَرِ مِنَ النَّفْسِ . وَيَبَاحُ أَنْ يَتَحَنَّنَ النَّفْسُ بِحَسَنِ
امْتِحَانَاتٍ هِيَ أُدْلَى عَلَى اسْتِخْرَاجِ مَا فِي الْبَاطِنِ ، وَإِنْ كَانَتْ الْامْتِحَانَاتُ كَثِيرَةً

الْامْتِحَانُ الْأَوَّلُ : أَنْ يَمُطَّرَ فِي سَأَلَةٍ مَعَ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ . فَإِنْ طَهَّرَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ
عَلَى لِسَانِ صَاحِبِهِ . فَتَمَنَّيَ عَلَيْهِ بِبَوَائِهِ ، وَالْإِقْبَادِ لَهُ . وَالْاعْتِرَافُ بِهِ ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَنْبِيهِهِ
وَتَعْرِيفِهِ وَإِحْرَاحِهِ الْحَقِّ . فَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِيهِ كِبَرًا دَقِيقًا ، فَيَتَّقَى اللَّهُ فِيهِ وَيَسْتَفْتِلُ بِعِلَاجِهِ

لَوْ مَعَهَا
أَنْتَ مَعَهُ
الْكِبَرُ
الْعَبْدُ

(١) الْمُؤْمِسُونَ : ٦٠ (٢) الْمُؤْمِسُونَ : ٥٧ (٣) الطُّور : ٣٦ (٤) الْأَنْبِيَاءُ : ٢٠ (٥) الْأَنْبِيَاءُ : ٢٨

أما من حيث العلم فليذكر نفسه خسة نفسه ، وخطر عاقبته ، وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى . وأما العمل فأن يكاف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ، وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء . ويقر على نفسه بالمعجز ، ويشكره على الاستعانة ، ويقول ما أحسن ما وطنت له وقد كنت عاجلا عنه ، فخر الله حبرا كما تهتني له ، فالحكمة صلة المؤمن ، وإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها . وإذا وطأ على ذلك مرات متوالية ، صار ذلك له طعنا ، وسقط ثقل الحق عن قلبه ، وطأ له قبوله . ومهما ثقل عليه الشاء على أقرانه عاقبهم ، وفيه كبر . فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ، ويثقل عليه في الملاءمة ، وليس فيه كبر ، وإعنا فيه رياء ؛ فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ، ويذكر القلب بأن معيته في كماله في ذاته ، وعمد الله لا عند احق . إلى غير ذلك من أدوية الرياء . وإن ثقل عليه في الخلوة والملاءمة جميعا ، وفيه الكبر والرياء جميعا ، ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني ، فليعالج كلا الداءين ، فإنهما جميعا مهلكان .

الامتحان الثاني . أن يجتمع مع الأقران والأشياء في المخاوف ، ويقدمهم على نفسه ، ويغشى حلمهم ، ويجلس في العسود نختهم ، فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر ، فليوطأ عليه تكلفا ، حتى يسقط عنه ثقله . وبذلك يرايه الكبر . وهما لاشيطان مكيدة ، وهو أن يجلس في صف العمال ، أو يحمل يده وبين الأقران بعض الأردل . فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر . وإن ذلك يخف على نموس المتكبرين . إذ يرمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر إظهار التواضع أيضا . بل ينبغي أن يقدم أقرانه ، ويجلس بينهم بحمهم . ولا يسخط عنهم إلى صف العمال ، فذلك هو الذي يخرج خست الكبر من البطن .

الامتحان الثالث : أن يحيب دعوة الفقير ، ويتر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب . وإن ثقل ذلك عليه فهو كبر . فإن هذه الآفة من مكارم الأخلاق ، والثواب عليها حزيل فدفور النفس عما ليس إلا غلبت في الباطن ، فليشتغل بإراته بالمواظبة عليه . مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر .

الامتحان الرابع أن يحمل حاحه نفسه وحاحه أهله ورفقائه من السوق إلى البيت ،
 فإن أنت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء . فإن كان ثقل ذلك عليه مع حلو الطريق فهو كبر .
 وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشقة هذه الناس فهو رياء . وكل ذلك من أمراض القاب وعلاجه
 أنها مكته إن لم تتدارك . وقد أهمل الناس طب القلوب ، واشتغلوا بطلب الأجساد . مع أن
 الأحساد قد كتب عليها الموت لا محالة ، والقلوب لا تدرك السعادة إلا بإسلامها ، يقال
 تعالى (**إِلَّا مَنْ آمَنَ**) أي الله تعالى **تَقْبَلُ سَلَامَهُ** (١) ويروى عن عبد الله بن سلام ، أنه حمل
 حزمة حطب ، فقبيل له يا أبا يوسف ، قد كان في علمك وبتك ما يكفيك . قال أحل ،
 ولكن أردت أن أحرب عسى هل تذكر ذلك . فلم يقنع ، بها نأعطته من الدرم على ترك
 الأمانة . حتى حرسها ، أي صده أم كاذبة وفي الخبر (٢) **« مَنْ حَمَلَ الْقَدِيمَ أَوْ الشَّيْءَ فَقَدْ**
بَرَى مِنْ الْكِبَرِ »

الامتحان الخامس . أن يلبس ثياباً بذلة ، فإن نفور النفس عن ذلك في الملا رياء ، وفي
 الخلو كبر . وكان عمر بن عبد العزيز يروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال صلى الله
 عليه وسلم **« مَنْ اغْتَنَى أَلَمَ بِهِ وَأَسْهُمُ الْخُشُوفُ فَقَدْ بَرَى »** . من أن الكبر دقة عليه السلام
« إِنْ تَأْتَاكَ عُدَّةٌ سَكُنْ مَا دَرَضَ وَأَنْتَ مُشَوِّفٌ وَأَنْتَ أَلَمِيرٌ وَأَنْتَ أَصَابِي وَأَحِبُّ
دَعْوَةَ الْمَلُوكِ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي مُنْسِي » وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له
 إن أقواماً يتعبدون عن الجمعة بسبب ثيابهم ، فلبس عبادة جعل فيهم ما ساس

وهذه مواضع يجتمع فيها رياء والكبر ، في يخص بالملا هم والرباء ، وما يكون في الخلو
 فهو الكبر ، وعرف فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ، ومن لا يدرك المرض لا يداويه

(١) حديث من حمل الشيء ، ولم يكهنه بعد روى ، من كبر : أتبقى في الشعب من حدث في ثمانية وسبعه
 بعد من حمل الشيء

(٢) حديث من سفل الأمير وأسس يروي محمد بن زيد عن الكبر : أتبقى في الشعب من حديث أبي هريرة
 رتبة فيه وفي إسناده القاسم اليعمرى ضعيف جداً

(٣) حديث لما أُمِيعِدَ آكل بالأرض وألس الصوف - الحديث : آدم ، منه ومحدث فتيه

بيانه

غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق ، له طرفان وواسطة . فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرا ، وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تحسسا ومذلة ، والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تحاسن . فإن كلا طرفي الأمور ذميم ، وأحب الأمور إلى الله تعالى أوسطها . من يتقدم على أمثاله فهو متكبر . ومن يتأخر عنهم فهو متواضع ، أي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه . والعالم إذا دخل عليه إسكاف فتسحق له عن محاسنه ، وأحسسه فيه ، ثم تقدم وسوى له بعله ، وعد إلى باب الدار حلقه ، فقد تحاسن وتدان . وهذا أيضا غير محمود . بل المحمود عند الله العدل . وهو أن يعطى كل ذي حق حقه . فيدنى أن يتواضع مثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته . فأما تواضعه للسوق فبالقيام ، والبشر في الكلام ، وارفق في السؤال ، وإجابة دعوة ، والسعي في حاجته ، وأمثال ذلك ، وأن لا يرى نفسه خيرا منه . أن يكون على نفسه أخوف منه على غيره . فلا يحتقره ، ولا يستعفه ، وهو لا يعرف حجة أمره .

قد سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران وإن دونهم . حتى يخف عليه النواصع المحمود في محاسن الذات ، ليرى به التكبر عنه . فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع . وإن كان يشغل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكاف لامتواضع . بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ، ومن غرورية . فإن خف ذلك وصار بحيث يشغل عليه رعاية قدره . حتى أحب التماق والتحاسن ، فقد خرج إلى طرف النقصان ، فليرفع نفسه ، إذ ليس المؤمن من أن تدل نفسه . إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك عالم في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق . والميل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التماق أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر . كما أن الميل إلى طرف التبذير في المال أحمق عند الناس من الميل إلى طرف البخل . فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان . وأحدهما أخف

وكذلك نهاية التكبر ونهاية التقص والتذلل مذهب واحد، وأحدهما أفتح من الآخر ولحمود المطابق هو العدل، ووضع الأمور مواضعها كما يجب. وعلى ما يجب، كما يعرف ذلك بالشرع والمادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والمعجب والنواضع

السطر الثاني من الكتاب

في المعجب

وفيه يبين ذم المعجب وآفاته، وبيان حقيقة المعجب والإدلال، وحدهما. وبيان علاج المعجب على الحالة، وبيان أقسام مآبه المعجب، وتعميل علاجه

بيان

ذم المعجب وآفاته

اعلم أن المعجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) ذكر ذلك في معرض الإسكار. وقال عز وجل (وَضُوبًا أَتَتْهُمْ وَأَرْجَافُهُمْ خُضُوعُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يُحْسِبُوا^(١)) فرد على الكمار في إعجابهم بخصوسهم وشوكتهم وقال تعالى (وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِبُونَ ضَرْبًا^(٢)) وهذا أيضا يرجع إلى المعجب بالعمل. وقد يعجب الإنسان بعمل هو مخطيء فيه، كما يعجب بعمل هو مصيب فيه.

وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) «ثَلَاثٌ مَهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهُوَى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابٌ أَنْفُسِهِ» وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الأمة فقال^(٤) «إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا مُطَاعًا وَهُوَى مُتَّبَعًا وَإِعْجَابَ كُلِّ دِي رَأَى رَأْيَهُ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ»

(١) حديث ثلاث مهلكات من الحديث: تقدم غير مرة

(٢) حديث أني لم أدر أرب شقاء من وهووى. مع. وحب كل دى رأى رأيه فعلى نفسه يكون ود

والترمذى وحده وابن ماجه وقد تقدم

(٣) التوبة: ٢٥ (٤) الحشر: ٢ (٥) المكه: ٤٠٩

وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنين : القنوط والعجب : وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالنسي ، والطلب ، والجهد ، والنشور . والقنوط لا يسمى ، ولا يطلب والعجب يعتقد أنه قد سمد وقد ظهر غراده فلا يسمى فالوجود لا يطلب . والمحال لا يطلب والسعادة موحودة في اعتقاد المعجب . حادثة له ، ومستحيلة في اعتقاد القنيط . فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى (وَلَا تُرْكُوا أُنفُسَكُمْ)^(١) قال ابن جرير مماه : دأعمت خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم : لا تروها ، أي لا تعتقدوا أنها مارة . وهو معنى المعجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) يوم أحد بمسه ، فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكانه أنجبه ففعله العظيم . إذ فداه بروحه حتى جرح . فتفرس ذلك عمر فيه فقال : مارال يعرف في طلحة تأومند أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنأو هو المعجب في اللغة ، لأنه لم يقل فيه أنه أظهره واحترمه . ولك كان وقت الشورى قال له ابن عباس . أين أنت من طلحة قال ذات رجل فيه نخوة فإذا كان لا يتخلص من المعجب أمثالهم . فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم .

وقال مطرف : لأن آيت مانا ، وأصبح نادما ، أحب إلى من أن أنت قائما ، وأصح معدا . وقل صلى الله عليه وسلم^(٣) « تَوَلَّوْا الْحَشِيبَ عِنْدَكُمْ » فهو أشد من ذلك الْمُعْجَبُ الْمُعْجَبُ ، فحمل المعجب أكبر الدوب . وكان بشر بن منصور من الذين إذ رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة . لمواظبته على العادة . فأطال الصلاة يوما ورجل حمله يظن فطس له بشر . وما احترف عن الصلاة قال له : لا يحملك مارأيت مني . فإن باليس اعنه الله قد عبد الله تعالى مع المدة . ثم صار إلى ما صار إليه .

(١) حديث ووقى طلحة - رسول الله صلى الله عليه وسلم - يوم أحد . « تَوَلَّوْا الْحَشِيبَ عِنْدَكُمْ » الحديث من رواية

فمس بن أي حرم قال رأيت يد طلحة شلاء ووقى بها إلى صلى الله عليه وسلم

(٢) حدث يوم بدر والحشيت عديك وهو أشد من ذلك المعجب الزار . وإن حدث في الضعفا والبيق

في الشعب من حدث أس وفيه سلام من أي الله . قال البخاري مكر الحديث وقال

أحمد بن الحديث ورواه أبو منصور القمي في مسند العمدوس من حديث أبي سعيد

بسنده ضيف جدا

وقيل لما شقضى الله عنها : متى يكون الرجل مسيئاً ، قالت إذا طأ به محسن . وقد قال تعالى (لَا تَطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ أَنْفُسًا وَالْأَدَىٰ) (١) والمن نتيجة استعظام الصدقة ، واستعظام العمل هو المجب فظهر بهذا أن المجب مذموم جداً .

بيان آفة المجب

اعلم أن آفات المجب كثيرة . فإن المجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه في تولد من المجب الكبر ، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى ، فالمجب يدعو إلى سبيل الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدوها ، لظنه أنه مستغن عن تفقدها فبما . وما يتذكره منها فيستغفره ولا يستعظمه ، ولا يحرص على تداركه وتلافيه بل طأ به . وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبعج بها ويرى على الله نعمها ، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها . ثم إذا شغب بها عمى عن آفاتها . ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه صائداً فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن حائلة بقية عن الشوائب فله تقع . وإذا يتفقد من يعلب عليه الإسهة والحواف دون المجب . والمجب يكثر بنفسه ورأيه ، ويأمن بكر الله وعذابه ويرى أنه عند الله بمكان ، وأن له عند الله نعمة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه . وطرية من عطاياه . ويحرجه المجب إلى أن يرى على نفسه ويحمد ما ويركيها . وإن أعجب برأيه وعمله وعقله مع ذلك من الاستهدة . ومن الاستهدة والسؤال ، فيستبد بنفسه ورأيه . ويستكف من سؤال من هو أعلم منه . وربما يوجب بالرأى الخطأ الذي خطر له ، فيفرح بكونه من خواطره . ولا يفرح بخواطر غيره ، فيصر عليه ، ولا يسمع نصيح ناصح ، ولا وعظ واعظ . بل يصر إلى غيره بمين الاستعمال ، ويصر على خطئه . وإن كان رأيه في أمر ديني فيحقق فيه . وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به . ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه ، واستضاء نور القرآن ، واستعان بعلماء الدين . وواطب

على مدارسة العلم ، وتابع سؤال أهل البصيرة ، أكان ذلك يوصله إلى الحق . وهذا أمر له من آيات العجب ، فليدرك أن من الماهيات ، ومن أعظم آياته أن يهتد في السبيل إليه أنه قد صار ، وأنه قد استغنى وهو الملاك الصريح الذي لا شبيهة فيه . سأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

بيان

حقيقة العجب والإدلال وحدهما

اعلم أن العجب إذا يكون وصف هو كمال لا محالة . وللعالم كمال نفسه في علم وعمل ومال . وغيره حالان : أحدهما أن يكون حائفا على زواله ، ومشغفا على تكدره أو سلبه من أصله . فهذا ليس بعجب . والآخر أن لا يكون حائفا من زواله ، لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه . لا من حيث إضافته إلى نفسه . وهذا أيضا ليس بعجب . وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون عارفاً عليه ، بل يكون فرحا به مطعنا إليه . ويكون فرحا به من حيث إنه كمال . وجملة راحة . لا من حيث إنه عطية من الله تعالى وجملة . بل يكون فرحا به من حيث إنه صفة . وهدى . وبإيه تأمله . لا من حيث إنه مسوب إلى الله تعالى بأنه منه . فهما غلب على قلبه نعمة من الله ، مما شاء سلبها عنه ، زال العجب بذلك عن نفسه . وإذا العجب هو استعظام النعمة ، والركون إليها ، مع تسير إضافتها إلى المنعم . فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن الله عند الله حقا ، وأنه مكرم . حتى يتوقع عمله كرامة في الدنيا ، واستبعد أن يحرق عليه مكروه ، استبعدا يريد على استعماده ، يجري على الفسق ، سمي هذا إدلالا بالمال . فكأنه يرى نفسه على الله دله . وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعين عليه ، فيكون معجبا . فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تحلقه عن قضاء حقوقه . كان مدلا عليه . وقال قتادة في قوله تعالى (وَلَا تَعْنَنَّ) (١) أي لا تدل بعملك . وفي الخبر (١) « إِنَّ صَلَاةَ الْمُدْلِ لَا تَرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَلَا أَنْ تَصْحَكَ وَأَنْتَ مُتَرَفِّعٌ بِدَلَّتْ حَيْزٌ مِنْ أَنْ تُبَيِّكِي وَأَنْتَ مُدِلٌ بِعَمَلِكَ »

(١) حديث أن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه . الحديث : لم أجده أصلا

والإدلال وراء العجب ، فلا مدخل إلا وهو عجب . ورب عجب لا يدل . إذ العجب يحصل بالاستعظام وسيان العمة ، دون توقع حراء عليه . والإدلال لا يتم إلا مع توقع حراء . فإن توقع إحابة دعوته ، واستنكر ردّها ، وتعجب منه ، كان مدلا لعمله ، لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ، ويتعجب من رد دعاء الله . فلهذا هو العجب والإدلال ، وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم

بيان

علاج العجب على الجملة

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بصدده . وعلة العجب الجهل المحض ، فعلاجها المعرفة المساعدة لذلك الجهل ، فقط . فمعرض العجب عمل داخل تحت اختيار العبد ، كالمادة والمدقة ، والمرو . وسياسة الخلق وإصلاحهم . فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجهل والقوة ، والنسب ، وما لا يدخل تحت اختياره . ولا يراه من الله فقول

الورع والتقوى والمباذاة والعمل الذي به يعجب . إذا يعجب به من حيث إله فيه ، فهو محله ومجراه . أو من حيث إله منه وبسببه ، وبقدرته وقوته . فإن كان يعجب به من حيث إله فيه ، وهو محله ومجراه ، يخفى فيه وعليه من جهة غيره ، وهذا جهل . لأن المحل مسخر ومحرم لا مدخل له في الإيجاد والحصيل . فكيف يعجب بما ليس إله . وإن كان يعجب به من حيث إله هو منه وإليه ، وباختياره حسن ، وقدرته تم ، فينبغي أن يتأمل في قدرته ، وإرادته ، وأفعاله ، وسائر الأسباب التي بها يتم عمله . فما من أين كانت له ، فإن كان جميع ذلك بركة من الله عليه . من غير حق سبق له . ومن غير وسيلة يدلي بها ، فينبغي أن يكون إعجابه بحمود الله وكرمه وفضله . إذ أفاض عليه ما لا يستحق ، وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة . فهما رز الملاءمة له ، ونظر إليهم . وخضع من جهاتهم على واحد منهم . لالصفة فيه ، ولا لوسيلة ، ولا لخلق . ولا لخدمة ، فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه ، ويثاره من غير استحقاق . وإعجابه بنفسه من أين وما سببه . ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه . نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول . الملك حكم عدل

لا يظلم ، ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب . فلو لا أنه تفضل في صفة من الصفات المحمودية
الباطنة ، ما انتهى الإيثار الحامية ، ولم آثر بها . فيقال : تلك الصفة أيضا هي من خلقة
الملك وعطيته ، التي خصصك بها من غير ثمن غير وسيلة . أو هي عطية غيره ؟ فإن كانت
من عطية الملك أيضا . لم يكن لك أن تعجب بها . بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب
به ، فأعطاك علامة فصرت تعجب به . ونقول : إذا أعطاني علامة لأني صاحب فرس فأنا
عربي فلا فرس له . فيقال : وهو الذي أعطاك الفرس ، فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والعلام
معا . ويعطيك أحدهما بعد الآخر . إذ كان الكل . فينبغي أن يحبك حوده وفضله لا عيبك
وأما إن كانت تلك الصفة من غيره ، فلا يمد أن تعجب ملك الصفة . وهذا يتصور
في حق الملوك ، ولا يتصور في حق الخدرة الهرم ملك الملوك ، الممرد باحتراع الجميع
الممرد بإيجاد الموصوف والصفة . إليك إن نعمت بمادتك ، وقت وقتي للمادة حتى له ،
فيقال : ومن خالق الحب في قلبك ؟ فسنقول هو . فيقال : فالحب والمادة كلاهما نعمتان من
عنده ، ابتدأك بهما من غير استحقاق من حيثك ، إذ لا وسيلة لك ولا علاقة . فيكون الإعجاب
بحوده ، إذ أتم وجودك ووجود صفة لك ، وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك
إذ لا معنى لعجب المبدئ . نعم العالم كله ، وعجب الجليل بحمالة ، وعجب
المنعم . لأن كل ذلك من فضل الله ، وإن هو عن البصائر فضل الله تعالى وجوده ،
والحال أيضا من فضله وجوده . فإن قلت : لا ينكتني أن أجهل أعماله ، وأني أنا
عالمها . فإنني أنظر عليها وأنا ، ولولا أنها عملي ، انصرفت وأنا . فإن كانت الأعمال مخلوقة
لله على سبيل الاختراع من أي شيء الثواب وإن كانت الأعمال مني وتقدرني فكيف لا أعجب بها
فأعلم أن جوارحك من وجهي أحدهما هو صريح الحق ، والآخر فيه مسامحة . أما صريح
الحق فهو أنك وقدرتك ، وإرادتك وحركتك . وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما
صليت إذ عملت ، وما صليت إذ صليت ، وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى . فهذا هو
الحق الذي انكشف لأرباب القلوب ، بعاشدة أوضح من أبصار البصائر . بل خلقك
وخلق أمته لك ، وخلق فيها القوة والقدرة والصحة ، وخلق لك العقل والعلم ، وخلق لك

حتى تيسر لك الخير ، وتيسر لهم الشر . فعمل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ، ولا جريئة سابقة من الماسق العاصي . بل آثرك ، وفدحك ، واصطفائك بعضله ، وأبعد العاصي ، وأشقاه بعذله . فما أعجب أعجابك نفسك إذا عرفت ذلك !

فإذا لا تنصرف قدرتك إلى المقدور ، لا يسيطر الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى العمل إن كنت داعيا لتحقيقك الشكر والمه لاك . وسيتنى في كتاب التوحيد والتوكل من ين تسلسل الأسباب والمسببات مانسبين به لا فعل إلا الله ، ولا حاق سواه . والمحب ممن يتمجب إذا رزقه الله عقلا ، وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم ، فيقول كيف معنى قوت يومى وأنا العقل الفاضل وأفاض على هذا نعم الدنيا وهو العقل الجاهل ! حتى يكاد يرى هذا ظاهرا ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميع . السك ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال ، إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والعلمى وحرمتى منهما ، فملا حمتها إلى أو هلا رزقتى أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له . ما لك العقلاء مقرء ؟ . إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه . والمحب أن العقل الفقير وبما يرى الجاهل الغنى أحسن حالا من نفسه . ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقول ومقرء ؟ لا تمتنع عنه . فإذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر ، فم يجب من ذلك ؟ والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والحواجر على الذميمة القيحة . فتعجب وتقول : كيف يحرم مثل هذا الجلال من الزينة ، ويخصص مثل ذلك القبح ! ولا تدري المغرورة أن الجلال محسوب عليها من رزقها ، وأنها لو خبرت بين الجلال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجلال . إذ نعمة الله عليها أكبر . وقول الحكيم الفقيه العامل قابه . يارب لم حرمتى الدنيا وأعطينتها الحلال . كقول من أعطاه الملك فرسا . فيقول أيها الملك لم لا تعطىني الفرسا ، فأحب فرس فيقول كست لا تعجب من هذا لو لم أعطك الفرس . فمب أتى ما أعطيتك فرسا ، أصارت متى عليك وسيلة لك وحجة . تطالب بها نعمة أخرى . فهذه أوهام لأجل الجاهل علم ، وبما تجمع ذلك الحلال ويرال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد ، وعمله ، وأوصافه ، كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق : وهذا يبنى العجب والإدلال ، ويورث الخسوع . والشكر ،

والخوف من زوال النعمة . ومن عرف هذا لم يتصور أن يحب عمله ، إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى . ولذلك قال داود عليه السلام : يا رب ما أنى ليلة إلا وإنسان من آل داود قائم . ولا يأتى يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفى رواية ، ما تر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يمدك ، بما يصلى وبما يصوم وبما يدكرك . فأوحى الله تعالى إليه يا داود ، ومن أين لهم ذلك ؟ إن ذلك لم يكن إلا بى . ولولا عونى إياك ما قويت ، وسأكلت إلى نفسك . قال اس عيسى : يا عا أصاب داود ما أصاب من الذنب مجده . عمله ، إذ أضافه إلى آل داود مدلا له . حتى وكل إلى نفسه ، فأذنب ذنبا أورثه الحرث والدم . وقال داود يا رب إن بنى إسرائيل يسألوك إبراهيم . وإسحق . ويعقوب . فقال . إلى ألتيتهم فصبروا فقال يا رب وأ ، إن ابليتى صرت . فأدل بالعمل قبل وقته . فقال الله تعالى : منى لم أحرم بأى شىء أبتاهم . ولا فى أى شهر . ولا فى أى يوم . وأما تخذك فى سنتك هذه ، وشهرتك هذا . أبتايت عدا صرافة فأحدر صفت . فوقع فيما وقع فيه . وكذا لما اسكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) يوم حرس على قوتهم وكثرتهم وسوا . فبذل الله تعالى عليهم ، وقالوا لا لعب اليوم من قلة ، وكار إلى أنفسهم فقال تعالى (يوم خذ من إذ أعجبكم كثرتم) ^(٢) ثم كنتم شيث وصفت عليكم الأرض فاحسبتم وأنتم مذرب ^(٣) وروى ابن عسمة أن أيوب عليه السلام قال إلهى إياك ابتليتني بهذا البلاء ، وما ورد على أمر إلا آتت هوائى على هوائى . وودى من عمدة بعشرة آلاف صوت يا أيوب . أننى لك ذلك . أى من أين لك ذلك . قال فأحدر ماذا ووصمه على رأسه وقال . منك يا رب . منك يا رب . فرجع من سبانه إلى إمدة ذلك إلى الله تعالى . ولهذا قال الله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما كنا منك) ^(٤) من أحد أهدا ^(٥) وقال النبي

(١) حديث قوله يوم حرس لأهل بيته من قلة : الصحيح فى دلالة السورة من رواية الربيع بن أنس مرسل . أن رجلا قال يوم حرس من قلة اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله عز وجل يوم حرس . يا أيحيتكم كثرتم ولا ين مردويه فى تفسيره . من حديث أنس . قالوا . وم حرس أعنتهم كثرتهم فقالوا اليوم فقاتل فقرأ فيه : المرح من صلاة ضعفه الجمهور

صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس ^(١) «لأنهم شكم» من أحد يحييه عمله ، قالوا ولأنت يا رسول الله قال : ولأنا لأن يسمعني الله برحمته ، واقد كان أصحابه من نعمه يتمنون أن يكونوا ترابا ، وتساء ، وطيرا ، مع صفاء أعمالهم وقوتهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بعمله ، أو يدب ، ولا يخف على نفسه . فإذا هدهو الملاح القمع لمادة العجب من القلب ومهما عاب ذلك على القلب . شمله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها . بل هو ينظر إلى الكفار والفاسق وقد سلبوا نعمة الإيمان والضاعة غير ذب أدبوه من قبل ، فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يلى أن يحرم من غير جناية ، ويعطى من غير وسيلة ، لا يلى أن يعود ويسترجع ما وهب . فكيف من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وحنم له سوء ، وهذا لا يبق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم

بيانه

أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم أن العجب بالأسباب التي سها ينكر كما ذكره . وقد يعجب به لا يتكبر به ، كما حبه بالرأى الخطأ الذي يرين له عمله . فإليه العجب ثمانية أقسام :

العجب بالبره
وعمله

الأول : أن يعجب بده في جماله . وهيبته . وصحته . وقوته . وتاسب أشكاله ، وحسن صورته ، وحسن صوته . وواجبة تفصيل خلقته . فياتفق إلى جمال نفسه ، وينسى أنه نعمة من الله تعالى . وهو معرضة الروال في كل حال . وإلاجه مذكوره في السكب بالجمال وهو المذكر في أقدار ماضيه ، وفي أول أمره . وفي آخره . وفي الوحوه الجلية والأندان النعمة أنها كيف تحرم في الدواب . وأسمت في القبور ، حتى استقدرتها الطباع

العجب بالقدرة
وعمله

الثاني : البهش والقوة ، كما حكى عن قوم عاد حين قاتوا فيما أحبه الله عنهم (من أشد مشأوه ^(٢)) وكما تسكل عوح على قوه . وأعجب بها قادم حبالا يطبقه على عسكر

(١) حديث ما حكى من أحد يحييه عمله - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

موسى عليه السلام ، فثقب الله تعالى تلك القطعة من الحبل بقره هدهد ضعيف المقار ، حتى صارت في عنقه . وقد يتشكل المؤمن أيضا على قوته . كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال (١) : لأطوف الليلة على مائة امرأة . ولم يقل إن شاء الله تعالى . ثم ما أراد من الولد . وكذلك قول داود عليه السلام : إن استبقتى صبرت . وكان إعجابا منه بالقوة ، مما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث المحب بالقوة الهجوم في الحروب ، وإلقاء النفس في التهلكة . والمبادرة إلى الصرب والقتل لكل من تصد بالسوء . وعلاجه ما ذكرناه ، وهو أن يعلم أن محبته يوم تضمف قوته ، وأنه إذا أعجب بها رعا سدها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه

المحب بالعقل
الراجح
وهو المحب

الثالث . العجب بالعقل والكياسة ، والتعظيم لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وغرته الاستبداد بالرأى . وترك المشورة ، واستحصال الناس المحامين له ورأيه . ويخرج إلى قلة الأصحاء إلى أهل العلم ، يعرضون عنهم بالاستعانة بالرأى والعقل ، واستحقاقهم إهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ، ويتفكر أنه نادى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويحن ، بحيث يضلحك منه . ولا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم شكره . ولا يستقصر عقله وعلمه ، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا ، وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرّفه الناس أكثر مما عرّفه ، فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى ! وأن يتهم عقله . ويظهر إلى الخلق كيف يهذبون عقولهم ويضلح الناس منهم ، فيحذر أن يكون منهم وهو لا يرى . فإن الأمر بالعقل فلا يعلم قصور عقله ، فيدعى أن يعرف مقدار عقله من غيره لأن غيره ومن أعدائه لا من أصدقائه . فإن من يداهه يشي عليه ، فبريده عجبا ، وهو لا يحطن بنفسه إلا الخبير . ولا يحطن لحبل الله ويرداه عجبا .

المحب بالنسب
وهو المحب

الرابع : المحب بالنسب الشريف كمحب الهدشمية . حتى ينظر بعينهم أنهم يرجو شرف نسبه وبجأة آبائه ، وأنه مغفور له . ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد . وعلاجه أن يعلم أنه مما يخالف آباءه في أفعالهم وأحاديثهم . وطن أنه مباحقهم ، فقد جهل وإن اقتدى بآبائه . فما كان من أحلامهم المحب ، بل الخوف والإعزاز على النفس ،

(١) حديث يدل - ليهن لأصوف - عليه أنه امرأة - حديث . البخاري من حديث أبي هريرة

واستهظام الحلق، ومذمة النفس، وتقدس فوا بالطاعة، والملم، والخصال الحميدة، لا بالنسب
 هلية شرف بما شرفوا به. وقد سواهم في النسب وشاركهم في القائل من لم يؤمن بالله واليوم
 الآخر، وكابوا عند الله شرا من الكلاب، وأخس من الخدريز. ولذلك قال تعالى (يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) أي لا عاوت في أساسكم لاجتماعكم في أصل
 واحد. ثم ذكر فائدة النسب فقال (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) ثم بين أن
 الشرف بالقوى لا بالنسب فقال (إِنَّا كَرَّمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَاءِكُمْ) ولما قيل لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم "من أكرم الناس؟ من أكسب الناس؟" لم يقل من يفتنى إلى نسي
 ولكن قال وأكرمهم أكثرهم الصوت ذكر واشدهم له استعدادا، وإتتارت هذه
 الآية حين أدن الال يوم الحج على الكعبة. فقال الحارث بن هشام. وسهيل بن عمرو
 وحالد بن أسيد: هذا العبد الأسود يؤذن! فقال تعالى (إِنَّا كَرَّمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَاءِكُمْ)
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم "إِنَّ أُمَّةً قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ" أي كبرها
 وكثرتكم سوا آدم وآدم من تراب. وقال النبي صلى الله عليه وسلم "يَا مَعْشَرَ
 قُرَيْشٍ لَا يَأْتِي النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُؤْنِ الْمَلَأُ تَحْمِلُوهَا عَلَى رِقَابِكُمْ
 قُيُوتٌ يَنْحَدُّ يَنْحَدُّ فَأَقُولُ هَكَذَا" أي أمر من عكم فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا
 لم ينفعهم نسب قرش. ولما نزل قوله تعالى "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" (١) أدام
 بطنا بمدطن، حتى قال د باصمة بنت محمد باصية بنت عبد المطلب نعمة رسول الله

(١) حديث ابن له من كرم الناس من أكسب الناس ول كرمهم صوت ذكرا. الحديث: ابن ماجة
 من حديث ابن عمر روى قوله وأكرم الناس وهو سده بزيادة عبد بن أبي الهيثم في ذكر
 الموطأ آخر الكتاب

(٢) حديث ابن ماجة قد أذهب عنكم عيئة الجاهلية. الحديث: أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة
 ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال عريب

(٣) حديث ابن ماجة قرش لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتؤن الملاء تحملوها على رقابكم. الحديث:
 الطبري من حديث عمر بن الخطاب من حديث ابن ماجة قال يا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ وَسِتَّةِ صَيْفٍ

(٤) حديث ابن ماجة قوله تعالى وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ناداهم بطنا بعد بطن حنظلة قال يا غاطمة بنت محمد
 باصية بنت عبد المطلب. الحديث: ما وقع عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة

صلى الله عليه وسلم أنعملا لأنفسكم فإن لا أغنى عنكم من الله شيئا
من عرف هذه الأمور ، وعلم أن شرفه قدر تقواه ، وقد كان من عادة آتائه التواضع ،
أمدى بهم في التقوى والتواضع ، وإلا كان ضاعا في نسب نفسه بلسان حاله ، مهمما انتهى إليهم
ولم يشبههم في التواضع ، والتقوى ، والخوف ، والإشفاق .

وإن قلت : فقد قل صلى الله عليه وسلم (١) بعد قوله له طمة وصية « إني لا أغنى عنكم من
الله شيئا إلا أن لكم رجاءا ، لا اله الا الله » وقال عليه الصلاة والسلام (٢) « أرجوا
سليم شفاعتي ولا يرجوها بئو عند المظلم » فثبت يدل على أنه يحصن قرايته بالشفاعة
فأعلم أن كل مسلم فهو منتظر بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذبيب أيضا حدير
بأن يرجوها ، لكن بشرط أن يبقى الله أن يغضب عليه ، فإنه إن يغضب عليه ، فلا إذن
لأحد في شفاعته ، لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له ،
وإلى ما يفي عنه بسبب الشفاعة . كالذنوب عند مولا الدنيا ، فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر
على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك ، فمن الذنوب ما لا يحصى منه الشفاعة وعنه العبارة
بقوله تعالى (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْزَقْنَاهُ رِزْقًا) (٣) وقوله (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٤)
وبقوله (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (٥) وقوله (وَلَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ شَافِعِينَ) (٦)
وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه ، وجب الخوف والإشفاق
لأحالة ، ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة . لما أمر فريش باطاعة . ولما سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية . ولما كان بأذن لها في اتبع الشهوات
لتكمل لذاتها في الدنيا ، ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة .
فلا يهلك في الذنوب وترك التقوى ، أتكالا على رجاء الشفاعة ، يصاهاهم يهلك المريض في شهوراته ،

الشفاعة وله
تكملة

(١) حديث مولا بعد قوله بسم الله لصحة وصية لأنكم رحمات بها يلاها : مسلم من حديث أبي هريرة

بسط غير أنكم رحمات بها يلاها

(٢) حديث أرجو سليم شاعى ولا يرجوها بئو عند المظلم الطبراني الأوسط من حديث عبد الله

ابن عمر روى عن حماد بن حوشب عن إسحاق بن زاهر وكلاهما ضعيف جدا

(٣) الأنعام ٢٨ (٤) لقرة ٢٥٥ (٥) البقرة ٢٣ (٦) البقرة ٢٨

* سألها يلاها : أى صدكم في الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئا

اعتماداً على طبيب حاذق ، قرب . مشفق ، من أب أو أم أو غيره ، وذلك جهل لأن سعى الطبيب وحمته وحذقه . تنفع في إزالته بعض الأمراض لا في كلها . ولا يجوز ترك الحمية مطلقاً اعتماداً على مجرد الطب . بل للطبيب أثر على الجملة . والمكن في الأمراض الخفيفة ، وعد غلبة اعتدال المراح . وهكذا ينبغي أن تهتم عناية الشفاء من الأبداء والجمحاء ، الأقارب والأحباب ، به كذلك قطعاً . وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياه ، وقد كانوا يتمسبون أن يكونوا بها ثم من خوف الآخرة . مع كمال قواهم . وحسن أعمالهم ، وصعاء قلوبهم ، وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة ، وسائر المسلمين بالشعاعة عامة . ولم يتكلموا عليه . ولم يفرق الخوف والخشوع قلوبهم . وكيف يجب نفسه ، ويتكل على الشعاعة ، من ليس له مثل صحتهم وسبقتهم .

العجب بسبب
السلطنة
الظلمة ومهم

الحس العجب بسبب السلطنة الظلمة وأعوامهم ، دون سبب الدين والعم وهداية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخزيتهم ، وما جرى لهم من الظلم على عبد الله ، والفساد في دين الله . وأنهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار ، وأناسهم وأقدارهم ، لاستنكف منهم ، ولتبرأ من الانساب إليهم ، ولا ذكر على من نسب إليهم ، استقذاراً واستحقاراً لهم ولو انكشف له دلمهم في القيامة ، وقد تعمق الحصاص بهم . والملائكة آخذون بنواصيرهم ، يخرجونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد ، انتم إلى الله منهم . ولما كان انتسابه إلى الكذب والخبر أحب إليه من الانساب إليهم فحق أولاد الطمة إن عصمهم الله من ظلمهم ، أن يشكروا الله تعالى على سلامة دهرهم ، ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين فأما العجب بنسبهم في جهل محض .

العجب بكثرة
الأولاد
والاتباع
ومهم

السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد ، والخدم ، والعمان ، والعشيرة ، والأقارب والأنصار ، والاتباع . كما قال الكهلاء (نحن أكثر أمة وأولاداً) (١) وكما قال المؤمنون يوم حبي ، لا نعلم أيوم من قلة . وعلاجه ما ذكرناه في الكبير . وهو أن يتفكر في ضيقه وصفهم ، وأن كآبهم عبيد محرة ، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً . وكل من فئة

ويقال عجب منه كثرة من الله ثم كرم العجب به وإياه سيقولون عنه إدامات فيدفع
في يده ذليلاً مهيباً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير ،
فيسلمونه إلى اللى ، والحيات ، والعقارب ، والديدان ، ولا يملكون عنه شيئاً ، وهو في أحوج
أوقاته بهم وكذب يروون عنه وما في القيمة (يوم يهرأ الثرة من أخيه وأمه وأبيه
وصحبه وولده) لأنه في حرمهم مريض في شد حوالك ويهرب منك ، وكيف
تعجب ولا يركب في الله ، والقيمة ، وعلى انصراط ، لا يحبك وفضل الله تعالى فكيف
تتكلم على من لا سمع ولا يرى الله من ، منك ومرك . وموتك وحياتك

العجب بالمال
والعجب

الشيخ محمد بن أبي بكر قال في إحداهن صاحب الخطين يقول (ما أكثر
منك ما لا وأمر من) وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تروا إلا عجباً جالساً بحضرة فقراء
فانقص عنه وجمع له قال يهتدون له نأخذوا بك فقره ، وذلك للعجب بالمال
وعلاجه نأخذ في آفة المال ، وكثرة حقوقه ، وعظم عوائله ، ويظهر إلى فضيلة
الفقر ، وسبقه في حمة في القيمة ، وإلى أن المال عدو رائج ولا أصل له ، وإلى أن
في اليهود من يراعيه في المال وفي قوله عليه الصلاة والسلام (ما ربح رجل يستخر
في شئ له مدنيته إلا شئته إذا أمر الله الأرض فأخذته فهو يتخجل فيها إلى يوم
القيامة) أشركه في عتوه ، به بحاله ونفسه . وقال أبو ذر : كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، (١) فدخل المسجد فقال لي « يا أذر أرفع رأسك » فرفعت
رأسي فإذا رجل عليه ثياب جيدة ثم قال « أرفع رأسك » فرفعت رأسي فإذا رجل
عليه ثياب خفية فقال لي « يا أذر أرفع رأسك » فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خفية
وجميع ما ذكره في كتاب الزهد ، وكتبه دمه الدنيا ، وكتب ذم المال ، وبين حقارة

(١) حديث روى في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تروا إلا عجباً جالساً بحضرة فقراء » روى أحمد في الزهد

(٢) حديث روى في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تروا إلا عجباً جالساً بحضرة فقراء » روى أحمد في الزهد

(٣) حديث روى في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تروا إلا عجباً جالساً بحضرة فقراء » روى أحمد في الزهد

رأسي . حدثني أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تروا إلا عجباً جالساً بحضرة فقراء » روى أحمد في الزهد

الأعنياء . وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته ؟
 بل لا يحلو المؤمن عن خوف من تقصيره في انفاذ حقوق الناس ، في حربه من حله ، ووصفه
 في حقه . ومن لا يفعل ذلك قصيره إلى الخزي والخور ، فكيف يعجب بحله
 الثامن : العجب بالرأي الخطأ . قال الله تعالى (وَمَنْ يُضِلَّهُمْ يُضِلُّوا عَنْ سُبُلِ اللَّهِ) (١) وقال تعالى (وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ) (٢) وقد أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن ذلك يعاب على آخر هذه الأمة ، وبذلك هككت الأمم السابقة ، إذا افرقت فرقاً ،
 فكل معجب برأيه ، وكل حرب عادليهم فرحون وجميع هي المدع والالاء ، فسر وأعلىها
 المعجزة ، آرائهم والعجب بالبدعة هو سجنه له . وفيه الهو خو و الشهوة مع أن كونه حقاً
 وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره ، لأن العجب لشيء خفي عن طوائفه ، ولو عرفه
 لتركه ولا يلح الداء الذي لا يعرف . والجهل داء لا يعرف . فتمسكه رواه هذا . لأن
 العارف يقدر على أن يبين للأهل جهله . ويريه عنه . لا يمكن مع برأيه وجهله . فإنه
 لا يصحى إلى لعارف ويتهمة ، فقد سقط الله عليه رية ، كما هو . مع كيف يكن
 علاجه ، وكيف يطلب العرب بما هو سبب سجنه في سجنه . ولا حجة على الجنة أن
 يكون متهماً برأيه أبداً ؛ لا يقتربه إلا أن يشهد له قاطع من كتاب ، أو سنة ، أو دليل
 عقلي صحيح ، جامع لشروط الأدلة ؛ ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ،
 ومكانن المعصية . إلا بقريحة ، وعقل ، فم . رحد وتشر في كتاب ، وممارسة
 للكتاب والسنة ، ومجاسة لأهل العلم ، طول المعر . وممارسة مع ذلك فلا يؤمن
 عليه المنطق في بعض الأمور . والصواب لمن يتبرع لاستعراق عمره في العلم ، أن
 لا يخوض في المذاهب ، ولا يصحى إليها . ولا يسمها . ولكن يعقد شئ الله تعالى واحد
 لا شريك له ، وأنه ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم ، وأن سواه باطل في خبره .

العجب بالرأي
الخطأ

(١) حدث الله تعالى على آخر هذه الأمة لا عجب بالرأي هو داء شائن في سجنه . ردت شحا مصدا

وهو معصا واحب كل ذي رأي برأيه فعدت حمية عصب وعصب في أود و برمدى

ويتبع سلة السلف . ويؤمن بحجة ما جاء به الكتاب والسنة ، من غير بحث وتقييد ، وسؤال
عن تفصيل . بل يقول آمنا وصدما . ويشغل بالتقوى ، واجتناب المعاصي ، وأداء الطاعات ،
والشفقة على المسلمين ، وسائر الأعمال . فإن حاص في المذاهب والبدع ، والتعصب في العقائد
هناك من حيث لا يشمر . هذا حق كل من عزم على أن يشتمل في عمره شيء غير العلم
فإنما الذي عزم على التحرد للعلم ، فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك ما يصلح الأمر
فيه . والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديدا ، لا يقدر عليه إلا الأقوياء
المؤيدون بنور الله تعالى ، وهو عزير الوحود جدا . فمسأل الله تعالى المعصمة من الضلال
ونموذبه من الاعتراض بخيالات الجهال

تم كتاب ذم السكر والمحب ، والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

کتاب فتح البغداد

كتاب فَمَ الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربح المهلكات
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور. يخرج أرواياه
من الظلمات إلى النور، ومورد أعدائه ورطبات العرور والسلا على محمد مخرج الخلائق
من الديحور وعلى آله وأصحابه الذين لم نعرهم الحياة الدنيا ولم نعرهم بالله الغرور. صلاة تتوالى
على ممر الدهور، ومكر الساعات والشهور

أما بعد، ففتح السدود التيطة والفضة، وسبع الشقاوة العرور والعقبة فلا نعمة لله
على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى إشراف الصدر بنور البصيرة
ولا قمة أعظم من الكفر والمعصية. ولا داعي، أيهما سوى عبي القاب ضمة الجمالة.
فلا كياس وأرباب المصائر فلو بهم (كمشكاة فيه، متبأخ المتبأخ في راحة، الراحة
كأنها كوكب دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
رَيْسُهَا يُصَيِّدُ، وَلَوْ لَمْ تَنْفَسْهُ أَزْدَادُكَ عَلَى قُورٍ^(١)) والمعترون قلوبهم (كصدمات في بحر
لحى، يمشه مَوْخٍ مِنْ قَوْفِهِ مَوْخٍ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ، ضَلَمَاتٌ مَعْصُوفٌ قَوْقُ امْعُضْ، إِذَا
أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَالَهُ مِنْ نُورٍ^(٢)).

قالا كياس هم الذين أراد الله أن يهديهم، فشرح صدورهم لإسلام والهدى والمعون هم الذين أراد
الله أن يضاهم، فجعل صدورهم صيقا حرجا كأنه يسعد في السماء والمعرور هو الذي لم تفتح
بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا، ونقى في العمى فانخذ الهوى قائدا والشیطان دليلا،
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا.

وإذا عرف أن العرور هو أم الشقاوات. ومنع المهلكات، فلا بد من شرح مداحله

ومحرمه ، وتفصيل ما يكثر رموع الضرر فيه ، ليحذره المرید بعد معرفته فينتقيه . فلهذا من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد ، فأخذ منها حذرهم ، وبنى على الحزم والبصيرة أمرهم . ونحن شرح أحاسن محاربي الضرور ، وأصناف المعترين من التهمة والعماء والصالحين الذين اعتروا عبادي الأمور الحنية طواهرها ، القبيحة سرارها . ونشير إلى وجه اعتبارهم بها ، وعلمهم عنها ، فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ، ولكن يمكن التنبية على أمثلة نفى عن الاستقصاء . ووفق المبرين كثرة . ولكن يجمعهم أربعة أصناف :

الصف الأول من العلماء . الصف الثاني من المحدثين . الصف الثالث من المتصوفة . الصف الرابع من أرباب الآمال . والمستمر من كل صف فرق كثيرة . وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المذكر مبروراً . كالذي تجد المحدث يزخر بها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يبيع فيه نفسه وبين ما يبيع فيه الله تعالى . كالواعظ الذي عرّضه القول والجاه ومنهم من يترك الأثم ويشغل نفسه . ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالأمثلة . ومنهم من يترك الآداب ويشغل بالقشر . كالذي يكون همه في الصلاة ، مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف . إلى غير ذلك من مداخل لا تنضج إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة . ولابد أولاً من ذكر غرور العلماء ، ولكن بعد بيان ذم الضرور ، وبيان حقيقة وحدته .

بيان

ذم الضرور وحقيقته وأمثله

اعلم أن قوله تعالى (ولا تَمُرُّنَّكُمْ أَحْيَاءُ الدُّنْيَا وَلَا يَحْرُثَنَّكُمْ يَاللَّهِ الزُّرُورُ) (١) قوله تعالى (والكمَّكمُ مَنَّمْ أَنْفُسُكُمْ وَتَرَبُّعُكُمْ وَإِنْ نَسْتُمْ وَعَرَّيْكُمْ الْآمَنَاتُ) (٢) الآية ، كاف في ذم الضرور . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا حياءَ يومَ الأَكْبَاسِ وفطرُهم كَيْفَ يَمُوتُونَ سَهْرَ الْخُنْفِ وَأَخْمَدُهُمْ وَيَأْثُقُلُ دَرَمُهُ مِنْ صَاحِبِ قُوَى وَيَقِيں أَفْضَلُ "

(كتاب ذم الضرور)

(١) حديث حمدا يوم الأَكْبَاسِ وفطرهم - الحديث - أن النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب النبي من قول أي الضرور . جوه وفيه انقطاع وفي بعض الروايات أي "ورد موضع أي الضرور . ولم تحده من قوله

من ملء الأرض من المتفريين : وقد صلى الله عليه وسلم "الكس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أن يع نفسه هو اها وتنتي على الله" وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على دم الغرور . لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل . إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به ، والغرور هو جهل ، إلا أن كل جهل ليس غرور . بل يستدعي الغرور مغرورا به مخصوصا ، ومغرورا به وهو الذي يفرقه فهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى ، وكان السبب الموحب للجهل شبهة وعجلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا ، سمي الجهل الحاصل به غرورا فامروره هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع ، عن شبهة وخدمة من الشيطان . فمن اعتقد أنه على خير . إما في المآجل أو في الآجل ، عن شبهة فاسدة ، فهو مغرور . وأكثر الناس يظنون بأنهم الخيروم يخطئون فيه . فأكثر الناس إذا مغرورون وباحتلت أصناف غرورهم . واختلت درجاتهم ، حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض ، وأظهرها وأشدّها غرور الكفار . وغرور المعاصاة والمساك . فنورد لها أمثلة لحقيقة الغرور

فسره الكفار

المثال الأول : غرور الكفار . فمنهم من غرته الحياة الدنيا ، ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرته الحياة الدنيا ، فهم الذين قالوا : لقد خير من الدنيا ، والدنيا نقد ، والآخرة نسيئة ، فهي إذا خير ، فلا بد من إتيانها . وقالوا : اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقين ، ولذات الآخرة شك ، فلا تترك اليقين بالشك . وهذه أقيدة فاسدة ، تشبه قياس إبليس حيث قال (أنا خير منه خدعتني من نار وصدقته من طين^(١)) وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يحقق عنهم العذاب ولا هم ينعصرون^(٢)) . وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان . وإما بالرهان .

أما التصديق بمحرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله (ماعدكم يومئذ وما عند الله باق^(٣)) وفي قوله عز وجل (وما عند الله خير^(٤)) وقوله (والآخرة خير مما يجمعون^(٥))

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . الحديث . الترمذي وابن ماجه من حديث شاذ بن أوس

(١) من : ٧٩ (٢) بقرة : ٨٦ (٣) النحل : ٩٦ (٤) لقمان : ٦٠ (٥) الأعلى : ١٧

وقوله (وَالْآخِرَةُ لَإِذَا نَسَخَ الْمَرْوَرُ^(١)) وقوله (وَلَا تَحْكُمُوا بِأَنفُسِكُمُ الدُّنْيَا^(٢))
وقد أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) بذلك طوائف من الكفار ، فقلدوه وصدقوه
وآووا به ، ولم يحاطوا به من المؤمنين . وهم من قال^(٤) : نشدك الله أبشرك الله رسولا ؟
فكان يقول : فيصدق . وهذا إبان العامة ، وهو يخرج من المرور وينزل هذا منزلة
تصدق الصبي والده في أن حضور المكثب خير من حضور الملعوب : مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا
وأما المرفقة بالين والبرهان . فهو أن يدرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه
الشیطان . فإن كل مرور يمر به سبب . وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع
قياس يقع في النفس ، وورث السكون له ، وإن كان صاحبه لا يشعر به . ولا يقدر على تصمه
بأنه طالع الله . فاقبس الذي خطمه الشيطان فيه أصلا . أحدهما . أن الدنيا قد ، والآخرة
سبيطة ، وهذا صحيح . والآخرة قوله إن القدح خير من السيئة ، وهذا محل التليس . فليس
الأمور كذا . بل إن كان المقدم مثل السيئة في المقدار والمقصود ، فهو خير وإن كان أقل منها
فالسبيطة خير . وإن الكافر المرور يدل في تجارتها درهما لياخذ عشرة سيئة : ولا يقول
النقد خير من السيئة فلا تركه . وإذا حذر الطبيب الفواكه والذائد الأظعمة ترك ذلك
في الحال . خوفا من ألم المرض في المستقبل . فقد ترك النقد ورضى بالسيئة . والتجار كلهم
يركبون البحار ، ويتمون في الأسفار نقدا : لأجل الراحة والريح سبيطة . وإن كان عشرة
في ثاني الحال . خيرا من واحد في الحال ، فاسب لدة الدنيا من حيث مدت بها إلى مدة الآخرة . فإن
أقصى عمر الإنسان مائة سنة . وأيسر هو عشر عشر من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة

(١) حديث تصديق بعض الكفار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غير مطالبة بالبرهان
هو مشهور في السنن من ذلك قصة سلام لأهله وبنيهم وهو عدل فمد من حديث جابر وفيه
حق يشاء الله إليهم من يرب طأ وبناه وصدقاه فيخرج الرجل منا يؤمن به ويقرئه انقر . فليذهب
إلى أهله فيسلموا بالسلامة . الحديث : وهي عند أحمد بإسناد جيد

(٢) حديث قول من قال له : نشدك الله . فرب رسول يقول نعم فيصدق : نعم عليه من حديث أنس في قصة
صهم برأفة وهو له لسي صلى الله عليه وسلم الله أرسلت الناس كلهم قتل لهم ثم وفي آخره
فقال الرجل آمنته . حدث به بصراي من حديث أنس في قصة صهم قال شدك به أهو أرسلت
فأنت كسبت وأما رسالتك أن تشهد لا به لا لله وأن يدع الثلاث والرى قال نعم - الحديث !

فكأنه ترك واحدا يأخذ ألف ألف بل يأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن طر من حيث
 النوع، رأى أدات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنوعات وأدات الآخرة صافية غير مكدرة
 وإذا قد غلط في قوله القد خير من السبئية فهذا عرور مشوه بقول لفظ عام مشهور،
 أطلق وأريد به حص، فعلى المعرور عن خصوصه مما فإن قال القد خير من السبئية، أراد به
 - من سبئية هي مثله، وإن لم يصرح به - وعندهم بقرع الشيطان إلى القياس الآخر، وهو
 أن اليقين خير من الشك، والآخرة شك. وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا
 أصديه أحل. إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والآخرة خير في نفسه على يقين. وفي ربه
 على شك، والمعققة في اجتماعه على يقين. وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصيد في
 ترده في المقتضى على يقين. وفي الضم بالعبد على شك. وكذا الحرم دأب العقلاء، لا في
 وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن الناحر يقول إن لم أتجرب قيت حائما وعظم ضررى
 وإن أتجرت كان تبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء الشبع الكريه،
 وهو من الشف، على شك، ومن مرارة لدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة
 الدواء قليل بالإضافة إلى مناساته من المرض والموت وكذلك من شك في الآخرة،
 فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول: أيام الصبر قلائل، وهو منتهى العمر، بالإضافة
 إلى ما قال من أمر الآخرة. فإن كان. قيل فيه كذبا، فما يفوتني إلا التمتع أيام حياتي، وقد كنت
 في العدم من الأول إلى الآن لأنهم. فأحب أني قببت في العدم. وإن كان ما قيل صدقا
 فأتى في الدار أبد الآباد، وهذا لا يخطئ. ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين إن
 كان ما نقلته حقا فقد تحمست وتحلصنا وإن كان ما نقله حقا فقد تخلفنا وهذا كذا وما قال هذا
 عن شك منه في الآخرة، ولكن كالملاح على قدر عقله، وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور
 وأما الأصل الثاني من كلامه، وهو أن الآخرة شك، فهو أيضا خطأ. بل ذلك
 يقين عند المؤمنين. وإيقينه مدركان: أحدهما الإيذان والتصديق تقليدا للأنبياء
 والمعلماء. وذلك أيضا يزول العرور، وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص
 ومثالهم مثل مريض لا يعرف دواءه، وقد اتفق الأطباء وأهل الصاعقة من عند آخرهم
 على أن دواءه البهت الصلاني. فإنه تظمن نفس المريض إلى تصديقهم. ولا يطاق لهم بتصحيح

ذلك بالبراهين الطبية . بل يثق بقولهم ويعمل به . ولو نقي سوادى يومه . يكدسهم في ذلك . وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عدداً ، وأعرز منه فضلاً ، وأعلم منه بالطب . بل لا عذر له بالطب ، فيعلم كذبهم بقولهم ، ولا يمتنع كذبه بقوله . ولا يفتخر في علمه بسببه . ولو اعتمد قوله ، وترك قول الأطباء . كان محتوها معروراً . فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها ، والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها ، وجدّم خير خلق الله . وأعلام رتبة في البصيرة ، والمعرفة والعقل . وهم الأنبياء ، والأولياء ، والحكماء ، والعلماء . زابهم عليه الحق على أصنامهم ، وشذمهم آحاد من الباطنيين ، عيب عليهم الشهوة ، ومات نفوسهم إلى التمتع ، فمطم عليهم ترك الشهوات ، وعضه عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار . فجددوا الآخرة . وكذبوا الأنبياء . كما أن قول النبي وقول السوادى لا يران طائفة القاب إلى ما تنق عليه الأطباء ، فكذلك قول هذا النبي الذي استقرت الشهوات . لا يشك في صحة قول الأنبياء والأولياء والعلماء . وهذا القدر من الإيمان كاف بخفة الخلق ، وهو يغيب حاربه يستحث على العمل بالآخرة . والغرور يزول به . وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة ، فهو الوحي الأنبياء ، والإلهام للأولياء . ولا يظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمر الدين . تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه . كما أن معرفتك تقليد لآلى صلى الله عليه وسلم ، حتى تكون معرفتك مثل معرفته . وإنما يختلف التقليد فقط ، وهيئات . فإن التقليد ليس بمعرفة . بل هو اعتقاد صحيح . والأولياء عارفون . ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها ، فشاهدوها بالبصيرة الباصرة . كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر . فيجبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد . وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح ، وأنه من أمر الله تعالى ، وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذي يقابل المعنى ، لأن ذلك الأمر كلام . والروح ليس بكلام . وليس المراد بالأمر الشأن ، حتى يكون المراد أنه من خلق الله فقط . لأن ذلك عام في جميع المحسوسات . بل العالم علان . عالم الأمر ، وعالم الخلق والأمر . فالأجساد ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق ، وإد الخلق عاربه عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر . وشرح ذلك سر الروح . ولا رخصة

في ذكره . لاستصرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي مع من إثباته . فمن عرف
سر الروح فقد عرف نفسه . وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه . وإذا عرف نفسه وربه
عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته ، وأنه في العالم الجسماني غريب ، وأن هبوطه إليه
لم يكن مقتضى طبعه في ذاته ، بل أمر عارض غريب من داته . وذلك العارض الغريب
ورد على آدم صلى الله عليه وسلم ، وعبر عنه بالمعصية . وهي التي حطته عن الجنة التي هي
أليق به بمقتضى ذاته . فإنها في حوار الرب تعالى . وأنه أمر رباني . وحيدته إلى حوار الرب
تعالى له صدى دني ، إلا أن بصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من داته .
فيسى عند ذلك نفسه وربه . وهما من ذلك فقد طم نفسه . إذ قيل له (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْعُمَهُمْ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ وَلَهُمْ آفَاقٌ لَّا تُبْصَرُ)^(١) أي الخارجون عن مقتضى طبعهم
ومظنة استحقاقهم . يقال فسقت الرطبة عن كمامها إذا خرجت عن مدها . فطرى وهذه
إشارة إلى أسرارهم . لاستشاق روائعها المعروفة . وتتميز من سماع القامها القامرون
فإنها نصرتهم كما نصر رباح الورد بالحمل . وتبر أعينهم الضميمة كما تبر الشمس أبصار
الخفافيش . وافتتح هذا الباب من مر القاب إلى عالم الملائكة . بمرقة وولاية . وبسعى
صاحبه وليا وعارفا . وهي مبادئ مقامات الأنبياء ، وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأبياء
وليرجع إلى الفرض المطلوب . فالتقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك ، يدفع
إما بيقين تقيدى ، وإما بتفسير ومشاهدة من جهة الحق . والؤمنون بأنفسهم وبمقامهم
إذ أصبحوا أوامر الله تعالى ، وخرجوا الأعمال السالحة . ولا سوا الشهوات والمأص . فهم
مشاركون للكمال في هد العرور ، لأنهم آثروا الحياء الديا على الآخرة . نعم أمرهم أخف
لأن أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأبد . فيخرجون من النار ولو بعد حين ، ولكنهم
أجسام من الغرورين . فإنهم اعتبروا بأن الآخرة خير من الدنيا . ولكنهم مالوا إلى الدنيا
وآثرواها . ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز . قال تعالى (وَبَنَىٰ نَعْمَانَ ابْنُ بَابٍ وَأَمْسَ وَعَمِلَ سَالِحًا
ثُمَّ هَتَدَى ^(٢)) . قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ رَبُّ)^(٣) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وقال تعالى: (وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ) (١) والآخر: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) (٢) فوعده المعصية في جميع كتاب الله تعالى بسوط بالإيمان والعمل الصالح جميعاً، لا بالإيمان وحده، فهو لا أيضاً مغرورون، أغنى المطمئنين إلى الدنيا، المرحين بهما، المترفين بنعيمها، المحبين لها، الكارهين لصوت خيمة فوات لذات الدنيا، دون الكارهين له خيفة لما بعده، فهذا مثل الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعاً. ولما ذكر للمرور بالله مثلين من غرور الكافرين والعاصين، فأما غرور الكفار بالله، فمثله قول بعضهم في أنفسهم وألسنتهم: لو كان الله من مواد، فبحسب أحق به من غير ما به ونحن أوفر حظاً فيه وأسهل حالاً، كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرحمن المحاورين إذ قال: (وَمَا أَطْعَمَهُ السَّاعَةُ قائمةً وثمن رُدَّتْ إلى ربِّي لأحدن حُبْر منها مُقْلَبٌ) (٣) وجملة أمرهما كما قل في التفسير: أن الكافر بهما بنى قصرًا بألف دينار، واشترى بستاناً بألف دينار، وخدمها بألف دينار، وتروح امرأة على ألف دينار، وفي ذلك كله يظنه المؤمن، يقول: اشتريت قصرًا يهي وبخرب، ألا اشتريت قصرًا في الجنة لا يهي! وخدمها لا يهيون ولا يموتون، وزوجة من الحور العين لا تهرت، وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول: ما لك شيء، وما بين من ذلك فهو أكاذيب، وإن كان فليكون لي في الجنة خير من هذا، وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول: (لا ونبي، إلا أولاد) (٤) فقال الله تعالى ردًا عليه: (أَطْلَعْ الْعَيْنُ أُمِّ النَّحْدِ عِنْدَ الرَّنْحَنِ عِنْدَ كَلَّا) (٥) وروى عن خباب بن الأرت أنه قال: (٦) كان لي على العاص بن وائل دين، فبذت أمة صاه، فلم يقض لي، فقلت إني آخذه في الآخرة، فقال لي: إذ صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولداً أقصيك منه، فأرسل الله تعالى قوله: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لاؤنيت، إلا أولاد) (٧)

(١) حديث لا حديث من مد فله كذا... (٢) حديث لا حديث من مد فله كذا... (٣) حديث لا حديث من مد فله كذا...

(٤) حديث لا حديث من مد فله كذا... (٥) حديث لا حديث من مد فله كذا... (٦) حديث لا حديث من مد فله كذا...

تعالى أفرايت الذي كفر بآياتنا الآية البخاري ٥

(١) سورة العصر (٢) الكهف: ٣٦ (٣) مريم: ٧٧ (٤) مريم: ٧٨ (٥) مريم: ٧٧

وقال الله تعالى (وَأَنزَلْنَا رَحْمَةً مِّنَّا مِن مَّاءٍ صَرَاءً سَمِيَّةً يَأْكُلُونَ هَذَا فِيَوْمٍ أَظَنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنَّ رَحْمَتِي إِلَى رَجْبِي إِذَا لِي عَذَابٌ لَّاعْنَسِي ^(١))

وهذا كله من الغرور بالله، وسببه قياس من أقيسة بليس نعوذ بالله منه، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا، فيقيسون عليها نعمة الآخرة. وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم، فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى (وَيَقُولُونَ فِي أَفْسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ^(٢)) فقال تعالى جواباً لقولهم (حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْذَوْنَ بِهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ^(٣)) ومرة ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غمر، فيردون بهم ويستعقروهم فيقولون (أَهْؤُلَاءِ مَن آتاهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ ^(٤)) ويقولون (لَوْ كُنَّا حُتَرًا مَّا يُقْتُولُونَ إِيَّاهُ ^(٥)) وترتيب القياس الذي علمه في قلوبهم، أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا نعم الدنيا، وكل محسن فهو محب. وكل محب فإنه يحسن أيضاً في المستقبل، كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقي

وإما يقيس المستقبل على الماضي واسطة الكرامة والحب، إذ يقول: لولا أني كريم عند الله محبوب. لما أحسن إليّ، واللبس تحت طبعه أن كل محسن محب، لا أن تحب ما به أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان، فقد اعترى بالله إذ ظن أنه كريم عنده، بدليل لا يدل على الكرامة. بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان. ومثله أن يكون للرجل عبدان سفيران. ينفخ أحدهما ويحب الآخر. والذي يحبه ينعمه من اللاب، ويرمه المكذب، ويحبسه فيه ليملحه الأدب، وينعمه من الفواكه وملاد الأطعمة التي تضره، ويسقيه الأدوية التي تنفعه. والذي يرمسه يهمله ليبيش كيف يريد، فيأب. ولا يدخل المكاتب، ويأكل كل ما يشتهي، ويمض هذا العبد الممل أنه عند سيده محبوب كريم. لأنه مكتمل من شهوانه ولذاته وسامده على جميع أعراسه. فلم ينعمه ولم يحضر عليه. وذلك محض الغرور وهكدا نعيم الدنيا ولذاتها. فإنها مراكات ومبعدات من الله ^(٦) فإن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه

(١) حدثنا الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه - حديث - لترمذي وحده والخامس وصحة

من حديث قتادة بن العمان

(٢) تبارك : ٥٠ (٣٠ ٢) المجادلة : ٨ (٤) الأنعام : ٥٣ (٥) الأحقاف : ١١

كما يحمي أحدهم صرخته من الطعام والشراب وهو يحبه . هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر
وكانت أرباب البصائر إذا أنجبت عليهم الدنيا حزوا وقالوا : ذنب عجات
عقوته ورأوا ذلك علامة الموت والإهمال . وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا
بشمار العساخين . والمعروف إذا أنجبت عليه الدنيا طس أنها كرامة من الله ، وإذا صرفت عنه
طس أنها هوان ، كما أخبر الله تعالى عنه إذ قل (هَامَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ
وَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ هَوَامَا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)
فأجاب الله عن ذلك (كَلَّا) أي ليس كما قال ، إنما هو ابتلاء ، نعوذ بالله من شر
الابتلاء . ونسأل الله التثبيت فبين أن ذلك غرور . قال الحسن : كدسها جميعا بقوله (كَلَّا)
يقول ليس هذا أكراحي ولا هذان هواني وليس الكرم من أكرمته بطاعتي ، غنيا كان
أو فقيرا ، والمهان من أهنته بمعصيتي . عيا كان أو فقيرا .

وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان ، إيمانا بصبره أو بالتقليد أما البصرة
فبأن يعرف وجه كون الالتفات إلى شهوات الدنيا ممددا عن الله ، ووجه كون التنازع عنها
مقربا إلى الله ، ويدرك ذلك بالإلهام في منازل المعارفين والأولياء ، وشرحه من جملة علوم
المكاشفة ، ولا يليق بعلم الممثلة وإنما معرفته بطريق التقليد والتصديق . وهو أن يؤمن
سكتاب الله تعالى . ويصدق رسوله . وقد قل تعالى (يُحْسِبُونَ أَنَّ مَا نُنْزِلُهُمْ بِهِ مِنْ
عَالٍ وَمِنْ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) وقال تعالى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) وقال تعالى (وَتَجَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا هَرَجُوا
عَنْ أَوْتَارٍ أَخَذْنَاهُمْ نَفْثًا فَنَسَفْنَاهُمْ مَسْخُورِينَ) وفي تفسير قوله تعالى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) أنهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة . ايزيد غرورهم
وقال تعالى (إِنَّمَا تُنْزِلُ لَهُمْ آيَاتِهِمْ لِيَرْدُّوا إِلَيْهَا) وقال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ عَافِيًا عَمَّا
يَعْمَلُونَ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ أَيُّوْمَ تَشْخِصُ فِيهِ الْأُنْصَارُ) إلى غير ذلك مما ورد
في كتاب الله تعالى وسنة رسوله . فمن آمن به تخلص من هذا الغرور . وإن منشأ هذا الغرور

(٣٠٢٠١) الفجر : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ (١) يؤمنون : ٥٥ ، ٥٦ (٧٠٥) النور : ٤٤ (٢) لا ميم ٤٤

(٨) آل عمران : ١٧٨ (٩) إبراهيم : ٣٢

الجهل بالله وبصفاتة ، فإن من عرفه لا آمن مكره ، ولا يفتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر إلى فرعون ، وهامان ، وقارون ، وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم ، كيف أحسن الله إليهم انتداء ، ثم دمرهم تدميراً فقال تعالى (هُنَّ نَحْسٌ مِنْهُنَّ مَنْ أَحَدٌ ^(١)) الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال (لا يأمنُ مكرُ الله إلا القومُ الخاسرون ^(٢)) وقال تعالى (ومـكـروا مـكـرً ومـكـرً ومـكـرً ومـكـرً لا يَشْعُرُونَ ^(٣)) وقال عز وجل (ومـكـروا ومـكـرَ الله والله خبيرُ المـكـرِ ^(٤)) وقال تعالى (إِيَّاهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ^(٥)) وأكيد كيدهم الكافرين أنهمهم رؤيداً ^(٦)) فكيف لا يجوز لامد المهمل أن يستدل بإهم السيد إياه ، وتكيد من الهم ، على حب السيد ، ويذم أن يحذر أن يكون ذلك مكرامه وكيد ، مع أن السيد لم يحذره مكره ، فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجاً أولى فإذا من آمن مكر الله فهو معتبر ومدشاً هذا الغرور أنه استدل سم الدنيا على أنه كريم عند ذلك المغم . واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ، ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى ، فالشيطان بواسطة الهوى يتل بالقلب إلى ما يوافقه ، وهو التصدق بدلائله على الكرامة ، وهذا هو حد الغرور

المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين ، يقولهم إن الله كريم ، وإنا نرجو عفوهم ، واتكأهم على ذلك ، وإهمالهم الأعمال ، وتحسين ذلك بسمية تنبيههم واعتراهم رجاء ، وطهم أن الرجاء مقام محمود في الدين . وأن نعمة الله واسعة . ورحمته شاملة ، وكرمه عظيم . وأين معاصي العباد في بحار رحمته ، وإنا موحدون ومؤمنون . فترجوه بوسيلة الإيمان . وربما كان عند رحمتهم لمساك بصلاح الآباء ولورثتهم . كاعتزاز العلوية بنسبهم ، ومخافة سيرة آبائهم في الخوف ، والتقوى ، والورع . وطهم أنهم أكرم على الله من آبائهم ، وإد آبائهم مع غاية الورع والتقوى كانوا حائزين . وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون . وذلك نهاية الاعتزاز بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسان أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحكم ، فلا تحتاجون إلى الطاعة . وينسى الغرور أن وعا عليه السلام

(١) مريم : ٩٨ (٢) الاعراف : ٩٩ (٣) النحل : ٥٥ (٤) آل عمران : ٥٤ (٥) الطارق : ١٥

أراد أن يستصحب ولده معه في السجدة . فإذ يرد فكان من المرفقين فقال (رب
 إنا أنسى من أهلى^(١)) فقال تعالى (يا نوح إنا أنسى من أهلى^(٢) فعملت ما أحب^(٣))
 وأن إبراهيم عليه السلام ستمر لأبيه من بعده وأن صلى الله عليه وسلم^(٤) . وعلى
 كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يروى قبر أمه ويستمر لها . وأذن له في الزيارة ولم يؤذن
 له في الاستغفار . فحسب على قبر أمه لفته لها بسبب القراءة ، حتى أركب من حوله
 فهذا أيضا اعتراها الله تعالى . وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويمض العاصي . فكما أنه
 لا يمض الأب المطيع منه لاولد العاصي . وكذلك لا يحب الولد العاصي بحوله الأب المطيع
 ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى العاصي أيضا إلى الحق أن
 لا تر واردة ورر أخرى . ومن طمأنه ينجو بتقوى أبيه . كمن ص أنه يشيع بأكل
 أبيه ، ويروى بشرب أبيه ، ويصير عالما بتعلم أبيه ، ويعمل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه
 فاتقوى فرض عين فلا يخفى فيه والد عن ولده شيئا . وكذا العكس . وعند الله جزاء
 التقوى يوم يهر المرء من أخيه . وأمه وأبيه ، إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله
 عليه ، ويأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبير والمعجب

فإن قلت فأن الغلط في قول المصنف والفقهاء إن الله كريم . فإن رحور رحمة ومهفوفه
 وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا . وهذا لا كلام صحيح مقبول الطاهر في القلوب
 فاعلم أن الشيطان لا يعوى إلا بالكلام مقبول الطاهر . مردود الباطل . ولولا
 حسن خهره لما اتخذت به القلوب . ولكن الذي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك
 فقال^(٥) « ألكيس من دان نفسه وعمن لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها
 وتمنى على الله » وهذا هو النوى على الله تعالى . غير الشيطان اسمه سبحانه رجاء ، حتى خدع
 به الحامل . وقد شرح الله الرجاء فقال (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وحاهدوا في سبيل

(١) حيث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن من ربه في قبر أمه واستمر لها . وفي الزيارة ولم يؤذن له

في الاستغفار . الحديث : من أحب من أحب أبيه

(٢) حديث الكعبى من قال الله : فقدم فريدا

الله وَأَنْتَ يَرْحُومٌ رَحْمَةُ اللَّهِ (١)) معنى أن الرحاء هم أبق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجرأ على الأعمال . قال الله تعالى (حَرَاهُ يَتَأَكَّأُوا يَمْلُؤُونَ (٢)) وقال تعالى (وَإِنَّا لَنُوقِنُ أَنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ (٣)) أي يرى أن من استوحش على إصلاح أوائه ، وشرط له أجرة عليها ، وكان الشرط كرتين في الموعد مهما وعد ، ولا يخلف أن يزيد فداء الأجير وكسر الأوائ ، وأقد جيبوا . ثم جلس يظفر الآخر ، ويرغم أن المستأجر كرم أمره القلاء في انتظاره متمنيا مغرورا ، أو راجيا ، وهذا الجبل بالفرق بين الرجاء والجرة قيل للحسن : قوم يقولون رحوا الله ويضيعون العمل . فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يرجحون فيها من رجاشيت طلبه ومن خوف شيت هرب منه . وقال مسلم بن يسار . لقد حدثت أبا رجة حتى سقطت ثنياني فقال له رجل : أرحوا الله . فقال مسلم . هيهات هيهات من رجاشيتا طلبه . ومن حاف شيتا هرب منه . وكما أن الذي يرحو في الدنيا ولدا وهو بعد لم يكج . أو يكج ولم يحجع ، أو جامع ولم يزل ، فهو محتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن ، أو آمن ولم يعمل صالحا . أو عمل ولم يترك المعاصي ، فهو معرور . فكأنه إذا كج ، ووضي ، وأزل . في مرردا في الولد ، يحوف ويرحو . مثل الله في خلق الولد . ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أربتم فهو كيس ، فكذلك إذا آمن ، وعمل الصالحات ، وترك السيئات ، وفي مرردا بين الحروف والرجاء ، يحوف أن لا يقبل منه . ير أن لا يدوم عليه وأن يحتم له ناكوه . ويرحو من الله تعالى أن يشبه ما غول الثابت ويحفظ دينه من صواعق مكرات الموت . حتى يموت على التوحيد . ويحرص قلبه عن الميل إلى الشهوات ببقية عمره حتى لا يعيل إلى المعاصي فهو كيس . ومن عدا هؤلاء فهم المرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون الذئاب من أضل سبيلا . وتنعمن بأمد مدحن . وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم (زُلْماً ابْهَرُوا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَنُ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ (٤)) أي علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقاع وسكاح ، ولا يلبث زرع إلا بحرارة وبت بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح . فارجما نعمل صالحا ، فقد علمنا الآن صدقتك في قولك ، وأن ليس إلا إنسان إلا ما سمى . وأن سميه سوف يرى (كُلَّمَا أَتَى فِيهَا قَوْمٌ جَاهِلٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا

(١) البقرة : ٢١٨ (٢) الواقعة : ٢٤ (٣) آل عمران : ١٨٥ (٤) الملك : ٨

أَمْ يَا بَنِي آدَمَ، أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْتٌ فَذُكِّرْتُمْ بَنِي آدَمَ؟ (١) أَمْ لَمْ يَسْمَعْكُمْ سَمْعُ اللَّهِ عِبَادَهُ، وَأَنْ تَتُوبَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ، وَأَنْ كُلَّ عَمَلٍ نَاكَسَتْ رَهِيَةً، فَمَا لَدَىٰ عَرْشِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ تَسْمَعُوا وَعَقَلْتُمْ؟ (٢) قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (٣)

فمن قالت: وأن مظنة الرجاء وموضعه المحمود، لا علم أنه محمود في موضعين: أحدهما: في حق العاصي المنهك إذ حطرت له التوبة، فقل له الشيطان وأنى تقبل توبتك؛ فيقظه من رحمة الله تعالى، فيجيب عنه هذا أن يقع القنوط بالرجاء، ويتذكر أن الله يغفر الذنوب جميعاً، وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده، وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب. قال الله تعالى (فُلْ يَاعَادِي الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُصُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ أَجْمَعَةَ إِنَّهُ هُوَ تَعَوُّزُ الرَّحِيمِ وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) (١) أمرهم بالإجابة وقال تعالى (وَأَنِّي لَمَعَارِضُ مُنْتَهَىٰ الْأَعْيُنِ أَهْدَىٰ) (٢) إذ توقع المزمرة مع التوبة فهو راج، وإن توقع المزمرة مع الإصرار فهو معزور. كما أن من صدق عليه وقت الجمعة وهو في السوق، فخطر له أن يسعى إلى الجمعة. فقل له الشيطان إنك لا يدرك الجمعة فأقم على موضعك، فكذب الشيطان ومر يعدو، وهو يريد أن يدرك الجمعة فهو راج. وإن استمر على التجارة، وأحذر حو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت، أو لأجل غيره، أو بسبب من الأسباب التي لا يمرهما، فهو معزور.

الثاني: أن تفتقر نفسه عن فضائل الأعمال، ويقتصر على الفرائض، فيرحى نفسه نعيم الله تعالى، وما وعده الصالحين. حتى يبيت من الرخاء نشاطاً مودة، فيقبل على الفضائل، ويتذكر قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (١) إلى قوله أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ أَثَرَهُمْ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢)

فالرجاء الأول: يقع القنوط المانع من التوبة، والرجاء الثاني: يقع الفتور المانع من النشاط والتشمر. فكل توهم حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء. وكل رجاء أوجب فتوراً في العبادة وركواً إلى البطالة فهو عزة. كما إذا خطر له أن يترك الدب

ويشتغل بالعمل ، فيقول له الشيطان مالك ولا يذء نفسك وتعذيبها ، ولك رب كريم ؛
 عرور رحيم . فيفتقر بذلك عن التوبة والعبادة ، فهو عرة . وعند هذا واجب على العبد أن
 يستعمل الخوف ، فيحرف نفسه ، فيغضب الله وعظيم عقابه . ويقول إنه مع أنه غائر الذنوب
 وقابل التوب ، شديد العقاب وإنه مع أنه كريم . حله الكه في الدار ألد الآباد ، مع
 أنه لم يصره كفرهم . بل ساطع العذاب ، والمخ ، والأمراس . والعلل والعقر ، والجوع .
 على جهة من عباده في الدنيا ، وهو قادر على براتها . فمن هذه سنته في عباده . وقد خوفي
 عقابه ، فكيف لأخافه ، وكيف أعتبه . فالحوف والرجاء قائدان وسائقان ، يبعثان
 الناس على العمل . فالأبيات على العمل فهو عن وعرور . ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم
 وسبب إقبالهم على الدنيا ، وسبب إعراسهم عن الله تعالى ، وإهمالهم السعي الآخرة . وذلك
 عرور . فقد أخبر صلى الله عليه وسلم ^(١) وذكر أن العرور سيعذب على أبواب آخر هذه الأمة
 وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم . فقد كان الناس في الأعمار الأول يواطون على
 العبادات ، ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وحدة أنهم إلى ربهم راحمون ، يخافون على أنفسهم وهم
 طول الليل والليل في طاعة الله . فالعون في الفتوى والحد من الشهوات والشهوات ،
 ويمكن على أنفسهم في الخلو . وأما الآن ، فتري الخلق آسفين ، مسرورين ، مصممين
 غير حائزين ، مع إكسابهم على المعاصي ، وإهمالهم في الدنيا . وإعراسهم عن الله تعالى ،
 وإهمالهم أنهم وانقون بكرم الله تعالى وفضله ، راجون لعفوه ومغفرته ، كأنهم يزعمون
 أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأدياء ، والصحابة ، والسلف الصالحون . فإن كان
 هذا الأمر يدرك بالي . ويدل الهوى . ملام ذلك بكاء أوامث ، وحومهم ، وحرهم .
 وقد ذكر تحقيق هذه الأمور في كتب الخوف والرجاء . وقد قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ^(٢) ، فيما رواه معقل ابن يسار : « يأتي على الناس زمان يحق فيه الفقر ، في

(١) حديث في العرور . حدث على آخر هذه الآية ، ما في حردم الآية . فمما وهو حدث في حياة
 في عباد تقي ربي ربه

(٢) حديث معقل بن يسار . حدث على أنس بن مالك . وفيه العرور في قلوب الرجال . الحدث . فهو مصور
 الحديث في مسند العرور . من حديث ابن عباس . حواء . مسند في حياة . وذكره من حديث معقل

فَلُوبُ الرِّحَالِ كَمَا تَخْلُقُ الثِّيابُ عَلَى الْأُتْدَانِ أَمْزُهُ كَلَّةٌ يَكُونُ طَمَعًا لَا حَرْفَ مَعَهُ
 وَإِنْ أَحْسَنَ أَحَدُهُمْ قَالَ يُتَقَبَّلُ مَيِّ وَإِنْ أَسَاءَ قَالَ يُعْتَرَى لِي ۖ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَضُونُ الطَّمَعَ
 مَوْضِعَ الْخَوْفِ لَجَهْلِهِمْ تَخَوُّفَاتِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ وَبِمَثَلِهِ أَحْبَبَ عَنِ الصَّارِي إِذْ قَالَ تَعَالَى
 (فَخَافَ مِنْ عَذَابِهِمْ خَشَفَ وَرَثُوا السَّكَابَ) ۖ أَخَذُوا عَرَضَ هَذِهِ الْأَذَى وَيَقُولُونَ
 سَيُفْقَرُ لَنَا ۖ) وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ وَرَثُوا السَّكَابَ أَيَّ هُمْ عِلْمُهُ ، وَيَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذِهِ الْأَذَى أَيَّ
 شَهْوَاهِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا ، حَرَامًا كَالْأَوْحَلَا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (وَلَيْسَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ خَشْيَانٌ) ۖ
 (ذَلِكَ مِنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ) ۖ (٢١) وَالْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ تَحْذِيرٌ وَتَخْوِيفٌ
 لَا يَتَمَكَّرُ فِيهِ مَتَمَكِّرٌ إِلَّا وَيَطُولُ حَرْنُهُ ، وَيَعْظُمُ خَوْفُهُ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِمَا فِيهِ وَتَرَى النَّاسَ
 يَهْذِبُهُ هَذَا يَخْرُجُونَ الْخُرُوفَ مِنْ مَخَارِجِهَا ، وَيَتَمَاطَرُونَ عَلَى خَنْفِهَا ، وَرَفْعِهَا ، وَنَصْبِهَا
 وَكَثَانَتِهِمْ يَقْرَءُونَ شَمْرًا مِنْ أَشْوَارِ الْعَرَبِ ، لَا يَهْتَمُّونَ بِالْإِسْمَاتِ إِلَى مَا فِيهِ . وَالْعَمَلُ تَعَالَى
 وَهَلْ فِي الْعَالَمِ غُرُورٌ يَزِيدُ عَلَى هَذَا . فَهَذِهِ أَمْثَلَةُ الْغُرُورِ نَالَهُ ، وَيَبَيِّنُ الْفَرْقَ بَيْنَ الرِّجَاءِ وَالْغُرُورِ
 وَيَقْرَبُ بِهِ غُرُورَ طَوَائِفِ لَهْمِ طَائِفَاتٍ وَمَعَانٍ ، إِلَّا أَنْ مَعَانِيَهُمْ كَثُرَ . وَهُمْ يَتَوَقَّعُونَ
 الْمَغْفِرَةَ ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ تَرَحُّجُ كَمَةِ حَسَابِهِمْ ، مَعَ أَنْ مَا فِي كَمَةِ الْبَيْتِ أَكْثَرُ وَهَذَا عِلَالَةُ
 الْجَهْلِ قَرَى الْوَاحِدُ يَتَصَدَّقُ دِرَاهِمُ مَعْدُودَةٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَيَكُونُ مَا يَتَدَاوَلُ مِنْ
 أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالشَّهَابِ أَصْدَقَهُ . وَأَمَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ
 وَيَطْلُقُ أَنْ أَكْلَ أَمِّ دِرْهَمٍ حَرَامٌ . يَقَاومُهُ التَّصَدَّقُ عَشْرَةَ مِنَ الْحَرَامِ أَوْ الْحَلَالِ وَمَا هُوَ إِلَّا
 كَنْ وَصَعِ عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ فِي كَمَةِ مِيرَانٍ . وَفِي الْكَمَةِ الْأُخْرَى أَمَّا . وَأَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ الْكَمَةَ
 الْبَيْتِيَّةَ بِالْكَمَةِ الْحَقِيقَةِ . وَذَلِكَ عِلَالَةُ جَهْلِهِ . أَمَّا : وَهُمْ مِنْ يَطْلُقُ أَنْ طَاعَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ
 مَعَانِيهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ قَسْوًا وَلَا يَتَقَدَّمُ مَعَانِيَهُ ، وَيَدَامِلُ طَاعَةَ حَقِّهَا وَاعْتِدَابَهَا ، كَالَّذِي
 يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِأَسَانِهِ ، أَوْ يَسْحَقُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ يَتَبَّعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْقُ أَعْرَاصَهُمْ
 وَيُنْكَاهُمْ نَا لَا يَرَاهُ اللَّهُ طَوِيلَ النَّهَارِ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَعَدَدٍ . وَيَكُونُ طَرَفُهُ إِلَى عِدَدِ سِدْقَتِهِ
 أَنَّهُ اسْتَعْمَرَ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةً ، وَعَمِلَ عَنْ هَذِيحِهِ طَوِيلَ نَهَارِهِ ، الَّذِي لَوْ كَتَبَهُ الْخَلْقُ مِثْلَ تَسْبِيحِهِ

مائة مرة أو ألف مرة ، وقد كتبه الكرام الكاسون ، وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة
 قال (مَا يُلْمِظُ مِنْ قَوْلِهِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)^(١) بهذا يتأمن في مسائل التسيبجات
 والتهليلات . ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المفتابين ، والكذابين ، والعمامين ، والمدافقين
 يظهرون من الكلام ما لا يضررونه ، إلى غير ذلك من آفات اللسان . وذلك محض الغرور
 ولعمري لو كان الكرام الكاسون يطالبون منه أحرة الدخ لما يكتبونه من هذيانه الذي
 زاد على تسيبه . لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جهة من مهماته ، وما ينطق به في
 قتراته كان يعمه ويحسبه ، ويوازنه بتسيبجاته ، حتى لا يفضل عليه أجرة نسجه . فيا عجبا
 لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفا على قيراط يموته في الأحرار على الدخ . ولا يحتاط خوفا
 من فوت الردوس الأعلى ونعيمه . ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها . فقد دعت إلى
 أمر إن شككنا فيه كما من الكثرة الجاحدين ، وإن صدقنا كما من اتقى الغرورين ، فما
 هذه أعمال من يصدق عما جاء به القرآن . وإيا برأ إلى الله أن يكون من أهل الكفران
 وسبحة من صدنا عن الله واليقين مع هذا البيان ، وما أجدر من يقدر على تسلط من
 هذه العملة والغرور على القلوب أن يحشى ويتق ، ولا يمر به اتكالا على أباطيل المي
 وتعاليل الشيطان والهوى ، والله أعلم

بيان

أصناف المبرين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف

الصنف الأول أهل العلم والمعنون منهم فرق فقرة أحكموا العلوم الشرعية
 والعقوبة ، وتمسكوا فيها ، واشتغلوا بها ، وأهملوا بقدر الجوارح ، وحفظها عن المماضي ،
 والإرها الطاعات ، واعتبروا بمعهم ، وطأوا أسهم عند الله مكان ، وأنهم قد يأموا من العلم
 مبلغا لا يذهب الله مثلهم ، بل يقبل في الخلق شفاعتهم ، وأنه لا يطالبهم . وبهم وخطاياهم
 لكرامتهم على الله . وهم مغرورون . فإنهم لو نظروا بين البصيرة ، علموا أن العلم عدان
 علم معاملة . وعلم كاشفة ، وهو العلم بالله وبصفاته ، المسمى بالمادة علم المعرفة : فأما العلم

أعظم من التمثيل بالكاتب والخطار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « من أزداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا ابتداءً » وقال أيضاً ^(٢) « يلقى الله لم يلقى الله » وقد لقي نبياً في قعرها في النار كما يذور الجراد في الرخى ، وكقوله عليه الصلاة والسلام ^(٣) « شر الناس العلم : السوء » وقول أبي الدرداء « ويل الذي لا يعلم مرة ، ولو شاء الله لعلمه » وويل الذي يعلم ولا يعمل . ثم صرات أي أن العلم حجة عليه ، إذ يقال له : ماذا عملت فيما علمت ؟ وكيف قضيت شكر الله ؟ وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلومه » فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم . في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العلم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان عليه إلى ما يهواه ، وذلك عين العرور فإنه إن نظر بالبصرة ، مثله ما ذكرناه وإن ظر بين الإبان ، فالذي أحضره بميلة العلم هو الذي أخبره بنظم العلماء السوء . وأن حالهم عند الله أشد من حال الجاهل ، وبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية العرور .

وأما الذي يدعى علوم المكاشفة . كالعلم بالله ، ونفسه ، وأسمائه . وهو مع ذلك يميل العمل . ويصبح أمر الله وحدوده ، وفروقه أشد . ومثله مثل من أراد خدمة ملك ، فعرف الملك ، وعرف أخلاقه ، وأوصافه . ولونه ، وشكله ، وطوله ، وعرضه . وعاداته وعجاسه ، ولم يتعرف ما يحب ويكرهه . وما يفض عليه وما يرضى به . أو عرف ذلك ، لا أنه قصد خدمته وهو ملاس بجميع ما يفض به وعليه ، وعاطل عن جميع ما يحبه من رضى ، وهيبته ، وكلام ، وحركة ، وسكون ، فورد على الملك وهو يريد التقرب منه ، والاحتصاص به ، متطاعاً بجميع ما يكرهه الملك . عاطلاً عن جميع ما يحبه . متوسلاً إليه بعرفته له ولذنبه ، واسمه ، ولونه ، وصورته ، وشكله . وعاداته في سياسة عماره ، ومعاملة رعيته . فهذا عرور جدا . إذ لو ترك جميع ما عرفه ، واشتغل بعرفته فقط ، ومعرفة ما يكرهه ويحبه ،

(١) حديث من أزداد علماً ولم يزد هدى - الحديث : تقدم في العلم

(٢) حديث يلقى العالم في النار فتلقى ألقابه - الحديث : تقدم غير مرة

(٣) حديث شر الناس علماء السوء : تقدم في العلم

(٤) حديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلومه : تقدم فيه

إمكان ذلك أقرب إلى يله المراد من قره والاحتضار به . بل تقصيره في التقوى ، واتباعه
 للشهوات . يدل على أنه لم يكشف له من معرفة الله إلا الأسماء دون المعاني . إذ لو عرف
 الله حق معرفته . لحشيه وانتقامه . فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يحافه
 وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : *حيى كما تحف السحارى* . نعم . من يعرف
 من الأسود به : وشكله . واسمه . تد لا يحافه ، وكأنه ما عرف الأسد من عرف الله تعالى
 عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ، ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله
 آلاف مؤلفة ، وأند عليهم العذاب أبد الآباد . لم يؤثر ذلك فيه آثرا ، ولم تأخذه عليه رقة .
 ولا اعتراه عليه حرج . ولذلك قال تعالى : *(إنا نخشى الله من عباده الأمم : ١١)* وفاتحة
 الرور رأس الحكمة خشية الله . وقال ابن مسعود : *كفى نخشية الله عسا ، وكفى*
بالاغترار بالله جهلا . واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب ، وقيل له . إن فقهاءنا لا يقولون
ذلك . فقال : وهل رأيت فقيها قط ؟ الفقيه الفائم ليله ، الصائم ساره ، الزاهد في الدنيا .
وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يبارى ، يدشر حكمة الله . فإن قامت به حمد الله ، وإن ردت
عليه حمد الله . فإذا ألقى من فقه عن الله أمره وسببه ، وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه . وهو
العالم . ومن يرد الله به خيرا يعقبه في الدين . وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المأرورين
وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل ، فواطبوا على الطاعات الطاهرة ، وتركوا المعاصي
إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله ، من الكبر ، والحسد ،
والرياء ، وطلب الرياسة والعلاء . وإرادة سوء الأقران والمظراء ، وطلب الشهرة
في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم ، فهو مسكب عليها ، غير متحرج
عنها . ولا يلتفت إلى قوله صلى الله عليه وسلم ^(١) « أدنى الرياء شرك » وإلى قوله عليه
السلام ^(٢) « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » وإلى قوله عليه الصلاة

(١) حديث أدنى الرياء شرك . تقدم في ذم الخاء والرياء .

(٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر . تقدم غير مرة

والسلام^(١) « الْحَسَّةُ يَأْكُلُنُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَكُنُ النَّارُ الْخَطِيئَةَ » وبلى فواته عليه الصلاة والسلام^(٢) « حُبُّ الشَّرَفِ وَأَمْدُ يُبْتَنِ النَّفَاقَ كَمَا يُبْنِي الْمَاءُ الْقَمَلَ » إلى غير ذلك من الأحاديث التي أوردناها في جميع دبرج الملهكات في الأخلاق المذمومة . وهؤلاء زنا واطلوا هرم ، وأهملوا وطهم ، و - واقواه صلى الله عليه وسلم^(٣) « إِنْ لَمْ يَنْصُرْ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْصُرُ إِلَى مَوْتِكُمْ وَأَنْتُمْ لَكُمْ » فتمهدوا للأعمال وماتهم بدوا القلوب والقلب هو الأصل ، إذ لا يجوز إلا من أنى الله بقلب سليم

ومتان هؤلاء كبر الخشب ، طاهرها جص ، وباطنها نبي ، أو كقصور الموتى ، طاهرها مزين ، وباطنها حبة ، أو كبيت مظلم باطنه ومع سراج على سطحه . فاستدر طاهره ، وباطنه مظلم ، أو كحل قصد الملك صيافته إلى داره ، فخصص باب داره ، وترك المزال في صدر داره ، ولا يخفى أن ذلك عرور . بن أفرب مثال إليه رجل درج ذرافقت ، وتبت معه حشيش يفسده ، فأمر بحقية لراع عن الحشيش تقمه من أصله فأخذ يجر رؤسه وأطرفه ، فلا تزال تقوى أصولا فسدت . لأن معارس المذمى هي الأخلاق الذميمة في القلب فن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات السكثيرة بل هو كريض طاهره الحرب ، ومد أمر بالصلاة وشرب الدواء ، والطلاء يزين ما على طاهره والدواء ليقطع مادته من سطحه ، ففنع بالطلاء وترك الدواء ، وفي يتناول ما يريد في المادة ، فلا يزال يطلى الطاهر والجرب دائم به ، يتعحر من المادة التي في البطن

وهرفة أخرى عموا أن هذه الأخلاق الذميمة مذمومة من جهة الشرع . إلا أنهم اعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم ينعكسون عنها ، وأنهم أرفع عند الله من أن يتلبس بذلك . وإنما يتلبس به الدوام دون من بلغ مباهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتلبسهم . ثم إذا ظهر عليهم غييل الكبر ، والرياسة ، وطب العلو ، والشرف . قالوا مهذا كبر ، وبها هو طالب عز الدين ، وإظهار شرف العلم ، ونصرة دين الله ، وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين .

(١) حديث الحسن يأكل الحسنات - الحديث : تقدم في آداب وغيره

(٢) حديث حب المال وشرف يبتن النفاق في القلب - الحديث : تقدم

(٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم - الحديث : تقدم

وإني لو لمست الدون من الثياب ، وحلست في الدون من المجلس ، اشميت في أعداء الدين ، وفرحوا بذلك ، وكان ذلّي ذلاً على الإسلام . ونسى الممرور أن عدوّه الذي حذّره منه مولاه هو الشيطان ، وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به ، وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين ، وبماذا أدرغم الكافرين . ونسى ما روى عن الصدّيقة من التواضع ، والتبذل ، والقناعة بالفقر والمسكّة ، حتى عاتب عمر رضى الله عنه في بذاذة ربه عند قدره إلى الشام فقال : يا قوم أعزّنا الله بالإسلام ، ولا نصلب العر في غيره . ثم هذا الممرور يطلب عر الدين بالثياب الرقيقة من القصب ، والديق . والإبرسم المحرم ، والخيلول ، والمراكب ، ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين . وكذلك مهما أطاق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئاً من كلامه . لم يظن بنفسه أن ذلك حسد . ولكن قال : يا هذا غصب للحق ، ورد على المبطن في عدوّه وطله ، ولم يظن بنفسه الحسد . حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم ، أو مع غيره من رئاسة وروح فيها ، هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن ، سيكون غضبه لله ، أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومع ، بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه ، وحسده لأقرانه . من خبت باطنه ؟ وهكذا يرائي بأعماله وعلومه ، وإذا خطر له حاصر الزياء قال هيئت . إنما عرصى من إظهار العلم والعمل اقتداء الحق في ليتندوا إلى دين الله تعالى ، فيتخلصوا من عقاب الله تعالى . ولا يتأمل الممرور أنه ليس يفرح قداء الخلق بغيره ، كما يفرح بآدابهم . فهو كان عرفه صلاح الخلق له ربح صلاحهم على يد من كان . كمن له عبيد عرصى يريد منهم ختم ، فإنه لا يهرق بين أن يحصل شيء ثم على يده أو على يد طيب آخر . ورنى يذكر هذاله . ولا يحاييه الشيطان أبداً ويقول : إنما ذلك لأنهم إذا اهتمدوا في كل الأخرى ، والتواكب لي . وإنما فرحى شواب الله . لا تقول الخلق قولى . هذا ما يظنه بنفسه ، والله مطلع من صميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الجول وإخفاء العلم ، أكثر من ثوابه في الإظهار ، وحسن مع ذلك في سجن ، وقيد بالسلاسل ، لا احتال في هدم السجن وحل السلاسل ، حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته . من تدريس أو وعظ أو غيره . وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ، ويشتى عليه . ويتواضع له ، وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام . قال له الشيطان :

هيئات. إنما ذلك عند الطمع في مالهم فأما أنت ففرضك أن تشمع للمسلمين، وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك. والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر أبمض أقرانه قبول عند ذلك السلطان، فصار يشقه في كل مسلم، حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين. ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يفتح حاله عند السلطان بالطمع فيه، والكذب عليه لعمل وكذلك قد ينتهي عرور بهضهم إلى أن يأخذ من مالهم. وإذا خطر له أنه حرام، قال له الشيطان: هذا مال لا مالك له. وهو لمصالح المسلمين، وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين. أهلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك؟ فيفتقر هذا السليس في ثلاثة أمور أحدها: في أنه مال لا مالك له، فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد. والذين أخذ منهم أحياء، وأولادهم وورثتهم أحياء. رعاية الأمر وقوع الحائط في أهوالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخطبها، فلا خلاف في أنه مال حرام. ولا يقال هو مال لا مالك له. ويجب أن يقسم بين العشرة. ويرد إلى كل واحد عشرة، وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر

الثاني: في قواه. إنك من مصالح المسلمين، وبك قوام الدين، ولعل الدين فسد دينهم واستحلوا أهوال السلاطين. ورغوا في طاب الدنيا. والإقبال على الرياسة، والإعراض عن الآخرة بسببه، أكثر من الذين رهدوا في الدنيا ورفضوها، وأدملوا على الله فهو على الاحتيق: حال الدين، وقوام مذهب الشياطين لا إله إلا الله هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الله. كالأبداء عليهم السلام، والصحابة، وعصاء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله، والإقبال على الدنيا. فعمل موت هذا أفع للمسلمين من حياته وهو يرغم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء: إنه كعسجرة وقعت في فم الوادي. ولا هي تشرب الماء، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الربع وأصاف عرور أهل العلم في هذه الأعصار المتأخرة خارجة عن الحصر، وفيما ذكرناه تنبيه بالذليل على الحكيم

وفرقة أخرى. أحكموا العلم، وطهروا الجوارح. وزينوها بالطاعات، واجتنبوا طرأهر المعاصي، وتققدوا أخلاق النفس وصفات القلب، من الرياء، والحسد، والحقد،

والسكر . وطاب الملو ، وجاهدوا أنفسهم في التري منها ، وقلعوا من القلوب منابتها
الجابة القوية ، ولسكنهم بعد مغرورون ، إذ بقيت في روايا القلب من حفايا مكاييد الشيطان
وخبايا خداع النفس ، مادك ونمض مدركه ، فلم يفظوا لها وأهملوها . وإنما مثاله من
يريد تنقية الزرع من الحشيش . فدار عليه ، ونش عن كل حشيش رآه فقلعه . إلا أنه لم
يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض ، وظن أن النكل قد طهر ورز ، وكان قد
نبت من أصول الحشيش شعب لطاف ، فابسطت تحت التراب . فأهملها وهو يظن أنه
قد قلاها . فإذا هو بها في غمته وقد نبئت وقوت ، وأفسدت أصول الزرع من حيث
لا يدري . فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ، ويذهل عن المراقبة للحوايا ، والتفقد للدفان
فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها ، وتحيين ألفاظها ، وجمع التصانيف فيها
وهو يرى أن ماعته الحرص على إظهار دين الله وشر شريعته ، وأمل ماعته الخى هو طاب
الذكر وانتشار الصيت في الأطراف ، وكثرة الرحلة إياه من الآفاق . وانطلاق الألسنة
عليه بالثناء ، والمدح بالزهد والورع والعلم . والتقديم له في المهمات ، وإيثاره في الأعراض ،
والاجتماع حوله للاستفادة ، والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد ، والتمتع
بتحريك الرءس إلى كلامه . والمكاء عليه ، والتعجب منه ، والمرح بكثرة الأصحاب ،
والأعاج ، والمستفيدين ، والسرور بالجمع من هذه الحاسبة من بين سائر الأقران والأشكال
للجمع بين العلم ، والورع ، وظاهر الزهد ، والتمكن به من إطلاق لسان الطعن في الكفاة
المقابلين على الدنيا . لا عن تفجع بعصية الدين ، ولكن عن إبدان التميز . واعتداد بالخصيص
ولعل هذا المسكين المغرور ، حياته في الباطن بما اعظم له من أمر ، وإمارة ، وعز ،
وانقياد ، وتوقير ، وحسن ثناء ، فلو تعرت عليه القلوب ، واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما
يظهر من أعماله . فعماه ينشوش عليه قلبه ، وتحاط أوراذه ووطئه ، وعماه يستنذر بكل
حيلة لنفسه ، ورعا يحتاج إلى أن يكذب في تعضية عييه ، وعماه يؤثر بالكرامة والمراعاة
من ، قد وه الزهد والورع ، وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره . ويندو عليه بمن عرف
حد مصله وورعه ، وإن كان ذلك على وفق حاله . وعماه يؤثر ببعض أصحابه على بعض ، وهو
يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع . وإما ذلك لأنه أطوع له ، وأمع لمزاده . وأكثر

ثناء عليه ، وأشد إسخاء إليه ، وأحرص على خدمته . ولعلهم يستفيدون منه ، ويرغبون في العلم ، وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه ، وقيامه بحق علمه ، فيعتمد الله تعالى على ما يشر على لسانه من منافع حقه ، ويرى أن ذلك مكرر لدنوبه ، ولم يتفقد مع نفسه تصحيح الية فيه . وعساه لو وعد بثل ذلك الثواب في إثارة الخمول ، والعزلة ، وإخفاء العلم لم يرغب فيه ، لعمدة في العزلة . ولاحتفاء لذه القبول وعرة الرياسة

ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان : من رعم من بنى آدم أنه بدمه امتنع مني ، فبجهله وقع في حبائل . وعساه يصف ويجهل فيه ، طمأنينه يجمع علم الله ليذمعه ، وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصديق . فلو ادعى مدح تصديقه ، ومحا عنه اسمه ، ورضيه إلى نفسه ، ثقل عليه ذلك . مع علمه بأن ثواب الاستعانة من التصديق إذا رجع إلى المصنف ، والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه . وأمله في تصديقه لا يخلو من الخفاء على نفسه إما مريحا بالدعوى الطويلة المريضة ، وإما صمما بالطمع في غيره . ليستبين من طمعه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه ، وأعظم منه علما . ولقد كان في عنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المريف ما يزيد تريفه ، فيزيه إلى قائله ، وما يستحسه فامله لا يميزه إليه ليظن أنه من كلامه ، فينقله بعينه كالسارق له ، أو يغيره أدنى تغيير ، كالذي يسرق قميصا فيتخذة قباء حتى لا يعرف أنه مسروق . وأمله يحتج في تزيين أله طمعه ، وتسحيمة تحسبب علمه ، كيلا يسبب إلى الزكافة ، ويرى أن عرصة ترويح الحكمة وتحسينها وترتيبها ، ليكون أقرب إلى مع الناس ، وعساه غاللا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثمانمائة مصحف في الحكمة ، فأوحى الله إلى بني زمانه قل له قد ملأت الأرض بها ، وإني لأفضل من نفاذك شيئا

ولعل جماعة من هذا الصنف من المعرّين ، إذا اجتمعوا . طل كل واحد بهمة السلامة عن عيوب القاب وحماياه . ولو افترقوا واسم كل واحد منهم فرقة من أسمه ، نظر كل واحد إلى كبره من يتبعه ، وأنه أكثر بعباء أو غيره ، ويرجح إن كان أتباعه أكثر . وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه . ثم إذا همروا واشتعلوا بالإفالة تهايروا وتحاسدوا

ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره . ثقل على قلبه ، ووجد في نفسه نفرة منه ، فبعد ذلك لا يهتر باطلة لإكرامه ، ولا ينشمر اقضاء حوائجه كما كان ينشمر

من قبل ، ولا يحرص على الشاء عليه كما أننى ، مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة . ولعل التحيز
منه إلى فئة أخرى كان أضر له في دسه ، لأفمن الآفات كانت تاحقه في هذه الفئة ، وسلامته
عنها في تلك الفئة ، ومع ذلك لا تروى النفرة عن قلبه

واما واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره ، فيتمال بالظمن في
ديه وفي ورعه يحمل عنيه على ذلك ويقول : إنما عضدت لدين الله لا لفسى ومهماد كرت
عيوبه . بين يديه رعا فرح له ، وإن أننى عليه رعا ساءه وكرهه . ورتا فطب وجهه إذا د كرت
عيوبه . يظهر أنه كاره لبيعة المسلمين ، وسر قلبه راضيه ، ومريد له ، والله مطاع عليه في ذلك
فهذا وأمثله من خفايا اللب لا يهطن له إلا الأكياس ، ولا يتزده عنه إلا الأمواء
ولا مطمع فيه لأمثله من الصحاء ، إلا أن أهل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ،
وربه ذلك ويكرهه . ويحرص على إصلاحه . فإذا أراد الله تعبد خيرا بصرة يعيوب نفسه
ومن سرته حسنته . وساءته سيئته . فهو مرجو الحال ، وأمره أقرب من الغرور المزكى
لنفسه ، المأمى على الله بعمله وعمله ، العذان أنه من خيار خلقه ، فعود بالله من الغفلة والاعتزار
ومن الغفلة بحمدنا العيوب مع الأعمال . هذا غرور الدين حصلوا العلوم المهمة ، ولكن
ثم روا في العمل بالعلم . واندكر الآن غرور الذين فقموا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم
ومهمهم . ممنون . إما لاستغفهم عن أصل ذلك العلم ، وإما لاقتصارهم عليه

فهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات ، وتفصيل المعاملات
الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد ، وخصصوا اسم الفقه بها . وسموه الفقه وعلم
المذهب ، ورعا صيغوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة . فلم يتعمدوا الجوارح ، ولم
يخرسوا اللسان عن الفرية ، ولا البطن عن الحرام ، ولا الرحن عن المشى إلى السلاطين .
وكذا سائر الجوارح ولم يخرسوا قلوبهم عن الكبر . والحسد ، والرياء وسائر المهلكات

فهؤلاء مغرورون من وجهين . أحدهما من حيث العمل ، والآخر من حيث العلم
أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه ، وأن مثاهم مثال المريض إذا تعلم
نسخة الدواء ، واشتمل بتكراره وتعليمه لأبل مثاهم مثال من به علة البواسير والبرسام
وهو مشرف على الهلاك ، ويحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله ، فاشتغل بتعلم دواء

الاستحاسة ، ويتكرر ذلك ليلا ونهارا ، مع علمه بأنه رجل لا يحب ولا يستحس ، ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاسة لامرأه وتساوى عن ذلك وذلك غاية العرور . وكذلك المتفقه المسكين ، قد دأب عليه حب الدنيا ، واتباع الشهوات ، والحسد ، والكبر ، والرياء ، وسائر المهلكات الباطنة ، وربما يحتضنه الموت قبل التوبة والتلاقي ، فيلقى الله وهو عليه غضبان . فترك ذلك كله وأشتمل على السلم ، والإجارة ، والظمار ، والأمان ، والحراشات ، والديات ، والدعوى ، والبدات ، وكتاب الحيف ، وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره نفسه ، وإذا احتاج غيره كان في المقربين كثرة ، فاشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الحرام ، والرياسة . والمال . وقد دهاه الشيطان وما يشمر . دأبطن العرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه ، وليس يدري أن الاشتغال بفرض السكينة قبل الفراغ من فرض الدين ، مصيبة . وهذا لو كانت نيته بحسنة كما قال ، وقد كان قصد بالحق وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو ما به له به ممرض عن فرض عيه في جوارحه وقائه ، فهذا غروره من حيث العمل

وأما غروره من حيث العلم ، حيث اقتصر على علم الفتاوى ، وطعن أنه علم الدين . وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورعا طمس . في المحسنين . وقال إسماعيل نقله أخبار ، وحمله أسفار لا يفقهون ، وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق ، وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك جلاله وعظمته ، وهو العلم الذي يورث الخوف ، والهيبة ، والخشوع ، ويحمل على التقوى . فقرأه آسا من الله ، متفرا به ، متكللا على أنه لا بد وأن يرحمه ، فإنه قوام دينه وإنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعلم الحلال والحرام . فقد ترك لعلوم التي هي أهم ، وهو عادل وعرور . وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ، ولم يدرك أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ، ومعرفة صفاته المخوفة والمرحوة ، ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى ، إذ قال تعالى (فَذَلِكُنَّ أَصْحَابُكَ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُونَ مَن لَّمْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ أَكْثَرُ مُنَافِقِينَ) والذى يحصل به الإيسار غير هذا العلم . فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات ، وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات

والمثل في صديق الله آله . والبدن مركب وإلى العلم أهم هو معرفة سلوك الطريق . وقطع
عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة . فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى . وإذا
مات ملوثاً بتلك الصفات كان محجوباً عن الله . مثله في الانحصار على علم الفقه ، مثل من
انحصر من سلوك طرق الحج على علم حراز الراية والخلف ، ولا شك في أنه لو لم يكن
للعقل الحج . ولكن المقترع عليه ليس من الحج في شيء ، ولا بهيلة . وقد ذكرنا شرح
ذلك في كتاب العلم . ومن هؤلاء من انحصر من علم الفقه على الخلافات ، ولم يهتد إلا
تعليم طريق المجادلة . والإلزام ، وإغنام الخصوم ، ودفع الحق ، لأجل القلبة والمبدعة ، فهو
طويل الليل والنهار في التفتيش عن . . . نعمات أبواب المذاهب ، والتفقد لميوس الأقران
والناقف لأنواع التسييدات المؤدية ، وهؤلاء هم سباع الإبل . طمعهم الإبداء . وهمهم السفة
ولا يقصدون العلم إلا اضرورة ما يبرههم لما هم . الأقران ، وكل علم لا يحتاجون إليه في
المباهاة كعلم القلب ، وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى . نحو الصفات المذمومة ، وتبديهاها
بالمحمودة . وإياهم يستحقرونه ، ويسمون بالتزويق وكلام الوعاط . وإلى التحقيق عندهم معرفة
تفاصيل العريضة التي تحرى بين المتصدين في الحدل . وهؤلاء مد جموع ما جمعه الدين من
قباهم في علم مناوي ، لكن رادوا إذا اشتغلوا به ، ليس من فروض الكفايات أيضاً : بل
جميع دقائق الجدل في الفقه بدعوى يعرف السلف . وأما أدلة الأحكام فيشتغل عبيد العلم المذهب
وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفهم معانيهما . وأما حيل الجدل
من الكسر ، والقلب ، وفساد الوضع والتركيب والتعدي ، وإما ندعت لإظهار العلبة
والإغنام ، وإقامة سوق الحدل بها . فعروء هؤلاء أشد كثيراً وأقبح من عروء من قبلهم
وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء ، والرد على المخالفين ، وتتبع
مناقضاتهم ، واسكتروا من معرفة المقالات المختلفة ، واشتغلوا بتعليم الطرق في منطرة
أولئك وإخوانهم ، وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة ، واعتقدوا أنه لا يكون لمدعى إلا أن
ولا يصح إيمان إلا بأن يعلم جدلهم ، وما سموه أدلة عقائدهم . وظنوا أنه لا أحد أحرف

بأنه وادفاه منهم، وأنه لا إنسان لم يتقدمدهم، ولم يتعلم عندهم، ودعت كل فرقة
 منهم إلى نفسها، ثم هم مرفقون صله ومحقة، فإله هي التي تدعو إلى غير السنة، والحققة هي
 التي تدعو إلى السنة، والعروور شامل لجميعهم. أما الفذالة فادعائها عن صلاحها، وطاها
 بنفسها النجاسة. وهم فرق كثيرة، الكفر بعضهم بعضا. وإنما أتت من حيث إنها لم تسم
 رأيها، ولم تحكم أولا شروط، لأدله ووجهها، فرأى أحدهم الشبهة دليلا، والدليل شبهة
 وأما المرفقة للحققة، فإنما اغترارها من حيث إنها طست بالعدل أنه أهم الأمور. وأفضل
 القربات في دين الله. ورعيت أنه لا يتم لأحد ديه ما لم يحص ويبحث، وأن من صدق الله
 ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس تؤمن. أو ليس كامل الإيمان. ولا مقرب عند
 الله. فهذا اظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل، والبحث عن المقالات وهذه
 المبتدعة وما وصفتهم، وهم يروا أنفسهم وبلوبهم، حتى عميت عندهم ذنوبهم وخصايصهم الطاهرة
 والباطلة، وأحدهم يظن أن الشبهة بالعدل أولى وأقرب عند الله وأفضل. وإن كنهه لالتذاده
 بالعبية، والإثم. ولذة الرياسة. وعز الإنشاء إلى القلب عن دين الله تعالى، عميت بصيرة من لم
 يلتفت إلى القرن الأول. فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق، وأنهم قد
 أدركوا كثيرا من أهل البدع والهو، ثم جعلوا أعمالهم ودينهم غرضا للخصومات
 والمجادلات، وما اشتغلوا بذلك عن تمقدهم فلوهم وحوارهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا
 من حيث رأوا حاجة، وتوسموا بحيل قبول، فذكروا قدر الحاجة ما يدل الفصل على صلاته
 وإذا رأوا مصرا على سلالة هجره وأعرضوا عنه، وأنه مضوه في الله، ولم يلزموا الملاحاة
 معه بطول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة، ومن السنة ترك الجدل في الدعوة
 إلى السنة. إذ روى أبو إمامة الداهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١) «مَنْصَلٌ
 قَوْمٌ قَطُّ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عِنْدَهُ إِلَّا أَوْوَا خُذِلَ» ^(٢) وشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون، فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب

(١) حديث ما روى قوم من أصحابي كانوا عنه لأن أبو الجدل. ومنهم في العلم وفي آفات اللسان

(٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم عائدون ويختصمون وغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الزمان

الزمان من النصب ، فقال : أَلَيْسَ مِنْكُمْ أَهْدَى مَرْتَبَةً أَنْ تَقْرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِمُقَضَّهِ
بَعْضِ أَطْرُوقِ إِلَى مَا مَرَّتُمْ بِهِ فَأَتَمِدُّوهُ ، وَتُسَبِّحُوهُ ، وَتُتَمِّمُوهُ ، فَقَدْ رَحِمَهُمُ عَنْ ذَلِكَ ،
وَكَاوَأُولَى خَلَقَ اللَّهُ بِالْحَدَاحِ وَالْحَدَالِ . ثُمَّ إِسْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَدْ بَعَثَ إِلَى كَافَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَقْعُدْ مَعَهُمْ فِي مَجْلِسِ مُجَادَلَةِ الْإِرَامِ ، وَإِعْدَامِ ، وَتَحْقِيقِ حُجَّةِ
وَدَفْعِ سَوْأَلِ ، وَإِيرَادِ إِرَامِ ، فَجَادَلَهُمُ إِلَّا ثَلَاثَةَ الْقُرَّاءِ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَرُدِّ فِي مُجَادَلَةِ عَلَيْهِ
لَا ذَلِكَ بِشَوْشِ الدَّلِيلِ ، وَبِخُجْرَانِهَا مِنَ الْإِشْكَالَاتِ وَالشُّبُهَاتِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَحْوِهَا مِنْ
قُلُوبِهِمْ . وَمَا كَانَ يَنْجُرُ عَنْ مُجَادَلَتِهِمْ بِالتَّقْسِيماتِ وَدَقَائِقِ الْأَدْبَةِ ، وَأَنْ يَلْمِ أَصْحَابَهُ بِكَيْفِيَّةِ
الْجِدْلِ وَالْإِرَامِ وَالْمَكْرِ الْأَكْيَاسِ وَأَهْلَ الْحَرَمِ لَمْ يَغْرُوْا بِهَذَا ، وَقَالُوا لَوْ نَجَا أَهْلُ الْأَرْضِ
وَهَلَكْنَا بِمَنْ تَعَمَّاهُمْ نَجَاتُهُمْ ، وَوَحَوَّنَا وَهَدَّكَوْنَا لَمْ يَغْرُوْا بِهَذَا ، وَبِإِسْئِيلِ فِي الْمُجَادَلَةِ
أَكْثَرُ مِنْ كَانِ عَلَى الصَّعَاةِ مَعَ الْيَهُودِ . وَالصَّارِي . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ . وَمَا يَتَّبِعُوا الْعَمَلَ بِتَحْرِيرِ
عِبَادِهِمْ ، فَلَمْ يَخِمْ الْعَمَلُ وَلَا حَرْفُهُ إِلَى مَا يَفْعَلُ فِي يَوْمِ فَقْرِهِ ، وَفَاقَتُهُ ، وَلَمْ تَخْرُضْ فِيهَا
لَا أَمِنْ عَلَى أَهْلِهَا الْخَطَأُ فِي تَقْصِيلِهِ ، ثُمَّ رَأَى أَنَّ الْبَدْعَ لَيْسَ بِتَرْكِ اللَّهِ بِجَدَالِهِ بَلْ يُزِيدُهُ
الْتِمَاسَ وَالْحُسُومَةَ تَشْدِيدًا فِي دَعْوِهِ فَاتَّسَلَ إِلَى بَعْضَةِ أَهْلِهَا وَمُجَادَلَتِهَا ، وَمُجَادَلَتِهَا الْمَرْكُ
الدُّنْيَا الْآخِرَةَ أُولَى هَذَا لَوْ كُنْتُ لَمْ أَتُهِ عَنْ الْحَدْلِ وَالْحُسُومَةِ ، وَكَيْفَ وَقَدْ نَهَيْتُ عَنْهُ !
وَكَيْفَ أَدْعُو إِلَى السُّبْحِ بِتَرْكِ السُّبْحِ ، فَالْأُولَى أَنْ تُعَمِّدَ نَفْسِي . وَأَطْرُ مِنْ مَهَامَتَا مَا يَنْفَعُهُ
اللَّهُ تَعَالَى وَمَا يَحِبُّهُ ، لِأَنَّهُ رَحِمَهُمَا بِمُقَضَّهِ وَأَتَمَّكَ بِمَا يَحِبُّهُ

وَفَرَقَهُ أُخْرَى اشْتَغَلُوا بِالْوَعْدِ وَالتَّوَكُّلِ . وَأَعْلَامُ رَتَبَةٍ مِنْ يَتَكَلَّمُ فِي أَخْلَاقِ الدُّنْيَا
وَصِفَاتِ الْقُلُوبِ . مِنَ الْخَوْفِ ، وَالرَّحَاءِ ، وَالْحَبِيرِ ، وَالشُّكْرِ ، وَالتَّوَكُّلِ . وَالزُّهْدِ . وَالْيَقِينِ
وَالْإِحْلَاصِ ، وَالصَّدَقِ وَنَظَائِرِهِ . وَهُمْ يَغْرُورُونَ ، يُظَنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا تَكَلَّمُوا بِهَذِهِ
الْمَهَامَاتِ ، وَدَعَوْا إِلَى الْخَيْرِ إِلَهِهَا . فَقَدْ صَارُوا مَوْصُوفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَهُمْ مِنْهُمْ كَوْنُ عَنْهَا
عِنْدَ اللَّهِ ، إِلَّا عَنْ قَدْرِ يَسَّرَ لَا يَمُكُّ عَنْهُ عَوَامُ الْمُسْلِمِينَ وَغُرُورُ هَؤُلَاءِ أَشَدَّ الْعُرُورِ لَأَنَّهُمْ
يَعْبُجُونَ بِأَنْفُسِهِمْ غَايَةَ الْإِعْجَابِ ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مَا تَبَجَّرُوا فِي عِلْمِ الْحُبَّةِ إِلَّا وَهُمْ مَحْبُورُونَ لِلَّهِ ، وَمَا
قَدَّرُوا عَلَى تَحْقِيقِ دَقَائِقِ الْإِحْلَاصِ ، إِلَّا وَهُمْ مَحْصُونُونَ . وَمَا وَقَفُوا عَلَى خَفَايَا عِيُوبِ الدُّنْيَا إِلَّا
وَهُمْ عَنْهَا مَنزَهُونَ . وَلَوْلَا أَنَّهُ مَقْرَبُ عِنْدَ اللَّهِ لَمَا عَرَفَهُ مَعَى الْقُرْبِ ، وَالْبَعْدِ . وَعِلْمُ السُّلُوكِ

إلى الله ، وكيفية قطع المازل في طريق الله . فملسكين هذه الطنون يرى أنه من الحائزين وهو آمن من الله تعالى ، ويرى أنه من الراحين وهو من المعترين المضيعين ، ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساحطين . ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من السكائين على العز ، والجاه ، والمال ، والأسباب ، ويرى أنه من المحبسين وهو من الرائين . بل يصفه بالإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف . ويصف الرباء ويذكره وهو يرى مذكره . ليمتد فيه أنه لو لا أنه محاص لما عدى إلى دقائق الرباء ، ويصف الرهق في الدنيا الشدة حرصه على الدنيا وقوة رعيته فيها . فهو يظن الدعاء إلى الله وهو منه فار ، ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ، ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ، ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ، ويبحث على الإخلاص وهو غير مخلص ، ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ، ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا ، لو مع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لغاقت عليه الأرض بما رحبت ، ويرغم أن عرصه بإصلاح الخلق . وأو ظهر من أقرانه من أهل الخلق عليه . وحسبوا على يديه ، مات سم وحسدا . وأو أمي أحد من المبردين إليه على بعض أقرانه لكان أمصر حتى الله إليه . هؤلاء أعظم الناس عرة ، وأندم عن الذنب والرجوع إلى السداد ، لأن المرعب في الأخلاق الممودة . والممر عن المذمومة يدعو العلم بنواياها وموافاتها ، وهذا قد علم ذلك ولم ينعمه ، وشمله حب دعوة الخلق عن العمل به ، فبعد ذلك بتأديماح . وكيف سيدى تحويرة ، والشخوف من يلو على عبد الله فيحافون وهو ليس بخائف نعم إن طن اسمه أنه يوصف هذه السمات الممودة ، يمكن أن يال على طريق الامتنان والتجربة ، وهو أن يدعى مثلا حب الله ، فما لدى تركه من محاب اسمه لأجله ، ويدعى الخوف ، فما لدى امتنع منه بالخوف ، ويدعى الرهد ، فما لدى تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ، ويدعى الأس بالله ، حتى مات له الخلوة ، ومنى استوحش من مشاهدة الخلق لال يرى فانه يتلى ، الخلوة إذا أحقق به المريدون . وترام يستوحش إذا حلا الله تعالى فهل رأيت محار استوحش من محبوه ، وبسبح منته إلى غيره ؟

قالا كياس يتحدون أنفسهم هذه الصفات ، ويطالبونها بالحقيقة . ولا يقعون منها

بالتزويق . بل عوثق من الله غليظ . والمفترون يحسنون بأسمهم الطنون ، وإذا كشف
المطاء عنهم في الآخرة يفتضحون ، بل يطرحون في النار وتنداق أقتبهم ، فيدور بها أحدهم
كما يدور الحمار بالحي ، كما ورد به الخبر ، لأنهم بأصروا بالخروج لا يأتونه ، وينهون عن الشر ويأتونه
وإنما وقع المرور لهؤلاء من حيث إهم يصادهمون في فلوهم شيئا ضيفا من أصول
هذه المعاني ، وهو حب الله ، والخوف منه ، والرضا بعمله ، ثم قدروا مع ذلك على وصف
المدار العالمة في هذه المعاني ، فطنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك ، وما رزقهم الله علمه .
وما نفع الناس بكلامهم فيها . إلا لاتصافهم بها . وذهب عنهم أن القول بالكلام ، والكلام
المعرفة ، وحرمان الناس والمعرفة لاعم ، وأن كل ذلك غير الانصاف بالصفة . فلم يهراق
آحاد المسلمين في الانصاف بحمة الحب والخوف ، بل في القدرة على الوصف بل أراد
أسمه ، وقن حووه ، وظهر إلى الحق ميله ، وصعف في فيه حب الله تعالى وإتمام له مثل
مرض يصف المرض ، ويعصف دواءه بمساحتة ويصف الصحة والشفاء ، وغيره من المرضي
لا يقدر على وصف الصحة والشفاء ، وأسماءه ودرجاته وأصنافه ، فهو لا يفارقهم في صفة
المرض ولا صاف . وإعاضهم في الوصف والعلم بالخط فطنه عند علمه بحقيقة الصحة
أنه صحيح غاية الجواب . فكذلك العلم بالخوف ، والحب ، والتوكل ، والرهف ، وسائر هذه
الصفات ، غير الانصاف بحمة ثمة . ومن التيس عليه وصف الحقائق بالانصاف بالحقائق
فهو مرور . وهذه حالة الوعاء الدين لا عيب في كلامهم . بل مساج وعظهم مساج وعظ
القرآن والأخبار ، ووعظ الحسن البصري وأمثله رحمة الله عليهم

غردر منه
يعطونه بالفرد

وفرة أخرى . هم عدلوا عن المساج الواجب في الوعاء . وهم وعظ أهل هذا الزمان
كافة ، إلا من عصمه الله على التدور في بعض أطراف البلاد إن كان ، واستانزفه ، فاشتغلوا
بالطامات والشطح . وتأنق كلمات حارجة عن قانون الشرع والمقل ، طلبا للإغراب
وطائفة شفقوا بطيارات السكت ، وتسجيع الألفاظ وتلفيقها ، فأكثر همهم بالإسجاع ،
والاستشهاد بأشعار الوصل والمراق ، وعربهم أن أكثر في مجاستهم الرغبات والتواحد
واو على أعراس مائدة هؤلاء شيطان الإيس ، صلوا وأسلوا عن سواء السبيل . فإن
الأوابين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء

فإنهم تصدون عن سبيل الله . ويحرون الخلق إلى الغرور بالله بافراط الرضاء ، فيزيدهم كلامهم جراءة على المأصبي ، ورغبة في الدنيا . لاسيما إذا كانت الواعظ متزينا بالشباب ، والخيل ، والمراكب ، فإنه تشهد هذه من فرقة إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا ، فلا يفسده هذا الغرور أكثر مما ينفعه ، بل لا يصالح أصلا ، ويضل حلقا كثيرا . ولا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة أخرى منهم قدموا بحفظ كلام الرهد وأحاديثهم في دم الدنيا ، فهم يحفظون الكلمات على وجهها ، ويؤدون من غير إحاطة بمعانيها . فبعضهم يفعل ذلك على المنابر . وبعضهم في المحاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الحشاش . وكل منهم يظن أنه يتميز بهذا القدر عن السوقة والجذبة . بد حفظ كلام الرهاد وأهل الدين دوسهم ، فقد فصح وبال الغرض وصار مغرورا له ، وأمن عقب الله ، من غير أن يحفظ طاهره وباطنه عن الآثام ، ويسكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه . وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم

الغرور من
يحفظونه كلام
الزهاد دون
أنه يفهمها

الغرور سماع
الأحاديث

وفرقة أخرى استعملوا أوقاتهم في علم الحديث ، أغنى في سماعه . وجمع الروايات الكثيرة . وطالب الأسانيد العربية المعينة . فهمة أحدهم تدور في البلاد يرى الشيوخ يقول أن أروى عن فلان . وأقصد رأيت فلانا . ومعنى من الأسانيد ليس مع عرى وغرورهم من وجوه سماعهم كدلالة الأسانيد ، فإنهم لا يحرفون الحديث بل فهم مع في السنة . فلهذه قاصر وأيسر منهم إلا العقل ، ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها ، وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به

بحث في سماع
الحديث على
الرجح الله سبحانه

ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو مرض عيسى . وهو معرفة علاج القلب . ويشتملون تكثير الأسانيد ، وطالب العلم بها . ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك ومنها وهو الذي أنكب عليه أهل الزمان ، أنهم أيضا لا يقيمون بشرط السماع ، وإن السماع تجرده وإن لم تكن له فائدة . ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث ، إذ أنهم بعد الإثبات . والعمل بعد العلم . فالأول السماع . ثم الفهم . ثم الحفظ . ثم العمل ثم النشر . وهؤلاء اقتصرُوا من الحلق على السماع . ثم ركزوا حقيقة السماع ، فترى العسى يحصر في نخاس الشرح ، والحديث يقرأ ، والشرح يسم ، والعسى يسمع . ثم يكتب اسم المعنى في السماع ، فإذا كبر تصدى السمع منه . والبائع الذي يحضر ربنا يفعل ولا يسمع ،

ولا يسعى، ولا يضبط، ولا يشتمل بحديث أو نسخ، والشيخ الذي يقرأ ما يقرأه لو صحف وعثر ما يقرأ عليه لم يشمر به، ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحفظه كما سمعه، ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ، والحفظ عن السماع، وإن عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعته من الصدقة أو التابعين، وسار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أن يسمي السمع، تحفظ وتروى كما حفظت، وتحفظ كما سمعت بحيث لا تميز منه حرفاً، ولو عثر عليك منه حرف واحد، وأخذاً علمت خطؤه.

ولحفظك طريقة: أن أحدهم أن تحفظ بالقلم، وتستدعيه بالذكر والتكرار، كما تحفظ ما جرى على سمعك في محاي الأحوال، والشيء أن تكسب كما سمع وتصحح المكتوب وتحفظه، حتى لا تنسل إليه يد من يغيره، ويكون حفظك للكتاب معك وفي خراشك فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ردى غيره، فإذا لم تحفظه لم تشمر بغيره، فيكون محفوظاً بقلبك أو كتابك، فيكون كتابك مدكراً، سمعته، وتأس فيه من التغير والتحريف، فإذا لم تحفظ لا بالقلم ولا بالكتاب، وجرى على سمعك صوت عقل، وفارقت المحاسن، ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ، وجوردت أن يكون ما به مغيراً، أو يفارق حرفاً، فإدراكه التي سمعتها لم يجر لك أن تقول سمعت هذا الكتاب، فإنك لا تدري لعلك لم تسمع ما به، بل سمعت شيئاً يحاكي ما به ولو في كلمة، فإذا لم يكن معك حفظ قلبك، ولا نسخة صحيحة استوثقت عينا، التقابل بها، فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك؟ وقد قال الله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا يَخْفَى لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (١) وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان: إنا سمعنا ما في هذا الكتاب، إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه، فهو كذب صريح، وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع، ومع نوع من الحفظ يشمر معه بالتغيير، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي، والعافل، والدائم، والذي يسخ الحار أن يكتب سماع المحزون، والصبي في المهد ثم إذا بلغ الصبي، وأفاق المحزون، يسمع عليه، ولا خلاف في عدم جوارحه، ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الحين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في المهد، لأنه لا يهيم ولا يحفظ، فالصبي الذي يلعب،

والله قل ، والمشعول ، السمع السمع ليس فهم ولا يحفظ . وإن استعجز أجاهل فقل
يكتب سماع السبي في المهد ، وليكتب سماع الحين في البطن . فإن فرق بينهما أن الحين
لا يسمع الصوت ، وهذا يسمع الصوت ، فإسمع هذا وهو إنما يقل الحديث دون الصوت ؟
فليتضر إد صار شيخا على أن يقول : سمعت عبد الوعي أني في صباهي حضرت محسايروى
فيه حديث ، كان يقرع سمعي صوته ، ولا أدري ما هو . فلا خلاف في أن الرواية كذلك
لا تصح . وما زاد عليه فهو كذب صريح . ولو حار إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية
لأنه سمع صوت غملا ، لم يثبت سماع سبي في المهد . وذلك غاية الجهل ومن أين يؤخذ
هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « صر الله أن أسمع
معااتي فوعاها ماذاها ، كسمها ، وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع ؛

فهذا أفحش أنواع العرور . وقد بلى هذا أهل الزمان . ولو احتاط أهل الزمان لم يحدوا
شيوا ، لا الذين سمعوه في العبا على هذا الوجه مع العلة . إلا أن للمحدثين في ذلك حاهما
وقولا . نقاف المالكين أن يشترطوا ذلك . فيقل من يجتمع لذلك في حاته ، هيصة
حاهمه . ونقل أيضا أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط ، بل رعا عده ، وأذلك وافتحوا
فأصطاحوا على أنه ليس بشرط إلا أن يقرع سمعه دمة ، وإن كان لا يدري ما يجري وصحة
السماع لا تعرف من قول المحدثين ، لأنه ليس من علمهم ، بل من علم علماء الأصول بالحق
ومادكره مقطوع به في مواهب أصول الفقه . فهذا عرور هؤلاء . ولو سمعوا على الشرط
لكانوا أيضا عرورين في اقتصارهم على النقل . وفي إلهاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد
وعراضهم عن مهمات الدين . وعرفة معني الأخبار . بل الذي يقصد من الحديث ساوئ
طريق الآخرة ، به يكفيه الحديث الواحد عمره ، كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر

(١) حدث نصر الله مرأ سمع معاني فوعاها - الحديث : أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد بن ثابت

والترمذي وابن ماجه من حديث مسعود بن عمرو قال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه في

من حديث جابر بن مطعم وأبي

مجلس السماع . فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام ^(١) « من حسن إسلام المرء تركه » ألا يعنيه » فقام وقال : يكفيني هذا حتى أمرغ منه ثم أسمع غيره . فمكثا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور .

غرور علماء
اللغة

وورقه أخرى اشتعلوا بعلم النحو ، واللغة ، والشعر ، وعريب اللغة ، واعتروا به ، وزعموا أنهم قد غمر لهم ، وأنهم من علماء الأمة . إذ قوام الدين بالكتب والسنة ، وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو . فأبى هؤلاء أعمامهم في دقائق النحو ، وفي صاغة الشعر ، وفي عريب اللغة . ومنهم من رغب في جميع العمر في تعلم الخط ، وتصحيح الحروف وتحسينها ، ويرغم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة ، فلا بد من تعلمها وتصحيحها . ولو عقل العلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط ، بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان ، والباقى زيادة على الكفاية . وكذلك الأديب لو عقل أن يعرف أدب العرب كاملاً الترك ، والمضيق عمره في معرفة لغة العرب كالمضيق له في معرفة لغة الترك والهند وإما عارفها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها ، فيكفى من اللغة علم الفريسيين في الأحاديث والكتب ، ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتب . فأما التعقق فيه إلى درجات لا تدهى فهو فضول مستعنى عنه . ثم لو اقتصر عليه . وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها ، فهذا أيضاً غرور . بل مثاله مثل من صيغ عمره في تصحيح مخارج الحروف في القراءة ، واقتصر عليه . وهو غرور ، إذ المقصود من الحروف المعاني ، وإنما الحروف طروف وأدوات . ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء ، وعين أوقاه في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكجيين ، فهو من الجهال الممروين . وكذلك غرور أهل النحو ، واللغة ، والأدب ، والقراءات ، والتدقيق في مخارج الحروف ، مهما تعمقوا فيها ، وتجردوا لها ، وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في علم العلوم التي هي فرض عين . فإلّا الأخص هو العمل . والذي فوقه هو معرفة العمل ، وهو كالمقشر للعمل ، وكاللب بالإصافة إلى ما فوقه . وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية . وهو قشر بطريق

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما يدينه الترفى . وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسلًا وقد تقدم

الإصافة إلى المعرفة . وأب بالاجتهاد إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم بالغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى . العلم بمرح الحروف . والله يعون هذه لدرجات كما هم معترفون . لا من اتخذ هذه لدرجات مسار ، فلم يعرف ما بها إلا بقدر حاجته . فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى باب العمل . فطالب بحقيقته العمل عليه وجوارحه ، ورجى عمره في حمل النفس عليه ، وتصحيح الأعمال وتصميمها عن الشوائب والآفات ، وهذا هو المقصود المخدم من حملة علوم الشرع ، وسائر العلوم خدم له ، ووسائل إليه ، وفشور له . ومنارل بالإصافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد حاب ، سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد

وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع . اعتز بها ربانها فأما علم الطب والحلوات والعصائد ، وما يعلم أنه من علوم الشرع . ولا يعتد أصحابها أنهم يبالون بالمعرفة بها من حيث إنها علوم . وكان العرور بها أول من العرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محدودة ، كما يشترك القشر اللب في كونه محمداً . ولا يمكن المحمود . له لعله هو المنتهى ، وإن كان محمداً للوصول به إلى المقصود الأقصى . من اتخذ القشر مقصوداً ، وعرج عليه ، فقد اعتز به . وفرقة أخرى : علمه عرورهم في فن الفقه ، فظنوا أن حكم المبدئ به وبين الله نفع حكمه في مجاس القضاء . فوصفوا الخيل في دمع الحقوق . وأسسوا تأويل الألفاظ المهمة ، واعتزوا بالظواهر وأحذوا فيها . وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والعرور فيه . والخطأ في الفتوى مما يكثر ، وإن كان هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم ، فشير إلى أمثلة . فمن ذلك : وإهم أن المرافعة أترأت من الصدق يرى الروح بينه وبين الله تعالى . وذلك خطأ . بل أراح مدعى إلى الروعة بحيث يتفق عليها الأمور بسوء الخلق . ففضطر إلى طالب الخلاص . فتبرى الزوج لتخلص منه . فهو إراء لأعلى طيبة نفس . وقد قال تعالى (**مِنْ عَمَلٍ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا فَعَلْتُمْ وَفَعَلْتُمْ مَكْرَهُمْ**) (١) وطيبة النفس غير طيبة الذاب . فقد يريد الإنسان قلبه ما لا تطيب به نفسه . فإنه يريد الحجامة بقلبه . ولكن تكرهها نفسه . وإما طيبة النفس أن تسمح بمسها بالإراء لأعن ضرورة تقابله ، حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها . فهذه مصادرة على التحقيق . إكرام

فرد الفقه
بأسباط الخيل
وأمثله

إكرام الزوجة
بإراء نومها

الشيء بالتوريط

الباطن نعم . القاصي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأعراض . فينظر إلى الإبراء الظاهر
وأنها لم تكرر . بسبب طاهر . ولا يكره الباطن ليس بطبع الحق عليه . ولكن مهمما تصدى
القاصي الأكبر في صعيد القيامة لاتضاء . لم يكن هد محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء
ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان ، لا بطيب نفس منه . فلو طالب من الإنسان مالا
على ملا من الناس ، فاستجيا من الناس أن لا يعطيه . وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة
حتى لا يعطيه ، ولكن خاف ألم مذمة الناس . وخاف ألم تسليم المال ، وردد نفسه بينهما
فاختار أهون الأملين وهو ألم التسليم فإلحه . فلا فرق بين هذا وبين المصادرة . إذ معنى
المصادرة إيلام البدن بالصوت ، حتى يصير ذلك أقوى من ألم القاب بذل المال ، فيختار
أهون الأملين . والسؤال في غلة الحياء والرأء ضرب للقاب بالسوط . ولا فرق بين ضرب
الطن وضرب الصاهر عند الله تعالى . فإن الطن عند الله تعالى طاهر . وإنما حاكم الدنيا
هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهيت ، لأنه لا يملكه الموقوف على مافي القاب
وكذلك من يعطى اتقاء لشراساه . أو شر ساراه ، فهو حرام عليه

وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام . ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام
حيث قال بعد أن غفر له . يا رب . كيف لي بمحرمي فأمر بالاستحلال منه . وكان ميتا .
فأمر ببدائه في صخرة بيت المقدس ، فنادى يا أوريا ، فأجابه إيليك يا بني الله ، أخرجتني من
الجملة ، فإذا تريد ؟ فقال إني أسأت ، بيت في أمر فهد لي قلب . فهدعت ذلك يا بني الله .
فانصرف وقد ركن إلى ذلك ، فقال له حبر . عليه السلام : هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا
قال فارجع فبين له . فرجع فناداه فقال . إيليك يا بني الله ، فقتل إني أدعت إيليك ذم ، قال
ألم أهبه لك ، قال ألا تسألني ما ذنبت الذب ، قال ما هو يا بني الله ، قال كذا وكذا ، وذكر
شأن المرأة . فاقطع الجواب . فقال يا أوريا ، ألا تجبني ؟ قال يا بني الله ما هكذا يفعل الأنبياء
حتى أفق معك بين يدي الله . فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس . حتى وعده الله
أن يستوهبه منه في الآخرة . فهذا يبين أن الهبة من غير طيبة قاب لا عيد ، وأن طيبة
القلب لا تحصل إلا بالمعرفة . فكذلك طيبة القاب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرهما ، إلا
إذا خلى الإنسان واختياره ، حتى تنبعث الدواخي من ذات نفسه ، لأن تضطر بواعثه

الاحتياط
للمنع من
الركاة

إلى الحركة بالحيل والإلزام . ومن ذلك همة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته ونسأله
مالها . لا سقط الركاة فاعقبه يقول سقطت الركاة . فإن أراد به أن مطأمة السلطان والساعي
سقطت عنه ، فقد صدق . فإن مطمع نظرم طهر الملك وقد رال . وإن طعن أنه يسلم
في القيامة . ويكون كمن لم يملك المال . أو كمن باع حاجته إلى المبيع لأعلى هذا التقصد ، فأعظم
جهله ببقه الدين وسر الركاة ! فإن سر الركاة تطهر القلب عن رذيلة البخل ، فإن البخل مهلك
قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « ثلاث مهلكات شحٌ مُصَاعٌ » وإن صار شحه طاعنا فاعله ،
وقبله لم يكن مطاعا ، وقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه . فإن الله مطمع على قلبه ، وحبه للمال ،
وحرصه عليه . وأنه ناع من حرصه على المال أن استعبط الحيل . حتى يسد على نفسه طريق
الخلاص من البخل بالجهل والغرور . ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للعقبة وعبره بقدر
الحاجة . وإقامة العرورون لا يميزون بين الأمانى والمصول واشهوات ، وبين الحاجات بل كل
مالا لهم رعونتهم إلا به يروونه حاجة . وهو محض العرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد
إليها في العبادة . وسلوك طريق الآخرة فسكل ما ناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة
فهو حاجته وما عدا ذلك ، فهو فصوله وشهوته ولو ذهبت نصف عرور الفقهاء في مثل هذا ، إلا أن
فيه مجلدات والعرض من ذلك الذب على أنه تعرف الأجناس درر الاستيعاب ، وذلك يطول
الصف الثاني أرباب العادة والعمل . والمقرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من عروره
في الصلاة ، ومنهم من عروره في تلاوة القرآن ، ومنهم في الحج ، ومنهم في الغزو . ومنهم في الزهد
وكذلك كل مشغول ينهض من منهج العمل فليس خاليا عن عرور إلا الأكياس وقليل مام
منهم فرقة . أهملوا الفرائض ، واشتغلوا بالفسائل والروايف . وربما تعمقوا في الفضائل
حتى خرجوا إلى العدوان والسرف ، كالذي تملب عليه الوسوسة في الوصوء فيباع فيه ، ولا
يرضى الماء المحكوم بطهارته في ترمى الشرع . ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة
في النجاسة ، وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال نذر الاحتمالات القريبة بعيدة ، وربما أكل الحرام
المحصر . ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام ، كان أشبه . بركة الصحابة .
إذ توسأ عمر رضي الله عنه بقاء في حرة نصرانية ، مع ظهور احتمال المجاسة وكان مع هذا يدع

احتياط
الفقهاء للأمن
الحاجة منها المال

أبو إيا من الحلال . نخفة من الوقوع في الحرام . ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء ، وذلك منهي عنه ^(١) وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور ، لما فاتته من فضيلة أول الوقت . وإن لم يعتنه فهو مغرور لإسرافه في الماء . وإن لم يسرف فهو مغرور لنضيجه العمر الذي هو أعز الأشياء مما له مندوحة عنه ، إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ، ولا يتدر على صد العباد إلا بما يحيل إليهم أنه عبادة ، فيمدهم عن الله مثل ذلك

وفرقة أخرى . غلب عليها الوسوسة في ية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقده بية صحيحة بل ، يشوش عليه حتى تهوته الخماة ، ويخرج الصلاة عن الوقت . وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة يده ، وقد يوسوسون في الكبير حتى قد يمرون صيغة التكبير لشدة الإحتياط فيه . يتملون ذلك في أول الصلاة . ثم ينقلون في جميع الصلاة ، فلا يحضرون قلوبهم ، ويغترون بذلك ، ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة . ونمیزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط . فهم على خير مما هم

وفرقة أخرى . غلب عليهم الوسوسة في إحراح حروف التسمية وسائر الأذكار من نخرجها . فلا يزال يحتط في التشديدات ، والفرق بين الصاد والطاء ، وتصحيح مخرج الحروف في جميع صلاته ، لا يسهه غيره . ولا يفكر بما - واه - ذاهل عن معنى القرآن والآيات ، وصرف الفهم إلى أسرارها وهذا من أوح أنواع الغرور . فلو لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخرج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام ، ومثال هؤلاء مثل من حمل رساله إلى مجلس سلطان ، وأمر أن تؤديها على وجهها ، فأخذ يؤدي الرسالة ويتأق في مخرج الحروف ، ويكررها ويبيدها مرة بعد أخرى . وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ، ومراعاة حرمة المجلس ، فما أحرام بأن تقام عليه السياسة ، ويرد إلى دار المجانين ، ويحكم عليه بفقد العقل . وفرقة أخرى : اعتروا بقرارة القرآن فيهمذونه هذأ ، وربما يحتمون في اليوم والليلة مرة ، وإن أحدهم نحري به ، وفيه تردد في أودية الآمان إذ لا يتمكر في معاني القرآن ليس در بر واجره ، ويتخط عواءه ، ويتنف عند أوامره

(١) حديث النبي عن الإسراف في الوضوء . الترمذي وضعه وابن ماجه من حديث أبي بكر بن الوضوء

شيطانا يقال له الوطيط - الحديث - . عدم في تحييب القلب

ونواهي، ويستمر مواضع الإغتيار فيه. إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو منرور. يعني أن المقصود من إيراد القرآن المهمة به مع العفلة عنه. ومثاله مثل عبد كتب إليه مولاه وما أسكه كنانا، وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي، فلم يحرف عنه، إلى فهمه والعمل به والسكس، ينصرف على حفظه، فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه، إلا أنه يكرر السكس بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة. فهو مستحق للعقوبة. ومهما طن أن ذلك هو المراد منه، فهو منرور.

ثم تلاوته إلتزاما بالآية لا نسي. إلى حفظه يراد منه. ومما يراد بالعمل به الإلتزام بما فيه. وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويأذنه به. ويمتريه به. ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسمع كلامه. وإما هي لذته في صوته. وأورد الخاتمة شعر أو كلام آخر لالتذبه، ذلك الإلتذاذ. فهو منرور، إذا لم يتفقد قلبه، فيمرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعاينه. أو بصوته. وورقة أخرى اعتروا بالقصوم، وربما صاموا الدهر، أو صاموا الأيام الشريفة. وهم فيها لا يحفظون أنفسهم عن الغيبة. وحواملهم عن الرياء. وطعنهم عن الحرام عند الإهمال. وأستحبهم عن الهديان. وأوع النقص في طول النهار وهو مع ذلك يظن نفسه الخبير. يميل الأمر نحو وطب النفس ثم لا يوقم بحقه وذلك غاية الغرور وورقة أخرى عنروا بالخير، فيخرجون إلى الخبز من غير خروج عن المصالح وقضاء الديون، واستترت، والولدين، وطلب الراد الحلال. ومدد ما لون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام، ويمسبون في الطريق الصلاة والمرأس، ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن، ويعرضون لما كس الصلوة حتى يؤخذ منهم، ولا يخذلون في الطريق من الرقت والحصام. وربما جمع بعضهم الحرام وأعقه عن الرفقاء في الطريق، وهو طلب به السمعة والرياء. فيعصى الله تعالى في كسب الحرام أولا. وفي إلتذذه بالرياء. ولا هو يأخذ من حبه، ولا هو وضعه في حقه ثم يحصر البيت بقلب ملوث بربذائل الأخلاق، وذميم الصفات، لم يقدم تطهيره على حضوره، وهو مع ذلك يظن أنه على خير من غيره. وهو معروف.

الغرور في
الغرم

الغرور في
الطمع

غدر الغرور
بالصديق
والناهي عن
المعصية

ورقة أخرى أحدثت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكثر على الناس، وأمرهم بالخير. ويسمي نفسه. وإد أمرهم بالخير غيب، وطلب الرياسة والعزة.

وإذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال : أنا المختسب ، فكيف تنكر على ! وقد يجمع الناس إلى مسجده ، ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه ، وإن غرضه الرياء والرياسة . ولو قام بتمديد المسجد غيره لحرد عليه . بل منهم من يؤذن ويطن أنه يؤذن لله ، ولو جاء غيره وأذن في وقت عينته قامت عليه القيمة ، وقال لم آخذ حق ، وروحت على مرتبتي . وكذلك قد يتفاد إمامة مسجد ، ويطن أنه على حق ، وإما عرصه أن يقال إنه إمام المسجد ، فلم تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه ثقل عليه

فقدور
المجاورة به بركة
والمدنية

وفرقه أخرى حاوروا مكة أو المدينة ، واعتزوا بركة . ولم يرافوا قلوبهم ، ولم يظهروا طاهرهم وباطنهم ، فقلوبهم معلقة ببلاדם . ملتفتة إلى قول من يعرفه إن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد حازرت مكة كذا كداسة . وإذا سمع أن ذلك مبيع ، ترك عسرج التحدى ، وأحب أن يعرفه الناس بذلك . ثم إنه قد يجاور ، ويد عين طعمه إلى أوساخ أهوال الناس ، وإذا جمع من ذلك شيئا شح به وأمسكه . ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير ، فيظهر فيه الرياء . والدخل ، والطمع . وجملة من المبالغات كان عنها بمنزل أو ترك المجاورة . ولكن حب المحمدة ، وأن قل له من المحورين ، أرمه المحورة مع التضمح بهذه الرذائل فهو أيضا معرور وما من عمل من الأعمال . وعادة من البدايات ، إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفات ، واعتمد عليها ، فهو معرور . ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين . فيعرف مداخل المعرور في الصلاة من كتاب الصلاة ، وفي الحج من كتاب الحج ، والركاء والتلاوة وسائر اقترانات من الكتب التي رتدناها فيها وإنما لعرص الآن الإشارة إلى مجموع ماسق في الكسب . وفرقة أخرى رهدت في

فقدور الزهاد

المال ، وسمعت من اللباس والصلوات بالدون ، ومن السكن بالمساجد ، وعلت أنها تدر كترتبة الزهاد . وهو مع ذلك راعب في الرياسة والحلم ، إما بالعلم أو بالوعظ ، أو بحرد الزهد ، فقد ترك أهون الأمور ، وبنا أنطام المهلكين . فإن الحياء أعظم من الدين . ولو ترك الجساء وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب . فهذا معرور ، إذ طن أنه من الزهاد في الدنيا . وهو لم يفهم معنى الدنيا ، ولم يدري أن منتهى لذتها الرياسة ، وأن الراعب فيها لا بد وأن يكون مفاقا ، وحسودا ، ومتكبيرا ، ومراثيا ومتصفا بجميع خبايا الأخلاق . نعم : وقد يترك

الرياسة، ويؤثر الخلوة والعزلة، وهو مع ذلك غرور. إذ يتناول ذلك على الأغنياء، ويخشن معهم الكلام. وينظر إليهم بعين الاستحقار، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، ويعجب بعمله، ويتعسف بحيلة من خبايا القلوب وهو لا يدري. وربما يمتلي الدال فلا يأخذ، خيفة من أن يقال بطل زعمه. ولو قيل له إنه حلال أخذه في الظاهر ورده في الخفية، لم تسمح به نفسه، خوفاً من ذم الناس فهو راعب في حمد الناس. وهو من ألد أبواب الدنيا، ويرى نفسه أنه راحد في الدنيا، وهو غرور. ومع ذلك مرة لا يخلو من توقير الأغنياء، وتقديهم على الفقراء. والميل إلى المريدين له، والمكينة عليه، والفرقة عن المائنين إلى غيره من الرهاد. وكل ذلك خدمة وعرور من الشيطان، نمود بالله منه

وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح. حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة. ويحتم القراء، وهو في جميع ذلك لا يخطر له راعاه القلب وتقصده وتطهره من الرياء، والكبر، والمجب، وسائر المنكيات، فلا يدري أن ذلك هلك وإن علم ذلك فلا ظن بنفسه ذلك، وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغدور له لعمله الظاهر، وأنه غير مؤخذ بأحوال القاب. وإن توهم فيطن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كمة حسنة، وهيئات وذرة من ذى تقوى، وخلق واحد من أخلاق الأكياس، أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح. ثم لا يخلو هذا المرور مع سوء خلقه مع الناس، وخشوته، وتلوث باطنه، عن الرياء وحب الثناء. فإذا قيل له أنت من أتاد الأرض، وأولياء الله وأحبابه فرح المرور، بذلك. وصدق به، وراده ذلك غرورا، وطش أن تركية الناس له دليل على كونه مرضياً عند الله. ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بحجائث باطنه

وهرة أخرى: حرصت على التوابع، ولم ينضم اعتدادها بالمرائض، ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى، وبصلاة الليل، وأمثال هذه التوابع، ولا يجد للمريضة لذة ولا يشتد حرصه على المدايرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه (١) «مَنْ قَرَّبَ مُتَقَرِّبُونَ إِلَيَّ عَشْرَ أَذْوَاعٍ أَقْرَبْتُ عَلَيْهِمْ» وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتبين على الإنسان فرصان، أحدهما يهوت والآخر لا يموت،

غرور
المرتبين على
المرافق ورده
المرائض

(١) حديث ما تقرب للمقربون إلى مثل أداء ما اقترحت عليهم البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ما تقرب إلى عبد

أو فضلان ، أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته . فإن لم يحفظ الترتيب فيه ، كان ضروريا
وضايرا ذلك أكثر من أن تحصى . فإن المعصية طاهرة ، والطاعة طاهرة . وإنما الغامض
تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم العرائض كلها على المواعيل . وتقديم فروض الأعيان
على فروض الكليات ، وتقديم فرض كفاية لأفانم به على مقام غيره ، وتقديم الأهم من
فروض الأعيان على مادي . وتقديم ما يعوت على ما لا يعوت . وهذا كما يجب تقديم حاجة
الوالدة على حاجة الولد ، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أقبل له من أرباب رسول
الله ؟ قال : " أمك " قال ثم من ؟ قال : " أمك " قال ثم من ؟ قال : " أمك " قال ثم من ؟ قال :
" أمك " قال ثم من ؟ قال : " أمك " قال ثم من ؟ قال : " أمك " قال ثم من ؟ قال : " أمك " قال
استويا فبالأحوج ، فإن استويا فبالأقرب والأورع

وكذلك من لا ينهى ماله بنفقة الوالدين والحج ، فربما يحج وهو مفرور . بل ينبغي أن
يقدم حفظها على الحج . وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دوره .
وكذلك إذا كان على العبد مهاد . ودخل وبس الحمة . وحمة الموت ، والاشتغال بالوعد
بالوعد معصية ، وإن كان هو طاعة في نفسه . وكذلك قد تعيب ثوبه بالحجاسة ،
فيمنع القول على أوبه وأهله سب ذلك . والحجاسة محذور . ويدعوها محذور ،
والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة

وأما تقابل المحذورات والطاعات لا تحصر . ومن ترك العزيب في جميع ذلك فهو
مفرور . وهذا عرور في عية العموض ، لأن المفرور فيه في طاعة إلا أنه لا يهطن بصرورة
الطاعة معصية ، حيث تركها طاعة واجبة هي أهم منها

ومن جهلته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه ، في حق من في عليه شغل من الطاعات
والمعصية الطاهرة والباطلة ، المتعلقة بالخواارج . والمتعلقة بالقلب ، لأن مقصود الفقه معرفة
ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به . إلا أن حب الرياسة

(١) حديث من رُفاه ثمنه . ثم لم يدرى والحق كما يحسنه من حديث ربه عن حكيم عن أبيه عن جده
وقد تقدم في آداب الصلوة

والجاء ، ولدة المباشرة وقهر الأقران والنقدم عليهم ، يعنى عليه ، حتى يسمع به مع اسمه ،
ويظن أنه مشغول بهم دينه

الصنف الثالث : المتصوفة . وما أعجب العرور عليهم . ولعنون منهم ورق كثيرة
ففرقة منهم وهم تصوفه أهل ارمان ، لأن عمه الله . عمرو بالمرى والهيئة والمناطق
فساعدوا الصادقين من الصوفية في ربههم وحيثهم ، وفي ألقاظهم ، وفي آدابهم ومراسمهم
واصلاحتهم . وفي أحوالهم الطاهرة في السماع . والرقص ، والظهار ، والصلاة ، والخلوس
على السجادات مع إطراق الرأس ، وإدخاله في الحجب كالمفكر . وفي تنفس الصمداء ، وفي
خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشرائع والهيئات ، فلم يكفوا هذه لأمر ،
وتشبهو بهم فيها سواهم أئمة صوفية ولم يتعموا عليهم قط في الهدى ، والرامة ،
ومراقبة القلب ، وظهور الباطن والظاهر من الآتم الحمية والحمية . وكل ذلك من أوائ
مدارل التصوف . ولو فرغوا عن جميع ما حارطوا به لعدوا أنفسهم في الصوفية كيف
ولم يحوهوا فقط حوله ، ولم يسوموا أنفسهم شيء منها ، بل يتكالبون على الحرم ، والشذات
وأموال السلاطين ، وينفسون في الرعي والفس ، والحق . ويتجسدون على القبر
والقطمير . ويمرق بعضهم أعراض بعض منهم طاعة في شيء من عرصه . وهؤلاء عرورهم
ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز ، سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين تمت أسموهم
في الديوان ، ويقطع لكل واحد منهم قطر من أنفطار المعركة ، فتقت نفسه ، في أن يقطع
لها مملكة ، فتمت درعا ، ووسعت على رأسها معقرا ، وتمت من زحر الأبطال أيما
وتوعدت إيراد تلك الأبيات سماعتها حتى تسرب عليها . وتمت كيفية تحترق في الديوان
وكيف تحريكهم الأيدي . وتمت جميع شئهم في الرى . والمناطق ، والحركات ، والسكوت
ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان . وما وعدت ، إلى المعسكر أهدت
إلى ديوان العرض . وأمر بأن تحرد عن المعسكر والدرع ويظهر ما تحتها . وتمتج بالبارة مع
بعض الشجعان ، ليعرف قدر عتائها في الشجاعة . فلما حردت عن المعسكر والدرع ، فإدا هي
محوزة ضعيفة زمنة . لا تطيق حمل الدرع والمعصر ، فقبل لها : أجيئت الاستبراء بالملك ،
وللاستحفاف بأهل حضرته والتبليس عليهم ؟ خذوها فاقوها قدم الفيل اسخما . فالتقت

عرور مدعى
العرف

إلى نصيب. وهكذا يكون حال المدعى بالتصوف في القيامة، إذا كشف عنه لعطاء، وعرضوا على القاضي لا كبر، لدى لا يطر إلى الزى والمرقع، بل إلى سر القلب

وفرقه أخرى. أدت على هؤلاء في مرور، إذ شق عليها الافتداء بهم في زيادة الثياب، والرب بالدون، فزادت أن تنهض بالتصوف. ولم تجدد لها من التزين ربيهم، فتركوا الحرير والابرسم، وطبوا المرقعات الممسة. والقوط الرفيعة، والسجادات المصبغة، ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابرسم. وطعن أحدهم ذلك أنه متصوف فحرد لون الثوب وكوه مرقعه. وسى ثوبه إله لود الثياب ثلاثون عليهم عسها كل ساعة لا له الوسج، وما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم بحرفة فكأوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد. فأما تقطيع القوط ارقعه قطعة قطعة، وحباطة المرقعات منها، فن أن يشبه ما اعتادوه. هؤلاء شبر حرفة من كاهن مغربس. فإسهم يسمعون سفيش الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش، وأكأون ثوب السلاسل، ولا يحدون المصنعي الظاهرة فضلاً عن المدة. وهم مع ذلك يظنون أنفسهم الحبر وشبر هؤلاء، يتهدى إلى الحق، إذ يهلك من يقتدى بهم، ومن لا يقتدى به تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة، ويظن أن جميعهم كانوا من حنسة، يظنون الله في الصادقين منهم، وكل ذلك من شؤم المشبهين وشبرهم وقره أخرى ادعت علم المعرفة. ومشاهدة الحق، ومخزرة المقدمات والأحوال؛ والملازمة في عين الشهود، والوصول إلى التقرب، ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والأسماء. لأنه تنقف من نقط الصمات ككيات فهو يرددها، ويصن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين، فهو مصر إلى الفتنة، والمفسرين، والمحدثين. وأصناف العلماء بعين الإجراء فضلاً عن العوام، حتى أن الفلاح أميرك فلاحته. والحائك يترك حيا كته ويلزمهم أنما معدودة، ويتنقف منهم تلك الكلمات المريفة، ويرددها كأنه يتكلم عن الوحى، ويخبر عن سر الأسرار. ويستحقق ملك جميع العباد والعماء، فيقول في العباداتهم أجراء متبعون ويقول في العماء إسمه بالحديث عن الله محجوبون. ويدعى إسمه به الواصل إلى الحق، وأنه من المقربين. وهو عبد الله من العجبر المصدقين، وعد أرباب القلوب من الحق

فرد
المتشبهين
باصوبية

فرد
الوصول

الجاهلين ، لم يحكم قط عصا ، ولم يهذب حذاء ، ولم يرأب قبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه

وغرفة أخرى وقعت في الإباحة ، وضووا سط الشرع . رضوا الأحكام ، وسوا بين الحلال والحرام . فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عني ، فله أتعب نفسي ، ومنهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا ، وذلك نحو ، فقد كفوا ما لا يمكن . وإنما غتر به من لم يحرب ، وأما نحن فقد حرما وذكرنا أن ذلك محال ولا يعلم إلا الحق أن الناس لم يكفوا قلع الشهوة والعصب من أنفسهم ، بل إما كفوا قلع مآذنها ، بحث بقاد كل واحد منهم لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول : الأعمال بالخوارح لا ور لها . وإنا البصري القلوب ، وقلوبنا والله يحب الله . وواسطة في معرفة الله ، وإما نخوص في الدنيا ، فمادة ، وهو ، كفة في الخصرة الرومية . فحين مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب . ويرحمون أنفسهم قد ترقوا عن رتبة العوام ، واستغنوا عن تمسكهم بالنفس بالأعمال الدنية ، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله ففوتهم بها . ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عنهم السلام . ذلك تصدهم عن طريق الله حصينة واحدة ، حتى كانوا يكون عليها وينوحون بين متواليه . وأصناف غرور أهل الإباحة من المنشقين بالصوفية لا تحصى . وكل ذلك جاء على أعاءيط ووساوس يخدمهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قل ، حكماء العلم ، ومن غيرهم شيوخ متقن في الدين والعلم ، صرح للاقتداء به ، وإحداً منهم يطول . وغرفة أخرى حاورت حذوؤلاء ، واجتذبت الأعمال ، وطبقت الحلال ، واشتغلت بتقوية القلب ، وصار خدمهم يدعى المقدمات من الرهد ، والتوكل ، والرصا ، والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقدمات ، وشروط أو علاماتها ، وآفاتنا فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ، ويرغم أهله والله ، والله يدنو في الله خيالات هي بدعة أو كفر ، فيدعى حب الله قال معرفته . ثم به لا يخلو عن قارعة ما يكره الله عز وجل ، وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله ، وعن ترك بعض الأمور حياء من الحق ولو خلا له تركه حياء من الله تعالى . وليس يدري أن كل ذلك يقص الحب وبعضهم ربما يميل إلى القسوة والتوكل ، فيحوض الوادى من غير راد ، ليصح دعوى

غرور
الجاهلين
منهم
المنصرف

غرور مدعى
الرقعة
والترك

التوكل ، وليس يدري أن ذات مدعة لم تقبل عن السلف والصحابة ، وقد كانوا أعرف بالوكل منه ، ففهموا أن التوكل محدثة بأرواح ورث الراد . بن كانوا يأخذون الزاد وهم ، توكلون على الله تعالى لا على الراد ، وهذا ترك الراد وهو متوكل على سبب من الأسباب ، واثق به . وما من مقام من المقامات المحيية إلا وفيه غرور ، وقد اعتبر به يقوم . وقد ذكر ، مداح الآفات في ربيع المحيية من الكتاب . فلا تكن إعادته

غرور طالى
الجهول في
شأنه راد

وورقة أخرى صيقت على مسه في من القوت ، حتى ضمت . ه الخلال الحاص . وأهموا تفقد القلب وحوارج في غير هذه الخدمة الواحدة . ومنهم من أهمل الخلال في مطعمه . ومطعمه ، ومسكنه . وأحد تعمق في غير ذلك . وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرص من عبده بطالب الخلال فقط . ولا رضى بـ الأفعال دون طلب الخلال . بن لا يرضيه إلا بمقدار جميع الطاعات والمعاصي . فمن طر أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور

غرور مرمى
التواضع

وورقة أخرى ادعوا حسن الخلق ، والتواضع ، والمساحة ، فتصدوا لخدمة السووية ، خدموا قوموا بكاهو لخدمتهم ، واتخذوا ذلك شعبة للرياسة وجمع المال وإغاغرتهم الكبر . وهم طهرون الخدمة والتواضع وعرضهم لارتفاع ، وهم يظهرون أن عرضهم المرافق وعرضهم الاستدعاء . وهم طهرون أن عرضهم الخدمة والتبعية . ثم بهم يحرمون من الحرام والشبهات ، ويهتقون عليها ، تكثر باعهم ، ويشر بالخدمة اسمهم . ومضاه . أحد أموال السلاطين يهتق عنهم . ومضاه . أحدهم يهتق في طريق الحج على الصوفية ، ويرعى أن عرضه الله والإيمان . وباعت جميعهم الربا ، والسمعة . وآية ذلك إهملهم جميع أوامر الله تعالى عليهم طهرا وباطنا ، ورضاهم أحد الحرام والإيمان منه . ومثل من يهتق الحرام في طريق الحج لإرادة الخير ، كمن يمر بمسجد لله فيصير به عذرة . ويرعى أن فصدته العبادة

غرور المتعصبين
في البحث عن
عيوب النفس

وورقة أخرى اشتغلوا بالخدمة ، وهذب الأخلاق ، وتطهير النفس من عيوبها ، وساروا يتعمقون فيها . فتحدثوا البحث عن عيوب النفس . وورقة حذرها علم وحرفة ، فهم في جميع الأحوال مشمولون ، فحصى عن عيوب النفس ، واستأبط دقيق الكلام في آفاتهم فيقولون هذا في النفس عيب ، والعلة عن كونه عيبا عيب . والإلتفات إلى كونه عيبا عيب ويشعرون فيه بكلمات مسلسلة تصيب الأوقات في تعيقهم . ومن جعل طول عمره في التعيش

غرور
المبتدئين
في علوم
الطريق

غرور التبتلي

عن عيوب وتحرير علم علاجها، كان كمن اشتغل بالفتيش عن عوائق الحج وآفته ولم يسلك طريق الحج، فذلك لا يغنيه. وفرقة أخرى جاوزوا هذه الرتبة. وابتدؤا سلوك الطريق، وانفتح لهم أبواب المعرفة، فكلموا شيوخهم من مبادئ المعرفة راحة تعجبوا منها، وفرحوا بها، وأنجسهم عراها، ففتيت فلوهم، لآلئته بهم، والتفكر فيهم وفي كيفية افتتاح باب عبيدهم، واستدده على غيرهم، وكل ذلك غرور، لأن عبدك طريق شائس لها نهاية، وهو وقف مع كل أنشودة وتقيدهم، فقصرت حجابهم، وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثله مثال من قصد ملكا، فرأى على باب مبداه روضة فيه زهار ونوار، لم يكن قد رأى قبل ذلك مثله، فوقف يظن إليها ويتمتع حتى فات الوقت لدى تمكن فيه، فذلك وفرقة أخرى حاوروا هؤلاء، ولم يفتوا إلى ما عيض عبيدهم من الأنوار في الطريق، ولا إلى ما سر لهم من العطاء، فخرقة، ولم يمرحوا على انفرجحها، والاتصفت بها، حادين في السمر حتى قاربوا، فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى، فغضبوا منهم قدوسوا إلى الله، فوقعوا وعصوا، فإن الله تعالى سمع من حجابهم من نور، لا يصل اليك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويصن أنه قد وصل وبالله لا شيء قول إبراهيم عليه السلام، إذ قال الله تعالى إخبارا عنه (هبتا حين عنه الآن رأى كوكبا قد هدر رضى^(١)) وإيس المعنى هذه الأحسام المصيبة، فإنه كان راه في السمر، ولم أنها ليست آلهة، وهي كثيرة ويست واحد والجمال يملون أن الكوكب ليس إله، فمن إبراهيم عليه السلام لا يره الكوكب الذي لا يمر السوادية. ولكن المراد أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل، وهي على طريق السالكين ولا تصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب، وهي حجب من نور عتتها كدر من عتس، وأصغر اندرات الكوكب. واستمر له بقصه، وأعظم الشمس، ويظهر رتبة انقمر، فميرل إبراهيم عليه السلام ما رأى مذكوت السموات. حيث قال تعالى (وكذلك يرى إبراهيم مذكوت السموات والأرض^(٢)) حصل إلى نور بعد ورده، وحجب إياه في أول ما كان يقفه أنه قد وصل، ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا، فيترقى إليه ويقول قد وصلت، فيكشف له ما وراءه

حتى وصل إلى الحجب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده . فقال هذا كبر فلما
طهر له ثم مع عصمه ، يبرحل عن الهوى في حصد الغنص . والأخطاط عن ذروة
السكل قال لأحب الآمين ، إلى وحيته وحي الذي فطر السموات والأرض

وس . ثم هذه الطريق مدبر في الوقوف على مضي ، الحجب ، وقد يعبر بالحجاب
الأول وتول الحجب بين الله وبين الممد هو نفسه . فيه أيضا أمر رباني ، وهو نور من
أنوار الله تعالى ، أعنى سر القرب الذي تحلى فيه حقيقة الحق كله ، حتى أنه يسمع كلمة العالم
ويجيبه . و تعالى فيه صورة السكل وعدد ذلك يشرق بوره ، إشراق عصيا . إذ يظهر فيه
الوجود كله على ما هو عليه ، وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له . فإذا تحلى
بوره ، وانكشف حجب القرب بمد إشراق ورأته عليه ، ورأته التفت صاحب القلب إلى
القلب ، مبرى من حجب مشرق ما يدعشه ، وما يصدق أساه في هذه الدهشة فيقول : أما
الحق . بل لم يتضح له ما وراء ذلك أعز به ، وومض عليه وهيك ، وكان قد اغتر بكوكب
سفر من أنوار الحضرة الإلهية . ولم يصل عدوى القمر فصلا عن الشمس وهو ممرور
وهو محل الاتباس . إذ مدحى من المتعالي مبه ، كما يتبس لون ما يترامى في المرآة
للمرآة فيظن أنه لون المرآة . فكما يتبس من في الزجاج بالزجاج ، كما بين

رق الزجاج ورقم الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذه أمين طر المصارى إلى المسيح ، ورأوا إشراق نور الله قد تلاذ به ، فملطوا
فيه . كن يرى كوكبه في مرآة وفي ماء ، فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء ، فيمد
يده إليه ليأخذه وهو ممرور

وتنوع الممرور في صدى السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في محلات ، ولا تستقصى إلا بعد
شرح جميع علوم المكاشفة ، وذلك مما لا رخصة في ذكره . ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان
الأولى تركه . إذ الله لك لهذا الصرق لا يفتح ، بل أن يسمعه من غيره ، والذي لم يسلكه لا ينتفع
بسماعه ، بل راء يستصره ، إذ يورنه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يهيم . ولكن فيه فائدة
وهو إحراجه من الممرور الذي هو فيه . بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله

بدهه مختصر، وخيله الفاسر، وحمله من خرف، ويصدق به - ثم يحكى له من امكاشفات
التي احبر فيها، اولياء الله ومن عظم عروده من نصر مكذبا - معه الآب، كما يكذب باسمه، رقة ل

الصف الرابع ارباب الاموال والمعرون منهم فرق

ففرقة منهم يحرصون على ساء المجد، والنداس والرياحات، والله طر، وما يظهر للناس
كافة - ويكتبون اسمهم بالآجر علم - ليحسدوا كره، وفي بعد الموت اثرهم - وهم
يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة ذلك، وقد اعترفوا فيه من وجهين :

أحدهما : أنهم سبوا من أموال اكتسبوها من الضم، والهم، والرشا، والحبس
المخطورة، فهم قد حرصوا استخذ الله في كسبها، وحرصوا سخطه في إيقاعها، وكان
الواجب عليهم الامتناع عن كسب - وقد مدعوا الله بكسبهم، فلواحب عليهم النوبة
والرجوع إلى الله، وردوا إلى هلاكهم - إما بغير - وإما رددوا عند المعجز من عجزوا
عن ذلك كان الواجب رده إلى الورقة، من لم يبق معلوم وارث - فواجب صرفها إلى
أهم المصالح، وورث - يكون الألف العرفية على امساكهم - وهم لا يعملون ذلك، خيفة من
أن يظهر ذلك للناس - فيسبون الآية والآجر - وعمرهم من ساء الرياء وحال الشبهاء،
وحرصهم على قضاها لبقاء أسمائهم المسكونة بهم - لا الله، احبر

والوجه الثاني : أنهم يظنون أنهم لا يخلصون وقصد الحرف في الإصاق على الآية،
ولو كلف واحد منهم أن ينفق د - را ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه، اشق
عليه ذلك ولم تسمح به - والله مطلع عليه، كتب اسمه أو لم يكتب - ولولا أنه يريد
وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك

وفرقة أخرى ربا اكتسبت المال من الحلال - وأمقت على المساجد - وهي
أيضا مغرورة من وجهين - أحدهم : الرب وطب الشاء - فإنه ربه يكون في حواره
أولاده فقراء - وصرف المال إليهم أهم - وأفضل وأولى - من الصرف إلى بناء مساجد ورينتها
وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس

والثاني أنه يصرف إلى ' ' زحرفة المسجد وترد به باعقوش - التي هي منهي عنها،

مغروه بناء
المساجد
وتغيرها
المرام لتعليق
ذكرهم

غزو الانفاق
على المساجد
من الحلال

(١) حديث النبي عن زحرفة المساجد وترميم باعقوش - البخاري من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ولا تعمرو ولا تصرفوا

وشاعة قلوب المصايين، ومنظمة أصدارهم، والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب، وذلك يمد قلوب المصايين، ويحيط ثوابهم بذلك. وروى ذلك كله يرجع إليه، وهو مع ذلك يمتدحه ويرى أعم من الخبرات. ويعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى، وهو مع ذلك قد تضرع لخطأ الله تعالى، وهو يظن أنه مطيع له، ويمثل لأمره، وقد شوش قلوب عباد الله بخرقه من المسجد، ورجاشوقهم به إلى زخارف الدنيا. يشتهون مثل ذلك في ميوتهم، ويستغلون بطلبه وروى ذلك كله في رقبته، إذ المسجد للتواضع والخشوع القلب مع الله تعالى.

قال مالك بن دينار: أتى رجلان مسجداً فوق أحداهما على الذب وقال: مثلي لا يدخل بيت الله. فكاتبه الملكان عند الله صديقاً. فكذا ينبغي أن تظم المساجد. وهو أن يرى تلويت المسجد بدخوله فيه حسه حناية على المسجد لأن يرى التلويت المسجد الحرام أو يزحرف الدنيا مع الله تعالى. وقال الحواريون للمسيح عليه السلام: أنظر إلى هذا المسجد ما أحسسه! فقال: أمتي أمتي. بحق أموالكم، لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بدنوب أهله. إن الله لا يبعث ألبها بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تمجيبكم شيئاً. وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب العظيمة، بها يمر الله الأرض، وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك.

وقال أبو البرداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رَخِرْتُمْ مِنْ حَيْدِكُمْ وَحَائِثِكُمْ مَصَاحِفَكُمْ وَتَدْمَرُ عَلَيْكُمْ» وقال الحسن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبنى مسجد المدينة، أتته حيرى عليه السلام. فقال له: بنه سبعة أذرع طولاً في السماء، لا ترخفه ولا تنقشه. فغرور هذا من حيث إنه رأى المكر معروفاً واتكل عليه وفرة أخرى ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين. ويطلبون به الحوافل الجامعة، ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء المعروف، ويكرهون التصديق في السر.

(٢) حديث: ر ر حرقتم مساجدكم وحطمتم مصاحفكم فلامر عليكم: أن لا تترك في الزهد أو تترك في الزهد.

في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي البرداء

(٣) حديث: الحسن مرسل أن يبنى مسجد المدينة أتته حيرى فقال له: بنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا ترخفه ولا تنقشه: م أحمد

ويرون إلفاء الفقير لما يأخذونه منه حية عليه وكفراناً ، وما يحرسون على إهداق المال في الحبح ، فيهجون مرة بعد أخرى ، ورءى ركوا حراسهم جيعة ، ولذلك قال ابن مسعود : في آخر الزمان يكثر الخاح بالسبب : يهون عليه السر ، وييسر لهم في الرق ، ويرجعون عرومين مسلوين ، يهوى أحدهم بغيره بين الرمال والقفار ، وحاربه مأسور إلى حبه لا يواسيه . وقال أبو نصر التمار : إن رجلاً جاء يودع شرب الخارث ، وهول فدعرت على الحبح ، فتأمرني بشيء ، فقال له كم أعددت للفقرة ؟ فقال أني درهم . قال بشر . فأني شيء . فنتهي بحديث ، ترهدها ، أو اشتياقاً إلى الميت ، أو اتعاه مرصاة الله ؟ قال الله مرصاة الله . قال فإني أصبحت مرصاة الله تعالى وأنت في منزلك . وبعق أني درهم . وتكون على يدين من مرصاة الله تعالى . أقبل ذلك ؟ قال نعم . قال اذهب فأعظم عشرة أنفس . مديون قضى دينه ، وفقير يرم شعته ، وهميل يفي عياله ، وصرفي ينم بفرحه . وإن أقوى قبك تعطيها واحداً . وقال : إن إدراك السرور على قلب المسلم وإعانة الصالح ، وكشف الضر ، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة مدحجة الإسلام . ثم فأخرجها كما أمرك ، ولا تقل لما مدني قبك . فقال : يا أبا نصر ، سرفي أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له : الما إذا جمع من وسع التجارات والشبهات . اقتضت النفس أن تقصيه وطراً . فأظهرت الأعمال الصالحات . وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين .

وفرقه أخرى من أرباب الأموال اشتعلوا بها ، يحفظون الأموال ويعسكونها بحكم البخل . ثم يشتعلون بالماديات الدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة . كصيام النهار ، وميام الليل وختم القرآن ، وهم معرويون . لأن البخل المهلك قد استولى على واطهم . فهو يحتاج إلى قمع بإحراج المال . فقد اشتعل بطالب فضائل هو مستغن عنها ، ومثاله مثل من دخل في ثوبه حية ، وقد أشرف على الهلاك . وهو مشغول بطبع السككحين يسكن به الصمراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السككحين . ولذلك قيل : بشر . إن فلاح العبي كثير الصوم والصلاة . فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره . وإن حال هذا إطعم الطعام للجبايع والإهداق على المساكين ، فهذا أفضل له من تحويه نفسه ، ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه لأفقرائه .

فصور البخل
المشتغلين
بالعبادة
البدنية

غروب منه
يؤدى الزكاة
نفسه

وفرقه أخرى غلهم أبخل . فلا تسمح نفوسهم إلا بإداء الزكاة فقط . ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء ، الذى يرمون عنه . ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم ، أو من يحتاجون إليه فى المستقبل الاستسجار فى خدمة . أو من لهم فيه على اللجنة عرض . أو يسعون ذلك إلى من يمينه واحد من الأكابر ممن يستطهر بحشمه اليسال بذلك عنده منزلة . ويقوم بحاجاته . وكل ذلك معسرات لامية ، ومحيطات للعمل ، وصاحبه مغرور ، وطن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر ، إذ طالب بعبادة الله عوضا من غيره . فهذا وأمثاله من عرور شخاب الآوال أبدا لا يحصى وإعداد كره هذا القدر للتنبيه على أحناس الغرور وفارقة أخرى من عوام الخلق وثياب الآوال والفقراء اعتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك بهمهم ويكفيهم . وأخذوا ذلك عادة . ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الأتية طأحرا . وهم مغرورون لأن فصل محاسن الذكر لا يكونه صريحا فى الخير فإن لم يهبج الرعة فلا حرج فيه والرعة محدودة لأنها تمت على العمل فإن ضمنت عن العمل فلا حرج فيها وما يراى لغيره فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قيمة له ورعا يتر ما يسميه من لواعظ من فضل حضور المجالس ، وفضل البكاء . ورعا تدحبه رقة كرفة الماء ، ويبكى ولا عزم ، ورعا يسمع كلاما مخوفا فلا يريد على أن يصفق يديه ويقول . يا سلام سلم . أو بعود الله ، أو سبحانه الله ، ويظن أنه قد أتى بالخير كله ، وهو مغرور . وإنما له مثل المريص الذى يحصر مجالس الأطباء فيسمع ما يجرى . أو الجائع الذى يحصر عنده من يصف له الأضمة البديدة الشبيهة ثم ينصرف ، وذلك لا يبعى عنه من صرعه وجوعه شديدا . فكذلك سمع وصف الطاعات دون العمل بها لا يبنى من الله شيئا . فكل وعظ لم يعبه ملك صفة تبرا يعبر أفعالك ، حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا ، فذلك الوعظ زيادة حجة عليك . فإذا رأيت وسيلة لك كنت مغرورا فإن قلت : فما ذكرت من مداخل الغرور أمر لا يحصل منه أحد . ولا يمكن الاحتراز منه ، وهذا يوجب اليأس ، بدلا يتوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فأقول الإنسان إذا عبرت همته فى شيء أظهر اليأس منه . واستعظم الأمر ، واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الخيل ، واستنبط بدقيق النظر حفايا الطرق

غروب منه
بمصر مجلس
الوعظ ولا
ينفط

مسيره النبوة
منه الغرور

في الوصول إلى الغرض ، حتى أن الإنسان إذا أراد أن يستنزل "طير الخاق في جو السماء مع بعده منه استنزله وإذا أراد أن يخرج الخوت من أعماق البحر استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الحلال استخرجه وإذا أراد أن يقتص الوحوش المطابقة في البراري والبحار يقتصها وإذا أراد أن يسخر السباع والطيور وعظم الحيوانات استخرها . وإذا أراد أن يأخذ الحيت والأفاعي ويحبس بها أخذها ، واستخرج الدبابق من أحواضها وإذا أراد أن يتخذ الريح الملون المنقش من ورق التوت أخذه وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك ، وهو مستقر على الأرض . وكل ذلك باستنباط الحيل ، وإعداد الآلات . وسحر الفرس للركوب ، والسحاب للعديد ، وسحر الدابة لاقتصاص الطيور ، وهيا الشبكية لاصطياد السمك . إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه ، وذلك مميل له على دنياه ولو أهمه أمر آخرته . فليس عليه إلا شغل واحد وهو توقيم قلبه فمجرد عن توقيم قلبه وتبادل وقال هذا شغل ، ومن الذي يقدّر عليه وليس وذلك بحال لو أصبح وهم هذا الله الواحد . بن هو كناية قال

أوصح منك الهوى أرشدت للحيل

فهذا شيء لم يجزعه السلف الصالحون ، ومن اتهمه إحسانه فلا يجزعه عنه بضامن صدقت إرادته وقويت همته . ولا يحتاج إلى عشر تعب الحق في استنباط حيل الدنيا ونظم أساليبها فإن قلت : قد قرئت الأمر فيه ، مع أنك أكثرت في ذكر مداخل الفرور ، وهم ينجمو العبد من الفرور ؟ فأعلم أنه يجزو منه ثلاثة أمور . بالعقل ، والعلم ، والمعرفة . فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل . فأعني به المطرقة القريرية ، والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء . فاعظنة والمكس فطرة ، والحق والملاذ فطرة . والملاذ لا يقدر على التحفظ عن الفرور فمساء العقل . بذكاء لهم ، لا بد منه في أصل الفطرة وهذا إن لم يفطر عليه لإنسان فأكسائه ممكن . ثم إذا حصل أصله تمكن تقويته بالممارسة وأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تدرك الله الذي فهم العقل من عباده

كيفية النعمة
من الفرور

(١) حديث تارك لدى من العمل بين عباده - الحديث : الترمذي الحكيم في وادر الأصول من روية صاوس مرسلات وفي ثوبه قصه واسمه صعيص ورره بهجوه - من حديث أبي حميد وهو صعيص أيضا

أَشْنَأُ إِنَّا الرُّحَابَيْنِ لَيْسَتَوِي نَحْمَهُمَا وَرُثْمَهُمَا وَصَوْمُهُمَا وَصَلَاتُهُمَا وَآكَلُهُمَا يَتَقَاوَتَانِ فِي الْعَقْلِ كَالدَّرَةِ فِي جَنْبِ أَحَدِهِمَا فَسَمِ اللَّهَ خَلْقَهُمْ حَصًّا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْيَقِينِ ،
وعن أبي الدرداء ، أنه قيل يا رسول الله ^(١) أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَصُومُ النَّهَارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ
وَيُحَجُّ ، وَيَعْتَمِرُ ، وَيَتَصَدَّقُ ، وَيَنْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَمُودُ الْمَرِيضَ ، وَيَشْبَعُ الْحَزَنَ ،
وَيَمِينُ الضَّعِيفَ ، وَلَا يَعْلَمُ مَرَاتَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« إِنَّمَا يُجْرَى عَلَى قَدَرِ عَقْلِهِ » وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالُوا احْبِرْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) « كَيْفَ عَقْلُهُ » ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَقُولُ
مِنْ عَادَتِهِ وَوَصْلَتِهِ وَحَلَقِهِ فَقَالَ « كَيْفَ عَقْلُهُ » هَذَا الْأَمَقُّ يُصِيبُ نَحْمَتَهُ أَنْتُمْ مَنْ تُخَوِّرُ
الْمَآخِرَ وَإِنَّمَا يُقَرَّبُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ .

وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) إذا بلغه عن رجل شدة
عبادة سأل عن عقله ، وإذا قالوا حسن ، قال « أَرَجُوه » وإن قالوا غير ذلك قل « لَنْ
يُثْبِتَ » وذكر له شدة عبادة رجل فقال « كَيْفَ عَقْلُهُ » ؟ قالوا ليس بشيء . قال « لَنْ
يُثْبِتَ صَاحِبُكُمْ حَيْثُ تَحْسُنُونَ » فالدكاء صحيح ، وعريضة العقل ائمة من الله تعالى في أصل
المطهرة . فإن فاتت بلادة وحماة فلا تدركها

الإنسان المعرفة : وأسمى بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ، ويعرف ربه .
ويعرف الدنيا ، ويعرف الآخرة . فيعرف نفسه بالعبودية والدل ، ويكوبه عريدا في هذا العالم ،
وأجنديا من هذه الشهوات البهيمية ، وبها المواقف له طيما هو معرفة الله تعالى . والنظر
إلى وجهه فقط . فلا يتصور أن يعرف هذا عالم يعرف نفسه ، ولم يعرف ربه فليستمن على
هذا عاذر له في كتاب لمحبة ، وفي كتاب شرح عيوب القلوب . وكذا باب المكرب . وكتاب الشكر .

(١) حديث أبي الدرداء أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ - الحديث - وفيه - بحري على مدر عقله
حطبت في الدرس وفي أسماء من روى عن قتادة من حديث ابن عمر وصححه ولم أره
من حديث أبي الدرداء

(٢) حدث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل كيف عقله - حديث داود والنسائي
في كتاب العمل وهو صحيح وتقدم في العلم

(٣) حديث أبي الدرداء كان داود بن أبيه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله - الحديث - الترمذي الحاكم
في التواتر ومن سمي ومن عريضة البهي في الشعب وصححه

إذ فيها إشارات إلى وصف النفس ، وإلى وصف جلال الله ، ويحصل به التنبيه على
الجملة ، وبكمال المعرفة ورأيه ، فإن هذا من علوم المكاشفة ، ومطلب في هذا الكتاب ، لا في علوم المعاملة
وأما معرفة الدنيا والآخرة ، فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب دم الدنيا وكتاب ذكر
الموت ، ليتبين له أن لانسبة للدنيا إلى الآخرة . فإذا عرف نفسه ورأيه ، وعرف الدنيا
والآخرة ، ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله ، وعمره الآخرة شدة الرغبة فيها ، وبمعرفة
الدنيا الرعدة عنها . وبصبر أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى . وينتفع في الآخرة . وإذا غلبت
هذه الإرادة على قلبه . صحت دته في الأمور كلها . فإن أكل مثلاً ، أو اشتغل بقصاصة
الحاجة ، كان قصده منه الاستمالة على سلوك طريق الآخرة . وصحت نيته ، ودفعه عنه كل
عرور ومشوّه تجذب الأعراض ، والعروع إلى الدنيا . والحله . والمال ، وبذلك هو المقصد
للنية . وما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة . وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله
تعالى . فلا يمكنه الخلاص من العرور .

فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله ونفسه . الصادقة عن كل عقله ، فيحتاج إلى
المعنى الثالث : وهو العلم ، أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله ، والعلم بتدبيره من
الله وما يعمده عنه ، والعلم بآفات الطريق وعقباته ودعواته . وجميع ذلك قد أودعناه كتب
إحياء علوم الدين ، فيعرف من ربح العبادات شروطها فرائدها ، وآفاتا فيتقها ، ومن ربح
العادات أسرار المعاش وما هو مضطر إليه بما أحده بأدب الشرع ، وما هو مستغن عنه
فيعرض عنه . ومن ربح المهاركات يعلم جميع العقبات المذمومة في طرق الله ، فإن المانع من
الله الصعوبات المذمومة في الخلق ، فيعلم المذموم ويترك طريق علاجه . ويعرف من ربح
المحبات الصعوبات الحمودة التي لا بد وأن توصل خلف عن المذمومة بعد محوها . فإذا أحاط
بجميع ذلك تمكنه الحذر من أنواع التي أشرنا إليها من العرور وأنص ذات كله أن يغاب
حب الله على القلب ، ويسقط حب الدنيا منه ، حتى تقوى به الإرادة . وتصح به الية .
ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها

فإن قلت . فإذا فعل جميع ذلك . فإلدي يخوف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخذله
الشیطان ، ويدعوه إلى تصح الحق ، وشر العلم . ودعوه الناس إلى ما عرفه من دين الله .

فإذا علم
الشيطان
للمنفين

فإن المريد يحس إذا فرغ من تهذيب نفسه وأحلامه ، ورأى القلب حتى صماه من جميع
المكدرات ، واستوى على الصراط المستقيم . وصارت الدنيا في عينه مركباً ، وانقطع
طمعه عن الحس من يلتصق إليه . ولم يبق إلا هم واحد ، وهو الله تعالى ، والحمد مدحه
ومناجاته ، والشوق إلى لقائه ، وقد غر الشيطان عن إبعاده . إذ يأتيه من جهة الدنيا
وشهوات النفس ولا يصيحه . فيأتيه من جهة الدين ، ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله .
والشفقة على دينهم ، والصفح لهم ، والدعاء إلى الله . فيصير العبد برحمته إلى السيد فيراهم
حريز في أمرهم . - كما في دينهم ، صابراً ، قد استوى عليهم المرض وهم لا يشعرون
وفقدوا الطبيب ، وأشرفوا على المطب ، فغلب على قلبه الرحمة لهم ، وقد كان عنده حقيقة
المعرفة عما يهديهم . وبين لهم سبلهم . ويرشدهم إلى سبلهم ، وهو يقدر على ذكرها من
غير تمب . ومؤنة . ولزوم عرامة . وكان مشه كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطق ألمه . وقد
كان لذلك يسهر ليله ويقف سهاره . لا يأكل . ولا يشرب ، ولا يتحرك ، ولا يتصرف ، لشدة
حرمان الألم . فوجد له دواء عفووا صموا من غير أن ، ولا تعب . ولا مرارة في أوله فاستعمله
فبرى . وصبح ، فصاح بوجه الليل مد طول سهره ، وهذا ما سهر بعد شدة القلق ، وطاب
عبسه . مد نهاية الكدر . وأصاب لغة الهمومة مد طول السقام ، ثم نظر إلى عدد كثير من
المسلمين وإذا بهم ساءت أحوالهم . ومد طال سهرهم . واشتد فتقهم . وارتفع إلى السماء
أيدهم ، فتذكر أن دواءهم هو الذي يورثه . ويقدر على شفاؤهم بأسهل ما يكون ، وفي
أرحى زمان . فأخذته الرحمة ورافقة . ولم يجد فسخة من عصف التراخي عن الاشتغال بملاحهم
فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق ، وشفى من أمراض القلوب ، شاهد
الحق وقد مرصت قلوبهم ، وأعضل دوائهم . وقرب هلاكهم وبشفائهم ، وسهل عليهم دوائهم
فأنيس من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بمصالحهم ، وحرصه الشيطان على ذلك رجاء
أن يجد مجالا للفتنة . فصار اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة ، فدعاه إلى الرياسة دعاء
حقياً أخفى من ديب العمل لا يشعر به المريد فلم ير ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى
التصنع والتزين للخلق ، تحسين الأعضاد . والنفات . والحركات ، والتصنع في الري والهيئة
فأقبل الناس إليه يطمئنون به ويقرؤونه ويوقرونها توفيرا يريد على توفير الملوك ، إذ رأوه شافيا

لأدوائهم بتحضر الشفقة والرحمة من غير طمع ، فصار أحب إليهم من آباءهم وأمهاتهم ، وأقاربهم ، وأكثرهم ثباتهم وأموالهم . وصاروا له خولا كالמיד والخدم ، فحدهم ووقدهم ، وفي المحاول ، وحكموه على الملوك والباطين . فعند ذلك انتشر الطمع ، وارتاحت النفس ، وذافت لذة يأبى من لذة ، أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة ، وكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها . فعند ذلك وجد الشيطان فرصة ، وامتدت إلى قلبه يده ، فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة

وأما انتشر الطمع ، وركون النفس إلى الشيطان . أنه لو خطأ مرّد عليه بن يدي الخلق غضب ، وإذا أكر على نفسه ما وجدته من المسب ، نادر الشيطان فخير إليه أن ذلك عصم الله ، لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المرادين فيه انقطعوا عن طريق الله . فوقع في الغرور . فرما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه ، فوقع في العمية المحطورة بعد تركه الحلال المتسع ، ووقع في الكبر لدى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه ، بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات . وكذلك داسه قه المنحك ، أو فتر عن بعض الأوراد ، جرعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله ، فأبغ ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء ، وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك . والشيطان يحيل إليه إلك إنه تفعل ذلك كيلا يفر رأيهم عن طريق الله ، فيتركون الطريق تركه . وإعادك خدعة وغرور . بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع ، منه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أفرانه ، بل ربما يحب ذلك ويستبشره ، ولو ظهر من أفرانه من مالت القلوب إلى موله ، وراد أن كلامه . في القبول على كلامه ، شق ذلك عليه . ولولا أن النفس قد استشرت واستهدت الرياسة ، لكان يعتنم ذلك . إذ مثاله أن يرى الرخص جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر ، وتغطى رأس البئر بحجر كبير ، فمحروا عن الرقي من البئر بسببه ، فرق قلبه لإخوانه . فاجأه برفع الحجر من رأس البئر ، فشق عليه ، فحده من أعاهه على ذلك حتى تيسر عليه ، أو كراه ذلك ونجاء بنفسه ، فيعظم بذلك فرجه لا محالة ، إذ عرضه خلاص إخوانه من البئر . فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار ، فإذا ظهر من أعاهه وكراه ذلك لم يشغل عليه . أرأيت لو اهتموا جميعهم من أنفسهم ، أكان ينبغي أنه يشغل ذلك عليه

إن كان عرصه هدايتهم قد اهدوا بعمره فلم يثقل عليه ؛ ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كدائر القلوب ، وفواحش الخوارج ، وهلكته . فمؤذاته من دفع القلوب بعد الهدى . ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء .

فإن مات فتى يصح له أن يشتمل مصحح الناس

منى بحزن
الاستفقال
نصح الناس

فأقول : إذا لم يكن له قصد بالهدايتهم لله تعالى . وكان يودلو وجد من يعبه ، أو أو اهدوا بأمرهم . واقطع بالسكينة طمعه عن نفسه . وعن أموالهم . فاستوى عنده حمدهم وذمهم . فلم يال بغيرهم إذا كان لله بحمدهم ، ولم يهرج بحمدهم إذا لم يقترب به حمد الله تعالى ، وطر إليهم كالمطر إلى السادات وإلى البهائم . أمالي السادات فن حبت إنه لا يتكبر عليهم ، ويرى كلهم حبراً ماله له بالحقنة . وأمالي البهائم فمن حيث قطع طمعه عن طيب المرلة في قلوبهم ، فإنه لا يرى كيف تراه الله ثم لا يتزين لها . ولا تصنع إلى راعي الماشية إنما عرضه رعاية الماشية . ودفع الذئب عمادون أطر الماشية إليه . فلم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظاره ، ولا يدلي بها . لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم . نعم رعا : يصنعهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لعمره ويحترق في نفسه .

فإن قلت : ولو تركوا لواءه لضعف لاعداء هذه الدرجة لحالت الدنيا عن الوعد وحرمت القلوب

فأقول : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « حُبُّ الدُّنْيَا رُسُومُ كُرْ خَصِيئَةٍ » ولو لم يحب الناس الدنيا لم تكن تلك العالم . ونظمت المعاش . وهلكت القلوب والأبدان جميعاً . إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك ، وأن ذكر كونه . هلكاً لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين ، لا الأتقين الذين لا تخرب الدنيا تركهم . فلم يترك الصبح ، وذكر ما في حب الدنيا من الخطر . ولم يترك ذكره خوفاً من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ، ليدوقهم بها إلى جهنم . تصديقاً لقوله تعالى (وَلَسْكَرُ حَقُّ الْقَوْلِ مِنْهُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ^(٢)) فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة . يروى في الشعب من حديث حسن مرسل . لا يثبت في كتاب دم الدنيا

حُب الرياسة ، ولا يدعوها بقول من يقول إن الوعظ حُب الرياسة حرام . كما لا يدع الخلق الشرب ، والزنا ، والسرقة . والرياء ، والظلم ، وسائر المماص ، بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام . فانظر لنفسك . وكن فارغ القلب من حديث الناس ، فإن الله تعالى يصاح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد وأشخاص ، ولو لا دفع الله الناس . بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم . فإعياي حتى أن يسد طريق الاتعاط فأما أن تحرس السنة الوعاط ، ووراء مائة الرياسة وحُب الدنيا ، فلا يكون ذلك أبدا . وإن قلت : فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان . فاشتغل بنفسه وترك الصبح ؛ أو نصح ورأى شرط الصدق والإخلاص فيه ، ثم الذي يخاف عليه ؛ وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاعتزاز ؛ . فاعلم أنه في عليه أعظمه ، وهو أن الشيطان يقول له . قد أعجزتني ، وأقلت مني مذكائك وكمال عقلك . وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك . فما أصرك ، وما أعظم عند الله قدرك وعظمتك . إذ قوالك على قهرى . ومكثك من الزهدة لجميع مداخل غرورى فيصنئ إليّ ويعتد به . ويمجّب نفسه في قراره من الغرور كله ، فيكون إعجابه بنفسه عية الغرور ، وهو المهلك الأكبر ، فامحجب أعظم من كل ذنب . وإذالك قال الشيطان . يا ابن آدم . إذا طست أمتك بملء تلحمت منى ، فبجهلك قد وقعت في حبائلي

وإن قلت . فلو لم يحجب بنفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لأمسه ؛ وأن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته ، ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل . إذ أقدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم تقو عليه نفسه . بل بالله تعالى . فالذي يخاف عليه بعد في المحجب فأقول : يخاف عية الغرور بفضل الله ، والثقة بكرمه . والأمن من مكروهه ، حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ، ولا يحذف من الصرة وال انقلاب ، فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط ، دون أن يقارنه الخوف من مكروهه . ومن آمن بمكر الله فهو خاسر حدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله . ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه ، من حب دنيا ، ورياء . وسوء خلق ، والتفات إلى غير

وهو غافل عنه . ويكون خائف أن يسلب حاله في كل طرفة عين . غير آمن من مكر الله ، ولا غافل عن خطر الحاتمة . وهذا خطر لا يحصى عنه ، وحواف لا تنجاة منه إلا بمدحاوره الصراط . ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع ، وكان قد بقى له نفس ، فقال : أفلت مني يهملان . فقال لا مد . ولذلك قيل الناس كلهم هلكي إلا العالمون والعالمون كلهم هلكي إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكي إلا المحصون ، والمحصون على خطر عظيم فإذا المغرور هلك . والمحصى المار من الغرور على خطر . فذلك لا يهارق الحوف والخذر فرب أولياء الله أهدأ . فسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الحاتمة ، فإن الأمور بجواتيمها تم كتاب ذم الغرور ، وبه تم ربيع المهلكات

وبتلوه في أول ربيع المسجيات كتاب التوبة . وأحمد الله أولاً وآخراً . وصلى الله على من لا نبي بعده ، وهو حسبي وحمي الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

لجنة
نشر ثقافة الإسلام
بمبادرة جمعية علماء الإسلام

إحياء العلوم الدينية

للإمام أبي حامد الغزالي

ربيع المنجيات

مضاف إليه
مخرىج الحافظ العراقي

كِتَابُ التَّوْبَةِ

كتاب التوبة

وهو الأول من ربيع المنجيات

من كتب إحياء علوم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تحميده يستفتح كل كتب . وذكره يصدر كل خطب ، ومحمده
يسمى أهل النعيم في دار التواب ، واسمه يسلي الأشقياء وإن رضى دونهم الحجاب . وصرح
بهم وبين السماء بسور له باب ، باطه فيه الرحمة وطهره من قبله العذاب . وتوب إليه
توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . وترجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم
العفور التواب . وخرج الخوف رجاء من لا يرب أبه مع كونه عامر لذنب وقال
التوب شديد العقاب . واصل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه ، صلاة
تقدما من هول المطلع يوم العرض والحساب ، وتهدئا عند الله راقى وحسن ما ب

أما بعد . فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستر العيوب وعلام العيوب ، مد أطرفي
الساركيين ، ورأس مال الممارين ، وأول إندام المریدين ، ومفتاح استقامة المؤمنين ،
وهو مطلع الاصطفاء والاجتهاد المعقرين ، ولأبدا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء
أجمعين . وما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو أن أذنب الآدمي واجترم
وهي سدسنة يعرفها من خرم ، ومن أشبه أنه ما طم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر
عمر بعد أن هدم ، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي البني والإثبات ، والوجود والعدم واقف
قرع آدم سن الدم ، وتدم على ما سبق منه وتقدم فمن أخذ قدوة في الذنب دون التوبة
فقد زلت به القدم . بل التجرد لمحض الخير ذنب الملائكة المقربين ، والتجرد للشر دون
التلا في سجية الشياطين . والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين . فالتجرد للخير
ملك مقرب عند الملك الديان ، والتجرد للشر شيطان ، والمتلا في الشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان

فقد ازدوج في طينة الإنسان : ثمان بواسطه فيه سجينان . وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك ، أو إلى آدم ، أو إلى الشيطان . فالسابق قد أقام الله تعالى صحته نسبه إلى آدم بإزالة حد الإساءة والمصر على لطف من جعل على نفسه نسب الشيطان

وأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالاعتداد بخص الخير فيه . رح عن حير الإمكان . وإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم . محكم ، لا يحسمه إلا إحدى الدين ، من الندم أو إزار جهنم . ولا حراق النار ضروري في تخبص جوهر الإيمان من حبائل الشيطان ، وإليك الآن اختيار ثلث الدين . والمادة إلى تحب الشرير ، قبل أن يطوى ساط الاختيار . وبسبب إلى دار الاضطراب ، إما إلى الجنة وإما إلى النار

وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع ، وحسب تقدمها في صدر ربيع المنجيات بشرح حقيقتها ، وشروطها ، وسببها ، وعلاقتها . وثمرتها . والآلة الدالة عليها ، والأدوية الميسرة لها . ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان .

الركن الأول في معنى التوبة ، وبيان حدها ، وحقيقتها . وأشهر وجده على الأمور ، وعلى جميع الأشخاص . وفي جميع الأحوال ، وأنها إذا صححت كانت مقبولة

الركن الثاني : فيما عدا التوبة ، وهو الذنوب ، وبيان أقسامهم إلى صغر وكبر ، وما يتعلق بالعدد ، وما يتعلق بحق الله تعالى ، وبيان كيفية تورع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات ، وبيان الأسباب التي بها تعظم العصائر

الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها ، وكيفية تدارك ما مضى من المصالح ، وكيفية تكفير الذنوب ، وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة

الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل

الركن الأول في نفس التوبة

بيان

حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى «نسى» وانهم من ثلاثة أمور مرتبة : علم . وحل . وممن
قالهم الأول ، والحال الثاني ، والفعل الثالث . والأول موجب لذاته ، والثاني موجب
لثلاث إنحائها اقتضاه اطراد ستة الله في الملك والملكوت

أما العلم فهو معرفة صحة مرور الدوب . وكونها حجب بين العبد وبين كل محبوب .
فإذا عرف ذلك معرفة محقة ، يقين سائب على نفسه ، نزل من هذه المعرفة تألم للقلب سبب
فوات المحبوب . فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم . فإن كان قوائمه بفعله أنسى على
الفعل المموت . فسمى تألمه سبب فوات المموت المحبوب . فإذا عيب هذا لأن على القلب
واستولى ، انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصد . إلى فعل له
تعلق بالحل . وبالماضي ، والاستقبال . مما تمهدها الحل . وترك الدوب يدى كاره لاسا وأما
بالاستقبال . مما مرم على ترك الدوب المموت المحبوب إلى آخر العمر . وأما الماضي ، فمختلف في
معامات بالخير والقصد . إن كان قابلا للخير فعلم هو الأول . وهو مصلح هذه المعامات . وأما
بهذا العلم الإيمان واليقين . فإن الإيمان عبارة عن التصديق أن الدوب مسموم بهسكة واليقين
عبارة عن تأكيد هذا التصديق ، واتقاء الشك عنه ، واستيلائه على القلب ، فيشمر ور
هذا الإيمان . مهما أشرق على القلب . من الدم . فيأتم بها القلب حيث مصر بإشراق نور
الإيمان أنه صدر محبونا عن محبوبه . كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ضلوه فيستطاع
النور عليه بالتشبع سحابة . أو بحسار حجاب ، ورثى محبوبه وقد أشرف على الهلاك ،
فاشتعل نيران الحب في نفسه . وتمت تلك المعز . إرادته الانتهاض للتدارك

فالمعلم والندم . والقصد المتبع بالترك في الحال والاستقبال . والالافى للماضى . ثلاثة
معان مرتبة في الحصول . فيطلق اسم التوبة على مجموعها . وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى
للندم وحده ، ويجعل العلم كالساق والمقدمة ، والترك كالثمره والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار

قال عليه الصلاة والسلام ^(١) «الدَّمُ تَوْبَةٌ» هذا لا يخلو الدم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه وتوابعه فيكون الدم محموم ضربه. أعني ثمرته ومثمره. وهذا الاعتبار قيل في حد التوبة أنه دور الحث لما سبق من الخطأ. فإن هذا يمرض لمجرد الألم. ولذلك قيل هو نار في انقب تنهب. وصدع في الكيد لا يشعب. واعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه جمع لأس الحزم وشر ساط الوفاء. وقال سبن بن عبد الله التيسري: التوبة تدل على الحركات المدمومة بالحركات المعودة. ولا سم ذلك إلا بالحيوة، والصمت، وأكل الحلال. وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة

والأقوال في حدود التوبة لا تحصر وإذا فهمت هذه المعنى الثلاثة، وتلازمها وترتبط بها عرفت أن جمع ما قيل في حدودها قادر عن الإحاطة بجمع معانيها ومطالب العلم بحقائق الأمور أهم من طالب الألفاظ المجردة

بيان

وجوب التوبة وفضلها

اعلم أن وجوب التوبة ناهي بالأخبار ^(٢) وآيات، وهو واضح نور البصيرة عند من أصبحت بصيرته، وشرح تنوير الأيمان صدره حتى انمدر على أن يسمى سورة الذي ينال به في ذات الحلال، مستعبدا عن قائد يقوده في كل خطوة. فاسالك بما أعني لا يستغنى عن اتقيد في خطوه، وإنما يصير يهدي إلى أول الطريق ثم يهتدي بنفسه. وكذلك الناس في طريق الدين. قسمون هذا القسم فمن قادر لا تمدر على عبورة التقليد في خطوه. فيمتقر إلى أن يسمع في كل قدم نفاذ من كتاب الله أو سنة رسوله، ويرى ما موره ذلك فينبه. فسير هذا وإن طال عمره وعظم حزمه يختصر، وخطاه قادرة. ومن سعيده شرح الله صدره للإسلام، فهو على نور من ربه، فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة، ومضع عقبات متعنة. وبشرق في فله نور القراءان وور الإيمان. وهو لشدة نور باطنه

(١) حديث الدم توبة. من مائة وثمانين حديثا وصححه ابن خزيمة من حديث من مسعود ورواه ابن حبان

والحاكم من حديث أنس وهو صحيح على شرطه

(٢) حديث الأخبار الدالة على وجوب التوبة من مائة من حديث الأئمة الذين يؤمن بأسانهم في هذه الحديث:

ولا من مائة من حديث حمران بن أسباط وهو صحيح على شرطه حديثه وسنده صحيح

يحتزى بأدنى بيان ، فكأنه يكاد رسته يضيء ، ولو لم تفسد ، فإذا مسته نار فهو نور
على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء . وهذا لا يحتاج إلى حش منقول في كل واقعة
من هذا حاله ، إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة ، فيصير أولاً نور البصيرة إلى التوبة
ماهى . ثم إلى الوجوب مامعاه . ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة ، فلا يشك في ثبوته لها
وذلك بأن يعلم أن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد ، والنجاة من
هلاك الأبد . فإنه لو لا تسمى السعادة وشقوه عمل الشيء وتركه ، لم يكن لوصفه كونه
واحداً معنى . وقول القائل قد روي حديثاً لا يجب حدث شخص في ما عرضت أحلا وأحلا
في فعله وتركه ، فلا معنى لاشتغال به أو حبه عيب عننا أو لم يوجبه . فإذا عرف معنى الوجوب
وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن السعادة في دار البقاء ، لا في دار الآل ، وأن
كل محجوب عنه شيء لا محبة . عول يئنه ومن ما يشتهي . غرق ما لم يراق ، والجميع
وعلم أنه لا ممد عن قوة الله إلا اتسع الشهوات ، والأشياء لم يمد الله ، ولا كباب
على حب ما لا يد من مرارة طعام ، وعدمه لا مقرب من الله ، لا قطع علاقة القلب عن
رخوف هذا العلم ، والإقبال . كناية على الله طيب الألسن ، يدوام ذكره ، ولما حبه له
عمرة حلاله وجه له على قدر طاقته . وعدم أن لدوب التي هي ، عرض عن الله ، واتسع لمح
الشيائيات أعداء الله المبعدين عن حضرته ، سب كونه محجوباً بممد الله تعالى . فلا
يشك في أن الانصراف عن طرق الممد واجب للوصول إلى القرب ، وإتمام الانصراف
بالعلم ، والدم ، والعزم فإنه ما لم يمد أن الذنوب أن سب الممد عن المحبوب لم يدم ، ولم
يتوجه سب سلوكه في طريق العبد . وما لم سوجه فلا يرجع ومعنى الرجوع أنه الرجوع
فلا يشك في أن الله في الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الإيمان
الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر
الخلق ، في التقيد والاتباع له عمل رجب ، يتوصل به إلى السعادة من الهلاك ، فلا حط
فيه قول الله ، وقول رسوله . وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى (وثوبوا إلى
الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى

لنوم التوبة
للعب

في وجوب الإيمان. والكر قد تدش "معلقة عنه" أي هـ العبد له هذه المعلقة. ولا خلاف في وجوبها
ومن معانيها ترك الله تعالى في الحرام. ولعمري على تركه في الاستقبال، وتارك ما سبق
من التقصير في سبب لأحوال. وذلك لا يشك في وجوبه. وما السدم على ما سبق. والتعذر
عليه. فواجب وهو روح التوبة، وهو علم الدلالة فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع
ألم يحصل لا محالة. عقيب حقيقة المعرفة بآفات من العبد ومذام في سجد الله

فإن قلت: ألم القرب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار. فكيف يوصف بالوجوب؟
فاعلم أن سببه تحقيق العبد عورات الخسوس. وله سبيل إلى تحصيل سببه. وعمل هذا
المعنى دخل العلم تحت الوجوب. لأن معنى أن العلم يحققه العبد ويحدثه في نفسه. وبذلك
يحل في العلم، والسدم، والعمل، والإرادة، والقدرة. والسكل من حق الله وعمله
(وأنه حقيقة) "تؤمنون" هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا دليل

فإن قلت: أفتدس للمداحير في العمل والترك؟ نعم. وذلك لأنه قد تولى السكل
من حق الله تعالى. بل لا خيار بقصد من حق الله. والعبد مضطر في الاختيار الذي له.
وبن الله إذا حلق اليد الصحيحة، وحق الضم. للثبوت. وحق الشهوة لضعفها في المبدء، وحق
العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة. وخلق الخواطر المتعارضة في أن هذا الطعام
هل فيه مصرة مع أنه يسكن الشهوة. وهل دون توفيق مدح يضر معه. أو أنه لا يتم حتى
العلم أنه لا مانع. ثم عند خضوع هذه الأسباب بحرم الإرادة الناشئة على تناولها فاحترام
لإرادته عند تردد الخواطر المتعارضة. ومدوموع الشهوة بضعه. بمعنى احتيار، ولا بد من
حصوله عند تمام نفسه. فإذا حصل اجراء الإرادة بحق الله تعالى بها. حركت اليد
الصحيحة إلى جهة الطعام لا غيره. بد مدح له لزيادة وقته. يكون حصول الفعل ضرورياً،
فتحصل الحركة، فتكون الحركة بحق الله عند حصول القدرة واجراء الإرادة وهي أيضاً
من خلق الله. وانجزام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة. والعلم هذه المواضع. وهي أيضاً
من خلق الله تعالى. ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيباً حتمياً. فستة
الله تعالى في حقيقته. وإن نجد اسم الله بدلاً. فلا يحق الله حركة اليد مكتوبة بمصومة

بحث في أفعال
العبد وهل
رافقت

ما لم يخلق فيه صفة تسعى قدرة ، وما لم يخلق فيه حياة ، وما لم يخلق إرادة محرومة ،
 ولا حتى الإرادة محرومة ما يخلق شهوة وميل إلى النفس ولا ينميت هذا الميل إلا ما تاما
 ما لم يخلق فيه قوة موافقة للنفس ، وفي الخلق أو في الآل ولا حتى العلم لا يخلق إلا ما
 ترجع إلى حركة وإرادة وعلم والميل الطبيعي ، فلا يستقيم الإرادة الحرة ، والقدرة
 والإرادة ، فلا يستدفع الحركة ، وهكذا الترتيب في كل فعل . والكل من اختراع الله
 على ما ذكره من شروطه ، فبما يجب تقديم البعض وتأخر البعض ، كما
 لا حتى الإرادة لا بعد العلم ، ولا حتى العلم لا بعد الحياة . ولا حتى الحياة لا بعد الجسم
 ويكون حتى الجسم شرطاً لحدوث الحياة ، لأن الحياة تنبثق من الجسم ، وسكون خلق
 الحياة شرط لحق العلم ، لأن العلم يتولد من الحياة ، ولكن لا يستمد المحل لقول العلم
 إلا إذا كان حياً . وسكون حتى العلم شرط لحزم الإرادة ، لأن العلم يولد الإرادة . ولكن
 لا قبل الإرادة إلا جسم حتى علم ولا يدخل في الوجود إلا ممكن ، ولا يمكن ترتيب
 لا قبل التمييز . لأن تمييزه محل فلهما وحد شرط الوصف استمد المحل به لقول الوصف ،
 فبما ذلك الوصف من الخلود فلهما والقدره لأريه عند حصول الاستعداد . وبما كان
 الاستعداد بسبب الشروط ترتيب ، كان الجسم من الحوادث محل فلهما في ترتيب العلم والعمد
 تجري هذه الحوادث الزمنية وهي مرتبة في وقت الله تعالى الذي هو واحد كليج البصر
 ترتيبه كناية لا يتغير وظهورها بالتفصيل ، فقدر قدر لا يمتداه . وعنه العمارة بقوله تعالى
 (إِنَّا كُنَّا شَيْءًا حَقِيقًا يَقْدِرُ)^(١) وعن التمهيد الكلي الأري العبارة بقوله تعالى (وَهَـؤُلَاءِ
 إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)^(٢) ، وما بعد فإليه مسجرون تحت مجرى القضاء والقدر .
 ومن جهة القدر خلق حركة في يد السكائب ، بعد خلق صفة محسوسة في يده تسعى القدرة
 وبعد خلق ميل قوي جرم في نفسه يسعى القصد ، وبعد علم تأليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة
 وإذا ظهرت من باطن المذكورات هذه الأمور الأربعة على جسم عبيد مسخر تحت قهر
 التقدير ، سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملوكوت وقالوا بآياتها
 الرجل ، قد تحركت ، ورميت . وكبت وودى من وراء حجاب الغيب سرادقات الملوكوت

(و، رُمِيتْ إِذْ رُمِيتْ وَإِذَا كُنَ اللَّهُ رَمَى (١)) وما قلت إذ قلت . ولكنك
 (تَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ أَيْدِيكُمْ (٢)) وعند هذا تنحصر عقول القاعدين في محوكة عالم
 الشهادة ، فمن قائل ، هـ حير محض ، ومن قائل إنه اختراع صرف . ومن متوسط مائل إلى
 أنه كسب . ولو فتح لهم أبواب السماء فظروا إلى عالم الغيب والمذكوت ، اظهر لهم أن
 كل واحد صادق من وجه . وأن القصور شمل لحبهم ، فلم يدرك واحد منهم كنه هذا
 الأمر ، ولم يحيط علمه بجوانبه . وتنام علمه ينال إشراق النور من كوة نافذة إلى عالم الغيب
 وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على عيه أحد ، إلا من ارتضى من رسول . وقد
 يطامع على الشهادة من لم يدخل في حير الارتضاء . ومن حرك سلسلة الأسباب والمسببات
 وعلم كيفية تسلسلها . ووجه ارتباط مناط مسلماته بنسب الأسباب . انكشف له سر القدر
 وعلم عما يقبأ أن لا حاق إلا الله ، ولا مددع سواه .

فإن قلت : قد فضيت على كل واحد من القائين بالحر . والاختراع ، والكسب ، أنه
 صادق من وجه ، وهو مع صدق قاصر . وهذا ناقص ، فكيف يمكن فهم ذلك ؟ وهل يمكن
 إجمال ذلك إلى الألفاظ ؟

فاعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البدة حموان عجيب يسمى الفيل ،
 وما كانوا قط شاهدوا صورته ، ولا سمعوا اسمه . فوالله ما من مشهده ومعرفة
 بالأمس الذي تقدر عليه فطاموه ، وما وصلوا إليه لمسوه . فوقع يد بعض العميان على رجله
 ووقع يد بعضهم على ناله . ووقع يد بعضهم على أده . فذوقوا عرْفَاهُ . فما اصرفوا
 سألهم بنية لعميان ، فختلف أجوبتهم . فقال الذي لمس الرجل : إن الفيل ما هو إلا مثل
 اسطوانة خشنة الظاهر ، إلا أنه ألين منها . وقال الذي لمس الباب : ليس كما يقول ، بل هو
 صلب لا لين فيه . وأمس لا خشونة فيه ، وليس في غلط الأسطوانة أصلا . بل هو مثل
 عمود : وقال الذي لمس الأذن : لعمري هو لين وفيه خشونة . فصدق أحدهما فيه . ولكن
 قال : ما هو مثل عمود ، ولا هو مثل اسطوانة ، وإنما هو مثل جلد عريض غليظ . وكل
 واحد من هؤلاء صادق من وجه ، إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ،

ليس الإنسان موجوداً واحداً ، بل هو ينف وسموي ، وجوداً ، علاها القلب والروح
وأدناها إمالة لأدى عن العشرة ، أن يكون قصور الشرب ، مقالوم الأظفار ، في الأشربة عن
انحت . حتى يتمير عن المرسلة الملوثة بأرواح ، المستكرهه الدور ، اضول عالم ، وشاهم .
وهذا مثل مطق . ولان كلاً من ، ومقدشهدة التوحيد وحب المطال بالكية
كمقد الروح ، وليس ليس له . لا شمهدة التوحيد والرسالة هو كلاً من ، مقطوع الأطراف
، مقوقه العيين ، فامد جمع عطفه . طنة واضههه . لأصل الروح . وكما أن من هد حبه
قريب من ثبوت ، فتر به الروح الصعبة ، المردة ، التي تحبهم الأعسة ، التي تدهم
وتقويهم ، فكذلك من ليس له ، لأصل الدين ، وهو ، مقصر في الأعمال ، قريب من أن
تقلع شجرة يده ، بد صدمته الرياح العاصفة . لمحركه الإنسان في مقدمة قدوم ملك الموت
ووروده . فكل إيمان لم شمت في اليقين أصله ، ولم شمت في الأعمال فروعه ، لم شمت على
عوصف الأهوال عند ظهور أصية ملك الموت ، وجيب عيه سوء الخاتمة ، لا ملاحق ، صعات
على توالي الأيام والساعات ، حتى رشح وتمت . وقول العاصي له طبع إلى مؤمن كما أنك
مؤمن . كقول شجرة القرع شجرة الصور ، شجرة وثمت شجرة وما أحسن جواب
شجرة الصور إذ قالت . سمع من اعتراض شمول الأيام ، بد عصم رياح الحرف .
وعند ذلك تمقص أصولك ، وتدنر ورثك . ويكشف عورتك ناكث ركفي اسم الشجرة ،
مع المعلقة عن أسباب ثبوت الأشجار

وسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند لحظة . وإلا . قطع نياط المرويين حواس من دواعي الموت وقدماته
الهائلة . التي لا يثبت عليهم إلا لأفنون فالعاصي إذا كان لا يحرف الخلود في الدر سبب
معصيته ، كالصحيح المبهك في الشهوات المصرة إذا كان لا يحرف الموت سبب صحته . وإلا
الموت عاليا لا يقع بجأه ، فيقل له . الصحيح يحرف المرض ، ثم إذا مرض حاف الموت
وكذلك العاصي يد ف سوء الخاتمة ، ثم إذا حتم له بالسوء وأميد بالله وحب الخلود في الدر
فلم يصي إلا عن كائنات كولات المصرة للأندان . فلا تزال تحتج في البطن حتى تعير مزاج
الأخلاق وهو لا يشعر بها ، إلى أن يسد أراح ، فيمرض دفعة . ثم يموت دفعة . فكذلك العاصي

وإذ كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المقضية يحب عليه ترك السموم ، وما يضره من المكولات في كل حال وعلى الفور . والخائف من هلاك الأند أولى بأن يحب عليه ذلك ، وإذا كان متروكاً لسم يدمم يحب عليه أن يغتبا ، ويرجع عن تناولها ، وإطاله وإخراجه عن المعدة ، على سبيل الفور والمبادرة . لا فبالمدته المشرف على هلاكه لا يموت عليه إلا هذه الدنيا الملية ، فتسوء سموم الدين وهي لذون أولى أن يحب عليه الرجوع عنها ، بانذارك الممكن ، مادام بقي للندار مهلة وهو لعمري . فإن الخوف من هلاك السم فوات الآخرة الباقية . إن في السم المقيم وادئ العصيم . وفي فواتها الرجوع . والعذاب المقيم الذي تنصرم نصف عمره . دون عشر عشر مدته . إذ ليس لمدته آخر أوبة . فالندار البدار إلى النوبة . فمن أن من سموم الذنوب روح الأبد عملاً يحاور الأسم فيه الأطباء واحتيرهم . ولا يقع بعدهم فحتماء . فلا يسع بعد ذلك صبح الماسحين . ووعظ الواعظين ، وتحقق السكامة عليه . فإنه من لم يكن . ويدخل تحت عموم قوله تعالى : يا حمت في أعقابهم أن لا يأمي إلى الألف . فإنه مؤمنون وحملة من ين يدهم سد ومن حملة سدا . فغشيتهم منه لا ينصرون وسوء عبيته . فلهذا لم يدرهم لا يؤمنون . ولا يبرئت لهم الإيمان فيقول المراد الآية السكار ، إذ بين لك أن الإيمان بقسم وسبهمون . وأن الرائي لا يرى حين يرى وهو مؤمن بالخوف من الإتيان الذي هو شعب وفروع . سيحب في الحفاة عن الإتيان الذي هو أصل . كما أن الشخص الله قد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع . سيقاق إلى الموت المعده للروح التي هي أصل ، فلا نقاء للأصل دون الفرع ، ولا وجود للفرع دون الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد ، وهو أن وجود الفرع وقامه جميع يستدعي وجود الأصل . وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع . فلهذا أصل الفرع ، ووجود الفرع بالأصل . فعلوم المكشوفة وعلوم الله ملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل ، ولا يستغني أحدهما عن الآخر . وإن كان أحدهما في رتبة لأصل والآخر في رتبة فرع . فوعلوم المعاد ، فإن لم تكن باعثة على العمل بمعد ، فغير من وجودها

فإن هي لم تعمل عملاً الذي ترد له ثقات، وثمة لائحة على صحتها، ولذلك
يزاد في عذاب العلم لما حر على عذاب الجهل كما ورد من الأحاديث في كتاب العلم

بيان

أن وجوب التوبة هم في لأشده من الأحوال ولا يثبت عنه أحد الأمة

اعلم أن من ههنا الكتاب قد دل على هذا، بقوله تعالى (وَوَبُوا إِلَى اللَّهِ أَجْمَعِينَ) أي
الذين آمنوا بآياته (١) فعمم الخطاب، ونور البصيرة أيضاً يرشد إليه، إذ معنى
التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله، المقرب إلى الشيطان، ولا يتصور ذلك إلا من
عالم، ولا بكل عمارة العقل، لا بكل عريضة الشهوة، واعتصم به، ثم إن السوء
المدعومة التي هي وسوس الشيطان في إغواء الإنسان، وإركان العقل، تكون مقدمة رنة
الآدميين وأصده إن يتم عند مراعاة البوح، وهو الذي يظهر مدسعين، والشهوات
جنود الشيطان، والمقنوع جنود الشيطان، وقد احتجوا به في كتابهم، وأصروا به،
إذ لا يمت أحدهم إلا إلى آخر الأمر، فمدد من كذا طرد من المين والمار، والور
والظامة، وهم عيب أحدهم ربح آخر ما صرروا، وإذا كانت الشهوات تكل في
المد والاشتباه بل كل العقل، فتدس من حد الشيطان، واليه يؤول على المكاف، ووقع
للقلب به أنس، وألف لا محالة من حركات الشهوات بالعادة، وغلب ذلك عليه، ويعسر
عليه الرجوع عنه، ثم يوح العقل الذي هو حرب الله وحده، وهو قد أوزع من يدي عدائه
شيئاً فثبت على الدرع، فبذلك ولا يمكن، سمع من كذا السبب للشيطان، وأبرز
اللعين موعده حيث قال (لَا تُحْتَكِنُ رِيَّةَ الْإِنْسَانِ فَلَيْلًا) (٢) وإن كحل العقل وقوى، كان
أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات، وهو ربه له است. ورد اطلاع على سبيل
القرار إلى العبادات، ولا يمتى إليه إلا بعد، وهو الرجوع عن طريق دايه الشهوة، وخدعه
الشيطان، إلى طريق الله تعالى. وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله، وغريزته
التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة، فكان الرجوع عما سبق

الحديث ولذلك أكرم الله تعالى من قال (إني أعترف لك بنبأ ما تقدم من ذنبيك وما أخر)
وإذا كانت هذه حاله ، فكيف حال غيره ؟

فإن قلت : لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الهوس والخواطر تقص ، وأن الكمال
في الخلو عنه ، وأن القصور عن معرفة كنه حلال الله تقص ، وأنه كلما ازدادت المعرفة راد
السكان . وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب التقصن رجوع ، ولرجوع توبة ، والسكر
هذه مسائل لا يرخص ، وقد أطلعت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور
ليست بواجبة ، يدرك الكمال غير واجب في الشرع ، فالمراد قولك التوبة واجبة في كل حال ،
فأعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من تبع الشهوات أصلاً ، وليس
معنى التوبة تركها ، فقط ، بل تمام التوبة بتدريس ما مضى وكل شهوة اتهم الإنسان ارتفع
مما حاطة إلى قلبه . كما يرتفع عن نفس الإنسان طامة إلى وجه المرأة العقيمة ، وبتركها
طامة الشهوات صار دياراً ، كما يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكها حباً ، كما قال تعالى
(كَلَّا إِنَّ رَبَّنا عَلَى مُنْهَبِهِما كانُوا كَنُزُولاً) (١) فإذا تراكها الراس طلبة ، فيطعم على
قلبه . كالبحث على وجه المرأة إذا تراك وطأ رماه ، عانس في حرم الحديد ومسدده ، ودور
لا يقبل العقل بعده ، وصار كالمطبوع من الحطب ولا يكتفى في تدارك تبع الشهوات
تركها في المسكن ، بل لابد من محو تلك الأثر التي طمعت في القلب ، كما لا يكتفى في
ظهور السور في امرأة قطع الأعمس والبعرات السوداء لوحها في المسكين ، ماله يشغل
بحوم ما طعم فيها من الأرباب . وكما يرتفع إلى القلب صدمه من أمة منى والشهوات ، ويرفع
إليه نور من الطاعات وترك الشهوات . فمدحى طامة المصيبة بنور الصلوة ، وإليه الإشارة
بقوله عليه السلام (٢) « اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَحْتَهَا »

فإذا لاستغنى العبد في حال من أخوته عن نحو آثار السيئات عن ربه ، واشترط حسنة
تصاد آثرها ، تلك السيئات هدا في قلب حصيل أو لاصه وهو خلاؤه ، ثم طبع بأسباب عارضة

(١) حديث أبي السيرة الحسنة تحمها بالترمذي من حديث أبي ذر ربه في أوله وآخره وقال حسن صحيح

و في رياضة النفس

(٢) التبع : ٢ (٢) التطبيق : ١٤

فأما الصلوة الأولى فمبنيها بطول الصلوة ، إذ من شأن الصلوة في إله الصلوة عن
 المرآة كشأنه في عمل أصل المرآة ، وهذه شأنه في ملبوسه لا يقطع أسلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة
 فأما هؤلاء ، إن هذا لا يسمى واحد ، بل هو فصل وضرب كمال ، فأعلم أن الواجب له
 معيين أحدهم ما بدخل في معنى اشترع ، ويشهد به كفاية الخلق ، وهو أقدر الذي لو
 اشتغل به كفاية الخلق ، بحرب العلم ، فهو كماله من كلهم أن يقولوا الله حق ثقته أنركوا
 الملبس ، ورسوله ، بالكتابة ثم يؤدي ذلك إلى طلاق التقوى بالكتابة ، فإنه مهما
 فسدت المعاش لم يبرح أحد لا تقوى بل شغل الحياكة ، والحراة ، والحر ، يستغرق
 جميع العمر من كل واحد في يحتاج إليه ، فجمع هذه الدرجات ليست بواحدة بهذا الاعتبار
 والواجب الذي هو أدى لاند منه الوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين ،
 والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع مذكراته واحدة في الوصول إليه كفاية بل
 الصلوة وجبة في صلاة التطوع ، أي لمن يريد ، وبه لا يتوصل إليها إلا بها ، فأما من
 رضى بالقدوس والحرمان عن فصل صلاة التطوع ، فإظهاره ليست واحدة عليه لأجلها كما
 يقل العيين ، والأذن ، واليد ، والرجل ، شرط في وجود الإنسان ، أي أنه شرط لمن يريد
 أن يكون إنسانا ، كما لا يتفق إلا به ، ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا ، فأما من
 قطع أصل الحياة ، ورضى أن يكون كالحكم على وصم ، وكربة ، وطروحة ، فليس يشترط لمن
 هذه الحياة عين ، ويد ، وحل ، فاصل الواحدة الداخلة في فتوى العامة لا يتوصل إلا إلى
 أصل الحياة ، وأصل الحياة كصل الحياة ، وما وراء أصل الحياة من السعادات التي هي انتهى
 الحياة ، يجري مجرى الأعصاء والآلات التي بها تنها الحياة ، وفيه معنى الأبداء ، والأولياء
 والعالم ، والأمثال فلا بد ، وعليه كان حرصهم ، وحواليه كان نظواهم ، ولأجله كان
 رفضهم لملاذ الدنيا بالكتابة ، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه ، ثم
 إليه الشيطان وقال : أما كنت تركت الدنيا للآخرة ؟ فقال : وما الذي حدث ؟ فقال
 توسدت لهذا الحجر تنعم في الدنيا ، ثم لائنص رأسك على الأرض ، فرمى عيسى عليه السلام
 بالحجر ، ووضع رأسه على الأرض ، وكان رميه بالحجر توبة عن ذلك التمتع أفترى أن عيسى
 عليه السلام لم يعم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة ؟

أفترى أن يبيع محمدًا صلى الله عليه وسلم^(١) ، وشاعله^(٢) الثوب الذي كان عليه عزم في صلاته حتى برأه ،^(٣) وشاعله شرك ماله الذي حذره حتى نذر الشراك الحنف ، لم يعلم بذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكافة عباد الله ، فهذا على ذلك مذهب من عزمه تركه ، وهل كان ذلك إلا لأمره مؤثراً في قلبه ترايبه عن النوع المقوم المحمود الذي قد وعد به ،

أفترى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب الخمر ، وعزم أنه على عزمه ، قد دخل ضمه في حلقه ليجرحه ، حتى كاد يجرح معه روجه ، علم من ألقاه بعد العزم ، وهو أن تركه عن جهل فهو غير آثم ، ولا يجب في فتوى ألقاه إجماعه فله تب عن شره ، بالمذكور على حسب إمكانه بتخيلة المدة عنه ؟ وهل كان ذلك إلا لسر وقرف صدره ، عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حدثت آخر ، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون ؟ فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف بحلق الله بانه ، وطريق الله ، ونكر الله ، ومكان العزور بالله ، وإياك مرة واحدة أن تمرك لحية الدين ، ويثبت ثم يترك ألف ماله من أن يفرك بالله العزور ، فهذه شرار من المستشق مدي روائحه عزم أن يروم التوبة بالصوح ملازم للعبد السالك في طرق الله تعالى ، في كل نفس من أنفسه ، ولو عمر عمر مروح ، وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ، وأقد صدق أبو سنان لدراني حيث قال لو لم يترك الله قل فيما بقي من عمره إلا على تقوى ما مضى منه في عمر الطاعة ، وكان خيفة أن يجرحه ذلك إلى المات ، وكيف من يستل ما في من عمره مثل ما مضى من حمله ، وإن هذا لأن الماقل إذا ملك حوهرة نفيسة وصاعت منه خير فائدة ، لا يمكن عيبه لا تحمله ، وإن صاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه ، كان كآؤه من شدة ، وكل ساعة من العمر ، بل كل نفس حوهرة نفيسة ، لا حلف لها ، ولا يدل ، مما ، فإنها صالحة لأن توصيك إلى سعة دة الأبد ، وتقدمك من شقاوة الأبد . ونرى حوهر أعين من هذا ، وقد صيغته في الغفلة ، فقد خسرت حسراً ميبها وإن صرفتها إلى معصية ، فقد هلك هلاكاً وحشاً . فإن كنت لا تسكن على هذه المعصية ، فذلك لحبك ومعصيتك نخيلك أعصم من كل معصية .

(١) حدث برعه صلى الله عليه وسلم الذي كان عليه في صلاة . يقدم في الصلاة فيما

(٢) حديث برعه لشرك الحبيب وأعدة الشراك الحنف . يقدم في الصلاة فيما

لكن الجهل معصية لأية ف المصائب بها أنه من حب معصية . فإن يوم القيمة يحول بينهم بين معرفته ، والناس نيام ، فإذا ماتوا انتهبوا . ففقد ذلك ينكشف لكل مقلس إفلاسه ، وكل مصاب معصيته . وقد رفع الناس عن التدارك

قال بعض العارفين إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد ، أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة ، وإليك لاستأخرهم طرفة عين فيدول العبد من الأسف والحسرة ملوكات له الذي محذافها للخرح . بها . على أن يصم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ، ليستعقب فيها ويندرش تقريطه ، فلا يجد إليه سبيلا . وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى (وَحِيلَ الْأَمْرُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ^(١)) بإيابه لأشارته قوله (مَنْ مَلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ^(٢)) فيقول رب ولا أخزني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن تؤخر الله شيئا إذا ح ^(٣)) . فيقول الأجل القرب لدى بطنه ما أنه يقول عند كشف العطاء للعبد : ملك الموت ، أخزني يوما أعترف فيه إلى ربى وأتوب ، وأتزو وصالحا لنفسى فيقول . فنتب الأيام فلا روم فيقول : فأخزني ساعة فيقول : فبنت الساعات فلا ساعة فيمات عليه باب التوبة . فيتمرر بروحته ، وتردد ناله في شرا نفسه ، وترجع عصاة اليأس عن التدارك ، وحسرة السدامة على نصيب العمر . فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا رهقت نفسه ، فإن كان سبق له من الله الحنى ، حرحت روحه على التوحيد . فذلك حسن الحاتمة . وإن سبق له القضاء بالشفقة والعياد بالله . حرحت روحه على الشك والاضطراب . وذلك سوء الحاتمة . ولئن هذا يقال (وأنت التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حصر أحدكم الموت قل إني بئس آلان ^(٤)) بقوله (إنا للتوبة ^(٥)) على الله للذين يعملون السيئات بما هم لها لئتم يتوبون من قريب ^(٦)) . ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتقدم عليها ويعبوا أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه : يا بني لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بعتة . ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية ، كان بين خطرين عظيمين . أحدهما : أن تتراكم الظمة على قلبه من المصى . حتى يصير رذائا وطبعاء

(١) سبا : ٥٤ (٢) المآفون : ١٠ ، ١١ (٣) النساء : ١٨ (٤) النساء : ١٧

ملا يقبل المحو ، الثاني أن يعاينه المرض أو الموت ، فلا يجد مهلة للاستعداد للمحو ، ولذلك ورد في الخبر (١) « إن أكثر صباح أهل النار من التوسيف » فما هلك من هلك إلا بالتوسيف . فيكون تسويده القلب قدماً ، وحلاؤه بالطاعة سنة . إلى أن يحتاطه الموت فيأتي الله قلبه غير سالم ولا يدعو إلا من أتى الله قلبه سالم . فذهب أمانة الله إلى عدمه ، والعدم أمانة الله عنده . وكذا سائر أسباب الطاعة . فمن حان في الأمانة ولم يندرك خيائته ، فأمره مخطر . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرها إليه على سبيل الإلهام أحدهما : إذا خرج من بض أمه يقول له : عهدي ، قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً ، طيفاً ، واستودعتك عمرك وانتمت عبي ، فانظر كيف تحفظ الأمانة ، وأضر إلى كيف تاتقاني . والثاني : عند خروج روحه يقول : عهدي ، ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقى على المهد ، فأنت على الوفاء أو أضمت . فأنت إما طائفة ولعقاب وإليه الإثم . بقوله تعالى (أوفوا بعهدي ووفى بعهديكم) (٢) وقوله تعالى (ولدين هم لأمانتهم وعهدهم راعون) (٣)

بيان

أن النوبة إذا استجتمت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القول ، لم تشك في أن كل نوبة صحيحة فهي مقبولة . فله طرون . نور البصائر المستمدون من أوار القراء ، وعموا أن كل قلب سليم يقبل عند الله ، ويستمع في الآخرة في حوار الله تعالى ، ومستعد لأن يضر فيه الدية إلى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب حاق سلباً في الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة ، وإعنا فونه السلامة . كدورة ترهق وجهه من عمة لدوب وظلمتها . وعلموا أن نار الدم تحرق تلك العبرة ، وأن نور الحسنة يححو عن وجه القلب صلحة السيئة . وأنه لا طافة لظلام المعاصي مع ور الحسنات كما لا طافة لظلام الليل مع نور النهار . بل كما لا طافة لكدورة الوسخ مع بياض الصب . ون .

(١) حديث إنا أكثر صباح أهل النار من التوسيف : لم أجده أصلاً

(٢) بكرة : ٤٠ (٣) مؤمنون : ٨

وكان أن التوب الوسع لا يقبله المثل لأن يكون له إسه. فالأب العظيم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في حواره. وكما استعمل التوب في الأعمال الخبيثة يوسع التوب. وعنده العاصيون والماء الحار يطفئه لا يطفئه. واستعمل القلب في الشهوات يوسع القلب، وغسله بدماء الدموع وحرقة الدم يطفئه، ويطهره. ويركيه. وكل قلب ركي طاهر فهو مقبول. كما أن كل توب نظيف فهو مقبول. وهذا عليه التوبة والظهير. وأما لقول فبذول قد سبق به القضاء الأرنى الذى لا مرد له وهو المسعى فلا حافى قوله (مذاق مسعى من ركاها^(١))

ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأحلى من المشاهدة بالبصر، أن القلب يؤثر به من والطاعات تأثيراً متصداً، يستعار لأحدهما لمعط الطمعة، كما يستعار للعجز. ويستعار الآخر لمعط الورع، كما يستعار للعلم، وأن بين الورع والطمعة تصاداً ضرورياً، لا يجوز الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا فشوره، ولم يبق به إلا أسموؤه. وقابله في عطاء كثيف عن حقيقة الدين. بل عن حقيقة نفسه، وصفت نفسه. ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل. وأعنى به قلبه إذ قلبه عرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه! فمن يتوهم أن التوبة تصحح ولا تقبل، كمن يتوهم أن الشمس تطمع والطلام لا يروى، والتوب يعسر بالعاصيون والوسع لا يروى. إلا أن يوسع الوسخ الطول تراكمه في تجاوزات التوب وحاله، ولا يتقوى العاصون على قنعه. فمثل ذلك أن تراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وربما على القلب. فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب. نعم قد يقول باللسان تمت. فيكون ذلك كقول القصار. أنه قد غلب التوب، وذلك لا يطفئ التوب أصلاً. ما لم يدير صفة التوب باستعمال ما حذر الوعد المتمكن به. فهذا حال امتناع أصل التوبة. وهو غير بعيد، بل هو الغالب على كافة الخلق المقربين على الدوام. المعرضين عن الله بالكلية. فهذا البين كاف عند ذوى المنابر في قول التوبة. واسكنكم بعض حجاجه من الآيات، والآثار. ولا آثر فكل استبصر لا يشهد به الكذب والسنة لا يوثق به. وقد قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْمُو عَنْ السَّيِّئَاتِ^(٢)) وقال تعالى (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ^(٣)) إلى غير ذلك من الآيات

فأنظره إلى يوم القيامة. فقال: وعزتك لأحرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال
الله تعالى وعزتي وجلالي لأحرجت عنه التوبة مادام الروح فيه. وقال صلى الله عليه وسلم^(١)
«إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ كَمَا يُذْهِبُ السُّحَابُ الْوَسْخَ» والأخبار في هذا لا تحصى
وأما الآثار فقد قال حبيب بن السبب أرسل قوله تعالى (فَبِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٢)
في الرجل يذهب ثم يعود، ثم يذهب ثم يعود. وقال الفخيزي: قال الله تعالى: بشر
المدنيين أنهم إن أوابيت منهم وحذر الصديقين أي إن وصفت عليهم عدلى عذبتهم
وقال طلق بن حبيب إن حقوق الله أعظم من أن يتوهم بها العبد، ولكن أصبحوا يابسين
وأما سوانس. وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها، فوجد منها
فيه، بحيث أنه في أم الكتاب وروى أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أدب، فأوحى الله تعالى
إليه، وعزتي إن عدت لأعذبك. فقل يارب، أنت أب. وأنا أبا، وعزتك إن لم
أعصم لأعودن. فعصمه الله تعالى. ومن بعده إن العبد يذهب الدب ولا يزال إذا
حتى يدخل الجنة فيقول إلمس، أي لم أؤمه في الدب. وقال حبيب بن ثابت. تعرض
على الرجل دونه يوم القيامة، فيمر بالدب فيقول. أما إني قد كنت شققاً به، قال
فيمرله. وروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب أم به، هل له من توبة؟ فأعرض عنه
ابن مسعود، ثم التفت إليه. فرأى عبيده يدرسون. فقال له إن للجنة ثمانية أبواب، كلها
تفتح وتغلق إلا باب التوبة. وإن عليه ما يكاد يهلكه لا يفتق، فاعمل ولا تيأس

وهو عبد الرحمن بن أبي القاسم تذكر مع عبد الرحمن توبة لكار، وقول الله تعالى (إن يذهبوا
يُغْفَرْ لَهُمْ) (٣) فقال إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالاً. ولقد
لغى أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام. وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم إلا عن نبي
مرسل، أو كتاب منزل. إن العبد إذا عمل ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين، سقط عنه أسرع
من طرفة عين. وقال عمر رضى الله عنه. اجلسوا إلى القرآن فإنهم أرق أفئدة.

(١) حدث ابن الحنفية يذهب السحاب كما ذهب الماء وسبح. فذهب الله عنه وسبح. وهو تعالى
أتبع الله عليه ما رواه الترمذي وغيره قريباً

بعضهم . أنا أعلم متى يغفر الله لي . قيل ومتى ؟ قال إذا تاب على . وروى آخر . أنا من أن
أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المعصية . أي المعصية من لوازم التوبة وتوابعها لا المعصية
ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة . ثم عصاه عشرين
سنة . ثم طرد في المرأة فرأى الشيب في لحية . فساءه ذلك . فقال . ألهي أضمتك عشرين
سنة . ثم عصيتك عشرين سنة . فإن رحمت إليك تقبلي . فسمع قائل يقول ولا يرى
شخصاً أحبباً فأحمد الله . وتركته فبركتك . وعصيتك فأهبطك . وإن رحمت إليك فما لك
وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : إن لله عبادة نصبو الأشجار الخطايا نصب رواق
القلوب . وسقوها بماء التوبة . فثمرت بثمارها . فحوا من غير حبوب . ونبذوا من
غير عي ولا كم . وأسمهم هم البس . المصحاء . العارمون لله ورسوله . ثم شربوا بكأس الصفاء
فورثوا العبر على طول البلاء . ثم تولدت لهم في المكوت . وجالت أوكارهم بين
سرايا حجب الحسوت . واستظلوا تحت رواق الدم . ورووا صحيفة الخطايا . فأورثوا
أنفسهم الخرع . حتى وصلوا إلى عو الرهد اسم الورع . فاستعدوا صرارة الترك للديار .
واستلنوا خشونة المصجع . حتى طأروا بحب السجة وعروه السلامة . وسرحت أرواحهم
في الملا . حتى أباخوا في رياض النعيم . وحسروا في بحر الحياة . وردوا خنادق الجزع
وعبروا حصور الهوى . حتى رلوا ماء العلم . وسقوا من عدير الحكمة . وركبوا
سقية القسمة . وألوا رشح السجة في بحر السلامة . حتى وصلوا إلى رياض الراحة . ومعدن
المر والكرامة . فهذا القدر كاف في أن كل يومه صحيحه ثمة وله لا محالة
فإن قلت . أقول ما وجدته المعصية . من أن يقول التوبة وأحب على الله
فأقول . لا نعى عما ذكره من وجوب قول التوبة على الله . إلا ما يريد القائل بقوله
إن التوب إذا غسل بالصابون وجب روال الوسخ . وبالعصا إذا شرب الماء وحسب
روال العطش . وإياه إذا مع الماء مدة وحسب العطش . وإياه إذا دام العطش وجب الموت
وليس في شيء من ذلك ما يريد المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى
الطاعة مكفرة للمعصية . والحسنة ماحية للسيئة . كما حو الماء مريلاً للعطش . والقدرة
مقسمة خلافه لو سقت به المشيئة . فلا وأحب على الله تعالى . ولكن مسبقته بدارته

الأرية فواجب كونه لانه إن مات ثامن نوب إلا وهو شك في قول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه . فلم يشك فيه

فأقول : شك في اقول كشكه في وجود شرائط الصحة . فإن للتوبة أركاناً وشروطاً دقة كما سيأتى ، وإسحق وحود جميع شروطها ، كالذى يشك في دواء شره للإسهال في أنه هل يسهل ، وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء . باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه ، وجودة عقاقيره وأدوية . فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة . وهو واجب للشك في موطئ لانه ، على ما سيأتى في شروطها إن شاء الله تعالى

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب صفاتها وكبائرها

اعلم أن التوبة ترك الذنب . ولا يمكن ترك الشيء ، لا مد معرفته . وإذا كانت التوبة واجبة . كان مالا يتوصل إليها إلا بواجبها . فمعرفة الذنوب بذا واجبة . والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى . في ترك أو فعل . وتمصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من أولها إلى آخرها . ويس ذلك من عرب . واسكننا بشر إلى محامها ورواها أقسامها ، والله الموفق للصواب برحمته

بيان

أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

اعلم أن لبيان أوصاف وأحلاقاً كثيرة ، على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله . واسكن تعصر مشاركات الذنوب في أربع صفات : صفات ربوبية ، وصفات شيطانية ، وصفات هيبية ، وصفات سمعية . وذلك لأن طيبة الإنسان عجبت من أحلاط خضفة ، فاقصى كل واحد من الأحلاط في الممحون منه أثر من الآثار ، كما يقتضى السكر والخل ، والزعفران ، في السكنجين آثاراً مختلفة

فأما ما يقتضى النزوع إلى الصفات الربوبية ، مثل الكبر ، والفخر ، والجبرية ، وحب

المدح ، والشاء ، والدر ، والنبي ، وحسب دواء القلاء ، وطالب الاستملاء على الكفاة ، حتى
 كثر ما يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يشعب منه حملة من كدائر الدنوب ، غفل
 عنها الخلق ولم يعدوها دنوا ، وهي المهلكات المظيئة ، التي هي كالأهت لا أكثر
 المعاصي ، كما استقصيناه في ربع المهلكات

الثانية : هي الصفة الشيطانية ، التي منها يشعب الحسد ، والبهى ، والحيلة ، والخذاع
 والأمربالفساد والمكر - وفيه يدخل ائمش ، والفق ، والدعوة إلى البدع والصلال

الثالثة : الصفة الهيمية ، ومنها يشعب الشر ، والسكاب ، والحرص على قضاء شهوة البطن
 والفرج ومنها يشعب الرأ ، والواط ، والسرقة وكل مال الأئمة ، وجمع الخطام لأجل الشهوات
 الرابعة : الصفة السعية ، ومنها يشعب العصب ، والحقد ، والتمحيم على الناس بالصرب
 والشتم ، والقتل ، واستهلاك الأموال ، وتفرع عنها حمل من الدنوب

وهذه الصفات لها تدريج في العتارة ، والصفة الهيمية هي التي تعاب أولا ، ثم تنوها
 الصفة السعية ثانيا ، ثم إذا احتجما استعمال العقل في الخدع ، والمكر ، والحيلة . وهي
 الصفة الشيطانية ، ثم بالآخرة تعاب الصفات الربوية ، وهي الفجر ، والعمر ، والعلم ، وطالب
 السكبرياء ، وقصد الاستملاء على جميع الخلق .

فهذه أهيات لدنوب ومناهمها . ثم تنمجر الدنوب من هذه المنابع على الخوارج ، فبعضها
 في القلب حاسة كالكفر ، والبدعة ، والهاق . وإسهار السوء للناس . وبعضها على العين
 والسمع ، وبعضها على اللسان ، وبعضها على البطن والفرج . وبعضها على اليدين والرجلين
 وبعضها على جميع البدن . ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح - قسمة ثالثة -

اعلم أن الدنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى ، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد .
 فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة ، والصوم ، والواجبات الخاصة به . وما يتعلق بحقوق
 العباد كترك الركاة ، وقتله النفس ، وغصبه الأموال . وشتمه الأعراض . وكل متناول من
 حق الغير فإما نفس ، أو طرف ، أو مال ، أو عرض ، أو دين ، أو جاه . وتناول الدين
 بالإعواء ، والدعاء إلى البدعة ، والترعيب في المعاصي ، وتهيج أسباب الخراءة على الله تعالى
 كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف . وما يتعلق بالعباد ، والأمرفيه الخط

فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا ثانيا للدين ، لأنه وسيلة إليه ، وللمتعاق من الدنيا
بالآخرة شيئا . النفوس والأموال ، وكل ما سدا ب معرفة شئته على وهو كبر الكبر . وبه
ما يسد باب حياة النفوس ، وبه ما يسد باب المعاش التي هي حياة النفوس . فهذه ثلاث مراتب
تخط المعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان . والأموال على الأشخاص . ضروري
في مقصود الشرائع كلها . وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها المدخل ولا يجوز أن
الله تعالى يبعث نبيا يريد بيعته إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم . ثم أمرهم بما ينفعهم عن
معرفة ، ومعرفة رسله ، أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال . فحصل من هذا أن
الكبائر على ثلاث مراتب

المرتبة الأولى
من الكبائر
الكل

الأولى : ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله . وهو الكفر . فلا كفرة فوق
الكفر . إذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل ، والوسيلة مقربة له إليه هو العلم والمعرفة
وقربه بقدر معرفته ، وبعمده قدر جهله . ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا . لأن من مكر
الله . والقنوط من رحمته . فإن هذا أيد عين الجهل . فمن عرف الله لم يتصور أن يكون
آمرا . ولا أن يكون آيسا . ويتلو هذه الرتبة البدع كلها . المتعاقبات الله . وخصائمه ،
وأفعاله . وبعضها أشد من بعض . وتموتها على حسب ماوت الجهل بها ، وعلى حسب
تعلقها بدات الله سبحانه ، وبأفعاله ، وبشرائعه ، وبأوامره ، وبواهيه . ومرب ذلك لا يحصر
وهي تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه
لا يدخل . وإلى ما يشك فيه . وطب دمع الشك في القسم المتوسط طمع في غير . مصمم
المرتبة الثانية : النفوس إذ عقابها وحفظها تدوم أخيرا ، وتضمن المعرفة بالله . فقتل
الدمس لا تدخل من الكبائر . وإن كان دون الكفر . لأن ذلك يصد عن المقصود ، وهذا
يصد عن وسيلة المقصود . يد حياة الدنيا لا يراد إلّا لآخره . والمومن به بمعرفة الله تعالى
ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف . وكل ما يصدى إلى الهلاك ، حتى أصرت . ومعدى
أكبر من بعض . ويقع في هذه الرتبة تحريم الر والوط . لأنه لو اجتمع الناس على
الاكتفاء بالدور في قضاء الشهوات انقطع أصل ، ودفع الموحود قريب من قطع لوجود .
وأما الرافعة لايهوت أصل الوجود ، ولكن يشوش الأسباب . ويطل الوارث والناصر

المرتبة الثانية
من الكبائر
القتل

قطع الأطراف

الزنا والوط

وحلة من الأمور التي لا ينتظم العيش بلاها . بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ، ولا ينتظم أمور البهائم ما لم سهر الحمل منها إلى ما يخص من عن ثمر المحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع فبعد به الإصلاح . وسبب أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل . لأنه ليس يفوت دوام الوجود ، ولا يفسد أصله . ولكنه يموت تميز الأسباب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل . وينبغي أن يكون أشد من اللواط ، لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين . فيكثر وموعه . وبمظم أثر الضرر بكثره .

الرتبة الثالثة
من الكبائر

المرتبة الثالثة : الأموال . إنها معيش الحق . فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا ، حتى بالاسنيلاء والسرقة وغيرها . بل ينبغي أن يحفظ لتبقى مقاشها النفوس . إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها ، وإن أكلت أمكن تعريضها . فليس يعظم الأمر فيها . ثم إذا جرى تناولها طارفاً . سهر التدارك له . فيسمى أن يكون ذلك من الكفاية وذلك أربع طرق أحدها الحمية ، وهي السرقة . فإنه إذا لم طامع عليه سلباً كيف يتدارك .

السرقة

أكل مال
اليتيم

الثاني أكل مال اليتيم . وهذا يفسد من الحمية . ونعني به في حق الولي والقيم . فإنه مؤتمن فيه . وليس له حصم سوى اليتيم . وهو صفة لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب ، بخلاف تعصب فيه طاهر يعرف . وبخلاف الحبة في الوديعة ، فإن المودع خصم فيه ينصف نفسه .

شهادة الزور

اليمين
الغفوس

الثالث تمويتهم شهادة زور . الرابع . أخذ الوديعة وغيرها باليمين العموس . فإن هذه طرق لا يمكن فيها التدارك . ولا يجوز أن تختلف الشرع في حرية أصلاً . ومضه أشد من بعض ، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس .

وهذه الأربعة جدية أن تكون مراده بالكبير : وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها . ولكن أكثر الوعيد عليها . وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها .

أكل الربا

وأما أكل الربا . فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي . مع الإخلال بشرط وضعه الشرع . ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله . وبذلك لم يحمل التعصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه ، وبغير رض الشرع من الكبير ، فأكل الربا أكل برصا المالك . ولكن

دون هذا الشرع . وإن عظم الشرع المراد بالحرمة فقد عظم أيضا الظلم بالنصب وغيره
وعظم الحياة والمصدر إلى أن كل دافع حرة أو المص من الكبرية نظر وذلك
واقع في مظنة الشك . وأكثر ميل إلى أنه قد دخل تحت الكبرية ، بل معنى أن
تختص الكبرية بما لا يجوز اختلاف شرع به ليكون روي في الدين

يبقى مما ذكره أبو طاب الحكي . القذف ، والشرب . والسحر . والهرار من لرحف .
وحقوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل ، فهو جدير بأن يكون من الكبائر . وقد
دل عليه تشديدات الشرع وطريق المصدر أيضا . لأن العقل محظوظ ، كما أن النفس محظوظة
بل لاخير في النفس دون العقل . فمراد العقل من الكبائر . ولكن هذا لا يجري في قطرة
من الخمر ، فلا شك في أنه لو شرب ماء به قطرة من خمر لم يكن ذلك كبرية . وإما هو
شرب ماء نحس واقطره وحده في محل الشك . وإباح الشرع لحد يدل على تعظيم
أمره ، فيعد ذلك من الكبائر بالشرع . وليس في قوة الدرية الوقوف على جميع أسرار الشرع
فإن ثبت إجماع في أنه كبرية وجب الاتباع . وإلا فهو وقف فيه بمحل

شرب الخمر

وأما القذف فيس فيه إلا أن أول الأمر من ، والأعراض دون الأول في الزينة .
ولساؤها مراتب . وأعظمها لساول بالقذف ، بالزينة إلى ، حشة الزنا ، وقد عظم الشرع
أمره . وأظن ظنا أن الصحابة كانوا يمدون كل ما يجب به الحد كبرية ، فهو بهذا
الاعتبار لا كبره المساوات الخمس . وهو الذي يريد ، الكبرية الآن . ولكن من حيث أنه
يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، فالقياس مجرد لا يدل على كبره وعصمه ، بل كان يجوز أن
يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إساءة يبرئ . فيه أن يشهد ، ويجحد المشهود عليه بتعدد
شهادته . فإن لم تقبل شهادته وحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا . وإن كان على أهمية
من المصالح الطاهرة الواقعة في رتبة الحاجات . فإذا هذا أيضا يوجب بالكبائر في حق من
عرف حكم الشرع . فاما من ظن أن له أن يشهد وحده ، أو ظن أنه يساعده على شهادة
غيره ، فلا ينبغي أن يحمل في حقه من الكبائر

القذف

وأما السحر ، فإن كان فيه كفر فكبرية ، وإلا فمظنة بحسب الضرر الذي يتولد منه
من هلاك نفس ، أو مرض ، أو غيره

السحر

الضراء معه
الزحف
وعقود
المراد به

وَمَا لِهَرَارٍ مِنْ رَحْفٍ وَعَقُوقٍ الْوَالِدِينَ هَذَا مُعْنَى شَيْءٍ يَكُونُ مِنْ حَيْثُ تَقْيِيسٍ
فِي شَيْءٍ يُتَوَقَّفُ بِهِ فَصَحَّ أَنَّ سَبَّ النَّاسِ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ، وَعَصْرُهَا، وَالظُّلْمُ لَهَا
بِمَعْنَى مُوَلَّطِهَا، وَإِحْرَاجِهَا مِنْ مَسْكَنَةِهَا، لِأَنَّهَا إِحْلَاقُهُمْ مِنْ أَوْطَانِهَا، يَسْتَعْنِ مِنَ الْمَكَاثِرِ
إِذَا لَمْ يَنْقُلْ ذَلِكَ فِي السَّبْعِ عَشْرَةَ كَبِيرَةً، وَهُوَ أَكْبَرُ مَا قِيلَ فِيهِ، فَالتَّوَقُّفُ فِي هَذَا أَيْضًا غَيْرُ
بَعِيدٍ. وَلَكِنْ الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَسَمُّيَةِ كَبِيرَةٍ بِمَعْنَى مَا يَكْثُرُ

وَإِذَا رَجَعَ حَاشَى الْأَمْرِ إِلَى أَنَّ مِنْ مَا كَثُرَ مَا لَا تَكْمُرُهُ الصَّغِيرَاتُ أَحْسَنُ نَحْمُكَ الشَّرْعَ
وَذَلِكَ يَحْتَاجُ تَقْسِيمًا إِلَى مَا عَمَّ أَنَّهُ لَا تَكْمُرُهُ بَعْضُهُ، وَإِلَى مَا سَقَى تَكْمُرُهُ، وَإِلَى مَا يُتَوَقَّفُ
فِيهِ، وَالتَّوَقُّفُ فِيهِ بَعْضُهُ، وَهُوَ لَا يَلِي وَلَا يَلِي وَلَا يَلِي، وَبَعْضُهُ مَشْكُوكٌ فِيهِ، وَهُوَ شَيْءٌ لَا يَرِيهِ
إِلَّا مِنْ كَذَبٍ أَوْ سَفَهٍ، وَإِذَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ، فَطَبَقَ رَفْعُ الشَّكِّ فِيهِ خَالَ

فِي الْمَوْتِ هَذَا، فَتَرَاهُ عَلَى اسْتِحْضَارِهَا مَعْدُومَةً. وَكَيفَ يَرُدُّ الشَّرْعَ بِمَا يَسْتَحِيلُ مَعْرِفَتُهُ حَذَرُ
وَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا لَا يَكُونُ فِيهِ حُكْمٌ فِي شَيْءٍ، فَهُوَ وَرْدٌ بِطَرِيقٍ إِلَيْهِ الْإِسْلَامِ. لِأَنَّ دَارَ
الْكَثَافَةِ هِيَ دَارُ الدَّمَارِ، وَالْكَبِيرَةُ عَلَى الْخُصُوصِ لِأَحْكَامِهَا فِي الدِّيَانَةِ مِنْ حَيْثُ إِسْهَافُهَا
كَبِيرَةٌ مِنْ كُلِّ مَوْجِبَاتِ الْحُدُودِ، مِمَّا تَنْبَئُهَا، كَالْكَبِيرَةِ وَالزَّوْجِ، وَغَيْرِهَا. وَإِنَّ حُكْمَ
الْكَبِيرَةِ أَنَّ الصَّغِيرَاتُ أَحْسَنُ لَا تَكْمُرُهَا، وَغَيْرُهَا مِنْهَا آخِرَةٌ. وَالْإِسْلَامُ أَيْقُنَ بِهِ
حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ عَلَى وَجَلٍ وَحَذَرٍ، فَلَا يَتَجَرَّءُونَ عَلَى الصَّغَائِرِ اعْتِمَادًا عَلَى الصَّغِيرَاتِ أَحْسَنُ
وَكَذَلِكَ اجْتِنَابُ الْكِبَارِ كَمَرِ الصَّغِيرِ، وَجِبَتْ قَوْلُهُ عَلَى (إِنَّ) تَحْسَبُوا كِبَارًا مِنْهُمْ وَهُمْ
عَنْهُ كُفْرًا عَنْكُمْ سَبًّا كُفْرًا، وَكَانَ اجْتِنَابُ الْكَبِيرَةِ بِمَا يَكْمُرُ الصَّغِيرَةَ إِذَا اجْتَمَعَا
مَعَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ كَمَنْ يَحْكُمُ مِنْ امْرَأَةٍ، وَمَنْ مَوَاقِفُهَا، فَيَكْفِي هَهُنَا عَنِ الْوَقَافِ،
فَيَقْنَصِرُ عَلَى نَظَرِ أَوَّلِهَا وَنَظَرِهَا بِهَا كَفَّ عَنْ الْوَقَافِ. أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي تَوْبِيرِ قَلْبِهِ
مِنْ إِتْدَامِهِ عَلَى النَّظَرِ فِي طَلَامِهِ. فَهَذَا مُعْنَى تَكْمُرِهِ. فَإِنْ كَانَ عَيْنُهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ امْتِنَاعُهُ
إِلَّا بِالْأَبْصَرَةِ لِلْمَجَرِّ، أَوْ كَانَ قَدْرًا، وَلَكِنْ مَعَ خَوْفِ أَمْرٍ آخَرَ، فَهَذَا لَا يَصْلُحُ لِلتَّكْمِيرِ أَصْلًا
وَكُلٌّ مِنْ لَا يَشْتَمِي خُطْرَ طَمَعِهِ، وَلَوْ أَمِيجَ لَهُ مُشْرَبُهُ، وَاجْتِنَابُهُ لَا يَكْمُرُ عَنْهُ الصَّغَائِرُ الَّتِي هِيَ

من مقدماته ، كسماع الملاحى والأوتار : من يشتكى الخرس وسماع الأوتار ، فيمسك نفسه
بالمجاهدة عن الخمر . ويقتصر في السمع . فلهذا هذه المسالك ربما تنجو عن
قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع

فكل هذه أحكام أخروية . ويخبر أن يبقى معها في محل الشك ، وتكون من
المنشآت . ولا مرفف معصية . لا بأس . ولم يرد النص ، ولا حجة معه ، وورد أنه قد
تختلفات . فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)
« الصلاة إلى الصلاة كفر » وروى عن أبي ربيعة كفاة الإلزام ثلاث إشرائك بالله
وترك السنة ونكث الصفقة « قيل : ترك السنة : قيل الخروج عن الجماعة ، ونكث الصفقة
أن يبيع رجلا ثم يبرح عليه بالسيف . وهذا ومثله من الأمثلة لا يحيط بالمدى كله
ولا يدل على حد جامع ، فيبقى لأحالة مبهما

فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا من لا يمين له كبر ، ولورع عن الصلة من شرط في
قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدين . نعم ، لا يخص رد الشهادة بالكبر ، ولا خلاف
في أن من يسمع الملاحى ، وليس له صاح ، ويتحتم تحريم الذهب ، وشرب في وأنى الذهب
والفصة . لا تقبل شهادته ، ولم يذهب أحد إلى أنه هذه الأمور من الكبر . وقال الشافعى
رضى الله عنه إذا شرب الخمر في البعد حدثه ، ولم يرد شهادته . فقد حمله كبرة بإيجاب الحد ،
ولم يرد به الشهادة . فدل على أن شهادته في الأمور الصغائر والكبرائر لكل الذنوب
تقدح في العدالة ، إلا ما لا يتخلو لاسرعه على ضروره بحرى الذات ، كالعيب . والتعديس ،
وسوء الظن ، والكذب في بعض الأقوال ، وسماع الغيبة . وترك الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، وأكل الشبهات ، وسب الولد والاعلام ، وصرهما بحكم العصب راقدا على
المصلحة . وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والكاسل عن تعليم الأهل والولد
جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين . فهذه ذنوب لا يتصور أن يثبت الشاهد عن قلبها
أو كشيورها إلا بأن يمتثل الناس . وتجرد لأمر الآخرة ، ويخمد نفسه مدة بحيث يبقى
على سمته مع المحلطة بعد ذلك . ولو لم يقبل إلا قول مثله لمر وجوده ، وظلت الأحكام .

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفر وروى عن أبي ربيعة كفاة الإلزام ثلاث إشرائك بالله وترك السنة
ونكث الصفقة . الحديث . الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الإسناد

والشهادت . وليس ليس الحزير ، وسماع الملاهي ، والعب بالرد ، ومحاسبة أهل الشرب في وقت الشرب ؛ والجنود بالأحبيات . وأمثلة هذه الصعائر من هذا القبيل على مثل هذا المساح ينبغي أن ينظر في قبول الشهد ورده ، لا إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصعائر التي لا ترد شهادة بها لو وطئ عيبه لأثر في رد الشهادة . كمن اتحد الغيبة وثب إليه عادة . وكذلك نخلة القدر ومصادقهم . والصغيرة كسكر بالواطئة ، كما أن المدح يصدر بصيرة بالواطئة كالغيب بالشرح . والترحم بالعاء على الدوام وغيره . فهذا حكام الصعائر والكثير

بيان

كيفية نوع الدرجات والمدرجات في الآخرة على الحسرات والسيئات في الدنيا

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة . والآخرة من عالم العيب والمكوت . وأعي بالديارات قبل الموت ، والآخرة حاصت بعد الموت فدياراتك صغائر وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا ، والمتأخر آخره . ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة «إنا لأن نسكن في الدنيا وهو عالم الملك ، وعرضا شرح الآخرة وهي عالم المكوت . ولا يتصور شرح عالم المكوت في عالم الملك إلا بحرب الأمثال ولذلك قال تعالى (وليك الأمثال حشرها بالناس وما ينفذها إلا المنون) وهذا لأن عالم الملك يوم بالإضافة إلى عالم المكوت . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إن من يوم هذا ، وأا أنبهوا» وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم ، إلا الأمثال المحجوة إلى التعبير ، فكذلك ما سيكون في بقعة الآخرة لا يتبين في يوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال . وأعي بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير .

وكيفيك منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة . فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت كأن في يدي خنقا أحتم به أفواه لرحل وفرواح السماء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان

(١) حديث الناس يوم نادوا انقبوا لم أجده مرفوعا وإنما يرى أني على من أبي طالب

قبل طلوع الفجر فل صدقت وحاء رجل آخر فقـ : رأيت كذا في أصـب الزيت في الزيتون . فقال إن كان تحتك حاربه اشترتها فـش عن حلف . فإياهم أمك سبت في صغرك . لأن الزيتون أصل الرطب . فهو يرد إلى الأصل . فطره حاربه كانت أمه . وقد سبت في صغره . وقال له آخر : رأيت كذا في أم ولدك في أمك الحديري . فقال إياك تعلم الحكمة عبر أمها . فكأن كما قال

والتميم من أوله إلى آخره أمثل تعرفك طرق صرب الأمثال . وإنا نغني بأمثـل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وحد صدق . وإن طر من صورته وحده كاداً فلوذن إن نظر إلى صورة الختم والختم على الروح رآه كاداً . فإيه لم يختم به قط . وإن صر إلى معناه وحد صدق . بد صدر منه روح الختم . ومعناه . وهو المبع لدى ير الختم له . ويس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا صرب الأمثال . لأنها كانوا أن كانوا أماس على قدر عقولهم . وقدر عقولهم أنهم في اليوم . والثر لا كشف له عن شيء إلا مثـل . وهذا ما تواتر أنبهوا وعرفوا أن مثـل صادق . ولما قال صلى الله عليه وسلم : « دبت مؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وهو من مثـل الذي لا يـدبه إلا المؤمن فأما الخـم ولا يجوز قدره ظاهر المثـل . لـه . عـسـر الذي يـسمى أو لا . كما يـسمى من يـرى من الأمثلة في اليوم تعبيرا . فـتـt

وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت الله حين آدم على ذنوبه » . فإيه لا يـهم من الصورة إلا لالون والشكل والهيئة . فـتـتـتـتـتـتـتـتـتـتـتـتـt
ومن ههـل من دل في صـت إلهية . حتى في الكلام . وحـه أوهـو . وحـه إلى غير ذلك من الصفات . والقول فيه يطول

وكذلك قد يرد في أمر الآخر صرب أمثلة كذب للمعد . محمود طره على ظاهر المثـل وتـتـتـتـتـتـتـتـتـt
كش أمـتـتـتـتـt فـتـتـt فيثور للمعد الأنـتـتـt وكذب . ويستدل به على كذب الأنـتـt

(١) حدثت قبل المؤمنين بين أصبعين من أصابع الرحمن . عـهـ

(٢) حدثت من الله حين آدم على ذنوبه . عـهـ

(٣) حديث يروي يوم يوم أنه في صورة كـ . فـتـتـt . عـهـ من حديث أبي سعيد

ويقول : يا سبحان الله . الموت عرض . والكشف جسم ، فكيف يقلب العرض جسما
وهل هذا إلا كشف ، وانكشف لله تعالى عن هؤلاء حتى عن معرفة أسراره قتل (وما يفقد
إلا أفعال الموت) (ولا يدري المسكن أن من قال : رأيت في منامي أنه جىء بكشف . وقيل
هذا هو الوفاء الذى فى الله ، ودفع ، فذل الله صدقت ، والأمر كما رأيت ، وهذا يدل
على أن هذا الوفاء قطع ولا مودعة ، لأن المدوح وقع اليأس منه ، وهذا المعنى صادق
فى حقيقته . وهو صادق فى رؤيته . وترجع حقيقة ذلك إلى أن الموكل بالوفا ، وهو الذى
يطعم الأرواح عند النوم على ما فى اللوح المحفوظ . عرفه ، فى اللوح المحفوظ مثل صبره له
لأن الدائم ما يحمل المثل . فكان مثله صادقا ، وكان معناه صحيحا .

فالسبب أيضا في انكارهم من في الدنيا . وهي المضافة إلى الاحرة يوم ، فيوصلون
المعاني إلى أفعالهم بالأمثلة . فحكمة من الله ، وانطق بعبده . وتسيروا لإدراك ما يعجزون عن
إدراكه دون ضرب المثل . فتقوله يؤتى صوت في صورة كمش أبيض ، مثل صوته أيوصل
إلى الأفعال حصول أيأس من الموت ، وقد حسنت القلوب على التأثير بالأمثلة ، وثبتت المعاني
فيها بواسطة . ولذلك عبر أقران بقوله (كُنْ فَتَكُونُ) عن سيطرة القدرة ، وعبر
على الله عنه وسلم . قوله فَمَنْ يُؤْمِنُ فَمِنْ أَتَمِّينَ مِنْ أَتَمِّينَ الرُّعَيْنِ ، عن سرعة
الثقة بسبب ومقدّم . إلى حكمة ذات في كتابها عدا المنة فممن ربح العدا . فجمع الآيات إلى العرض
فمنه سدود من نور مع نور ، فتركت في الكتاب على الحسنة والسيئة ، لا يمكن إلا بضرب
المثال ، فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لأصوره ، فتقوله :

الناس في الآخرة ينقسمون أصنافاً ثلاثاً درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة متفاوتة لا يدخل تحت الحصر. كما أنه وتوافي سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تشارك الآخرة في هذا المعنى أصلاً. وإن مذهب المذاهب والمذاهب واحد لا شريك له. وسنته العباد من إرادته الأزلية. مطرده لا يبدل. إلا أن من عجز عن إحصاء أعداد الدرجات، فلا يجوز عن إحصاء الأجناس فنقول:

الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومُعذِّبين ، وناجين

وفائز . ومثله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقام . فيقتل بعضهم فهم لم يكون
ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعدون . وينجي بعضهم وهم الناجون . ويجمع على
بعضهم وهم الفائزون . فإن كان الملك عادلا . لم يقتلهم كذلك . لا باستحقاق . فلا يقتل
الإباحة لاستحقاق الملك : معاند له في أصل الدولة . ولا يعذب إلا من قصر في خدمته
مع الاعتراف عندك وعلو درجته . ولا ينجي إلا معزوله برتبة ملك . لكنه لم يقصر يعذب
ولم يخدم ليحاط عليه . ولا يجمع . لا على من أتى عمره في الخدمة والعسرة . ثم ينهى أن
تكون خلع الفارس متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة . وإهلاك المالكين
إما حقيقيا بحز الرقية . أو مكيا . مثلا . بحسب درجاتهم في المعاد . وتعذيب المعدمين في
الخطية . والشدة . وطول المدة وقصرها . واتحاد أو انفصالها . بحسب درجات قصيرهم
فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تحصر . فكذلك فافهم
أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون من هلاك . ومن معذب مدة . ومن لا يدخل في
دار السلامة . ومن هار . والفائزون يقسمون إلى من يدخلون في جنات عدن . أو جنات النأوى
أو جنات الفردوس . والمعدون يقسمون إلى من يعذب قليلا . وإلى من يعذب ألف سنة
إلى سبعة آلاف سنة (١) . وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر . وكذلك
الملكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه درجات بحسب اختلاف
الطاعات والمعاصي . فلذا ذكر كيفية توزيعها عليها

الملكوت

الرتبة الأولى وهي رتبة الملكين . ومعنى الملكين الآيسين من رحمة الله تعالى .
إد الذي قتله الملك في المال الذي يربيه أبس من رحمة الملك . كرامة . فلا يعمل عنه . إلى
المال . وهذه الدرجة لا تكون إلا للحاحدين والمؤمنين . لمجرد حسن الدنيا . الملكدين
بأنه ورسته وكتبه . فإن السادة الأخرية في القرب من الله والنصر إلى وجهه . وذاك
لا يزال أصلا إلا بالمعرفة التي يمدحهم بالآيات والتعدي . ولخالدون هم المسكرون .
والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى . أي الآدم . وهم الذين يكذبون برب العالمين .

(١) حدثنا آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة . الترمذي الحكيم في درر الاصول من حديث
أبي هريرة . سبعة ضعف في حديث قال فيه وأصولهم مكث فيه . سبعة من يوم خلقت يوم
البيعة وذلك سبعة آلاف سنة

وَأَيْتُهُ أَمْرٌ بَيْنَ بَيْنِهِمْ يَوْمَئِذٍ لِحُجُوجِهِمْ لَأَمْحَاهُ ، وَكُلٌّ مَحْجُوبٌ عَنْ مَحْبُوبِهِ فَحَوْلَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُهُ لَأَمْحَاهُ ، هُوَ لَأَمْحَاهُ لِيَكُونَ مَحْرُوقًا رَحِيمًا بِالْأَمْرِ قَوْلًا قَالِ الْمَارْمُونُ ،
لَيْسَ خَوْفًا مِنْ رَحْمَتِهِمْ وَلَا رَحْمَةً ، لَأَحْوَرُ الْعَيْنِ ، وَإِلَّا مَضْبُوتًا لِلْقَاءِ ، وَمَهْرَبًا مِنْ
الْجَدْبِ مَقْدَلًا ، وَقَالُوا ، مَنْ يَمْدُدُ اللَّهُ مَوْصِيَهُمْ ، كُنْ يَمْدُدُ أَطَابِ حَنْتَهُ ، أَوْ لُحُوفَ رَدِّهِ ،
مَنْ أَعْرِفَ مَدْمَدَاتِهِ ، لَا يَضُطُّ إِلَّا دَمَهُ مَقْدَرًا ، وَمَا لُحُوفُ الْعَيْنِ وَتَأْمَرُوا كَهْ . فَقَدْ
لَا يَشْتَهُهُمْ ، وَمَا لَمْ ، فَقَدْ لَا يَتَقَبَّحُ ، إِذْ لَمْ يَرَقِ إِذْ اسْتَوَتْ رَحْمَتُ الدَّارِ الْمَحْرُوقَةِ
الْأَحْسَمِ مِنْ أَرِافِ الْوَعْدَةِ ، الَّتِي تَصْنَعُ عَلَى الْأَمْدَةِ وَرَحْمَتِهِمْ لَأَمْحَاهُ
إِلَّا مَعَ الْأَجْسَامِ . وَلَمْ يَأْخُذْ بِمَعْرِفَةِ الْمَوْزَادِ ، وَلَدَاكِ مَبْلُ

وَقِي فَوَازُ الْمَحَبِّ نَارُ جَوِي أَحْمَرُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا

وَلَا يَسْمَعُ أَنْ تَنْكُرَ هَذَا فِي عَالَمٍ لَأَحْمَرُهُ ، إِذْ لَهُ صَبْرٌ مَشْهُدٌ فِي عَالَمٍ لَدَيْنَا ، فَقَدْ رَوَى مِنْ
عَلَمٍ عَلَيْهِ الْوَحْدُ مَعْدَا عَلَى الدَّرَجَةِ ، وَعَلَى أَصُولِ الْقَضْبِ الْخَارِجَةِ لَلْقَدَمِ . وَهُوَ لَا يَحْسَبُ
أَمْرًا عَمَّةً مَا فِي قَبِيهِ ، وَتَرَى لِعُضْدَانِ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْمَصِيبُ فِي الْقَتْلِ ، مَتَصِيبُهُ حِرَاحَاتِ
وَهُوَ لَا يَشْمُرُ بِهَا فِي الْحُلِّ . لَأَنْ لِعَصَبِ أَرِافِ الْقَبْرِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« أَنْتُمْ صَبْرٌ قَتْلُهُ مِنْ النَّارِ » وَاحْتِرَاقُ الْوَزَادِ أَشَدُّ مِنْ احْتِرَاقِ الْأَحْسَادِ ، وَالْأَشَدُّ يَطْلُ
الْإِحْسَاسُ الْأَضْعَفُ كَمَا تَرَاهُ ، فَمَا يَسُ الْهَلَاكُ مِنَ الدَّارِ وَالسَّيْفِ ، إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَفْرُقُ
بَيْنَ حَرَّائِنِ يَرْتَبِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ رَاعِيَةً الْتَأْيِيفِ الْمُمْكِنِ فِي الْأَجْسَامِ هَلْدَى يَهْرَقُ بَيْنَ
الْقَلْبِ وَبَيْنَ مَحْوِهِ الَّذِي يَرْتَبِطُ بِهِ رَابِطَةٌ تَأْيِيفُ أَشَدَّ حَرِّ مَآمِنِ تَأْيِيفِ الْأَجْسَامِ ، هُوَ أَشَدُّ
إِبْلَامًا مِنْ كَيْسٍ مِنْ أَرْبَابِ الْبَصَائِرِ وَأَرْبَابِ الْقُلُوبِ . وَلَا يَمْدُدُ أَنْ لَا يَدْرُكُ مَنْ لَا قَلْبَ لَهُ
شِدَّةُ هَذَا الْأَلَمِ . وَيَسْتَحْقِرُهُ بِالْإِصْفَةِ إِلَى أَلَمِ الْحَسَمِ . فَالْحَيُّ أَوْ خَيْرُ بَيْنِ أَلَمِ الْحَرَمَانِ عَنْ السَّكْرَةِ
وَالصُّوْلَحَانِ ، وَبَيْنِ أَلَمِ الْحَرَمَانِ عَنْ رَتْبَةِ السُّلْطَانِ . لَمْ يَحْسَبْ بِأَلَمِ الْحَرَمَانِ عَنْ رَتْبَةِ السُّلْطَانِ
أَصْلًا ، وَلَمْ يَمْدُدْ كَيْسًا ، وَقَالَ . الْعَدُوُّ فِي الْمَيْدَانِ مَعَ الصُّوْلَحَانِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأَسْرِيرِ
لِلسُّلْطَانِ مَعَ الْحُلُوسِ عَلَيْهِ . لَمْ يَنْ تَعْلِبُهُ شَهْوَةُ الْبَطْنِ . لَوْ حَبِرَ مِنَ الْهَرِيسَةِ وَالْحُلُوءِ ، وَبَيْنَ
فَعْلٍ جَمِيلٍ يَقْهَرُهُ الْأَعْدَاءُ ، وَيَهْرَجُ بِهِ الْأَصْدَقَاءُ ، لَأَثَرُ الْبَرِيَّةِ وَالْحُلُوءِ

وهذا كله لفقد المعنى الذي به جوده يصير الجاه محبوبا ، ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا . وذلك لمن استمرت صفات الربنة والسمع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يساس بها ولا يلد بها ، إلى اقرب من رب العالمين ، ولا يؤلف بالاعمال والاحباب وكما لا يكون الدوق ، لا في الانسان ، والسمع ، لا في الآدمي . فلا تكون هذه الصفة ، لا في القلب . فمن لا قلب له ليس له هذا الحس . لكن لا سمع له ولا حصر . ليس له لذة الأكل ، وحسن الصور والألوان . وليس لكل إنسان قلب . ولو كان له صبح قومه تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) (١) معدن من لم يذكر بالقراءة معدن من القلب . وليست أعنى بالقلب هذا الذي تنكسه عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذي هو من علم الأمر . وهو الجسم الذي هو من عالم الخلق عرشه . والسر كرسيه . وسائر الأعداء عبيده ومملكته والله الخالق والأمر حكيما . والسر ذلك السر الذي قل الله تعالى (قل الروح من أمر ربي) (٢) هو الأمير وأما ذلك من عالم الأمر ، له الخلق ترتيبا ، وعالم الأمر أمر على عالم الخلق وهو للطينة التي بدت من صبح الأمر ، من عزم فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

وعند ذلك يشم المرء مادي روح المعنى الصموي تحت مولده إلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » وطرفه من أرحمة في الخلق ، له على طاهر صفته ، وفي المتعدين في طريق أولاده وإن كانت رحمته جاما على لا فطر أكثر من رحمته المتعدين في التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة . ومصيبة أولئك أكثر ، وإن أشركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر . فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم . وهي حكمته يختص بها من يشاء . ومن ثوت الحكمة فقد أوتى حبرا كثيرا

وانعد إلى المرض ، فقد أرتخيت الطول ونحوها البص . في أمره هو على من علوم المعاملات التي يقصدها في هذا الكتاب . فقد ظهر أن رتبة الملائكة ليس إلا لاجل المكددين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر ، فإليك لم نوردوها .

المعذرة

الرتبة الثانية رتبة المعذب وهذه رتبة من تحلى بأحسن الإيمان . ولكن قصر في الوفاء
 بقرينه . فإن رأس الإيمان هو التوحيد . وهو أن لا يعبد إلا الله . ومن اتبع هواه فقد اتخذ
 إلهه هواه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقبة . بل معنى قولك لا إله إلا الله . معنى قوله تعالى
 (مَنْ اللَّهُ ثُمَّ دَرَجَتْ فِي حَوْسِهِمْ لَمْ يَنْوَنَ) وهو أنت تذر بالكلية غير الله ، ومعنى
 قوله مالى (الدين «أوارث الله ثُمَّ اسْتَمُوا»^(١)) . ولما كان الصراط المستقيم الذى لا يكل
 التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، مثل الصراط الموصوف
 فى الآخرة . فلا يخطئ شراً عن ميل عن الاستقامة ولو فى أمر يسير ، إذ لا يجوز عن اتعاع
 الهوى ولو فى عمل قليل ، وذلك قاذح فى كمال التوحيد . فقد مر به عن الصراط المستقيم .
 وذلك قد مضى لأجله فقد ، فى درجات القرب ومع كل قصور رتب ، فى انقراض لذلك
 الكمال المسمى بالمقصود ، ودرجهم كما وصفه القرآن . فيكون كل ماثل عن الصراط
 المستقيم معنياً مرتين من وجوه . ولكن شدة ذلك المذهب وخفته ، وتفاوته بحسب
 طول المدة ، يكون سبباً لمرتين أحدهما هو الإيمان وصفه . والثانى كبره ادعاء الهوى وقلة
 وإد لا يجوز شراً فى غايب الأمر عن واحد من الأمرين . قال الله تعالى (وَأَنْتُمْ كُمْ
 إِنْ أَوَارَ دُهَا كَل عَلَى رَأْسِ حَتَّى مَقْبِيَّةً ثُمَّ نُحْيِ الَّذِينَ أَمُوتُوا وَدُرُ الْهَالِكِينَ فِيهَا حَيَاتٍ)^(٢)
 ولذلك قال الخائفون من السلف . إننا نخوف لأننا نقتلنا على النار واردة ، وشككتنا فى العجاة .
 ولما روى الحسن الخليل الوارد^(٣) . فيمن يخرج من النار بعد ألف عام . وأنه ينادى يا خائن يا ممان
 قال الحسن : يا ليتنى كنت ذلك الرجل

واعلم أن فى الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن
 الاختلاف فى المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة . حتى قد يجوز . بعضهم على النار
 كبرق حطوف ، ولا يكون له فيها اثبات . وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات
 متفاوتة . من اليوم ، والأسبوع . والشهر ، وسائر المدة . وإن الاختلاف بالشدة لانهائية

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا خائن يا ممان . أحمد وأبو يعنى من رواية
 فى ظلال التكملة عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون

(٢) الأنعام : ٩١ (٣) فصلات : ٣٠ (٤) مريم : ٧١ : ٧٢

لأعلام، وأدناه تعذيب الماشقة في الحساب، كما أن هناك تعذيب بعض المقصرين في الأعمال بالماشقة في الحساب، ثم معفو ومديح صرف بأسيرض. وتعذيب نوع آخر من العذاب ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثلث في غير المدة والشدة، وهو اختلاف الأنواع. إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط، كمن يعذب بأخذ المال، وقتل الولد واستباحة الحرم. وتعذيب الأقارب. والصرب. وقطع الماشقة. واليد، والأنف، والأذن وغيره. وهذه الاختلافات ثلثة في عذاب الآخرة. دل عليها موضع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه، وكثرة الطاعات وقلة، وكثرة السيئات وقلة.

أما شدة العذاب فتشده قبح السيئات وكثرتها. وثما كثرة مكرها. وأما اختلاف أنواعه باختلاف أنواع السيئات. وقد كشف هذا لأرباب العقول مع شواهد القرآن. سور لا ين، وهو المعنى قوله تعالى (وَأَنْتَ خَلَّامٌ لِلْعَالَمِينَ) وقوله تعالى (أَلَيْسَ تَحْزَى أَنْ يَنْفَسَ عَنَّا كَيْفَ أَهْلُ الْبَيْتِ) وقوله تعالى (وَأَنْتَ كُنْتَ تُلَاقِيهِمْ) وقوله تعالى (ثُمَّ يَفْعَلُ مَشْفُوعًا بِرَأْسِهِ) ومن يفتل ذريرة شريرة (١) إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة، من كوابل العقاب والثواب حراء على الأعمال وكل ذلك يدل لإطلاعه فيه. وحائب المعصية ورحمة أرجح. إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم (٢) «سَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» وقال تعالى (وَلَنْ تَكُونَ حَسَنَةً يَفْعَلُهَا وَيُؤْتَى مِنْ نَدَاهُ أَحْرًا عَضْبًا) (٣) فإد هذه الآيات السككية من إله ط لدرجات والدركات بالحسنة والسيئات، معلومة بمواضع الشرع ووزن المعرفة، فإما التفصيل فلا يعرف إلا ط، ومسند طواهر الأخبار ووع حدس يستمد من نوار الاستبصار من الاعتبار فقول كل من أحكم أصل الإيمان، ويجنب جميع الكبائر، وأحسن جميع الصالحات. أعني الأركان الخمسة. ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يضرب عليه، فإشبه أن يكون عذابه المباشرة في الحساب فقط. فإنه إذا حوسب رحمت حسنة على سيئته. بدور في الأخبار أن العاوات الخمس، والجمعة وصوم رمضان، كفارات لما يهن وكذلك احتساب الكبار.

(١) حديث سقت رحمتي غصبي : مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) لقطة : ٤٦ (٣) سورة ١٧ (٤) الح ٣٩ (٥) الزل : ٨٠ (٦) سورة : ٤٠

بحسبكم نص القرآن مكفر للعصاة وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إلام
يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فيسمى أن يكون بعد ظهور الرحمة
في أمثاله، وبعد الفراغ من الحساب، في عيشة راحية. ثم يحاق به أصحاب اليمين،
أو بالمقربين، وزواجر في جحيم. أو في الفردوس الأعلى، فكذلك ينقسم أصناف الإيمان،
لأن الإيمان يباين. تقبلي كرم العوام. يصدون، يستمعون ويستمعون عليه،
ويعدن كسفي يحصل ما شرع الصدر بنور الله، حتى يكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه
فيتضح أن الشكل في الله مرقمه ومصره، يدريس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته
وأفعاله. وهذا الصنف هم المقربون المثلون في الفردوس الأعلى. وهم على غاية القرب من
الملا الأعلى، وهم أيضا على أصناف. منهم السابقون، ومنهم من دوسهم وتأوتهم بحسب
تفاوت معرفتهم بالله تعالى. ودرجات العارفين في المعرفة لله تعالى لا تحصر. إذ الإحاطة
بكمالات الله غير ممكنة، وحر المعرفة ليس له ساحل وعمق. وإنما يعوض فيه العواصون
بقدر قوامهم. وقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل. فالعريق في الله تعالى لانهاية لمدرته
فالسالكون سبيل الله لانهاية لدرجاتهم

وأما المؤمن إيمانا تقليديا من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين، وهم أيضا على
درجات. والأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبة الأذن من درجات المقربين
هذا يدل من حسب كل السكر. وذوي المراض كلها، أعني الأركان الخمسة، التي هي
الطبق الحكمة الشهادة بالإنسان، والسلاة، والركاة، والصوم، والحج

فأما من ارتكب كبيرة أو كسار، أو فعل من أركان الإسلام. فإن تب توبة صوحا
قبل قرب الأجل، التعق عن لم يرتكب. لأن الثواب من الذب كمن لا ذب له
والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلا

وإن مات قبل التوبة، فهذا أمر عظيم عند الموت، إذ ربما يكون موته على الإصرار
سنة ثمزل إليه. فيجتم له سوء الحمة. لاسيما إذا كان إيمانا تقليديا. فإن التقليديين
كان حرما هو قابل الإحلال بأدنى شك وحيال. والعارف البصير أعدان يخاف عليه سوء
الحمة وكلاهما إماما. على الإيمان بمدن. لأن يعفو الله. عذابا يريد على عذاب المدفنة

في الحساب . وتكون كثرة العقاب من حيث المدة ، بحسب كثرة مدة الإصرار . ومن حيث الشدة ، بحسب قبح الكثرة . ومن حيث اختلاف النوع ، بحسب اختلاف أوصاف السيئات . وعند انقضاء مدة العذاب ، يبرأ الله المقيدون في درجات أصحاب اليمين ، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين . في الخبر : « آخر من يخرج من النار يفتي مثل الدنيا سكتها عشرة أضعاف » . ولا نطش أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام . كأن يقال فرسخ ، مرسخين ، أو عشرة عشرس ، فإن هذا حين طريق ضرب الأمثال . بل هذا كقول القائل : أحدهم حمله وأعطاه عشرة مثله ، وكان حمل سبعين وعشرين ديناراً ، فأعطاه مائة دينار . فهو لم يهتم من المثل إلا المثل في الثوب والثقل . ولا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة ميزان ، والحمل في الكفة الأخرى ، عشر عشرة . بل هو مواراة مما في الأحساء وأرواحها ، دون أشعائها . وهذا كمال لا يقصد لثقله ، وطوله وعرضه ، ومساحته ، بل لميلته . فروحه إمالية . وجسمه انحامي . ولعمري ومائة دينار عشرة أمثاله بالمواراة الروحانية ، لا بالمواراة الحسية . وهذا صادق عند من يعرف روح الدالية من الذهب والفضة . بل لو أعطاه جوهرة ، وسها مثقال ، وقيمتها مائة دينار ، وقال أعطيته عشرة أمثاله كان صدقاً . ولكن لا يدرك صدقه ، لا جواهريون . فإن روح الجوهرة لا تدرك بمجرد البصر ، بل عطية أخرى وراء البصر . لهذا يكذب به السعي ، بل القروي والبدوي . ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وردي مثقال . وورن أجل ألف ألف مثقال . وقد كذب في قوله إن أعطيه عشرة أمثاله . والكاذب بتحقيق هو السعي . ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا أن يتطهر به البلوغ والكمال ، وأن يحصل في قلبه الدور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال ، فعند ذلك يتكشف به الصدق . والعارف عاجز عن فهم المتبدل . ر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المواراة . إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « الحنة في السموات » . كما ورد في أخبار السماوات من الدنيا .

(١) حدثنا آخر من يخرج من النار يفتي مثله . كناية عشرة مثله . من ما رواه حديث ابن مسعود .

(٢) حدثنا كونا حنة في سموات . من حديث أبي هريرة في شيء حديث في ما رواه الله تعالى .

الفردوس قاله أوسط الحنة وأعلى الحنة وقوته عرش الرحمن

فكيف يكون عشرة أمثال الدين في الدنيا ، وهذا كما يميز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة . وكذلك تفهيم البدوي

وكما أن الجوهرى مرحوم يدلى بالبدوى والغروى في تفهيم تلك الموازنة . فالعارف مرحوم إذا دلى بالمريد لأجله في تفهيم هذه الموازنة ولذا قال صلى الله عليه وسلم " ارزخوا ثلاثة عتق من الحرب حتى يؤمهم أمير وعمر رفوف مدل " والأبياء مرحومون ، بين الأمة بهذا السبب ، ومقاساتهم اقصور عقول الأمة وسعة لهم ، وامتنعوا ، واتلوا من الله ولاء موكل بهم سبق توكيله لقضاء الأثرى . وهو المعنى قوله عليه السلام " لا تزل مؤكل بالآفة ، ثم الأول ، ثم لأمين فاذن "

ولا تصح أن البلاء ، بلاء أيوب عليه السلام ، وهو الذي ينزل بالبدن ، فإن البلاء وح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم ، يدلى به جماعة كان لا يريدون دعاؤهم إلى الله بالإقرار ، ولذلك ما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام امص الناس قال " رحم الله أحق موسى أقعد وذى الكبر من هذا قصة ، فإذا انحلت لأسباب عن الإسلام بالحدود . ولا يلو الأولياء والعلماء عن الإسلام طاهرين . وذلك فماتت الأولياء عن صروب من الأبناء وأنواع البلاء . بالخراج من البلاد . والسعي بهم في السلطنين . والشهادة عليهم الكفر والخروج عن الدين . وواحد أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين ، كما يجب أن يكون المفسد عن أهل الكبر جوهر سميرة عند طاهرين من المبشرين المصيرين وإذا عرفت هذه الدلائل . فآمن بقوله عليه السلام بأنه يعطى آخر من يخرج من النار . مثل الدنيا عشر حررات . وإنك أن تقصر بعد تلك على ما يدركه العصر والحواس فقط . فتكون مدارج حدس ، لأن احراز كاث في الحواس احسن . وما أنت مفارق للحمار بسر الهوى ،

(١) حديث إرمو بلاء عاتق من الجول - الحديث - ابن حبان في الصغائر من رواية عيسى بن طهمان عن من وعيسى بن عصفور . ومن حديث ابن عباس الأثرى قال علم تلاعب به الصبيان وفيه أنوال أخرى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(٢) حديث الإمام موكل بالأثرى . ثم لأجل ذلك . بالبدوى وصحبه والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث - بعد من يدقن وقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد بلاء وذكره دون ذكر لأثرى . من حديث - أشد الناس بلاء الأبياء ثم الصالحون - الحديث :

(٣) حديث رحمه الله تعالى عن موسى بن عيسى . من هذا نصير . البخارى من حديث ابن مسعود

عرض على السموات، والأرض، والجبال، فأبين أن يحملنه وأشفقت منه، وإدراك ما يخرج عن عالم الخواص الخس، لا يصادف إلا في علم ذلك السر الذي فارقت به الخمار وسائر البهائم فمن دهل عن ذلك، وعظله وأهمله، وقع بدرجة البهائم، وبهم يحور المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتمطيلها، ونسيها بالإعراض عنها، فلا تكونوا كالذين نسي الله، وأنساهم أنفسهم: فكل من لم يعرف إلا المدرك بالخواص فقد نسي الله. وليس ذاتاته مدركا في هذا العالم بالخواص الخس وكل من نسي الله أساء الله لأعولة نفسه، وورل إلى رتبة البهائم، وترك الترقى إلا الأفق لأعلى، وغان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأحم عليه كافر الأفعه وتمعن في القمته إلا أنه سوا حلال البهيمة، فإن البهيمة تتخص بالموت وأما هذا فمدهامة تسترجع لأعولة إلى مودعها، فإن به مرجع الأمانة ومسيرها: وذلك الأمانة كالشمس الزاهرة، وإعانة هبطت إلى هذا القرب الذي وعزته فيه، وستطلع هذه الشمس عند حراب هذا القاب من ممرها، وتمود إلى بارئها وحائقها، بماء طاهرة، مكسفة وإما زاهرة مشرقة. ولزاهرة المشرقة عبر مخحونة عن حصرة الربوبية، وللمطمة أيضا راحة إلى الحصرة، إذ المرجع والمصدر للكل إليه، إلا أنها «كسرة رأسها عن جهة أعلى عاين إلى جهة أسفل» ولذلك قال تعالى (ولو ترى إذ أتوا لملجأ مؤبدا) «كنوا رؤسهم عند ربهم» (١) فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم مكروسون. قد اقتت وحوهم إلى قبيتهم وانكسرت رؤسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل. وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه، ولم يهده طريقه، فعود بالله من الضلال، والبرول إلى مارك الخس.

فهذا حكم انقسام من يخرج من الدر، ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من الدار إلا واحد. واستأعنى بالتوحيد أن تقول لسا لا إله إلا الله. فإن اللسان من عالم الملك والشهادة، فلا يقع إلا في عالم الملك، بيدع السيف عن رقبته، وأيدي العاين عن ماله ومدة الرمة والمال مده الحياض بحيث لا يبقى قبة ولا مال. لا يسمع القول بالله أن وإما يسمع الصدق في التوحيد وكان التوحيد أن لا يرى لأمر كماله إلا من الله وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق به يجري عليه. إذ لا يرى الوسائط، وإنما يرى

مسبب لأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا الموحيد متفوت فن الداس من له من التوحيد مثل الجبال . ومنهم من له مثل ، ومنهم من له مقدار خردلة ودرجة فن في قدره مثقال دينار من إيمان ، وهو أول من يخرج من النار وفي الحريّة قال « أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان » وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طرفة المثقال وبين طرفة البقرة والموارة بالمثقال والذرة على سبيل صرب المش . كما ذكر في الموارة بين أعيان الأول وبين المقود . وأكثر ما يدعى موحدين المرمظالم المدد . قدوان الممد هو الديوان الذي لا يترك . وما يقية السيئات فندارع العقو والكفر . بها في الأثر أن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، لو سلمت له لكان من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المصالح ، فيكون قد سب عرس هذا . وأحد مال هذا ، وصرب هذا فيقضي من حسنة حتى لا يبقى له حسنة . فيقول له لا تكتب يا سيدي هذا قد فيت حسنة ، وفي طائون كثير . فيقول الله تعالى « أقول من سيئاتهم على سيئاته ، وحكوا له صكالي النار وكما يهلك هو سيئة غيره طريق القدر ، يكذب . وهو المعلوم بحسنة الظلم . إذ يقول إليه عوضاً عما صم . . . ومد حكى عن ابن الحلاء ، أن بعض إخوانه اعتابه ، ثم أرسل إليه يستخله ، فجاب « لأفعل ، ليس في صحيفتي حسنة أفصل منها ، فكيف أمحوها ، وقال هو وعمره . ذنوب ، حوائ من حسنة ، أريد أن زين بها صحيفتي

فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم طاهر أسباب ، يذهب حكمكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا بحالة ولا يقل العلاج . وعلى مريض آخر أن عارضة خفيف وعلاجه حين في ذلك طن يعيب في أكثر الأحوال . ولكن قد تتوق إلى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب ، وقد يداق إلى ذي المرض الحبيب أحله من حيث لا يطاع عليه . وذات من أسرار الله تعالى الحفية في أرواح الأحياء ، وبمحوض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب ، بقدر معلوم . إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها ، فكذلك العجاة والهوز في الآخرة

لهما أسباب خفية ، ليس في موته البشر الاطلاع عليها . يعبر عن ذلك السبب الخفى المقصود
إلى السجاء بالعمى والرسوخ ، وعمما يقصى إلى الهلاك بالعصب والاضطراب . ووراء ذلك سر
المشيئة الإلهية الأرية . التي لا يطع الخلق عليها . فهذا يجب عينا أن محور العمى عن
الحصى وإن كثرت سيئاته الظاهرة ، والغضب على المطيع وإن كثرت طاعته الظاهرة ، فإن
الاعتماد على التقوى . والتقوى في القلب . وهو انمحض من أن يصنع عليه صاحبه ، وكيف
غيره . ويمكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عمى عن عمد ، لا سبب حوى فيه يقتضى
العمى . ولا عصب . لا سبب باطن يقتضى العمى عن الله تعالى . ولولا ذلك لم يكن العمى
والغضب جراه على الأعمال والأقوال ، ولو لم يكن جراه لم يكن عدلا . ولو لم يكن
عدلا لم يصح قوله تعالى (١) : « رَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ لِلْعَمِيدِ » (٢) « وَلَا تُولَاهُ تَعَالَى (٣) » (٤) « لَا يَصْنَعُ
شَيْءٌ دُونَ اللَّهِ » (٥) وكل ذلك صحيح ، فليس إلا ما سعى وسمعه هو الذى يرى
وكل نفس تأكسبت رهبة الله راعوا راع شئ قومهم . وفى عروا ما شئ قومهم عبر الله
ما بهم ، تحقيقا لقوله تعالى (٦) « لَا يَزِيدُكُمْ عَزْمًا حَتَّى يُبْزِلَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ » (٧)
وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشف وأوضح من المشاهدة بالبصر
إذ المصير يمكن العاص فيه ، يدمد يرى العميد قريبا ، والكبير صعبا . ومشاهدة القاب
لا يمكن العاطف فيها ، وإن الشان في امتاح صيرة القلب ، وإلا لا يرى بها بعد الاتساع
فلا يتصور فيه الكذب . وإليه الإشارة قوله تعالى (٨) « كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » (٩)

الزينة الشامة . رتبة السجين . وأغنى بالسجاء لسلامة فقط ، دون السعادة والعمى . وهم
قوم لم يخدموا فيجمع عليهم ، ولم يقصروا فيعذبوا . ويشبه أن يكون هذا حال المجانين
والصبيان من الكفار ، والمتوهين ، والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد ، وعشوا
على البله وعدم المعرفة ، فلم يكن لهم معرفة ، ولا جحود ، ولا طاعة . ولا معصية . فلا وسيلة
تقربهم ، ولا حياية تبعدهم . فممن أهل الحدة ولا من أهل النار ، لا يزلون في منزل بين المراتين ،

التأخير

بيان

ما تعظم به الصفات من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر أسباب : منها الإصرار والمواظبة ، ولذلك قيل للصغيرة مع إصراره ، ولا كبيرة مع استعمار . فكبيرة واحدة تصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك ، كان العقو بها أرحى من صغيرة يواطىء العمد عليها . ومثل ذلك فطرات من الماء تقع على الحجر على أن تؤثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « حَبْرُ الْأَعْمَالِ أَذْوَمُهَا وَإِنْ قَنَّ » والأشياء تستبان بآثارها . وإن كان الذم من العمل هو الذم وإن قل ، فللكثير المصيرم قليل الذم في توير القلب وطميره ، وكذلك القيس من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب . إلا أن الكبيرة مع تصور الهجوم عليها ، خلة من غير سوانق ولو احق من جملة الصفات . فقله يرى الرأى خلة من غير صراودة ومقدمات . وقما يقتل نعمة من غير مشاحة سابقة . وهذه هيكل كبيرة ككبيرة صغائر سابقة ولاحقة . ولو تصورت كبيرة وحدها بفتة ، ولم يتفق إليها عود . رذا كل المعو فيها أرحى من صغيرة واطب ^(٢) . ن عليها عمره . ومنها أن يستغفر الذنب . فإن الذنب كذا استغفره العبد من نفسه سفر عند الله تعالى وكما استغفره كبر عند الله تعالى لأن : ^(٣) ضاع يصدر عن دور القلب عنه ، وكرهيته له . وذلك الفور يمنع من شدة أثره واستعمار يصدر عن الإف به ، وذلك يوحس هذه الآثار في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالخطايات . والتخدير تسويده بالسيئات . ولذلك لا يؤخذ بتأخرى عليه في الغفلة ، فإن القلب لا يتأثر بما يجرى في العملة وقد جاء في الخبر ^(٤) « الْمُؤْمِنُ يَرَى ذَنْبَهُ كَالْحَبْلِ مَوْفَقَ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَنْهُ » والله في يرى ذنبه ككبيرة مر على أنه فاضاره . وقال مضمم الذنب الذي لا يعفر ، قول العبدية كل ذنب عملته مثل هذا . وإياها تعظم الذنب في قلب المؤمن لعمه بجلال الله . فإذا نظر إلى عظم من عصى به ، رأى الصغيرة كبيرة . وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه ^(٥) لا تنظر إلى قلة الهدية ؛ وانظر إلى عظم مهيدها . ولا تنظر إلى صغر الخطيئة ، وانظر إلى كبرياء من واجبهته بها . وهذا الاعتبار

استغفار
الذنب

(١) حديث حبر الأعمال أدومها ، يعني عليه من حديث عنه ، عظم حبوه عدم

(٢) حدث مؤمن يرى ذنبه كالحبل موفقه - أحداث ، الجارى من رواية الخوارزمي سويد قال حدثنا

عبد الله بن معوية حدثنا أحمد بن محمد بن أبي عيسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عن نفسه وذكر هذا

قال بعض العارفين لاصغرة . لي كل محبة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم للتأمين . وإنيكم أعملون أعمالاً هي في أعينكم ذوق من الشعر ، كتب بعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموقت ، ذكأت معرفة الدجاجة بحلال الله أتم ، فكانت الصغار عدهم بالإضافة إلى حلال الله تعالى من الكثرة . وهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ، ويتجاوز عن العبي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف .

السرور
بالصغيرة

ومنها السرور بالصغيرة ، والفرح والتبجح بها ، واعتداد الممكن من ذلك نعمة ، والمغلة عن كونه سبب الشقاوة . فكما عدت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثره في تسويد قلبه . حتى أن من المدين من يتمدح بدسه ويتبجح به ، أشد فرحه عقارته إياه . كما قول . أما رأيتني كيف رفقت عرسه ، وقول له صر في منظره . أما رأيتني كيف فصحت ، وكيف ذكرت مساوئه حتى جعلته . وكيف استخففت به ؟ وكيف لست عليه ، ويقول المأمول في الدعاء . أما رأيت كيف روجت عليه الرائف ؟ وكيف خدعته ، وكيف عبده في ماله ، وكيف استخففته ؟ فهذا وأمثاله تكبر به الصغار ، فإن الدروب مهلكات ، وبدفع المدح بها . وظهر لشيطان به في الخلق عليها ، فيبغى أن يكون في معصية وأنصف بسبب غلبة المدح عليه . وسبب مدحه من الله تعالى فالريض الذي يفرح بأن ينكسر أو الذي فيه دوؤه ، حتى يحسن من ثم شره ، لا يرجو شفه . ومنها أن يتماون بستر الله عليه . وجمعه عنه . وإمامه إياه ، ولا يدري أنه إغواء من مقتا ليزداد بالإمهل . فيظن أن تسكبه من الممدوح عناية من الله تعالى به . ويكون ذلك لأنهم من مكر الله . وجمعه بتكامل السرور بالله ، كما قال تعالى (وتوأنون في أنفسهم لو لا يؤذنا الله) عا نقول (حسبتهم جهنم يصلونها فإني أنصبر) .

السرور
بستر الله
وعلمه

ومما أن يأتي الذنب ويظهره ، بأن يذكره بمدح إياه . أو يأتيه في مشهد عده . فإن ذلك جمالية منه على سر الله الذي سدل عليه ، وتحريرك لرغبة لشر فيمن أسمعته ذنبه ، أو أشهدته

السرور بالذنب

وحديث في صحيح . أنه السوء بين مرفوع من رفوف وودعه الله في السوء من هذا الوجه موقوفا ومرفوعا

يتصاعف ثوابهم على الحسنة إذا اتبعوا في تركها انجمل والميل إلى الدنيا، وجمع منها باليسير ومن الطعام بالقوت، ومن الكسوة والخلق، يتبع عليه ويقتدى به العلم والعوام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التحمل، مات طوعاً من دونه إلى المشه به، ولا يقدر أن يتحمل إلا بحمد السلاطين، وجمع الحظام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك، فخر كات العلم في طوري الريدة والقصص تتصاعف آثره، بل ربح، وإياه بالخراسان، وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة وبقية عنها

الركن الثالث

في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر

قد ذكر أن التوبة عبارة عن عدم بورت عزمها ومصادها وذلك لعدم أوره لعدم يكون بمصداً حالاً به وبين عيونه والكل واحد من العلم والعدم والعزم ودوامه ونقصه، ولتوابعها علامة، والدوامها شروط فلا يدمر منها، العلم فالصرفه طريق سبب التوبة وسببها، وأما العدم فهو توجع القلب عند مشوره بوجع المحبوب وعلامة طول الحسرة والحر، وسكاب الدمع وطول السكا، والمكر من انشمر تقوية رية بولده وسعصع أعرتة، طال عليه مصيبته وكاؤه وأي عريارة عيونه من عسسه، وأي عقوقه عند من الماروي شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأي بعد أصدق من الله ورسوله ولو حدثه بأسا وحديثه طيبه، أن مرض ولده المريض لا يبرأ، وأنه سبوت منه حال في الحال حربه، فليس ولده بأمر من عسسه، ولا يصيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله، ولا موت بأشده من المار، ولا مرض أدل على الموت من المعاصي على سبحانه الله تعالى، والنرض به المار، فلم يدمر كمال كان شدة كمال الذنوب به أرحى، وعلامة صحة الندم رقة القلب، وغزارة الدمع، وفي الخبر: "حاشوا توبين، فإنهم أرق أقدمه" ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها، فيستدل بالليل كراهية، وبالرعية بفرقة، وفي الأسرانيات أن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه، وقد سأله يقول توبة عبد، بعد أن اجتهد سبب في العبرة ولم ير قبول توبه بفرقة، وعرتي وحلالى، لو شمع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته، وحلاوة ذات الدب الذي

(١) حديث حالوا التوابين قائمهم أن الله سبحانه ومعه وهو من قول رسول من عند الله رواه

أن أي الدنيا في التوبة قال حالوا التوابين من رحمه الله أي عدم قرب وفار أيضا فهو عظمه

بما فيهم أسرع ومعه أي رحمه أقرب وقال أن الله سبحانه ومعه وأرى قليا

تأب منه في نفسه . فإن مات ولدنوب هي تحمل مشتهة بالطبع ، فكيف يحد مرارتها
 فأقول : من تاول عسلا كان فيه سم ، ولم يتركه بالذوق ، واستلذه ، ثم مرض وطال مرضه
 ولم يدر شمره وفلجت أعضاؤه ، فإذا قدم إليه غسل فيه ، مثل ذلك السم ، وهو في غاية الجوع
 والشهوة للحلاوة . فهل يهرسه عن ذلك الغسل ثم لا يهرس ، بل يفتل لا ، فهو جحد للمشاهدة
 والضرورة . بل ربما تصرف عن الغسل الذي ليس فيه سم ، يشبه به : فوجد أن الثأب
 مرارة لذلك يكون وذلك لعله أن كل دب فذوقه ذوق الغسل ، وعمه عمل السم
 ولا تصح التوبة ولا تصدق . لا بمن هذا لا بد . ولا عز مثل هذا إلا عانت التوبة .
 والثأب فلا ترى إلا ممره عن الله تعالى . سم ، والدوب ، مصر عليها فهذا شرط تمام الدم .
 ويسمى أن يدوم إلى الموت . ويسمى أن يحد هذه المراتب في جميع الذنوب ، وإن لم يكن قد
 ارتكبهم من قبل ، كما يخدمه . ول السم في الغسل المرة من الماء البارد ، مهما علم أن فيه مثل
 ذلك السم ، دام يكن صرره من الغسل بل مما فيه . ولا يكن سرر الثأب من سرقة توراه
 من حيث إنه سرقة ور . بل من حيث إنه محله أمر الله تعالى ، وذلك حار في كل دم
 وأما القصد الذي يخدمه . وهو إرادة التدارك ، فله تعلق بالحل ، وهو وجب ترك
 كل محذور هو ملاس له ، وأد ، كل مرض هو متوجه عليه في الحل ، وله تعلق بالدمى ، وهو تدارك
 ما فرط وبالمستقبل ، وهو دوران الطاعة ، ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشرط صحتهما فيما يتعلق
 بالمعنى ، أن يرد ذكره إلى وقت يوم . مع ما ليس أو الاحتمال . و . من عاصى من عمره سنة
 ستة ، وشهر اشهر ، ويوم ما ، وع . ويظهر إلى الطاعات ما لدى قصر فيه منها ، وإلى
 المعاصي ما الذي قاره ، منها . فإن كل مترك صلاة ، أو صلاة في ثوب نجس . أو صلاة بنية غير
 صحيحة لجهله بشرط النية . فيقتضيه عن آخرها فإن شك في عدد ما فاتته . منها حسب من مدة بلوغه
 وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه . ويقضى باقي . ولا أن أخذ فيه . باب الض ، وبصل إليه على
 سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم ، فب كل فتركه في سمر ولم يقضه ، أو أفطر عمدا ،
 أو نسي النية بالليل ولم يقص . فيعرف بمجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ، ويشتمل تقضيه . وأما
 الزكاة ، فيجب جميع له . وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ . فإن الزكاة واجبة في
 مال الصبي : فيؤدي ما علم حسب الض أنه في دمه . فإن أداه لأعلى وجهه يوافق مذهبه ، فإن لم
 يصرف إلى الأصناف الثمينة ، أو أخرج الدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، فيقصي

كيفية التوبة
 من ترك
 العمل بأمر
 فسادها

التوبة من ترك
 الصوم
 التوبة من ترك
 الزكاة

الذي ذكره
الحج

الذي ذكره
الاعاصي

المعاصي التي
بين العبد
وبين الله

جميع ذلك فإن ذلك لا يخرج أصلاً وحسب ركة ومعرفة ذلك بطول ويخرج فيه إلى أصل شاف
ويذكره أن سأل عن كيفية الخروج عن المعاصي وأما الحج فإنه كان قد استطاع في بعض
السنين ولم يتفق له الخروج، والآن قد نفّس عليه الخروج فإنه لا يقدر مع الإفلاس، فعليه
أن يكتسب من الحلال قدر الراد. فإنه لم يكن له كسب ولا مال، فعليه أن يسأل الناس
ليصرف إليه من الركة والصدقات ما يخرج به. فإنه من قبل الحج مات عاصياً قال عليه السلام
«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَخُجْ فَيُتَبَّ إِنْ شَاءَ يَهُودِيٌّ وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيٌّ وَالْعَجْزُ الطَّارِيءُ
بَعْدَ الْقُدْرَةِ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْحَجُّ فَهَذَا طَرِيقٌ فَيُشِيرُ عَنْ الطُّعَاتِ وَتَذَكُّرُكُمْ. وَمَا لَكُمْ أَعْيَى فَيُحِبُّ
أَنْ يَمُتَ مِنْ أَوَّلِ لَوْغِهِ عَنْ سَمْعِهِ، وَنَصْرِهِ وَابْنِهِ وَطَبْعِهِ وَيَدُهُ وَجَنَّةُ وَفَرْجِهِ وَسَائِرِ جَوَارِحِهِ
تُحْبِطُ فِي جَمِيعِ أَنْفَاءِ وَسَعَاءِهِ، وَيَتَمَسَّكُ بِعَدَمِهِ دُونَ مَعَاصِيهِ، حَتَّى يَصُحَّ عَلَى جَمِيعِهَا صَدْرُهَا
وَكُلُّهَا ثُمَّ يَخْرُجُ بِهَا كُلُّهَا مِنْ ذَلِكَ، وَبَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ حَيْثُ لَا يَتَلَقَّى تَعْظِيمَ الْعَمَلِ، كَقَطْرِ
إِلَى عَرَجِهِ، وَقَعْدَةٍ، حَتَّى يَمُتَ بِهَا، وَهُوَ مِنْ مَصْحُومٍ مُتَوَسِّو، وَاعْتَقِدَ دَعْدَةَ وَشَرِبَ خمر
وَسَمَاعَ مَلَامَةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ لَا يَلْقَى بِهَا أَمْرًا بِإِدْرَاقَاتِهِ بِأَلَدِهِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَيْهِ. وَأَنْ يَحْسِبَ
مَقْدَارَهَا مِنْ حَيْثُ الْكَرَمِ مِنْ حَيْثُ الْمَدَدِ وَصَبَّ كُلُّهُ مَصِيبَةً بِهَا حَسَنَةً بِاسْمِهَا فَيَأْتِي مِنْ
الْحَسَنَاتِ بِقَدَارِ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، أَخَذَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَاتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ وَأَتَّبِعِ
السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَحْتَهَا» مِنْ مَوْلَاهُ (إِنْ أَحْسَنَتْ بَدَأَتْهُ السَّيِّئَاتُ) (١) فَيَكْفُرُ سَمَاعَ
الْمَلَأَى سَمَاعَ اقْرَأَنَ وَعَدَّ اسْمَ الْمَكْرُ وَيَكْفُرُ الْقَمُودِي الْمَسْجِدَ حَسْبًا بِالْأَعْيَادِ كَافٍ بِهِ مَعَ
الِاشْتِغَالِ بِالْعِبَادَةِ وَيَكْفُرُ مِنَ الْمَصْحُومِ بِمَكْرِهِ كَرَامَ الْمَصْحُومِ وَكَثْرَةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْهُ، وَكَثْرَةَ
تَقْيِيهِ، وَأَنْ يَكْتَبَ مَصْحُومًا وَيَحْمِلُهُ وَقَدْ وَكَّرَ شَرِبَ خمرًا بِمَصْدَقِ شَرَابِ حَلَالٍ، وَهُوَ أَطْيَبُ
مِنْهُ وَأَحَبُّ إِلَيْهِ وَعَدَّ جَمِيعَ الْمَعْصِيَةِ بِمَكْرِهِ وَتَمَاقُصُودُ سَلُوكِ طَرِيقِ الْمَضَادَةِ فَإِنَّ الْمَرَضَ
يَعَالِجُ ضَدَّهُ فَكُلُّ ضَامَةٍ أَرْتَفَعَتْ إِلَى أَقْلَابِ عَصَبِيَّةٍ، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا بِتَوَرُّعٍ إِلَيْهَا بِحَسَنَةِ تَصَادُهَا
وَالْمَضَادَاتِ هِيَ الْمُنَاسِبَاتِ، فَلِذَاكَ يَبْعَثُ أَنْ تَحْيَى كُلَّ سَيِّئَةٍ بِحَسَنَةٍ مِنْ جَسَدِهَا سَكَنَ تَصَادُهَا
فَإِنَّ الْبَيَاضَ تَزَالُ بِالسَّوَادِ لَا بِالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَهَذَا التَّدْرِيجُ وَالتَّحْقِيقُ مِنَ السُّطُوفِ فِي طَرِيقِ

(١) حديث من مات ودمع دمعت شاة يهودي - حديث - اسم في الحج

(٢) حديث من شاة حيث كنت وأمع البيت حنة نجه - الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وهدم

أوله في كتاب الكتب ودمع في أوائل التوبة وهدم في راحة النفس

المحو، فالرجاء فيه تصديق، والثقة بها أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات، وإن كان ذلك
أفضل، وثري المحو هذا حكيم ما، هو من الله تعالى، يدل على أن الشيء يكفر بصدقه أن حب الدنيا
رأس كل خطيئة، وثراء ع لدا في التنب السور، والحب اليه فلا حرمه كل أذى يصيب
المسلم فهو بسببه عن الدين يكون كفاره له، إذ انقلب في بالهموم والموم عن دار الهموم قال
صلى الله عليه وسلم " « من كثرت ذنوبه لا يكفرها إلا الهموم، وفي لفظ آخر د إلا الهم
حب لمعشه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها " « كثرت ذنوب أنعم بوم تنك
له فعمل يكفرها، ذكر الله تعالى، في الهموم فكأن كفاره لذنوبه، وقال إن الهم
الذي يدخل على القلب والعدل لا يعرفه، هو دامة الذنوب والهموم، وشعور القلب بوقفه الحساب
وهو من مطيع، فإن مات هم لا ينسب له ولد وولده وحاهه، وهو خطيئة، فكيف يكون كفاره؟
فأعلم أن الحب له خطيئة، والحر من عبه كره، ولو تمع في عت الخطيئة فقد روى أن جبريل عليه
السلام، دخل على نبي عليه السلام في السجن، ففر به كيم تركت الشيخ الكتيب، فقال قد
حررت عيات حرمة، كلى قل له عبد الله، قل حرمة شهيد، ذنوب الهموم أيضا، مكفرات
حقوق الله، فهذا حكيم ما، هو من الله تعالى، وأما هذا المذهب، أيضا مصيبة وجناية على حق الله
تعالى، وإن الله تعالى عن صميم المذهب، فيعق منه حق الله، لي تداركه بالندم والتعسر، وترك
مثله في المستقبل، والإيمان الحسنة التي هي صدقاتها، في يداه الناس بالإحسان إليهم، ويكفر
عصاة، والهموم، تصديق، يدك الحلال، ويكفر تسول أعراسهم، بأعباءه، والقدر فيهم، بالثناء على
أهل الدين، وإطعام ما يعرف من حسن الخير من قرانه ومثله، ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب
لأن ذلك إحياء، وإدالة مقود الله، موجودا سيده، والإعتاق بإيجاد لا يتدر إلا أن على أكثر
منه، فيقال الإعدام بالإيجاد، وهذا تعرف أن ما ذكره من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو
مشهود له في الشرع، حيث كبر القتل بإعتاق رقبة، ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه، ما لم يخرج عن
مظامم العباد ومظامم العباد، ما في النفوس، أو الأموال، أو الأعراض، أو القلوب، أعني به الإيذاء

مظامم العباد

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا تكفرها إلا الهموم، وفي لفظ آخر الهموم في عت الخطيئة عس ووهيم

في الحلة والخطيئة في الناحية من حديث من هرة سد صعب وتقدم في الكاح

(٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد لم يكن له نفع يكفرها، دخل في عت الهموم، عدم أيضا في الكاح

وهو عبد أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها

[illegible]

فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا رجحان ميزان الحسنة ولو غشقت ذرة فلا بد لك ثب من
كثير الحسنة هذا حكم القصد المعنى بالخاص

وأما المرم المرتبط بالاستقبال، فهو أن يقدم مع الله عقداً مؤكداً ويعاهده بمهد وثيق، أن
لا يعود إلى تلك الذنوب. ولا إلى مثلها كالذي يعلم في مرضه أن الله كرهت ضربه مثلاً، فيعزم عزمه
حزمه أنه لا يتوب الله كرهته لم يزل مرضه من هذا العزم يتأكد في الحال. وإن كان يتصور أن
تعبه الشهوة في الحال. ولكن لا يكون أثناء ما يشاكده مرضه في الحال. ولا يتصور أن يتم
ذلك لك ثب في قول أمره إلا بالمرلة. والصلوات والأكل والشوم وإحراز موت حلال. فإن كان
له مال موروث حلال، أو كانت به حرة يكسبها فقدر الكفاية، فليقتصر عليه. وإن رأس
العمى أكل الحرام فكيف يكون تابع مع الإصرار عليه. ولا يكتفى بالحلال وترك الشهوات
من لا يقدر على ترك الشهوات في ما كولات والموسسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك شهوة
وجاهد نفسه ثم سمع من الله ما لا يملكه من المال آخر من باب ما استقم مع سبع سنين لم يعد إليه أبداً
ومن مهمات الدنيا إذا لم يكن عالماً بأن يعمى ما يجب عليه في المستقبل. وما يحرم عليه، حتى
يمكنه الاستقامة. وإنه في الزوال لم يتم له الاستقامة، فاطمأنه، إلا أن يتوب عن بعض الذنوب،
كالذي يتوب عن الشرب والمار والمضرب مثلاً، واست هذه توبة، فطاقة وقد قال بعض الناس
إن هذه التوبة لا تصح. وقالوا: لا تصح ولا تعط الفضة في هذا المقام، نحن لن نقول لمن قال لا تصح
إلا عيات به تركه بعض الذنوب لا يبدأ إلا، بل حروقه كمدمه، فإنا نعلم
أن كثرة التوبة سبب كثرة العقاب، وإنما سبب الله. ونقول لمن قال تصح، إن أردت به
أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى المعاد أو الممور، فهذا أيضاً خطأ. بل
السعادة والممور بك جميع هذا حكم الظاهر. والله يكلم في حماية أسرار عمو الله

فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح، إلى أردت به أن التوبة عذره عن الله وإعذاره
على السرقة مثلاً لكونها معصية، لا لكونها سرفه. ويستحيل أن يمد عليه دون الزمان كل
توجيه لأجل المعصية، فإن العلة شاملة لها، إذ من توجع على فعل ولله بالسيب يتوجع على قتله
بالسكين. لأن وحمه موتاً وسواء كان بالسيف أو بالسكين. فكذلك توجع العبد بفوات
محبوبه، وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو بالزنا. فكيف يتوجع على البعض دون البعض،
فإنه حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفضية لمحبوب من حيث إنها معصية. ولا يتصور أن

يسكون على بعض المعاصي دون البعض، ولو جاز هذا لحرث يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر، فإن استحال ذلك من حيث إن المعصية في الخمرين واحد، وإن كان حروف فكذلك أعور المعاصي آلات للمعصية، والمعصية من حيث عمالة لأمر واحدة، فإذا معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعده بالنار، وثبت الرمة لا مال إلا بالدم، ولا يتصور الدم على بعض التماثلات وهو كالميث المرتب على الإيحاء والقبول، فإنه لم يتم إلا بحسب والقبول يقول إن العقد لا يصح، لم ترتب عليه ثمرة وهو أي الميث، وتحقيق هذا ثمرة غير ذلك، فيقطع عنه عقوب ما تركه، وثمره الدم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكثر سرقة، بل الدم عليه ولا يتصور منه إلا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي

وهو كلام مفهوم واضح يستلحق تصنيف معصية ٤ - كشف العطاء بقول التوبة عن بعض الذنوب لا عيوباً ما تكون عن السكر، دون الصبر، وعن الصبر دون السكر، أو عن كونه فديون كبيرة، مما التوبة عن السكر، دون الصبر، ثم ما صرح به السكر لأنه يتم أن السكر بأثر أعظم عند الله، وأثر أصح له ثمرة فيه، والصبر أثر قرب إلى تحرق الله بها، ولا يستحيل أن يتوب عن الأخطأ بدم عليه كالذي حتى على أهل الميت حرمة، وحتى على ذاته فيكون حرام من الحرية على الأهل، مستحقراً للأهل، وعلى أنه والدم حسب استعماله في الدين واعتداده كونه بمذاق الله، على وجهه يمكن وجوده في الشرع فتذكر الله في الأعمار الخالية، وإم كان أحدهم معصوماً ولا يستدعي الولاية العسمة والطالب في حذر المرء من العسل تحذيراً شديداً، ويحذره السكر حذيراً خفيفاً، على وجهه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً، فيتوب من بعض قوله عن العسل دون السكر، فهذا غير محال وجوده وإن كان كلاماً جريماً بحكم شهوته، ندم على أكل العسل دون السكر، الثاني أن يتوب عن بعض السكر دون بعض، وهذا أيضاً ممكن لأغلبه أن بعض السكر ثمرة أشد وأعظم عند الله، كالذي يتوب عن القتل والحبس، والطعام وصالح المأكل، له ثمرة دون البه لا يترك، وما يده وبين الله يسارع المهور إليه فهذا أيضاً ممكن، كما في تواتر السكر والسم، لأن السكر أثراً بسماته وثقافته أعمها وفي اعتقاد مرتكبيها، ولذلك قد يتوب عن بعض السكر أي لا تنطبق ما به، كما يتوب عن شرب الخمر دون الرمان، لا بد من تفصيله من حرمة فتح الشراب، وإداراب عقله ارتكاب جميع المعاصي وهو لا يدري فيجسد ترشح شرب خمر عدمه بعمته خوفه، ويحب ذلك تركه كافي المستقبل، وندم على الماضي - الثالث: أن يتوب عن صغيرة توبه، وهو مصر على كبيرة يعلم أهم كبيرة

هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عنه شيء إلا لا بد وأن يكون ما تاب عنه له مال في
عليه. إمام في شدة المعصية وأنه في عتبة الشهوة وإذا حصل هذا المقتضى في اعتقاد التائب تصور
الاختلاف حائض في الخوف والدم. فيتصور اختلاف ما في التائب في ذلك الذي تاب عنه على ذلك الذي تاب عنه
بغيره على التائب بحقه عن لم يدب، وإلا لم يكن قد ضاع شيء في جميع لأوامر وأوامر هي وإن قلب
هل يصح توبة العبد من الزنا الذي قارفه قبل طوبى له، فأقول لا، لأن التوبة عبارة عن دم يمت
المرم على الترك بما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم منه لا تركه إياه وإلا كي أقول
لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحق به ضرر الزنا الذي قارفه، وثار منه احتراق، وتحسروا ندم
بحيث لو كانت شهوة الوقوع بمادة كانت حرقه الدم تقع تلك الشهوة وتعلمها، وإن أرحوا أن
يكون ذلك مكفراً لذنبه، وإحياءه سيئته، إذ لا خلاف في أن الموت بين طربس العنة وموت
عقوب التوبة، كان من التائب وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتمسك أسباب قضاء الشهوة
ولكنه تائب باعتبار دميه له مما أوجب صرف قصده عن الزنا أو طهر قصده، فإذا
لا يستحيل أن تبلغ قوة الدم في في العبد هذا الدم، لأن لا يبرمه من نفسه فإن كل من لا يشقى
شيء يقدر نفسه، إذ راعى تركه أدنى خوف وأنت إلى مطلع على ضميره وعلى مقدار تدميه، ففساه
يقبله، من الظاهر أنه يقبله. والحقيقة في هذا كما ترجم إلى أن طاعة المعصية تنجى عن القاب
شبهتين. أحدهما حرقه الدم. والآخر شهوة المجاهدة، التائب في المستقبل، وقد امتنعت المجاهدة بزوال
الشهوة ولكن ليس محالاً أن قوى الدم تحث على محو دون المجاهدة ولو لا هذا أقامنا
إن التوبة لا تقبل ما لم يمتش التائب بعد التوبة، مدة، نجاهد منه في عين تلك الشهوة وممرات كثيرة.
وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً. فإن مقتضى الأمر صحت التوبة، فإن أحدهما سكنت
نفسه عن الرجوع إلى الذنب. والآخر بقي في نفسه رجوع إليه وهو يرجع ههنا ونههنا، فأيهما أفضل؟
فأعلم أن هذا من الاختلاف المراء فيه وقال أحمد بن أبي الخوارزمي وأصح ما أتى سليمان الداراني إن
المجاهد أفضل، لأن له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذات الآخر أفضل، لأنه لو فتر في
توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرس الفتور عن المجاهدة ومافاه كل واحد من
الفريقين لا يحلوا عن قوع عن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه، والذي أقصع رجوع نفسه له حالتان
إحدهما: أن يكون انقطاع رجوعه إليه بهتور في نفس الشهوة فقط، والمجاهد أفضل من هذا.
إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه، واستيلاء دينه على شهوته، وهو دليل قاطع على قوة اليقين،

وعلى قوة الدين وأعلى قوة الدين قوة الإرادة التي يبعث إشارة اليقين، وتقمع الشهوة المنمعة
 بإشارة الشياطين. فهنا أن فوتن تدل لمج هدة عليهما قطعا. ونقول القائل إن هذا أسلم، إذ لو فر
 لا يعود إلى القلب، فهذا صحيح. ولكن استعمل أعطى أفضل فيه خطأ. وهو كقول القائل الدين
 أفضل من الفحل، لأنه في أمر من حضر الشهوة والصبي أفضل من الناح. لأنه أسلم. والمفاس
 أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه، لأن المفاس لا عدو له، والملك رعايا له. باب مرة وإن غاب
 صرات وهذا كلام مرحل سبب القلب. قاصر النظر على الظواهر، غير عالم بأن المر في الأخطار. وإن
 العلو شرطه اقتحام الأعرار. بل هو كقول القائل العباد الذي ليس له فرس ولا كلب، أفضل في
 صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس. لأنه من أن يجمع ه فرسه،
 فتمكسر أعينه. وعند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويقتدى عليه. وهذا خطأ
 بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق تأديبه. على رتبة وأخرى يدرك سمادة الصيد
 الحالة الثانية: أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين، وصدق المد هذه السابقة إذ بلغ
 مباءة وقع هيجان الشهوة. حتى تأديت تأديب الشرع، فلا يمتنع. فلا بإشارة من الدين وقد سكنت
 بسبب استيلاء الدين عليها. فهذا أعلى رتبة من المد هذه المقاسي لمجهاج الشهوة وقعها. ونقول القائل
 ليس لذلك فصل الجهاد فيسود عن الإحاطة المقصود الجهاد. بل الجهاد ليس مقصودا لغيره. بل
 المقصود تصع صراوة العدو، حتى لا يستحرك إلى شهواته، وإن مجز عن استجراك فلا يمدك
 عن سلوك طرق الدين. هذا هو حصيل المقصود، فقد ظهرت ومادمت في المجاهدة، فانت
 بعد في طالب الصبر. ومثله كمثل من هز العدو واسترقه، بالإضافة إلى من هو مشغول بالجمل في
 صف القتال ولا يدري كيف يسلم. ومثله أيضا مثل من علم كلب الصيد وراض الفرس، فهما
 نائمان عنده بعد ترك الكلب الصراوة والفرس الجح. بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة
 التأديب بعد. ولقد نزل في هذا فريق، فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى، ولم يعلموا أن ذلك
 طالب للخلاص من عوائق الطريق. وطل آخرون أن قمع الشهوات وإمامتهم بالكيفية مقصود
 حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه، فقال هذا محال. فكذب بالشرع، وسلك سبيل الإباحة،
 واستمرسل في اتباع الشهوات. وكل ذلك جهل وصال. وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس

أمرها أفضل
فمن نسي
أمرها أمراً
يتمكّن فيه

من ربح المهلكات، فبهاذا: في قولك في شيء، حذره من الذنب ولم يشغل به شكر فيه،
والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يفكر فيه ويحرق ذمما عليه، فأيهما أفضل؟
فاعلم أن هذا أيضاً احتلوا فيه فقل مضمناً: حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين يديك
وقال آخر: حقيقة التوبة أن تسي ذنبك وكل واحد من المذهبين عند حق، ولكن لا صفة
إلى حالين. وكلام المتصوفة إذا يكون قاصراً، من عادة كل واحد منهما أن يخرج عن حال نفسه
فقط، ولا يهتم حال غيره، فتختلف لأحواله لا خلاف لأحوال وهذا تضارب لا يوفق إلى طمأنينة
والإرادة والحد، حيث يكون صاحبه، تصور اصر على حاله، لا يهتم بمرعوبه، بل طريقه
إلى الله نفسه وممارته أحواله وقد يكون طريق الله إلى الله لا يصرق إلى الله تعالى كثرة
وإسكات مختلفة في اقرب وأبعد، والله أعلم من هو أهدى سبيلاً. مع الأشهرات في أصل
الهداية فأقول: تصور لذات وذكره واتم جمع عليه. كما في حق المبتدئ، لأنه إذا لم
يكثر احتراؤه، ولا تقوى إرادته، فإنه لا يملك الطريق ولذا هناك يستخرج منه الحزن والخوف
الوارع عن الرجوع إلى مثله، وهو ما لا يفتقر إلى سالك الطريق، فإياه شغل ما عمن سلوكك
الصريق إلى سالك الطريق يسعى أن لا يخرج على غير السلوك في طهر له، في الوصول،
واكتشفت له أوار المعرفة ولواضع العيب، لا يترك ذلك، ولم يبق فيه منزع الانكسار إلى ما سبق
من أحواله، وهو السكوت. لا يوقع من عن الطريق إلى لذهن البلاد شهر حار، يصل به
المسافر في عبوره مدة، من حيث إنه كان قد خرب جسده من قبل فلو حاس على شاطئ النهر
بعد عبوره، يبيكي متأسفاً على تحريكه الحس، كان هذا ما عدا حراشع من بعد الفراغ من ذلك
الماع، نعم إن لم يكن الموت وبس الرحيل، أن كان لا يفتقر السكوت، وكان على طريقه أمار
وهو يخاف على نفسه أن يرسها، وليطيل بالليل كماؤه وحراشع تحريك الحس، ليتأكد طول
الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله، فإن حصل له من التوبة ما وثق بنفسه، لا يعود إلى مثله.
فسلوك الطريق أولى من الأشغال مذكر تحريك الحس والبهاء عليه وهذا لا يعرفه
إلا من عرف الطريق، والمقصد والعائق، وطريق السلوك وقد نشر إلى مويجاته في كتاب
العلم، وفي ربح المهلكات. بل قول شرط دوام التوبة أن يكون كثير التفكير في العيم في الآخرة
لتريد رغبته، ولكن إن كان شاملاً، فلا ينبغي أن يظن فكره في كل ماله تطير في الدنيا كالخمر
والقصود فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته، فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة، بل ينبغي أن

یتفكر فی لذة النظر إل وجه الله تهلی فقط . فذلك لا طیر له فی الدین . فكذلك تذكر الذنب قد
 يكون محرکاً للشهوة . ولتبدی أيضاً قد تنصرف فیكوب السیال أفضل له عند ذلك
 ولا یصدك عن التصدیق هذا التحقیق ما یحكيك من كفاء داود و یاحته علیه السلام
 فی: « اسك عسك علی الأنیاء فیس فی عیه الا و حاح ، لأهم قد یزاون فی أو الهام وأفعالهم
 إلى الدرجات الا لقة بأهمهم ، و بهم ما شوا لا لا ریدهم ، فمذیهم التمس بما تنفع أنهمهم
 عشا هدت ، وإن كان ذلك نازلاً عن ذروة مقامهم فمقد كان فی الشیوخ من لا یشر علی مریدیه
 و عن سعة الا و یخوض معهم ، و قد كان ، سعة فیاء عنها الفرافعة عن المجاهدة وتأديب النفس سهلاً
 الا نر علی المرید . و لذلك قال صلی الله علیه و سلم : « إني لأرى وكنی أنسی لأشرع »
 و فی المعط : « لا یسهنو لا سمن » . و لا معجب من هذا . فإن الأمل فی كسب سعة الانبیاء
 كالصديق فی كسب سعة الآباء ، و كانوا شی فی كسب الرعاة ، ترى الأب إذا أراد أن یستنصق ولده
 الصبی . كيف یزل إلى درجة حق الصبی . كما یسبى الله علیه و سلم : « لا یحسن » كسب كسب
 لا أحدثرة من تمر الصدقة و یسبى فی فیه و كسب فصاحة تقصر عن أن یقول . ارم هذه التمرة
 و ارم حرام و یسبى علم أن لا یسبى هم سطة . و رث الفصاحة و نزل إلى كسبه بن الذي یسبى شاة
 أو طأراء بصوت یسبى و یسبى مشه . و السمة و الطائر . و طمأ فی ما یسبى . فإذ ان تعمل عن
 أمثال هذه الدواق . و یسبى مرله قديم الماروفین و یسبى عن العالمین . سأل الله حسن
 التوفیق بطفه و كرمه

- (١) حدیث أما إني لا أنسى و لكن أنسى لا أع . ذكره صاحب كتاب مير اسناد و قول من قال لا يوجد
 فی ابوطاً إلا مرحلاً لا اسناد له و كذا قال جماعة من علماء الحديث . و قد ورد من عبد الله بن مالك و قال
 أبو عبد الله لا أعطى و قد طال بحثي عنه و سألني عنه لأشبهه و الحفظ فلم أجبه و لا سمعت
 من أحد منهم سماعاً و قد ورد من من طلبه الحديث أنه وقع له مستدا
 (٢) حدیث أنه قال لا یحسن كسب كسب . و قد ورد من من قال لا یحسن كسب . و قد ورد من من قال لا یحسن كسب . و قد ورد من من قال لا یحسن كسب .
 أبي هريرة و تقدم فی كتاب الحلال و الحرام

عدد ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ غاية جمادى الأولى سنة ١٢٥٧

بقية فهرست الربع الثالث

رقم الصفحة رقم	رقم الصفحة رقم	من الجزء مسلسل	من الجزء مسلسل
١٩٣٨٤	١٩٧٨٤٤	كتاب ذم الكبر والعجب	الانسان بعداوت
١٩٣٩٥	١٩٨٠٤٦	اشطر الاول من الكتاب في الكبر	علاج النكبر بالنسب
	١٩٨١٤٧	بيان ذم الكبر	علاج النكبر بحل
	١٩٨٢٤٨	الآيات التي ساهم الكبر	علاج النكبر بالقوة
		أحدث دم الكبر	علاج النكبر بالمال والجاه
١٩٤٣٩	١٩٨٣٤٩	بيان ذم الاغتيال والظهور آثار الكبر	علاج النكبر بالعلم
	١٩٨٥٥١	في خلق وحر الذات	النكبر على البدعيين والعاق
١٩٤٤١٠	١٩٨٨٥٤	الآثار في ذم الكبر	علاج الكبر بالورع والعبادة
١٩٤٥١١	١٩٩٠٥٦	بيان فضيلة التواضع	الامتناعات التي تزيل الكبر عن القلب
١٩٤٨١٤	١٩٩٣٥٩	الآثار في ذم الكبر ومدح التواضع	بيان غاية الرياضة في خلق التواضع
١٩٥٢١٨	١٩٩٤٦٠	بيان حقيقة التبرير وآله	اشطر الثاني من الكتاب في العجب
		الفرق بين الكبر والعجب	بيان ذم العجب وآفاته
١٩٥٣١٩	١٩٩٦٦٢	من يحمل الكبر	بيان آفة العجب
١٩٥٥٢١	١٩٩٧٦٣	بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه	بيان حقيقة العجب والادلال وحده
	١٩٩٨٦٤	وصفات تكبرية	علاج العجب على الجملة
١٩٥٨٢٤	٢٠٠٣٦٩	بيان ما به التكبر	تسام ما به العجب وبعضه علاج
١٩٥٩٢٥		العلم	العجب بالبدن وعلاجه
١٩٦٠٢٦		العلم مع حدث النفس	العجب بالقوة وعلاجه
١٩٦١٢٧	٢٠٠٤٧٠	العمل والعبادة	العجب بآراء من يرجح وعلاجه
١٩٦٣٢٩	٢٠٠٦٧٢	درجات العناء والعدو	العجب بالنسب وعلاجه
١٩٦٥٣١	٢٠٠٧٧٣	الحسب والنسب	سعادة ونسب كونه
١٩٦٦٣٢		الجمال، المال	العجب بنسب السلاطين الصفة وعلاجه
١٩٦٧٣٣	٢٠٠٨١٤	القوة، الاتباع	العجب بكثرة الأولاد وذرائع وعلاجه
	٢٠٠٩٧٥	بيان البراعة على التكبر والسيادة	العجب بالنسب وعلاجه
		المهزلة له	العجب بالرأي الخطأ
١٩٦٩٣٥	٢٠١٢٧٨	بيان أمثلة المتواضعين وبما يعجز ما يطهر	كتاب ذم الفرور
	٢٠١٣٧٩	فيه أثر التواضع والتكبر	بيان ذم الفرور وحقيقته وأفعاله
	٢٠١٤٨٠	بعض صفات التكبر	الفرور الكفار
١٩٧٥٤١	٢٠٢٨٩٤	بيان الطريق في معالجة الكبر	بيان أصناف المتبرين وأقسام فرق كل
		واكتساب التواضع له	صفت وهم أربعة أصناف

رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل	رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل	
٢٠٤٣ ١٠٩	٢٠٥٧ ١٢٣	عروور مدعى الوصول
٢٠٤٤ ١١٠	٢٠٥٨ ١٢٤	الاحاديث من مدعى التصوف
أن يقهوها	٢٠٥٩ ١٢٥	مدعى الزهد والتوكل
عروور مباح الأحاديث		طالب الحلال في شأن واحد
نعت في مباح الحديث علي الوجه الصحيح		مدعى الواضع
٢٠٤٧ ١١٣		مدعى في البحث من باب الس
٢٠٤٨ ١١٤	٢٠٦٠ ١٢٦	مدعى في سيرة شريك
أكراه الزوجة لبراء زوجها		الحق
٢٠٤٩ ١١٥	٢٠٦٢ ١٢٨	حقه للساحد وغيره من احرام
٢٠٥٠ ١١٦		تحليل ذكراهم
احيل الله زهد الحجة من		الامام علي الساجد من الحلال
٢٠٥٢ ١١٨	٢٠٦٣ ١٢٩	المتصدقين في العمالية
عروور في ضوء	٢٠٦٤ ١٣٠	البحلاء المشتغلين بالعبادة الد
عروور في خج	٢٠٦٥ ١٣١	من ذرى الركاة في
عروور الامر من بامروف والهاين عن الكبر		من صدر عانس وعطاف لا
٢٠٥٣ ١١٩		سيرة النجاة من العروور
الحاورين في مكة والمدينة		٢٠٦٦ ١٣٢
٢٠٥٤ ١٢٠		كيفية المدة من العرو
عروور علي النوازل دون	٢٠٦٨ ١٣٤	مدعى التصوف
٢٠٥٦ ١٢٢		المتشبهين بالسوفية
٢٠٥٧ ١٢٣	٢٠٧١ ١٣٧	مدعى التصوف

رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل	رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل
٢١٠٩' ١٧٥	٢٠٧٨ ١٤٤
التيبين المعموس شرب الخمر .	كتاب التوبة
٢١١٠ ١٧٦	٢٠٨٠ ١٤٦
عشق . البحر	بيان حكمة التوبة وحسنها
٢١١١ ١٧٧	٢٠٨١ ١٤٧
الفر من ارحم وعقوق والاس	بيان وجوب التوبة . مقدمات
٢١١٣ ١٧٩	٢٠٨٣ ١٤٨
بيان كيفية توب الخمر والذبح والركاب	ردوم . توبة للعبد
الآخرة على احسن ما في الدنيا في الدنيا	٢٠٨٣ ١٤٩
٢١١٥ ١٨١	٢٠٨٤ ١٥٠
توبة في الآخرة	بحث في فضل التوبة وعن له احوال
٢١١٦ ١٨٢	٢٠٨٧ ١٥٣
هذا يكون	وجوب التوبة لجميع الخصال
٢١٢٩ ١٩٥	٢٠٩٠ ١٥٦
بيان ما يوجب التوبة من الذنوب	بيان ان وجوب التوبة عام في كل حال من
٢١٣٠ ١٩٦	٢٠٩٦ ١٦٣
السرور بالصفحة	والاخوان فلا يفتك عنه أحد البتة
انوار تسمي لله وحده	بيان ان التوبة لا تسقط بغير التوبة
٢١٣١ ١٩٧	٢١٠١ ١٦٧
اعلان التوبة	مقبولة لا محالة
دوب العبد لتبني منه	ركبة انما هي التوبة وهي من وجوب
٢١٣٢ ١٩٨	٢١٠٣ ١٦٩
اركة الثالث في بيان التوبة وتبنيها	صحة تركها
٢١٣٣ ١٩٩	٢١٠٧ ١٧٣
توبة من ترك الصوم	توبة من ترك الصلاة
٢١٣٤ ٢٠٠	٢١٠٨ ١٧٤
التوبة من ترك الحج	توبة من ترك الزكاة
٢١٣٥ ٢٠١	٢١٠٩ ١٧٥
التوبة من العاصي	المراتب الثلاثة من التوبة
٢١٣٨ ٢٠٢	٢١١٠ ١٧٦
المراتب الثلاثة من التوبة	المراتب الثلاثة من التوبة

لجنة
نشر الفتاوى الإسلامية
بدر جمعية الخرم الاسلام

أَحْيَاءُ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثاني عشر

مضاف إليه
تخريج الحافظ العراقي

بيان

أقسام العباد في دوام التوبة

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات .

الطبقة الأولى أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره . فيتدارك ما فرط من أمره ، ولا يحدث منه ما يعود إلى دونه . إلا الرلات التي لا يملك البشرعها في العادات مهم . لم يكن في رتبة النبوة . فهذا هو الاستقامة على التوبة . وصاحبه هو السابق بالخيرات . يستبدل بالمسيئات حسنات . واسم هذه التوبة التوبة المصوح . واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة ، التي ترجع إلى ربه راضية مرضية . وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم " **أَفَرُّ ذُنُوبٍ مُّثَرِّذُونَ مُتَسَهِّلُونَ** " ذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أو رادهم . فوردوا القبيحة حذافاً . فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أو راد وضعها الذكر عنهم . وأنهم هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات ، فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ، وهتر نزاعها ، ولم يشمله عن السلوك سرعها ، وإلى من لا يملك عن منارعة النفس ، ولسكنه ملي بمجاهدتها وردّها .

ثم تماوت درجات الأربع . فالكثرة والافتراخ اختلاف المدفوع باختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر . فمن غطط يوت مرياً من توبته . عبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ، ومن يمهل طال جهاده وصبره . وتنادت استقامته وكثرت حسناته ، وحال هذا أعلى وأفضل ، إذ كل سيئة فيه تحوّل حسنة . حتى قال بعض العلماء إننا يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات ، مع صدق الشهوة . ثم يصبر عنه ، ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى . وشترائط هذا بعيد . وإن كان لا يكثر عظم أثره لو فرض . واسكن لا يبعثي لأمر يد المصيف . فليسلك هذا الطريق ، فتتهيج الشهوة ، وتخضر الأسباب حتى يتمكن ، ثم يطمع في الاستكفاف ، فإنه لا يؤمن حروح عباد الشهوة عن اختياره ، فيقدم على المعصية ، ويقص توبته . بل طريقة التمار من ابتداء أسبابه المبصرة له ، حتى

(١) حديث . من يرد ذنوبه يسهر من ذكر الله . الحديث . الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه ومصدق

نور دى
الفسس اللوامه

يسد طرقه على نفسه ويسعى مع ذلك في كثرة شهوره بما يقدر عليه معه تسد وتوفي الاثناء
الطبقة الثانية . تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات ، وترك كذا الفواحش
كلها ، لأنه ليس يفتك عن ذنوب تعبه ، لأعن عمد وتحرير قصد ، ولكن ذنوبه في
بخارى حوائه من غير أن تقدم بر ما على لإقدم عليها ، ولكنه كما أقدم عليها لأمه
و دم و نصف ، وجدد عزمه على أن يقتصر للاحتراز من أسبابها التي تعرضه لها . وهذه
الفسس حذيرة أن تكون هي الفسس المرومة ، بد يوم صحت على ما تستهدف له من
الأحوال الذميمة ، لأعن تصميم عزم وتأمين رأى وقصد . وهذه أيضا رتبة ثانية ، وإن
كان ناله عن الصفة الأولى وهي أغلب أحوال الدائنين . لأن الشر معجون طيبة لآدمي
فلما صفت عنه ، وإدساه سميه أن يباب خبره شره ، حتى يتقيل به ، فخرج كفة
الحسنة ، فأبأن حلو ، ككبه كفة السيئة ، فذلك في غاية البعد وهو لا يلهم حسن الوعد
من الله تعالى . بد قال تعالى (الذين يتخفون كثيرا الإثم والفواحش إلا اللأم إن
ربك واسع العقرة ^(١))

وكل إثم يقع صغيره . لأعن تومأين منه عليه ، فهو حذير أن يكون من لأمه المعفو
عنه قال تعالى (والذين إذا وعدوا عاهة أو صعدوا أنتم ^(٢) ذكرؤ الله فاشفقروا
لدؤهم ^(٣)) فأنى عليهم مع طوبى لأفسدهم ولؤهمهم أنفسهم عاربه ، وبى مثل
هذه الرتبة الإشرة بقوله صلى الله عليه وسلم ، مما رواه عنه على كرم الله وجهه
« خيأكؤكم كل مؤقتن توب » وفي خبر آخر ^(٤) « مؤؤمن كاسته فى أخيه ، ويؤمن
أخياك » وفى الخبر ^(٥) . لأند مؤؤمن من دؤب به أنفسه بعد توبه ، ففى أخيه مدالحين

(١) حديث على : لكل من ذنوب ^(١) فى فى الذنوب .

(٢) حديث المؤمن : فى فى الذنوب .

وذكر من حديث محمد بن عبد الله : فى فى الشعب من حديث الحسن مرسله وكأها .

وذكر من حديث محمد بن عبد الله : فى فى الشعب من حديث الحسن مرسله وكأها .

(٣) حديث لأم مؤؤمن من دؤب به أنفسه بعد توبه ، ففى أخيه مدالحين

العاقل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصيرين . وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء
الفرارة من الخير . ويخاف على هذا سوء الحاقه ، وأمره في مشيئة الله . فإن ختم له بالسوء
شقي شقاوة لا آخر لها . وإن ختم له بالحسن حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من
الدار ولو بعد حين . ولا يستحي أن يشمله عموم العقوب بسبب خفي لا نطلع عليه ، كما
لا يستحيل أن يدخل الإنسان خرايا ليحد كذا فيتفق أن يحده ، وأن يجلس في البيت ليجمعه
الله عابدا بالعلوم من غير تعلم كما كانت الأدياء صلوات الله عليهم . فطلب المغفرة بالطاعات
كطلب العلم بالجهد والتكرار ، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار . وطلبها بغير
الرجاء مع حراب الأعمال ، كطلب الكور في المواضع الخربة . وطلب العلوم من تعليم
الملائكة . وليت من اجتهد تعلم ، وليت من اتخر استغنى ، وليت من صام وصلى غفر له .
فإناس كلهم محرومون إلا العالمون ، والعالمون كلهم محرومون إلا العالمون . والعالمون
كلهم محرومون إلا المحضون . والمحضون على حذر عظيم

وكما أن من خرب بيته وبيع ماله ، وترك همسه وعياله جياعا ، يزعم أنه ينتظر فصل
الله أن يرزقه كبرا يحده تحت الأرض في يده الحرب . يمدد ذوى البصائر من الحق
والمرورين ، وإن كان ما ينتظره غير مستحي في قدرة الله تعالى وفعله ، فكذلك من ينتظر
المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة ، مصر على الذنوب ، غير سالك
سبيل المغفرة . يمدد عند أبواب القلوب من المعتوهين

والعجب من عقل هذا المعتوه ، وترويعه حماقة في صيغة حسنة ، إذ يقول إن الله
كريم ، وجمته ليست تضيق على مثلي ، وممصيتي ليست تصره . ثم راميركب البحار ، ويقتحم
الأوعر في طلب الدينار ، وإذا قيل له إن الله كريم . ودأير حرائمه ليست تقصر عن فقرك
وكسلك بترك التجارة ليس يصرك . فاجلس في بيتك ففساه برزقك من حيث لا تحسب
فيستحق قائل هذا الكلام ويستهره ، ويقول . ما هذا الهوس ، السماء لا تمطر ذهبا
ولا فضة ، وإنما ينال ذلك بالكسب ، هكذا قدره مسبب الأسباب ، وأجرى به سنته ،
ولا تبديل لسنة الله . ولا يعلم المرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا تبدل

له فيها حميما وأنه قد أخبر به قال (وَأَنَّ أَيْسَ الْإِنْسَانِ إِذًا سَعَى) وكيف
يعتقد أنه كريم في لآخرة وليس كريم في الدنيا وكيف يقول . يس مقتضى الكرم
الفتور عن كسب المال ، ومقتضى الفتور عن العمل للمعتكف والمقيم الدائم . وأن
ذلك يحكم الكرم بعصيه من غير جهد في لآخرة ، وهذا يعمه مدح شدة الاجتهاد في
عاب الأمر في الدنيا . وفي قوله تعالى (وَأَن تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا) (١)

وهو ذاك من العمى والضلال . وهذا لا ينكس على أم الرأس ، ومعنى في طاعت
الحي . وصاحب هذا خبر أن يكون داخل تحت قوله تعالى (وَأَن تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بَاطِلًا) (٢) . وصاحب هذا خبر أن يكون داخل تحت قوله تعالى (وَأَن تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا) (٣) . فالحق أن كل صرا
أنت تدقق يدرك (وَأَنَّ أَيْسَ الْإِنْسَانِ إِذًا سَعَى) (٤) فالحق أن كل صرا
لا ينكر من الآفات . ويحقق عليه لعذب معمود الله من دواعي الحسن والاشك والارباب
السائق . ضرورة في سوء عقيب و . ب

بيان

ما يسمى أن يدر إليه التائب إن حري سببه دلت

بما عن صدق وشهوة ، ية أوعن المام بحكم الاتفاق

علم أن الواجب عليه التوبة ، والندم ، والاشم ، المكفر بحسنة مصادره ، كما ذكرنا
طريقه . فإن لم يدر هذه المس على العزم على البركة له به الشهوة ، فقد عجز عن أحد الواجبين
ولا ينبغي أن يترك الواجب الثاني ، وهو أن يدر بالحسن السيئة لتجوها ، فيكون ممن خط
عمل صالح وآخر سيئ ، والحسنة المكفرة للسيئات إما لقب . وإما للملئ . وإما بالخوارج .

ولكن الحسن في محل السيئة ، وفيما يتعلق بأسبابها

فأما ما لقب . فيكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المصرة والمعفو ، ويستعمل تذلل العبد
الآق ، ويكون له بحيث يصهر أسرار العباد . وذلك نقص كبير فيما بينهم . فالحق للعبد
الآق المذهب وجه تلك الكبر على سائر العباد . وكذلك يضمم قلبه الخيرات للمسلمين ،
والعزم على الطاعات

وأما باللسان، فبالاعتراف العظيم والاستغفار، فيقول رب طمست سمى وعمدت - وأفاغمر على ذنوبى وكذلك يكثّر من ضروب الاستغفار . كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار .
وأما بالحوارج، فباطاعات، والصدقات . وأواع العمدات . وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا اتسع نهاية أعمال كان الغمر عنه مرحوا . أربعة من أعمال القلوب، وهي التوبة أو العزم على التوبة، وحب الإخلاص عن الذنب، وتخوف المقاب عليه، ورجاء المعفرة له . وأربعة من أعمال الحوارج وهي أن تصلى عقب الذنب ركعتين، ثم تستغفر الله بمائة سبعين مرة، وتقول سبحان الله العظيم بمائة مائة مرة، ثم تصدق بصدقة ثم تصوم يوما . وفي بعض الآثار ^(١) : تسبغ الوضوء . وتدخل المسجد وتصل ركعتين . وفي بعض الأخبار ^(٢) : تصلى أربع ركعات . وفي الخبر ^(٣) : إذا عمدت سيئة فأنعمها حسنة تكفرها، السر بالسر وأملأ به بالملأية، ولذلك قيل : صدقة السر تكفر ذنوب الليل، وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار .

وفي الخبر الصحيح ^(٤) : أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني عاشرت امرأة

- (١) أثر من مكبرات الذنوب مع الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين : أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذهب دينا فيحسن الظهور ثم يقوم فيصل ثم يستغفر الله إلا غفر الله له عطى داود وهو في الكبرى للناسى مرموعا وموقوف . فعلم المسب عن بالأر لاردة موقوف فذكرته احتياطا وبالأر لار لست من شرط كبرى .
- (٢) حديث الكبير بصلاته أربع ركعات . من مردويه في المصدر واليه في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل من أصحاب أبي صلى الله عليه وسلم يهوى المرأة - الحديث - وفيه بعد رآها حاس عينا عانس ارجل من امرأته وحرك ذكره فمر هو مثل لخدمة فقام ناديا فأبى إلى صلى الله عليه وسلم لم يذكر له ذلك فقال له الذى صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأرسل الله عز وجل وأتم الصلاة طرقي النهار الآلة وأسدده حديد .
- (٣) حديث إذا عملت سيئة فأنعمها حسنة تكفرها السر بالسر والملاية بالملأية . الباقى في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطية بن يسار عن معاذ وم يلقه لعظوم ومعمات من سوء . فحدث الله فيه توبه السر بالسر - الحديث :
- (٤) حديث أن رجلا قال لرسول الله إني عاشرت امرأة فأنعمت بها كل شيء إلا اليسير - الحديث : في رول إن الحساب يذهب الذنوب مذهب الله من حديث ابن مسعود دون قوله أو ما صليت معنا صلاة العداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم - الحديث :

فأصابت منها كل شيء إلا المسيس . فغضب على نوحك الله تعالى . فقال صلى الله عليه وسلم « أو ما صليت مع صلاة العداة » قال بلى . فقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات » وهذا يدل على أن مادون الزمان معالجة النساء صغيرة . إذ حمل الصلاة كفارة له عقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الحسنات كفارات لما ينهن إلا الكدابر » فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ، ويجمع سيئاته . ويحتسب في دفعها بالحسنات . فإن قلت : فكيف يكون الاستغفار يوما من غير حل عقدة الإصرار ، وفي الخبر (١) « المستغفر من الذنب وهو مضر عليه كاللستهرى بآيات الله » وكان بعضهم يقول : استغفر الله من قولى أستغفر الله . وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كبير .

استغفار القلب
أما به

واعلم أنه قد ورد في أصل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ، ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات ، حتى قرن الله الاستغفار بية . الرسول صلى الله عليه وسلم . فقال تعالى (و) « كَانَ اللَّهُ يَتَقَهَّرُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (٢) . وكان بعض الصحابة (٣) يقول : كان لنا أيمان ، ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا . وفي الاستغفار معنا . فإن ذهب هلكنا فنقول :

الاستغفار الذي هو توبة الكذابين ، هو الاستغفار بعجز اللسان ، من غير أن يكون للقلب فيه شركة . كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله . وكما يقول إذا سمع صفة البار . نعوذ بالله منها . من غير أن يتأثر به قلبه . وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان . ولا حدود له . فأما إذا انفذ إليه تضرع القلب إلى الله تعالى ، واتم له في سؤال المعفرة ، عن صدق إرادة وخلوص بية ورغبة ، فهذه حسنة في نفسها ، فتصلح

(١) حديث مستغفر من الذنب وهو مضر عليه كاللستهرى بآيات الله . ابن أبي الدنيا في التوبة من طريقه

السيوطي في الشعب من حديث ابن عباس بنحو كاللستهرى . بنية وسند ضعيف

(٢) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت بهم رب . الآية كان لنا أيمان ذهب أحدهما

أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورصده الترمذي من حديثه أنزل الله على نبيين . الحديث :

وصدعه وابن مردويه في تفسيره من قول ابن عباس

لأن تدفع بها السيئة . وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار . حتى قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَا أَصْرَ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ غَدَى أَلْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب . وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها ، لا تحبو عن العائدة وإن لم تنته إلى أواخرها . ولذلك قال سهل . لا بد للعبد في كل حال من مولاة فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء ؛ فإن عصي قال برب اسر علي فإد فرغ من المعصية قال برب تب علي فإد تب قال برب ارقى العصمة . وإذا عمل دل برب تقبل مني .

وسئل أيضا عن الاستغفار لدى تكرار الذوب فقل أول الاستغفار الاستجابة . ثم الإجابة ، ثم التوبة فلاستجابة أعمال الخوارج ، والإجابة أعمال القلوب . والتوبة إقباله على مولاه ، أن يترك الخلق ثم يستغفر الله من قصيره الذي هو فيه ، ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر . فعند ذلك يعفر له . ويكون عنده مأواه . ثم التقل إلى الانفراد ، ثم الثبات ، ثم اليان ، ثم الفكر ثم المعرفة ، ثم المأجاة . ثم المصافاة ، ثم الموالاة ثم محادثة السر ، وهو الحقة . ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه . والذكر قوامه . والرب اراده ، والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه ، ويرفعه إلى العرش ، ويكون مقامه مقام حملة العرش

وسئل أيضا عن قواله صلى الله عليه وسلم « الْآثُ حَبِيبُ اللَّهِ » وقال إما يكون حبيب . إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا) الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه

والمقصود أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكبير السيئات ، حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات ، حتى يصير حبيباً . وللتكبير أيضا درجات : فبعضه نحو لأصل الذنب بالكلية ، وبعضه تخفيف له . ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة . فالاستغفار بالقلب ، والتدارك بالحسنات ، وإب حلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات ، فليس يحبو عن العائدة أصلاً فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها . بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها ، أن قول الله تعالى (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) ^(٢) صدق

(١) حديث . أخر من - عمر - الحديث . عدم في الدعوات

(٢) التوبة : ١١٣ (٢) الزلزال : ٧

وأنه لا تحمل ذرة من الحبيب عن أثر . كما لا تحمل شجرة تطرح في الميزان عن أثر
ولوحلت الشجرة الأولى عن أثر . لكات الذببة مشها ، وكان لا يرحح الميزان بأجل
الدرات وذلك بالضرورة محل بل ، ميزان الحسات يرحح بدرات الحبر إلى أن يشغل
فترفع كمة الديت . وإياك أن تستصغر درات الطاعات فلا تأتيها ، وذرات الماء حتى فلا
تمسها كالمرأة الحرقاء ، تكسل عن العمل تملاها ، لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط
واحد وتقول : أي غنى يحصل بحيط ، وما وقع ذلك في الثياب ؟ ولا تدري المنة توهة أن
ثياب الدنيا احتتمت حيطاً خيطاً ، وأن أحاسام العالم مع اتساع أقطاره ، اجتمعت ذرة ذرة
فإذا التصرع والاستعمار بالقلب حسنة لا تصيب عند الله أصلاً . من أول الاستعمار
باللسان أيضاً حسنة . إذ حركة اللسان بها عن عملة خير من حركة اللسان في تلك الساعة
نقية مسلم ، أو فضول كلام . بل هو خير من السكوت عنه فيظهر بعمله بالإضافة إلى
السكوت عنه . وإعما يكون قصداً بالإضافة إلى عمل القلب . ولذا قال بعضهم لشيعه
أبي عثمان المغربي : إن لسان في نصوص الأحوال بحري بالذكر والقرآن وتلقى عامل ، فقال :
اشكر الله إذا استعمل جارحة من جوارحك في الخير ، وعوده الذكر ، ولم يستعمله في الشر
ولم يعود الفضول وما ذكره حق . فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك
كالطبع ، يدفع حمة من الماء فيش تعود له الاستماع إذا سمع من غيره كذا سبق لسانه
إلى ما وعد فقال : استغفر الله . ومن تعود الفضول ، سبق له إلى قول ما أحفك ، وما
أتبع كذبك . ومن تعود الاستعداد إذا حدث بضموره بادي الشر من شرير ، قال بحكم
سبق اللسان . نعوذ بالله ، وإذا تعود الفضول قال الله الله . فيعصى في إحدى الكلمتين
ويسلم في الأخرى . وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى
(إن الله لا يضيع أجر المحسنين ^(١)) ومعاني قوله تعالى (وإياك حسنة يساعدها
ويؤت من لذة أحرأ عصباً ^(٢)) فانظر كيف صاعفها بد حمل الاستعداد في العملة عادة اللسان
حتى دفع تلك العادة شر العصور ان بالنية واللحن والفضول ، هذا تضعيف في الدنيا ، الأدنى
الطاعات وتضعيف الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون

فإياك وإن تلج في الطاعات مجرد الآفات : فتعثر رعبتك عن العبادات ، فإن هذه مكيدة روح الشيطان لعنه على المفرورين ، وحيل إلهية لهم أرباب البصائر . وأهل التعطن لخدعنا والسرائر ، فأى حبر في ذكر اللسان مع غلبة القلب ، فاقسم الحق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام : ظالم نفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات

أما السابق . فقل صدقت يسمعون . ولكن هي كلمة حق أردت ما ماطلا فلا حرم أعذلك مرتين ، وأرغم نفسك من وجهين ، فأصعب إلى حركة اللسان حركة القلب . فكان كالذي داوى حرج الشيطان بشر الملح عليه

وأما الظالم المفرور . فاستشعر في نفسه خيلاء العفة لهذه الدقيقة ، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب ، فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر ، فأضعف الشيطان . وتدى بحبل عروقه ، فتمت بينهما المشاركة والواقعة كما قيل . وافق من طبقه ، وافقه فاعتقه .

وأما المقتصد . فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل ، وتقطعت أفعسان حركة اللسان : لإضافة إلى القلب ولكن اهتدى إلى كماله بإضافة إلى السكوت والفضول ، فاستمر عليه . وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير

فكان السابق كالخلك الذي ذمت حيا كنهه وركم وأصبح كالباء والظالم المتعاف كالذي ترك الحياة أصلا وأصبح كدسا . والمقتصد كالذي عجز عن السكينة فقال : لا أنكر مذمة الحياة ، ولكن الخلق مدموم بإضافة إلى الكتاب لا يلاحظه فبلى الكياس وإذا عذرت عن الكتابة فلا ترك الحياة وإليك قالت رامة المدونة استهفارا محتاج إلى استغفار كثير . فلا تطن أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله ، بل تدم عملة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من عملة فيه لا من حركة - له - فإن سكنت عن الاستغفار باللسان بصا . احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد

فهكذا يسمى أن تقهر ذم ما يذم ، وحمد ما يحمده . وإلا جهات معنى ما قبل القائل الصادق : حسبات الأبرار سيئات المقرين . فإن هذه أمور ثبتت بإضافة ، فلا يسمى أن تؤخذ من غير إضافة . بل يسمى أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي وأدبك : ان حصر الصادق : إن الله تعالى حبا ملا . في ثلاث : رصاه في طعنه . فلا تحقروا منها شيئا ، فعمل رصاه فيه .

وغيصبه في معاصيه . فلا تحقروا ميا شياء ، فاعمل غرضه فيه . وحباً ولايته في عبادته . فلا تحقروا منهم أحداً . فاعلمه ولي الله تعالى . وزاد وحباً إجابته في دعائه ، فلا تتركوا الدعاء . فربما كانت الإجابة فيه

الركن الرابع

في دواء التوبة . وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

اعلم أن الناس قسمان :

شاب لاصبوة له ، نشأ على الخير واجتناب الشر ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « تَعَجَّبَ رُكْتُ بْنُ شَابٍ آيَسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ » ، وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب . ثم هم يقسمون إلى مصرين وإلى تائبين . وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ، ونذكر الدواء فيه .

واعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء . ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء . بدلالة معنى الدواء إلا مفعلة أسباب الداء . وكل داء حصل من سبب وسدواؤه حل ذلك السبب . ورفعته ، وإبطاله . ولا يبطل الشيء إلا بسدده . ولا سبب الإصرار إلا العمالة والشهوة . ولا يعاد العمالة إلا العلم . ولا يباد الشهوة إلا السر على قطع الأسباب المحركة للشهوة . والعملة رأس الخط . قاله لي (وأثبت فيه) المؤمنون لا حرم لهم في الآخرة . هم الخاسرون ^(٢)) فلا دواء إلا للتوبة إلا معجون يمحى من حلاوة العلم . ومصرارة الصبر . ولا يجمع السكجيين بين حلاوة السكر وحموضة الخل . ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج نعوذ بهما ، فيجمع الأسباب المهيبة للعقراء ، وهكذا ينبغي أن "همم علاج ألقاب مما به من صرخ الإصرار .

فإد لهذا الدواء أصلان : أحدهما العلم . والآخر الصبر . ولا بد من يابهما فإن قلت أيسع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص ؟ . فاعلم أن العلوم

(١) حديث يثبت ركن من أركان الإسلام له صبوة . أحمد والطبراني من حديث عنه من عمرو بن الحارث

تأيت له صبوة . أي من أبي هوى

نحواتها أدوية لأعراض القلوب والمكن لكل مرض علم يخصه . كما أن علم الطب أرفع في علاج الأمراض بالجملة ، وأكثر يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإسرار . فندكر خصوص ذلك العلم على موارنة مرض الأبدان ، يكون أقرب إلى الفهم وقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمر :

الإمامة بأصل
الشرع

الأول : أن يصدق على الجملة بأن للعرض والصحة أسبابا يتوصل إليهما بالاختيار ، على ما رتبته مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيذان أصل الطب . فإن من لا يؤمن به لا يستعمل بالملاح ، ويحق عليه الهلاك وهذا وراءه مخ فيه . الإيذان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة ، وللشقوة سببا هو المعصية . وهذا هو الإيذان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيذانات .

الوقوف
بالرسول صلى
الله عليه وسلم

الثاني : أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب ، صادق فيه ، صادق فيما يعمر عنه . لا يفتس ولا يكذب . فإن إيمانه أصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان . ووزا به مما نحن فيه . العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ، لا كذب فيه ولا خلف

الإصغاء إلى
وحي الله
وخصمه

الثالث : أنه لا بد أن يصحى إلى الصيب فيما يحذر عنه من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة ، حتى يفتب عليه الخوف في ترك الاحتماء فتكون شدة الخوف ماعثة له على الاحتماء ووزا به من الدين الإصغاء إلى آيات والأخبار المشتملة على الترعبب في القوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى ، والتصديق بجميع ما يلقى إلى سمعه من ذلك ، من غير شك واستراة ، حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر ، الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع : أن يصنى إلى الطبيب فيما يخص مريضه ، وفيما يدره في نفسه الاحتماء عنه ،

طلب العلم
وتشره

ليمره أولا تفصيل ما يضره من أقواله وأحواله ، وما كوله ومشروبه . فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص ، وعلاج خاص . ووزا به من الدين أن كل عيب فليس ينل كل شهوة ، وارتكاب كل ذنب ، بل لكل . ومن ذنب مخصوص ، أو ذنوب مخصوصة ، وبما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ، ثم إلى العلم بأفاتها وقدر ضررها ، ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ، ثم إلى العلم

بكيفية تكلفه ما سبق منها ، فهذه علوم يخص بها أخوة الدين ، وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب ، وهو العالم ، وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب ، فعلى العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكلم كل عام بإيهم أو لمدة ، أو محلة ، أو مسجد ، أو مشهد فيعلم أهله دينهم ، ويعلم ما يضرهم عما يفهمهم ، وما يشقيهم عما يسعدهم ، ولا ينسى أن يصير إلى أن يسأل عنه ، لئلا ينفي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه . فإنهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم ، بل كانوا ينادونهم في محامهم ، ويدورون على أبواب دورهم في الأنداء ، ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم . فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم . كما أن الذي طهر على وجهه مرض ولا مرآة معه ، لا يعرف بمرضه ما لم يُعرفه غيره . وهذا فرض عين على العلماء كافة

وعلى السلاطين كافة أن يرتوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا ، يعلم الناس دينهم فإن الحق لا يولدون إلا جهلا ، فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع والديار دار المرضى ، ما ليس في بطن الأرض إلا ميت ، ولا على طهرها إلا سقيم . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعصاة أطباء ، والسلاطين موأم دار المرضى . فكل مريض لم يقل العلاج عنداوة العالم ، يسد إلى الداء أن ليكم شره ، كما يسلم الطبيب مريض الذي لا يحتسى ، أو الذي غلب عليه الحنون ، إلى القتم ليقبده بالسلاسل والأغلال ، ويحكم شره عن نفسه وعن سائر الناس . وإعداد مرضى القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث عاين : أحدهما : أن المريض به لا يدري أنه مريض

والثانية : أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم . بخلاف مرض البدن ، فإن عاقبته موت مشاهد . تنفر الطبائع منه ، وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القاب ، وهو غير مشاهد في هذا العالم ، فقلت العرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها . فلذلك تراه يتكل على فصل الله في مرض القاب ، ويحتج في علاج مرض البدن من غير اتكال

والثالثة : وهو الداء العضال فقد الطبيب . فإن الأطباء هم العلماء ، وقد مرصوا في هذه الأعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا إلى إعواء الخلق ، والإشارة عليهم بما يزيد مرضا . لأن الداء المهلك هو حب الدنيا

هذه أمثلة
مرض القلوب
على مرض
البدن

وقد غاب هذا الداء على الأطباء ، فقد يقدروا على تحذير الخلق منه ، استغفاراً
من أن يقلل الله . فإياكم تأمرون بالصلاح وتمنون أنتمسكم . وهذا السبب عم على الخلق
الداء وعظم الوباء ، واتقطع الدواء ، وهلك الخلق بمقدار الأطباء . بل اشتغل الأطباء ، فنون
الإعواء ، فليتهم إذ لم ينصحوا لم ينشوا . وإذ لم يصلحوا لم يفسدوا . وليتهم سكتوا
ومناطقوا . فإياهم إذا تسكعوا لم يسموا في مواعظهم إلا ما يرغب المومنين ، يستميل قلوبهم .
ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالرحاء . ونمايب أسباب الرجاء . وذكر دلائل الرحمة ، لأن
ذلك الذي في الأنعام ، وأحس على الطباع . فتصرف الخلق عن محال الوعظ وقد استعدوا
مريد حراة على المعاصي ، ومريد ثقة بعقل الله ومهما كان الطبيب حـ هـ لا أو خائفاً أهـ لك
بالدواء حيث يضعه في غير موضعه ، والرحاء والخوف دواء ، واسكن شخصين متصادي
العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدين بالكلية . وكلف نفسه مالا تطيق ،
وضيق العيش على نفسه بالكلية . فتكرر سورة سراه في الخوف بتكرار أسباب
الرجاء ، ليعود إلى الاعتدال .

وكذلك المصير على الذنوب ، المشهى ناتوة ، المتسع عما يحكم القنوط واليأس استعظاماً
لذنبه التي سبقت . يمح أيضاً بأسباب الرجاء ، حتى يطعم في قول التوبة فيتوب
فأما معالجة المفرور المسترسل في المعاصي بتكرار أسباب الرجاء ، فبعضها معالجة المحرور
بالعمل طلباً للشفاء . وذلك من داء الجهل والأعياء . فبدأ فساد الأطباء هي المعضلة الزباء
التي لا تقبل الدواء أصلاً . فإن قلت : فذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في
طريق الوعظ مع الخلق . فأعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه . نعم نشير إلى
الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار ، وحمل الناس على ترك الذنوب . وهي أربعة أنواع
الأول : أن يذكر مافي القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والمعاصين ، وكذلك ماورد
من الأخبار والآثار . مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم طلع فجره ولا آيلة

طريق الوعظ

ذكر آيات
الأنبياء
المخوفة

(١) حديث ما من يوم طلع فجره ولا آيلة غاب شفقها إلا وملك يخطويان أربعة أصوات يقول أحدهما
يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا - الحديث - عزب ثم حدهمك وروى أبو منصور الديلمي في مسند
المردوس من حديث ابن عمر سعد صعب أن لله ملكا ينادي في كل ليلة أبناء الأربعين زرع
قد بدا حصده - الحديث - يوبى بت الخلاق لم يخلقوا وليتهم ادخلوا علما لما دخلوا فمخالوا
بينهم فتداكروا - الحديث :

خلف العلم والحكمة ، وورثه كل عالم تقدر ما أصابه

ذكر حكايات
فروسيه
الأنبياء
والأولياء

الموع الثاني حكايات الأنبياء والسلف الصالحين ، وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم . فذلك شديد الوقع ظاهر البمع في قلوب الحق . مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه ، ومالقيه من الإخراج من الجنة ، حتى روي أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلال عن حسده ، وبدت عورته ، فاستجيا الناح والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه ، فجاء جبريل عليه السلام . فأخذ التاج عن رأسه ، وحل الإكليل عن جبينه . ونودي من فوق العرش اهبطا من جوارى فإنه لا يخاورني من عصاني . قال قالت آدم إلى حواء ما كيدا وقال . هذا أول شؤم المصيبة ، أخرجنا من جوار الحبيب

وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام ، لما عوقب على خطيئته لأجل المثال الذي عهد في داره أربعين يوما ، وقيل لأن المرأة سأته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بن أحب بقية أن يكون الحكم لأبيها على حسمه لمكافأته . فسلم مسكه أربعين يوما ، وهرب تنها على وجهه . وكان يسأل سكه فلا يطعمه فإذا قال أطعموني فإني سليمان ابن داود شح ، وطرد دوسرب ، وحكي أنه استطعم من بيت لامرأته فطرده وبعثت في وجهه . وفي رواية أخرحت عجوز جرة فيها ول فصدته على رأسه . إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الحوت ، فلبسه بعد انقضاء الأربعين أيام العقوبة قال خذت الطيور فمكفت على رأسه ، وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله . فاعتذر إليه بعض من كان حى عليه . وقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل . ولا أحمكم في عذركم الآن . إن هذا أمر كان من السماء ولا دممه . وروي في الإسرائيليات أن رجلا تروح امرأته من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه ، وراودته نفسه وطأبته بها ، فجاهدها واستعصم . قال فبأه الله بركة تقواه ، فكان نبيا في بني إسرائيل . وفي قصص موسى عليه السلام ، أنه قال للخضر

عليه السلام . سم أظعنك الله على علم الغيب ؟ قال برك المعاصي لأهل الله تعالى

وروي أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام . فطير إلى قيصه نظرة ، وكان جديدا ، فكأبه أعقبه . قال فوصعته الريح فقال لم فعلت هذا ولم أمرك ؟ قالت إنما طيعتك إذا أظمت الله وروي أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام ، أن ترى لم فرقت بينك وبين ولدك

يوسف؟ قال لا. قل لقولك لإخوته أحاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه عافون لم خفت عليه الذئب ولم ترجى؟ ولم نظرت إلى عقلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له؟ وتدرى لم رددته عليك؟ قال لا. قل لأنك رحوتني وقلت (عسى الله أن يثني سهة خيماً^(١)) وبعافات (اذهوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا^(٢)) وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك (اذكرني عند ربك^(٣)) قال الله تعالى (فأناؤه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين^(٤)) وأمثال هذه الحكايات لا تحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار وزود الأسفار. بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار، لتعلم أن الاندياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار، فكيف يتجاوز عن غيهم في الذنوب الكبار، نعم كانت سعادتهم في أن عو حلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة. والأشقياء يملأون أيردادوا إثماء، ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر، فمذا أيضاً مما ينبغي أن يسكثر جسمه على أسمع المصرين، فإنه يقع في تحريك دواعي التوبة

ذكر نعيم
عقوبة
الذنوب في
الدنيا

النوع الثالث: أن يقرر عدم أن تعين العقوبة في الدنيا متوهم على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المسائب هو بسبب خطيئته. فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة، ويخوف من عقوبة الله في الدنيا أكثر أمرط جهته، فيبغى أن يخوف به، فإنه الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر. كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام. حتى أنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه. وقد تسقط منراته من القلوب ويستولي عليه أعداؤه. قال صلى الله عليه وسلم^(٥) «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُخْرَمَ الرِّزْقُ بِالدُّنْبِ يُحْسِنُهُ» وقال ابن مسعود إني لأحسب أن العبد يشي العلم بالذنب يصيبه وهو معي قوله عليه السلام^(٦) «مَنْ قَارَفَ دُنْبَهُ فَرَقَهُ عَقْلُ لَيْحُودٍ إِلَيْهِ أَبَدًا» وقال بعض السلف: ليست الامة سو دا في الوجة. ونقص في المال. إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله

(١) حديث أن العبد ليحرم الرزق بسبب خطيئته. ابن ماجه والحاكم ومصحح اسناده والامط له الآية قال الرجل

يدل العبد من حديث يونس

(٢) حديث من قارب دُنْبَهُ فَرَقَهُ عَقْلُ لَيْحُودٍ إِلَيْهِ أَبَدًا: تقدم

(٣) يوسف: ٨٣ (٧) يوسف: ٨٧ (٣، ٤) يوسف: ٤٢

أو شرمه ، وهو كما قال . لأن اللعة هي الطرد والإبعاد ، فإذا لم يوفق للخير . ويسر له الشر فقد أبعد . والخرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان . وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف ، فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المكرين للذنوب ، ومن مجالسة الصالحين . ليعتقه الله تعالى ليعتقه الصالحون . وحكي عن بعض المارقين أنه كان يمشي في الوحل حاملاً ثيابه ، محترراً عن راقية رجله . حتى رقت رجله وسقط . فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويكي ويتول . هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجابهها ، حتى يقع في ذنب وذنوبين . فعندها يخوض في الذنوب خوفاً . وهو إشارة إلى أن الذنب تتمحل عقوبته بالانحرار إلى ذنب آخر . ولذلك قال العنبري : ما أسكرت من تغيير الزمان وجفاء الإخوان ، فذنوبك ورتبتك ذلك . وقال بعضهم : إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء حالي حماري وقال آخر : أعرف العقوبة حتى في فأر بيتي . وقال بعض صوفية الشام : نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه ، فوقفت أنظر إليه . فمر بي ابن الجلاء الدمشقي ، فأخذ يدي فاستحييت منه . فقلت يا أبا عبد الله ، سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة ، وهذه الصنعة المحسنة ، كيف خلقت للآسار . فغمز يدي وقال : اتجبدن عقوبتها بدم حين . قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني : الاحتلام عقوبة . وقال : لا يفوت أحدا صلاة جماعة إلا نذب يديه . وفي الخبر ^(١) «مَنْ أَنْكَرْتُمْ مِنْ زَمَانِكُمْ فَمَا عَنْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» وفي الخبر ^(٢) «وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ ذِي مَأْصُغٍ الْعَبْدُ إِذَا أَمَرَتْهُ شَهْوَتُهُ عَلَى طَاعَتِي أَنْ أُخْرِمَهُ الْبَيْتُ مَا حَاتِي»

وحكي عن أبي عمرو بن عاون في قصة يطول ذكرها . قل فيها : كنت قائماً ذات يوم أصلي ، فحاصر قلبي هوى طارئة ففكرتني ، حتى تولد منه شهوة الرجال . فوقعمت إلى الأرض ، واسود جسدي كله ، فاستترت في البيت ، فلم أخرج ثلاثة أيام . وكنت أعالج غسائه في الحمام بالصانون ، فلا يرداد إلا سوادا . حتى اكشفته مذ ثلاث فلقيت الجسد ، وكان

(١) حديث ما أنكرتم من زمامكم فيما أنكرتم من أعمالكم : البهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء وقال عريب : مرده هكذا القلي وهو عبد الله بن هانئ * قلت هو محمد * كتب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أهديت بواسطيل

(٢) حديث : قال تعالى ذل من أضع ما بعد : آثار شهوة هي ماضية في أخروية منه مدحج . عريب م حده

قد وجه إلى فاشخصني من الرقة . فلما أتيت قال لي : أما استحييت من الله تعالى ؟ كنت قاعاً بين يديه ، فساورت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى ؟ فقلوا أنى دعوت الله لك ، وتمت إليه عملك ، للقيت الله ذلك اللون قال فعميت كيف علم بذلك وهو بعداد وأنا بالرقة . واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا وبسود وجه قلبه . فإن كان سعيداً أظهر السواد على ظاهره ليترجر . وإن كان شقيماً أحنى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار . والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا ، من الفقر ، والمرض وغيره . بل من شؤم الذنب في الدنيا على الحلة أن يكسب ما عده صهته . فإن ابتلى بشيء كان عقوبة له ، ويحرم جميل الرق ، حتى يتضاعف شدة ثم وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ، ويحرم جميل الشكر . حتى يعاقب على كفره ، وأما طمأنينة من ركع طاعته أن تكون كل نعمة في حقه حراء على طاعته ، ويوفق لشكرها وكل بنية كهارة لذنوبه ، وزيادة في درجاته .

الدوع الرابع . ذكر ما ورد من المقومات على آحاد الذنوب ، كالخمر ، والزنا ، والسرقة ، والقتل ، والعيبة ، والسكر . والحسد . وكل ذلك مما لا يمكن حصره . وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه . بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق . فيستدل أولاً بالنقص ، والسحنة . ووجوده الحركات ، على المال الباطنة . ويستغل بملاجها ، ويستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات ، وينمرض بما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ^(١) حيث قال له واحد : أوصني يا رسول الله ولا تكثر علي . قال : « لا تمصب » ^(٢) وقال له آخر . أوصني يا رسول الله . فقال عليه السلام : « عديت بالأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو أنتي وإيّاك والضعف فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة وودع وإيّاك وما يُعْتَدَرُ منه » وقال رجل لمحمد بن واسم : أوصني . قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال وكيف لي بذلك ؟ قال الزم الزهد في الدنيا . فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول بحايل العصب فهماء عنه . وفي السائل الآخر بحايل الطمع في الناس وطول الأمل . ونحيل محمد بن واسم في السائل بحايل الحرص على الدنيا . وقال رجل لمعاذ

ذكر حدود
الذنوب
والدفع
له الوعبر

(١) حديث قال رجل لأوصني ولا تكثر علي قال لا تمصب . معناه

(٢) حديث قال له آخر أوصني قال عليك بالأس - حديث ابن ماجه والحاكم وقد تقدم

أوصی فقال . کر رجباً کن لك الحاجة رجباً فكأنه تفرس فيه آثار المظاطة والمظاطة
وقال رجل لإبراهيم بن آدم أوصني فقال : إياك والناس ، وعليك بالناس ، ولا بد من
الناس ، فإن الناس هم الناس . وإيس كل الناس بالناس ذهب الناس ، وفي الناس
وما أراهم بالناس ، لعمري في ماء الناس فكأنه تفرس فيه آفة المحالطة وأخبر عما كان هو
الغالب على حاله في وقته . وكان الغالب أداء بالناس . والكلام على قدر حال السائل .
أولى من أن يكون بحسب حال القائل . وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها
أن اكتبني لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري وكتبت إليه من عائشة إلى معاوية ، سلام
عليك . أما بعد ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ^١ « من التمس رضا الله
سحط الناس كراهة الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله رضا الناس وكلاه الله
إلى الناس » والسلام عليك ، فانظر إلى فقها كيف تعرضت الآفة التي تكون الولاية
بمقدورها ، وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت إليه مرة أخرى أما بعد ، فانق
الله ، وإياك إذا اتقيت الله كرهك الناس ، وإذا اتقيت الناس لم يعواذك من الله شيء والسلام
فإذا على كل أصبح أن يكون عيانه مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية ، وتوسم الأحوال
اللائقة ، ليكون اشتغاله بهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة
والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان

فإن قلت فإن كان الواعظ يتكلم في جمع ، أو سأل من لا يدري باطن حاله أن يعظه ،
وكيف يفعل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه
إما على العموم ، وإما على الأكثر فإن في علوم الشرع أعذية وأدوية ، فالأعذية للكافة
والأدوية لأرباب العذل ومثاله ما روي أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري . أوصني . قال
عليك بتقوى الله عز وجل ، فإنها رأس كل خير وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام .
وعليك بالقرآن فإنه نور لك في أهل الأرض . وذكر لك في أهل السماء . وعليك بالصمت
إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل لأحسن أوصني . فقال . أعز أمر
الله يترك الله . وقد لقمان لابنه يا بني ، زاحم العلماء بركبتك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ،

(١) حديث عائشة من التمس رضا الله سحط الله وكلاه الله إلى الناس - الحديث : الترمذي والحاكم

وفي مسند الترمذي من لم يسم

وخذ من الدنيا لئلا يترك . وأتق فضول كسبك لا خسرانك ، ولا ترقص الدنيا كل الرقص فتكون عبثا ، وعلى أعناق الرجال كلاً . وصم صوما يكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر بصلاحتك . فإن الصلاة أفضل من الصوم . ولا تجالس السفهاء ، ولا تتخالط ذا الوحمة . وقال أيضاً لابنه ماني ، لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش في غير أرب . ولا تسأل عما لا يعنيتك ، ولا تشبع مالك وتصلح مال غيرك ، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني . إن من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يعم ، ومن يقل الشر يآثم ومن لا يملك لسانه يندم . وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيت غنيمة ولزمه . وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيت مصيدة فاحتذنه ، وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصني . فقال : كن ساعدا ولا تكن غصنا . وكن قاعا ولا تكن ضرابا . وانزع عن الحاجة . ولا تمش في غير حاجة ، ولا تضحك من غير عجب ، ولا تعير الخطئين بخطيئهم ، وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني . فقال : احتهد في رضا حائقت بقدر ما تحتمد في رضا نفسك . وقال رجل لحامد الله أوصني . فقال : اجعل يدك غلافا كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات . ولوم أعلام الدين قال ترك طاب الدنيا إلا ما لا بد منه ، وترك كثرة الكلام إلا فيما لا بد منه . وترك غناطة الناس إلا فيما لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أما بعد ، خف مما خوفك الله ، واحذر مما حذر الله ، وخذ مما في يدك لما بين يديك . فعند الموت يأتيك الحسب اليقين والسلام . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه ، فكتب إليه أما بعد . فإن الهول الأعظم والأمور المصعقات أمامك ، ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالمعطب . واعلم أن من حاسب نفسه ربح ، ومن عصى غم خسر ، ومن نظر في العواقب نجح . ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غم ، ومن خاف أمن ، ومن آمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم . فإذا رللت فارجع ، وإذا ندمت فأتق . وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فإن الدنيا دار عقوبة . ولها جمع من لا عقل له ، وبها يعترس من لا علم عنده . فكن فيها يأمر المؤمنين كالمدوي جرحه ، بصير على شدة الدوام لما يخاف من عافية الداء

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن أرطاة . أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله . فأما أوليائهم فمعهم . وأما أعداؤهم فمفرتهم .

وكتب أيضا إلى بعض عماله . أما بعد ، فقد مكنتك القدرة من ظلم العباد ، فإذا هممت بظلم أحد فادكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لا تأتي في الناس شيئا ، إلا كان رافقا عليه ، ما فيا عليك . واعلم أن الله عز وجل آخذ المظالمين من الظالمين والمسلمين .

فكذلك ينبغي أن يكون وعظ العامة ، ووعظ من لا يدري خصوص واقفته . فهذه المواعظ مثل الأعززة التي تشترك الكافة في الاتية بها . ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ الخمسم باب الابعاض ، وعنت الله صبي ، واستمرى الفساد . وبلى الحق بوعاظ يزخر فون أسجعا ، ويشدون أوتار . ويكفون ذكر الناس في سمة عليهم ، ويتشبهون بحال عرج . فسقط عن قلوب العامة وقارهم ، ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب .

القل متصف ، والمستمع متكاف . وكل واحد منهما مذكر ومتخلف . فإذا كان طالب الطبيب أول علاج المرحى ، وطالب العلماء أول علاج العاصي . فهذا أحد أركان العلاج وأصوله الأصل التي الصبر ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لسأله ما يضره . وإما تناول ذلك إما لعفته عن مضرته ، وإما لشدة غلبته شهوته . فلهذا ذكرناه هو علاج العفة ، فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاشية أن المريض إذا اشتدت صراوته لما كول مصر ، فطريقه أن يستشعر عظم صرره ، ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحصره ، ثم ينسى عنه عما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره . ثم صدر بقوة الخوف على الألم الذي ياله في تركه . فلا بد على كل حال من مرارة الصبر . فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشباب مثلا إذا غلبته الشهوة . وصار لا يقدر على حفظ عينه ، ولا حفظ قلبه ، أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فيبغي أن يستشعر صرر ذنبه ، بأن يستقرى المحرمات التي جاءت فيه من كتب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فإذا شتد خوفه تبعه من الأسباب المهيجة لشهوته . ومبيح الشهوة من خارج . هو حصول المشتى وأمر إليه ، وعلاجه الحرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم الدائم . وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ،

م ٤ : ثلث عشر - إحياء

ولا بصير إلا عن خوف ، ولا يخف إلا عن علم ، ولا يد إلا عن صدقة وفكر . أو عن سماع وتقليد . فأول الأمر حضور مجلس الذكر ، ثم الاستماع من قسب مجرد عن سائر الشوائع ، مصروف إلى السماع . ثم التفكير فيه لتم الفهم ، ويحدث من ثم ما لا يحل له خوفاً وإدا قوي الخوف تيسر سمواته الصبر ، وابتعثت له وهي طلب العلاج ، وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك . فمن أعطى من فيه حسن لإصغاء ، واستشعر الخوف ، حتى وانظر الثواب ، وصدق بالحسنى ، فببصره الله تعالى للدمري ، وأما من نحن واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فببصره الله للدمري ، فلا يبقى منه ما شغل به من بلاد الدنيا ، هه هه هه وتردى . وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى . وإنما الله الآخرة والأولى

فإن قالت ، فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان . لأن ترك الذنب لا يمكن ، إلا بالصبر عليه والصبر لا يمكن إلا معرفة الخوف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم ، والعلم لا يحصل إلا بالصدق بعظم صبر الذنوب والتصدق بعظم صبر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو لا يمان . فكان من أصر على الذنب لم يصبر عليه إلا لأنه غير مؤمن ، وعلم أن هذا لا يكون بمقدار الإيمان . بل يكون أضعف لإيمان . إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى ، وسبب العقاب في الآخرة . ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور . أحدها أن المقاب لم يود غيب يسبح صبر ، والنفس جبلت متأثرة بالحصر ، متأثرة بالموعد ضعيف بالآخرة إلى تأثيرها بالحاضر

أبواب التفرغ
في المعاصي

الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذتها آخرة ، وهي في الحال آخذة بالخلق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتبار والأثام . والمادة طليمة خامسة ، والنزوع عن العاجل لحوف الآجل شديد على النفس . ولذلك قال تعالى (كَلَّا بَلْ تُخَيِّبُونَ الْعَاجِلِينَ) وتذكرون الآخرة ^(١) وقال عز وجل (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ^(٢)) وقد عثر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « خُمْتُ الْحَيَاةَ بِأَمْكَارِهِ وَخُفْتُ النَّارَ بِالشَّمُونَاتِ » وقوله صلى الله عليه وسلم ^(٤) « إِنَّ اللَّهَ لَمِنَ حَذَقِ النَّارِ فَقَالَ لِحَرِيرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ادْهَبْ فَأَنْظُرْ إِلَيْهَا فَصِرَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعَرَيْتَ لَا تَسْمَعُ سَمًا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَقَّقَهَا

(١) حديث جابر الخدي بنكره - الحديث : ممنوع عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث ابن أبي عمير - الحديث : أبو داود والترمذي والحاكم

وصححه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة

(٣) التمام : ٢٠ (٤) الاطى : ١٦

بالشهوات ثم قد ذهب فاضراً إليها ففطر فقال وعبرتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد
ولا دجنها وخلق الجنة فقال لجنين عيشه السلام ذهب فاضراً إليها ففطر فقال
وعبرتك لا يسمع بها أحد إلا ذحلاً فحفظها بالسكران ثم قال ذهب فاضراً إليها
فدصر إياها فقال وعبرتك لقد خشيت أن لا يذبح أحد فاداً كونه الشهوة مرهقة
في الحال، وكون العقاب متأخر إلى مال مسدود طهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان.
فليس كل من يشرب في مرحلة ماء لثاج شدة عطشه، مكذباً بأصل الطب، ولا مكذباً بأن
ذلك مضر في حقه، والسكر الشهوة ماله وأتم العدم عنه عاجز، فيهنون عليه الأمل المنتظر.

الثالث: أنه مامن مذنب مؤمن، لا وهو في الله أب عامر على التوبة، وتكميل السيئات
بالخسرات وقد وعد أن ذلك يحرم إلا أن طول الأمل سبب على الطباع، فلا يزال
يسوف التوبة والمكمل من حيث رجاءه التوفيق للتوبة، ثم يقدم عليه مع الإيمان.

الرابع: أنه مامن مؤمن مؤمن، إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إجماعاً
لا يمكن العفو عنها، فهو يذنب ويستطر العفو عنها اتسكالا على فضل الله تعالى.

فهذه أرباب أربعة موحية للإصرار على الذنب، مع بقاء أصل الإيمان، نعم قد يقدم
المذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه، وهو كونه كافياً في صدق الرسل، وهذا
هو الكفر. كالذي يحذر الطب عن تناول ما يضره في المرض، فإن كان المخذر ممن
لا مقد فيه أنه عالم بالصواب، فيكف به أو يشك فيه، ولا يبنى به. فهذا هو الكفر.

الفكر القبيح
وراء التورع
في المعاصي

فإن قلت: فإصلاح الأسباب أحسن؟ فأقول هو المكر وذلك بأن يقرر على نفسه في
السبب الأول، وهو تأخر العقاب، أن كل ما هو آت. وأن عدا لدا طرين قريب،
وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شركائه، فما يدريه لعل الساعة قريب، والمتأخر إذا
وقع صار آخراً. وتذكر نفسه أنه إذا في دنياه يتعب في الحال لحوف أمر في الاستقبال.
إد يركب البحار، ويقالى الأسفار، لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثلثي
الحال. بل لو مرض فأحضره طبيب نصراني أت شرب الماء البارد يصره ويسوقه إلى
الموت، وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه، مع أن الموت أله لحظة إذا لم يحف
مأخذه، ومفارقة الدنيا لا يدمى. فكيف نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزل وأبداً؟
فستطر كيف يادر إلى ترك مولده بقول ذمي لم تقم معجزة على طبعه. فيقول: كيف يطبق

يعقلى أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمحجرات عندي ، دون قول نصرائى يدعى الصب
لنفسه بلا معجزة على طئه ، ولا يشهد له إلا عوام الحق ، وكيف يكون عذاب النار عندي
أخف من عذاب المرض ، وكل يوم في الآخرة مقدر خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ،
وهذا العكر بعينه يصاح المذبة عليه . ويكاتب عنه تركه ، أو يقول إذا كنت لا تقدر على
ترك لذائذ أيام لعمر وهى أم فلائى ، فكيف أقدر على ذلك أبداً مادون . كنت لا أطيق لم الصبر ،
وكيف أطيق ألم النار ، وإذا كنت لا أقدر عن رحمة الديار مع كدوراتها ، وتفصصها ، وتزجج صهوها
ككدرها . فكيف أقدر عن بعيم الآخرة . وأما سويب التوبة فيما ألجأه بمكر فى أن أكثر صياح
أهل الدار من التسويب ، لأن المسوف بنى الأمر على ما ناس اليه ، والمقاء فله لا يبقى وإن فى فلا
يقدر على البراءة ، كما لا يقدر عليه أيوم فليت شعري هل عجز فى الحال ، لا لعلمة الشهوة والشهوة
ليست تفارقه غداً ، تنضج ، يدتنا كد ما لا عتياد . فليست الشهوة التى أكدها الإنسان
بأه دة كالتى لم تؤكد . وعن هذا هلك المد وفون . لأنهم يطوفون المرق بين التماسين ولا يطون
أن الأيام ، تشبه فى أن ترك الشهوات فيه أنداشق ، وما من المـوف . لا مثال من احتج إلى قلع
شجرة فزأها قوية لا تنقلع إلا شقة شديدة . فقل . أو حرهسة نأعود إليها ، وهو يعلم أن
الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما مال عمره ازداد صممه . فلا حكمة فى الدنيا
أعطاه من حماسته ، إذ عزم مع قوته عن قوة صميم . فأخذ يصبر العبه غايه إذا
صعب هو فى هسه وفوى الصميم . وأما المسمى الرابع ، وهو اسطر عمو الله تعالى ،
فملاجه ما سبق . وهو كمن يهتق جمع أمواله ويترك هسه وعياله فقراء . منظر من منزل
الله تعالى أن يردقه المثور على كبر فى أرض خربة . فإن إمكان العفو عن الذب مثل هذا
الإمكان . وهو مثل من يتوقع النهب من الظالمة فى لده ، وترك دخائر أمواله فى صحن
داره ، وقدر على دفعها وإخفاها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسقط عملة
أو عقوبة على الظالم الناهب ، حتى لا يتفرغ إلى دارى ، أو يد انتهى إلى درى مات على
باب الدار . فإن الموت ممكن ، والمعملة ممكنة ، وقد حكى فى الأسمه ر أن مثل ذلك وقع . فأنا
أنتظر من فضل الله مثله . أنتظر هذا منتظر أمر ممكن ، ولكنه فى غاية الخفة والجهل .
إد قد لا يعكس ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كهر وعلاجه الأسباب التى
تعرفه صدق الرسل . وذلك طوب . وانكس يمكن أن يعالج علم قريب يبين بحد عقاه

فيقال له . ما قاله الأنبياء المؤدبون بالمعجزات هل صدقه ممكن ؟ أو تقول أعلم أنه محال ، كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة ؟ إن قال أعلم استحالة كذلك فهو أحرق معتوه ، وكأنه لا وجود لمن هذا في العقلاء . وإن قال أنا شك فيه فيقال : لو أخبرك شخص واحد بمجهول . عند تركك طعامك في البيت لحظة . ثم وامت فيه حبة ، وألفت سمها فيه . وحورت صدقه ، فمن تكلمه وتبركه ، ومن كان ألد الأطماع ؟ فيقول أنكره لا محالة . لأنني أقول إن كذب فلا يموتني إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب ، وإن صدق فتموتني الحية ، والموت بالإنفة إلى ثم انصه عن الطعام وبصاعته شديد . فيقال له : يا سبحان الله . كيف تؤخر صدق الأديء كلام ، مع إظهار لهم من المعجزات . وصدق كافة الأوباء ، والملاء ، والحكماء . من جميع أصناف العقلاء ، واستأعنى بهم جهال العوام بل ذوى الأناب ، عن صدق رجل واحد بمجهول ، لعل له عرصا فيما يقول . وليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر ؛ وأثبت ثوابا وعقبا ، وإن احتلفوا في كميته ، فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقئ أبد الآباد وإن كذبوا فلا يموتك إلا امض شهورات هذه الدنيا القليلة المكثرة ولا يبقئ له توقف إن كان عافا لمع هذا الفكر إلا نسبة هذه العمر إلى أيدى الآباد . ولو قدر الدنيا مملوءة بالدرة . وقدر طائر يلقط في كل ألف سنة حبة واحدة من الدرة . ولم يقص أمد آتيا شديدا . فكيف يبرر رأى العاقل في الصبر عن الشهوات ما به سنة مثلا . لأجل سماده يبقئ أبدأ الآباد ولذا قال أول الملاء أحمد بن سليمان التبرخي المعري

قال المصم والضبيب كلاهما لا يثبت الأموات قلت إياكما

إن صح قولك فليست بخسر أو صح فولي الخسار عليكما

وإدراك ذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقاه عن فهم تحقيق الأمور . وكان شكا . إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا . وإلا فقد تحلصت وهلكت أي العاقل . ذلك صديق الأمن في جميع الأحوال . فثبت . هذه الأمور جلية ، وأكسها يستحال إلا بالفكر . فإمال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلت ، وما علاج القلوب لردّها إلى الفكر . لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها . وشذائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن العيم المقيم . وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب . فيمر القلب عنه ، ويهدد بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة

والثاني أن الفكر شغل في الحال ما عدا من لدن الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله. وعسى من أمثاله شهوة فتدسّط عليه واسرقه، فصار عقله مسخرًا لشهوته، فهو مشغول بتدبير حياته، وصارت لذته في طلب الحية فيه وفي مهنة قضاء الشهوة؟ والفكر ينميه من ذلك. وأما علاج هذين المصعبين. فهو أن يقول لنفسه: ما شدة عذاب في الاختيار من الفكر في الموت وما بعده، ثم يذكره مع استحالة رآل موافقته فكيف تصبر على موافقته إذا وقع، وأنس عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده، ومتألم به!

وثالثه وهو كون الفكر موصوفًا بصفات الدنيا، فهو يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم من لا آخر لها، ولا كدورة فيها، وذات لذتها سريعة الدور، وهي مشوقة بامسكذات ثم يهاجمه حافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعصية والإفعل على الطاعة بددت حبه شتى، واستراحة معرفته، وناعته، ودول الأسى، ولولم يكن للطمع حراء على عمله إلا ما يخدمه من حارة الطاعة، وروح الأسى عداوة الله، ليكن ذلك كافيا فكيف، يضاف، به من حبيب الآخرة، نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء النوبة، واسكنها بعد ما يصبر عيب، مدة مديدة، وقد صار الخير ديدناه، كما كان الشر ديدنا، وللمن قابلة ما عودتها تعود، والخير عادة، والشر حاجة

وبد هذه الأفكار هي المهيئة لاحول المخرج لقوة انصر عن اللذات، وهذه الأفكار وعط الوعامة، وسميت تقع للقلب أسباب تنفق لا تدخل في الحصر. فبعض الفكر موافقا للطبع. فبعض القلب يبه. ومنه عن السبب الذي وقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالموفق. إذ التوفيق هو الذي يبين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة. وقد روي في حديث طويل، أنه قام عمار بن ياسر فقال لعيسى بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الكفر على ماذا نبي فقال عيسى رضي الله عنه: نبي على أربع دعائم. على الحياء، والعلم، والعفة، والشك. فمن جفا انحقر الحق. وحرر بالباطل. ومقت العبد. ومن عصى سي الذكر. ومن عمل حاد عن الرشيد. ومن شئت عرته الأمانى فأخذته الحسرة والدمامة. ودله من الله ما لم يكن يحسب ثم اذكره ما لبعض آفئ النفقة عن التمسك. وهذا التقدر في التوبة كاف. وإذا كان الله ركة من إركاب دول النوبة فلا دس. يا الله. فنذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى

كِتَابُ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ

كتاب الصبر والشكر

وهو الكتاب الثاني من ربيع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل الحمد والثناء . ثمرد مرداء الكبيرياء ، المنوحد بعصمت المحمد والعلاء . الوؤد
صمودة الأولياء قوة الصبر على السراء والضراء ، والشكر على البلاء والنعماء والعصاة على
محمد سيد الأنبياء . وعلى أصحابه سادة الأصفياء . وعلى آله قادة البررة لأقبياء ، صلاة محروسة
بالدوام عن الفناء ، ومعصومة بالتماعف عن التصرم والافتضاء .

أما بعد : فإن الإيمان حصن نصف صبر ونصف شكر . كما وردت به الآثار ، وشهدت
له الأخبار ^(١) . وهم أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى ، واسمان من أسماءه الحسنى ، إذ
سمى نفسه صبورا وشكورا . فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان .
ثم هو عملة عن وصفين من أوصاف الرحمن - لا - بيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى
إلا بالإيمان . وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة مائة الإيمان ، ومن به الإيمان
والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر . فعد عن معرفة من به الإيمان ، وعن إدراك مائة الإيمان
فأحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان . ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد
لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى

السطر الأول

في الصبر

وفيه بيان فضيلة الصبر ، وبيان حده وحقيقته . وبيان كونه نصف الإيمان ، وبيان
اختلاف أساميته باختلاف متعلقاته . وبيان أساميته بحسب اختلاف القوة والضعف ،
وبيان مظان الحاجة إلى الصبر ، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه . فهي سبعة فصول
تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى

(كتاب الصبر والشكر)

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر . ثم مذكور المسمى في مسند الفردوس من روايته يزيد
أرقاشي عن أنس ويحيى بن سعيد

بيان

فضيلة الصبر

قد وصف الله تعالى الصبرين بأوصاف. وذكر الصبر في القرآن في سبعين موضعاً. وأصاف أكثر الدرجات والخبرات إلى الصبر وحماتها ثمرة له فقال عز من قائل (وَحَمَلْنَا مُّهِمُّهُمْ أَنَّهُ يَهْتَدُونَ بِأَمْرِهِمْ) (١) وقال تعالى (وَتَحْتِ كَلِمَةٍ رَّكَتِ الْحُسْنَى عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ تَنَاصَرُوا) (٢) وقال تعالى (وَالْمُخْرِجِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أُخْرِجَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ) (٣) وقال تعالى (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّةً ثَلَاثِينَ تَنَاصَرُوا) (٤) وقال تعالى (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٥) فما من قرينة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر. ولأجل كون الصوم من الصبر، وأنه نصف الصبر، قال الله تعالى الصوم لي وأنا أحرى به. فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعده الصابرين بأنه معهم فقال تعالى (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٦) وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَتَّقُوا وَتُؤْتِكُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ هَذَا يُتَدَكَّرُكُمْ رَأْسُكُمْ بِحِمَاةٍ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (٧) وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها غيرهم، فقال تعالى (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهَدُونَ) (٨) ولهدى. والرحمة، والصلوات، مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطول

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم (٩) «الصَّابِرُ نَصَبُ الْإِيمَانِ» على ماسياتي وجه كونه نصيباً وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) «مَنْ أَقْبَلَ مَا أَوْثَقَهُ الْيَقِينُ وَغَرِيَّةُ الصَّابِرِ وَمَنْ أُعْطِيَ حِفْظَهُ هُمَا لَمْ يَنْالْ عَاقِبَتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ وَلَئِنْ تَصَبَرُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُؤَاقِبِي كُلُّ أَمْرٍ يَنْتَكِلِيكُمْ بِثَلَاثِ عَمَلٍ يَجِيءُكُمْ

(١) حديث الصبر ص ١٤٨. أبو يعقوب والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم

(٢) حديث من قبل ما وبيهم اليقين وعريئة الصبر - أخذت بطوله تقدم في العلم عصرهم وأحد هكدا بطوله

(٣) السجدة : (٢) الأعراف : ١٢٧ (٤) المل : ٩٦ (٥) القصص : ٥٤ (٦) الزمر : ١٠ (٧) الأنفال : ٤٦

(٨) آل عمران : ١٢٥ (٩) الفرة : ١٥٧

والكتب أحفاداً لن تُفزع عليكم» انتهى فيذكر عَصْرَكُمْ قَصاً ويذكر لكم أهل
السماء عند ذلك فمن صبر وحسن صبركم وأبى ثم قرأ قوله تعالى (مَاعِندَكُم
يُنْفَذُوهُ) عند الله الحق والحر من الذين صبروا وأُجِرْهُمْ^(١) الآية

وروى^(٢) حارث بن أسد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وقال
أيضاً^(٣) «الْبِرُّ كَثْرَةُ مِنْ كَثُورٍ حَسَنٌ» وروى مرة ما يدين فقال «الصَّبْرُ» وهذه
يشبه قوله صلى الله عليه وسلم «الْحَيُّ عَرَفَةُ» معناه معظم الخلق عرفة وقال أيضاً صلى الله
عليه وسلم^(٤) «أَفْسَدُ الْأَعْمَالِ مَا تَكْرَهْتُمْ سَيِّئَةُ الْقَوْمِ»

وقيل أوحى الله تعالى في داود عليه السلام، نَحْيُ الْأَخْلَاقِ، وإبْنُ أَخِي أُنَى،
العبور^(٥) وفي حديث عطاء عن ابن عباس، لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الأعداء فقال «أَنْتُمْ يُؤْمِنُونَ» فمكتوا فقال عمر بن الخطاب رسول قال «و»، علامة
إيضا كنهة قالوا شكر على الرضاء، وصبر على البلاء، ورمى بالصفاء فقال صلى الله عليه وسلم
«يُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الْأَكْمَةِ» وقال صلى الله عليه وسلم^(٦) «فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ
خَيْرٌ أَشَدُّ» وقال المسيح عليه السلام، كما لا تدركون ما تحبون إلا صبركم على ما تكرهون.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٧) «لَوْ كَانِ الصَّبْرُ رَحْلاً لَكُنَّا كَرِبٌ» وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ «وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا لَا تَحْصِي

(١) حدث حارث بن أسد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

ووه وسلم عن محمد بن بكر عن ربه ورواه عنه في كثر من ووه عند الله ما يد

من محمد بن بكر عن ربه

(٢) حدث الصبر كثر من كثر حارث بن أسد عن أبيه وسلم

(٣) حديث عبد الله بن عمرو بن لبيد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

عن ابن عمر بن عمرو بن لبيد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

(٤) حدث حارث بن أسد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

(٥) حديث عبد الله بن عمرو بن لبيد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

هكذا روه ورواه في كتابه بحسنه يعني

(٦) حدث عبد الله بن عمرو بن لبيد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

الحديث: الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن عمرو وهو مكر الحديث عن عطاء

(٧) حديث في الصبر على ما تكره حارث بن أسد عن أبيه وسلم عن الإيمان فقال «الصَّبْرُ وَالسَّامَةِ» وإبْنُ أَخِي أُنَى،

(٨) حديث بوا الصبر رحلاً كان كربة لفظه من حديث عائشة وفيه يصح من دينار صفة العيني

وأما الآخر ، فقد وُحِدَ في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :
عليك بالصبر ، واعلم أن الصبر صبران ، أحدهما قمع من الآخر ، الصبر في المضيق حسن
وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى ، واعلم أن الصبر ثلاثة إيمان ، وذلك بأن التقوى
أفضل البر ، والتقوى بالصبر ، وقال عبيد الله بن كرم الله وجهه : بني الإيمان على أربع دعائم
اليقين ، والجهاد ، والعمل ، والرضا بالصبر من لا راحة له من جسده من الرأس
ولا جسد لمن لا رأس له ، ولا إيمان لمن لا صبر له

وكان عمر رضي الله عنه يقول : مع المداد ، ومعك العروة للبرين يعني بامدائين
الصلاة والعروة . ومع العروة الهدي ، والعروة يحمل فوق المدائين على امرئ وأشار به إلى
قوله ماى (وأثبت عبيد الله بن كرم الله وجهه وأثبت هم أنفسهم)
وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية (وأثبت هم أنفسهم) ثم أتت آية
أثبتهم (١) كي يدل وعنده نصي وأنى أى هو المعطى للصبر وهو المشى
وقال أبو الدرداء : دروه لأن الصبر للحكم ، والرب ، بقدر ، هذا بيان لفائدة الصبر
من حيث العقل ، وأما من حيث النظر من الأفعال ، فلا تنفع إلا بعد فهم حقيقة
الصبر ومعناها ، إذ معرفة الفعيلة والرغبة معرفة صفة الأخلاق من معرفة الموصوف
فلنذكر حقيقة ومعناه ، وبالله التوفيق :

بيان

حقيقة الصبر ومعناه

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ، وممر من مدارج السالكين ، وجميع مقامات
الدين إنما تنظم من ثلاثة أمور : معرفة ، وأحوال ، وأعمال ، فمعارف هي الأصول ،
وهي ثورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال ، فمعارف كالأشجار ، والأحوال
كالأعصن ، والأعمال كثمار ، وهذا مطرد في جميع مدارج السالكين إلى الله تعالى ، واسم
الإيمان آية يختص بالمعرف ، وتارة صدق على الكل ، كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان
والإسلام في كتاب قواعد العقائد . وكذلك الصبر ، لا معرفة سابقة ، وبجولة قائمة

فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمره يصدر عنها ولا يعرف هذا إلا معرفة
كيفية الترتيب بين الملائكة، والإنس - والبهائم، فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك
في البهائم والملائكة. أما في البهائم فلنقصائها، وأما في الملائكة فلنكاملها

وبيانه أن البهائم سيطت عليها الشهوات، وصارت مسخرة لها، فلا تملك لها على الحركة
والسكون إلا الشهوة، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها، حتى يسمى ثبات تلك
القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا. وأما الملائكة عليهم السلام فإنهم حردوا للشوق
إلى حضرة الروية، والانسراح بدرجة القرب منها، ولم تسلط عليهم شهوة صادرة عنها
حتى تحتاج إلى معارضة ما يصرفها عن حضرة الحلال بحمد آخر يغلب الصوراف

وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء العبادات أفعالا مثل البهيمة، لم يخلق فيه إلا الشهوة المذمومة
الذي هو محتاج إليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزيمة، ثم شهوة السكاح على التريب
وليس له قوة الصبر ألبتة، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة حشد آخر قام القتال
بينهما، لتصادم مقتضياتهما ومطالبهما. وليس في السبي إلا حشد الهوى كما في البهائم. ولكن
الله تعالى بفضله وسعة جوده. أكرم بني آدم. ورفع درجتهم عن درجة البهائم، فوكل به
عند كمال شغفه بمقاربة البلوغ المسكين، أحدهما يهديه، والآخر يقويه. فتميز بموهبة
المسكين عن البهائم، واختص بسعتين إحداهما معرفته الله تعالى. ومعرفة رسوله، ومعرفة
المصالح المتعاقبة بالمواقب. وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف. فالمهمة
لا معرفة لها. ولا هداية إلى مصلحة المواقب. بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط.
فذلك لا يطالب إلا بالذئذ. وأما الدواء النافع مع كونه مضرًا في الحال، فلا تطالبه ولا تعرفه
فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة، ولكن
لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر. فكأن من مصر يعرفه الإنسان
كالمرض الزل به مثلا، ولكن لا قدرته على دفعه. فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في بحر
الشهوات، فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه. فوكل الله تعالى به ملكا
آخر يسدده، ويؤيده ويقويه محمود لم تروها. وأمر هذا الجند بقتال حشد الشهوة فتارة
يضعف هذا الجند وارة يقوى وذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد. كما أن نور

الهداية أيضا يخفف في الخلق احتلاله لا يصبر . فندم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان
 البهائم في قمع الشهوات وقهرها بامتناع دينا . واسم مطلبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى
 ويعلمهم أن القتل قائم بين باعث الدين و باعث الهوى . والحرب بينهما سجال . ومركبة
 هذا القتل قلب العبد . ومدد باعث الدين من الملائكة الحارين لحرب الله تعالى . ومدد
 باعث الشهوة من الشياطين الحارين لأعداء الله تعالى . فالعبد عبادة عن ثبات باعث
 الدين في مقاومة باعث الشهوة . فإن ثبت حتى قهره واستمر على عمارة الشهوة . فقد نصر
 حرب الله . والتحق بالصابرين . وإن تحادل وصنف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في
 دمه . والتحق باتباع الشياطين . فيترك الأوهل المشتهة عمل يشمره حال يسمى العسر .
 وهو ثبت باعث الدين الذي هو في مدة لمة باعث الشهوة . وثبات باعث الدين حال تشمرها
 المعرفة بمقاومة الشهوات . ومصادمها لأسباب السموات في الدنيا والآخرة . فإذا قوى
 يقينه ، أعنى المعرفة التي تسمى إيمانا ، وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا للطريق
 الله تعالى ، قوى ثبات باعث الدين . وإذا قوى ثباته ، تمت الأوهل على خلاف ما تنقاد
 الشهوة . فلا يتم ترك الشهوة بلا قوة . باعث الدين المضاد لباعث الشهوة . وقوة المعرفة
 والإيمان تقمع غلبة الشهوات وسوء عاقبتها . وهذان الماك هما المكملان هذين الجدين
 بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما . وهم ، من الكرام الكاتبين . وهما الماك الموكلات
 بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الماك الهادي أعلى من رتبة الماك
 المقوى ، لم يخف عليك أن جاب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من حبيتي الدست ، يدعى أن
 يكون مسماه . فهو إذا صاحب اليمين ، والآحر صاحب الشمال . وللعبد طوران
 في العملة والمكر . وفي الاسترسال والمجاهدة . فهو بالعملة معرض عن صاحب اليمين ومضى
 إليه ، فيكتب إعراسه سيئة ، وبالمكر مقبل عليه يستفيد منه الهداية فهو به محسن ، فيكتب
 إليه له حسنة . وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسر تارك للاستعداد منه ،
 فهو به مسمى . إليه . فيثبت عليه سيئة . وبالمجاهدة مسعد من جنوده . فيثبت له به حسنة .
 وإدانت هذه الحسنت والسيئات بإثباتهما . فذلك سمي . كراما كاتبين . أما الكرام ،
 فلا مع العبد كرمهم . ولأن الملائكة كلهم كرام برة وأما الكاتبون . فلا . إياها الحسنت

والسيات وإثني كتابان في صحائف مطوية في سر القس. ومطوية عن سر القلب ، حتى لا يطلع عليه في هذا العالم ، فإنهما . وكتبتهما . وخطتهما ، وصحفتهما . وجملة ماتعن بهما من حملة عالم الغيب والمسكرات ، لا من علم الشهادة . وكل شيء من علم المسكوت لا تدركه الأنصار في هذا العالم . ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين . مرة في القيامة الصغرى . ومرة في القيامة الكبرى . وأعيى بالقيامة الصغرى حالة الموت . إذ قال صلى الله عليه وسلم (١) « من مات فقد مات قيامة » وفي هذه القيامة يكون العدو وحده وعددها قبل (وقد حثوا فرادى كما حثوا كثر أول مرة (٢) وفيها قال (كفى نفسك يومك عيبك حسرتاً) (٣) أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلق ، ولا يكون وحده . بل ربما يحاسب على ملائمة الخلق وفيها يساق المتقون إلى الجنة . والآخر . وإلى النار صرا لا أحاد . والحوال الأور هو هول القيامة الصغرى . وجميع أهول القيامة الكبرى طير في القيامة الصغرى ، مثل زلزلة الأرض مثلاً ، فإن أرضك الخاصة بك ترلزل في الموت ، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا زارت هذه صدق ثبقل قد زلزلت أرضهم . وإن لم ترلزل البلاد المحيطة بها . ل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه ، لأنه لا يتصور عند زلزلة جميع الأرض زلزلة مسكنه ، لا زلزلة مسكن غيره . فحينئذ من الزلزلة قد توفرت من سر تقعدن . واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب وحضات الحس من التراب ذلك فقط فأما من غيرك فليس تحطك . والأرض التي أنت جالس عليها بالبدنة في يدك طرف ومكان . وإما يخاف من ترلله أن يترلزل ذلك سمه . ولا فلهواء إذا مترلزل وأنت لا تخشاه . بدليس يترلزل به ذلك تحطك من زلزلة الأرض كلها . زلزلة يدك فقط . فهي أرضك وتراثك الخاص بك ، وعصاك جبل أرضك ، ورأسك سماء أرضك ، وفيتك شمس أرضك ، وسممتك ونصرك وسائر حواصلك بنجوم سممتك . ومقبص العرق من يدك بحر أرضك . وشمورك نبات أرضك . وأضرافك أشجار أرضك . وهكذا إلى جميع أجزائك . فإذا تهدم بالموت أركانك ذلك . فقد زلزلت الأرض زلزالها . فإذا انفصلت

(١) حدث من مات فقد مات قيامة . وفي رواية في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) لا سم . ٩٣ (٢) لا سم . ١٤

اعظام من لاجور . فقد حلت لأرض والحيل فكتا دكة واحدة . وإذا رمت العظام ، فقد
نسفت الحيل سم . وإذا نسفت قبلك عند الموت . فقد كورت الشمس تكورا . فإذا ظل
سمكك وصررك وسائر حواسك ، فقد اكدرت الجور . وإذا اشق دماغك . فقد
اشقت السماء اشقة . وإذا عجزت من هول الموت عرق جبك ، فقد فحرت البحار
فجورا . وإذا لمقت إحدى سميت بالأخرى وهما مضية لك ، فقد عطفت العشر تعطيل .
فإذا رمت الروح الجسد ، فقد حمت الأرض حمت ، حتى أمت . وفيه وتحت

واستحول جميع مواراة الأحوال والأهوال . وكفى أوب : بمجرد الموت تقوم
عليك هذه القيمة الصغرى ، ولا يهولك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك ، بل ما يخص غيرك
في بقية الكواكب في حق غيرك مما يفعل . وقد انتشرت حواسك التي بها تنفع بالظر
إلى الكواكب ، والأصغر يسوى عنده الدين والدار . وكسوف الشمس وانحلاؤها ، لأنها
قد كسفت في حق دمة واحدة . وهو حصه منها . ولا يخجل ، مذ ذاك حصه غيره . ومن
اشق رأسه فقد اشقت سمؤه . وإذا عمى عماره عمى إلى جهة الرأس ، فمن لأرأسه لا سمؤه .
فمن أين ينفعه بقاء السماء غيره ؟

فهذه هي القيامة الصغرى ، والخوف مداسل والبول مدد وخر وذاك إذا حوت الطامة
الكبرى ، وارتفع الخصوص ، وطأت السموات والأرض ، وسفت الحيل ، وعبت الأهوال
واعلم أن هذه الصغرى وإن صولت في وصفها ، فإنها لم تذكر عشر عشر أوصافها . وهي
بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى . وإن الإنسان
ولادتين . إحداها الخروح من الحجاب والتراتب إلى مستودع الأرحام ، وهو في الرحم
في قرار مكين إلى قدر معلوم ، وله في سلوكه إلى الكمال مزل وأطوار . من نقطة ،
وعنقة ، ومنزعة ، وغيره . إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم . فنسبة عموم
القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى ، كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم
ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا ، كنسبة فضاء الدنيا أيضا
إلى الرحم ، بل أوسع وأعظم . فليس الآخرة بالأولى ، فاختكم ولا يمشكم إلا كنفس واحدة
وما الدنيا الثاية إلا على قياس الدنيا الأولى . بل أعداد الدنات ليست محصورة في اثنتين .

والإشارة بقوله تعالى (وَتَشْكُرْكُمْ فِي لَأْمَهُنَّ) (١)

فالمقر بالقيامتين، مؤمن بعالم العيب والشهادة، وموقن باندك والمذكوت؛ والمقر بالقيامته الصعري دون الكبري ناظر بالحق الموراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال، والامضاء بالأعور الدجال في أعظم غفلك بمسكين، وكما ذلك المسكين، وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بآقية الكبري بالجهل والضلال، أملا تكفيك دلالة القيامته الصعري؛ أو ما سمعت قول سيد الآدياء "أد كمي"، لموت واعظاً، أو ما سمعت بكبريه عليه السلام عند الموت حتى قل صلى الله عليه وسلم "اللهم هوّن علي محمد سكرات الموت" أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت امضاء رجع لعافين، الذين لا يظنون، لا صيحة واحدة بأخذهم وهم يمحسون، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون، فيأتيهم المرض نذيراً من الموت فلا ينزجرون، ويأتيهم الشيب رسولاً منه فاعتبرون؛ فياحسرة على المدم ما أتاهم من رسول إلا كانوا يستهزئون أميطنون أنهم في الدنيا خالدون؛ أو لم يروا كم أهلكنا منهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون؛ أم يحسبون أن الموت سافروا من عندهم وهم معدون، كلا، إن كل لما جميع لذيلاً يعصرون واسكن ما أتاهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا حملنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً، فأغشىهم فهم لا يبصرون، وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. وارجع إلى الغرض، فإن هذه تويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاماة فقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات ناعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين، ولا يكتبان شيئاً على الصبيان والمجانين، إذ قد ذكرنا أن الحسة في الإقبال على الاستمادة منهما، والسيئة في الإعراض عنها، وما للصبيان والمجانين، بل إلى الاستمادة، فلا يتصوره نهماً إيمان وإعراض

(١) حدث كفي الموت واعظاً - لبي في السبع من حديث عائشة وفيه الزرع من مر صعب ورواه

الطبراني من حديث عقة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عيسى رواه البيهقي في زهد

(٢) حديث اللهم هوّن علي محمد سكرات الموت : الترمذي وقال عريب والسائي في اليوم والليله وابن ماجة

من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت

وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض . واعمري
إني قد بظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز ، وتتم على التدرج إلى سن
الدواعي ، كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس . واسكنها هداية قاصرة لا ترشد
إلى مضار الآخرة ، بل إلى مضار الدنيا . فلهذا يضرب على ترك الصلوات واجزا ، ولا يعاقب
على تركها في الآخرة ، ولا يكتب عليه من الصفائف ما يشر في الآخرة . بل على القيم
العدل ، والولي البر الشفيق . إن كان من الأبرار ، وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة
الأحيار ، أن يكتب على الصي سيئته وحسنه على صفة قلبه ، فيكتبه عليه بالحفظ . ثم
يدشره عليه بالتمريض . ثم يعذبه عليه بالصرب فكل ولي هذا سمته في حق الصي ، فقد ورث
أحلاق الملائكة ، واستعملها في حق الصي ، فيال بها درجة القرب من رب العالمين
كما الله الملائكة . فيكون مع النبيين . والمقرئين ، والصدقة بن وإليه الإشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَمَا وَكَأَيْلُ الْيَتِيمِ كَهَيْتِ فِي الْحَنَةِ » وأشار إلى أصمبيه
الكرمينين صلى الله عليه وسلم

بيان

كون الصبر نصف الإيمان

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين . وتارة يخص بالأعمال
الصالحة الصادرة منها ، وتارة يطلق عليهما جميعا . والمعارف أبواب ، والأعمال أبواب ،
ولا شتمال لفظ الإيمان على جميعها ، كان الإيمان نيعا وسبعين بابا . واختلاف هذه الإطلاقات
ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العابدات ، ولعلكن الصبر نصف الإيمان
باعتبارين ، وعلى مقتضى إطلاقين :

أحدهما . أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا . فيكون للإيمان ركنان :
أحدهما اليقين ، والآخر الصبر . والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى

(١) حديث أنس ، وكأيل اليتيم كهيت في الحنة . البخاري من حديث سهل بن سعد وتقدم

عنده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المصيبة ضارة ، والطاعة نافعة . ولا يمكن ترك المعصية والمواصلة على الطاعة إلا بالصبر ، وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والركل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما قول « من آمن ما وثقهم اليقين » وعريضة الستة الحديث إلى آخره

الاعتبار الثاني : أن يطلق على الأموال المثمرة الأعمال لا على المرفوع وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقى المبدأ إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة . ويصير فيهما . وله بالإضافة إلى ما يصرفه حال الصبر ، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر . فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وهذا الطريق قال ابن مسعود رضي الله عنه الإيمان صبران نصف صبر ، ونصف شكر وقد رفع أحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن الصبر صبرا عن باعث الهوى ثبت باعث الدين ، وكان باعث الهوى تسميه باعث من جهة الشهوة ، و باعث من جهة المنصب ، فاشهوة اطلب المديد ، والمنصب للرب من المؤلم . وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط . وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى المنصب ، قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار « الصوم نصف الصبر » لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي المنصب جميعا . فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فكما ينبغي أن نفهم تقديرات لشرع بتحديد الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان ، فإن اسم الإيمان يوافق على وجوه مختلفة

بيان

الأسامي التي تتحدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر

اعلم أن الصبر ضربان أحدهما صبر بدني . كتحمل المشاق بالمدن والثلثات عليها ، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة ، إما من العبادات ومن غيرها ، وإما بالاحتمال كالصبر عن الضرب الشديد ، والمرض العظيم ، والحرارات الهائلة . وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر ، وهو الصبر النفسى عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى . ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج ، سمي عفة

وإن كان عن احتمال مكروه ، اختلفت أَسْمِيَّته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر . فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم صبر ، ونضاده حالة تسمى الجرع والملع ، وهو إطلاق داعي الهوى يسترسل في رفع الصوت ، وصرب الحدود ، وشق الجيوب وغيرها . وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ، ونضاده حالة تسمى البطر . وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة . ونضاده الخس . وإن كان في كظم الغيظ والمضب سمي حمماً ، ونضاده التذمر . وإن كان في «ثمة من نواب الرمان معجزة سمي سعة الصدر . ونضاده الضجر والتهم وصيق الصدر . وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر ، وسمي صاحبه كنوماً . وإن كان عن فُصُول المَشَى سمي رهداً ، ونضاده الحرص ، وإن كان صبراً على قدر يسير من الخطو سمي قناعة ، ونضاده الشره . فأكثر أخلاق الإيذان داخل في الصبر . ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيذان قال «هو الصبر» لأنه أكثر أعماله وأعمرها ، كما قال «الحج عرفة» وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبراً فقال تعالى (وَالصَّابِرِينَ فِي الْأَسْوَآتِ) أي المصيبة ، (وَالصَّابِرِينَ) أي الفقر ، (وَحِينَ الْإِنْسَانِ) أي المحارة (أَوَائِكَ لَدُنْ سُدُوفٍ وَأَوَائِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (١)

فإذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها . ومن يأخذ المادى من الأسماء يظن أن هذه الأحوال مختلفة في دوائها وحقائقها ، من حيث رأى الأسماء مختلفة . والذي يسلك الطريق المستقيم ويظهر نور الله ، يلحظ المعانى أولاً ، فيطالع على حقائقها ، ثم يلاحظ الأسماء فإنها وضعت دالة على المعانى فالله تعالى هي الأصول ، والأفهام هي التوابع . ومن يطالب الأصول من التوابع لا يدون يرل وإلى المربيعين الإشارة بقوله تعالى (أَفَنُتَعَتَّى فَمَا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أُنُتَى سَوَاءً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢) فإن الكفار لم يعلموا فيما عنطوا فيه إلا بتل هذه الانعكاسات ، سأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه

(١) حديث الحج عرفة : «أحب الناس من حديث عبد الرحمن بن عمار : عمن في الحج

بيان

أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم أن باعث الدين بالإلزام إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال .

أحدها . أن يهزم داعي الهوى ولا تنقي له قوة المراجعة . ويتوصل إليه بدوام الصبر .
وعند هذا قيل من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأولون فلا حرم هم الصديقون
المقربون . الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . هؤلاء لا رموا الطريق المستقيم . واستووا
على الصراط القويم . واضطأت نوره على مقتضى باعث الدين . وإياهم يسادى المسادى
بأيتها النفس المطمئنة . أرجى إلى ربك راضية مرضية

الصبر بقوته

المقربون

الحالة الثانية : أن تغلب داعي الهوى ، وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين ، فيسلم
نفسه إلى جند الشياطين ، ولا يجاهد لبأسه من المجاهدة . وهؤلاء هم الأولون وهم الأكثرون
وهم الذين استرققتهم شهواتهم ، وعلبت عليهم شقوتهم ، فحكوا أعداء الله في قلوبهم التي
هي سر من أسرار الله تعالى ، وأمر من أمور الله . وإلهم الإشارة بقوله تعالى (وأول شئنا
لآ تدينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأنة لأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، ففخسرت صفاتهم وقيل لمن قصد رشادهم
(فأعرض عنهم تولى عن ذكره ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبذمهم من العلم)
وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والفرور بالأمانى ، وهو عاية الحق كما قال صلى الله
عليه وسلم ^(١) « السكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحقق من أتبع
نفسه هواها وتعنى على الله » وصاحب هذه الحالة إذا وعط قال : أما مشتاق إلى التوبة
ولكنها قد تعذرت على ، فليست أطمع فيها . أو لم يكن مشتاقا إلى التوبة ، ولكن قال :
إن الله غفور رحيم كريم . فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته ،
فلا يستعمل عقله إلا في استنساخ دقائق الخيل التي بها . توصل إلى قضاء شهوته . قد صار

الأولون

(١) حديث السكيس من دان نفسه - الحديث : تقدم قدم الفرور

(١) السجدة : ١٣ (٢) النجم : ٢٩

عقله في يد شهواته كسلم أسير في أيدي الكفار، فهو يستخر ونه في رعاية الخنازير، وحفظ
الخمر وحماها، ويحمله عند الله تعالى محن من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار. ويحمله أسيرا
عندهم لأنه فاحش حايته يشبه أنه سحر ما كان حقه أن لا يستسحر، وسلف ما حقه
أن لا ينسط عليه. وإنما استحق المسلم أن يكون منسلطاً فيه من معرفة الله وباعث الدين
وإنما استحق الكافر أن يكون مسطاً عليه من الجهل بالدين وباعث الشياطين. وحق
المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه، فهو سحر المعنى الشريف الذي هو من حرب
الله وجند الملائكة، للمعنى الخسيس الذي هو من حرب الشياطين المبغدين عن الله تعالى، كان
كمن أرق مسلماً الكافر، بل هو كمن قصد الملك المعصوم عليه، فأخذ عز أولاده وسلمه إلى أبغض
أعدائه. فانظر كيف يكون كفرانه لنعمة، واستيغابته لنعمته، لأن الهوى أبغض إليه عُمِد
في الأرض عند الله تعالى، والعقل عر مودود حتى على وجه الأرض

المجاهدين

الحالة الثالثة أن يكون الحرب مع لا ين الحدين مارة له ليدعها، وقارة لها عليه،
وهذا من المجاهدين بمد مثله لأمم الظالمين. ومن هذه الحلة هم الذين حبطوا عملاً صالحاً
وآخر سيئاً، عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والسمف

ويطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يضر عنه. فإما أن يصاب جميع
الشهوات، أو لا يصاب شيئاً منها، أو يصاب بعضها دون بعض. وتنزيل قوله تعالى
(حذوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى
والأركون لمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأمام. بل هم أشد سبيلاً إلى البهيمة
لم تخلف لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات. وهذا قد خفق ذلك له وعطله،
فهو الناقص حقاً، المذبر يقيماً. ولذلك قيل

ولم أرفى عيوب الناس عيباً كمتص القدرين على التمام

اقسام الصبر
باعتبار اليسر
والعسر

ويقال سم لصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر. إلى ما شق على النفس ولا يمكن الدوام عليه
إلا بجهد حميد، وتعب شديد، ويسمى ذلك تصبراً. وإلى ما يكون من غير شدة تعب
بل يحصل أذى تهاون على النفس، ويخص ذلك باسم الصبر. وإذا دامت التقوى وقوى

التصديق بما في العاقبة من الخسنى ، تيسر الصبر . ولذلك قال تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى
وَصَدَّقَ بِالْخُسْنَىٰ فَلَيْسَ لَهُ لِيُشْرَىٰ ^(١)) . ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره . فإن
الرجل القوى يقدر على أن يصرع الضعيف أدنى حملة وأيسر قوة ، بحيث لا يلقاه في
مصارعته إعياء ولا لعوب ، ولا تضطرب فيه نفسه ولا يدهر . ولا يقوى على أن يصرع
الشديد إلا بتعب ومريد جهد . وعرق جبين . فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين
وباعث الهوى . فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين . وهما
أدمنت الشهوات وانغمست ، وتسلط باعث الدين واستولى ، وتيسر الصبر . بوصول المواظبة
أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتى في كتاب الرضا . فالرضا أعلى من الصبر . ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ^(٢) « اغْبُدْ لِلَّهِ عَلَى الرَّجُلِ إِنْ لَمْ تَنْصَحْ فَمَنْ الْخَبْرُ عَلَى مَا تَكْرَهُ
خَيْرٌ كَثِيرٌ » . وقال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك
الشهوة ، وهذه درجة التائبين ، وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين وثالثها
المحبة ما يصنع به مولاه ، وهذه درجة الصديقين . وسبيل في كسب المحبة أن مقام المحبة
أعلى من مقام الرضا : كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر . وكأن هذا الانقسام يجرى في
صبر خاص ، وهو الصبر على المصائب والبلايا

تفسير بافتبار
مكرم

واعلم أن الصبر أيضا يقسم باعتبار حكمه إلى فرض ، وهل ، ومكروه ، ومحرم فالصبر
عن المحظورات فرض . وعلى المكروه هل . والصبر على الأذى المحظور محظور كمن
تقطع يده أو يذوله وهو يصبر عليه ساكتا ، وكن يقصد حريته بشهوة محظورة ،
فتبيع عبرته ، فيصبر عن إظهار الغيرة ، ويسكت على ما يجرى على أهله . فهذا الصبر محرم
والصبر المكروه هو الصبر على أذى ياله بجهة مكروهة في الشرع . فيسكن الشرع
محلك الصبر . فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يحيل إليك أن جيبه
محمود . بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

(١) حديث عبد الله بن الرضا قال لم تقطع من الصبر على ما تكره حركته : إرمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم

وفي مدحه بدل المعونة للجنس ، وفي الله بدل الصدق ، وكذلك في سائر ما أنعم الله عليه وهذا الصبر متصل بالشكر ، لا يتم إلا بقيام بحق الشكر كما سيأتي ، وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالعسرة ، ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجة ، والفصد ، ولا عيرك ، أيسر من الصبر على فصلك نفسك وحجراتك نفسك ، والجامع عند عبية الطعام ، أقدر على الصبر منه بإد حصرته لأصمة لطيفة بعيدة وفرد عينا ، فلهذا عظمت فتنة السراء النوع الثاني ما لا يوفق الهوى والطمع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار المبدء كالطاعات والامتناع ، أو لا يرتبط باختياره ، كالمصائب والمواهب ، أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إدارته . كالشيء من المؤدى لا تتم منه وهذه ثلاثة أقسام :

القسم الأول ما يرتبط باختياره . وهو سائر أعماله التي وصف بكونها طاعة ومصلحة . وهي صبرات .

الصبر على ما لا يوافق الهوى

الضرب الأول الطاعة والعبد يخرج إلى الصبر عليها . فالصبر على الطاعة شديد ، لأن النفس بطورها تمرد عن المودية . وتشتكي الروية . ولذلك قال بعض العارفين : ما من نفس إلا وهي مضطربة ما تنهيه ورعون من قوله (أَرَأَيْتُمْ أَتَعْلَى) (١) ولكن فرعون وجدله مجالا وقبولاً فأنهز ، إذ استعجب قومه فأطاعوه . وما من حديث إلا وهو يدعى ذات سبع عبده ، وخادعه ، وأتباعه ، وكل من هو تحت يده وطاعته ، وإن كان ممتنعاً ، طهاره . وإن استشاصه وعيظه عند تقصيرهم في خدمته ، وإساءة مآذ ذلك . ليس بسدر إلا عن إصهار الكبر . ومنازعة الروية في رداء الكبرياء ، وقد أمدودية شاقة على النفس مصفاة . ثم من العبادات ما يكره سبب الكسل كاحلالة ومساها ، يكره سبب البخل كالركاء . ومن ما يكره سببها حميما كالخج والجهاد . فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويخرج انطباع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال

الصبر على الجماعة

الأولى . قبل الطاعة ، وذلك في تصحيح النية . والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات . وعقد المزمع على الإخلاص والوفاء . وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية ، والإخلاص ، وآفات الرياء ، ومكاييد النفس . وقد نبه عليه ، صلوات الله عليه إذ قال (٢) « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى » وقال تعالى

ما لا يحتاج المطيع إلى الصبر

(١) حديث ابن الأعمش بالنيات : متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

(٢) التارعات : ٣٣

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ") ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ")

الحلّة الثاوية بحال العمل . كي لا يعمل عن الله في أثناء عمله ، ولا يتكاسل عن تحقيق آدائه وسننه ، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الآخر . فيلزم الصبر عن دواعي القصور إلى الفراغ . وهذا أيضا من شدائد الصبر . وامله المراد بقوله تعالى (نَمَّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا ") أي صبروا إلى تمام العمل

الحلّة الثالثة . بعد الفراغ من العمل ، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفسائه والتظاهر ٤ للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين المعجب . وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره . كما قال تعالى (وَلَا تُضَيِّعُوا أَمْوَالَكُمْ ") وكما قال تعالى (لَا تُضَيِّعُوا صَدَقَاتِكُمْ مِمَّنْ وَالَّذِي ") فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أضل عمله .

والطاعات تنقسم إلى ورع وفل وهو محتاج إلى الصبر عبيها جميعا وقد جمعها الله تعالى في قوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ") فالعدل هو القرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم . وكل ذلك يحتاج إلى صبر

الضرب الثاني المعاصي ، فما أحوج العبد إلى الصبر عنها . وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى (وَجَبَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْمَعْي ") وقال صلى الله عليه وسلم (١) « الْمُهَاجِرُ مِنْ هَجْرِ السُّوءِ وَالْمُجَاهِدُ مِنْ جَاهِدِ هَوَاهُ » والمعاصي مقسمة بأعش الهوى وأشدها أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة . فإن المادة طبيعية خامسة . فإذا انصافت المادة إلى الشهوة تظاهر حدان من جنود الشيطان على حدة الله تعالى ، فلا يقوى باعث الدين على قمعها . ثم إن كان ذلك العمل مما يتيسر فعله ، كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة ، والكذب ، والمراء ، والثناء على النفس تمريضا وتصريحا ، وأنواع المرح المؤدى للقلوب ، وضروب الكلمات التي

(١) حديث مهاجر من هجر السوء ومجاهد من جاهد هواه . انما هو ، شطر الأول والآخر بالشطر الثاني كلام من حديث فضالة بن عبيد بن أسد بن حنيفة وقد تقدم

(١) البقرة ٥ (٢) هود ١١ (٣) العنكبوت ٥٨ ، ٥٩ (٤) محمد ٣٣ (٥) النقرة : ٢٦٤

(٦ ، ٧) النحل : ٩٠

يقعدهما الإزعاء والاستحقار ، وذكر الموتى ، والقدر فيها ، وفي علوهم ، وسيرهم ، ومناصمهم ، فإن ذلك في طاهره غيبة ، وفي باطنه شاء على النفس . فلا نفس فيه شهوة تان . إحداهما في الغير ، والأخرى إثبات نفسه . وسها تم له الروية التي هي في طبعه ، وهي ضد ما أمر به من العبودية . ولا اجتماع الشهوتين ، وتيسر تحريك اللسان ، ومصير ذلك معتاد في المحاورات يصبر الصبر عنها . وهي أكبر الموانع . حتى نطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها ، وعموم الألس بها . فتري الإنسان يابس حريرا مثلاً . ويستبعد غاية الاستبعاد ، ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس . ولا يستنكر ذلك ، مع ما ورد في الخبر ^(١) من أن العيبة أشد من الرنا . ومن لم يملك لسانه في المحاورات ، ولم يقدر على الصبر عن ذلك ، فيحب عليه المعلقة والأعراد ، فلا ينحبه غيره . فالصبر على الأعراد أهون من الصبر على السكوت مع الخلطة . وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وصفها . وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسوس . ولا حرم في حديث النفس في المعلقة . ولا يمكن الصبر عنه أصلاً ، إلا أن يغلب على القلب ثم آخر في الدرس يستغرقه . كمن أصبح وهو مهمل واحد ، لا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور دور الواسع

الصبر على
الأمور التي
تتطلب إيماناً
في دفعها

القسم الثاني . ما لا يرتبط بهجومه باختياره . وله اختيار في دفعه ، كما لو أودى فعل أو قول ، وجنى عليه في نفسه أو ماله . فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً ، وتارة يكون فضيلة . قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم . ما كسا بعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى . وقال تعالى (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا آدَبْتُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ^(٢)) وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا ، فقال لبعض الأعراب من المسلمين : هذه قسمة ما أريد به وجه الله . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحمرت وجنتاه ثم قال « يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي مُوسَى أَمَدًا أَوْ ذِي بَأْسٍ كَثَرَتْ مِنْ هَذَا قَصَصَتْ » وقال تعالى (وَدَعِ أَهْلَهُمْ ^(٣))

(١) حديث أن العيبة أشد من الرنا : تقدم في آفات اللسان

(٢) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - الحديث : متفق عليه

من حديث ابن مسعود وقد تقدم

وَتَوَكَّنْ عَلَى الشَّرِّ^(١)) وقال تعالى (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا^(٢))
 وقال تعالى (وَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّكَ بِنَظَرٍ صَدْرُكَ غَايِقُوا لَوْ فَسَّخَ مُحَمَّدٌ رِثَتَكَ^(٣))
 الآية، وقال تعالى (وَأَنصِتْ لِمَنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
 أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(٤)) أى تصبروا عن
 المكافأة . ولذلك مدح الله تعالى العادين عن حقوقهم في القصاص وغيره ، فقال تعالى
 (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ^(٥))
 وقال صلى الله عليه وسلم^(٦) « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَغْفُ عَمَّنْ
 طَامَكَ » ورأيت في الإنجيل : قال عيسى بن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل
 إن السن بالسن والألف بالألف . وأنا أقول لكم . لا تقاوموا الشر بالشر بل من صرب
 خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر . ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك . ومن سحرَكَ
 لتسير معه ميلا فسر معه ميلين . وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى . فالصبر على أذى
 الناس من أعلى مراتب الصبر ، لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا
 القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر الاختبار أوله وآخره كالمصائب . مثل موت
 الأعرسة ، وهلاك الأموال ، وزوال الصحة بالمرض ، وعصى العبيد ، وفساد الأعضاء وبالجملة
 سائر أنواع البلاء . فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس رضي الله عنهما
 الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه . صبر على أداء فرائض الله تعالى وله ثمانية درجات ، وصبر
 عن محارم الله تعالى وله ثمانية درجات ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى وله تسعة
 درجات . وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل ، على ما قبلها وهي من الفرائض ، لأن
 كل مؤمن يدر على الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء
 لأنه بضاعة الصديقين ، فإن ذلك شديد على النفس . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم^(٧)
 « أَسْأَلُكَ مِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيَّ بِهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا » فهذا صبر مستنده حسن اليقين

الصبر على
الأمور التي
لا يدخل تحت
الاختبار

(١) حديث صل من قطعك - الحديث - تقدم

(٢) حديث أسألك من اليقين ما تهوّن عليّ مصائب الدنيا - الترمذي والنسائي والحاكم ومصححون حديث

ابن عمر وحسن الترمذي وقد تقدم في الدعوات

(١١) إخراج ٤٨٠ (٢) برهان : ١٠ (٣) الحجر ٩٧ (٤) آل عمران ١٨٩ (٥) النحل ١٢٦

وقال أبو سليمان . والله ما صبر على ما نحب ، فكيف نصبر على ماكره . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) « قال الله عز وجل إذا وجهت إلى غدير من غيدي مصيبة فبديته أو ماله أو ولده ثم استغن ذلك صبر جميل استغنيت منه يوم القيامة أن أصيب به ميراثاً أو أنشر له ديواناً » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إن تطارأت الفرج بالحبير عبادة » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « ما من عند مؤمن مصيب عسيبة فقال كما أمر الله تعالى » (يا أيها الله وإياي به راجعون) « اللهم أوخرني في مصيبتى وأغنني خيراً منها ، لا فمن الله » ذلك . وقال أس : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) أن الله عز وجل قال « يا حنبل ما حزن من شئت كريته قال سبحانه لا أعلم إلا ما علمت ما قال تعالى حرثوا الأرض وأنبثوا فيها خيل من الله عز وجل وحزن إذا أنبلت عدي ملاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبداً ثم لحما حيزاً من لحمه ودماً حيزاً من دمه فإذا أنزله أنزلته ولا ديب له وإن توفيقه وإلى رحمتي »

(١) حديث قال الله عز وجل وجهت إلى غدير من غيدي مصيبة فبديته أو ماله أو ولده ثم استغن . على ذلك صبر جميل

الحديث : ابن عدي من حديث أس بن سعيد

(٢) حديث سار الفرج بالحبير . الحديث في غدير من غيدي مصيبة فبديته أو ماله أو ولده ثم استغن . على ذلك صبر جميل

في الفرج بعد الشدة من حديث علي بن عدي قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد الملقب في حديث

الصوفية من حديث ابن عمر وكأله صيغة ولا ترمذي من حديث أس بن سعيد فصل العادة

انتظار الفرج وتقدم في السعوات

(٣) حديث ما من عند أصيب عسيبة فقال كما أمر الله . الحديث في غدير من غيدي مصيبة فبديته أو ماله أو ولده ثم استغن . على ذلك صبر جميل

(٤) حديث أس بن الله قال يا حنبل ما حزن من شئت كريته . الحديث في غدير من غيدي مصيبة فبديته أو ماله أو ولده ثم استغن . على ذلك صبر جميل

أي صلال الفصحى واسمه هلال أحد الصفاة عن أس بن عدي ورواه البخاري سقط عن الله عز وجل

قال إذا أنبلت عدي حديبه فصبر عوصه معها الحنبل رواه ابن عدي وأبو علي الملقب إذا حدث

كريتي عدي ثم عرض له ثواب دون الحجة قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة فقال وإن كانت

واحدة وفيه سعيد من سلم قال ابن عدي ضعيف

(٥) حديث يقول الله إذا أنبلت عدي ملاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبداً ثم لحما حيزاً من لحمه ودماً حيزاً من دمه فإذا أنزلته أنزلته ولا ديب له وإن توفيقه وإلى رحمتي

ذلك في انوطاً من حديث عطاء بن سار عن أبي سعيد الخدري وعطاء بن كثير ضعيف ورواه

الباقى موقوف على أبي هريرة

وقال داود عليه السلام : يارب ما حراء الحزين الذي يصبر على المصائب اتقاء مرضاتك ، قال : حزاؤه أن ألبسه أسس الإيمان فلا أنزع عنه أبدا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته : ما أنعم الله على عبده نعمة فأنزعها منه وعوضه منها الصبر ، إلا كان ما عوضه منها أفضل مما أنزع منه . وقرأ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وَالْعَاصِرِينَ عَلَيْهِم مِّنْ حِسَابٍ ^(١))

وسئل فضيل عن الصبر فقال : هو الرضا بقضاء الله . قيل وكيف ذلك ، قال : الراضي لا يتعجب فوق منزلته . وقيل : حبس الشئبي رحمه الله في المروستان ، ودخل عليه جماعة فقال من أنتم ، قالوا : أحبائك جأؤك رائرين . فأخذ يرميهم بالحجارة . فأخذوا يهر ون وقال : لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلالي . وكان مض المارقين في حبه رقة يخرجها كل ساعة ويطعمها . وكان فيها (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ^(٢))

ويقال : إن امرأة فتح الموصلي عثرت ، فاقطع طهرها ، فضحكت فقيل لها : أما تجددين الوحم ؟ فقالت : إن لدة ثوانه أرالت عن قلبي مرارة وجمه . وول داود اسماء عبيد السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم يسل ، وحسن الرضا فيما قد نال . وحسن الصبر فيما قد دلت . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ^(٣) : « من أحل الله له حرفة حقه أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك » . ويروى عن بعض الصالحين أنه حرج وما وفى كفه صره ، فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كفه . فقال بارك الله له فيها ، لعله أحوج إليهم مني . وروى عن بعضهم أنه قال صبرت على سالم مولى أبنى حذيفة في القتلى وبه رمق . فقلت له : أسقيك ، قال : جُرّني قليلا إلى العدو . واحمل الماء في البرس ، وإني صائم ، وإن عشت إلى الليل شربته . فمكدا . كان صبر سالكي طريق الآخرة على «لا اله الا الله تعالى» فإن قلت فيما إذا نال درجة الصبر في المصائب ، وليس الأمر إلى اختياره ، فهو مضطر شاء أم أبى . فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة ، فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إذا يخرج عن مقام الصابرين بالجبر ،

(١) حديث من أحل الله له حرفة حقه أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك . أخرجه مرفوعا عن عاصم بن أنس بن مالك في الترمذي والكشاف من رواية سفيان عن يحيى بن عمار . قال من الأمر أن لا يحدث عصبك ولا يوحك ولا تترك عصبك

وشق الجيوب . وصرب الحدود ، والمبالغة في الشكوى ، وإظهار السكاسة . وتغيير المادة في المدس ، والمقرش ، والمضمم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره ، فينبغي أن يحتجب جميعها . ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ، وعلى مستمر على عادته ، ويعتقد أن ذلك كان ودية فاسترجعت . كما روي ^(١) عن الرميضاء أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي . وروى أبو طابعة عائب فقامت فسجنته في ناحية البيت فقدم أبو طابعة . فقامت فميت له إفطاره ، فجعل يأكل . فقال كيف الصبي ؟ قالت أحسن حال بحمد الله ومعه ، ولم يكن منذ اشتكى بأسكن منه ليلة ثم قصمت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك ، حتى أصاب مني حاجته . ثم قالت . ألا تعجب من خبرنا ؟ قال ما لهم ؟ قالت أعيروا عارية ، فلما طالبت منهم واسترجعت حزوا ! فقال شمس ماسموا . فقلت هذا انك كان عارية من الله تعالى ، وإن الله قد قبضه إليه . فحمد الله واسترحم . ثم عدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال . « اللهم بَارِكْ لهما في أَيْمتهما » قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة ، كلهم قد قرءوا القرآن وروى حاراً عليه السلام قل « رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْحَيَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرَّامِيَةِ » امرأة أوى طنحة هو قد قيل . الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره . ولا يخرجها عن حد الصارين توجع القاب ، ولا فيضان العين بالدمع إذ يكون من جميع الحاصرين لأجل الموت سواء ، ولأن البكاء توجع القلب على الميت ، فإن ذلك مقتضى البشرية ، ولا يندرق لإسعاد إلى الموت ولذا لما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاصت عيناه ، فقيل له أما سبيتا عن هذا فقال « إن هده رحمة وإعانة يرحم الله من عبده الرّاحم » . بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا . فالمقدم على الحجابة والفصد راض ، وهو متألم بسببه لا محالة ، وقد تمبض عيانه إذا عظم ألمه . وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى . وكتب ابن أبي نجيع يمرى مص الحلقاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه ، من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاء له

تتبعه حسنة
لصبر الرميضاء
الجليل

الباء يوفى
الصبر

واعلم أن المأصى قبلك هو الباقي لك . والباقي بعدك هو المأخوذ فيك . واعلم أن آخر الصارين فيما يصانون به أعظم من السعة عليهم فيما يمافون منه . فإذا مهمما دفع الكراهة

(١) حدث الرميضاء أم سليم روى وحى أو صلوة عائب فقامت فسجنته في ناحية البيت - الحديث:

ص ومن طريقه . وهو في الحية والقصة في الصحيحين من حديث أس مع احتلاى

بالتفكير في عمة الله تعالى عليه بالشواحب ، أل درجة الصابرين . نعم من كمال الصبر كتمان المرض . والفقر ، وسائر المعائب وقد قيل من كوز البر كتمان المعائب والأوجاع والصدقة فقد طهر لك هذه التقسيمات أن وحوب الصبر عام في جميع الأحوال والأعمال فإن الذي كُفِيَ الشهوات كلها ، واعتزل وحده ، لا يستعنى عن الصبر على المزالق والامراض طاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باضا . فإن اختلاص الخواطر لا يسكن . وأكثر حوالان الخواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له ، أو في مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدر فهو كيما كان تضيق زمان . وآلة العبد قلبه . وبصاعته عمره . فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى ، أو عن فكرك يستفيد به معرفة بالله تعالى ، لا يستفيد بالمعرفة بحبة الله تعالى فهو مغبور . هذا إن كان فكره ووسواسه في الباطن موصورا عليه . ولا يكون ذلك غالبا بل يتمكر في وجوه الخيل لقضاء الشهوات . إذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره ، أو من يتوهم أنه يمارعه ويحالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه . بل يقدر المحلقة من أحلص الناس في حبه ، حتى في أهله وولده ، ويتوهم مخالفتهم له ، ثم يتمكر في كيفية زجرهم وكيفية فهرهم ، وحوالهم ، عما يتعللون به في مخالفتهم . ولا يزال في شغل دائم . فلا شيطان جمدان جند يطير وجند يسير ، والوسواس عبارة عن حركة جمده الطيار . والشهوة عبارة عن حركة حنذه السيار . وهذا لأن الشيطان خلق من النار ، وخلق الإنسان من صلصال كالفخار . والعذار قد احتشم فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون . والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبيعتها . وقد كلف الملعون المحروق من النار أن يطمئئ عن حركته ، ساجدا لما خلق الله من الطين ، فأبى واستكبر واستعصى . وعبر عن سبب استعصائه بأن قال (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ صِينٍ ^(١)) . فلذا حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه ، فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده . ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه ، وطيرانه وحولانه ، فقد أظهر اتقياده وبذعابه واتقياده بالإذعان سجود منه . فهو روح السجود وإنما وضع الجبهة على الأرض قلبه ، وعلامته الدالة عليه

بالاصطلاح . ولو جعل وضع الحبة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح ، لتصور ذلك كما أن الابطاح بن بدي المعظم المحترم يرى استعفافا بالمادة

فلا ينبغي أن يدهشك صدق الجوهر عن الجوهر ، وقالب الروح عن الروح ، وقشر اللب عن اللب ، فتكون ممن فيده عالم الشهادة بالكيفية عن عالم الميب وتحقق أن الشيطان من المظرين ، فلا يتوابع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين ، إلا أنت تصبح وموهمك هم واحد ، فتشغل قلبك بالله وحده ، ولا يحد المدمون ولا فيك فسد ذلك تكون من عباد الله المحاصين ، الداخلين في الاستثناء عن سلطة هذا الدعين

ولا تظن أنه يحلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر . فبك إن أردت أن يحلو القدر عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره ، فقد طمعت في غير مطعم . بل تقدر ما يحلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة . وكذلك القلب المشغول بغيره في الدين ، يحلو عن جولان الشيطان . ولا تسن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة . وليس له في تلك اللحظة مرين إلا الشيطان . ولذلك قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن قبيص له شيطاناً فهو له قرين) وقال صلى الله عليه وسلم " إن الله تعالى يمتص الشاب الفارغ " وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بجراح يستمين به على دينه . كان طاهره فارغاً ، ولم يبق قلبه فارغاً . بل يعش فيه الشيطان وينبض ويفرخ . ثم تزدوح أفراخه أبيضاً ، وتبيض مرة أخرى وتقرح . وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات ، لأن ضبعه من النار . وإذا وحده الحذف الباسة أكثر توالده . فلا يزال تتوالد النار من النار . ولا تقطع ألبته . بل تسرى شيئاً فشيئاً على الاتصال . فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالخفاء الباسة للنار ، وكما لا ينفى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الخطب ، فلا يبق للشيطان مجال إذ لم تكن شهوة

وإذا تأملت . علمت أن أعدى عدوك شهوتك ، وهي صفة نفسك . ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج ، حين كان يصلب ، وقد سئل عن التصوف ما هو فقال : هي نفسك

(١) حديث . ب . نه يفص الشاب الفارغ : لم أحده

إن لم تشغلها شغلتك . فإذا حقيقة الصبر وبكائه الصبر عن كل حركة مذكومة وحركة
الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت ، بسبب أنه حسن التوفيق عنه وكرمه

بيان

دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم أن الذي أرل الداء أرل لدواء و وعد الشفاء . فالصبر وإن كان شاقاً وممتعاً ، فتحصيله
ممكناً عمحون العلم والعمل . فالعلم والعمل هما لأخلط التي منها أركب الأدوية لأمراض القلوب
كلها . ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر . وكذا أن أقسام الصبر مختلفة ، فأقسام
العلم المساعدة منه مختلفة . وإذا اختلفت العلم اختلف العلاج . إذ معنى العلاج مضادة العلة
وقمها واستفهام ذلك مما يطول ، وإليك تعرف الطريق في بعض الأمثلة فنقول :

إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقوع مثلاً ، وقد عابت عليه الشهوة ، بحيث ليس يملك
مهما فرحه ، أو يملك فرجه ولا يكن ليس يملك عيبه . أو يملك عيبه ولا يكن ليس يملك قلبه
ونفسه ، إذ لا تزال تحذمه بمقتضيات الشهوات ، ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر
والفكر والأعمال الصالحة ، فنقول . قد قدمنا أن الصبر عبارة عن « صارعة باعث الدين
مع باعث الهوى . وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهم الآخر ، فلا طريق لنا فيه إلا تقوية
من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر . فمدما هي تقوية باعث الدين ، وتضعيف
باعث الشهوة . فأما باعث الشهوة ، فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور :

أحدها : أن مطر إلى مادة قوتها . وهي الأذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها
ومن حيث كثرتها . فلا بد من قطعها بالصوم الدائم ، مع الاقتصاد عند الإفطار على طعام
قليل في نفسه ، ضئيف في حنسه . فيحترز عن اللحم والأطعمة المهيجة للشهوة

سبيل ضعف
الباعث
الشهواني

الثاني : قطع أسبابه المهيجة في الحال . فإنه إنما يهيج بالمطر إلى مظان الشهوة . إذ
النظر يحرك القلب ، والقلب يحرك الشهوة . وهذا يحصل بالمرلة ، والاحتراز عن مظان
وقوع البصر على الصور المشتهية ، والفرار منها بالكيفية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) النظرية سهم مستمومة من سهام إندس ، وهو سهم يسدده الملعوف ولا ترس يجمع منه إلا تعيص الأجدان . أو الحرب من صوب ربه . فإنه إنما يرى هذا السهم عن قوس العصور . فإذا اقلبت عن صوب العصور لم يصادك سهمه

الذلت : تسلية النفس بأباح من الحس الذي تشتبه . وذلك بالسكاح فإن كل ما يشتهيه الطبع في المباحات من جنسه ما يعني عن المحظورات منه . وهذا هو الملاح الأفع في حق الأكثر . فإن قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ، ثم قد لا يجمع الشهوة في حق أكثر الرجال . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "عليكم بالبائة فمن لم يستضع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء" . فهذه ثلاثة أسباب . فالملاح الأول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن الهيمة الجروح ، وعن السكب الضاري ، ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تقييد اللحم عن السكب ، وتقييد الشعر عن الهيمة ، حتى لا تتحرك بواسطها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها . حتى يبقى منها من القوة ما يصبر به على التأديب . وأما تقوية باعث الدين ، فإنه تكون بطريقتين .

مبيل تقوية
الباعث الرباني

أحدهما : إطلاعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا ، وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر ، وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثران ثواب الصبر على المعصية أكثر مما أوتى ، وأنه بسبب ذلك معبوط بالمصيبة ، إذفاته ما لا يلقى معه إلا مدة الحياة ، وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر . ومن أسلم خديسا في نفيس ، فلا ينفى أن يحزن لموات الحبيب في الحال . وهذا من باب المعارف ، وهو من الإيمان . فتارة يضعف ، وتارة يقوى . فإن قوي قوي باعث الدين ، وهيجته تهيجا شديدا . وإن ضعف ضعفه . وإنما قوة الإيمان يعبر عنها باليقين ، وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر

والثاني : أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا ، قليلا قليلا ، حتى يدرك لذة الصغرهما ، فيستجريء عليها . وتقوى منه في مصارعتها ، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال

(١) حديث النظرية سهم مستمومة من سهام إندس : تقدم غير مرة

(٢) حديث عليكم بالبائة فمن لم يستضع فعليه بالصوم - الحديث : تقدم في التكاع

الشاقة ، تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال . ولذلك تريد قوة الخالين ؛ والعلايين والمقاتلين . والخدمة بقوة الممارسين للأعمال الشاقة تريد على قوة الحياطين ، والمطارين ، والفقهاء . والصالحين . وذلك لأن قوامهم لم تتأكد الممارسة

فالملاح الأول يفرض إضمار المصارع بالخلة عند الغلبة . ووعده بأنواع الكرامة . كما وعد هرعون سحرته عند إغرائه يوم موسى حيث قال (وَإِذْ كُنْتُمْ فِي الْغُرَفِ)^(١) والثاني يضاهي تمويده الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقتلة ، عبارة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأس به ، ويستجري عليه ، وتقوى فيه منه . فن ترك بالكلية المحاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين . ولا يقوى على الشهوة وبسعت . ومن عود نفسه بخالفة الهوى غلبها ما أراد هدامها حاج العلاج في جميع أنواع الصبر . ولا يمكن استيعاؤه وإنما أشدها كف الباطن عن حديث النفس وإعاشته ذلك على من تفرغ له . بأن دفع الشهوات الظاهرة ، وآثر المزالة . وجنس المراقبة والذكر والفكر إلى الوسواس لا يزال يجاديه من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له ألبتة إلا قطع العلائق كلها طاهرا واطمأنا ، فالمرار عن الأهل . والولد . والمال ، والجاء . والرفقاء . والأصدقاء . ثم الاعتزال إلى رابية بعد إحراق قدر يسير من القوت ، وبعد القناعة به . ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تحصر الهموم بها واحدا ، وهو الله تعالى ثم إذا غاب ذلك على القلب فلا يبقى ذلك ما لم يكن له محال في الفكر ، وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض ، وعجب صنع الله تعالى ، وسائر آيات معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وإن لم يكن له سير بالباطن ، فلا يجيبه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة ، والأدكار ، والصلوات ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور . فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة . ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يحلو في جميع أوقاته عن حوادث تتحدث ، فتشله عن الفكر والذكر من مرض ، وخوف ، وإيذاء من إنسان ، وخطيان من محالط ، إذ لا يستعني عن محالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة ، فهذا أحد الأنواع الشائعة

وأما النوع الثاني : فهو ضروري أشد ضرورة من الأول . وهو أشت له بالمطعم والملبس . وأسباب الله ش . فمن تهيئة ذلك أيضا نخوض إلى شغل ، إن تولاه بنفسه . وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمرئيه . ولا كثر يمد قطع العلائق كلها يسلم لها أكثر الأوقات ، إن لم تهجم بمهمة أو رافعة . وفي تلك الأوقات يصفو القلب ، ويتيسر له التذكر . ويكشف فيه من أسرار الله تعالى ، في مدسكوت السموات والأرض ، مما لا يقدر على عشر عشرة في زمان طويل ، لو كان . شغول القلب بالعلائق والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن أن تمال بالاكساب والجهد

فأما ما دبر ما يكشف . وما يع ما يرد من لطيف الله تعالى في الأحوال والأعمال ، فذلك بحري عبري الصيد . وهو بحسب الرزق . فقد يقل الجهد ويقل الصيد ، وقد يطول الجهد ويقل الحظ . والممول وراء هذا الاحتداد على حدة من جذبات الرحمن ، فإنها توارى أعمال الثقلين . وليس ذلك باختيار العبد . نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة ، بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا . فإن المجذوب إلى أسفل سافلين لا يجذب إلى أعلى عاين . وكل مفهوم بالدنيا فهو مجذب إليها . وقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : **إِنْ لَرَنْكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ مَحَاتٍ أَلَا قَتَمَرُ صُوتُهَا** ، وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية . إذ قال الله تعالى : **(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمِنْ تُرُوعُدُوبٍ)** وهذا من أعلى أنواع الرزق . والأمور السماوية عابئة عنا . فلا يدري متى يدمر الله تعالى أسباب الرزق . فاعينا بالآتميع المحل . والانتظار برول الرحمة وبلوع الكذب أجله كالذي يصلح الأرض . ويقيها من الحشيش . ويثبت البدر فيها ، وكل ذلك لا يفعه إلا بطر . ولا يدري متى يقدر الله أبواب المطر . إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه لا يحى سنة عن طر فكذلك يلد خلوسة ، وشهر ، ويوم . عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فيسمى أن يكون العبد قد طار القلب عن حشيش الشهوات ، ومنذ فيه بدر الإرادة والإخلاص . وعرضه لمهاب رياح الرحمة . كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع ، وعند ظهور النسيم . فيقوى انتظار تلك المنجات في الأوقات الشريفة ، وعند اجتماع المجمع

وتساعد القلوب ، كما في يوم عرفة . ويوم الجمعة . وأيام رمضان . فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدراجه رحمة ، حتى يستدبرهم الأمل طرفة أوقات الاستسقاء وهي لاستدراجه أمطار المكائفات والطائف المعارف من خرائن المكوث ، أشد مناسبة منها لاستدراجه قطرات الماء ، واستحارار العيوم من أقطار الجبال والبحار . بل الأحوال والمكائفات ضرورة معك في قلبك ، وإنما أنت مشغول عنها لا تفكر وشهواتك فصار ذلك حجاباً يثب وبنها . فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجب ، فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب . وإظهار ماء الأرض بمر القى أسهل وأقرب من استرسال الماء إليهما من مكان بعيد منخفض عنها . ولكونه حاصراً في القلب ، ومنسبياً بالشغل عنه . سمي الله تعالى جميع معارف الإله تدكراً فقال تعالى (إِنَّ مُحْسِنٌ رَّبَّنَا الذِّكْرُ وَلِئَامَا لَهُ الْحَافِظُونَ^(١)) وقال تعالى (وَلَا تَكْزُرْ وَلَوْ لَأَمَرْتُ^(٢)) وقال تعالى (وَأَقْدَرْنَا^(٣) أَقْرَبَانِ لِلذِّكْرِ فَهِنْ مِنْ مَذَكَّرْ^(٤)) وهذا هو علاج الصدر عن الوسواس والشواغل ، وهو آخر درجات الصدر . وإنما الصدر عن العلائق كلها مقدم على الصدر عن الخواطر . قال الجنيد رحمه الله السر من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمنين ، وهجران الخلق في حب الحق شديد . والسير من النفس إلى الله إلى صعب شديد . والعسير مع الله أشد . وذكر شدة الصدر عن شواغل القلب . ثم شدة هجران الخلق . وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه ، وإزالة الراسة ، والملبة . والاستعلاء ، والاستتباع ، أعاب الالذات في الدنيا على موسى العقلاء . وكيف لا تكون أعاب الالذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الروبية . والروبية محبوبة ومطلوبة بالطلع للقلب ، لما فيه من المناسبة لأموال الروبية . وعنه العبارة بقوله تعالى (مَنْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي^(٥))

وليس القاب مذموم ما على حبه ذلك ، وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين ، المبعد عن عالم الأمر . إذ حسده على كونه من عالم الأمر ، فأصله وأعواه . وكيف يكون مذموم ما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة . فليس يطلب إلا ابتغاء لافاء فيه . وعرا لا ذل فيه وأما لا خوف فيه . وعنى لا فقر فيه ، وكما لا لا نقصان فيه . وهذه كلها من أوصاف الروبية

(١) الحجر : ٩ (٢) إبراهيم : ٥٢ (٣) القمر : ١٤ (٤) الإسراء : ٨٥

وليس مذموماً على طلب ذاته . بل حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له . وطالب الملك طالع العلو . والعز ، والكمال لا محالة . ولكن الملك ملكان . ملك مشوب بأنواع الآلام ، وملحق بسرعة الانصرام . وملكه عاجل . وهو في الدنيا ، وملك محلد دائم ، لا يشوبه كدر ولا ألم : ولا يقطعه قاطع ، ولا يتركه آجل . وقد خلق لإنسان عجباً لا يرغب في العاجلة . فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة المحلة التي في طبعه ، فاستغواه بالعاجلة ، وزين له الحاصرة . وتوسل إليه بواسطة الحق ، فوعده بالفرور في الآخرة ، ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة . كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحق من أشبع نفسه هواها وتنسى على الله الأمانة » فأنخدع لخذل بفروره واشتغل بطلب عر الدنيا ومنكم على قدر إمكانه ولم يتبدل الموفق بحبل عروره ، إذ علم مداخل مكره . فأعرض عن العاجلة . فمعتبر عن محدوداين قوله تعالى (كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ أَجَاعَةً وَيَتَرَدَّدُونَ) (١) وقال تعالى (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ أَجَاعَةً وَيَتَرَدَّدُونَ) (٢) وقال تعالى (فَأَعْرَضَ عَنْ تَوَلَّى عَنْ دُخْرٍ نَأَى وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبِغْهُمْ مِنْ أَنْعَمَ) (٣)

ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ، أرسل الله الملائكة إلى الرسل ، وأوحوا إليهم ما أمروا على الخلق من إهلاك العدو وإعوائه واشتعلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجاري ، الذي لأصل له إن سلم ، ولادوام له أصلاً ، فادوا فيهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا كُنْتُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِمَا قَدْ قُدِّرَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ رِسْماً حَيَاةَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَدِيلٌ) (٤)

فالتوراة . والإنجيل ، والرور ، والفرقان ، وصحف موسى وإبراهيم ، وكل كتاب منزل . ما أرسل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المحلد . والمراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ، ملوكاً في الآخرة . أما ملك الدنيا فالزهد فيها ، والقناعة باليسير منها . وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك لقاءً لا فناء فيه ، وعراً لا دل فيه ، وقررة عين أخفيت في هذا العالم ، لأنهمها نفس من العوس والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا ، لعله بأن ملك الآخرة يفوت به . إذ الدنيا والآخرة صرتان . ولعله بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً .

(١) العليمة : ٢٠ (٢) الدهر : ٢٧ (٣) النجم : ٢٩ ، ٣٠ (٤) التوبة

ولو كانت تسبب له كان يحسده أيضا . ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المسرعات والمكدرات ، وطول المصوم في التدبرات . وكذا سائر أسباب الجاه ثمهما تسلم وتم الأسباب ينقصي العمر (حتى إذا أخذت الأرض زخرفه ، وزينت وشن أهله ، أنهم قادرُونَ عليها أنها أمرًا بئلاً أو مهراً فحمتها حصيداً كن لم تمن بالأمس ^(١)) فضرب الله تعالى لها مثلاً قل تعالى (واضرب لهم مثل الحية لذئبا كدأ أن تده من السماء فاحتنط به نبات لأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ^(٢)) . والرهق في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا ، حسده الشيطان عليه . فصد عنه . ومعنى الرهد أن يهلك العبد شهوته وغضبه ، فيقادان لباعث الدين وإشارة الإيثار . وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا . واستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرحه وبطنه وسائر أعراسه فيكون مسخرا مثل الهيمة ، مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا معتقه إلى حيث يريد ويهوى . فأعطاه أعرار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأنه يصير مملوكا ويال الربوبية أن يصير عبدا . ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا في الدنيا . منكوسا في الآخرة ؟ ولهذا قل بعض الملوك لبعض الرهاد : هل من حاجة ؟ قال كيف اطلب ملك حاجة ومضى أعظم من ملكك ؟ فقال كيف ؟ قال من أمت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك ؟ قل أنت عبد شهوتك . وعضبك . وفرجك . وبطنك ، وفد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيد لي . فهذا إذ هو الملك في الدنيا . وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة والمخدوعون بفرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا . والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فاروا بالدنيا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ، ومدخل العلط في ذلك ، وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه . يسهل عليك الزرع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فواته . إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة . ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن أُلِف الجاه وأُسن به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه ، فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف . بل لابد وأن يضيف إليه العمل . وعمله في ثلاثة أمور :

أحدها : أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه . فيعسر عليه الصبر مع

الأسباب كما يهرب من عليه الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر بعبادة الله في سعة الأرض . إندول على (ألم مسكن أرض الله واسعة فيها جروا فيها^(١)) الثاني . أن يكاف عنه في عمله فعلا تحام ما اعتاده . فيبدل التكلف بالتسذل ، وري الحشمة بري التواضع . وكذلك كل هيئة ، وحل ، وفعل ، في مسكن ، وملبس ، ومطعم ، وقيام ، وقعود كان يعتاده ، ووهب بمقتضى جاهه ، وينبغي أن يبدلها بنقائصها ، حتى يرسخ باعتياد ذلك صدمارسخ فيه من قبل باعتياد ضده . فلا معنى للمعالجة إلا بالمصادرة الثالث . أن يراعي في ذلك التلطف والتدريج ، ولا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل ، فإن الطبع تمور ، ولا يمكن نقله عن أحلافه إلا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض . ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتداء بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقنع بالبقية ، وهكذا يعمل شيئا فشيئا . إلى أن يجمع تلك الصفات التي رسخت فيه وإلى هذا التدريج الإشارة قوله صلى الله عليه وسلم^(٢) « إن هذا الدين متين فأوغل فيه بروقي ولا يذهب أحدا منكم حتى يشهد الله أن لا يشرك به شيئا ولا يرضى لمطع ولا مؤثر أبقي ، وإياه الإشارة قوله عليه السلام^(٣) « لا تشدوا هذا الدين فرب من يشده يمدبه »

فإذا ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس ، وعن الشهوة . وعن الجاه ، أضفه إلى ما ذكرناه من قواين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من روح المهدكات . فاتخذ دستوراك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الآحاد يطول . ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر دونه ، كما كان يشق عليه الصبر معه ، فتعكس أموره ، فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا ، وما كان مكروها عنده مشريا هينا لا يصبر عنه . وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله ظهير في العادات فإن الصبي يحمل على التعلم في الابتداء فهرا ، فيشق عليه الصبر عن اللعب ، والصبر مع العلم حتى إذا افتتحت بصيرته وأسس بالعلم ، انقلب الأمر ، فصار يشق عليه الصبر عن العلم ،

(١) حديث ان هذا الدين متين فأوغل فيه بروقي - الحديث : أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث

حابر وتقدم في الأوراد

(٢) حديث لا تشدوا هذا الدين فإنه من شاده يعلبه : تقدم فيه

(١) لسان: ٩٧

والصبر على اللعب وإلى هذا يشير ما حكى عن بعض العارفين أنه سأل الشبلي عن الصبر، أيه أشد؟ فقال: الصبر في الله تعالى. فقال لا. فقال الصبر لله. فقال لا. فقال مع الله. فقال لا. فقال فإش؟ قال الصبر عن الله. فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى (اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا) (١) (اصبروا في الله وصابروا بالله، ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء، والصبر بالله بقاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء. وقد قيل في معناه

والصبر عليك مذموم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود
وقيل أيضا

الصبر يحمل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمل
هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسرارها

السطر الثاني

من الكتاب في الشكر وله ثلاثة أركان

الأول: في فضيلة الشكر وحقيقته، وأقسامه وأحكامه الثاني: في حقيقة العمة وأقسامها الخاصة والعامة. الثالث: في بيان الأفضل من الشكر والصبر

الركبة الأولى

في معنى الشكر

بيان

فضيلة الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (٢) فقال تعالى (مَادَّكُرُوبِي أَدْكُرُكُمْ وَلَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا) (٣) وقال الله تعالى (مَا يَقُولُ اللَّهُ نَعْدَاكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّا تَكْفُرُكُمْ) (٤) وقال تعالى (وَسَجَّزِيَ الشَّاكِرِينَ) (٥)

(١) آل عمران: ٢٠٠ (٢) العنكبوت: ٤٥ (٣) القرة: ١٥٢ (٤) النساء: ١٤٧ (٥) آل عمران: ١٤٥

وقال عز وجل إسماعيل عن إبليس اللعين (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ - سرطاك المستقيم^(١)) قبل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر - طعن اللعين في الخلق مقاب (ولا تحمدوا كثيرا) شاكرين^(٢) وقال تعالى (وقلين من عبدي الشكور^(٣)) وقد قطع الله تعالى بالمريد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى (أين شكرتم لأزيدنكم^(٤)) واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء، والإجابة، والرزق، والمغفرة، والتوبة فقال تعالى (فسوف يُعْطِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ^(٥)) وقال (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء^(٦)) وقال (يرزق من يشاء بغير حساب^(٧)) وقال (وبمقر ما دون ذلك لمن يشاء^(٨)) وقال (ويثوب الله على من يشاء^(٩)) وهو خلق من أخلاق الروية، إذ قال تعالى (والله شكور حلیم^(١٠)) وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة. فقال تعالى (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده^(١١)) وقال (وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين^(١٢)) . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٣) «الطاعم الشاكر عزلة الصائم الصابر» وروي عن^(١٤) عطاء أنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقلت أخبري بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحكى وقالت: وأي شأنه لم يكن عجبا؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي، أو قالت في لحافي، حتى مس جدي جلده، ثم قال «يا أمة أبي بكر ديني أعبد ربّي» قالت قلت إني أحب قربك لكي أوتر هوالك. فأذنت له، فقام إلى قربة ماء، فتوصأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكي حتى سالت

(١) حديث الطاعم الشاكر عزلة الصائم الصابر: علقه البخاري وسنده الترمذي وحسنه وابن ماجة

واسحق بن حبان من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجة من حديث سنان بن سبه وفي إسناده اختلاف

(٢) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبري بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فحكى وأي أمر لم يكن عجبا - الحديث في كتابه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عرفه من الحوري في رواية وفيه توثيق وإسناد

بخاري في أبي حبة صححه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان

عن عطاء دون قول وأمره بغيره بخا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة

مقتصرا على آخر - الحديث :

(١) الأعراف ١٩ (٢) الأعراف ١٧ (٣) سبأ ١٣ (٤) إبراهيم ٧ (٥) التوبة ٢٨ (٦) الأنعام ٤١

(٧) البقرة ٢١٣ (٨) النساء ٤٨ (٩) التوبة ١٥ (١٠) العنكبوت ١٧ (١١) الزمر ٧٤ (١٢) يونس ١٠

دموعه على صدره . ثم ركع فبكى . ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك
 يبكي حتى جاء الليل فأدبه بالصلاة . فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد عفر الله لك ما تقدم
 من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » ولم لأفمن ذلك وقد أنزل الله
 تعالى على : « (إِنَّ فِي حَتَمِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) » الآية . وهذا يدل على أن
 البكاء ينفي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السريشير ما روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر
 صغير يخرج منه ماء كثير . فتمحّب منه . فأطلقه الله تعالى فقال : منذ سمعت قوله تعالى
 (وَقَدْ هَمَّ النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ) (١) فأنا أبكي من خوفه وسأله أن يحبره من النار ، فأجابه .
 ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي لأن : فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر
 والسرور . وقاب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا ترول فسوته إلا بالبكاء في حال الخوف
 والشكر جميعاً . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يبادى يوم القيامة ليقم
 الحماةون فتقوم زمرة فينصب لهم لو : فيدحون الجنة » قبل ومن الحماةون ؟ قال
 « الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله
 على السراء والضراء » . وقال صلى الله عليه وسلم : « احذروا رداء الرحمن » وأوحى الله
 تعالى إلى أيوب عليه السلام : « في رصيت بالشكر مكافأة من أوليائي » ، في كلام طويل .
 وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين : « إن دارهم دار السلام » إذا دخلوها ألهمتهم الشكر ،
 وهو خير الكلام ، وعند الشكر أستريدهم ، بالنظر إلى أريدكم ولما نزل في الكنوز ما نزل
 قال عمر رضي الله عنه : أي المال تتخذ ؟ قال عليه السلام (٢) « ليتخذ أحدكم لساناً ذا كراً
 وقد شاكراً » فأمر بانشاء الذاب الشاكر بدلاً عن المال وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان

(١) حديث يبادى يوم القيامة ليقم الحماةون - الحديث الطراي ورواه في الحية واليه في الشعب من حديث

ابن عباس لفظ أول من يدعى إلى الجنة الحماةون - الحديث : وفيه قيس بن الربيع سمعه الجمهور

(٢) حديث الحمد رداء الرحمن : لم أجده أصلاً وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك الكبر رداؤه - الحديث :

وتقدم في العلم

(٣) حديث عمر ليتخذ أحدكم لساناً ذا كراً وقليلاً شاكراً - الحديث : تقدم في الكاح

بيان

حد الشكر وحقيقته

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين . وهو أيضا ينظم من علم وحل وعمل . فاعلم هو الأصل ، ويورث الحل والحل يورث العمل فأما العلم ، فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو المرح الحاصل بإمامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبو به ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالحوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل مجموع الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل . قيل في حد الشكر فاحرص عن الإحاطة بكم معانيه

المرور التي
ينظم منها
الشكر

فالأصل الأول العلم وهو علم بثلاثة أمور . بعين النعمة . ووجه كونها نعمة في حقها وبذات المنعم . ووجود صفته التي بها يتم الإلهام . وبصدر الإلهام منه عليه . فإنه لا بد من نعمة ، ومنعم ، ومنعم عليه فصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة . فهذه الأمور لا بد من معرفتها . هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى ، فلا يتم إلا أن يعرف أن المنعم كلاما من الله . وهو المنعم ، والوسطاء مسحرون من حديثه وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس . إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإلهام والتقديس ثم إذا عرف ذلك مقدسة . فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد ، وما عده غير مقدس ، وهو التوحيد . ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو وجود من ذلك الواحد فقط ، فبالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة ، إذ يطوى فيها مع التقديس والتوحيد مجال القدرة والافراد بالعمل . وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ^(١) « من قال سبحان الله وله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله وله عشر حسنات ومن قال الحمد لله وله ثلاثون حسنة » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » وقال ^(٣) « ليس شيء من الأذكار يصاعف ما يصاعف الحمد لله »

العلم

(١) حديث مر قال سبحانه الله وله عشر حسنات - الحديث : تقدم في الدعوات

(٢) حديث أصل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله : الترمذي وحسنه والسنن في اليوم والليلة

وإبن ماجه وابن حبان من حديث جابر

(٣) حديث ليس شيء من الأذكار يصاعف ما يصاعف حمد الله : أخرجه مرفوعا وأبو رواه ابن أبي الدنيا

في كتاب الشكر من إلهام النعمى . بل ن حذا أكثر الكلام بصرف

ولا تظن أن هذه الحسنة بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات، من غير حصول معانيها في القلب. فسمجنا الله كلمة تدل على القدس. ولا إله إلا الله، كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق والحسنة بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة يبي الشريك في الأفعال. فمن أم عبه ملك من الملوك بشيء وإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تسيير ذلك وإيصاله إليه، فهو إشراك به في النعمة. فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل من وجه واحد. ومن غيره بوجه: فيتوزع فرحه عليها. فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص من توحيد في حق الملك وكما شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه توفيقه الذي كتبه بقلعه. وبالكاعد الذي كتبه عليه فإنه لا يصرح بالقلم والكاعد ولا يشكرهم، لأنه لا يثبت لهم دخلا من حيث هما وجودان بأنفسهما. بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقديم أن الوكيل الموصل والخارج أيضا مضطران من جهة الملك في الإرسال، وأنه لو رد الأمر إليه. ولم يكن من جهة الملك إرهاب وأمر جرم يحف عاقبته، لما سلم إليه شيئا. وإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخارج الموصل، كظنه إلى القلم والكاعد، فلا يورث ذلك شركا في توحيد من إيصاله النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أعماله، علم أن الشمس، والقمر، والنجوم مسخرات أمره، كاتمة مثل في يد الكاتب. وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها. وإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شئتم أم أبى كالخارج المضطر الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك، ولو خلى نفسه لما أعطاك ذرة مما في يده. فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده. فهو مضطر، إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي، وألقى في نفسه أن خبره في الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك، وأن عرصه المقصود عنده في الحل والمآل لا يحصل إلا به. وبعد أن حاق الله له هذا الاعتقاد، لا يجد سبيلا إلى تركه. فهو إذا ما يعطيك عرض نفسه لا لغرضك. ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك. ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لا معك فهو إذا ما يطلب نفعه بنفسك، وليس معك عليك بل اتحدك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها. وإذا الذي أنعم عليك هو الذي سحره لك، وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات

ما صار به مضطرا إلى الإيصال إليك . فإن عرفت الأمور كذلك ، فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله ، وكنت موحدا ، وقدرت على شكره . بل كنت بهذه المعرفة بمجرد ما شاكرنا . ولذلك قال موسى عليه السلام في مساحاته : يا رب خلقت آدم بيديك ، وفعلت وفضلت ، وكيف شكرتك ؟ فقال الله عز وجل : اعلم أن كل ذلك مني ، فكأن معرفته شكرا . فإذا لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه . فإن خالفك رب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمعم ، فلا تفرح بالمعم وحده ، بل وبغيره . فبقصص معرفتك ينقص حالك في الفرح ، وبقصص فرحك ينقص عملاك . وهذا بيان هذا الأصل

الأصل الثاني : الحال . المستمدة من أصل المعرفة . وهو الفرح بالمعم مع هيئة الخضوع والتواضع . وهو أيضا في نفسه شكر على تجرده ، كما أن المعرفة شكر . واسكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا بشرطه ، وشروطه أن يكون فرحك بالمعم لا بالنعمة ولا بالإمام . ولعل هذا ما يتعذر عليك فهمه ، فاضرب لك مثلا ، يقول : الملك الذي يريد الخروح إلى سفره ، فأنعم بفارس على إنسان ، يتصور أن يفرح بالمعم عليه بالفارس من ثلاثة أوجه .

أحدها أن يفرح بالفارس من حيث أنه فارس ، وأنه مال يتفعم به . وصركوب يوافق غرضه . وأنه جواد نهيس . وهذا فرح من لاحظ له في الملك . بل غرضه الفارس فقط ولو وجدته في صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح

الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث أنه فارس ، بل من حيث يستدل به على عناية الملك به ، وشعته عليه . واهتمامه بجأبه . حتى لو وجد هذا الفارس في صحراء ، أو أعماه غير الملك ، لكان لا يفرح به أصلا ، لاستغنائاه عن الفارس أصلا ، أو استحقاقه له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك . الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ، ليخرج في خدمة الملك ، ويتحمل مشقة السفر ليلال يخدمته رتبة القرب منه . وروايتي إلى درجة الوراثة ، من حيث أنه ليس يقع أن يكون محله في قلب الملك أن يطيه فرسا ، ويمتنع به هذا القدر من العناية . بل هو طالب لأن لا ينعم الملك شيء من ماله على أحد إلا بواسطة ثم أنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا ، بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه ، حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب . لاختار القرب

الحال
المستفهم منه
أصل المعرفة

فهذه ثلاث درجات . فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً ، لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ، وفرحه بالفرس لا بالمعطى . وهذا حال كل من فرح نعمة من حيث إنها لذيذة وموافقة لغرضه . فهو بعيد عن معنى الشكر . والثانية داخلية في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالمنعم ، واسكن لأمس حيث داته ، بل من حيث معرفة عبادته التي تستحقه على الإيعام في المستقبل . وهذا حال الصالحين الذين يبدون الله ويشكرونه ، خوفاً من عقابه ، ورحاء لثوابه . وإعنا الشكر التام في الفرع الثالث . وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى ، من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى ، والبرول في جواره ، والنظر إلى وجهه على الدوام . فهذا هو الرتبة العليا وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مرعة للأخرة ، ويعينه عليها . ويحزن بكل نعمة تهبه عن ذكر الله تعالى وتقصده عن سبيله . لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة ، كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد وهماج ، بل من حيث إنه يحمله في صحبة الملك . حتى تدوم مشاهدته له ، وقربه منه . ولذلك قال الشبلي رحمه الله . الشكر رؤية المسم لارؤية النعمة . وقال الخواص رحمه الله

شكر العامة على المطعم والملبس والمشرّب . وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن ، والفرج ، ومدركات الخواص من الألوان والأصوات . وخلا عن لغة القلب . فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى . ومعرفة ، ولقائه . وإعنا يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات ، كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين ، وكما يستشبع بعض المرضى الأشياء الحلوة ، ويستحل الأشياء المرة ، كما قيل

ومن يشذاقم مرضه يحد مرأ به الماء الزلالا

فإد . هذا شرط الفرع بنعمة الله تعالى . فإن لم تكن إبل فعري فإن لم يكن هذا الدرحة الثانية . أما الأولى فمأخرة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ، ومن يريد الفرس للملك . وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه ، وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه الأصل الثالث . العمل بموجب الفرع الحاصل من معرفة المنعم . وهذا العمل يتعاقب بالقلب . وباللسان . وبالجوارح . أما بالقلب ، فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه . وأما بالجوارح ، فاستعمال نعم الله تعالى في

طاعته . والبوق من الاستماعة بها على معصيته حتى أن شكر المبتلى أن تستر كل عيب تراه لمسلم . وشكر الأذنب أن تستر كل عيب تسمعه فيه . فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء . والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى ، وهو مأثور . فقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) «رحل» كيف أصبحت ؟ قال بحر وأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بحر أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم « هذا الذي أردت منك » وكان السلف ينسألون ونيهم استخراج الشكر لله تعالى ، ليصكون الشاكر مطيعا والمستطيق له به مطيعا . وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق . وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر ، أو يشكو ، أو يسكت . فالشكر طاعة . والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين . وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك . ويبدء كل شيء ، إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء ، فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء ، وأفضى به الضعف إلى الشكوى ، أن تكون شكواه إلى الله تعالى . وهو المبلى والقادر على إزالة البلاء . ودل العبد لمولاه عز . والشكوى إلى غيره دل . وإظهار الدل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِجْافًا) نعموا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ^(٢) (وقال تعالى) (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أُوتُوا لَكُمْ ^(٣)) فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفدا مدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر . الكبر الكبر . فقال يأمر المؤمنين ، لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك . فقال نكلم . فقال استأفد الرعية ، ولا وفد الرعية . أما الرعية . فقد أوصلا إليك بفضلك . وأما الرعية فقد آمنتنا منها عدلك وإعانتنا وقد الشكر ، جنتك تشكره باللسان ونصرف . فهذه هي أصول معاني الشكر ،

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم رحل كيف أصبحت ؟ قال بحر فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة بحر أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك : الظرف في الدعاء من رواية الصديقين عمرو مرفوعا نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا معضل ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله اليك وفيه إرشاد بن سعد صفة الجمهور لوجه معظه ورواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر بإسناد صحيح

المحيطة بجموع حقيقة . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بمعمة المم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال . الشكر هو الشاء على المحسن بذكر إحسانه ، نظر إلى مجرد عمل اللسان . وقول القائل : إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة . جامع لأكثر معاني الشكر . لا يشذ منه إلا عمل اللسان . وقول حمدون القصار : شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيها إشارة إلى أن المعرفة من معاني الشكر فقط . وقول الجنيدى . الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة ، إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص . وهؤلاء أقوالهم تعرب على أحوالهم . فذلك يختلف أجوتهم ولا تنق . ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة المالية عليهم ، اشتغالهم عما لا يهمهم . أو يتكلمون بما يرونه لا نقابحال السائل . اقتصارا على ذكر القدر الذى يحتاج إليه ، وإعراسا عما لا يحتاج إليه . فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم . وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التى شرحناها كانوا ينكرونها . بل لا يظن ذلك بما قل أصلا . إلا أن تمرض منارعة من حيث اللفظ ، فى أن اسم الشكر فى وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ، أم يتناول بعضها مقصودا ، وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه . وإسناد قصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات ، فليس ذلك من علم طريق الآخرة فى شىء . والله الموفق برحمته

بيان

طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يقبل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر . ولم انشكر الملوك إما بإنشاء ليزيد محالهم فى القلوب ، ويظهر كرمهم عند الناس ، فيزبد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التى هي إغاة لهم على بعض أغراضهم . أو بالثول بين أيديهم فى صورة الخدم ، وذلك تكثير سوادهم ، وسبب لزيادة جاههم . فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشىء من ذلك . وهذا حال فى حق الله تعالى من وجهين . أحدهما : أن الله تعالى يزه عن الحظوظ والأغراض . مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة ، وعن نشر الجاه والحشمة بإنشاء والإطراء ، وعن تكثير سواد الخدم بالثول بين

يديه ركعاً سجداً . وشكراً إياه عما لاحظ له فيه . يضاهي شكرنا الملك المعظم علينا بأن نام في بيوتنا ، أو بسجد أو تركع ، إذ لاحظ لملك فيه وهو غائب لا علم له ، ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها . الوجه الثاني . أن كل ما نعطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا . إذ حوارحنا . وقدرتنا ، وإرادتنا ، وداعتنا ، وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته . فكيف شكر نعمة نعمة ، أو أعطانا الملك مركوباً ، فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه ، أو أعطانا الملك مركوباً آخر ، لم يكن الثاني شكراً الأول ما ، بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول . ثم لا يمكن شكر الشكر ، لا بنعمة أخرى فيؤدى إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين . ولما نشك في الأمرين جميعاً ، والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع ؟ فاعلم أن هذا الخطأ قد خطر لداود عليه السلام ، وكذلك لموسى عليه السلام ، قال : يا رب كيف أشكرك ؟ وأما لا نستطيع أن أشكرك . لا نعمة ثابته من حملك ، وفي لفظ آخر . وشكري لك نعمة أخرى . لك توجب علي الشكر لك . فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر . إذا عرفت أن النعمة مني رصبت منك بذلك شكراً . فإن قلت : فقد فهمت السؤال ، وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم ، فإنني أعلم استحالة الشكر لله تعالى . فأما كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا أفهمه . فإن هذا العلم أيضاً نعمة منه . فكيف صار شكراً ؟ وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر . وأن قول الخليفة الثمانية من الملك شكراً للخلعة الأولى والقهم قاصر عن درك السرفيه . فإن أمكن تعريف ذلك بمثل فهو مهم في نفسه . فاعلم : أن هذا فرع باب من المعارف ، وهي أعلى من علوم المعاملة . ولكما تشير منها إلى ملامح وتقول . ههنا نظران : نظر بعين التوحيد المحض ، وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر ، وأنه المشكور ، وأنه المحب ، وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً . لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا المير لا وجود له ، بل هو محال أن يوجد . إذ الوجود المحقق هو القائم بنفسه . وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود . بل هو قائم بغيره ، فهو موجود بغيره . فإن

اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره ، لم يكن له وجود ألبتة . وإنما الموجود هو القائم بنفسه .
والقائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقي موجودا . فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم
بوجوده وجود غيره ، فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك
فقد ليس فى الوجود غير الحي القيوم ، وهو الواحد الصمد . فإذا نظرت من هذا المقام ،
عرفت أن الكل منه مصدره ، وإليه مرجعه . فهو الشاكر . وهو المشكور . وهو المحب
وهو المحبوب . ومن ههنا ظهر حبيب بن أبى حبيب حيث قال (إنا وجدناه صابرا نعم
الصدق إنه أواب^(١)) فقال وأعجابه أعطى وأتى . إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه
فعلى نفسه أثنى . فهو المثنى وهو المثنى عليه . ومن ههنا ظهر الشيخ أبو سعيد الميهنى حيث
قرأه بن يديه (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُ^(٢)) فقال . لعمري يحبهم ، ودعه يحبهم ، فبحق يحبهم
لأنه إنما يحب نفسه . أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب . وهذه رتبة عالية لا تفهمها
إلا بمثل على حد عقاك . ولا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه ، فقد أحب نفسه ،
والصانع إذا أحب صناعته ، فقد أحب نفسه . والوالد إذا أحب ولده من حيث أنه ولده ،
فقد أحب نفسه . وكل ما فى الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعتة . فإن أحبه
فما أحب إلا نفسه . وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب . وهذا كله نظر بعين
التوحيد . وتعتبر الصوفية عن هذه الحلة بفناء النفس أى فى عن نفسه وعن غير الله ، فلم
ير إلا الله تعالى . فن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول . كيف نرى وطول طله أربعة أدرع
ولاه يأكل فى كل يوم أرطالا من الخبز ، فيضحك عليهم الجاهل ، لجهلهم بما فى كلامهم
وصرورة قول العارفين أن يكونوا صالحة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى (يا أيها الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى
أهلهم انقلبوا فكاهين وإذا رأوهم قالوا لئن هؤلاء إلا لؤى وما أرسلوا عليهم حافظين^(٣))
ثم بين أن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم ، إذ قال تعالى (فأيوهم الدين آمنوا من الكفار
يضحكون على آياتك ينظرون^(٤)) وكذلك أمة نوح عليه السلام ، كانوا يضحكون
عليه عند اشتغاله بعمل السمية (قال إن تسخرؤا مبيا فإنا نسخر منكم كما تسخرون^(٥))

(١) ص ٤٤ (٢) لاند : ٥٤ (٣) (٤) (٥) المصنفين : ٢٩ . ٣٥ (٦) هود : ٣٨

فهذا أحد الطريقين. النظر الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهو لا يقسمان قسم لم يشعروا
 إلا وجود أنفسهم، وأنكروا أن يكون لهم رب بعيد. وهؤلاء هم العميان المكموسون
 وعمهم في كلتا العينين، لأنهم نوا ما هو الثابت تحقيقاً، وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه
 وقائم على كل نفس بما كانت. وكل قائم فقام به. ولم يقتصروا على هذا حتى أنبتوا
 أنفسهم. ولو عرفوا الله وأنهم من حيث هم لا نبات لهم، ولا وجود لهم، وإلا وجودهم
 من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا. وفرق بين الوجود وبين الموجد وإيس في الوجود
 إلا موجود واحد. وموجد فالوجود حق، والموجد باطل من حيث هو هو. والموجود
 قائم وقيوم. والموجد هالك وهن. وإذا كان (كُنْ مِنْ عَالِيهَا هُنَّ^(١)) فلا يبقى إلا وجه
 ربك ذو الجلال والإكرام. المريق الثاني - إيس بهم عي، وليسكن بهم عور لأنهم
 يصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق. ولا يكرونه. والعين الأخرى إن تم
 محالهم يصربها فناء غير الموجود الحق. فأنبت وجود آخر مع الله تعالى وهذا مشرك
 تحقيقاً، كما أن الذي قبله جاحد تحقيقاً. فإن حاور حد العي إلى العيش، أدرك تفاوتاً بين
 الموجودين، فأنبت عبداً ورماً. فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر
 داخل في حد التوحيد. ثم إن كل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه. وبقدر ما يريد في
 بصره يظهر له نقصان ما أنبت سوى الله تعالى. فإن بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به
 النقصان إلى المحو. فيمنحى عن رؤية ما سوى الله. فلا يرى إلا الله. فيكون قد أمع كماله
 التوحيد. وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد. و
 بينهما درجات لا تحصى. فهذا تفاوت درجات الموحدين. وكتب الله المبرة على السنة
 رسله هي السكحل الذي به يحصل أنوار الأنصار. والأنبياء هم السكحلون. وقد جاءوا داعين
 إلى التوحيد المحض، وترجته قول لا إله إلا الله. ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق.
 والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأفلون. والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون. وهم على
 الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبده الأولاد. قالوا (لَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا
 إِلَى اللَّهِ زُلْفَى^(٢)) فها هم داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً أصعبها والمتوسطون

هم الأكثرون ، وفيهم من تمتنع بصبرته في بعض الأحوال . فتلوح له حقائق التوحيد ، ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت . وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زماناً ، ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز السكل إلى شأله لا حركات ولكن عزيز في الرجل ثبات

ولما أمر الله تعالى بيه صلى الله عليه وسلم بطب القرب ، فقبل له (واستحذ وأقرب^(١))^(٢) قل في سجوده « أَعُوذُ بِفُؤُوكَ مِنْ عِقَابِكَ وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » فقوله صلى الله عليه وسلم « أَعُوذُ بِفُؤُوكَ مِنْ عِقَابِكَ » كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله ، فاستعاذ بفعله من فعله . ثم انصرف قفني عن مشاهدة الأفعال . وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات ، فقال « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ » وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصاناً في التوحيد ، فترك ورق من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال « وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » وهذا قرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفه ، ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه . ومستعيذاً ومثيلاً ، فعنى عن مشاهدة نفسه ، إذ رأى ذلك نقصاناً واقرب فقال « لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » فقوله صلى الله عليه وسلم « لَا أَحْصِي » خبر عن فناء نفسه ، وخروج عن مشاهدتها . وقوله « أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » بيان أنه المثل والمثلى عليه ، وأن السكل منه بدأ وإليه يعود ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه^(٣) . وكان أول مقاماته نهاية مقامات الوجود ، وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله ، فيستعيذ بفعل من فعل . فانظر إلى ماذا انتهت نهاية ، إذا انتهى إلى الواحد الحق . حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق

ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى مدبلاً إضافة إلى الثانية . فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصاناً في سلوكه وتقصير في مقامه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفؤوك من عِقَابِكَ وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ . أخرجه مسلم من حديث

عائشة أعوذ برضاك من سخطك وعقابك عن عفو الله - الحديث

(٢) له من : ١٩ (٢) القصص ٨٨

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ^(١) «إِنَّهُ لَيَعْلَمُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَعِيرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً» فكان ذلك ترقية إلى سبعين مقاما ، بعضها فوق البعض ، أولها وإن كان مجاوزاً أقصى عايات الخلق ، ولكن كان تقصصا بالإضافة إلى آخرها . فكان استغفاره لذلك ^(٢) وما قالت عائشة رضي الله عنها : أليس قد عفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فما هذا البكاء في السجود ، وما هذا الجهد الشديد ؟ قال «أفلا أكون عبدا شكورا» معناه أفلا أكون طالبا للرب في المقامات ، فإن الشكر سبب الرادة حيث قال تعالى (إِنَّ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ^(٣)) . وإذا تعذلت في بحار انكشافه فليقبض العمان . وليرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول : الأنبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه . ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة ، وعقبات شديدة . وهذا الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة . وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر ، فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر ، والشاكر ، والمشكور ولا يعرف ذلك إلا بتدل فأقول . يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بهمه ممر كوما ، وملبوسا ، ونقدا ، لأجل زاده في الطريق حتى يقطع مسافة البعد ، ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان . إحداهما : أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ، ويكون له عناية في خدمته . والثانية أن لا يكون الملك حط في العبد ، ولا حاجة إليه ، بل حضوره لا يريد في ملكه ، لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تمل في عطاء . وغيبته لا تنقص من ملكه . فيكون قصد من الإتمام عليه بالمركوب والراد . أن يحظى العبد بالقرب منه ، ويبدل سمادة حضرته لينتفع هو في نفسه ، لا لينتفع الملك به وارتفاعه . فمثل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الأولى . فإن الأولى محال على الله تعالى ، والثانية غير محال

(١) حديث ابن عباس على منى - الحديث : تقدم في الدعوة وفيه في الدعوات

(٢) حدثت عائشة ما قالت لعمر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ف هذا انكسار الحديث : رواه أبو الشيخ

وهو بقية حديث عطاء عنها للتقدم قبل هذا بسمة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عورة

عنها مختصرا وكذلك هو في الصحيحين مختصرا من حديث العيرة بسنة

ثم اعم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى . بمجرد الركوب والوصول إلى
 حضرته . ما لم يتم بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية . فلا يحتاج إلى
 الخدمة أصلاً . ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرًا وكافرًا . ويكون شكره بأن يستعمل
 ما أفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه . وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه ، بأن
 يعطله . أو يستعمله فيما يريد في بعده منه ، فهما لسئ العبد التوب ، وركب الفرس ، ولم يوفق
 الزاد إلا في الطريق ، فقد شكره مولاه . إذ استعمل نعمته في محبته ، أي فيما أحبه لعبد
 لا لنفسه . وإن ركب واستدبر حضرته ، وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته ، أي استعملها
 فيما كرهه مولاه لعبد لا لنفسه . وإن جلس ولم يركب ، لافى طلب القرب ولا في طلب
 البعد ، فقد كفر أيضًا نعمته . إذ أهملها وعطّلها ، وإن كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك
 خلق الله سبحانه الخلق . وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات . لتكامل
 بها أقدانهم ، فيمدون بها عن حضرته ، وإعنا سعادتهم في القرب منه . فأعد لهم من النعم
 ما يقدرّون على استعماله في نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقرّبهم عبر الله تعالى إذ قال (اَقْرَبُوا
 خَلْقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا (١)) الآية
 وإذا نعم الله تعالى آيات ينزّل العبد بها عن أسفل السافلين ، حلقها الله تعالى لأهل العبد
 حتى يبال بها سعادة القرب ، والله تعالى غني عنه قرب أم بعد ، والعمد فيها بين أن يستعملها
 في الطاعة ، فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه ، وبين أن يستعملها في معصيته ، فقد كفر
 لاقتحامه ما يكرهه . ولاء ولا يرصاه . فإن الله لا يرصى إعباده الكفر والمعصية ، وإن عطّلها
 ولم يستعملها في طاعة ولا معصية . فهو أيضًا كفران للنعمة بالتضييع . وكل ما خلق في الدنيا
 إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ، ونيل القرب من الله تعالى ، فكل مطيع
 فهو بقدر طاعته شاكر نعمته الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة ، وكل كسّان ترك
 الاستعمال ، أو عاص استعملها في طريق البعد ، فهو ، كافر جار في غير محبة الله تعالى ، فالمعصية
 والطاعة تشملها المشيئة ، ولكن لا تشملها المحبة والكرهية ، بل رب مراد محبوب . ورب
 مراد مكروه . ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه ، وقد انحل بهذا

الإشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن له شكور حظ فكيف يكون الشكر
وهذا أيضا ينحل الثاني . فإنما لم يصح بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله .
وإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله ، فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى
ومن حيث أنت محله فقد أنشئ عليك ، وثبوته نعمة أخرى منه إليك . فهو الذي أعطى ،
وهو الذي أنشئ وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته . فله الشكر على
كل حال ، وأنت موصوف بأنت شاكر ، بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه ،
لا بمعنى أنك موحد له كما أنك موصوف بأنت عارف وعالم ، لا بمعنى أنك خالق للعالم وموجده
ولكن بمعنى أنك محل له ، وقد وحد بالقدرة الأزلية فيك . فوصفك بأنت شاكر إثبات
شيئية إليك ، وأنت شيء . إذ جعلك خالق الأشياء شيئا . وإنما أنت لشيء إذا كنت أنت
طامنا لفسادك شيئا من ذاتك . فاما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء أشياء ، فانت شيء
إذ جعلك شيئا . وإن قطع النظر عن جعله كنت لشيء تحقيقا . وإلى هذا أشار صلى الله
عليه وسلم حيث قال " (١) « اعملوا فكل من عمل له لما جدى له » لما قيل له : يا رسول الله ففيم
العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل ؟

فتبين أن الخلق محاري قدرة الله تعالى . وحمل أفعاله ، وإن كانوا هم أيضا من أفعاله .
ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله « اعملوا » ، وإن كان حاريا على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم . فهو فعل من أفعاله . وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع ، وعمهم
فعل من أفعال الله تعالى . والعلم سبب لا بد من داعية جارمة إلى الحركة والطاعة . وانبياء
الداعية أيضا من أفعال الله تعالى . وهو سبب لحركة الأعضاء ، وهي أيضا من أفعال الله تعالى
ولكن بعض أفعاله سبب للبعض . أي الأول شرط للثاني ، كما كان خلق الجسم سببا لخلق
العرض ، إذ لا يخلق العرض قبله . وخلق الحياة شرط لخلق العلم . وخلق العلم شرط لخلق
الإرادة . والكل من أفعال الله تعالى ، وبعضها سبب للبعض . أي هو شرط ومعنى كونه
شرطا أنه لا يستعمل لقبول فعل الحياة إلا جوهر . ولا يستعمل لقبول العلم إلا ذو حياة ،
ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى ، لا بمعنى أن بعض أفعاله
موحد غيره ، بل بمهد شرط الحصول لغيره . وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه

(١) حديث اعملوا فكل من عمل له بما خلق له : متفق عليه من حديث علي وعمران بن حصين

مكرم ترتيب
الشراب على
الطاغوت
والغلاب في
المصيبة

هإن قلت هم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون . فله وكون على المعصيان . وما إياها
شيء فكيف ندم ؟ وإعسا الكل إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب
الحصول اعتقاد قيسا . والاعتقاد سبب لهيجان الخوف . وهيجان الخوف سبب لترك
الشهوات والتجافي عن دار الغرور . وذلك سبب للوصول إلى جوار الله ، والله تعالى سبب
الأسباب ومرتها . فمن سبق له في الأزل المعادة يسر له هذه الأسباب . حتى يقوده بسلسلتها
إلى الجنة . ونمر عن مثله بأن كلامه سر لما خلق له . ومن لم سبق له من الله الحسنى بعد
عن سماع كلام الله تعالى . وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكلام المصطفى . فإذا لم يسمع
لم يعلم . وإذا لم يعلم لم يحف . وإذا لم يحف لم يترك الركون إلى الدنيا . وإذا لم يترك الركون
إلى الدنيا بقى في حرب الشيطان . وإن جهنم لم تعد لهم أحميم . وإذا عرفت هذا تعجبت من
قوم ية دون إلى الجنة بالسلاسل . فمن أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب ،
وهو تسليط العلم والخوف عليه . وما من محذون إلا وهو مقود إلى النار بسلاسل ، وهو
تسليط العملة والأمن والمرور عليه . فالتقون يساقون إلى الجنة قهرا ، والمحرمون يقادون
إلى النار قهرا . ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ، ولا قادر إلا الملك الجبار . وإذا انكشف
المطاء عن أعين الغافلين فشهدوا الأمر كذلك ، سمعوا عند ذلك نداء المنادي (لمن أُنْتُك
أليوم لله أَوَّاحِد آفْهَار) . ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم ، لذلك اليوم
على الخصوص . ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم . فهو نداء يتجدد
للافالين من كشف الأحوال ، حيث لا ينعمهم الكشف . فنعوذ بالله الحليم الكريم
من الجهل والعمى . وإياه أصل أسباب الهلاك

بيان

تبيين ما يحبه الله تعالى مما يكرهه

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى مما يكرهه . إذ
معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محبة ، ومعنى الكفر تقيض ذلك . إما بترك الاستعمال

أو ما استعملها في مكارمه ، ولتبيّن ما يحبه الله تعالى عم يكرهه من ذركان . أحدهما . السمع ، ومستنده الآات والأخبار . والثاني : بصيرة القلب . وهو النظر بعين الاعتبار . وهذا الأخير عسير ، وهو لأجل ذلك عزيز . فلهذا أرسل الله تعالى الرسل ، وسهل بهم الطريق على الحق . ومعرفة ذلك تدنى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفان العباد . فمن لا طالع على أحكام الشرع في جميع أعماله . لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا .

وأما الثاني . وهو النظر بعين الاعتبار ، فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه . إذ ما خالق شئنا في العالم إلا وفيه حكمة ، ونحت الحكمة مقصود ، وذلك المقصود هو المحبوب . وتلك الحكمة منقسمة إلى حدية وخفية . أما الجلية ، فكأنهم بأن الحكمة في حلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار . فيكون النهار معشا ، والليل لباسا فتبصر الحركة عند الإصدار ، والسكون عند الاستتار . وهذا من جملة حكم الشمس . لكل الحكم فيها . بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة . وكذلك معرفة الحكمة في الغيم وزول الأمطار ، وذلك لاشفاق الأرض بأنواع الثبات مطعما للحق . ومرعى للأعنام . وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الخفية التي تحمى أفهام الحلق ، دون الدقيق الذي يتصورون عن فهمه إذ قال تعالى (أَأَسْأَلُكُمْ إِنَّمَا سَأَلْتُمُ شَيْئًا أَفَأَرْضُ شَقِيحٌ فَتَبْتَ فِيهَا حَاوِعًا^(١)) الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب ، السيارة منها والثوات ، فخفية لا يطلع عليه كافة الخلق . والقدر الذي يحتمله فهم لخلق أسرارها لا السماء . المستند العين بالنظر إليها ، وأشار إليه قوله تعالى (إِنَّا رَآكَ إِشْمَاءَ الدُّنْيَا رَبِّهِ أَكْبَرُ^(٢)) فجميع أحرار العالم ، سمّوه وكواكبهم . ورياحهم . وبحارهم . وحده . ومعاديه . وبناته ، وحيواناته ، وأعضاء حيواناته لا تحو ذرة من درة عن حكم كثيرة ، من حكمة واحدة . إلى عشرة . إلى ألف . إلى عشرة آلاف . وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها ، كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش . واليد للبطش لا للمشي ، والرجل للمشي لا للشتم . فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء . والمرارة والكبد ، والكلى ، وآحاد العروق ، والأعصاب ، والمصليات ، وما فيها من التجايف ، والالفاف ، والاشدك . والانحراف ، والدمية ، والمعلق ، وسائر الصفات ، فلا يعرف

ما من مخلوق
أدركه ملكة

(١) عبس : من ٢٥ إلى ٢٨ (٢) الصفات : ٦

الحكمة فيها سائر الناس . والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدر يسير بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)^(١) فإذا كل من استعمل شيئاً في حجة غير الحجة التي خلق لها ، ولا على الوجه الذي أريد به ، فقد كفر فيه نعمة الله تعالى . فمن ضرب غيره بيده ، فقد كفر نعمة اليد إذ حقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما يدفعه . لا يهلكها غيره . ومن نظر إلى وجه غير المحرم ، فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس ، إذ الإصرار يتم بهما . وإذا حلقه ليصر بهما ما يدفعه في دينه وديار ، ويتقرب بهما ، يصره فيهما . فقد استعملهما في غير ما أريد به . وهذا لأن المراد من خلق الخلق ، وخلق الدنيا وأسبابها ، أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بحبته والأسس . في الدنيا . والتجافي عن غرور الدنيا . ولا أسس إلا بدوام الذكر ، ولا شربة إلا بالمرقة الحسنة . بدوام الفكر . ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالعماء ، ولا يتم العذاء إلا بالأرض ، والماء ، والهواء ، ولا يتم ذلك إلا بحق السماء والأرض ، وحق سائر الأعضاء مذهباً واطماً . وكل ذلك لأجل البدن . والبدن مطية النفس . والراحم إلى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول المادة والمعرفة . فذلك قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزقٍ)^(٢) الآية . فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله ، فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقامته على تلك المعصية . والذكر مثلاً واحداً للحكم الخمسة التي ليست في غاية الخفاء . حتى تعتبر بها ، وتمتد طريقة الشكر والكرم إن على الدم ويقول :

من نعم الله تعالى خلق الدرام والدابر . وهما قوام الدنيا ، وهما حبران للمفعة في أعيانها ، والكر يضطر الخلق إليهما من حيث أن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه . وملبسه . وسائر حاجاته . وقد يمحرم عما يحتاج إليه . ويملك ما يستغنى عنه . كمن يملك الزعفران . مثلاً وهو محتاج إلى حبل يركبه . ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا يدب بهما من معاوضة . ولا في مقدار الموضع من تقدير ، إذ لا يذل صاحب الجمل حمله . كل مقدار من الزعفران . ولا مناسبة بين الزعفران والجمل ، حتى يقال يطلى منه مثله في الورن أو الصورة . وكذا من يشتري داراً بثياب . أو عبداً بحنف . أو دقفاً

(١) الأنعام : ٨٥ (٢) الناريات : ٥٦ ، ٥٧

بحار ، فهذه الأشياء لاتناسب فيها ، فلا يدري أن الجمل كم يسوى بالرافران . فتتعدى
المعاملات جدا . فافتقرت هذه الأعيان المتسافرة المتباعدة إلى متوسط بينهما . يحكم فيها
بحكم عدل ، فيعرف من كل واحد رتبته وميزانه حتى إذا تقررت المنازل ، وترتبت
الرتب ، علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى ، فخلق الله تعالى الداهير والدرهم حاكمين
ومتوسطين بين سائر الأموال ، حتى تقدر الأموال بهما . فيقال هذا الجمل يسوى مائة
دينار . وهذا القدر من الرافران يسوى مائة ، فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد
إذاً متساويان . وإنما يمكن التعديل بآلة دين ، إذ لا غرض في أعيانهم . ولو كان في أعيانهم
غرض . ربما انتفى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ، ولم يقتض
ذلك في حق من لا غرض له ، ولا ينتظم الأمر . وإذا خلقهما الله تعالى لتداولهما
الأيدى ، ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل . والحكمة أخرى ، وهى التوسل بهما إلى
سائر الأشياء ، لأنهما عرران في أنفسهما ، ولا غرض في أعيانهم . ونسبتهما إلى سائر
الأموال نسبة واحدة . فمن ملكهما وكأ بهما ، ذلك كل شيء ، لا كمن ملك ثوباً ولم يملك إلا
الثوب ، فهو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب ، لأن عرصه في دابة مثلاً
فاحتجج إلى شيء هو صورته كأنه ليس شيء ، وهو معناه كأنه كل الأشياء . والشئ إنما
تستوى بسببه إلى المحتاجات ، إذا لم تسكن له صورة خاصة يفيد بها بخصوصها . كالمرآة
لا لون لها . وتحكى كل لون . وكذلك النقد لا عرض فيه . وهو وسيلة إلى كل عرض .
وكل حرف لا معنى له في نفسه : وتظهر به المعاني في غيره . فهذه هي الحكمة الثانية . وفيهما
أيضاً حكم يطول ذكرها . فكل من عمل فيهما عملاً لا يقيق بالحكم ، بل يخالف العرض
المقصود بالحكم ، فقد كفر بركة الله تعالى فيهما . وإذا من كرههما فقد طاههما ، وأبطل الحكمة
فيهما . وكان كمن حاس حاكم المسلمين في سجن يتمتع عليه الحكيم بسببه . لأنه إذا كثر
فقد صيغ الحكم . ولا يحصل الغرض المقصود به . وما حلفت الدراهم والداهير لربيد خاصة
ولا لعمر وخاصة ، إذ لا عرض إلا حاد في أعيانها ، فإنها حذران ، وإنما خافا لتداولهما
الأيدى ، فيكونا حاكمين بين الناس ، وعلامة معرفة للمقادير ، مقومة المراتب فأحبر
الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية ، المكتوبة على صفحات الموجودات

مكتبة النقديين
والعاملين بها

بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت ، الذي لا يدرك بين البصر بل بعين البصرة ، أخير هؤلاء العاجرين بكلام سمعوه من رسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن إدراكه . فقال تعالى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١)) . وكل من أخذ من الدرهم والد . نير آية من ذهب أو فضة ، فقد كفر النعمة ، وكان أسوأ حالا ممن كنز . لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياة ، والمكس ، والأعمال التي يقوم بها أخصاء الناس : والجس أهون منه . وذلك أن الحرف ، والرصاص ، والنحاس ، ثوب ماب الذهب والمصفاة في حفظ المائعات عن أن تبدد . وإيا الأواني لحفظ المائعات ولا يكتفى الحرف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود . فلم يكشف له هذا ، انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له (١) « مَنْ شَرِبَ فِي آيَةِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَكَانَ غَايُجَرُ حَرْفٍ بِطَنِهِ أَرَجَّاهُمْ » . وكل من عامل معاملة الربا على الدرهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم ، لأنها خلقتا لغيرهما لا لنفسهما ، إذ لا غرض في عينهما . فإذا التجر في عينهما فقد أخذها مقصودا على خلاف وضع الحكمة . إذ طالب النقد لغير ما وضع له ظلم . ومن معه ثوب ولا تقدمه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما ودابة ، إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب ، فهو معذور في بيعه . قد آخر ليحصل النقد ، فيتوصل به إلى مقصوده ، وإسهما وسيلتان إلى الغير لا عرض في أعيانها . وموقعهما في الأول كواقع الحرف من الكلام . كما قال الجويون . إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره . وموقع المراء من الألوان . وإنما من معه نقد ، فلو جازله أن يبيعه بالنقد ، فيتخذ التعامل على النقد عاية عمله ، فيبقى النقد قيداعده ، وينزل منزلة المكثور . وتقييد الحاكم والعبد الموصل إلى الغير ظلم . كما أن حذسه ظلم . فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا انخاذ النقد مقصودا للدخار ، وهو ظلم .

فإن فات فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر ؟ ولم حاز بيع الدرهم مثله ؟ فاعلم أن أحد

(١) حديث من شرب في آية من ذهب أو فضة وكان غاي جري طه . رحمه الله . من حديث أم سلمة لم يصرح المصنف بكونه حديثا

القدس يخاف الآخر في مقصود التوصل . إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تنفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما بيع الدرهم بدرهم بعينه فحذر . من حيث إن ذلك لا يرعب فيه عاقل منهم . اتساوبا ولا يستغل به تاجر ، فإنه عبث بحري بحري وضع الدرهم على الأرض وأخذ بهينه ونحن لانحاف على العقل ، أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذ بهينه . فلا تسمع مما لا تشوق النفس إليه . إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر . وذلك أيضا لا يتصور حريته ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بعينه من الردي . . فلا يتظم العقد . وإن طاب زيادة في الردي . فذلك مما قد يقصده ، فلا جرم ندمه منه . ونحكم أن جيدها ورديها سواء ، لأن الجودة والرداءه ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه . ومالا عرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته . وبما الذي ظاهم هو الذي صرب النقود عتمة في الجودة والرداءه ، حتى صارت مقصودة في أعيانها ، وحقها أن لا تقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله سبئة . فإنما لم يجز ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان ، في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه ، لبقى صورة المسامحة ، فيكون له حمد وأجر . والمعاوضة لأحدهما ولا آخر . فهو أيضا ظالم ، لأنه إضاعة لخصوص المسامحة وإحراجها في مرض المعاوضة . وكذلك الأطعمة حاقت لبتئدي بها ، أو يتداوى بها ولا ينبغي أن تصرف عن حبتها . فإن فتح باب المعاملة فيها وحب تقييدها في الأيدي . ويؤخر عما الأكل الذي أرادت له . فاحسن الله الطعام إلا ليؤكل . والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ، ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغنى عنها . إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجا ، ولم يجعله بضاعة تجارة ، وإن جعله بضاعة تجارة فليمنه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يظلمه بين ذلك الطعام فهو أيضا مستغنى عنه . ولهذا ورد في الشرع لمن المحتكر ، وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب

نعم بائع البر بالتمر معذور ، إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في العرض ، وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ، ولكنه عايب ، فلا يحتاج إلى مع ، لأن القوس لا تسدح به

إلا عند التفاوت في الحدود ، ومقالة الحديد مثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد .
وأما حديد رديئ فقد يعتمد ، وإن كان في كات الأطعمة من الضروريات . والحديد يساوى
الرديء في أصل الفائدة ، ويحتمل في وجوه التمتع ، أسقط الشرع غرض التمتع فيها هو القوام
فهذه حكمة الشرع في تحريم الرأى ، وقد اكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه .
فماحق هذا بقن المقهيات ، فإنه أقوى من جمع ما أورده في الخلافيات

وهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات
إذ لو دخل الجص فيه كانت الثياب والدواب أولى بالدخول . ولولا المنع لكان مذهب
مالك رحمه الله أقوم للمذاهب فيه ، إذ حصصه بالأقوات . وإن كان كل معنى يرعاه الشرع
ولا بد أن يضبط بحد . وتحديد هذا كان ممكناً بالقوت ، وكان ممكناً بالمطعم . فرأى الشرع
التحديد بحسب المطعم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء . وتحديدات الشرع قد تحيط
بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم . ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة
ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص . فعين
المعنى بحال قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص . فيكون الحد ضرورياً . ولذلك
قال الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد عصى الله نفسه) (١) ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف
فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد . كما يحد شرع عيسى بن مريم عليه السلام
تحريم الخمر بالنسك ، وقد حده شرعاً بكونه من حس المسكر . لأن قليله يدنو إلى كثيره
والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الحس ، كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية

فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين فيبغى أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها
بهذا المن . وكل ماحق لحكمة فلا يسمى أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد
عرف الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) (٢) وإن كان لا تصادف
حواهر الحكم في قلوب هي مراد الشهوات ، وملاعب الشيطان . بل لا يتذكر إلا أولوا
الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٣) لا أن الشياطين يحوون على قلوب

(١) حديث بولان الشيعى يحوون على من آدم نظروا إلى ملكوت السماء : تقدم في الصوم

(٢) الطلاق : ١ (٣) البقرة : ٢٦٩

سَيَّ آدَمَ اضْرُؤَا إِلَى مَنْكُوتِ السَّمَاءِ » وإذا عرمت هذا المثل فقس عليه حرركتك
وسكوتك ، ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر . إذا
لا يتصور أن ينفعك عنهما . وبعض ذلك نفسه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس
بالكرامة ، وبعضه بالخطر . وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالخطر . فأقول مثلاً
لو استنجيت بالماء فقد كفرت بعمدة اليدين ، إذ خلق الله لك اليدين ، وجعل إحداهما أقوى
من الأخرى ، فاستحق الأقوى بزيادة رجبانه في الغالب الشريف والتفصيل وتفضيل
الناقص عدول عن العدل ، والله لا يأمر إلا بالعدل . ثم أخرجك من أعطاك اليدين إلى أعمال
بعضها شريف كأخذ المصحف ، وبعضها خسيس كالإزالة الحادة . وإذا أخذت المصحف
باليسار ، وأزالت النجاسة باليمين ، فقد خصصت الشريف بما هو خسيس . فغضضت من
حقه وطمسته وعدت عن العدل . وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة ، أو استقبالتها
في قضاء الحاجة ، فقد كفرت بعمدة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم . لأنه خلق
الجهات لتكون منسمة في حركتك ، وقسم الجهات إلى عالم بشرها . وإلى ما شرها بأن
وضع فيها بيت أصابه إلى نفسه ، استأله لقلبك إليه . ليتقيد به قلبك ، فيتقيد بسببه بذلك
في تلك الجهة على هيئة السمات والوقار إذا عدت ربك . وكذلك انقسمت أعمالك إلى ماهي
شريفة كالطاعات ، وإلى ماهي خسيسة كقصص الحاجة ، ورمي البصاق فإذا رميت بصاقتك
إلى جهة القبلة فقد طمستها ، وكفرت بعمدة الله تعالى عليك بوضع القبلة ، التي بوضعها تكال عبادتك
وكذلك إذا لست خلفك فابتدأت باليسرى فقد طمست ، لأن الحف وقاية للرجل ،
فللرجل فيه حظ ، والبداءة في الخطوط ينبغي أن تكون بالأشرف ، فهو العدل والوفاء بالحكمة
وتقيضه ظلم وكفران لعمدة الحف والرجل . وهذا عند العارفين كبيرة ، وإن سماه
الفقيه مكروها . حتى أن بعضهم كان قد جمع أكراراً من الخنطة . وكان يتصدق بها ،
فستل عن سببه فقال . لبست اللباس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً ، فأريد أن أكفره
بالصدقة ، نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين . بل بإصلاح
العوام الذين تقرب درجاتهم من درجة الأعمام ، وهم ممنوسون في ظلمات أظلم وأعظم من
أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها . فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر ، وأخذ القدح

بفساره ، فقد تعدى من وجهين . أحدهما : الشرب ، والآخر : الأخذ باليسار . ومن باع خمرًا في وقت النداء يوم الجمعة ، فقصيح أن يقال خان من وجهين . أحدهم : بيع الخمر ، والآخر : البيع في وقت النداء . ومن قصى حاجته في محراب المسجد مستدير القبلة ، فقصيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة ، من حيث إنه لم يحمل القبلة عن عينه فالمعاصي كلها طمات وبعضها فوق بعض . فينمحق بعضها في جانب البعض . فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكرية غير إذنه . ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده ، لم يبق لاستعمال السكين غير إدارته حكم ونكاية في نفسه . فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب ، وتسامحا فيه في الفقه مع العوام : فسببه هذه الصلوة . وإلا فكل هذه المكروه عدول عن العدل ، وكفران للنعمة ، ونقصان عن الدرجة المبلغة للعباد إلى درجات القرب . نعم ، بعضها يؤثر في العبد . بنقصان القرب والمحطاط المنزلة . وبعضها يجرح بالكتابة عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين . وكذلك من كسر غصبا من شجرة من غير حاجة نادرة مهمة . ومن غير غرض صحيح . فقد كفر نعمة الله تعالى في حلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد ، فإنها لم تخلق للعبث . بل للطاعة والأعمال المعبنة على الطاعة . وأما الشجر ، فإنما خلقه الله تعالى ، وخلق له المروق ، وساق إليه الماء ، وخلق فيه قوة الاعتناء والماء ، ليباغ منتهى نشوة فينتفع به عباده ، فكسره قبل منتهى نشوة لا على وجه ينفع عباده ، بل لملقصور الحكمة ، وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فلا ذلك ، إذ الشجر والحيوان جعلوا لخدمة الأغراض الإنسانية فإلهم ما جعلا ما يان حال كان . وإلهم الأخس في قضاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تضيقهما جميعا . وإليه الإشارة قوله تعالى (وسحر لكم في السموات وما في الأرض جميعا)^(١) . نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا . لأن كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم ، بل تفي بحاجة واحدة ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظالما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء ، وقام بالتمهيد ، فهو أولى به من غيره ، فيرجح جانبه بذلك . فإن ثبت ذلك

(١) الخاتمة : ١٣

في موات الأرض ، لا يسمى آدمي اختص بفرسه أو بفرسه ، فلا بد من طلب اختصاص آخر ، وهو السبق إلى أخذه . فلا ساق خاصة سبق . فالعدل هو أن يكون أولى به . وعتر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو محار محض . إذ لا ملك إلا لملك المالك ، الذي له ما في السموات والأرض . وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه ، بل هو ملك غيره . نعم الحق عباد الله ، والأرض مائدة الله . وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم . كالملك ينصب مائدة لعبيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها برأجه ، خذ عبد آخر وأراد استزاعها من يده ، لم يمكن منه ، لا لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد ، فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ، ولكن إذا كانت كل لقمة تعينها لأقرب بحاجة كل العبيد ، لعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص بفرد العبد ، فمع من لا يدل بذلك الاختصاص عن راحته . فكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عبادته . ولذلك نقول : من أخذ من أموال الديار أكثر من حاجته ، وكبره وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه ، فهو ظالم . وهو من الذين يسكرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله . وإنما سبيل الله طاعته ، وزاد الحق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تدفع ضروراتهم ، وترفع حاجتهم . ثم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه ، لأن مقادير الحاجات خفية ، والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مخلقة ، وأواخر الأعمار غير معلومة . فتكليف العوام ذلك يحرى مجرى تكليف الصيانت الوقار ، والتؤدة ، والسكران . عن كل كلام غير مهم . وهو يحكم نقصانهم لا يطبقونه . فتركوا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو ، وباحتنا ذلك إياهم ، لا يدل على أن اللهو واللعب حق .

فكذلك إباحة العوام حفظ الأموال ، والاقتصار في الإتيان على قدر الزكاة ، لصورة ما جعلوا عليه من البخل . لا يدل على أنه غاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى (إِنْ يَسْأَلُكُمْ فِيهَا فَيَجْعَلْكُمْ تَحُلُوا) (١) بل الحق الذي لا كدورة فيه ، والعدل الذي لا ظلم فيه ، أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الرأكب . فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان ، إلى حضرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه . ثم منعه عن رأكب

آخر محتاج إليه ، فهو طالم تارك للمعدل ، وخارج عن مقصود الحكمة ، وكافر بعمة الله تعالى عاياه بالقرآن . والرسول ، والعقل . وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الراكب ومال عليه في الدنيا والآخرة . فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات ، قدر على القيام بوطبعة الشكر . واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجتهدات . ثم لا يبقى إلا القليل . وإن أوردنا هذا القدر ليعلم عمة العبد في قوله تعالى (وَمِمَّنْ مِنْ عِبَادِي لَشُكُّورٌ ^(١)) وفرح إله الله بقوله (وَلَا تَجِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ^(٢)) فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله ، وأنه وراء آخر وراء ذلك تنقضي الأعمار دون استقصاء مبادئها . فمما تفسر الآية ومعنى أعظمها ، فيعرفه كل من يعرف اللغة ، وهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير . فإن قلت : فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء ، وأنه جعل بعض أعمال العباد سببا لنظام تلك الحكمة ، ولو غمها عاياه المراد منها ، وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة . فكل فعل وافق مقتضى الحكمة ، حتى انسأفت الحكمة إلى عايتها فهو شكر . وكل مخالاف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى العاية المرادة بها فهو كفران . وهذا كله مفهوم . ولكن الإشكال باق وهو أن فعل العبد الملتزم إلى ما يتم الحكمة ، وإلى ما يردها ، هو أيضا من فعل الله تعالى . فإين العبد في البيت حتى يكون شاكرا صرة وكافرا أخرى ؟

فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر مزايا فيما سبق إلى تلويحات بمبادئها ونحن الآن نعبّر بعبارة وحيزة عن آخرها وغايتها ، يفهمها من عرف منطق الطير ، ويجدها من عجز عن الإيصاع في السير ، فضلا عن أن يحول في حو المكوت جولان الطير . فنقول : إن الله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عما يصدر الخلق والاحتراع . وتلك الصفة أعلى وأحل من أن تلحقها عين واضع الالة ، حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنهه جلاله ، وخصوص حقيقة . فلم يكن لها في العالم عبارة لعل شأنها ، وانحطاط رتبة واصي الالات عن أن يعتد طرف فهمهم إلى مبادئ إشرافها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم . كما تنحفض أبصار الخفافيش عن نور

الشمس ، لا لغرض في نور الشمس ، ولكن لضعف في أبصار الخفايش فأصطر
الذين فتحت أبصارهم للاحاطة بجلالها . إلى أن يستعبروا من حضيض عالم المتساقطين بالآفات
عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئاً صغيراً جداً . فاستعاروا لها اسم القدرة فتجسرت باسم
استعارتهم على الطق ، وقلنا : لله تعالى صفة هي القدرة ، عما يصدر الخلق والاختراع
ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام ، وخصوص سمات ومصدر أقسام هذه الأقسام
واختصاصها بخصوص صفاتها . صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت ، عبارة
المشيئة . فهي توهم منه أمراً بجملاً عند المتساقطين بالآفات ، التي هي حروف وأصوات الملهمين
بها . وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها ، كقصور لفظ القدرة
ثم انقسمت الأعمال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمها
وإلى ما يقف دون الغاية . وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة . لرجوعها إلى الاختصاصات
التي بها تتم القسمة والاختلافات . فاستعير لدرجة البالغ غايته عبارة المحبة . واستعير لدرجة
الواقف دون غايته عبارة الكراهة . وقيل إنها جميعاً داخلان في وصف المشيئة ، ولكن
لكل واحد خاصية أخرى في الذية . يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمراً بجملاً عند
طائفي الفهم من الألفاظ والآفات . ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه
إلى من سبقت له المشيئة الآرية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ، ويكون ذلك
فهما في حقهم بتسليط الدواعي واليوغات عليهم ، وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم
لإيقاف حكمته إلى غايتها في بعض الأمور . فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة
خاصة . فاستعير لدرجة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا . واستعير للذين استوقف
بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب . فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل
وقعت الحكمة به دون غايتها ، فاستعير له الكفران ، وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة وزيادة
في النكال . وظهر على من ارتصاه في الأزل قبل انساقه بسببه الحكمة إلى غايتها . فاستعير له
عبارة الشكر ، وأردف بخلة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال
فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى . وأعطي الكمال ثم قبح وأردى . وكان مثاله
أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ، ثم يلبسه من محاسن ثيابه ، فإذا تم زينه قال يا جميل

ما أجهلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك ، فيكون بالحقيقة هو الجمال ، وهو المشي على الجبال
هو المثني عليه بكل حال ، وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه ، وإذا العبد هدف
الثناء من حيث الظاهر والصورة . فمكدا كانت الأور في الأول ، وهكذا تتسلسل
الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب . ولم يكن ذلك عن اتفاق
وبحث ، بل عن إرادة . وحكمة ، وحكم حق . وأمر حرم ، واستعبر له أعط القضاء ، وقيل
إله كلج بالبصر أو هو أقرب . فصارت بحار المقدير تحكم ذلك القضاء الجرم ، عما سبق به
التقدير ، فاستعبر لترتيب آحاد المقدورات ، مع ما على بعض أعط القدر وكان أعط القضاء بإزاء الأمر
الواحد اسكني ، وأعط القدر زاء التفصيل المتجدي إلى غير نهاية . وقيل إن شيئاً من ذلك ليس
خارجاً عن القضاء والقدر . فخطر لبعض المباد أن القصة قد انقضت هذا التفصيل ، وكيف
انتظم المعدل مع هذا التفاوت والتفصيل . وكان بعضهم قصوره لا يطبق ملاحظة كنه
هذا الأمر ، والاحتواء على مجامعه . فألجوا عما لم يطبقوا خوض غمرته بلجام المنع . وقيل
لهم اسكنوا فما لهذا خلقتم . لا يستل عما يفعل وهم يستلوث

وجهر التناوب
عند مرور
الله تعالى

وامتلات مشكاة لبعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والأرض ، وكان
رمتهم أولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تحسبه نار ، فست نار . فاشتعل نورا على نور ، انثرت
أطراف المذكوت بين أيديهم نور رها ، فأدركوا الأور كما هي عليه . وقيل لهم :
تأدوا بآداب الله تعالى واسكنوا ، وإذا ذكر القدر فامسكوا ، فإن للحيطان آداباً ،
وحواليكم صماء الأبرار . وسروا بـير أضعفكم ، ولا تكشفوا حجاب الشمس لا تبصر
الحماش ، فيكون ذلك سبب هلاكهم ، فتحلقوا بأحلاق الله تعالى ، واربوا إلى سماء الدنيا
من منتهى علوكم . أيأسكم الضمراء . ويقتسوا من بقايا أواركم المشرقة من وراء حجابكم
كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في حجب الليل ، ويحيها حياهم تحتها
شخصه وحاله ، وإذ كان لا يحيا به حياه المتردد في كمال نور الشمس ، وكووا كس ويل فيهم

شراباً طيباً عند طبيب كذا شراب الطيبين لطيب

شراباً وأهرقاً على الأرض فضله والأرض من كأس الكرام نصب

(١) حديث إذا ذكر القدر فامسكوا : الضرائق من حديث ابن مسعود وقد عدم في العلم ولم يصرح

بصفه كونه حديثاً

فكذلك كان أول هذا الأمر وآخره ولا تهمه إلا إذا كنت أهلاً له وإذا كنت أهلاً
له فتحت العين وأبصرت ، فلا تحتاج إلى قائد يقودك والأعمى ممكن أن يقاد ، ولكن إلى
حد ما فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السبب . وأدق من الشمر ، قدر الطائر على أن
يطير عليه ، ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى . وهذا دق الخجل ، ولطف لطف الماء مثلاً
ولم يكن العبور إلا بالسباحة ، فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعب بنفسه ، ورعالم يقدر
على أن يستجر وراءه آخر . فهذه أمور نسبة السر عليها إلى السر على ما هو مجال جاهل
الخلق ، كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة يمكن أن تعلم . فإما المشي
على الماء فلا يكسب بالمليم ، ليدل بقوة اليقين ولذلك " قيل لابي صلى الله عليه وسلم إن عيسى
عليه السلام قال أنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم " لو أراد أن يقب المشي على الهواء " .
فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحنة ، والرضا والغضب ، والشكر والكفران
لا يبق بعلم المعاملة أكثر منها . وقد صرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى أهتمام الخلق
إد عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعباده ، فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم
ثم أخبر أن له عبيدين ، يحب أحدهما واسمه جبريل ، وروح القدس ، والأمين ، وهو عبده
محبوب ، مطاع ، أمين ، مكين ، وينص الآخر واسمه إيس ، وهو الأمين ، المنظر إلى
يوم الدين . ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ) (١) وقال تعالى (يُنْفِثُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (٢) وأحال
الإعواء على إيس فقال تعالى (يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ) (٣) والإعواء هو استيقاف العباد دون
بلوغ غاية الحكمة . فاطر كيف أسبه إلى العبد الذي عصب عليه والإرشاد سيقه لهم

(١) حديث رواه له قال أن عيسى مشى على الماء قال لو أراد أن يمشى على الهواء هذا حديث منكروا
يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتابه اليقين من قول بكر بن عبد الله
لبي قال فعند الخواريون أنهم قيل لهم توجه نحو البحر فظلموا يطلبونه فمساء نهواهم
البحر يد هو قد آمن يمشي على الماء ، وذكر حديث فيه أن عيسى قال يوشى لأن آدم من أئمة
شعره مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند صحيح من حديث

معادن حله لو عرفتم الله حق معرفته سبقتهم على البحور وأراد الله بهم الخذل

إلى العاية . فأنظر كيف نسه إلى العبد الذي أحبه . وعدك في العادة له مثال . فلذلك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب ، وإلى من يحججه ويظف فء منزله عن القادورات ، وكان له عبدان ، فلا يمين للحجبة والتضييف إلا أنقبحها وأخسها ولا يفوض حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما ، وأكفهما ، وأحبهما إليه . ولا يدعى أن تقول هذا فعلى ، ولم يكون فعله دون فعلى ، فإث أخطأت ، إذ أنصفت ذلك إلى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه ، والفعل المحبوب بالشخص المحبوب ، إنعاما للمعدل فإن عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها ، وتارة يتم فيك . فإنك أيضا من أعماله فداعيتك وقدرتك . وعلمك ، وعمالك ، وسائر أسباب حركاتك . فى التمييز هو فعله ، الذى رتبته بالمعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال المعتدلة . إلا أنك لا ترى إلا نفسك ، متظان أن ما ظهر عليك فى عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والمذكوت فذلك تغيبه إلى نفسك وإنما أنت مثل العصى الذى يظفر إيل إلى أحب المشعبذ . الذى يخرج صورا من وراء حجاب ترفص ، وترقق . وتقوم ، وتقع ، وهى مؤلفة من خرق لا تتحرك بأفئسها ، وإنما تحركها خيوط شمعية دقيقة لا تظهر فى طلام الليل . ورؤوسها فى يد المشعبذ ، وهو محتجب عن أبصار العبدان ، وهم حنون ويتمتعون . اظههم أن تلك الخرق ترفص ، وتلعب وتقوم وتقع . وأما العقلاء ، وإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وإيس يتحرك ، ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله . والذى يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كإعلمه المشعبذ الذى الأصر إليه والحاذية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا . والحق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء . ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة ، فيحيلون عليها . والعلماء يعلمون أنهم محركون ، إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك ، وهم الأكثرون ، إلا المدرفون والعلماء الراسخون وإنهم أدركوا بجدة أبصارهم حيوطا دقيقة عنكبوتية ، بل أدق منها بكثير . معلقة من السماء ، منشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض ، لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الطاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط فى ماضات لها هى معلقة بها . وشاهدوا كذلك الماطات مقابض هى فى أبدى الملائكة المحركين للسموات . وشاهدوا أيضا ملائكة السموات

مصرفه إلى حملة العرش . ينتظرون منهم ما يرسل عليهم من الأوامر من حضرة الربوبية كي لا يصوا الله بأمرهم ويعملون ما يؤمرون . وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ^(١)) وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من الأوامر فقيل (خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ^(٢)) وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم . وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتماها أفهام الخلق ، حيث قرأ قوله تعالى (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ^(٣)) فقال : لو ذكرت ما عرفه من معنى هذه الآية لرجعتوني وفي إعطى آخر ألقم به كافر . ولتقتصر على هذا القدر ، فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار . وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه ، فدرج إلى مقاصد الشكر فنقول

إذا رجع حقيقة الشكر إلى قول العبد مستعملا في إتمام حكمة الله تعالى ، فاشكر العباد أحبهم إلى الله وأمرهم إليه . وأمرهم إلى الله الملائكة ، ولهم أيضا ترتيب . وما هم إلا وله مقام معلوم . وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام . وإعلاء علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة . وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام . وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض . ويلي درجتهم درجة الأنبياء . فإنهم في أنفسهم أخيار . وقد هدى الله بهم سائر الخلق . وتمم بهم حكمته . وأعلام رتبة بيما صلى الله عليه وسلم وعليهم ، إذا أكل الله به الدين . وحتم به البيبين . ويليهم العلماء الذين هم رتبة الأنبياء . فإنهم في أنفسهم صالحون ، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق . ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره . ثم يليهم السلاطين بالعدل ، لأنهم أصلحوا ديار الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين . والملك والسطوة ، لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كان أفضل من سائر الأنبياء . فإنهم أكل الله به صلاح دينهم ودنياهم . ولم يكن السيف والملك لميره من الأنبياء . ثم يلي العلماء والسلاطين . الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط . فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم . ومن عدا هؤلاء فهم رعا

واعلم أن السلطان به قوام الدين ، فلا ينبغي أن يستحقه وإن كان طامسة قال عمرو
 ابن العاص رحمه الله : إمام عشوم خير من قسة تدوم وقال أبي علي لله عليه وسلم ^(١)
 « سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتَشْكُرُونَ وَيُفْسِدُونَ وَمَا يُصْلِحُ اللَّهُ لَهُمْ
 أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْسِنُوا لَهُمْ الْأَجْرُ وَعَيْنُكُمْ الشُّكْرُ وَإِنْ أَسَوْا فَعَيْنُكُمْ الْوَيْزُ وَعَلَيْكُمْ
 الصَّبْرُ » وقال سهل : من أكره إمارة السلطان فهو زنديق . ومن دعاه السلطان فلم يجب
 فهو مبتدع . ومن أنه من غير دعوة فهو جاهل . ومن أي الناس خير ؟ قال السلطان
 فقيل كذا نرى أن شر الناس السلطان . فقال مهلا . إن لله تعالى كل يوم نظرتين : نظرة
 إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أديانهم ، فيطاع في صحيفته فيعزله جميع ذنبه
 وكان يقول : الحشوات السود الملتفة على أنوفهم خير من سبعين قاصد يقصون .

الركبة الثاني

من أركان الشكر ، ما عليه الشكر

وهو النعمة . فليذكر فيه حقيقة النعمة . وأقسامها . ودرجاتها ، وأصنافها ، ومحامها بما
 يخص ويهم . فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى (وإن
 تعدوا نعمة الله لا تحصوها ^(١)) فتقدم أمورا كلية تجري مجرى القوايين في معرفة
 النعم . ثم تشتغل بذكر الآحاد ، والله الموفق للصواب

(١) حديث سيكون عدكم أمراء بعدد ما صلح الله به . الحديث : أعلم من حدث ثم سمة
 به عمل عدكم أمراء ، وعرفون وتكره . ورواه الترمذي بلفظ سيكون عدكم . ثم قال حسن
 صحيح ولا يرار . بعد ضعيف من حديث ابن عمر السجستاني أنه في لأرضي أبي . وكان مظلوم
 من عباده قال عدل كان له لاحر وكان على رعية الشكر وإن جار أو حاد أو دمر كان عليه
 نور . وعلى الرعية الضمر وأما قوله وما يصلح الله بهم . كثير . ثم أحده . هذا اللفظ لا يؤخذ
 من حديث ابن مسعود حين فرغ إليه الناس من شكر وسيرة الوبيدي عقبة فقال عبد الله
 أصروا فأن حوراما معكم حميين سه خير من هرج . ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول فذكر حديث وإمارة الماهره خير من الهرج . ورواه الطبراني في الكبير . وسأولاً بأس به

بيان

حقيقة النعمة وأقسامها

اعلم أن كل خير وندى وسعادة ، بل كل مطلوب وه يؤثر فيه يسمى نعمة . وإن كان النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية . وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط ، وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة ، فإن ذلك غلط محض . وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ، ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق . فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها ، إما بواسطة واحدة أو بوسائط ، فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق ، لأجل أنه يعصى إلى النعمة الحقيقية . والأسباب المعينة ، والملاذات الممناه نعمة ، بشرحها بتقسيمات القسم الأول أن الأوركا ، بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا ، كالعلم وحسن الخلق ، وإلى ما هو ضرر فيهما جميعا ، كالجهل وسوء الخلق . وإلى ما يقع في الحال ويضر في المال ، كالهدايا باع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن يقع في المال ، كتمتع الشهوات ومخاطبة النفس

تقسيم الأمور
بالنسبة إلينا

فالمافع في الحال والمال هو النعمة الحقيقية . كالعلم وحسن الخلق ، والضرر فيهما من البلاء تحقيقا ، وهو ضدهما . والضرر في الحال المضر في المال بلاء محض عند ذوي المصائر ونظنه الجاهل نعمة . ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم ، فإنه يمدده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه ، والضرر في الحال النافع في المال نعمة عند ذوي الأبواب بلاء عند الجاهل . ومثاله الدواء البشع في الحال مديقه ، لأنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة . فالصبي الجاهل إذا كاف شره طله بلاء ، والعاقل يمدده نعمة ويتقاعده المنة ممن يهديه إليه ، ويقربه منه ، ويهيئه له أسبابه . فملك تمنع الأم ولدها من الحجامة . والأب يدعو إليه . فإن الأب زكّال عقله يلمح العاقبة . والأم امرط حبها وقصورها تلحظ الحال ، والصبي الجاهل يتقاعده منة من أمه دون أبيه ، ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدو له . ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطا في صورة صديق . لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل .

فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إلهما جوهران أنهما نعمة ، بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمرًا ليس يتمكن أن يتوصل إليه إلا بهما . فلو كان مقصده العلم والدعة ، ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته ، استوى عنده الذهب والمدر ، فكان وجودهما وعدمهما عنده متغيرًا ، بل ربما شمله وجودهما عن الفكر والعبادة ، فيكونان نعمة في حق من لا يكونان نعمة . قسمه رابعة . اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع . وادبذ . وجبيل . فالادبذ هو الذي تدرك راحته في الحال ، والنافع هو الذي يفيد في المال . والجبيل هو الذي تنحس في سائر الأحوال . والشروط أيضا تنقسم إلى صارة وقبيح . وهؤلم وكل واحد من القسمين صيران . مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة ، أما في الجبر فسكانهم والحكمة ، وإياها نعمة وجيلة والذينة عند أهل العلم والحكمة . وأما في الشر فسكانهم ، وإياه صار وقبيح وهؤلم . وإنما يحس الجاهل ألم حمله إذا عرف أنه جاهل ، وذلك بأن يرى غيره عالما . ويرى نفسه جاهلا ، فيدرك ألم النقص فتدبث منه شهوة العلم الذينة . ثم قد يعمه الحسد ، والكبر . والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متعادان ، فيعظم ألمه . وإياه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان ، وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات ، أو ترك السكر ودل العلم ومثل هذا الشخص لا يرال في عذاب دائم لا محالة والخرب الثاني المقيد وهو الذي جمع بين هذه الأوصاف دون بعض . ورب نافع وهؤلم ، كقطع الأصبع المتأكلة . والسامة المارحة من البدن . ورب نافع قبيح كالخلق . وإياه بالإضافة إلى بعض الأحوال . نافع ، فقد قيل : استراح من لا عقل له ، وإياه لا ينهم بالعافية ويستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه . ورب نافع من وجه صار من وجه ، كإلقاء المال في البحر عند خوف الفرق . وإياه صار للمال . نافع للنفس في جنتها . والنافع قسما . ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة . وأغنى هما العلم والعمل ، إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما ، وإلى مالا يسكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصمراء ، وإياه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه .

قسمة خامسة . اعلم أن النعمة بعبرتها عن كل لذية . واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصها بها أو مشاركتها لغيره ثلاثة أنواع : عقلية ، وبدنية مشتركة مع بعض

تقسيم النعم
بالإضافة إلى
الإنسان

الحيوانات ، وندية مشتركة مع جميع الحيوانات . أما العقلية فكذلك العلم والحكمة .
 إذ ليس يسليها السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، ولا البطن ولا المرع . وإعما يستلدها
 القلب . لاحتصاصه بصحة معرفته . وعقله . وهذه أول اللذات وجوداً ، وهي أشرفها
 أم قلتها فلا نعلم لا يستلده إلا علم . والحكمة لا يستلدها إلا حكيمة ، وما أول نحل
 العلم والحكمة ، وما أكثر المذمومين باسمه ، والمتوسمين برسومهم . وأما شرفها فلا لها
 لارمة لا تروى أبداً ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ودائمة لا تمل فاطمهم يشبع منه فيمل .
 وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستقل ، والعلم والحكمة لا يتصور أن تمل وتستقل ومن
 قدر على الشرف الدقيق أم الآداب ، إذا رضى بالحسب الهني في أقرب الآداب ، فهو مصاب
 في عقله ، محروم لشقاوته وإدماره . وأول أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان
 وحفظة ، بخلاف المال . إذ العلم بحرسك ، وأنت تحرس المال والعلم يريد بالإفاق . والمال
 يتقص بالإفاق . والمال يسرق ، والولاية يعرف عنها ، والعلم لا تنتد إليه أيدي السراق
 الأخذ . ولا أيدي السلاطين بالمرل . فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً ، وصاحب
 المال والحساء في كرب الخوف أبداً . ثم العلم نافع . ولديده . وجبيل ، في كل حال أبداً
 وأل تارة يجذب إلى الهلاك ، وتارة يجذب إلى النجاة . ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن
 في مواضع ، وإن سماه حيراً في مواضع . وأما فصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم .
 فهو لعدم الذوق ، فمن لم يدق لم يعرف ولم يشق ، إذ الشوق تبع الذوق ، وإما لفساد
 أمزجتهم ، ومرض فلوهم بسبب اتباع الشهوات ، كالمرضى الذي لا يدرك حلاوة العسل
 ويراه مرراً ، وإما لفصوره فطنتهم ، إذ لم تحلق لهم مد العصفة التي بها يسلي العلم ، كالطهر
 الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ، ولا يستلذ إلا اللبس . وذات لا يدل على
 أنها ليست لذية ، ولا استطابته اللبس تدل على أنه أذل الأشياء . والقاصرون عن درك
 لذة العلم والحكمة ثلاثة . إما من لم يحي باطنه كالطفل . وإما من مات مد الحياء باتباع
 الشهوات ، وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات . وقوله تعالى (في قلوبهم مرض)^(١)
 إشارته إلى مرض العقول . وقوله عز وجل (لا يذير من كان حياً)^(٢) إشارة إلى من لم يحي

مقارنته بين
العلم والمال

حياة باطنة . وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي ، وإن كان عند الجاهل من الأحياء . ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ، وإن كانوا موتى بالأبدان الثانية : لئلا يشارك الإنسان فيه بعض الحيوانات . ككثرة الرياسة والعلمية والاستيلاء وذلك موجود في الأسد والمر وبعض الحيوانات . الثالثة : مشاركة فيها سائر الحيوانات كاذة البطش والفرج . وهذه أكثرها وجودا ، وهي أحسها ، ولذلك اشترك فيها كل مآدب ودرج ، حتى الديدان والحشرات . ومن جاوز هذه رتبة تشدث به لذة العلية ، وهو أشدها نصافا ، بالمعنيين . فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة . فصار أعجب اللذات عليه لذة العلم والحكمة ، لاسيما لذة معرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته وأفعاله . وهذه رتبة الصديقين ، ولا يزال تمامها إلا بحروح استيلاء حب الرياسة من القلب . وآخر ما يخرج من رسوم الصديقين حب الرياسة . وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون . وشهوة الرياسة لا يقوى على كسرها إلا الصديقون . فأما قبحها بالكلية حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال . فيشبه أن يكون حارجا عن مقدور البشر ، نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياسة والعلمية ولكن ذلك لا يدوم طول العمر ، بل يتمر به المرات ، فتمود بإليه الصفات البشرية . فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل .

وعند هذا تنقسم المنووب إلى أربعة أصنام . قلب لا يحب إلا الله تعالى ، ولا يسيرج إلا بربادة المعرفة به والفكر فيه . وقلب لا يدري مالذة المعرفة ، وما معنى الأنس بالله ، وإنما لذته بالجاء ، والرياسة . والمال ، وسائر الشهوات البدنية ، وقلب أعجب أحواله الأنس بالله سبحانه . والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ، ولكن قد يتمر به في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية ، وقلب أعجب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ، ويتمر به في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة . أما الأول فإن كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد .

وأما الثاني . فالذي باطنة به . وأما الثالث والرابع فوجودان ، ولكن على غاية الدور . ولا يتصور أن يكون ذلك إلا ندرا شاذا وهو مع الدور يتفاوت في القوة والكثرة وإنما يكون كثرة في الأعصار القريبة من أعصار الأبداء عليهم السلام فلا يزال يرداد

المهد طولا ، وترداد مثل هذه القلوب قلة . إلى أن تقرب الساعة ، ويقضى الله أمرا كان معمولاً وإنما وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة . والملك عزيز ، والملوك لا يكثرون . فكذا لا يكون العائق في الملك والجبال إلا نادرا ، وأكثر الناس من دونهم . فكذا في ملك الآخرة ، فإن الدنيا مرآة الآخرة . فإنها عبارة عن عالم الشهادة ، والآخرة عبارة عن عالم الغيب ، وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب . كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة ، والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود . فإنها أولى في حق رؤيتك . فإنك لا ترى نفسك ، وترى صورتك في المرآة أولا ، فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة . فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة ، وانقلب المتأخر متقدما . وهذا نوع من الانعكاس . ولكن الانعكاس والانعكاس ضرورة هذا العالم . فكذلك عالم الملك والشهادة يحكي لعالم الغيب والملوكوت . فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار ، فلا ينظر في شيء ، من عالم الملك إلا ويهرب به إلى عالم الملوكوت ، ويسمى عبوره عبرة ، وقد أمر الحق به فقال (فاعتبرُوا يا أُولِي الْأَبْصَارِ)^(١) . ومنهم من عجمت بصيرته فلم يعتبر ، فاحتمس في عالم الملك والشهادة ، وسيفتح إلى حنسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأئمة . إلا أن بينه وبين إدراك ألها حجابا وإذا رُفع ذلك الحجاب بالموت أدرك . وعن هذا أضره الله تعالى الحق على أسان قوم استنطقهم بالحق ، فقالوا . الجنة والنار محقوقان . ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين . وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة ، وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ، ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين . فذلك قال الله تعالى (كَلَّا لَوْ تَفْقَهُوا سِعْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوْهُنَّ الْجَحِيمَ)^(٢) أي في الدنيا (ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)^(٣) أي في الآخرة . فإذا قد ظهر أن القلب الصالح الملك الآخرة ، لا يكون إلا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا . فسمعة سادسة : حاوية لمجامع النعم . اعلم أن النعم تنقسم إلى ماهي عاية مطلوبة لذاتها ، وإلى ماهي مطلوبة لأجل المآية . أما الفاية فإنها مسعدة الآخرة ، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناء له . وسرور لا غم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده ، وهي النعمة

تقسم النعم
باعتبار فائدها

الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة » وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس ، وذلك في وقت ^(١) حفر الخندق في شدة الضر ، وقال ذلك مرة في المرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا ، وذلك ، عند إحدائق الباس ^(٢) في حجة الوداع . وقال رجل ^(٣) اللهم إني أسألك تدم النعمة . قال النبي صلى الله عليه وسلم « وهن نعمت ما تدم النعمة » قال لا . قال « تمام نعمة دخول الجنة »

وأما الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كعضائل النفس وإلى ما يبعد في القرب كفضائل البدن ، وهو الثاني ، وإلى ما يبعد في القرب ويحذر إلى غير البدن ، كالأسباب المطيعة بالبدن من ادل ، والأهل والعشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب المخدجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية . فهي إذاً أربعة أنواع النوع الأول : وهو الأخص العضائل النفسية . ويرجع حاصلاها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق . ويقسم الإيمان إلى علم المكاشفة ، وهو العلم بالله تعالى ، وصفاته وملائكته ، ورساله ، وإلى علوم المعاملة وحسن الخلق . ينقسم إلى قسمين : ترك مقتضى الشهوات والمعصية ، واسمه العفة ، ومراعاة العدل في التكلف عن مقتضى الشهوات والإهدام حتى لا يمتنع أصلاً ، ولا يقدم كيف شاء ، بل يكون إقدامه وإحجامه بالميران الذي أمره الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال تعالى (أن لا تطغوا في الميران وأقيموا أئورن ما قسط ولا تحسروا الميران ^(١)) من حصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمر من الآفات ، أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والمكر ، فقد أحسر الميران . ومن اهتمت في شهوة البطن والفرج . فقد طغى في الميران . وإما العدل أن يحل ورنه وتقديره عن الظفیان والخسران ، فتعادل كفتا الميزان فإذا الفضائل الحاصلة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة علم مكاشفة . وعلم معاملة ،

الفضائل
النفسية

- (١) حديث قوله عند حفر الخندق لا عيش إلا عيش الآخرة . معنى عليه من حديث أس
- (٢) حديث قوله في حجة الوداع لا عيش إلا عيش الآخرة . الثاني ، رسائل الخد كمتلاوة صحبه وتقدم في الحج
- (٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تدم النعمة . الحديث الزهري من حديث معاذ بن عبد الله

وعمة ، وعمدة ، ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالوع الثنى ، وهو المضائق البدنية ،
وهي أربعة : الصحة ، والقوة ، والجمال ، وطول العمر . ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالوع
الثالث ، وهي العم الخارجة المطبقة بالبدن ، وهي أربعة : المال ، والأهل ، والجاه ، وكرم
العشيرة . ولا يتفقد شيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بأسرع الرابع ، وهي
الأسباب التي تجمع بينهم وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة ، وهي أربعة : هداية الله ،
ورشده ، وتيسيره ، وتأييده . فمجموع هذه العم ستة عشر ، إذ قسمناها إلى أربعة ،
وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة . وهذه الخلقة يحتاج البعض منها إلى البعض ، إما
حاجة ضرورية ، أو ناعمة . أما الحاجة الضرورية فكالحاجة سمادة الآخرة إلى الإيمان وحسن
الخلق ، إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سمادة الآخرة آتية إلا بها . فليس للإنسان
إلا ما سعى ، وليس لأحد في الآخرة إلا ما رزق من الدنيا . وكذلك حاجة الفضائل النفسية
كسب هذه العلوم ، وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري . وأما الحاجة الناعمة على
الخلقة ، فكحاجة هذه العم النفسية والبدنية إلى العم الخارجة ، مثل المال ، والمز ، والأهل
فإن ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض العم الداخلة . فإن قلت : فما وجه الحاجة
لطريق الآخرة إلى العم الخارجة من المال ، والأهل ، والجاه والعشيرة ؟ فاعلم أن هذه
الأسباب حارية محرر الجراح المانع ، والآلة المسهلة للمقصود . أما المال ، فالمقير في طلب
المعلم والكمال وليس له كفاية . كساع إلى الهيحة خير سلاح ، وكبارى روم الصيد لا جناح
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " (نَعَمْ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّحْلِ الصَّالِحِ) " وقال
صلى الله عليه وسلم : " (نَعَمْ أَعْمَلُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ أَمَلٌ) " وكيف لا . ومن عدم المال صار
مستعرق الأوقات في طلب الأوقات ، وفي تهينة اللباس ، والمسكن ، وضرورات الميمنة
ثم يمرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والمكر ، ولا تدفع إلا بسلاح المال .

وهذه امتناع
للمرء الأخرى
للمال وغيره
منه اسم
الخارجية

(١) حديث عم لعل الصالح نرحل لصالح . أحمد و أبو يعلى و طبرانى من حديث حمرون العصب .

(٢) حديث عم العوم على تقوى الله لعل . أبو منصور الدمشقي في مسند أبي هريرة من رواية محمد بن

المكدر عن حار ورواه أبو القاسم العموى من رواية أبي المنكر مرسلًا ومن طريقه رواه
القصاصي في مسند الشهاب هكذا مرسلًا

لأبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطة ، يراعون السلاطين ، ويطلبون عندهم الجاه ، وكذلك علماء الدين لا على قصد التماون من حراتهم ، والاستئثار والاستكثار في الدنيا بعتابتهم . ولا تنقض أمة نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم . حيث صبره وأكمل دينه ، وأطهره على جميع أعدائه ، ومكن في القلوب حبه . حتى اتسع عزه وجاهاه ، كانت أول من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويغضب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة .^(١)

فإن قلت : كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعمة أم لا ؟ فأقول نعم . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " « لَأَنَّهُ مِنْ قُرَيْشٍ » » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم^(٢) من أكرم الناس أرومة في سب آدم عليه السلام . وقال صلى الله عليه وسلم " « تَحَيَّرُوا أَطْرَافَكُمْ إِلَّا كَهْ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " « يَا كُفَّ وَحَصْرَاءِ الدِّمَنِ » فَقِيلَ وَمَا خَصْرَاءُ

(١) حديث رواه صلى الله عليه وسلم من يؤذى ويغضب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم هل في عاتق يوم تشد من يوم أحد قال نعم . فقلت من يوم ما وكان تشد ما لميت يوم عرفة أو عرس مني على ابن عبد الله الحديث : وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أسد لقد أحمت في الله وما يحاف أحد . وأما أوزنت في الله وما يؤذى أحد . ولقد تفرق على ملاون من بين يوم وليلة ومالي وللال طعام يأكله دو كبد الأنبياء يواريه ابط للال قال الترمذي معنى هذا ما يخرج إلى صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة ومنه بلال ولا يحذر عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع للمشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عفة من بني عذرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فحقه خنقا شديدا فجاه أبو بكر فدفعه عنه . الحديث ولا يزال وأبي بكر من حديث أسد قال لقد صر يوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فحس يدي وأمسك بملاون رحلا أن يمول ربي الله وأساده صحيح على شرط مسلم

(٢) حديث الأئمة من قريش النسابي والحاكم من حديث أسد بإسناد صحيح

(٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في سب آدم الأرومة الأصل هذا معلوم وروى مسلم من حديث وثقه من الأئمة مرفوعا أن الله صطفى كساة من ولد اسماعيل واصطفى قريش من كساة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي رواية الترمذي أن الله صطفى من ولد إبراهيم اسمعيل وله من حديث العباس وحسنه ابن عباس والعباس ابن ربيعة وصححه ومطابق ابن وداعة وحسنه ابن عبد الحبيب ومطابق من حديث وفي حديث ابن عباس قال فقوم يمدون صلى الله عليه وآله الأيدي أصلا وحبرهم موضعا

(٤) حديث بخرو عنه كما : ابن ماجه من حديث عائشة . وعدم في الصحيح

(٥) « يَا كُفَّ وَحَصْرَاءِ الدِّمَنِ » عدم فيه أصلا

الدمن؟ قال: «أمرأة أحسناء في أئمتنا الشُّوء» فهذا أيضا من النعم. واستأعنى به الاتساع إلى الصفة وأرباب الدنيا، من الاتساع إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء، وإلى الصالحين والأحرار، المتوسمين بالعلم والعمل.

فإن قلت: فما معنى الصنائع البدية، فأقول لأحباء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة، وإلى طول العمر، إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الشهداء طول العمر في طاعة الله تعالى» وإنما يستعقر من حذته أمر الحال، فيقول: يكفي أن يكون البدن سليما من الأمراض الشائعة عن تحرى الخيرات. وأمرى الجليل قليل العناء. ولكنه من الخيرات أيضا. أما في الداء فلا يخفى فعمه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين أحدهما أن التبيح مذموم. والطعام عنه باقرة. وحاجات الجليل إلى الإحالة أقرب وجاه في الصدور أوسع، فكأنه من هذا الوجه جراح مبيع كالمال والجاه. إذ هو نوع قدرة، إذ يقدر الجليل الوجه على تحير حاجات لا يقدر عليها القسح. وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة واسطتها. . . والذي أن الحال في الأكل كثير يدل على وصيلة النفس. لأن نور النفس إذا تم إشرافه تأدى إلى البدن، فمدظر والمحر كثيرا ما يتلا زمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيآت البدن، وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن. ولذلك يظهر فيه أثر العيب والسرور والنعم. ولذلك قيل طلائع الوجه عيون ماني النفس وقيل ماني الأرض، يح. لا روحه أحسن مانيه. واستمرض الماءون حبشا فمرض عليه رجل قبيح، فاستظنه فإذا هو ألك. فاستقط استسه من الديوان رول الروح إذا أشرقت على الطاهر فصباحة. أو على الحظن فصباحة، وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أضبطوا الخبير عند صباح الوجوه» وقال عمر رضي الله تعالى عنه: إذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه، حسن الاسم وقال القهواء إذا سالت

الفضائل
المسيرة
ومعناها

(١) حدث فضل السعادة فتول العمر في عبادة الله: غريب بهذا اللفظ ولترمدى من حدث ثنى بكره أن رجلا قال يا رسول الله أى السجدة قال من صل عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح

(٢) حديث أطاؤ الخبر عند حسن الوجوه: يؤيد من رواية اسماعيل بن عمار عن حبة «سنة محمد أو ثاب بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأنها لأعزى حاتمها ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء والسهى في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة

درجات المصلين فأحسنهم وجهاً أولاً بالإمامة . وقال تعالى ممثلاً لذلِكَ (وَزَادَهُ بُسْطَةً فِي
 أَنْعَامِهِ وَالْجَنِّ) (١) واستأمنى بالجل ما يحرّك الشهوة ، فإن ذلك أنوثة . وإعائسى به ارتماع
 القامة على الاستقامة ، مع الاعتدال في الناحية ، وتامسب الأعماء ، وتماصف خنقة الوجه ،
 بحيث لا يتبوء الطباع عن النظر إليه . فإن قلت فقد أدخلت المال ، والجاه ، والنسب
 والأهل ، والولد في حيز النعم ، وهذا دم الله تعالى المال والجاه ، وكذا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم (٢) . وكذا العماء ، قال تعالى (إِنْ مِنْكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوٌّ لَكُمْ
 فَادْخُرُوهُمْ) (٣) وقال عز وجل (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَسْ) (٤) وقال على كرم الله
 وجهه في ذم النسب : الناس أسماء ما يحسون . وقيمة كل امرئ ما يحسنه . وقيل : المرء
 بفضله لا بأبيه . فإعائسى كونه نعمة مع كونه مذمومة شرعاً . فاعلم أن من يأخذ اليوم
 من الالهات المدقولة أوولة . والعموات المخصصة ، كان السلال عليه أعاب ، المميت بدور
 الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ، ثم يزل العقل على وفق ، طهر له . بالأمير
 مرة ، وما يخصص أخرى . فهذه نعم محيية على أمر الآخرة لا سبيل إلى حقدتها . إلا أن
 فيها فتناً ومخاوف . فمثل المال مثل الحياة التي فيها تزيق نافع . وسيم دفع فإن أصابهم الممزم
 الذي يعرف وجه الاحرار عن سمها ، وطريق استجراح تريابها النافع . كانت نعمة . وإن
 أصابها السوادى المر ، فهي عليه بلاء وهلاك . وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر
 والآباء . من صهر بالبحر ، فإن كان عالماً بالساحة . وطريق الموضع . وطريق الاحتراز
 عن مهلكات البحر ، فقد ظهر نعمة . وإن حاصه جاهلاً بذلك ، فقد هلك . فإدراك مدح
 الله تعالى المال وسماه حيراً . ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : نِعْمَ الْعَمَلُ
 عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الْمَالُ ، وكذلك مدح الجاه والامر ، إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله
 عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله ، وحده فيلوب الخلق ، وهو المعنى بالجاء . ولكن
 الممقول في مدحها قليل . والمنقول في دم المال والجاه كثير . وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه
 إذ الرياء مقصوده احتلاب القلوب ، ومعنى الجاه ملك القلوب . وإذ كثر هذا وقيل ذلك

وهذه أمة
 المال نعمة
 مع أنه ذم
 شرها

(١) حديث دم المال والجاه . الرمى من حديث كعب بن مالك ما دونان جازع أن رسلاً في غم بأحمد
 لها من حب ليل والشرف لديه : وقد تقدم في دم المال والجل

(١) البقرة : ٢٤٧ (٢) النعمان : ١٤ (٣) النعمان : ١٥

لأن الناس أكثر جهال بطريق الرقية لحية الدال ، وصريق النوص في بحر الجاه ، ووجب تحذيرهم . فإنهم يهلكون بسبب الدال قبل الوصول إلى تريبه ، ويهلكهم تساح بحر الجاه قبل العثور على حواهره . ولو كان في أعينهم مذهب ومين ، بالإضافة إلى كل أحد ، لما تصور أن يضاف إلى البوة المذك . كما كانت لرسولنا صلى الله عليه وسلم . ولا أن يضاف إليها الغنى ، كما كان لسليمان عليه السلام .

فالناس كلهم صبيان ، والأموال حيات ، والأبواب المرفوعة مرفوعة ، فقد يضر الصبي ما لا يضر المعمر . نعم المعمر لو كان له ولد يريد به صلاحه . وقد وجد حية ، وعلم أنه لو أخذها لأجل تريبها لا تئدى . له ولده ، وأخذ الحية إذا رآها ليأمن بها ، فيهلك ، وله عرض في الترياق ، وله عرض في حفظ الولد . فواجب عليه أن يزن عرضه في الترياق بفرسه في حفظ الولد . فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ، ولا يستضر به ضرراً كثيراً ، ولو أخذها لأخذها الصبي . ويعظم ضرره هلاكه ، فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ، ويشير على الصبي بالهرب ، ويقمع صورته في عينه ، ويعرفه أن فيها سمّاً قاتلاً لا ينجو منه أحد . ولا يحذره أصلاً عما فيه . فمن مع الترياق ، فإن ذلك ربما يضره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة . وكذلك المواضع ، إذا علم أنه لو عاش في البحر عمره من ولده لا يلبث ، وهالك ، فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والهر . فإن كان لا يدرح الصبي مجرد البحر . فهو رأى والده يحوم حول الساحل . فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ، ولا يقرب منه بين يديه . فكذلك الأمة في حجر الأباة عليهم السلام كالصبيان الأعيان . وأدرك قال صلى الله عليه وسلم : " إنا أنا لكم مثل الوالد لو لده ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إنا أنا لكم تهافتون على أمارتهما ، الفرائش وأنا أخذ بحجركم ، وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن المهلك . فلو لم يمشوا إلا لذلك . وليس لهم في الدال حظ ، إلا بقدر القوت ، فلا حرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يسكوه ، بل أنفقوه . فإن

(١) حديث إنا أنا لكم مثل الوالد لو لده : مد من حديث أبي هريرة دون قوله ولده . عدم

(٢) حديث إنا أنا لكم تهافتون على أمارتهما ، الفرائش وأنا أخذ بحجركم : مد من حديث أبي هريرة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنا أنا لكم تهافتون على أمارتهما ، الفرائش وأنا أخذ بحجركم .

عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنا أنا لكم تهافتون على أمارتهما ، الفرائش وأنا أخذ بحجركم .

الإيقاق فيه الترياق . وفي الإيماء ك السم ولو فُتِحَ له أس باب كسب الماء ورعبوا فيه ،
 لما لو إلى سم الإيماء ، ورعبوا عن ترياق الإيقاق فذلك قبحت الأفعال . والمعنى
 تقيح إيماءاتها ، والحرص عليها . الاستكثار منها . والتوسع في إيماءاتها . وحب الركون
 إلى الدنيا ولدتها . فأما أخذها بقدر الكفاية ، وصرف الفائض إلى الخيرات ، فليس عذوم
 وحق كل مساور أن لا يحمل إلا بقدر راد في السر ، إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله
 فأما إذا سمحت نفسه إتمام الطعام ، وتوسع الراد على الرفقاء ، فلا بأس بالاستكثار
 وقوله عليه السلام « **إِيكُنْ بِلَاعُ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّيْءِ كَزَادِ الرِّبِّ** » كسب بمعنى لا تفك
 خاصة . وإلا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به ، من يأخذ مائة ألف درهم في موضع
 واحد ، ويهرقها في موضعه ، ولا يمسك منها حبة . ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة ، « **استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن**
يخرج عن جميع ماله » ، فأذن له . فزاد خبرين عليه السلام وقال صرنا أن يطعم المسكين
 ويكسو العاري ، ويقرى الضيف ، الحديث

وأما المصمم الذيوية مشوكة قد امتزج دواؤها بدائها . وصرجوها بحورها ، ونفقاها
 بضرها . فن وثق بعصرته وكال معرفته ، فيه أن يقرب منها متقيا داءها ، ويستخرج حادواها
 ومن لا يثق بها . فبعد البعد ، والفرار الفرار عن مطان الأخطار ، فلا تميل بالسلامة
 شئ في حق هؤلاء ، وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهذه الطريقة
 فإن قلت ، فما معنى المصمم التوفيقية الراحمة إلى الهداية ، والرشد . والتأييد ، والتسديد ،
 فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد . وهو عبارة عن التأليف والتلويح بين إرادة العبد
 وبين قضاء الله وقدره . وهذا يشمل الخير والشر ، وما هو سعادة وما هو شقاوة .
 ولكن حرت العادة تخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره

(١) حديث **إِيكُنْ بِلَاعُ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّيْءِ كَزَادِ الرِّبِّ** : أن ماحه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم

وقال نسخة وقال مثل **إِيكُنْ بِلَاعُ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّيْءِ كَزَادِ الرِّبِّ** قلت هو من رواية أبي سفيان عن

أبي حنيفة عن مسدد وقال أن ماحه عهد إلى أن يكون أحدهم . قال راد الحاكم

(٢) حديث **استأذنه عبد الرحمن بن عوف** : أخرجه عن جميع ماله ذكر أن الأغنياء يدخلون

الجنة بشدة فذكر له قول جرير بن عبد الله أن يطعم المسكين . الحديث : الحاكم من حديث

عبد الرحمن بن عوف وقال **إِيكُنْ بِلَاعُ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّيْءِ كَزَادِ الرِّبِّ** قلت كلا فيه حالك من أبي مالك صديق حذا

كما أن الإلحاد عبارة عن الميل، ومخصص عن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا حفاء بالحاجة إلى التوفيق . ولذلك قيل

إذا لم يكن عون من الله للفتي فأكثر ما ينجي عليه احتياده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن دمية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته، ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يطن الفساد صلاحاً . فمن أين ينفعه مجرد الإرادة ، فلا فائدة في الإرادة ، والقدرة ، والأسباب ، إلا بعد الهداية . ولذلك قال تعالى (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ^(١)) وقال تعالى (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَاكُمْ مِنْ أَجْدَادِنَا وَاللَّهُ يُرِيكُمْ أَشْيَاءَ ^(٢)) وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « ما من أحد مدح الحنة إلا رزقه الله تعالى » أي بهدايته وقيل ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا » ولله هداية ثلاث منزل

مدار الهداية

الأولى : معرفة طريق الخير والشر . المشار إليه بقوله تعالى (وَهُدًى نَاهُ الْجُذَيْنِ ^(٤)) وقد أعم الله تعالى به على كرامة عبادته ، بعضه بالقل ، وبعضه على لسان الرسل . ولذلك قال تعالى (وَأَمَّا نُنُودُ الْهَدْيَانُمْ فَاسْتَجِثُوا أُنْعَمَى عَلَى الْهَدْيِ ^(٥)) وأسباب الهدى هي الكتب ، والرسل وأنصار العقول وهي مبذولة . ولا يمنع منها إلا الحسد ، والكبر ، وحب الدنيا ، والأسباب التي تعمي القلوب وإن كانت لا تعمي الأبصار قال تعالى (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ^(٦)) . ومن جملة المعميات الإلف والعادة ، وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى (إِنَّا وَجَدْنَاهَا غُلًى مُلْتَمِسَةً ^(٧)) الآية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى (وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَآنِيِّينَ عَظِيمٍ ^(٨)) وقوله تعالى (أَشْرَاءُ مَا وَاحِدًا نَسْتَعْمَى ^(٩)) فهذه المعميات هي التي منعت الاعتداء والهداية

(١) حديث ما من أحد مدح الحنة إلا رزقه الله : متفق عليه من حديث أبي هريرة إن يدخل أحدكم عمله الحنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا لأن تعمدى : الله يهدي من يرضى به ورحمته روية لم ما من أحد مدح عمله الحنة - الحديث - وعفا عليه من حديث عائشة وأمر به ما لم من حديث جابر وقد تقدم

(٢) طه ٥٠ . البور ٢١٠ . البعد ١٠ . نصات ١٧ . الحج ٤٦ . الزحرف ٢٢

(٣) الزحرف ٣١ . القمر ٣٤

الثانية وراء هذه الهداية العامة ، وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال . وهي ثمرة الجاهدة ، حيث قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ صُبْحًا)^(١) وهو المراد بقوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى)^(٢) . والهداية الثالثة وراء الثانية ، وهو النور الذي بشرق في عالم البوّة والولاية بعد كمال المجاهدة ، فيهدى بها إلى ما لا يهتدى إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم . وهو الهدى المطابق ، وماعداه حجاب له ومقدمات . وهو الذي شرعه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه ، وإن كان الشكل من جهته تعالى ، فقال تعالى (قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فُجُورًا لَمْ يَكُنْ لِي بَأْسٌ مِنْهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)^(٣) وهو المسمى حياة في قوله تعالى (أَوْ مِمَّنْ كَانُوا مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُمْ وَحَمَلْنَا لَهُ نُورًا يَنْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)^(٤) والذي يقوله تعالى (أَقْرَبَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)^(٥) . وأما الرشد ، فعنى به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجّعه إلى مقاصده ، فتقويه على ما فيه صلاحه ، وتفقّره عما فيه فساد . ويكون ذلك من الداخل ، كما قال تعالى (وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكَمَا نَبْهِي عَنِ الْغَالِبِينَ)^(٦) فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة ، بحركة إليها . فالصبي إذا بلغ خبيراً يحفظ المال وطرق التجارة والاستثمار ، ولكنه مع ذلك يدر ولا يريد الاستئمان . لا يسمى رشيداً ، إلا لعدم هدايته ، بل لفصوره هدايته عن تحريك داعيته فكهم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره ، فقد أعطى الهداية ، وميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره . ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكن من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال ، وهي نعمة عظيمة .

وأما التسديد . فهو توجيه حركته إلى صوب المطلوب ، وتبصرها عليه ، ليستند في صوب الصواب في أسرع وقت . فإن الهداية مجردة لا تنكح . بل لابد من هداية محرّكة للداعية وهي الرشد . والرشد لا يكفى ، بل لابد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما ابتعث الداعية إليه . فالهداية محص التعريف . والرشد هو تنبيه الداعية لتسقيط وتنحريك ، والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد .

(١) العنكبوت : ٦٩ (٢) محمد : ١٧ (٣) لقمة : ١٢٠ (٤) الأنعام : ١٢٢ (٥) الزمر : ٢٢ (٦) الأنبياء : ٥١

وأما التأييد، فكأنه جامع لكل، وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية الطمأنينة وساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله عن وحش (إِذْ يَذُنُّكَ رُوحُ الْقُدُسِ^(١)) وتقرب منه المعصية. وهي عبارة عن وجوده على مسيح في الراسخ، قوي به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر، حتى يعبر كجائع من باطنه غير محسوس، وإيائه عني بقوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهِ نَوَاسِرُهُ^(٢) رُبَّمَا رَنَى^(٣))

وهذه هي محمع النعم ولن تثبت إلا بما يخوله الله من الفهم الصادق الثاقب. والسمع الواعي، والقلب البصير المواسع المرائي، والملة الساجدة، والمال الزائد على ما يقهر عن المهمات بقلته، والقاصر عما يشمل عن الدين بكثرتة. والعز الذي يصونه عن سعة الشهوات وظلم الأعداء. ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا، وتستدعي تلك الأسباب أسبابا، إلى أن تنهي بالآخرة إلى دليل التحيرين، وهو محاضرات المضطرين؛ وذلك رب الأرباب، ومسبب الأسباب. وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل من هذا الكتاب اختصارها، فلندكر من: أن نؤخذ بما يعلم به معنى قوله تعالى (وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا^(٤)) وبالله التوفيق

بيان

وجه الأعداد في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها، وخروجها عن الحصر والإحصاء اعلم أننا جعنا النعم في ستة عشر ضربا، وجمعا صحة البدن ممة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة. فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عايتها. ولكن الأكل أحد أسباب الصحة، فلندكر نعمة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل. فلا يخفى أن الأكل فعل، وكل فعل من هذا النوع فهو حركة، وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو آلتها، ولا بد لها من قدرة على الحركة. ولا بد من إرادة للحركة، ولا بد من علم بالمراد وإدراك له. ولا بد للأكل من مأكل، ولا بد للمأكل من أصل منه يحصل، ولا بد له من صانع يصلحه. فلندكر أسباب الإدراك، ثم أسباب الإرادات، ثم أسباب القدرة، ثم أسباب المأكل على سبيل التدرج لا على سبيل الاستقصاء

الطريق الأول

في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك

اعلم أن الله تعالى خلق النبات . وهو أكل وجوداً من الحجر ، والمدر . والحديد ، والحاس ، وسائر الجواهر التي لا تنمى ولا تعذى . فإن النبات حاق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أسفله وعروقه التي في الأرض . وهي له آلات قبها يجتذب الغذاء ، وهي العروق الدقيقة التي تراه في كل ورقة . ثم تملأ أصولها . ثم تشعب ، ولا تزال تستدق وتشعب إلى عروق شمرية تنبسط في أجزاء الورقة ، حتى تغيب عن البصر ، إلا أن النبات مع هذا السكينة . فإنه إذا أعور عذاء يساق إليه ، ويأس أصله ، جف ويابس ، ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر . فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب ، وبالاتقال إليه . والنبات عاجز عن ذلك . فمن نعمة الله تعالى عليك ، أن خلق لك آلات الإحساس ، وآلة الحركة في طلب الغذاء . فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس . التي هي آلة الإدراك . فاولها . حاسة اللمس . وبما خاقت لك حتى إذا مستك نار محرقة ، أو سيف جارح ، تحس به فتهرب منه . وهذا أول حس يحاق للحيوان . ولا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس ، لأنه إن لم يحس أصلاً فليس بحيوان . وأقص درجات الحس أن يحس بما لا يلاصقه ويناسه . فإن الإحساس بما يلامسه إحساس ثم لا محالة . وهذا الحس موجود لكل حيوان . حتى للدودة التي في الطين ، فإنها إذا عرز فيها ، إبرة اقمصت للهرب لأكال النبات . فإن النبات يقطع ولا يقبص ، إذا لم يحس بالقطع إلا أنك لو لم يحاق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كاللودة ، لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك . بل ما عس منك فتعس به فتجذبه إلى نفسك فقط . ففقدت إلى حس تدرك به ما بعد عنك . فحس لك الشم . إلا أنك تدرك به الرائحة . ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية . فتحتاج إلى أن تطوف كثيراً من الجواب ، فرغاً تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه ، ورغماً لم تعثر فتكون في غاية القصور لو لم يحاق لك إلا هذا . فخلق لك البصر ، لتدرك به ما بعد عنك . وتذكر جهته . فتقصده تلك الجهة بعينها ، إلا أنه لو لم يحاق لك إلا هذا

لكنك ناقص . إذ لا تدرك هذا ما وراء الجدران والحجب . فتبصر غذاء ليس يدرك وينته
حداب وتبصر عدواً لا حجاب يدرك وبه . وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره ، وقد
لا يكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو . فتعجز عن الهرب . فتخلق لك السمع ، حتى
تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات ، لأنك لا تدرك ما تبصر
إلا شيئاً حاضراً . وأما الغائب فلا يحسبك معرفته إلا بكلام ينظم من حروف وأصوات ،
تدرك بحس السمع . فتشدد إليه حاجتك فتدقق لك أذنك ، وتميزت بهم الكلام عن
سائر الحيوانات . وكل ذلك ما كان ينبغيك لو لم يكن لك حس الدوق ، إذ يصل الغذاء
إليك ، فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف ، فتأكله فتهلك ، كالشجرة يصب في أصلها
كل مائع ، ولا ذوق لها . فتعده دوماً يكون ذلك سبب حفاها . ثم كل ذلك لا يكرهيك
لو لم يخف في مقدمة دماغك إدراك آخر . يسمى حساً مشتركاً ، تؤدي إليه هذه الحواس
الخمس ، وتجتمع فيه . وأولاه اطل الأمر عليك . فإنك إذا أكلت شيئاً أصفر مثلاً ،
فوجدته مرا مخالف لك فتركته ، وإذا رأته مرة أخرى فلا تعرف أنه مرة مضر ما لم تدقه
ثانياً ، لولا الحس المشترك . إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة ، فكيف تجتمع عنه ،
والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً ،
حتى إذا أدرك الصفرة حكم أنه مر . فيمتنع عن تذوله ثانياً . وهذا كله تشارك فيه
الحيوانات . إذ للشاة هذه الحواس كلها . ولولاها كان لك إلا هذا لكنك ناقص . فإن
البهيمة يخنل عليها وتؤخذ . ولا تدري كيف تدوم الحياة عن نفسها . وكيف تحصل
إدامتها . وقد اتقى نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها . ولذا قد تأكل البهيمة
ماتة لده في الحبل ، ويصرها في أبي الحبل ، وتمرض وتموت . إذ ليس لها إلا الإحساس
بالحاصر . فأما إدراك العواقب فلا . فيترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف
من الشكل . وهو العقل . فيه تدرك مضرة الأطعمة ومصلحتها في الحال والمآل ، وتدرك
كيفية طبع الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها . فتتقنع بعقلك في الأكل الذي هو سبب
صحتك . وهو أحسن فوائد العقل ، وأصل الحكم فيه . بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله
تعالى . ومعرفة أولاده ، ومعرفة الحكمة في عائلته . وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس

في حقل ، فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بسواحي المملكة . وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الألوان ، والأخرى بأخبار الأصوات . والأخرى بأخبار الروائح ، والأخرى بأخبار الطعوم ، والأخرى بأخبار الحر ، والبرد ، والخشونة ، والملاسة . والآخرى بالصلاة ، وغيرها وهذه البرد والحواسيس يقتضون الأخبار من أنظار المملكة ، ويسلمونها إلى الحس المشترك . والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ ، مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك ، يجمع القصص والكتب الواردة من سواحي العالم فيأخذها وهي محتومة ويسلمها إلى يدس له إلا أخذها ، وجمعها ، وحفظها ، فمما معرفة حقائق ما فيها فلا . ولكن إذا صادف القلب العاقل ، الذي هو الأمير والملك ، سلم الأنهار إلى يده محتومة ، فيفتشها الملك ، وطلع منها على أسرار المملكة ، وبحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام ونحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الحود ، وهي الأعضاء ، مرة في الخطاب ، ومرة في الحرب ، ومرة في إتمام التدبيرات التي تمن له . فهذه سياقة نعمة الله عليك في الإدراكات . ولا نصيب استوفياها فإن الحواس الطاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة الحواس ، والعين آلة واحدة له ، وقد ركب العين من عشر طبقات نعمة ، بعضها رطوبات وبعضها أعشبة . وبعض الأغشية كأنها نسج المكسوت ، وبعضها كالشمعة . وبعض تلك الرطوبات كأنه يرض البيض ، وبعضها كأنه الجند والكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة ، وصورة ، وشكل ، وهيته ، وعرض ، وتدوير ، وتركيب لاختلاف طاقة واحدة من جملة العشر ، أو صفة واحدة من سمات كل طبقة ، لاختلاف البصر ، وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم

فهذا في حس واحد ، فقس به حاسة السمع وسائر الحواس . بل لا يمكن أن تدنو في حكم الله تعالى وأنواع نعمة في حسم البصر وطبقاته في محلات كثيرة . مع أن جهاته لا يريد على جوزة صغيرة . فكيف ظلك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائمه ، فهذه مراراً إلى أم الله تعالى بخلق الإدراكات .

الطرف الثاني

في أصناف النعم في خلق الإرادات

اعلم أنه لو حاق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد . ولم يخلق لك ميل في الطمع وشوق إليه ، وشهوة له تستحثك على الحركة ، لكان البصر معطلا . ولكم من مريض يرى الطعام وهو أضع الأشياء له ، وقد سقطت شهوته فلا يناول له . فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه . فاضطرت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك . يسمى شهوة ، ونفرة عما يحافك ، تسمى كراهة ، لتطاب بالشهوة ، وتهرب بالكراهة . محاق الله تعالى فيك شهوة الصمام ، وساطها عليك ، ووكها بث ، كاستقاضى الذي يحطرك إلى التناول . حتى تناول وتمتد ، فنتى بالغذاء . وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون البات

ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة ، أسرفت وأهلكتك نفسك . فخلق الله لك الكراهة عند الشبع ، لترك الأكل بها ، لا كالأرع ، فإنه لا يزال يجذب الماء إذا انصب في أسفه حتى يعسد . فيحتاج إلى آدمي يقدّر غذاءه بقدر الحاجة . فيستقيمه مرة ويقطع عنه الماء أخرى . وكما حفت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى بك ، حاق لك شهوة الجماع ، حتى تجامع فيبقى بك . ولك أو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم ، وخلق دم الحيض . وتأليف الحبين من المني ودم الحيض . وكيفية خلق الأثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر العظم ، وكيفية إصباغ ماء المرافة من الترائب واسطة المروق ، وكيفية إتمام مقر الرحم إلى قواب تقع العظم في بعضها فتشكل بشكل الذكور . وتقع في بعضها فتشكل بشكل الإناث . وكيفية إدارتها في أطوار حلقها مضغعة وعنقة ، ثم عظامها وأجزاءها ، وكيفية بسمه أجراها إلى رأس ، ويد ، ورجل وبطن ، وظهر ، وسائر الأجزاء . فقصبت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل المحب ، فضلا عما تراه الآن . ولكما أنت تريد أن تعرض لإلهم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام وإذا شهوة الطعام أحد صروب الإرادات . وذلك لا يسكتك ، وإياك المبهكات من الخوايب . ولو لم يحاق فيك المصيب الذي به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك . باقية عرصة اللآفات ، ولأحدهم كل ما حصلته من الغذاء . فكل واحد يشتهي ما في يديك ، وتحتاج

إلى داعية في دمه ومقاومة ، وهي داعية الغضب الذي يدفع كل ما يشاء ولا يوافقك
ثم هذا لا يكفيك . إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر ويضعف في الحال وأما
في المآل ، فلا تكفي فيه هذه الإرادة فحق الله تعالى لك إرادة أخرى ، مسخرة تحت إشارة
العقل المعرف للمواقف . كما حاق الشهوة والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك
للحالة الحاضرة ، فتم بها اتصافك بالعقل ، إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلاً تضرك
لا يملك في الاحتراز عنها . ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة . وهذه الإرادة
أفردت بها عن اليهائم إكراماً لئلا يفتقر آدم ، كما أفردت بمعرفة المواقف وقدسية هذه الإرادة
باعتبار دينها ، ومصلحتها في كتاب العبر تفصيلاً أوفى من هذا

الطرف الثالث

في نعم الله تعالى في خالق القدرة وآلات الحركة

اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك ، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب .
وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن حيث آله الطاب والهرب . فكم من مريض مشتاق إلى شيء
يميد عنه ، مدرك له ، ولكنه لا يمكنه أن يمضي إليه لفقده رحله ، أو لا يمكنه أن يناوله لعمقه
يده ، أو لضعفه وحذر فيهما . فلا بد من آلات للحركة . وقدرة في تلك الآلات على الحركة
لتكون حركتها تقتضي الشهوة طبعاً ، وبقتضي الكراهية هرباً . فذلك خلق الله تعالى
لك الأعضاء التي تنظر إلى طاهرها ولا تعرف أسرارها . ومنها ما هو للطلب والهرب ،
كالرجل للإنسان ، والذراع للطير . والفوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان
والقرون للحيتان وفي هذا تحريف الحيوانات اختلافاً كثيراً منها ما يكثر أعداؤه ويعد
غداؤه . فيحتاج إلى سرعة الحركة ، فخلق له الذراع ليظهر بسرعة . ومنها ما خلق له أربع
فوائم . ومنها ما له رجلان . ومنها ما يمدب . وذكر ذلك يطول . فلذكر الأعضاء التي
بها يتم الأكل فقط ، ليقاس عليها غير ما يقول . رؤيتك الطعام من بُعد ، وحركتك
إليه لا تكفي ، ما لم تتمكن من أن تأخذه . فافتقرت إلى آلة باطنة ، فأنعم الله تعالى عليك
بخلق اليدين . وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ، ومشتعلتان على مفاصل كثيرة لتتحرك
في الجهات ، فتمتد وتأنس إليك فلا تكون كخشبة منصوبة . ثم جعل رأس اليد عريضة

حقائق الكف ثم قسم رأس الكف خمسة أقسام هي الأصابع . وجعلها في صفيين . بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة البقية . ولو كانت ممتعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك . فوضعها وصفا إن سطحتها كانت لك محرفة وإن صدمتها كانت لك مرفوعة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب ، وإن شربتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم حاق لها أطمارا ، وأسند إليها رموس الأصابع حتى لا تنفقت ، وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها رموس أطمارك . ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين . فمن أين يكملك هذا ، ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن . ولا بد وأن يكون من الظاهر دهايز إنبياء حتى يدخل الطعام منه . فحمل القم من هذا إلى المعدة ، مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ، ثم إن وصعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة ، فلا يتيسر ابتلاعه ، فحتاج إلى طحونة تطحن بها الطعام ، فحق لك اللحيين من عظمين . وركب فيهما الأسنان . وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر . وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك . وقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات . وإلى ما يصاح للكسر كالآب . ثم جعل مفصل اللحيين متخللا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر ، حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى . ولو لادالك لما تيسر لإصرب أحدهما على الآخر مثل تصريق اليدين مثلا ، وبذلك لا يتم الطحن . فجعل اللحي الأسفل متحركا حركة دورية واللحي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجب صنع الله تعالى ، فإن كل رحى صنع الخالق هيئت منه الحجرة الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى . فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه ، وأنتم ربه نه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وصعت الطعام في فناء القم . فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان ، أو كيف تستجبه الأسنان إلى هسها ، أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أكرم الله عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب القم ، ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمحرفة التي ترد الطعام إلى الرحى . هذا مع ما فيه من فائدة الدوق . وعجائب قوة النطق . والحكم التي لسانا تطب بذكرها ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته

ومبغض المم

ومبغض الاسنان

وهو يأس ، فلا تقدر على الاتساع إلا أنت يراقى إلى الخلق بوع رطوبة ، فاطر
 كيف خالق الله تعالى تحت اللسان عينا يغيب اللعاب منها ، ويغيب بقدر الحاجة ، حتى
 يمنع به الطعام . فظهر كيف سخرها لهذا الأمر ، وإليك ترى الطعام من بعد ، فيثور
 المكان للخدمة ، وينصب اللعاب حتى تنقلب أشداك . والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا
 الطعام المطحون المنعج ، من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ، ولا تقدر على أن تدفعه باليد ،
 ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام . فانظر كيف هيأ الله تعالى المرى والحجرة ،
 وحمل على رأسها صبة تفتح لأخذ الطعام . ثم تطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام
 بضغطه ، فهو ي إلى المعدة في دهليز المرى . فإذا ورد الطعام على المعدة ، وهو خبز
 وفاكهة مقطعة ، فلا يصلح أن يصير لحم وعظام ودما على هذه الهيئة ، بل لا بد وأن يطبخ
 طبخا تاما حتى تتشابه أحرأؤه . فحق الله تعالى المعدة على هيئة قدر ، ويقع فيها الطعام ،
 فتحتوى عليه . وتنفق عليه الأبواب ، فلا يزال لا بد فيها حتى يتم الهضم والتمضغ بالحرارة
 التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباردة ، إذ من جانبها الأيمن الكبد . ومن الأيسر الصحال
 ومن قدام الترائب ، ومن خلف لحم الصلب ، فتعتمد الحرارة إليها من تسخين هذه
 الأعضاء من الجوانب ، حتى ينطبخ الطعام ويصير مائما مناسها ، يصلح للنفوذ في تجاويف
 العروق . وعند ذلك يشبه ماء الشمير في تشابه أحرأئه ورقته ، وهو بعد لا يصلح لآنة ذية
 فحق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق ، وجعل لها فوهات كثيرة ، حتى
 ينصب الطعام فيها ، فينتهى إلى الكبد .

والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم ، وفيه عروق كثيرة شعيرية منتشرة في
 أجزاء الكبد ، فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها ، وينتشر في أجزائها . حتى تستولى
 عليه قوة الكبد ، فتصبه بلون الدم ، فيستقر فيها ريثما يحصل له ضجج آخر . ويحصل له
 هيئة الدم الصافي الصالح لانداء الأعضاء . إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا
 الدم . فيتولد من هذا الدم فصلة ن كما يتولد في جميع ما يطبخ ، إحداهما شبيهة بالدردي والمكر
 وهو الخلط السوداوى ، والأخرى شبيهة بالرغوة ، وهى الصفراء . ولو لم تفصل عنها

وظيفة المرارة

الفضلتان فسد مزاج الأعضاء . فخلق الله تعالى المرارة والطحال ، وجعل لكل واحد منهما عمقا ممدودا إلى الكبد ، داخل في تحويفه . فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ، ويجذب الطحال العكر السوداء . فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة . ما فيه من المائية . ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية . ولا حرج منها متصاعدا إلى الأعضاء

وظيفة الطالبيين

فخلق الله سبحانه الكلبتين ، وأخرج من كل واحدة منهما عمقا طويلا إلى الكبد . ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عمق ما ليس داخل في تحويف الكبد . بل متصل بالعروق الطالعة من حذبة الكبد ، حتى يجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتذب قبل ذلك لعلط ولم يخرج من العروق . فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث . نقياً من كل ما يفسد الغذاء . ثم إن الله تعالى أصمغ من الكبد عروقا . ثم قسمها بعد الطلوع أقساما ، وشعب كل قسم شعبا ، وانتشر ذلك في البدن كله من العرق إلى القدم طاهرا وباطنا ، فيجري الدم الصافي فيها ، ويصل إلى سائر الأعضاء ، حتى

تصير العروق المقسمة شمعية كمروق الأوراق والأشجار ، بحيث لا تدرك بالأعصار . فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء . ولو حلت بالمرارة آفة لم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم ، وحصل منه الأمراض الصفراوية ، كاليرقان والتهور والحجرة . وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداء ، حدثت لأمراض السوداء ، كالهبق والجذام والمداخوليا

وظيفة الصفراء

وغيرها . وإن لم تندفع المائية نحو السكلا حدثت منه الاستسقاء وغيره . ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم . كيف رتب المدافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة ، أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقبيها ، وتقذف بالمق الآخر إلى الأمعاء ، ليحصل له في ثعل الطعام رطوبة زلقة . ويحدث في الأمعاء لدفع يحركها للدفع . فتتضغظ حتى يدفع الثفل وينزاق ، وتكون صفراء لذلك

وأما الطحال فإنه يجلب تلك الفضلة إحدلة يحصل بها فيه حموضة وقبض ، ثم يرسل منها في كل يوم شيئا إلى فم المعدة ، فيحرك الشهوة بمحوصته ، ويذهبها ويبرها ، ويخرج الباقي مع الثفل . وأما السكية فإنها تقتضى بم في تلك المائية من دم . وترسل الباقي إلى المثانة

ولنتقصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ ، واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء

الرئيسة إلى صاحبه ، وكيفية اشعاب العروق الضواريب من القلب إلى سائر البدن ،
 وبواسطتها يصل الحس ، وكيفية اشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن
 وبواسطتها يصل الغذاء ، ثم كيفية تركيب الأعضاء ، وعدد عظامها ، وعصاتها ، وعروقها
 وأوتارها ، ورباطاتها ، وغصاريها ، ورطوباتها ، أطال الكلام وكل ذلك محتاج إليه لا كل
 ولأمور أخر سواء من في الآدي آلاف من المصلات ، والعروق ، والأعصاب ، مختلفة
 بالصغر ، والكبر ، والدقة والغلظ ، وكثرة الأقسام وقلته ، ولا شيء منها إلا وفيه حكمة
 أو اثنتان ، أو ثلاث ، أو أربع ، إلى عشر ووريدة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك ،
 لو سكن من جننها عرق متحرك ، أو تحرك عرق ساكن ، لهلكت يامسكين فانظر إلى
 نعمة الله تعالى عليك أولا ، اتقوى بعدها على الشكر ، فإنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه
 إلا الأكل وهو أخسها ، ثم لا تعرف منها إلا أكل ثمحوج فأكل ، والآخر رأينا يعلم أنه يجوع
 فيأكل ، ويتمب فينام ، ويشتهي فيجتمع ، وبسند فيسبى ويرجع فإذا لم تعرف أنت
 من نفسك إلا ما يمر به بحر ، فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمرنا به
 على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فتس على الإجمال ما أهمله من
 جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخالق كلهم بالإضافة إلى ما لم
 يعرفوه من نعم الله تعالى ، أقل من قطرة من بحر ، إلا أن من علم شيئا من هذا أدرك
 شعبة من معاني قوله تعالى (وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخَفَّوْهَا ^(١)) ثم اطر كيف رط
 الله تعالى قوام هذه الأعضاء ، وقوام مقامها وإدراكاتها وقواها بخلاف الضيف ، يتصاعد من
 الأحلاط الأربعة . ويستقره القلب ، ويمر في جميع البدن بواسطة العروق الضواريب
 فلا يذهب إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من
 قوة حس وإدراك ، وقوة حركة وغيرها . كالسراج الذي يدار في أطراف البيت ، فلا
 يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت ، من خلق الله تعالى
 واختراعه ، واستمكنه جعل السراج سبيله نحكمه . وهذا البحار الضيف هو الذي تسميه
 الأطباء الروح . وعمله القلب . ومثاله جرم نار السراج . والقلب له كالسرجة . والدم الأسود

الروح

ووجوده ، وكيفية سريانه في الأعضاء ، وكيفية حصول الإحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوفوق سدة في محرى هذا الروح . واليه الجئون موضع الخدر ، بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها . وما لجونها بما يفتح السدة ، فإن هذا الجسم لطفه ينفذ في شبك العصب ، وبواسطته يتسأدى من القلب إلى سائر الأعضاء . وما يرتقى إليه معرفة الأطباء فأمره سهل . انزل

وأما الروح التي هي الأصل ، وهي التي إذا فسدت فسدت لها سائر البدن . فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه . ولا رحصة في وصفه إلا بأن نقول هو أمر رباني . كما قال تعالى (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ^(١)) والأمور الربانية لا تختمل العقول وصفها ، بل تتعبر فيها عقول أكثر الخلق . وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة فصور البصر عن إدراك الأصوات ، وتزلزل في ذكر مبادئ وصفها معاقدة العقول المقيدة بالجواهر والعرض المحسوسة في مضيقها ، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه ، بل صور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم البهية والولاية ، نسبتته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك النفس المحسوسات ولا يدرك المعتقدات لأن ذلك طور لم يباينه بعد فكذلك يدرك العالم المعتقدات ولا يدرك ماوراءها ، لأن ذلك طور لم يباينه بعد . وإنه لمقام شريف ، ومشرق عذب . ورتبة عالية ، فيها يحفظ حجاب الحق بنور الإيمان واليقين ، وذلك المشرب أمر من أن يكون شريعة لكل وارد . بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد . وحجاب الحق صدر ، وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب ، وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جوار ، ولا لحائط العتبة مشاهدة ، استحذل أن يصل الميدان فكيف بالانتهاج إلى ماوراءه من المشاهدات العالية . ولذلك قيل : من لم يعرف الله لم يعرف ربه . وأنى يصادف هذا في خزانة الأطباء . ومن أين للطبيب أن يلاحظه . بل المعنى المسمى روحاً عند الطبيب ، بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني ، كالكرة التي يحركها صولجان الملك . بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطيب فظن أنه أدرك الأمر الرباني . كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك . فظن أنه رأى الملك . ولا يشك في أن خطأ فاحش . وهذا الخطأ فاحش

منه جدا . ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف، وبها تدرك مصالح الدنيا، عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر، لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه، بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم . ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا، لكن ذكر سنته وفعله، ولم يذكر دأبه . أما سنته ففي قوله تعالى (مَنْ أَمَرَ رَأَى) وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَدُخِنِي فِي عَدْنٍ وَدُخِلِي الْجَنَّةَ) .
 وارجع الآن إلى الفرض، فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل، وقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل

الطرف الرابع

في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة
 وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك صنفته . اعلم أن الأطعمة كثيرة، والله تعالى في حاقها عجائب كثيرة لا تحصى، وأسباب متوالية لا تنهى . وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فإن الأطعمة إما أدوية، وإما فواكه، وإما أعذية . فلنأخذ الأعذية فإنها الأصل، ولناخذ من حملها حبة من البر، ولندع سائر الأعذية فقول :
 إذا وجدت حبة أو حبات . فلو أكلتها فليت وقيت جائعا . فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها . وتريد وتتضاعف، حتى تنمي تمام حاجتك . فعانى الله تعالى في حمة الحبة من القوى ما يمتدى . كما خلق فيك . فإن الببات إن يمارس في الحس والحركة، ولا يحافظ في الاعتناء . لأنه يتعدى بالماء، ويجتذب إلى باطنه بواسطة المروق، كما تعتدى أنت وتجذب . واسمها نطب في ذكر آلات الببات في احتذاب الغذاء إلى نفسه . ولكن شير إلى عدائه وقول كذا أن الخشب والتراب لا يفتديك، بل تحتاج إلى طعام مخصوص، فكذلك الحبة لا تعتدى كل شيء، بل تحتاج إلى شيء مخصوص . فالدليل أنك لو تركتها في البيت لم ترد . لأنه ليس يحيط بها إلا هواء . ويجرد الهواء لا يصلح

لعمري ولو تركتها في الماء لم ترد . ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم ترد بل لا بد من أرض فيها ماء . يخرج ماؤه بالأرض فيصير طيباً . وإليه الإشارة بقوله تعالى (فَيُنْزِلُ السَّمَاءَ مَاءً فَأَنْبِتُ النَّبَاتَ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقَنُّوا)^(١) ثم لا يكتفي الماء والبراب . إذ لو تركت في أرض مديدة ، صلبة مبراة كمة . لم تمت لفقد الهواء . فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متحركة . يعمل الهواء فيها . ثم الهواء لا يتحرك إليها نفسه ، فيحتاج إلى ربح تحرك الهواء وتضربه بتهور وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ^(٢)) وإعنايها فيها في إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض . ثم كل ذلك لا يفيك لو كان في برد مفرط ، وشتاء شات فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف . فقد بان احتياج غدته إلى هذه الأربعة . فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد . إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار ، والعيون ، والأهبار ، والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار ، وخر العيون ، وأخرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تسكون مرتفعة ، والمياه لا ترتفع إليها . فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها إلى أنصار الأرض ، وهي سحب ثقيل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدراراً على الأراضي في وقت الربيع والحريف على حسب الحاجة . وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه ، تنفجر منها العيون تدريجاً . فلو خرجت دفعة لعرفت البلاد ، وهلك الزرع والمواشي . ونعم الله في الجبال ، والسحب ، والأنهار ، والأنهار ، لا يمكن حصرها . وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض . وكلاهما باردان ، فانظر كيف سحر الشمس . وكيف خلقتها مع بعدها عن الأرض مسحة للأرض في وقت دون وقت . ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد . والحر عند الحاجة إلى الحر . فهذه إحدى حكم الشمس . والحكم فيها أكثر من أن تحصى . ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الهواء كانهقاد وصلابة . ففسق إلى رطوبة تنضجها ، فانظر كيف خلق القمر وحمل من خاصيته الترطيب ، كما حمل من خاصية الشمس التسخين ، فهو ينضج الهواء كما يصيبها بتقدير الفاطر الحكيم . ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق

فائدة الرياح

فائدة الشمس

فائدة القمر

الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها، كانت فاسدة نافضة، حتى أن الشجرة الصغيرة
تفسد إذا طللته شجرة كبيرة. وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل، فتغلب
على رأسك الرطوبة التي يمر عنها بالركام. فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا.
ولا تطول فيها لامطعم في استقصائه. بل يقول كل كوكب في السماء فقد سحر نوع فائدة
كما سحرت الشمس للتسحين والقمر للترطيب. فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا في
قوة البشر بإحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا. ولم يصح قوله تعالى
(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) وقوله عز وجل (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) وكما أنه ليس في أعضاء ذلك عضو لا فائدة. فليس في أعضاء بدن
العالم عسوا إلا لفائدة. والعالم كله كشخص واحد، وآحاد أجسامه كالأعضاء له. وهي
متعاونة تعاون أعضاء بدنك في حمة بدنك. وشرح ذلك بطول. ولا ينبغي أن تظن
أن الإعجاز بأن الحجوم. والشمس، والقمر. مسحرات بأمر الله سبحانه في أمور جملة
أسبابها. تحكم الحكمة الخفية للشرع، لا يورد فيه من (١) النهي عن تصديق المجننين. وعن
علم النجوم. بل المنهي عنه في النجوم أمران:

فائدة النجوم

أحدهما: أن تصدق بأنها فعلة لآثارها، مستقلة بها، وأنها ليست مسخرة تحت تدبير
مدر خلقها وقهرها، وهذا كفر. والثاني: تصديق المجننين في تمصيل ما يخبرون عنه من
الآثار التي لا يشترط كافة الخلق في دركها. لأنهم يقولون ذلك عن جهل. فإن علم أحكام
النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام، ثم اندرس ذلك العلم، فلم يبق إلا ما هو
مخاط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ. فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بحاق
الله تعالى في الأرض، وفي النبات، وفي الحيوان ليس قادحا في الدين. بل هو حق.

(١) حديث النبي عن تصديق المجننين وعن علم النجوم: أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث
ابن عباس عن أنس عن علي بن النجوم اقتبس شعبة من السحر راد ما راد للطبراني من حديث
ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا واستادها ضعيف وقد تقدم في العلم. ومسلم
من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قال رسول الله أمورا كما عساه في الخاهلية كما
نأى الكهان قال فلا تأمنوا الكهان الحديث

والكن دعوى العلم بتلك الآثار على التعميل مع الجبل قاذح في الدين . ولذلك إذا كان
 هناك ثوب عسسته وتريد تجميفه ، فقال لك غيرك أخرج الثوب واسعه بين الشمس قد
 طلعت وحمي النهار والهواء ، لا يرك تكذيبه ، ولا يرك الإنكار عليه بحوالته حمي الهواء
 على طلوع الشمس وإذا سألت عن تمر وحه الإنسان ، فقال فرعتي الشمس في الطريق
 فاسود وحري ، لم يرك تكذيبه ذلك . وقس هذا سائر الآثار .

إلا أن الآثار بعضها معلوم ، وبعضها مجهول والمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه ، والمعلوم
 بعضه معلوم للناس كافة كحصول الفناء والحرارة بطلوع الشمس ، وبعضه لبعض الناس
 كحصول الركام شروق القمر فإذا الكواكب ما حقت عبث . بل فيه حكم كثيرة لا تحصى
 ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ^(١) وقرأ قوله تعالى (رَبِّمَا مَآ خَلَقْتَ
 هَذَا بِأَصْلًا يُبْجَأَت فَقَدْ عَذَاب الدَّار ^(٢)) ثم قال صلى الله عليه وسلم : وَيَلِّ لِمَنْ قَرَأَ
 هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ مَسَحَ بِهَا سَمْعَهُ وَمَعْنَاهُ أَنْ يقرأ ويترك التأمل . ويقتصر من فهم
 ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وصوه الكواكب وذلك مما تعرفه
 البهائم أيضا . فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سمعته فله تعالى في ملكوت
 السموات . والآهق ، والأنفس ، والحجوانات ، عجائب يطالب بمعرفة المحزون لله تعالى
 فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصايفه . أيرداد يريد أنوقوف على عجائب
 علمه حثاله فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى ، فإن العلم كله من تصديقه ، بل
 تصنيف المصنعين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فإن تعجبت من تصنيف
 فلا تعجب من المصنف ، بل من الذي سجد المصنف بتصديقه بما أنعم عليه من هدايته ،
 وتسميده . وتعريفه كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة
 فلا تعجب من اللعب . فإنها خرق محركة لا متحركة ، ولكن تعجب من حذق المشعوذ

(١) حديث قوله تعالى وما حافت هذا بطلا سجدات فقد عذاب الدار فقال ومن فرأه هذه الآية

ثم مسح بها سمعه أي ركبها . انتهى من حديث ابن عباس لفظه . يشكر فيها وفيه

أبو حنيفة يحيى بن أبي حنيفة صحيح

المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأنصار . وإدراك المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء . والهواء ، والشمس . والقمر ، والكواكب . ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركزها فيها . ولا يتم الأفلاك إلا بحركاتها . ولا تتم حركاتها إلا بعلازمة سماوية يحرّكها . وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركها ذكرها . ثم بما غا ذكرها على ما هم عليه . ولنتعصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات

الطرف الخامس

في أهم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان . بل لها شروط مخصوصة لأجسامها توجد في بعض الأماكن دون بعض . والانس منتشر على وجه الأرض ، وقد تبعه عندهم الأطعمة . ويحول بينهم وبينها البحار والبراري . فانظر كيف سخر الله تعالى البحار ، وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح ، مع أنهم لا يفهمون في غالب الأمر شيء . بل يجمعون ، فيما أن تغرق بها السفن ، أو تنهبها قطع الطير في ، أو يمتدحون ، وفي توافق بعض البلاد في أخذها السلاطين . وأحسن أحوالهم أن يأخذوها ورثتهم وهم شدة أعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سخط الله الجهل والمهمل عليهم ، حتى يقاسموا الشدائد في طلب الربح ، ويركبوا الأخطار ، ويفرروا بالأرواح في ركوب البحر . فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك . وانظر كيف سخط الله تعالى صناعة السفن ، وكيفية الركوب فيها . وانظر كيف خلق الحيوانات ، وسخرها للركوب والحمل في البراري . وانظر إلى الأبل كيف خلقت ، وإلى العرس كيف امتدت بسرعة الحركة ، وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب ، وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش . وانظر كيف سخر الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة من أرجاء الحوائج . وتأمين ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها ، وأدواتها ، وعلفها ، وما تحتاج إليه السفن ، فقد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة . وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر ترى تركها طلباً لا يجاز

الطرف السادس

في إصلاح الأطعمة

اعلم أن الذي يثبت في الأرض من النبات، وما ينبت من الحيوانات، لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح، وطبخ، وتركيب، وتنظيف بإلقاء البعص وإلقاء البعص، إلى أمور آخر لا نحصى واستقصاء ذلك في كل طامام يطول. فلهي رغبة واحدا، ونظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من مدبقة، البذر في الأرض. فأول ما يحتاج إليه الحراث ليررع ويصلح الأرض، ثم الثور الذي يشير الأرض والقدان وجميع أسبابه. ثم مد ذلك التمهيد بسقي الماء مدة. ثم تنقية الأرض من الحشيش، ثم الحصاد، ثم الهرق والتقية، ثم الطحن ثم العجن، ثم الخبز. وأمل عدده هذه الأقوال التي ذكرناها وما لم نذكره، وعدد الأشخاص القاعين بها، وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد، والخشب، والحجر وغيره، وانظر إلى أعمال الصانع في إصلاح آلات الحراثة، والطحن، والخبز، من نجار وحداد وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد، والرافص، والنحاس، وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال، والأحجار، والمعادن، وكيف جعل الأرض قطعة متجاورات مختلفة. فإن قدشت عمت أن رعيه واحدا لا يستدير بحيث يصلح لأكلك بأمسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع، فالتدبير من الملك الذي يرحى السحاب لينزل الماء، إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة، حتى تنهي الدوة إلى عمل الإنسان. فإذا استدار منه قريب من سبعة آلاف صانع، كل صانع أصل من أصول الصانع التي بها تتم مصالحة الحق. ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات. حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فالتدبير خياطة الالباس الذي يمنع البرد عنك، لا تكمل صورتها من حديد تصالح الإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمساً وعشرين مرة، ويتعاطى في كل مرة منها عملاً. فلو لم يجمع الله تعالى البلاد، ولم يسحر العباد. وافترقت إلى عمل المجل الذي يجمع البوم مثلاً بعد بانه لفد عمرك وعمرت عنه. أولاً ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة فذرة، لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة

ما يحتاجه
الرغيف من
يصلح له ذلك

والصنائع الفرمية . فأنظر إلى المقرض مثلاً ، وهما حله أن متطابقان ، يطبق أحدهما على الآخر ،
 فيدول أن الشيء معطوف قطبانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق تخاده ، معطوف كرمه لمن قبلها
 واقتربنا إلى استنباط الطريق فيه بمكرنا ، ثم إلى استعراج الحديد من الحجر ، وإلى تحصيل
 الآلات التي بها يعمل المقرض . وعمر الواحد ما عمر نوح ، وأوتى أكل العقول ، انصر
 عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها ، فضلاً عن غيرها . فسبحان من
 ألحق ذوي الأنصار بالعميان ، وسبحان من مع التبيين مع هذا البيان . فاطر الآن لو خلا
 بلدك عن الصحاح مثلاً ، أو عن الحديد أو عن اللحام الذي هو أخس المال ، أو عن الخائلك
 أو عن واحد من جملة الصانع ، ماد يصيبك من الأذى ، وكيف مضطرب عليك أمورك
 كلها . فسبحان من سخر بعض العباد لبعض ، حتى عدت به مشيئة ، وتمت به حكمة
 وانوح القول في هذه الطبقة أيضاً ، فإن العرض السابيه على النعم دون الاستقصاء

الطرف السابع في إصلاح المصلحين

اعلم أن هؤلاء الصانع المصلحين الأنظمة وعبرها ، لو هرفت آرائهم ، وانفردت طلباتهم
 تافروا طبع الوحش . ليددوا وتبعوا ، ولم يد مع بعضهم بعض ، بل كانوا كالوحوش
 لا يحويهم مكان واحد ، ولا يحجمهم غرض واحد ، فطر كيف ألف الله بين قلوبهم ، وساط
 الأنس والمحبة عليهم (لو أنف ما في الأرض حياً ما أنف بين قلوبهم) واسكن الله
 ألف بينهم ^(١) فلاجل الألف ومارف الأرواح احتتموا وانفقوا ، ووالمدن والبلاد
 ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة . ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف
 الدقاع مما يطول إحصاؤه . ثم هذه المحبة تروى بأعراض يتراحمون عليها ، ويتشاورون
 فيها . في جبهة الإنسان العيظ . والحسد ، والمفسدة ، وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتناحر
 فانظر كيف سبط الله تعالى السلاطين ، وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب ، وألفي رعيهم في
 دلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً . وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح
 البلاد . حتى رتبوا إجراء البديك كأس أجزاء شخص واحد ، تتعاون على عرض واحد ، يستمع

العض منها ببعض فرتبوا الرؤساء ، وانقصاء ، والسجن وزعماء الأسواق ، واضطروا الخلق إلى قانون العدل . وارتزوم النساء والتعاون . حتى صار الحداد يتنفع بالقصاب . والخباز . وسائر أهل البلد . وكلهم منهمون بالحداد وصار الحجام يتنفع بالحراث ، والحراث بالحجام . ويتنفع كل واحد بكل واحد ، بسبب ترتيبهم ، واجتماعهم ، والاضطراب تحت ترتيب الساطان وجمعه . كما يتماون جميع أعضاء البدن وينفع بعضها ببعض

وانظر كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أصبحوا السلاطين المصلحين برعايا ، وعرفهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق ، وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفهم من أحكام الإمامة ، والسياسة ، وأحكام الفقه ما اهتدوا ، إلى إصلاح الدنيا ، فبذلعا ارشدوهم إليه من إصلاح الدين . وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللائكة ، وكيف أصبح الملائكة بعضهم ببعض ، إلى أن انتهى إلى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالحاز بخير المعين . والطحان يصالح الحب باطنجن ، والحراث يصلحه بالحصاد ، والحداد يصالح آلات الحراثة ، والحدار يصالح آلات الحداد ، وكذا جميع أرباب الصاعات المصالحين لآلات الأطعمة ، والساطان يصالح الصانع . والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم ، والعلماء يصلحون السلاطين . والملائكة يصلحون الأنبياء ، إلى أن انتهى إلى حصرة الروية التي هي يدوع كل نظام ، ومطلع كل حسن وجمال ، ومنشأ كل ترتيب وتأليف . وكل ذلك هم من رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً)^(١) لما اهتدينا إلى معرفة هذه السيرة من نعم الله تعالى . ولولا عرله إياها عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنهه ونعمه ، لتشوقنا إلى طاب الإحاطة والاستقصاء . والله تعالى عرابنا بحكم القهر والقدرة ، فقال تعالى (وبما تعدوا نعمة الله لا تحصوها)^(٢) فإن سكاكنا وإدبه اندسطن ، وإن سكاكنا فيقهره اقتصنا . إذ لا مطنى ما مع . ولا مانع لما أعطى ، لأننا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع نسمع القلوب نداء الملك الحبار (لمي الملك اليوم لله الواحد القهار)^(٣) فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار ، وأسمنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار

الإنسان
مضى بطريقه

الطرق الثامنة

في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام

طبقات
الملائكة

ليس يحق عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة كما بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم . وتبليغ الوحي إليهم . ولا تخزن أسهم مقتضرون في أفصاحهم على ذلك القدر . بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات . الملائكة الأرضية والسموية . وحملة العرش . فاطر كبرياءهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والمذاق الذي ذكرناه . دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرها واعلم أن كل جزء من أحرار ذلك . بل من أحرار السات . لا يعتدى إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة ، إلى مائة إلى ما وراء ذلك . . ويأباه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء . وقد تاف . وذلك الغذاء يصير دما في آخر الأمر ، ثم يصير لحما وعظما . وإذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك . والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار ، فهي لا تتحرك بأهوها ، ولا تنفجر بأهوها . وبمجرد الطمع لا يكتفي في تردها في أطوارها كما أن المرء بنفسه لا يصير طحيناً ، ثم عجيناً . ثم حراماً مستديراً محبوراً إلا صناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً ، وعظماً ، وعروقاً . وعصباً إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد . وقد أسمع الله تعالى عليك نعمه طاهرة وباطنة . فلا ينبغي أن تعمل عن نعمه الباطنة فأقول لا بد من ملك يحذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم . فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ، ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره . ولا بد من من يتجمع عنه صورة الدم . ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم . والعروق أو العظم . ولا بد من خام يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء . ولا بد من سادس «صق ما كتسب صفة العظم بالعظم ، وما كتسب صفة اللحم باللحم ، حتى لا يكون مفصلاً ولا بد من سابع رعى المفادير في الالتصاق ، فيأخذ بالمستدير ما لا يطل استدارته ، وبالعريض ما لا يرل عرضه . وبالمخوف ما لا يطل تخوفه . ويحفظ على كل واحد قدر حاجته ، ولو جمع هؤلاء من الغذاء على ألف الصبي ما يجمع على هذه الكبرياء . وطل تجويعه ، وتشوهد صورته وخافته ، بل ينبغي

أن يسوق إلى الأحكام مع رفقتها ، وإلى الخدمة مع رفقتها ، وإلى الانخاذ مع غلظها . وإلى
المعظم مع صلاته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل ، والإناطت الصورة
ورما مض الموضع ، وصحفت بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم
فساق إلى رأس العصى وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجاين مثلاً ، لبقيت تلك الرجل
كما كانت في حد الصخر ، وكما جميع البدن ، فكنت ترى شخصاً في ضجاجة رجل ، وله رجل واحدة
كأنها رجل صبي ، ولا يتفقد بنفسه أبته ، فإعادة هذه الهندسة في هذه القسمة موصولة إلى الملك من
الملائكة ولا تطعن في الدم اطبعه بهندس شكل جسمه ، وإن محيل هذه الأمور على الطبع جاهل
لا يدري ما يقول . فهذه هي الملائكة الأرضية ، وقد شملوا لك وأنت في اليوم تستريح ،
وفي العمل تتردد ، وهم يصاحون الغذاء في أطباق ، ولا حرك منهم ، وذلك في كل جزء من
أجزاءك الذي لا يتجزأ ، حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك ،
تركنا تفصيل ذلك للإبحار . والملائكة الأرضية مدد من الملائكة السماوية على ترتيب
معلوم ، لا يحيط بكلمه إلا الله تعالى . وهذه الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على
جنتهم بالأيدي ، والهداية والسديد الميمس القدوس ، المفرد بالملك والمالكوت ، والمررة والخبروت
جبار السموات والأرض ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام ^(١) والأخبار الواردة في الملائكة

(١) حدث الأخبار الواردة في ملائكة موكلين بالسموات والأرضين وأخبار أسرار الجبروت حتى كل
قطرة من انظر وكل سحاب ينزل من حيث إلى حيث انتهى وهي الصحيح من حديث
أبي ذر في قصة الأسراء قال حين نزل من السماء الدنيا اتبع وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال
لجارتها افج الحديث . ولهما من حديث في حرارة أنت لله ملائكة سياحين يلغون
عن نبي السلام وفي الصحيح من حديث عائشة في قصة عرسه نفسه على عبد الله بن عباس
حدث الرجل أن شئت أنت نطق عليهم الأحسن الحديث : ولهما من حديث أنس أن
الله وكل بالرحم ما كان الحديث : وروى أبو الصور النبلي في مسند الفردوس من
حديث ردة الأسمى من بيت إلا وتحت ملك موكل حق بمحمد الحديث : وفيه
محمد بن صالح الظري وأبو بكر الكروى وأبو عبيد الرحمن وكلاهما ضعيف
وللطراي من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف أن الله ملائكة يرون في كل ليلة يحسون
السكرال عن دور العراء لإدانة في عنها حرس ولهم مدى وحسه من حديث ابن عباس
قالت اليهود نأه لغاصه أحراً عن برعد قال من من الملائكة موكل بالسموات ولهم من
حدث أن حرارة بها رجل نغلة من الأرض سمع صوتاً من سحابة استق حديثه فلان
فتنحى ذلك السحاب فأفزع ماله في حرة الحديث

الماوكيين بالسموات والأرض ، وأحرار البيوت والحيوانات ، حتى كل قطرة من المطر ، وكل سحاب يحل من جانب إلى جانب ، أكثر من أن تحصى . فإني أتذكر تركنا الاستشهاد به . فإن كنت فاهلاً مؤثمت هدم الأفعال إلى ملك واحد ، ولم أقتصر إلى سعة أملاك ، والخطة أيضاً تحتاج إلى من يطحن أولاً ، ثم إلى من يغير عنه الملة لم يدفع الفضلة ثانياً ، ثم إلى من يصب الماء عليه ، ثم إلى من يبعث رابداً ، ثم إلى من يقطع كرات مدورة خامساً ، ثم إلى من يرقها رعاء ، عريضة سادساً ، ثم إلى من يصقها ماء ور سابعاً ، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد . يستقل به . فهنا كانت أعمال الملائكة باطلا كأعمال الإنس ظاهراً ، فاعلم أن خلقه للملائكة تخاف خفة الإنس . وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ، ليس فيه خلط وتركيب أئمة ، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَمَا إِلَٰهٌ مِّمَّا مَدُونٌ ^(١)) فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مشاغل في تبيين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثل الحواس الخمس . فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات . ولا الشم يزاحمهما ، ولاهما يزاحمان الشم . وليس كاليد والرجل . فذلك قد تبطش بأصابع الرجل بطشاً ضميماً ، فتزاحم به اليد ، وقد تضرب غمرك رأسك فتزاحم اليد التي هي آله الصرب . ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى نفسه الطحن ، والعجن ، والخبز ، فإن هذا نوع من الأعوجاج والمدول عن العدل ، سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه ، فإنه ليس واحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل . ولذلك ترى الإنسان يصعب الله مرة ويمسه أخرى . لاختلاف دواعيه وصفاته . وذلك غير ممكن في طباع الملائكة . بل محمولون على الطاعة ، لا مجال المعصية في حقهم ، ولا جرم لا يعصون الله ، أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ويبحون الليل والنهار لا يفترون . والراكم منهم راكع أبداً ، والساجد منهم ساجد أبداً ، والقائم قائم أبداً لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور ، ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه

الملائكة
وعملهم
الصفات

وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخاطبة فيهم ، يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك . فإنك مهما جرمت الإرادة تفتح الأجفان ، لم يكن للعفن الصحيح تردد واختلاف

في طاعتك مره ، ومقصيتك أخرى بل كنهه منتظر لامرك وسهيك ، يفتح ، وينطبق
متدلا بإشارتك . فهذا يشبهه من وجه . لكن بحالته من وجهه الجفص لا علم له بما يصدر
منه من الحركة فتحا وإطيقا ، والملائكة أحياء عاينون بما يملكون . فإذا هذه نعمة الله عليك
في الملائكة الأرضية والسموية ، ووجدتك إليهما في غرض لا كل فقط ، دون ما عداها من الحركات
والحاجات كلها ، فإنهم طوبى بذكرها ، فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ، ومجموع
الطبقات لا يمكن إحصاؤها ، فكيف آحاد ما يدخل تحت مجموع الطبقات ؟

فإذا قد أسبغ الله تعالى نعمة عليك طاهرة وباطنة ، ثم قال (ودروا صاهر الأئمة وباطنة^(١))
فترك باطن الأئمة ، لا يعرفه الخلق من الحسد . وسوء الظن ، والبدعة ، وانحرار الشر للباس
إلى غير ذلك من آلام النوب ، هو الشكر للنعم الباطنة ، وترك الأئمة الظاهر بالخوارج ،
شكر للنعم الظاهرة . بل أقول كل من صلى الله تعالى ولو في طريقة واحدة بأن يفتح
جفنه مثلا حيث يجب غض البصر ، فقد كفر كل نعمة الله تعالى عليه في السموات والأرض
وما بينهما . فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى للملائكة ، والسموات والأرض والحيوانات
والنبات ، بحجته نعمة على كل واحد من العباد ، قد تم به نعمه ، وبما اتهم غيره أيضا
به ، فإن الله تعالى في كل طريقة بالحق نعمتين في نفس الحمن ، إذ خلق تحت كل جفن
عضلات وله أوتار ورمادات متعملة أعصاب الدماغ ، بها يتم انحناء الجفن الأعلى ، وانحناء
الجفن الأسفل ، وعلى كل جفن شعور سود . ونعمة الله تعالى في سودها أنها تجمع ضوء
العين ، إذ البياض يبرق الضوء ، والسود يحجمه . ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا أن يكون
مانعا للهوام من الديدب إلى باطن العين . ومن ثم لا لاقداء التي تنثر في الهواء ، وله في كل
شجرة منهما نعمتان من حيث ليس أصله ، ومع اللابن قوام نصيبها ، وله في اشباك الأهداب
نعمة أعظم من الكل ، وهو أن غار الهواء قد يمنع من فتح العين . ولو طلق لم يبصر ،
فيجمع الأحقان مقدار اشباك الأهداب . فيظهر من وراء شبك الشعر ، فيكون شبك
الشعر مانعا من وصول القذى من خارج ، وغير مانع من امتداد البصر من داخل .

(١) الأنعام : ١٢٠

ثم إن أصاب الحديقة عيار ، فقد خلق أطراف الأجنان حادمة منطبقة على الحديقة ، كالصقعة لمرأة ، فيطبقها مرة أو مرتين ، وقد انصقلت الحديقة من العيار ، وخرحت الأقداء إلى زوايا العين والأحقان والذباب لم يكن لحديقته جفن ، خلق له يدين قتراء على الدوام يسححهما حدقته ليصقلهما من العيار . وإذ ترك الاستقصاء تفاصيل النعم لا تقتارعه إلى تطويل يريد على أصل هذا الكتاب ، ولعلنا ستأنف له كتابا مقصودا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق ، نسبيته عجائب صنع الله تعالى ، ولترجع إلى غرضنا فنقول .

من نظر إلى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجنان ولا تقوم الأجنان إلا عيين . ولا العين إلا برأس . ولا الرأس إلا بجميع البدن ، ولا البدن إلا بالعضاء ولا العضء إلا بالماء ، والأرض . والهواء ، والمطر ، والعيم ، والشمس ، والقمر . ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ، ولا السموات إلا بالملائكة ، وإن الكل كائنه الواحد يرتبط البعض منه بالعضاء التي أطرافها البدن بعضها بعض . وهذا قد كفر كل نعمة في الوجود ومن انتهى الثريا إلى منتهى الثرى ، فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد إلا وليه . ولذلك ورد في الأخبار ^(١) أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تنعمهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم . وكذلك ورد ^(٢) أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر ^(٣) وأن الملائكة يلعنون العصاة ، في أخط كثيرة لا يمكن إحصائها . وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطرفه واحدة جنى على جميع ما في الملك والممالك ، وقد أهلك نفسه ، إلا أن ينجم السيئة بحسنة تعفوها ، فيبذل اللعن بالاستغفار ، فمسي الله أن يتوب عليه ويتجورعه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام . يا أيوب ، ما من عبد لي من لآدميين إلا ومعه ملكات ، فإذا شكرني على نعمائي قان الماسكان اللهم رده نعمي على نعم وإليك أهل الحمد والشكر ، فكن من الشاكرين قريبا ، فكفى بالشاكرين علو رتبة عسدي أي أشكر شكرهم ، وه الملائكة يدعون لهم . والامتناع تحمهم . والآثار تبكى عليهم .

(١) حدث أن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلغهم أو تستغفر لهم ثم أجده أصلا

(٢) حديث أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر: تقدم في العلم

(٣) حديث أن الملائكة يلعنون العصاة: ورد من حديث أبي هريرة الملائكة تلعن أذنكم إذا أشار إلى أخيه بمديدة وإن كان أحباء لأبيه ونعمة

وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعمة كثيرة ، فاعلم أن في كل نفس ينسبط وينقبض نعمتين ، إما بباطنه يخرج الدخان المحترق من القلب . ولولم يخرج لهلك ، وبايقاضه يجمع روح الهواء إلى القلب ، ولو سد متنفسه لاحترق قلبه باقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك . بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات . فمليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدلك ، بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ولما كشف موسى عليه السلام حقيقة قوله له (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ^(١)) قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شجرة من جسدتي نعمتان . أن لبت أصلها . وأن طمست رأسها وكذا ورد في الآثار أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه ، فقد قل علمه ، وحضر عذابه ، وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب ، فاعتبر ما سواه من النعم به ، فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه وأثره الاسعفاء والتمصيل . فإياه طمع في غير مطعم

بيان

السبب الصارف للخلق عن الشكر

إعلم أنه لم يصر الخلق عن شكر النعمة إلا الجمل والمهلة . فإنهم معمو الجمل والغفلة عن معرفة النعم . ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها . ثم إنهم إن عرفوا نعمة طموا أن الشكر عليهم أن يقولوا له الحمد لله ، الشكر لله . ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أرادت بها ، وهي طاعة الله عز وجل . فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين العرتين إلا عنه الشهوة واستيلاء الشيطان . أما المهلة عن النعم فلها أسباب . وأحد أسبابها أن الناس يحباهم لا يمدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة . فبدلك لا يشكرون على حملة ما ذكرناه من النعم ، لأنها عامة للخلق ، مبدولة لهم في جميع أحوالهم . فلا يرى كل واحد انفسه منهم اختصاصا به ، فلا يمد له نعمة ، ولا تراهم يشكرون الله على روح

الغفر الموهبة
واسبابها .

نعمة أو نعمًا كثيرة تحصى . لا يشاركه فيها الناس كافة ، من يشاركه عدد يسير من الناس ، ورعا
لا يشاركه فيها أحد . وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل ، والخلق ، والعلم .
فما العقل فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله . يعتقد أنه عقل الناس ،
وقل من يسأل الله العقل . وإن من عرف العقل أن يعرفه الخلق عنه . كما يعرف المتصف
به . فإذا كان اعتقده أنه عقل الناس ، فواجب عليه أن يشكره ، لأنه إن كان كذلك فلا شكر
واجب عليه ، وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو ممتد في حقه ، فن وضع كثر تحت
الأرض فهو يعرفه ويشكره ، وإن أحد لا يكر من حيث لا يدري فيبقى مفرجه بحسب
اعتقاده ، ويقتى شكره . لأن في حقه كافي . وأن الخلق ممن عبدوا لا يرى من غيره
عبوا بكرمه . وأحلاقيده . وإن يذمه من حيث يرى منه بريئًا عنها . فإذا لم يستعن
بذم الغير فينبغي أن يشغل شكر الله تعالى . إذ حسن حقه ، ووفى غيره بالحق الذي
وعد . فممن أحد لا يعرف من يواظب أمور نفسه ، وحده أو كاره .
ما هو منزه به ، ولو كشف ما ضاع حتى اطع عليه أحد من الخلق لا يفسح فكيف لو اطاع
الناس كافة . فدون لكل عبد علم أمر خاص لا يشاركه به أحد من عباد الله . فممن لا يشكر
ستر الله الجليل الذي أرسله على وجه من وجهه ، فمظهر الجليل وستر القبح . وأحق ذلك عن
أعين الناس . وخصص علمه به حتى لا يطاع عليه أحد . فهذه ثلاثة من أعم خاصة ،
يعترف بها كل عبد ، إما طاعة ، وإما في بعض الأمور . فممن عن هذه الصفة إلى طبقة
أخرى أعم منها فيلزم قول . فممن عبد إلا ومعرفة الله تعالى في صورته . أو شخصه
أو أحلاه ، أو صفاته ، أو أهله . أو ولده ، أو مسكنه ، أو بلده ، أو رقيقه ، أو أقاربه ،
أو عرته ، أو حاهه . أو في سائر محله أو رالو سبب ذلك منه . وعطى ما خصص به غيره
أكل لا يرضى به . وذلك مثل أن جعله مؤمنا لا كافرا . وحيا لا مجادا . وإنسانا لا سائمة
ودكر الأني . وصحبا لا مريد . وسببا لا معينا . فإن كل هذه خصص بها . وإن كان فيها
عموم أيضا . فإن هذه الأحوال لو دلت أسداها لم يرض بها . لأنه لو لا يبدلها بأحوال
الآدميين أيضا . وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدلها بما خص به أحد من الخلق . أو لا يبدلها
بما خص به إلا كثر . وإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره ، وإذا حاله أحسن من حال

غيره . وإذا كان لا يعرف شخص يرتضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه ، إما على الجلالة . وإما في أمر خاص ، فإذا الله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواء . وإن كان يبدل حال نفسه بمحل بعضهم دون البعض ، فينظر إلى عدد المعبودين عنده ، فإنه لا يحل له أن يراه أهل بالإضافة إلى غيرهم . فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه . فما باله ينظر إلى من فوقه ايزدري نعم الله تعالى على نفسه . ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى دياره بديار غيره . أليس هذا لامتة نفسه على سيئة يقرها ، يتنذر بها ، بأن في الفساق كثرة ، فينظر أندا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه ، فلم لا يكون طره في الدنيا كذلك ، وإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه ، وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق ، فكيف لا يرميه بالشكر . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « من نهر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صارا وشركا ومن طر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صارا ولا شركا » . وإذا كل من اعتبر حال نفسه . ومش عما حص به ، وجد الله تعالى على نفسه بما كثرة لاسيما من خص بالجنة ، والإيمان . والعلم . والقرآن . ثم العراغ . والصحة . والأمن وغير ذلك . ولذلك قيل :

من شاء عيشا رحيبا يستطيل به في دينه ثم في دنياه إقبالا

فإنظرن إلى من فوقه ورعا وإنظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم يستعن بآيات الله فلا أغناؤه الله » وهذا إشارة إلى نعمة العلم . وقال عليه السلام : « إن القرآن هو النقي الذي لا غنى بعده ولا فقر معه » . وقال عليه السلام : « من آناه الله القرآن قط أن أحدا غنى منه فقد استهزأ بآيات الله » .

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه وعثر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صارا وشركا

الحديث : الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال عراب وفيه شيء من التصحيف

(٢) حديث من م يستعن بآيات الله فلا أغناؤه الله ثم أحده بهذا اللفظ

(٣) حديث أن القرآن هو النقي الذي لا غنى بعده ولا فقر معه : أبو حنيفة والطبراني من حديث أسد

سدد صحيح يلفظ أن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه قال الدارقطني رواه

ومعه : عن الأعمش عن زيد الرقائبي عن الحسن بن سفيان وهو أشبه بالصواب

(٤) حديث من آناه الله القرآن قط أن أحدا غنى منه فقد استهزأ بآيات الله : البخاري في التاريخ من .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) ليس منا من لم يمسس بالقراءة وقال عليه السلام ^(٢) «كفى باليقين عيا» وقال بعض السلف يقول الله تعالى في محض الكتب المنزلة إن عدا أعدائه عن ثلاثة ، فقد اتهمت عليه نعمتي ، عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما في يد أخيه . وعبر الشاعر عن هذا فقال

إذا ما لقوت يأتيك كذا الصحة والأمن

وأصبحت أخا حزن فلا فارقت الحزن

بل أرسق العبارات وأفصح الكلمات ، كلام أفصح من نطق بالضاد ، حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال ^(٣) «أمن أصبح آمنا في سربه مأمنا في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيرت له الأذن بخدا» . ومهما تأملت الناس كلامهم ، وحدثهم يشكون وينشأمون من أمور وراء هذه الثلاث ، مع أنها وبال عليهم . ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ، ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصلوا إلى النعيم المقيم ، والملك العظيم . بل البصير ينفق أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملك الأرض من المشرق إلى المغرب ، من أموال وأتباع ، وأعمار ، وقبيل له حدها عوصا عن عمك ، بل عن عشر عشير عمك . لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تقضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة . بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترحوه كماله ، فحذ هذه الذات في الدنيا ، ادلأ عن الذات بالم في الدنيا وفرحك . لكان لا يأخذه ، لعله أن لذته لم دامة لا تقطع ، وباقية لا تسرق ، ولا تنصب ، ولا يافس فيها ، وأنها صافية لا كدورة فيها . ولذات الدنيا كلها ناقصة ، مكدرة ، مشوشة لا يقي مرحوها بخوفها ، ولذاتها بالمها . ولا فرحها بنعمها . هكذا كانت لي الآن . وهكذا

حدث رجاء العدي بلعد من آناه الله حفظ كتابه وظن ان احدا أولى اصل بما أوتي فقد صر أعظم النعم به من عدم في فصل القراءان ورجاء مختلف في صحبته وورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعية

(١) حديث ليس منا من لم يمسس بالقراءة ان تقدم في آداب التلاوة

(٢) حديث كفى باليقين عيا الطبراني من حديث عتبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في الفتاة موقوفا عليه وقد تقدم

(٣) حديث من أصبح آمنا في سربه : الحديث تقدم غير مرة

تكون ما في الزمان ، إذ ما خلقت لذات الدين ، لا لتجلبب بها العقول الذميمة وتخدع ، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها ، أنت عليهم واستعصت . كالمرأة الحمل طهرها ، تنزى للشرب الشبهق الغنى . حتى إذا تقيدها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه ، ولا يزال معها في تعب قائم ، وعناء دائم . وكل ذلك باعتباره ببلدة النظر إليها في لحظة ولو عقل وعص البصر ، واستهان تلك اللذة ، سلم جميع عمره . فكذا وقعت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائشها . ولا ينبغي أن يقول إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها . فإن المقبل عليهم . أيضا متألم بالصبر عليهم وحفظهم ، وتحصيلها ، ودفع اللصوص عنها . وتألم المعرض بعض إلى لذة في الآخرة ، وتألم لمقبل بعض إلى ألم في الآخرة . فليقر المعرض عن الدين على الله قوله تعالى (ولا تنهوا في الله أن يقول إن تكونوا تألمون فإنتهم يألمون كما تألمون وترحون من الله ما لا يرحون ^(١)) ، فإذا إنما أنشد طريق الشكر على الخلق لحملهم ضرر ربهم الظاهرة والباطنة ، وخاصة والعامة .

فأرقت . فما علاج هذه القلوب العالة ؟ حتى تشعر بنعم الله تعالى فمساها تشكر . فأقول . أما القلوب البصيرة ، فملاحها التأمل فيما رمز إليه من أوصاف نعم الله تعالى العامة . وأما القلوب البعيدة التي لا تمد الرحمة بعمدة إلا إذا خصتم ، أو شعرت بالبلاء معها . وبإله أن ينظر أبدا إلى من دونه ، ويعمل ما كان عمله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى ، والمقار . والمواضع التي تقام فيها الحدود . وكان يحضر دار المرضى أشاهد أواع بلاء الله تعالى عليهم . ثم يتأمل في صحته وسلامته ، فيشعر قلبه بعمدة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ، وشكر الله تعالى . ويشاهد حياة الذين يقتلون ، وتقطع أطرافهم ويمدون أواع العذاب ، ليشكر الله تعالى على عظمته من الحيات ، ومن ثلث العتوبات وبشكر الله تعالى على عمدة الأمن وبخضر المقار ، فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا أو يوما واحدا ، أما من عصى الله فليتدارك ، وأما من أطاع فليرد في طاعته . فإن يوم القيامة يوم التمهين . فليطعم مغفون إذ يرى جراء طاعته فيقول : كمت أقدر على أكثر من هذه الطاعات ، فما أعظم غنى إذ صيغت بعض لأوقات في المباحات . وأما لعدوى فبئس طهر وإذا شاهد المقار ، وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما في له ،

فبصرف تقية المرأى ما يشتهى أهل القبور المود لأجله ، ليكون ذلك معرفة انعم الله تعالى في تقية العمر ، بن في الإيمال في كل نفس من الأناس . وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله . وهو التزود من الدنيا للآخرة .

فهذا علاج هذه القلوب العاطلة لتشعر بعم الله تعالى ففسها تشكر . وقد كان الربيع ابن خيثم مع عام استنصاره ، يستعين بهذه الطرق تأكيد المعرفة . فكان قد حضر في داره قبرا ، وكان يصنع غلاف عمقه ، و أم في لده ثم يقول : (رَبِّ ارْحَمُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا)^(١) ثم يقوم ويقول : يا رب ، قد أعطيت ما سألت ، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد . ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر رالت ولم تعد ، ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليكم علامة الشكر على النعم ، فقل نعمة زالت عن قوم معادت إليهم : وقال بعض الساف الموم وحشية فقيدوها بالشكر . وفي الخبر^(٢) ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه ، فمن تهاون بهم رضى تلك النعمة لاروال وقال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ)^(٣) وهذا تمام هذا الركن

الركبة الثالث

من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان

وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

اعلمك تقول مادكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موحود نعمة ، وهذا شعر إلى أن البلاء لا وجود له أصلا . فما معنى الصبر ؟ وإن كان البلاء موحودا فله معنى الشكر على البلاء ؟ وقد ادعى مدعون أنه شكر على البلاء ، فصلا عن الشكر على النعمة .

(١) حديث ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس له - الحديث : ابن عدي وابن حبان في الصغفاء من حديث ما من رجل يلفظ الاعتصم مؤبه الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤبة الحديث : ورواه ابن حبان في الصغفاء من حديث ابن عباس وقال الموصوع على حجاج لأعور

(٢) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ (٣) الرعد : ١١

فكيف يتصور الشكر على البلاء ، وكيف يشكر على ما يصير عليه ، والصبر على البلاء يستدعى الماء ، والشكر يستدعى فرحا ، وهما يتضادان ؟ وما معنى ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده . . فاعلم أن البلاء موجود ، كما أن النعمة موجودة ، والقول بإثبات النعمة ، يوجب القول بإثبات البلاء ، لأنهما متضادان . ففقد البلاء نعمة . وفقد النعمة بلاء . ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه ، أما في الآخرة فكسادة العبد بالنزول في حوار الله تعالى . وأما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق وما يمين عليهما ، وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه ، كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه . فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد . أما المطلق في الآخرة ، فالعبد من الله تعالى بما مدة وإياه . أي : وأما في الدنيا ، فالكفر والمعصية ، وسوء الخلق ، وهي التي تخص في البلاء المطلق . وأما المقيد فكالفقر ،

البلاء المطلق

البلاء المقيد

والمرض ، والخوف ، وسائر أنواع البلاء التي لا تكون في بلاء الدين بل في الدنيا . فالشكر المطلق للنعمة المطلقة . وأما البلاء المطلق في الدنيا ، فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ، ولا معنى للصبر عليه . وكذا المعصية . بل حتى الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي . نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر ، فيكون كمن به علة ، وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه ، والعاصي يعرف أنه عاص ، فعليه ترك المعصية . بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه . ولو ترك الإنسان الماء مع طول العطش ، حتى عظم تألمه ، فلا يؤمر بالصبر عليه ، بل يؤمر بإزالة الألم . وإنما الصبر على ألم البس إلى العبد إرادته . فإذا رجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق ، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه . فلهذا يتصور أن يجتمع عليه وطيفة الصبر والشكر . فإن العبي مثلا يجوز أن يكون سببا لهلاك الإنسان ، حتى يقصد بسبب ماله ، فيقتل وتقتل أولاده . والصحة أيضا كذلك . فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن نصير بلاء ، ولكن بالإضافة إليه . فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ، ولكن بالإضافة إلى حاله . فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ، ولو صح بدنه وكثر ماله

في آلام أهل الدار . أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بوز الشمس مع شدة حاجتهم إليها ، من حيث إنها عاة مبدولة . ولا يشتد فرحهم بالنصر إلى رينة السماء ، وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يحتمدون في عمارته . ولا سكن رنة السماء ما عمت لم يشعروا بها ، ولم يفرحوا بسبها . فإذا قد صبح ما ذكر ، أمس أن الله تعالى لم يحلق شيئاً إلا وفيه حكمة ، ولا حلق شيئاً إلا وفيه عمة ، إما على جميع عباد ، أو على بعضهم . فإذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضاً ، إما على المذنب ، أو على غير المذنب . فإذا كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ، ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العهد وصيقتان ، الصبر والشكر جميعاً . فإن قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان ، إذ لا صبر إلا على غم . ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد يفتن به من وجه ، ويفرح به من وجه آخر . فيكون الصبر من حيث الاعتماد ، والشكر من حيث المرح . وفي كل فقر ، ومرض ، وخوف ، وبلاء في الدنيا خمسة أمور ، ينبغي أن يفرح العاقل بها ، ويشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها . ومقدورات الله تعالى لا تندهى فلو صدم الله تعالى وزادها ماذا كان يردده ويحجزه ويشكر . إذ لم يكن أعظم منها في الدنيا .

مواضع الشكر
في البلاء

الثاني : أنه كان يمكن أن تكون مصيبتك في دينه . قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه : دخل المأمون بيتي وأخذ متاعى . فقال : اشكر الله تعالى . لو دخل الشيطان فلبث فأوسد التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ ولذا استمد عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني . وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما انتدبت بلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم . إذ لم يكن في ديني ، وإذ لم يكن أعظم منه ، وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه . وكان أيمض أرباب القلوب صديق ، فحبسه السلطان ، فأرسل إليه يملأه ويشكو إليه . فقال له : اشكر الله . فضربه ، فأرسل إليه يملأه ويشكو إليه ، فقال : اشكر الله . فعلى : نجوسى فحبس عده . وكان مبطوناً ، فقيد وجعل حلقة من قيده في رحله . وحلقه في رحل المجوسى : فأرسل إليه . فقال : اشكر الله . فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات ، وهو يحتاج أن يقوم معه . ووقف على رأسه حتى يقضى حاجته ، فكتب إليه بذلك ، فقال : اشكر الله . فقال : يا بني ماذا ؟ وأي بلاء أعظم من هذا ؟ فقال

لو جعل الزمان الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع ؟ . ههنا ما من إنسان قد أصيب
بإيلاء . إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء ذنبه صاعرا واطمأ في حق مولاه . لكان يرى أنه
يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ، ومن استحق عليك أن يصر بك مائة سوط ،
فانقصر على عشرة . فهو مستحق للشكر . ومن استحق عليك أن يقطع يديك ، فترك
إحداهما ، فهو مستحق للشكر . ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع . فصب على رأسه طشت
من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر . فقيل له ما هذه السجدة ؟ قال كنت أنتظر أن
تصب على النار . فلا تنصّر على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم . ألا تخرج إلى الأسواق فقد
احتبست الأمطار ، فقال أنتم تسبظون المطر وإذا استبطلت الحجارة

وإن قلت : كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ، ولم يصابوا بها
أصبت به حتى الكرماء . فاعلم أن الكافر مدخى . له ما هو أكثر . وإعنا أهل حتى يستكثر
من الإثم ، ويطول عليه العقاب . كما قال تعالى (إِنَّا عَلَىٰ لَهْمٍ لِبِرْدَادُوا إِنَّمَا) .

وأما المعاصي . فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ، ورب حاطر بسوء أدب في
حق الله تعالى وفي صفاته ، أعظم وأظم من شرب الخمر والراو . ثم المعاصي بالجوارح .
ولذلك قال تعالى في مثله (وَتَحْسَبُونَهُ هَيَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) (١) فمن أين تعلم أن عبك
أعصى منك ؟ ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة . وعجلت عقوبتك في الدنيا . فم لا تشكر
الله تعالى على ذلك . وهذا هو الوجه الثالث في الشكر ، وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان
يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ، ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة ،
فيحرف وقها . ومصيبة الآخرة تدوم . وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى ، إذ أسباب
التسلى معطوغة بالسكينة في الآخرة عن المذنبين . ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يهافت
أدبا . إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّا أَعْنَدُ إِذَا ذُنُوبُهَا فَاصَا تَةً شَدِيدَةً »

(١) حديث ابن عبد البر أن أبا ذر غفاه شدة وعلاء في الدنيا . فنهى كرم من أن يعد في الدنيا الرمدى وإن ماحه
من حديث علي بن أصاب في الديانة عقوبة الله عدل من أن يأتي عقوبته على يده . الحديث :
أحمد ابن ماجة وقال الترمذي من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا . قول حسن والشيخين
من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيك فعوقبه فهو كعاره له . الحديث :

أَوْ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُ ثَانِيًا ،

الرابع : أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب ، وكان لابد من وصولها إليه ، وقد وصلت ، ووقع الفراغ . واسراح من بعضها أو من جميعها . فهذه نعمة الخامس . أن ثوابها أكثر مما وإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدهما : الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ، ويكون المنع من أسباب اللاب نعمة في حق الصبي . فإنه لو خشي واللعب كان ينعمه ذلك عن العلم والأدب ، فكان ينحصر جميع عمره . فكذلك المال ، والأهل ، والأقارب ، والأعضاء ، حتى المي التي هي أعز الأشياء . قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال . ل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فاللهجة غدا يتمنون لو كانوا عاينين أو صديقا ، ولم يتصرفوا بعبه وطهم في دين الله تعالى . فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية . فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ، ويقدر فيه الخيرة ، ويشكره عليه . فإن حكمة الله واسعة ، وهو بمصالح العباد أعلم من العباد . وغدا يشكره العباد على الملائيا إذا رأوا ثواب الله على الملائيا ، كما يشكر العبي بعد العقل والبوع استاذهم وأباء على صبرهم وتأديده إذ يدرك ثمره ما استفاد من النأديب والبلاء : من الله تعالى أديب . وعمايته بعباده أتم وأوفر من عماية الآباء بالأولاد ، فقد روى ^(١) أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال « لا تشتم الله في شيء فضاء عيك » ^(٢) ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فصاحت ، فسئل فقال « عجبت أمعاء الله تعالى المؤمن إن أوصى له بأسرا رحي وكان حنراله وإن قضى له بالصرء رحي وكانت خيرة له »

الوجه الثاني : أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا . ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تشتم الله في شيء فضاء عيك أحمد . ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فقال « عجبت أمعاء الله تعالى المؤمن إن أوصى له بأسرا رحي وكان حنراله وإن قضى له بالصرء رحي وكانت خيرة له »

(٢) حديث نظر إلى السماء فصاحت فسئل فقال « عجبت أمعاء الله تعالى المؤمن » الحديث : مسلم . من حديث صهيب دون نظره إلى السماء وصححه بخبر الأمر المؤمن أن أمره كله حب . وليس ذلك لأحد إلا المؤمن أن أصابته سره شكره كان حبه له وإن أصابه صبر . صبر وكان حبه الله ولقائه في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجت من رضاء الله للمؤمن أن أصابه خير حمدته وشكره الحديث :

عن دار الغرور ، ومواتاه النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاءه مصيبة ، وتورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها . حتى تصير كالخفة في حقه ، فيعصم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقة . وإذا كثرت عليه المصائب تزعج فيه عن الدنيا . ولم يسكن إليها ، ولم يأنس بها ، وصارت سجنًا عليه ، وكانت نجاةً منها ، عنة اللذة كالخلاص من السجن . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « الدنيا سجن المؤمن وحرمة الكافر » والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحية الدنيا ، ورعى بها ، واضمأن إليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا ، شديد الحبس إلى الخروح منها . والكافر منه طهر وبه مضه خبي . وقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الخفي . بل الواحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق . وإد في البلاء نعم من هذا الوجه . فيجب الفرح به . وأما التألم فهو ضروري . وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحمامة عن يتولى حجامتك حماما . أو يسقيك دواء نافعا بشماجمانا . فإنك تتألم وعرح . فتصبر على الألم . وتشكره على سبب العرج . فكل بلاء في الأمور الدنيوية . مثله الدواء الذي يؤلم في الحال ، وينفع في المآل . بل من دخل دار ملك للمصارة ، وعلم أنه يخرج منها لا محالة ، فرأى وجهها حسنا لا يخرج معه من الدار ، كان ذلك وبالا ولاء عليه . لأنه يورثه الأناشئ عزلا لا يمكنه المقام فيه . ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه لملك فيمذه . فأصابه ما يكرهه حتى نفره عن المقام ، كان ذلك نعمة عليه . والدنيا منزل ، وقد دخلها الناس من باب الرحم ، وهم خارجون عنها من باب اللحد ، فكل ما يحقق أنسهم بالمرل فهو بلاء ، وكل ما يرعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة . فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء . ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر . لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة . ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة . وحكي أن أعرابيا عرى ابن عباس على أبيه فقال .

إصبر تكن بك صابر فإنا صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجرك بعدد والله خير منك للعباس

(١) حديث الدنيا سجن المؤمن وحرمة الكافر . مسلم من حديث أبي هريرة . وقد عدم

فَيُخَمَّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ خُمْرَةٌ وَتُحْمَدُ بِأَنَّهُ أَشَارَ بِمَوْجِعِ عَلَى رُشْدِهِ فَيُجْعَلُ فَرَسَيْنِ
مَارِضَتُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ . . . وعن عليٍّ كرم الله وجهه قال : إنما رحل حمزة السلطان
خدا ، فمات فهو شهيد ، وإن صر به ثلث فهو شهيد ، وقال عليه السلام : « من إحلال الله
ومنة حقه أن لا يشكوا وحدث ولا تذكر مصيبتك » وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى
عنه : « تولى من الموت ، وتممرون للحراب ، وتحرسون على ما في ، وتندرون ما في .
ألا حيفاً المكروهات الثلاث ، الفقر ، والمرض ، والموت ، . . . وعن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بعبده خيراً أو أراد أن ينصبيه صيباً عليه
الْبَلَاءَ ، عَسَا وَنَجَّاهُ عَلَيْهِ سَخَا ، فَإِذَا دَعَا قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ صَوْتٌ مَرُوفٌ وَإِنْ دَعَا ، يَا
فَقَالَ يَرْبُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَيُّ شَيْءٍ عِنْدِي وَسَعْدَيْكَ لَا شَيْءَ عِنْدِي إِلَّا أَغْصِيْتُكَ أَوْ دَفَعْتُ
عَنكَ مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَذْخَرْتُ لَكَ عِنْدِي مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيٌّ ،
يَأْتِي الْأَتَمَلُ مُؤَدِّيًا تَحْمِلُهُمْ بِالْمِيرَابِ أَهْلُ الْعَسَلَةِ وَالْعَسْبَاءُ وَالْحُجَّ تُؤْتِي
بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يُصِيبُ لَهُمْ مِيرَابٌ وَلَا يَنْشُرُ لَهُمْ دِيْوَانٌ يُصِيبُ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًا
كَمَا كَانَ يُصِيبُ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ صَبًا فَيُؤْذِ أَهْلُ الْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَآثَمُهُمْ كَمَا تَقْرَضُ
أَجْسَادُهُمْ مَا لَقَارِضُ الْمَايِرُونَ مَيِّدُهُمْ بِهِ أَهْلُ الْبَلَاءِ مِنَ الثَّوَابِ فَمِنْ قَوْلِهِ
تَعَالَى (إِنْ تَأْيُوتِ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (١) . . . وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال : شكاني من الأتباء عليهم السلام إلى ربه ، فقال يا رب ، أتعبد المؤمن يصيبك
ويجتنب معاصيك . تروى عنه الدنية ، وتمرض له البلاء . ويكون العبد الكافر لا يطيعك
ويجتري ، عليك وعلى معاصيك ، تروى عنه البلاء . ويسقط له الدنيا فأوحى الله تعالى
إليه ، إن العباد لي ، والبلاء لي ، وكل سبيح بحمدي . فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأروى

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعد خيرا أو أراد أن ينصبيه صيبا عليه البلاء صبا . الحديث : من في الدنيا
في كتاب المرض من رواية بكر بن حنبل عن يزيد الرقاشي عن أنس حصر . وهو قول الله هذا كان
يوم القيامة إلى آخره . وكذا بن حنبل والرقاشي صحابا ورواه لأسمه في الترمذي والزهبي
نعمه وأدخل بن بكر وبين الرقاشي صراخ بن عمرو وهو بعد صحيح

عنه الدنيا، وأعرض له البلاء، فيكون كفارة لدونه حتى يلتقي فأجزيه بحسنته. ويكون
الكافر له الحسنت، فأنسلط له في الرق، وروى عنه البلاء، فأجزيه بحسنته في الدنيا
حتى يلتقي فأجزيه سيئاته. وروى أنه ^(١) لما نزل قوله تعالى (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ
بِهِ) قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية! فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «غفر الله لك يا أبا بكر أنت تفرص أنت يصيدك الأذى أنت
تجرب فهذا مما تجزونه» يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك

وعن ^(٢) عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يُعْطِيهِ اللَّهُ مَا يُحِبُّ
وَهُوَ قِيمٌ عَلَى مُصِيبِهِ فَاعْتَمُوا أَنْ ذَلِكَ اسْتِذْخَاحٌ» ثم قرأ قوله تعالى (فَمَا سُوءَ مَا دُكِّرُوا
بِهِ فَتَحْنَا عَنْهُمْ أَوْبَ كُلِّ شَيْءٍ) ^(٣) يعني لما تركوا أمر ربه، فتجاءع عليهم أبواب الخير،
(حتى إذا فرحوا بما آتوا) ^(٤) أي بما أعطوا من الخير (أخذناهم حنّة) ^(٥)

وعن ^(٦) الحسن البصري رحمه الله، أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة
كان يمرهم في الحامية، فكاهها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عشي، فصدمه حائط
فأثرت في وجهه، فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد
اللهُ عبدًا خيرًا عَصَبَهُ عُقُوبَةً دَنِيَّةً فِي الدُّنْيَا» وقال على كرم الله وجهه: «ألا أخبركم
بأرحى آية في القرآن؟ قالوا بلى، فقرأ عليهم (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

(١) حديث ما نزل قوله تعالى من يعمل سوءًا يجز به. قال أبو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أنت تفرص أنت يصيدك الأذى أنت
من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بسط آخر وصدقه قال وبنس له إسناده
صحيح وقال الدار عظمى وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث أبي هريرة قال وبنس له إسناده
(٢) حديث عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يُعْطِيهِ اللَّهُ مَا يُحِبُّ
وَهُوَ قِيمٌ عَلَى مُصِيبِهِ فَاعْتَمُوا أَنْ ذَلِكَ اسْتِذْخَاحٌ» ثم قرأ قوله تعالى (فَمَا سُوءَ مَا دُكِّرُوا
بِهِ فَتَحْنَا عَنْهُمْ أَوْبَ كُلِّ شَيْءٍ) ^(٣) يعني لما تركوا أمر ربه، فتجاءع عليهم أبواب الخير،
(حتى إذا فرحوا بما آتوا) ^(٤) أي بما أعطوا من الخير (أخذناهم حنّة) ^(٥)

(٣) حديث الحسن البصري رحمه الله، أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة
كان يمرهم في الحامية، فكاهها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عشي، فصدمه حائط
فأثرت في وجهه، فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد
اللهُ عبدًا خيرًا عَصَبَهُ عُقُوبَةً دَنِيَّةً فِي الدُّنْيَا» وقال على كرم الله وجهه: «ألا أخبركم
بأرحى آية في القرآن؟ قالوا بلى، فقرأ عليهم (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

وَيَعْمُو عَنْ كَثِيرٍ^(١)) فالمصائب في الدنيا يكسب الأوزار، فإذا عابيه الله في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه ثانياً، وإن عفا عنه في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة.

وعن^(٢) أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ قَطُّ جُرْعَتَيْنِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ عَيْطَرُهَا بِحُلْمٍ وَجُرْعَةٍ مُصَيِّبَةٍ يَصْرُ الرَّجُلُ لَهَا وَلَا تَصْرَبُ قَطْرُهُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دِيمَ أَهْرِيقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَصْرَةٍ دُمِعَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَهُوَ سَاحِدٌ وَلَا يَرَاهُ إِلَّا اللَّهُ وَمَا حَطَّ عِنْدَ حَطَوَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مَالِي مِنْ حَطْوَةٍ إِلَى صَلَاةٍ أَمْرِيصَةٍ وَخَطْوَةٍ إِلَى صَلَاةٍ الرَّحْمَ».

وعن أبي الدرداء قال: توفي ابن سيمان بن داود عليه السلام، فوجد عليه وجداً شديداً. فأتاه ملكان، فلبسوا بنديه في ربي الحصى فقتل أحدهما بذر فقاما استحصداً مربي هذا فأفسده. فقال الآخر ما تقول؟ فقال: أخذت الحادة، فأتيت على زرع. فظننت بيننا وشمالاً فإذا الصريق عليه. فقال سيمان عليه السلام ولم يذرت على الطريق؟ أما علمت أن لا بد للباس من الطريق؟ قال لم تجرد على ذلك؟ أما علمت أن الموت سبيل الآخرة؟ فتاب سيمان إلى ربه، ولم يجزع على ولده. وذلك. ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض، وقال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميراك. فقال يأت. لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نسي إليه أنفة له فاسترحم وقال: عورة سترها الله تعالى، وموثة كساه الله. وأجر قدساه الله. ثم نزل ففعل ركعتين ثم قال: قد صمما ما أمر الله تعالى فالتعالى (واستعشوا بالصبر والصلاة)^(٣)

وعن ابن المبارك أنه مات له ابن، فمراه محوسب يعرفه فقال له: يا بني لما أتى أن يفعل

(١) حديث أنس ما تجرع عبد قط جرعته من حب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة صبر الرجل لها. الحديث: أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الحردين وفيه محمد بن صدقة وهو العدي مكر. الحديث: وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بن مسعود جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة عيب كطعمه. الحديث: وروى أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس من حديث أبي أمامة ما فطرني لأمر من جرعة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل. الحديث: وفيه محمد بن صدقة وهو العدي مكر. الحديث.

اليوم ما يمله الجاهل بعد حمة أباه . فقال ابن المبارك : اكتموا عنه هذه
وقال بعض العلماء : إن الله ابتلي العبد بالبلاء بعد البلاء ، حتى يعيش على الأرض وماله ديب
وقال الفصيح : إن الله عز وجل ليشاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يشاهد الرجل أهله بالخير
وقال حاتم الأصم : إن الله عز وجل يفتح يوم القيامة على الحق بأربعة أسس على أربعة
أجناس : على الأغنياء بسبلان ، وعلى الفقراء بالمسيح ، وعلى العبيد يوسف ، وعلى المرضى
يايوس صلوات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام هرب من الكفار
من يسرائيل . واحد في الشجرة ، فعرفوا ذلك ، خيء بالمشار ، فدفرت الشجرة حتى
بلغ المشار إلى رأس زكريا . فأنمى له ، وأوحى الله تعالى إليه ، يا زكريا أنت صمدت منك
أنه آية لأخوتك من ديوان الدرة . فمضى زكريا عليه السلام على العسر حتى قطع شطرين
وقال أبو مسعود البجلي : من أصيب بمصيبة ففرق ثوبا ، أو صرب صدرا ، أو كسرا ،
أخذ ربحا يريد أن يقاتل به به عز وجل . وقال إسماعيل رحمه الله عليه : يا بني ، إن الذهب
يحب بالدار ، والعبد الصالح يحب بالبلاء . فإذا أحب الله فوما اتلهم ، فمن رضى و له
الرضا . ومن سخط فله السخط . وقال لأحمد بن حنبل : أصبحت يوما اشتكى
صروسي ، فقلت لعبي : مانت البرحة من وحم الصرس ، حتى قتلها . فقال : لقد
أكثر من صروسي في ليلة واحدة ، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم أحد
وأوحى الله تعالى لي عريز عليه السلام : إذا رأت بك بلية ولا تشكى إلى خلق .
واشك لي ، كما أشكوك إلى ملائكتي إذا صمدت مساوئك وفضايلك . سأل الله
من عظيم اطعمه وكرمته سره الجليل في الدنيا والآخرة

بيان

فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدين من النعم . فهل لنا أن نسأل الله العلاء ؟
فأقول لا وحه لذلك ، لما روى عن رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يستعيز

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعيز في ردة من بلاء الدنيا والآخرة . أحمد بن حنبل .

في دعائه من إلاء الدنيا وإلاء الآخرة ^(١) وكان يقول هو والأبياء عليهم السلام (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) ^(٢) وكانوا يستعيذون من شدة الأعداء وغيرها ^(٣). وقال علي كرم الله وجهه اللهم بي أسألك الصبر فقل صلى الله عليه وسلم قد لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ الْمَلَاءَ فَسَأَلَهُ الْعَافِيَةُ « وَرَوَى » الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سَمِعُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ إِلَّا الْيَقِينَ » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحبر الذي لا شرف فيه ، العافية مع الشكر . فكم من مسمع عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله . لأن أعافى وأشكر أحب إلى من أن أتى فأصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « وعافيتك أحب إلي »

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستدلال . وهذا لأن الإلاء صير نعمة باعتبارين أحدهما الإضافة إلى ما هو أكثر منه ، إما في الدنيا أو في الدين ، والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب فيبني أن يسأل الله تمام النعمة في الدنيا ، ودفع ما فوقه من البلاء ،

في إرضاء الله . حرب من حدى الدنيا وعدت الآخرة وإرادته حمد روى داود من حديث عائشة اللهم اني أعوذ بك من خيق الدنيا وسوى يوم القيامة وفيه فهو ممد من ورواه بالضم (١) حديث كان يقول هو وأبياء عليهم السلام ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار البخاري وسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم آتينا في الدنيا - الحديث . ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركبتين ربنا آتينا - الحديث

(٢) حديث كان يستعيذ من شدة الأعداء بتقديم في الدعوات (٣) حديث قال علي رضي الله عنه اللهم اني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فسله المأمون : الترمذي من حديث معاذ بن أنس حديث وحسه ولم يسم عليا وإنما قال سمع رجلا يلهي ولا - في اليوم واليلة من حديث علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأقول - الحديث - وفيه من كان لا يصبر في صبره يجره وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن صحيح (٤) حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه - الحديث - ابن ماجه والنسائي في اليوم واليلة بإسناد حسن وقد تقدم

(٥) حديث وعافيتك أحب إلي ذكره ابن اسحق في الإيماء في دعائه ومخرج ابن الخفاف عنه وعافيتك أحب إلي وذكره رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواه حسن بن علي ومرسلا ورواه عنه عبد الله بن عبد من حديث عبد الله بن جعفر مستندا وفيه من يجهل

وسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته ، فإنه قادر على أن يعطي على الشكر ما لا يعطيه على الصبر . وإن قات . فقد قال بعضهم : أود أن أكون حصاراً على الداريمر على الخلق كلهم فيسحون . وأكون أنا في النار ، وقال سمعون رحمه الله تعالى

وليس لي في سواك حفظ فكيفما شئت فاخترني

فهذا من هؤلاء - وقال للبلاء واعلم أنه حكى عن سمعون المحب رحمه الله أنه لم يبعد هذا البيت بمسلة الحصر ، وكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاب ويقول لأصبيان . ادعوا لكم الكذاب . وأما محبة الإنسان ليكون هو في الدار دون سائر الخلق فغير ممكنة . واسكن قد تمأب المحبة على القلب . حتى يطن المحب نفسه كما مثل ذلك من شرب كأس المحبة سكر ، ومن سكر توسع في الكلام . ولورايه سكره علم أن ما عاب عليه كان حالة لاحقة لها . فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ، ولا يقول عليه . كما حكى أن فاحته كان يراودها روحها فمته ، وقال ما الذي يذمك عني ، ولو أردت أن ألق لك الكونين مع . لك سليمان طهرا ابطن لغفاته لأجلك . فمعه سليمان عليه السلام ، فاستدعاه وعاتبه ، فقال : يا نبي الله ، كلام العشاق لا يحكى . وهو كما قال . وقال الشاعر

أريد وصاله ويريد هجرى فأتارك ما أريد لما يريد

وهو أيضا محل ، ومعناه أني أريد ما لا يريد ، لأن من أراد الوصل ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرد به بل لا يصدق هذا الكلام إلا أن يبين أحدهما أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتب به رضاء الذي توصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال ، ويكون الهجران وسيلة إلى الرضاء ، والرضاء وسيلة إلى وصال المحبوب ، والوسيلة إلى المحبوب محبة . فيكون مثله مثل حب المال إذا أسلم درهما في درهمن ، فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال . الثاني . أن يصير رضاء عندهم مطلوباً من حيث أنه رضاء فقط ، ويكون له لذة في استشعاره رضاء محبوبه . تريد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته . فبعد ذلك تصور أن يريد ما فيه الرضاء لذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم في البلاء مع استشعارهم رضاء الله عنهم ، أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضاء . فهو لاء إذا قدروا رضاء في البلاء

صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حاله لا يمد وقوعها في عبات الحب . واسكنها
لاسيما . وإن ثبتت مثلاً فهل هي حالة صحيحة ، أم حالة افتضاها حاله أخرى وردت على
القلب فالت من الاعتدال ، هذا فيه نظر . وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر
بما سبق أن العافية خير من البلاء ، فمسأل الله تعالى المان بمضله على جميع خلقه . المغفور
والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، لنا ولجميع المسلمين

بيان

الأفضل من الصبر والشكر

اعلم أن الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر ، وقال آخرون
الشكر أفضل ، وقال آخرون هما سوا ، وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال .
واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب ، بعيد عن التحصيل ، فلا معنى للتطاول بالقل
من المبادرة إلى إظهار الحق أولى . فنقول في بيان ذلك مقامين : المقام الأول : البيان على
سبيل التساهل . وهو أن ينظر إلى طاهر الأمر ، ولا يخطب بالمتشيش بحقيقته . وهو البيان
الذي ينبغي أن يحاطب به عوام الخلق . لقصور أفهامهم عن درك الحقائق القامضة . وهذا
الفن من الكلام هو الذي ينبغي أن يعتمد الوعاظ إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام
إصلاحهم . والظن المشقة لا ينبغي أن تصلح الحسى الطفل بالطيور السماء وصرور
الحلاوات ، بل بالابن اللطيف . وعليها أن تؤثر عنه أطايب الأظمة إلى أن يصير محتملاً لها
بقوته ، ويفارق الضعف الذي هو عليه في بيته . فنقول هذا المقام في البيان يأتي البحث
والتعصيل ، ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل
الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله ، فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة
الصبر ، كانت فصائل الصبر أكثر . بل فيه لقاطعة رحيمة في التفضيل ، كقوله صلى الله عليه وسلم
(١) « من أقصر ما يؤتيه الله عز وجل الصبر هو في الخبر » (٢) « يؤتي بأشكر أهل الأرض

(١) حديث من أجعل ما يؤتى به الصبر وعزيمة الصبر تقدم

(٢) حديث يؤتي بأشكر أهل الأرض وحرمته الله عز وجل كرس ويؤتي بأشكر أهل الأرض

لحديث : لم أحده له أصلاً

ويعزيه الله جزاء الشاكر من ويؤتي بأشهر أهل الأرض فيقال له أما ترعى أن
يخزيك كما حزن هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلاً أنعمت عليه
وشكر وأنشيتك فصبرت لأصعب لك الأحر عليه فيعصى أصعب حزن الشاكر من
وقد قال الله تعالى (إنا يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب) . وأما قوله
« الطاعم الشاكر » ثم لعل الصائم العابر « فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر ، إذ ذكر
ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فألقه بالصبر فكان هذا انتهى درجته ، ولولا أنه
فهم من الشرع علو درجة الصبر ، لما كان إلحاق الشكر به مماثلة في الشكر ، وهو كقوله
صلى الله عليه وسلم ^١ « الحُمَةُ حَجٌّ الْمَاكِينُ وَجِهَادُ امْرَأَةٍ حُسْنُ التَّنْهِينِ » وكقوله
صلى الله عليه وسلم ^٢ « شارب الخمر كمد الثوب » وبدا المشبه به يذيق أن يكون
أعلى رتبة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « الصَّيْرُ نَصَفُ الْإِيمَانِ » لا يدل على أن
الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام « الصَّوْمُ نَصَفُ الصَّيْرِ » وإن كل ما ينقسم قسمين
يسمى أحدهما نصف ، وإن كان بينهما وت كما يقاب الإيمان هو العلم والعمل فالعمل هو
نصف الإيمان . فلا يدل ذلك على أن العمل مساوي العلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم ^٣ « آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ دُحُولاً الْأَوَّلَةُ سُنِينَ نُونُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » كان منك

(١) حديث الطاعم الشاكر بحرف الصائم الصابر الدرمي وحده وإن صاحبه من حديث أبي هريرة وموقد تقدم

(٢) حديث حمزة حج الماكين وجهاد امرأة حزن العمل الخبر من أبي أسامة في مسنده بالشرط

الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف

أيضا أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة

قال طاعة أزواجهن وفي رواية ما جزاء غزوة المرأة قال طاعة الزوج ، الحديث وفيه القاسم

ابن قياض وثقه أبو داود وصفه ابن معين وباقى رجاله ثقات

(٣) حديث شارب الخمر كمد الثوب من صاحبه من حديث أبي هريرة بلفظ مدح الخبر ورواه

بلفظ شارب الخمر من أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمرو وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي

أنت حديث أبي هريرة أحصاه فيه محمد بن سليمان بن الأصماني

(٤) حديث آخر الأنبياء دحولا صحه شيخنا بن داود مسكن منك وآخر أصحابي دحولا الحجة عبدالرحمن

ابن عوف مسكن عنه الصراي في الأوسط من حديث معاذ بن حنبل يدخل الأنبياء كلهم قبل

وَأَخْرَجْنَا نَارًا مِنْ عِوَاقِ الْمَكَانِ عَلَيْهِمْ، وَفِي خَيْرِ آخِرٍ (١)
« مَدَّ يَدَايَاهُ يَمَامَ الْأَنْبِيَاءِ بَارِئِينَ خَرِيفًا، وَفِي الْحَيَاةِ (٢) » نَوَافِلُ الْحَقَّةِ كُلِّهَا
مَضْرَعَاتُ الْإِبَابِ الْمُتَوَفِّقَةِ مَضْرَعًا وَاحِدًا وَوَلَّ مَنْ يَذْخُدُ أَهْلُ الْأَلَاءِ
أَمَامَهُمْ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

وكل ماوردى ففضائل المعقريدل على فضيلة السر ، لأن السر حال الفقير ،
والشكر حال الغنى . فهذا هو المقام الذى يقع العوام ، ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم .
والتعريف لما فيه صلاح دينهم .

المقام الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور ، بطريق الكشف والإيضاح ، ونقول فيه : كل أمر بين مهيئين لا يمكن الموازنة بينهما مع الأبهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما . وكل مكشوف يشتمل على أقسام ، لا يمكن الموازنة بين الحلة والخلة . بل يجب أن تعمد الأحاد بالموارنة حتى يتبين الرجحان ، والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة ، فلا يتبين حكمهما في الرجحان والقصان مع الإجمال فنقول : قد ذكرنا أن هذه المقامات تنظم من أمور ثلاثة ، علوم ، وأحوال ، وأعمال . والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك . وهذه الثلاثة إذا ورن البعض منها بالبعض ، لاح للآخرين في الصواب وأن العلوم تراد بالأحوال ، والأحوال تراد بالأعمال والأعمال هي الأفضل . وأما أرباب البصائر ، فالأمر عندهم بالمعكس من ذلك . فإن الأعمال

(١) حديثه يدخل سبعون له في الأئمة ثم من حر ما قسم حدث معاملة ورواه أبو بصير النخعي
في مسند أحمدوس من روايه ديار عن أس بن مالك وديار الحنظلي أحمد بن كنداديين
على أبي وأحمد منكر

(٢) حديث أبواب الجدة كلها مصرعان إلا باب الصغير فإنه باب واحد - الحديث : لم أحمله أملا ولا في الأحاديث الواردة في مصارع أبواب الجنة معرفة مروى مسلم من حديث أنس في التسمية وأنه يسمى محمد بنده ابن ماري مصرعين من مصارع الجنة (كما بين مكة وهو حر أو كما بين مكة ومصرى وفي الصحيحين في حطبة عنة بن عمرو) ولقد ذكر لنا ابن ماري مصرعين من مصارع الجنة مرة أخرى من ماله وبني ماري عليه يوم وهو كعيط من أرحام

تراد الأحوال ، والأحوال تراد للمعلوم ، والأفضل المعلوم . ثم الأحوال ، ثم الأعمال . لأن كل مراد أخيره ، وذلك العبر لا محالة أفضل منه ، وأما آحاد هذه الثلاثة ، فالأعمال قد تنساوي وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض . وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض . وكذا آحاد المعارف . وأفضل المعارف علوم المكاشفة ، وهي أرفع من علوم المعاملة . بل علوم المعاملة دون المعاملة ، لأنها تراد بالمعاملة ، فمائدتها إصلاح العمل ، وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد ، إذا كان علمه بما يعم به . فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل ، وإلا فالعلم المقصر بالعمل ليس بأفضل من العمل المقصر . فقول فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب . وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته ، وصفاته وأفعاله . فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه . وهي العاية التي تطالب لها . وإن السعادة تدل بها . بل هي عين السعادة . ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة ، وإنما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا يبدعها . فلا تقيدها بغيرها ، وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها . فإياها يراد لأحاديثها . ولما كانت مرادة لأجها . كان تفاوتها بحسب نوعها في الإقصاء إلى معرفة الله تعالى ، فإن بعض المعارف يقضي إلى بعض . إما بواسطة أو بواسطة كثيرة . فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقصر ، فهي أفضل . وأما لأحوال ، فمعنى بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا . وشواغل الخلق ، حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق ، فإذا مضت الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب ، وتطهيره ، وإعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة . وكذا أن تصقل المرأة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرأة ، بعضها أقرب إلى الصقل من بعض ، فكذلك أحوال القلب . فالخلة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هي أفضل ما دونه لا محالة بسبب القرب من المقصود . وهكذا ترتيب الأعمال ، وإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وحلب الأحوال إليه . وكل عمل إما أن يحجب إليه حالة مانعة من المكاشفة ، موحبة لظلمة القلب ، جاذبة إلى رخارف الدنيا . وإما أن يحجب إليه حالة مهيئة للمكاشفة ، موحبة لصفاء القلب وقطع علائق الدواعي ، واسم الأول المعصية . واسم الثاني الطاعة والمماضي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة . وكذا الطاعات في تنوير

القلب وتصفيته . قدرجاتها بحسب درجات تأثيرها ذلك يختلف باختلاف الأحوال . وذلك
أما بالقول المطابق ربما نقول الصلاة العلة أفضل من كل عبادة نافعة . وأن الحج أفضل من
الصدقة ، وأن قيام الليل أفضل من غيره . ولكن التحقيق فيه أن العني الذي معه مال ، وقد
عليه البخل وحب المال على إمسأكه ، فإخراج الدرهم له فصل من قيام ليل وصيام أيام ؛
لأن الصيام يبيق عن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها ، أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من
علوم المكاشفة فأراد تحمية القلب بالجوع . فاما هذا المدر إذا لم تسكن حاله هذه الحال ،
فليس يستغفر بشهوة بطنه ، ولا هو مشتغل بتويع فسرك عنعه الشبع منه . فاشتغاله بالعلوم
خروج منه عن حاله إلى حال غيره . وهو كالمرض الذي يشكو وحم البطن ، إذا استعمل
دواء الصداع لم ينتفع به . بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه . والشح المطاع من
جملة المهلكات . ولا يزال صيام مائة سنة ، وقيم ألف ليلة منه ذرة . بل لا يزال إلا إخراج
الذل . وعليه أن يتصدق بما معه . وتمويل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات ، فليرجع إليه
وإذا باعته هذه الأحوال يختلف . وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطبق فيه
خطأ . إذا لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء ، لم يكن فيه جواب حق ، إلا أن الخبز للجائع
أفضل ، والماء للمعطشان أفضل . وإن اجتمع ما فليطر إلى لأغلب . فإن كان العطش هو الأغلب
ولماء أفضل ، وإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، فإن تساوى فهما متساويان . وكذا إذا
قيل السكنجبين أفضل أم شراب الينوفر ، لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا . نعم لو قيل لسا
السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء . فنقول عدم الصفراء . لأن السكنجبين مراد له ، وما
يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لا محالة . فإذا في بدل المال عمل ، وهو الإتيان ، ويحصل
به حال ، وهو زوال البخل . وخروج حب الدنيا من القلب . وينتهي القلب بسبب خروج
حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه . فالأفضل المعرفة ، ودونها الحال ، ودونها العمل
فإن قلت : فقد حث الشرع على الأعمال ، وبالحق في ذكر فضيلتها . حتى طلب الصدقات
بقوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ^(١)) (وقال تعالى (وياخذ الصدقات ^(٢)) فكيف
لا يكون العمل والإتيان هو الأفضل ؟ . فاعلم أن الطيب إذا أتى على الدواء لم يدل على

أن الدواء مراد لعينه ، أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ، وسكن الأعمال
 علاج مرض القلوب ، ومرض القلوب مما لا يشمر به عالياً . فهو كبرص على وجه من
 لامرأه معه . فإنه لا يشمر به . ولو ذكر له لا يصدق به . والسبيل معه المبالغة في الشاء على
 غسل الوجه بماء الورد مثلاً . إن كان ماء الورد يرثي البرص . حتى يستحسسه فرط الشاء على
 المواظبة عليه . فيزول مرضه . فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ، وبما
 ترك العلاج ورع أن وجهه لا عيب فيه . ولمصر ب مثلاً أقرب من هذا فقول . من له ولد
 عنه العلم والقرآن . وأراد أن يثبت ذلك في حقه بحيث لا يروى عنه . وعلم أنه لو أمره
 بالتكرار والدراسة ليبقى له محمود أقل إنه محمود ، ولا حاجة في إلى تكرار ودراسة .
 لأنه يظن أن ما يحفظه في الحل يبقى كذلك أداً . وكان له عيب ، وأمر الولد بتعليم العيب ،
 ووعده على ذلك بما حيل ، لتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن العيب
 المسكين أن المقصود تعلم العيب والقرآن . وأنه قد استخدم لتعليمهم ، فيشكل عليه الأمر
 فيقول . ما بالي قد استخدمت لأجل العيب وأنا أجبن منهم وأعر عبد الوالد ، وأعلم أن أبي
 لو أراد تعليم العيب لقد ر عليه دون تكلمي به ، وأعلم أنه لا نقصان لأبي بفقده هؤلاء العيب ،
 فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن . فربما يتكلم هذا المسكين ، فيترك تعليمهم اعتماداً على استعمال
 أبيه . وعلى كرمه في المعوغة . فينسى العلم والقرآن . ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري .
 وقد انحدر بثقل هذا الحبل طائفة ، وسلكوا طريق الإباحة . وقالوا إن الله تعالى غني عن
 عبادته . وعن أن يستقرض منا . فأبى معنى أقوله (من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً^(١))
 ولو شاء الله طامم المسكين لأطعمهم ، ولا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم ، كما قال تعالى
 حكاية عن الكفار (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
 آمنوا اطعموا من لؤ يشاء الله أطعمه^(٢)) وقالوا أيضاً (لو شاء الله ما أشركنا
 ولا آباءنا^(٣)) ونظر كيف كانوا صادقين في كلامهم ، وكيف هلكوا بصدقهم ، فسبحان
 من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل . يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً
 فهو لا علماً فقلوا أنهم استخدموا لأجل المسكين والفقراء ، أولاً حل الله تعالى ، ثم قالوا

لاحظ لنا في المساكين ، ولاحظ لله فيما وفي أموالنا سواء أهلكنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الولد استخدام لأجل العبيد ، ولم يشعرا أنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه ، وإنما كده في قلبه ، حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا ، وإنما كان ذلك من الولد تالطفا به في استخراجه من مأفيه سعادته . فهذا المثل بين لك حلال من حل من هذا الطريق . فإذا المسكين لأخذ مما لك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطك ، وإياه مملكك . فهو كالحجاء ، يستخرج الدم منك ليخرج بحروح الدم العلة الملهكة من باطك . والحجاء حادك لك ، لأنك حادك للحجاء . ولا يخرج الحجاء عن كونه خادما ، بأن يكون له عرض في أن يصنع شيئا بالدم . ولما كانت الصدقات مطهرة للأموال . ومركبة لها عن حبائث العدم ، امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها ، وانتهى عنها .^(١) كما نهى عن كسب الحجاء^(٢) وسماها أوساخ أموال الناس . وشرف أهل يده بالصيانة عنها .

والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربح المهدكات ، والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة . فهذا هو القول السككي ، والقانون الأصلي الذي يسمى أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال ، والأحوال ، والمعارف . وليرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول : في كل واحد منهما معرفة وحال . وعن فلا يجوز أن نقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بظهوره . حتى يظهر الساسب وبعد الساسب يظهر الفضل

ومهما قويت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر . وعما رجعا إلى معرفة واحدة ، إذ معرفة الشاكر أن يرى صفة العيينين مثلا من الله تعالى ، ومعرفة الصابر أن يرى المهي من الله ومهما معرفتان متلازمتان متساويتان . هذا إن اعتبرنا في البلاد والمصائب وقد يدا أن الصبر قد يكون على الطاعة . وعن المعصية . وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر

معلوم معرفتي
الصبر والشكر

(١) حديث النبي عن كسب الحجاء تقدم

(٢) حديث . مع من بعده وسماه أوساخ الناس وشرف أهل يده بالصيانة عنها . ولم ين حديث

عندنا طلب ويرى من هذه الصدقة لأجل أوساخ العوم ونهلا عن الحمد والال

محمد وفي رواية له أوساخ الناس

على الطاعة هو عين شكر الطاعة ، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة . والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى ، فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين . فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى . ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين . وإد باعث الدين إنما حاق لهذه الحكمة . وهو أن يصرع به باعث الشهوة ، فقد صرفه إلى مقصود الحكمة . فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه ! فإذا مجازى الصبر ثلاثة : الطاعة ، والمعصية ، والملاء . وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية وأما البلاء . فهو عبارة عن فقد نعمة . والنعمة إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا ، وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال . أما العينان ، فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ، ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ، ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية ، والآخر أن يستعملهما في الطاعة . وكل أحد من الأمرين لا يحلوا عن الصبر وإن لأعمى كفى الصبر عن العصور الجليلة لأنه لا يراها . والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كأنه شكر النعمة العينية ، وإن أتبع النظر كفر نعمة لعينين ، فقد دخل الصبر في شكره : وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة ، فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة . ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى . ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شبيب عليه السلام مثلا ، وقد كان سريرا ، من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء . لأنه صبر على فقد البصر ، وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا : والسكان السكول في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها . ويترك كالحكم على وصم ، وذلك محل جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين ، يموت بفوتها ذلك الركن من الدين . وشكرها باستعمالها فيما هي آلة فيه من الدين . وذلك لا يكون إلا بصبر . وأما ما يقع في محل الحاجة . كالزيادة على الكفاية من المال ، فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة ، وهو محتاج إلى ما ورده ، في الصبر عنه مجاهدة . وهو جهاد الفقر . ووجود الزيادة نعمة ، وشكرها أن تصرف إلى الخيرات ، أو أن لا يستعمل في المعصية .

فإن أصيب الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة، والشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضاً، وفيه فرح بنعمة الله تعالى. وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء، وترك صرفه إلى التسمم المباح. وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد. وأن الجملة أعلى رتبة من البعض، وهذا فيه خلل. إذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين أمهاتها.

وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية. بل يصرفه إلى السمع المباح. وأصبر ههماً أفضل من الشكر. والعقير الصار أفضل من العبي المسك ماله، الصارف إليه إلى المباحات، لأن الذي الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر شهواتها وأحسن الرضا على إلاء الله تعالى. وهذه الحالة تستدعي لائحة قوة. والتي أتمع شهواتها وأطاع شهواته، واسكنه اقتصر على المباح. والمباح فيه مدحوعة عن الحرام، ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضاً، إلا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير، أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الانتصار في التسم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها. فإن الأعمال لا يراد إلا لأحوال القلوب، وتلك القوم حاله للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان، فإدل على زيادة قوة في الإيمان وهو أفضل لا محالة.

وجميع ماورد من تمثيل أجر الصبر على أحر الشكر في الآيات والأخبار، إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص. لأن الساق إلى أفهام الناس من النعمة الأموال والغنى بها والساق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله، ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا أن يصرفها إلى الطاعة. فإذا الصبر أفضل من الشكر، أي الصبر الذي تفهمه العامة. أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة. وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الحنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال. ليس مدح الغنى بالوحد، ولا مدح الفقير بالعدم؛ وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما. فشرط الغنى بصحته فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتمتعها وتلذذها. والفقير بصحته فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها. فإذا كان الإنسان قائمًا لله تعالى بشروط ما عليهما. كان الذي ألم صفته وأزعجها أتم حالاً ممن متع صفته وتمتعها. والأمر على ما قاله، وهو صحيح من جهة أقسام الصبر والشكر.

في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس من عطاء قد حمله في ذلك وقال: المعنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر. فدعا عليه الحفيد، فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده، وإتلاف أمواله، وزوال عقله أربع عشرة سنة. وكان يقول دعوة الحفيد أدنى، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الشاكر.

ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها، علمت أن لكل واحد من القواين وجهها في بعض الأحوال. فرب فقير صابر أفضل من عبي شاكر كما سبق. ورب عبي شاكر أفضل من فقير صابر. وذلك هو الذي يرى عنه مثل الفقير، إذ لا يملك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة، وإلا في يصرفه إلى الخيرات، أو يسكه على اعتقاد أنه حازن المحتاجين والمساكين. وإنما ينتظر حاجة تسخ حتى يصرف إليها. ثم إذا صرف لم يصرفه أطاب جه وصيت، ولأنه لا يدমে، بل أداء لحق الله تعالى في تمقده عباده. وهذا أفضل من الفقير الصابر فإن قلت: فهذا لا يثقل على النفس، والفقير يثقل عليه الفقر، لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر. فإن كان متأنياً، مراقب المال فيحبر ذلك بهدته في القدرة على الإنفاق فاعلم أن الذي تراه أن من ينفق ماله عن رعية وطيب نفس، أكل حالاً بمن يهفهفه وهو يخجل به، وإني يقطعه عن نفسه قهراً. وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة في أيام العس ليس مطلوباً لعيه. بل لتأديبها. وذلك يذهي صرب كلب العبيد. والسكاب المتأدب أكمل من السكاب المحتاج إلى الضرب، وإن كان صاراً على الصرب، ولذلك يحتاج إلى الإبلان والمجاهدة في البداية، ولا يحتاج إليهما في النهاية. بل النهاية أن يصبر ما كان مؤلماً في حقه لذيذاً عنده، كما يصير التعلم عند العبي لذيذاً. وقد كان مؤلماً له أولاً ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأفلح في البداية، بل قبل البداية بكثير، كالعصيان، أطلق الحفيد القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل. وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق. فإذا إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر. فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر، فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأذهان. فإذا أردت التحقيق ومصل، وإن للصبر درجات أفلها ترك الشكوى مع الكراهية، ووراءها الرضا، وهو مقام وراء الصبر،

الأفضلية بين
المعنى الشاكر
أو الفقير
الصابر

ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا بإد العبر مع التألم والرضا بذكر ما فيه ولا فرح ،
والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به . وكذلك الشكر درجات كثيرة . ذكرنا
أصاها ، ويدخل في جملتها أمور دونها ، فإن حياة العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ،
ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر ، والاعتذار من قلة الشكر شكر ، والمعرفة بمظلم حلم
الله وكشف سره شكر . والاعتراف بأن النعم أشدها من الله تعالى من غير استحقاق شكر
والعلم بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر . وحسن التواضع للنعم والتدلل فيها
شكر ، وشكر الوسائط شكر ، بدقل عليه السلام ' ' لمن ' لم يشكر الناس لم يشكر
الله ' وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاه . وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين
يدي النعم شكر . وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صديره شكر . وما يندرج من الأعمال
والأحوال تحت اسم الشكر والعبر لا تنحصر آحادها . وهي درجات مختلفة ، فكيف
يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر ، إلا على سبيل إرادة المخصوص باللفظ العام ،
كما ورد في الأخبار والآثار :

وقد روي عن بعضهم أنه قال : رأيت في بعض الأسفار شيئا كبيرا قد ملأ في السن ،
فما أتته عن حاله فقال : إني كنت في أثناء عمرى أهوى أبة عمى ، وهي كذلك كانت تهوانى ،
فاتفق أهما زووجت مى ، قليلة روفا . فأتت تعالى حتى تحببى هذه الليلة شكر الله تعالى على
ما جنى ، فصليت تلك الليلة ، ولم تنزع أحدا إلى صاحبه ، ولما كانت ليلة الثانية قد دام ذلك ،
فصليت أطول الليل . فمد يميني وأثابني سنة على تلك الحالة كل ليلة ، أليس كذلك يا ولادة ؟
قالت العجوز هو كما يقول الشيخ . نظر إليهما لوصرا على بلاء الفرقة أن لو لم يجمع الله بينهما
وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه ، فلا يحق عيبك أن هذا الشكر أفضل .
وإذا لاوقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق ، والله أعلم .

(١) حديث من لم يشكر الله تنعم في الزكاه .

كِتَابُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

كتاب الخوف والرجاء

وهو الكتاب الثالث من ربيع المحييات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله لم يحواطه ونوائمه . المحوف بمكره وعقابه ، الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساء لهم لطائف آلائه إلى النزول منه ، والمدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه ، وصرت سياط التخويف وحره الميف وجوه المرحسين عن حضرته إلى دار نوائبه وكرامته وصدوم عن التعرض لأفنته . والتهدف لخطه وقمته ، قودا لأصاف الخلق بسلاسل القهر . والعنف ، وأزمة الرفق واللطاف من جنته . والصلاة على محمد سيداً مباركاً وخير حديقته ، وعلى آله وصحبه وعترته . أما بعد : فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرَّبون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان ، مع كونه بعيداً الأرجاء ، ثقيل الأعباء . محفوفاً بكاره القلوب ومشاق الجوارح ولأعصاء . إلزاماً للرجاء ولا يصعد عن نار الجحيم والعذاب ، لأنهم ، مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب الدات والإسباط التخويف وسطوات التمهيف . فلا بد إذاً من بيان حقيقتهما وفضيلتهما ، وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تصادهما وتعاينهما ، ونحن بجمع ذكرهما في كتاب واحد يشمل على شطرين : الشطر الأول في الرجاء . والشطر الثاني في الخوف : أما الشطر الأول . فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء ، وبيان فضيلة الرجاء ، وبيان دواء الرجاء ، والطريق الذي يجتنب به الرجاء .

بيان

حقيقة الرجاء

يعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين ، وأحوال الطالبين وإعنا يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام ، وإعنا يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال . وكذا أن الصفة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجع ، وإلى ما هو بينهما كصفرة

المريض ، وكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام ، فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً ، لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب . وعرضنا الآن حقيقة الرحمة ، فالرجاء أيضاً يتم من حال . وعلم ، وعمل ، فالعلم سبب يثمر الحال ، والحال يقتضي العمل . وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة . ويانه أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحسوب فينقسم إلى موجود في الحال ، وإلى موحود فيما مضى ، وإلى مستظر في الاستقبال . فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرًا وتذكرًا . وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمي وحداً ، ودوقاً . وإذا سمي وحداً لأنها حاله تجدها من نفسك . وإن كان قد خطر ببالك وحوادثه في الاستقبال . وسبب ذلك عل قلبك ، سمي انتظاراً وتوقفاً . وإن كان المنتظر مكروهاً ، حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وشعاعاً . وإن كان محبوباً ، حصل من انتظاره وتمنى القلب به وإحطاره وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح ، سمي ذلك الارتياح رجاء . فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده .

ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب . وإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق . وإن كان ذلك انتظارا مع إحصاء أسبابه واسطرارها فاسم المرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء . وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء ، فاسم التمني أصدق على انتظاره ، لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه ، أما ما يتقطع به فلا إقبال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع ، وأحاف عروبها وقت العروب . لأن ذلك مقطوع به . نعم : يقال أرجو نزول المطر وأخاف إقطاعه . وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجرى قلب الأرض وتطهيرها ، ومجرى حصر الأنهار وسياحة الماء إليها ، والقلب المشتهر بالدنيا المستغرق بها ، كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيامة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلا مزرع ولا ينمو زرع إلا من نذر الإيمان ، وقما يقع إيمان مع حبس القلب وسوء أخلاقه

كما لا ينمو بذر في أرض سبخة . فيبغى أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الررع . وكل من طلب أرضاً طيبة ، وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ، ثم أمده

بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ، ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما ينمغ نبات البذر أو يفسده ، ثم جلس منتظرا من فعل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الررع ويبلغ غايته ، سمي انتظاره رجاء : وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة ، صرتمة لا يصب إليها الماء ، ولم يشتغل تمهيد البذر أصلا ، ثم انتظر الحصاد منه ، سمي انتظاره حمقا وغرورا لارجه . وإن بث البذر في أرض طيبة ، سكن لأماء لها ، وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تلعب الأمطار ولا تنمغ أيضا ، سمي انتظاره تميا لارجاه .

فإذا سمى الرجاء إنما يصدق على انتصار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره ، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات . قاله العبد إذا بث بذر الإيمان ، وسقاءه غناء الطاعات ، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فعل الله تعالى ثيبته على ذلك إلى الموت ، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة ، كان انتظاره رجاء حقيقيا ، محمودا في نفسه ، باعثا له على المواظمة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إنعام أسباب المغفرة إلى الموت . وإن قطع عن بذر الإيمان تمهيد غناء الطاعات . أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق ، وأنهمك في طلب لذات الدنيا ، ثم انتظر المغفرة ، وانتظاره حمق وغرور . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « الْأَتَمُّ مَنْ أَتَمَّ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْخَيْرَ » وقال تعالى (تَخَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضْعَوْا الْمُسْلِمَةَ وَتَمَنَّوْا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ^(٢)) وقال تعالى (تَخَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُفْزَعُهُمْ ^(٣)) واذم الله تعالى صاحب البستان : إذ دخل جنته وقال ما أطرب أن تبدي هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا

وإذا العبد المجتهد في الطاعات ، المجتنب للمعاصي ، حقيق بأن ينتظر من فضل الله تعالى النعمة ، وما تمام النعمة إلا دخول الجنة ، وأما المعاصي . فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه

(كتاب الرجاء والخوف)

(١) حديث الأحمق من آجعه عه هوها - الحديث : عدم غير مرة

(٢) مريم : ٥٩ (٣) الاعراف : ١٦٩

من تقصير، فحقيق بأن يرجو قبول التوبة . وأما قبول التوبة إذ كان كارها للمعصية ،
تسوءه السيئة . وتسره الحسنة ، وهو يذم نفسه ويؤمها ويشتهي التوبة ويشاق إليها ،
فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة ، لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة ، يحري
محري السبب الذي قد يفرض إلى التوبة ، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب . ولذلك قال تعالى
(إِنَّ لَدَيْنَا أَسْمَاءَ وَلَذِينَ هُمْ جَرُّوا وَاحْتَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ)
معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله . وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم
أيضا قد يرجو ، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء . فاما من يسهك فيما يكرهه
الله تعالى ، ولا يذم نفسه عليه ، ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاءه المفرة بحق ، كرجاء
من بث البذر في أرض سبخة وعرم على أن لا يتمده سق ولا تنقية . قال يحيى بن معاذ
من أعظم الاعتزاز عندى التمدى في الذنوب ، مع رجاء العفو من غير دامة ، وتوقع القرب
من الله تعالى بخير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر الدار . وطلب دار المصيبين بالماضي ،
وانتظار الجراء بغير عمل ، والتمنى على الله عروجل مع الإفراط

ترجو النجاة ولم تسالك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليأس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته ، فقد علمت أنها حالة أثرها العلم بجريان أكثر
الأسباب . وهذه الحالة ثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان ، فإن من حسن
بذره ، وطاعت أرضه ، وغزر ماؤه ، صدق رجاءه ، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد
الأرض وتمهدها ، وتنحية كل حشيش ينبت فيها . فلا يفتر عن تمهدها أصلا إلى وقت
الحصاد . وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس ، واليأس يمنع من التمدد . فمن عرف أن الأرض
سبخة . وأن الماء معوز ، وأن البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تمهدها
والرجاء محمود لأنه باعث ، واليأس مذموم ، وهو ضده . لأنه صارف عن العمل . والحرف
ليس ضد للرجاء ، بل هو رقيق له كما سيأتي بيانه ، لـ هو باعث آخر بطريق الرهبة ، كما أن
الرجاء باعث بطريق الرغبة . فإذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال ،
والمواظبة على الطاعات كيما تقلبت الأحوال . ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى

والتنعم بمناجاته ، والتعطف في الدعاء له ، فإن هذه الأحوال لابد وأن تظهر على كل من يرحو ملكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص . فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى . فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء ، والنزول في حضيض الضرر والفتن . فهذا هو البيان لحال الرجاء ، ولما أثمره من العلم . ولما استمر منه من العمل . ويدل على إنعاده لهذه الأعمال حديث ^(١) زيد الجليل . إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد ، وعلامته فيمن لا يريد . فقال « كيف أصبحت » . أصبحت أحب الخير وأهله . وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه ، وأتقت ثوابه . وإذا فاتني منه شيء حزمت عليه ، وحننت إليه فقال « هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك إلا أخرى هي أنك لما نمت لا ييبس في أي أوديتها هلكك » فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن ارتحى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور .

بيان

فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف . لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له . وأحبهم يعاب بالرجاء . واعتبر ذلك بتسكين ، بخدم أحدهما خوفا من عقابه . والآخر رجاء لثوابه . ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن بغائب . لا سيما في وقت الموت . قال تعالى (لَا تَقْطُوعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ^(١)) فحرم أصل اليأس . وفي أحبار يعقوب عليه السلام ، أن الله تعالى أوحى إليه . أنتدري لم أرفقت بينك وبين يوسف . لأنت كنت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . لم خفت الذئب ولم ترحنى : ولم نظرت إلى عقلة إخوته ولم تمظري إلى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى »

(١) حدث قال ريد الخبيث حث لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد . الحديث :

الطبراني في المعجم من حديث ابن مسعود بسند صحيح وفيه انقال له أنت ريد الخير وكذا قال

ابن أبي حاتم سمع النبي صلى الله عليه وسلم الخير ليس يروى عنه حديث وذكره في حديث يروى

فتمام ريد الخير فقال برسول الله . الحديث : سمعت أبي يقول ذلك

(٢) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله : مسلم من حديث جابر

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل ^(١) أن عبد ضنّ عدى في فيضٍ في ماشاء ^(٢) » ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في البرع ^(٣) فقال « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » فقال أحدي أحف ذوني، وأرحورحة ربي . فقال صلى الله عليه وسلم « ما احتما في قلب عبد في هذا الموضع إلا أعطاه الله مائة مائة ومئة مما يخاف ^(٤) » .

وقال علي رضي الله عنه أرحل أخرج الحوف إلى القنوط اسكثرة ذوبه . وهذا يأسك من رحمة الله أعظم من دواك . وقال سعيد . من أذنب ذنبا فسلم أن الله تعالى قدره عليه ورحا عقرا له . عمر الله له دمه . قال لأن الله عز وجل عتر قومما فقال (وداكم طسكم الذي صانكم برتكم يذكركم ^(٥)) وقال تعالى (وصنتم ضنّ السوء وكنتم فوئا بورا ^(٦)) وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) « يا الله تعالى يقول بلغند يوم القيمة مسعك إذ رأيت أنكر أن تذكركه فبنّ الله خخته فبنّ رب رحوت وجئت بأس قال ويقول الله تعالى وقد عمرت لك ^(٨) وفي الخبر الصحيح ^(٩) « أن رجلا كان يداين الناس فيسامحهم أتمى وينحور عن المنكر وفي الله ولم يمتن خيرا مط فقال الله عز وجل من أحق بذلك ميتا ^(١٠) » فعما مع الحسن طبه ، ورجائه أن يعفو عنه . مع إفلاسه عن الطاعات .

وقال تعالى (إن الذين يؤمنون كتاب الله وأداءوا الصلاة وأمقوا مما رزقناهم سرا وعلاية يرخون نخرة أن ^(١١) نور ^(١٢)) والما قال صلى الله عليه وسلم ^(١٣) « لو لمعون

(١) حديث أناعند ظن عيسى فيلطن في ماشاء : ابن جبان من حديث وثقة بن الأسقع وهو الصحيحين

من حديث أبي هريرة دون قوله فيلطن في ماشاء

(٢) حديث رجل صلى الله عليه وسلم في طر حل وهو في البرع فقال كيف تجدك - الحديث - البرع في وقال

عريب والنسائي في الكبري وابن ماجة من حديث أسس وقال التوري أساده جيد

(٣) حديث أسسه يقول للعبد يوم القيمة مامعت ادرايت مسكرات مسكره - الحديث : ابن ماجة من حديث

أسس جيد الخدي أساده جيد وقد تقدم في الأمر بالمعروف

(٤) حديث سرحلا كان يدين الناس فيسامح وينحور عن المنكر - الحديث : مسند من حديث أبي مسعود

حوسب رحى من كان قسك فيم يوحده من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا

فكان يأمر نفسه أن يحدروا عن المنكر قال الله عز وجل من أحق بذلك بهاجوزوا عنه

واعفا عليه من حديث حميدة في بهريرة بدوء

(٥) حديث لو أملون ما أعلم لصحكتم قليلا ولبيكنم كثيرا - الحديث : وفيه فلهط جبريل - الحديث : ابن جبان

(٦) فصلت : ٢٣ (٧) الفتح : ١٢ (٨) طاهر : ٢٩

مَا عَلَّمْتُمْ أَصْحَابَكُمْ قَلِيلًا وَكَثِيرًا كَثِيرٌ وَخَرَجَتْهُ إِلَى الصُّلَمَاتِ مُدَّةُ وُجْهِهِ مُدَّةُ وُجْهِهِ
وَتَجَرُّونَ إِلَى رُكْنِكُمْ هَهُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ يَا رَبِّكَ يَقُولُ لَكَ لَمْ تَقْطَعْ عِبَادِي
وَجَرَحَ عَلَيْهِمْ وَرَجَعَهُمْ وَشَوْفَهُمْ وَفِي الْحَرِّ " يَا اللَّهُ تَعَالَى وَحْيِي يَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أُحِبُّنِي ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّنِي ، وَحَدَّثَنِي إِلَى خَلْقِي فَقَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أُحِبُّكَ إِلَى حَدِّكَ ؟
قَالَ إِذَا كَرَنْتَ بِالْحَسَنِ الْحَمِيلَ وَإِذَا كَرَّ الْآثِي رَدَّ حَسَانِي وَوَدَّكَ هَذَا ذَلِكَ بِهِمْ لَا يَمْرُؤُونَ إِلَّا الْحَمِيلَ
وَيُرَوِّي أَبْنَى أُنَى عَيْشٍ فِي الْيَوْمِ . وَكَانَ يَكْثُرُ ذِكْرُ أَوَابِ الرَّجَاءِ ، فَقَالَ :
أَوْفَقَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِرَبِّهِ ، فَقَالَ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ إِلَى
حَقِّكَ فَقَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ . وَرَوَّيَ بِحَبِي نَ كُنْتُمْ تَعْدُوهُ فِي الْيَوْمِ ، فَقِيلَ لَهُ مَا مَعَكَ
اللَّهُ يَا كَ ؟ فَقَالَ أَوْفَقَنِي اللَّهُ بِرَبِّهِ ، وَقَالَ يَا شَيْخَ الْبُيُوتِ ، وَمَاتَ وَفَعَتْ ، قَالَ فَأُحَدِّثُنِي مِنْ
الرَّعْبِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ ثُمَّ قُلْتُ يَا رَبِّ ، هَكَذَا حَدَّثْتُ عَنْكَ وَقَالَ وَهْ ، حَدَّثْتُ عَنِّي ؟ فَقُلْتُ
حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِيكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَلَمْ تَغْفِرْ لِي ، عَمْدُ مَنْ عَمْدِي فِي . فَلْيُظَنِّ لِي مَا شَاءَ . وَكَانَتْ طَائِفَةٌ
بِكَ لَا تَعْمَدُنِي فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَصْدُقُ جَبْرِيلُ ، وَصَدُقَ أَبِي ، وَصَدُقَ أَنَسٌ ، وَصَدُقَ الزَّهْرِيُّ ،
وَصَدُقَ مَعْمَرٌ . وَصَدُقَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، وَصَدَّقْتُ ، قَالَ فَأَمْسَتْ وَمَشَى بَيْنَ يَدَيِ الْوَيْلِدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ،
فَقُبِلَ بِهِمَا مِنْ فَرْحَةٍ . وَفِي الْحَرِّ " أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَقْطَعُ النَّاسَ وَيَشُدُّدُ
عَبِيدَهُمْ ، قَالَ يَقُولُ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْيَوْمَ أُوَسِّعُكَ مِنْ رَحْمَتِي كَمَا كُنْتَ تَقْطَعُ عِبَادِي مِنْهَا
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) " إِنْ رَجُلًا يَدْخُلُ الدَّرَجَةَ فَيَمُوتُ فِيهَا ، أَوْ سَبِيَّةٌ يَأْتِي
يَا حِمَانُ يَا مَنَانُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِيْطْرَيْنِ أَذْهَبَ فَا تَنْتَبِهُ لَعْنَتِي يَا مَنَانُ فَيَقُولُ اللَّهُ

فِي حَبِيَّةٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ وَرَوَاهُ بَرَادَةُ وَخَرَجَتْهُ
بِالْبُيُوتِ عَنْ أَحْمَدَ وَحَدَّثَهُمْ وَمَعْمَرٌ

(١) حَدِيثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِمَنِي إِلَى عَمْرِو دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْسَنُ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّنِي - الْحَدِيثُ : مَا أَحْدَثَهُ أَصْلًا
وَكُنَّ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ كَالَّذِي قُلْتُ

(٢) حَدِيثُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَقْطَعُ النَّاسَ وَيَشُدُّدُ عَلَيْهِمْ - الْحَدِيثُ : رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ
عَنْ رَجُلٍ مِنْ سَلَمٍ مَذْكُورٍ مَقْطُوعًا

(٣) حَدِيثُ أَنَّ رَجُلًا يَدْخُلُ الدَّرَجَةَ فَيَمُوتُ فِيهَا - مَعْنَى يَأْتِي يَأْمَانُ يَأْمَانُ - الْحَدِيثُ : أَبُو أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ
حَدَّثَنِي النَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ وَصَفِيهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ

عَلَى رَبِّهِ قَيِّقُولُ اللَّهِ تَعَالَى كَيْفَ وَجَدْتُمْ مَكَانَكُمْ؟ قَيِّقُولُ شَرِّهِمْ كَيْفَ قَيِّقُولُ رُبُّوهُ إِلَى مَكَانِهِ مِنْ مَيْمَنِي وَيُتَمَتُّ إِلَى وَرَائِهِ قَيِّقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَلَبَّسْتُمْ؟ قَيِّقُولُ أَقْدَرُ حَوَثُ نَسْأَلُ لَأُعَيِّدَ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَعْدِنَا أَخْرَجْنِي مِنْهَا قَيِّقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَمَلَّ هَدَّ عَلَى أَنْ يَرْجِعَهُ كَانَ سَبَبَ نَجَاةٍ سَأَلَ اللَّهُ حَسَنَ التَّوْفِيقِ لَطْفَهُ وَكَرَمَهُ

بيان

دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وينقلب

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين : إما رجل غاب عليه اليأس فترك العبادة وبه رجل غاب عليه الخوف وأسرَف في المواقفة على المَعَادَةِ . حتى أضر بنفسه وأهله . وهذا رجلان . الأول من الاعتدال إلى طرفي الإعراض والمربط ، فيحتاجان إلى علاج يردعهما إلى الاعتدال . والثاني المعروض المعرور المتمسك بالله ، مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي ، فأدوية الرجاء . فقلب سموماً مَهْلَكَةً في حَقِّهِ ، وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء من عيب عيبه الرد ، وهو سم مهلك من عيب عيبه الحرارة . بل المعرور لا يستعمل في حَقِّهِ ، لأدوية الخوف . والأسباب المهيبة له . فهذا يجب أن يكون واعظ الحق متلطفاً بالمرء إلى موقع العمل ، مع كل عيب من عيوبه ، لا بما يريد فيها . فإن المطلوب هو العدل والقصد في الصمت والأخلاق كلها ، وحينئذٍ نوراً وسامياً . فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين ، عوج ما يردّه إلى الوسط ، لا بما يريد في ميله عن الحق . وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الحق أسباب الرجاء ، بل المَعَادَةُ في السجود أيضاً . فكأن أن لا تردهم إلى حدة الحق وسبب اصواب . فمادكر أسباب الرجاء مهلكهم ويرديهم بالكلية . واسكنهم لما كانت أحف على القلوب ، وأشد عند النفوس ، ولم يكن عرض الوعظ إلا استماله القلوب . واستنطق الحق بالثناء كَيْفَ ، كانوا ، مالوا إلى الرجاء ، حتى ازداد الفساد فساداً ، وازداد المهملكون في صفياتهم تمادياً . قال علي كرم الله وجهه . إنداء العالم الذي لا يقصده الناس من رحمة الله تعالى ، ولا يؤمنهم من مكر الله

ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس ، أو فيمن غاب عليه الخوف افتداء بسكباب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنهما مشتملان على الخوف

والرجاء جميعاً ، لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى . يستعمله المصائب
الدين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة . استعمال الطبيب الخدق ، لاستعمال الأخرق الذي
يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان

ما به اسباب
الرجاء

وحال الرده عيب شين . أحدهما الاعتبار . والآخرة قراءة الآيات والأخبار والآثار
أما الاعتبار ، فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كذب الشكر ، حتى
إذا علم العارف نعم الله تعالى عبده في الدنيا ، وعجب حكمة التي راءها في فطرة الإنسان
حتى أعده في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات المعيشة وما هو محتاج إليه
كالأصابع والأصابع ، وما هو رتبة له كالستور والحاجات ، واختلاف ألوان العيشين ،
وجمرة الشفتين ، وغير ذلك مما كان لا يدركه عقله ، وعرضه ، وقصوده ، وما كان يفوت به رتبة عمل
فالحمية الإلهية ، لم تقصر عن عبادته في أمثل هذه الدقائق ، حتى لم يرض الله أن
تفوتهم المراد والمراد في الرتبة والحاجة ، كيف يرضى سيئاتهم في الهلاك المؤبد . إذا
نظر الإنسان نصراً شافياً ، علم أن أكثر الخلق قد هي ، له أسباب السعادة في الدنيا ، حتى
أنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت . وإن حذر ما لا يعذب بعد الموت ، فإنه لا يكره
أصلاً . فلو كانت كراهتهم للمعصية ، لأن أسباب النعم أصعب لاعتقاله ، وما لدى بعض
الموت أدرك ثم لا يتألم ، لا في حال نادرة ، وروامة هاجمة عريضة .

وإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا العيب عليه الحر والسلامة ، وسنة الله لا تحلها
تبدلاً ، فالعالم أن أمر الآخرة هكذا يكون . لأن مذكر الدنيا والآخرة واحد ، وهو
عمور رحيم ، لطيف بعباده ، متعطف عليهم . فهذا إذا توثق من حق التأمل قوي به
أسباب الرجاء . ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة ومسبها في مصالح الدنيا ، ووجه
الرحمة للعباد بها ، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في القرعة من أقوى أسباب
الرجاء . فقل له وما فيها من الرجاء ؟ قل الدنيا كالأقلام ، ورزق الإنسان ما قليل ،
والدين قليل عن رزقه ، فانظر كيف أمر الله تعالى فيه أطول آية ، يهدي عبده إلى طرق
الاحتياط في حفظ دينه ، وكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه !

الفن الثاني : استقراء الآيات والأخبار ما ورد في الرجاء خارج عن المحصر

هَذَا قِدْوَةٌ مِنَ الدَّارِ « وَفِي لَفْظٍ آخَرَ ^(١) » رَأَيْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ
أَوْ صَرَّاحِيٍّ أَوْ حَرَمٍ يَقُولُ هَذَا قِدْوَانِي مِنَ الدَّارِ فَيَقْبَلُ فِيهَا «
وَرَوَى صَالِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) » أَخْبَنِي مَنْ فَتَحَ حَرَمَهُ وَهُوَ خَطُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدَّارِ
وَرَوَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (يَوْمَ لَا يَخْرَى اللَّهُ الْمَيِّتَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ^(٣)) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
أَوْحَى إِلَى بَنِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنِّي أَجْعَلُ حَرَمَ أَمَّتِكَ إِيَّاكَ ، قَالَ لَا يَأْرَبُ . أَنْتَ
أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّْي فَقَالَ إِذَا لَا تَخْرِبُ فِيهِمْ وَرَوَى عَنْ ^(٤) أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ فِي ذُنُوبِ أُمَّتِهِ . فَقَالَ « يَا رَبُّ اجْعَلْ حَرَمَهُ إِيَّاكَ مُسْلِمًا يَطْعَمُ عَلَى
مَسَاوِيهِمْ عَشَى » فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ « هُوَ مُتَمِّتٌ بِوَعْدِ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْكَ ، لَا أَجْعَلُ
حَرَمَهُمْ إِلَى عِبْرِي لَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى مَسَاوِيهِمْ أَنْتَ وَلَا عَيْبُكَ » وَقَالَ صَالِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥)
« حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ أَمَّا حَيَاتِي فَأَسْنُ لَكُمْ السُّنَنَ وَأَأْشَرُّ لَكُمْ
الشَّرَائِعَ وَأَمَّا مَوْتِي فَمِنْكُمْ لَكُمْ تَفَرُّضٌ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا حَسَنًا تَحَدَّثُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا سَدًّا سَتَعَفَّرَتْ اللَّهُ تَعَالَى لِسْكَةً »

- أَيُّ دَوْدَ قَوْلُهُ وَرَكَعٌ وَمِ الْفَصْلَةِ أَحْ وَرَوَاهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ . سَدِّ صَغِيرٍ
وَفِي مَحَلِّهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى كَمَا سَأَلَ رَكَعَهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَنْهَى
(١) حَدِيثُ يَأْتِي كُلَّ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ أَوْ صَرَّاحِيٍّ أَوْ حَرَمٍ يَقُولُ هَذَا قِدْوَانِي مِنَ الدَّارِ
إِذَا كَانَتْ وَفِي هَذِهِ الْأُمَّةِ دَعَا إِلَى كُلِّ مَذْهَبٍ يَهُودِيٍّ أَوْ صَرَّاحِيٍّ أَوْ حَرَمٍ يَقُولُ هَذَا قِدْوَانِي مِنَ الدَّارِ
وَفِي رَوَاهُ بِهِ لَا يَبُورُ رَجُلٌ مِنَ الْأُمَّةِ إِلَّا دَخَلَ فِي مَكَلَةٍ فِي الدَّارِ يَهُودِيٍّ أَوْ صَرَّاحِيٍّ أَوْ حَرَمٍ
(٢) حَدِيثُ أَحْمَدَ مِنْ وَجْهِ حَرَمٍ وَهُوَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الدَّارِ أَحَدُهُمَا رَوَاهُ فِي صَالِحِ الْأَمْرِ عَنْ أَبِي مُوسَى
وَأُخْرَاهُ لَا يَبُورُ وَلَا يَمُوتُ
(٣) حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَنِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنِّي أَجْعَلُ حَرَمَ أَمَّتِكَ إِيَّاكَ ، قَالَ لَا يَأْرَبُ . أَنْتَ
أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّْي فَقَالَ إِذَا لَا تَخْرِبُ فِيهِمْ وَرَوَى عَنْ ^(٤) أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ فِي ذُنُوبِ أُمَّتِهِ . فَقَالَ « يَا رَبُّ اجْعَلْ حَرَمَهُ إِيَّاكَ مُسْلِمًا يَطْعَمُ عَلَى
مَسَاوِيهِمْ عَشَى » فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ « هُوَ مُتَمِّتٌ بِوَعْدِ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْكَ ، لَا أَجْعَلُ
حَرَمَهُمْ إِلَى عِبْرِي لَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى مَسَاوِيهِمْ أَنْتَ وَلَا عَيْبُكَ » وَقَالَ صَالِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥)
« حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ أَمَّا حَيَاتِي فَأَسْنُ لَكُمْ السُّنَنَ وَأَأْشَرُّ لَكُمْ
الشَّرَائِعَ وَأَمَّا مَوْتِي فَمِنْكُمْ لَكُمْ تَفَرُّضٌ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا حَسَنًا تَحَدَّثُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا سَدًّا سَتَعَفَّرَتْ اللَّهُ تَعَالَى لِسْكَةً »
فِي كِتَابِ حَسَنِ الطَّنِّ نَافِعٍ
(٤) حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَنِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنِّي أَجْعَلُ حَرَمَ أَمَّتِكَ إِيَّاكَ ، قَالَ لَا يَأْرَبُ . أَنْتَ
أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّْي فَقَالَ إِذَا لَا تَخْرِبُ فِيهِمْ وَرَوَى عَنْ ^(٥) أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ فِي ذُنُوبِ أُمَّتِهِ . فَقَالَ « يَا رَبُّ اجْعَلْ حَرَمَهُ إِيَّاكَ مُسْلِمًا يَطْعَمُ عَلَى
مَسَاوِيهِمْ عَشَى » فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ « هُوَ مُتَمِّتٌ بِوَعْدِ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْكَ ، لَا أَجْعَلُ
حَرَمَهُمْ إِلَى عِبْرِي لَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى مَسَاوِيهِمْ أَنْتَ وَلَا عَيْبُكَ » وَقَالَ صَالِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥)
« حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ أَمَّا حَيَاتِي فَأَسْنُ لَكُمْ السُّنَنَ وَأَأْشَرُّ لَكُمْ
الشَّرَائِعَ وَأَمَّا مَوْتِي فَمِنْكُمْ لَكُمْ تَفَرُّضٌ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا حَسَنًا تَحَدَّثُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا سَدًّا سَتَعَفَّرَتْ اللَّهُ تَعَالَى لِسْكَةً »
فِي كِتَابِ حَسَنِ الطَّنِّ نَافِعٍ
(٥) حَدِيثُ أَحْمَدَ مِنْ وَجْهِ حَرَمٍ وَهُوَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الدَّارِ أَحَدُهُمَا رَوَاهُ فِي صَالِحِ الْأَمْرِ عَنْ أَبِي مُوسَى
وَأُخْرَاهُ لَا يَبُورُ وَلَا يَمُوتُ
(٦) حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَنِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنِّي أَجْعَلُ حَرَمَ أَمَّتِكَ إِيَّاكَ ، قَالَ لَا يَأْرَبُ . أَنْتَ
أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّْي فَقَالَ إِذَا لَا تَخْرِبُ فِيهِمْ وَرَوَى عَنْ ^(٧) أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ فِي ذُنُوبِ أُمَّتِهِ . فَقَالَ « يَا رَبُّ اجْعَلْ حَرَمَهُ إِيَّاكَ مُسْلِمًا يَطْعَمُ عَلَى
مَسَاوِيهِمْ عَشَى » فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ « هُوَ مُتَمِّتٌ بِوَعْدِ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْكَ ، لَا أَجْعَلُ
حَرَمَهُمْ إِلَى عِبْرِي لَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى مَسَاوِيهِمْ أَنْتَ وَلَا عَيْبُكَ » وَقَالَ صَالِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨)
« حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ أَمَّا حَيَاتِي فَأَسْنُ لَكُمْ السُّنَنَ وَأَأْشَرُّ لَكُمْ
الشَّرَائِعَ وَأَمَّا مَوْتِي فَمِنْكُمْ لَكُمْ تَفَرُّضٌ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا حَسَنًا تَحَدَّثُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا سَدًّا سَتَعَفَّرَتْ اللَّهُ تَعَالَى لِسْكَةً »
فِي كِتَابِ حَسَنِ الطَّنِّ نَافِعٍ
(٨) حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَنِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنِّي أَجْعَلُ حَرَمَ أَمَّتِكَ إِيَّاكَ ، قَالَ لَا يَأْرَبُ . أَنْتَ
أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّْي فَقَالَ إِذَا لَا تَخْرِبُ فِيهِمْ وَرَوَى عَنْ ^(٩) أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ فِي ذُنُوبِ أُمَّتِهِ . فَقَالَ « يَا رَبُّ اجْعَلْ حَرَمَهُ إِيَّاكَ مُسْلِمًا يَطْعَمُ عَلَى
مَسَاوِيهِمْ عَشَى » فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ « هُوَ مُتَمِّتٌ بِوَعْدِ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْكَ ، لَا أَجْعَلُ
حَرَمَهُمْ إِلَى عِبْرِي لَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى مَسَاوِيهِمْ أَنْتَ وَلَا عَيْبُكَ » وَقَالَ صَالِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩)
« حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ أَمَّا حَيَاتِي فَأَسْنُ لَكُمْ السُّنَنَ وَأَأْشَرُّ لَكُمْ
الشَّرَائِعَ وَأَمَّا مَوْتِي فَمِنْكُمْ لَكُمْ تَفَرُّضٌ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا حَسَنًا تَحَدَّثُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا سَدًّا سَتَعَفَّرَتْ اللَّهُ تَعَالَى لِسْكَةً »
فِي كِتَابِ حَسَنِ الطَّنِّ نَافِعٍ

وقال صلى الله عليه وسلم يوماء يا كريم العفو ، فقال جبريل عليه السلام : أتدري ما تفسير يا كريم العفو ؟ هو إن عفان السيئات برحمته ، بطلها حسنات كرمه ، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك تام النعمة فقال « هل تدري ما نعمة الله ؟ » قال لا قال « دخول الجنة » قال الحمد ، قد نمت الله عليه نعمته برضاه الإسلام لنا ، إذ قال تعالى (وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَحْمَتِي الْكُفْرُ لِإِسْلَامِ دَاوُدَ)

وفي الخبر « إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل ملائكته انظروا إلى عبادي أذنب ذنبا فعمله أن لا يغمز الذنوب ، ولا يأخذ بالذنوب ، أشهدكم أني قد عرفت له » وفي الخبر « لو أذنب العبد حتى تسمع دونه عذاب السماء عرفت له ، واستغفرني ورحمني » وفي الخبر « لو أقبلتني عني قرب الأرض ذو القربة قرب الأرض معفرة » وفي الحديث « إن أذنب العبد ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب سبع سنين ، فإن تاب واستغفر لم يكفنه عنه وإلا كتبها سيئة »

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوماء يا كريم العفو فقال جبريل ندرى ما نعمة الله عليه ، ما أحسنه من الذي صلى الله عليه وسيد يوماء ، ما كان من إبراهيم الخليل وابن آدم ، هكذا رواه أبو الشيخ في كتب العفة من قول عنه بن الوليد ورواه الهادي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد وذكره

(٢) حديث سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة - الحديث - تقدم

(٣) حديث إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر يقول الله عز وجل ملائكته - رواه ابن عبيد - أذنب ذنبا مع أن ذنبا يعرف الله - حديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ أن عبدا أصاب ذنبا فقال أي رب أذنبت ذنبا فاعف عني - الحديث : وفي رواية أذنب عذبا فقال - الحديث .

(٤) حديث لو أذنب العبد حتى بلغ ذنوبه عذاب السماء - الحديث - الترمذي من حديث أنس بن مالك لو بلغت ذنوبك عذاب السماء ثم استغفرتني عرفت لك وقال حسن

(٥) حديث وأبى عني عذاب الأرض ذنوبه عليه عراف معفرة - لم من حديث أبي ذر ومن لقبي قرب الأرض خطيئة لا شر في شيء أبى بها معفرة والترمذي من حديث أنس الذي رواه يونس بن مرقا - حديث :

(٦) حديث أن أذنب يرفع عنه عن العبد ذنبا سبع سنين واستغفر له يكف عنه - الحديث قال وفي رواية آخر رواه عنه وعمل حسنة قال صاحب تنقيح الصحاح الكمال وهو أنبأ عنه أن هذه السيئة حتى أتى من حسناته وحسناته - الحديث : البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بن عبد الله بن ماجة الأول ورواه أيضا في قول من رواه عن أبي يحيى

أَمِنْ يَأْخُذُ وَلَسَا مَثَلٌ مِنْ أَتَمِّينَ عَيْبَةٍ وَأَكْذَبَ وَعَيْبَاتٍ مِنْ تَمَتِّينَ الطَّرِيقِ إِلَى مَحَرَّمَ
 اللَّهُ وَأَنْ تَرُدِّيْهُمَا مُسْلِمًا دَخَلَتْ مَعِيَ الْجَنَّةُ عَلَى رَاحَتِي هَاهُنَا . . . وَفِي الْحَدِيثِ
 الطَّوِيلِ الْأَسَى ، أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ عَلَى حَسَابِ الْحَقِّ فَقَارَ « اللَّهُ تَدَارَكَ
 وَتَعَالَى » قَالَ هُوَ بِنَفْسِهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ » فَتَبَسَّمَ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِمَّ
 ضَحِكْتِ يَا أَعْرَابِيَّةُ » فَقَالَ : إِنْ الْكَرِيمَ إِذَا فَرَّغَهُ ، وَإِذَا حَاسِبَ سَامِعَ . فَقَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ أَلَا لَا كَرِيمَ أَكْرَمُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ أَكْرَمُ
 الْأَكْرَمِينَ » ثُمَّ قَالَ « فَقَدْ الْأَعْرَابِيُّ » وَفِيهِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَفَ الْكَفَمَةِ وَعَظَمَهَا
 وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا هَدَمَهَا حَجَرًا حَجَرًا ثُمَّ أُخْرِفَهَا مَدَامَعَ حُرْمٍ مِنْ اسْتَحْبَثَ بُولِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ
 اللَّهِ تَعَالَى قَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَمَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ « الْمُؤْمِنُونَ كَتُمُّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ
 تَعَالَى أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ)^(١) وَفِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ^(٢) « الْمُؤْمِنُ أَفْضَلُ مِنَ الْكُفَّةِ »^(٣) « وَالْمُؤْمِنُ طَائِبٌ
 طَاهِرٌ »^(٤) « وَالْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ » . . . وَفِي الْحَدِيثِ « خَلَقَ
 اللَّهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ مِنْ نَارٍ وَفِيهَا رَحِمَةٌ سَوَّطًا يَسُوقُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ » . . . وَفِي حَدِيثٍ
 آخَرَ « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٥) إِنَّمَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَرْجُوْهُ عَنِّي وَلَمْ أُخْلِقْهُمْ لِأَرْجَحِ

(١) حديث أسى الطويل قال أعرابي يا رسول الله من في حساب الحق من الله . . . وردوا على قول هو الله

قال هم فتبسم الأعرابي . الحديث : ثم أحده أصلاً

(٢) حديث مؤمن أفضل من الكف . ابن ماجة من حديث ابن عمر . بعض ما أعطوا كانوا أعظم حرمة من الذي

عسى يده حرمة مؤمن أعظم حرمة من ماله ودمه وأن يرضى به الأخير أو تبخه نصر بن محمد

ابن سير . الحمصي صفة أو حاتم ورواه ابن حبان وقد تقدم

(٣) حديث المؤمن طيب طاهر . أحده . . . المعصومي . الحديث من حديث حمزة بن مؤمن لا يفسد

(٤) حديث مؤمن أكرم على الله من الملائكة : ابن ماجة من رواية أبي الهيثم يزيد بن سدين عن أبي هريرة

لفظ مؤمن أكرم على الله من بعض الملائكة وأبو الهيثم تركه شعبة وصححه ابن معين ورواه

ابن حبان في الصغرى والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ نصيب

(٥) حديث خلق الله من نوره سوطاً يسوق به عباده إلى الجنة : ثم أحده هكذا ورواه عنه ما رواه

البخاري من حديث أبي هريرة من قوم نعامهم إلى الجنة في السلاسل

(٦) حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليرجوا عني ولم أخلقهم لأرجح عنهم . ثم أحده على أصله

عليه السلام . وفي حديث ^(١) أبي سعيد الخدري . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « خلق الله تعالى شيئاً إلا حمل له ما يمدته وحمل رحمته تعلت عصيته » وفي الخبر
 المشهور ^(٢) « إن الله يعطي كتيب على عتبة الرحمة من أن يخلق الخلق إلا رحمي ما يب
 عصي » . وعن ^(٣) معاذ بن جبل ، وأبو نعيم ، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
 قال لا إله إلا الله دخل الجنة ^(٤) « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تحسبه
 النار » ^(٥) « ومن أتى الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار » ^(٦) « ولا يدخلها من
 في قلبه مثقل دربة من إيمان » . وفي حديث آخر ^(٧) « نزل علم الكافر سعة رحمة
 الله ما يس من جهته أخذ » ^(٨) ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى

(١) حديث أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خلق الله تعالى شيئاً إلا حمل له ما يمدته وحمل رحمته تعلت عصيته »

وفي حديث آخر « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تحسبه النار »

(٢) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يعطي كتيب على عتبة الرحمة من أن يخلق الخلق إلا رحمي ما يب

عصي »

(٣) حديث معاذ وأبي نعيم أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا إله إلا الله دخل الجنة

من حديث معاذ وهو في اليوم واليلة والليلتين « من مات ذنباً ومات ذنباً ومات ذنباً من حديث

معاذ ومن حديث أبي نعيم « نزل علم الكافر سعة رحمة الله ما يس من جهته أخذ »

(٤) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تحسبه النار « ومن أتى الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار »

(٥) حديث من أتى الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار « ومن أتى الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار »

قال معاذ ما من عبد إلا شهد له بالله وإن شهد له بالله وإن شهد له بالله وإن شهد له بالله وإن شهد له بالله

البحاري ص ١٢١ من إسناده وفي رواية له من أتى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ورواه أحمد بن حنبل

معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا إله إلا الله لم تحسبه النار

شهد له بالله وإن شهد له بالله وإن شهد له بالله وإن شهد له بالله وإن شهد له بالله

(٦) حديث لا يدخلها من في قلبه مثقل دربة من إيمان « نزل علم الكافر سعة رحمة الله ما يس من جهته أخذ »

حرمة الله على النار وفيه خطب وله من حديث « من مات ذنباً ومات ذنباً ومات ذنباً من حديث

من قلبه الأحرم على ما قال عمر بن الخطاب من خطبته من كماله وإسناده صحيح وقد كان

ومعه شاذها في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من المؤمنين النار وأخراجهم

بالشفاعة ثم لا يبقى في النار في يوم الدين من يات بكهوه عن أبيه من حديث أبي سعيد وفيه

من وحدهم في قلبه مثقل دربة من إيمان « نزل علم الكافر سعة رحمة الله ما يس من جهته أخذ »

(٧) حديث ليعلم الكافر سعة رحمة الله ما يس من جهته أخذ « نزل علم الكافر سعة رحمة الله ما يس من جهته أخذ »

(٨) حديث معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا إله إلا الله لم تحسبه النار

من أول الدرة الشقيقة بولدها « وفي الخبر ^(١) » أي تقرن الله تعالى يوم القيامة مقبرة ما حطرت على قلب أحد حتى أتى ليس ينشأ أول رجاؤه « وفي الخبر ^(٢) » إن الله تعالى مائة راحة لأحر من عتده شعاً وتسعين راحة وأظهر منها في الدنيا راحة واحدة فمن راحها أخطى فتحت أبوابه على والدها ومطاب الأجر على والده فإذا كان يوم القيامة سمى هذه الراحة إلى التسع والتسعين ثم يسميها على جميع خدمه وكل راحة منها طوق السموات والأرض من فلا يهلك على الله يومئذ لا هلك وفي الخبر ^(٣) « لا يهلككم من أحد يدخله حنة حنة ولا ينجيه من النار » « وأما ولا أنت يا رسول الله » « ولا إلا أن يعتمدني الله برحمته » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ^(٤) « انعموا وابشروا واعلموا أن أحدكم من نعمة عملة »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « إني أختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للخطيئين متقين مني أمسوا بين أختبأتين » وقال عليه الصلاة والسلام ^(٦) « أعتت بالخصية السمحة السهلة »

وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى ^(٧) « أحب أن يغم أهل الكبائر أن في ديننا سماحة » ويدل على معناه استحابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم (ولا تحمل عايناً

(١) حديث آخر من الله تعالى يومئذ معتمداً ما حطرت ما حطرت وقد على قلب أحد - الحديث - من أبي داود

في كتاب حسن النفس بفتح من حديث ابن عمر وهو ما وجدته

(٢) حديث ابن عمر أنه قال راحة - الحديث - معني - به من حديث أبي هريرة

(٣) حديث طبراني من أحد يدخله عملة أجرة - الحديث - معني - به من حديث أبي هريرة وهو ما وجدته

(٤) حديث أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن عمر وابن أبي عمير وابن أبي عمير وابن أبي عمير وابن أبي عمير

(٥) حديث أبي اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي - الحديث - الشان من حديث أبي هريرة

في دعوه وأبي حنيفة دعوى شفاعته لأمتي ورواه - به من حديث أبي هريرة وابن عمر وابن أبي عمير

ومحمد وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ولا من ماجه من حديث

أبي داود وأحمد من حديث ابن عمر حبيب بن الشفاءه وبين ما يدل على أنه

الحق ما حطرت السمحة لأنها نعم ولكن أترونها للخطيئين - الحديث - وفيه من ميم

(٦) حديث يعنى بالخصية السمحة السهلة - الحديث - معني - به من حديث أبي هريرة وهو ما وجدته

والطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله ما فيه السمحة وفيه محمد بن سفيان ورواه - به من

(٧) حديث أحب الدين إلى أهل الكبائر في ديننا سماحة - أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد

إِصْرًا^(١) وقال تعالى (وَنَصَحُ عَسْفُورُهُمْ إِيضًا^(٢) وَذَعْلَاجًا^(٣) أَنَّى كَانَتْ عَذَابُهُمْ^(٤)) وروى
 محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه في عهدهما أنه قال لما رآه قوله تعالى (وَنَصَحُ عَسْفُورُهُمْ
 إِيضًا^(٣)) قال «يا حنبل بن علي وما المصحف الحمير» قال عليه السلام «إذا عهوت عمن
 طاعتك فلا تعاتبه، وقال «يا حنبل بن علي فانت على أكرم من أن يعاتب من عهدة هوكي
 حنبل وكني النبي صلى الله عليه وسلم، فبعت الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال
 إن ربكم يقرئكم السلام ويقول «كيف عاتب من عهوت عنه؟ هذا ما لا يشبه كرمي
 ولأخبار الواردة في أسباب الرحمة أكرم من أن تخصي . وأما الآثار فقد قل
 على كرم الله وجهه من أدب ذي قدره الله عليه في الدنيا، والله أكرم من أن يكشف
 ستره في الآخرة ومن أدب ذي وقوف عليه في الدنيا، والله تعالى أعدل من أن يثني
 عقوبته على عهده في الآخرة. وقال الثوري «أحب أن يحمل حساني إلى أنوى، لأنني
 أعلم أن الله تعالى أرحم مني منهما، وقد مضى السبب المؤمن إذا عصي الله تعالى سره عن
 أبصار الملائكة، كيلا تراه فتشهد عليه . وكتب محمد بن سعب إلى أسود بن سالم بخطه
 إن الممد إذا كان مسرفا على نفسه، ورفع يديه يدعو يقول بارني، حجت الملائكة صوته
 وكذا الثانية والثالثة . حتى إذا قال الربمة يربني، قال الله تعالى حتى متى تعجبون عني صوت
 عبيدي؟ قد علم عبيدي أنه ليس له رب يعقر الذنوب عيبي . تشهد كما أني قد عهزته له
 وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله عليه حلال الطواف ليلة، وكانت ليلة مطيرة مطامة
 فوفقت في المتره عند الباب، فقلت بارني اعصمني حتى لا أعصيك أبدا . فتهتف بي هاتف
 من البيت «يا إبراهيم، أت تسألني المعصية . وكل عبادي المؤمنين يطالبون مني ذلك . فإذا
 عصمتهم فعلى من أتعص؟ ولأن أعمر . وكان الحسن يقول . لو لم يذنب المؤمن لكان
 يطير في مسكوت السموات، واكن الله تعالى فمه بالذنوب .

وقال الحنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت المسكين بالمحسنين .
 وأقوى مالك بن دينار أبانا فقال له . إلى كم تحدث الناس بالرحص ؟ فقال يا أبا يحيى ،

(١) حدث محمد بن حمزة عن علي لما رآه قوله تعالى - ونصح عسفورهم إيا - قال يا حنبل وما المصحف

حنبل قال إذا عهوت عمن طاعتك فلا . - الحديث : بن مردويه في - به - وهو على عي

عصرا قال الرضا عتاب وذكره في حديث وفي أسنده بحر

إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كساءك هذا من الفرح .

وفي حديث رضى بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال : لما مات أحي سحبي ثوبه . وألقياه على نعشه فكشف أثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال : إني لقيت ربي عرواحل ، فخرني بريح وريحان . وربي غير غضبان ، وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون ، فلا تموتوا ، وإن محمد بن الله عليه وسلم يظركم وأصحابه حتى أجمع إليهم . قال ثم طرح نفسه . فكأنهم كانت حصاة وقعت في ملثت . فحملوه ودفنوه . وفي الحديث : " إِنْ رَجَعْتَ مِنْ بَيْتِ رَبِّكَ تَوَاحِشَ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَكَانَ أَحَدَهُمَا يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخَرُ عَادِدًا وَكَانَ يَمُصُّ وَرِخْرُخَةً فَكَانَ يَقُولُ دَعْنِي وَرَبِّي أُنْمِتْ عَلَى رَقِيبٍ حَتَّى رَأَتْ ذَابَ يَوْمَ عَلَى كِبَرَةٍ فَمُصِبٌ فَقَالَ لَا يَهْرُ اللَّهُ الْكَافِرَ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْسَرُ لِمَنْ أَحْذَانُ يُخْضَرُ رُحْمَى عَلَى عِبَادِي إِذَا هَبَّ أَثَرُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ثُمَّ يَقُولُ لِلْعَامِدِ وَأَنْتَ فَقَدْ أَوْحَشْتُ لَكَ الْعَارَ وَفِي لَدِي مَنِي مَبْدَمَ لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ أَهْلَكَتُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ " .

وروى أيضا أن أمدا كان قطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة ، ثم عليه عيسى عليه السلام . وخافه عادم من عباد بني إسرائيل من الحواريين . فقال الناس في نفسه : هذا إني الله يعمر ، وإلى جنبه حواريه ، لو نزلت فكنت معهم . قال فزول ، فجعل يريد أن يذنب من الحواري ، ووردى نفسه تطيما للحواري ، ويقول في نفسه مثنى لا يعيش إلى جنب هذا العابد . قال وأحس الحواري ، فقال في نفسه هذا يعيش إلى جانبي ، فمضم نفسه ومثنى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام . فمثنى بجانبه ، فمضى الناس حاشاه . فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام : قل لهما أيسرهما العمل ، فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما . أما الحواري ، فقد أحبطت حسنة لمحبته بنفسه ، وأما الآخر ، فقد أحبطت سيئاته بما اردى على نفسه فأخترهما بذلك . وصم الناس إليه في سياحته ، وحمله من حواريه .

وروى عن مسروق ، أن نبيا من الأنبياء كان ساحدا ، فوطىء عقبه بعض العصاة ، حتى

(١) حديث ابن جبرين من بني إسرائيل واحد في فذعز وحمل فإحدا أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر

هذا الحديث هو ما ورد من حديث أبي هريرة بإسناد جيد

أُرق الملقى بحمته ، ولرفع الي عليه العباد والاسلام رأيه مقدر ، قال اذهب فلي
يعرف الله لك ، فأنوحى الله تعالى اليه تسألني في عبادي ، إني قد عرفت له

ويقرب من هذا ما روى عن 'أس' عن عبد الله بن رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان تقنت على المشركين ، ويعلمهم في صلاته ، فنزل عليه قوله تعالى (أسئلك
من لأمر شيء) (١) الآية فتلك الدعاء عليهم - وهدي الله تعالى عامة أئمة الاسلام .

وروى في لأثر أن رحلين كانا من العائدين ، فمنا وبين في العبادة ، ولإدخال الجنة
رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه ، فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر منى
عبادة ، ورفعتني على عليين ، فيقول الله سبحانه إني كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى
وأنت كنت تسألني الجنة من المار ، فأعطيت كل عبد سؤاله . وهذا يدل على أن العبادة
على الرحاء أفضل . لأن المحبة أعاب على الراجى منها على الخائف . وكم من فرق في الملوك
بين من يخدم اتقاء لعقابه ، وبين من يخدم ارتجاء لإحسانه وإكرامه . ولذلك أمر الله تعالى
بحسن الظن ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " سألوا الله ، لا ترحلوا أئمتنا تسألون
كرهية " وقال " إيد - سألتم الله فأعطوهوا رغبة وأسألوا ، أمرؤوس الأئمة من الله
معاف لا يماطله شيء " وقال بكر بن سليم الصواف : حدث على مالك بن أس في المشية

(١) حدث أس ، أس كان يفتى على مشركين ويعلمهم في صلاته فقول قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء
وهذا الدعاء عدم - حدثنا البخاري من حديث أس بن عمر أنه كان يرفع رأسه في الركوع
في الركعة لأخيه من أصحابه يقول اللهم أسئلك فلا وتلا وتلا بعد ما يقول سمع الله من حمده
وما يملك حمد فأنزل الله عز وجل من لك من الأمر شيء ، إني قوله فسمعه يروونه ورواه
الترمذي وجمعه في سنن الطبراني وحشام وصحاح ابن أبي عمير ورواه عنه في سنن
فحينئذ أسلمه وقال حسن بن حرب روى رواية له أربعة مروية عنه ورواه أحمد والله الاسلام
وقال حسن صحيح

(٢) حدثنا أسلم بن أسلم قال حدثني أس بن عمر وقال هكذا روى حماد بن عمار بن عيسى
(٣) حديث إذا سألتم الله فأعطوهوا رغبة وأسألوا أمرؤوس الأئمة من الله من حديث
أبي هريرة إذا دعا أحدكم فلا من لاهم يجرى أن شئت - يكن حرم و . فظم الرخصة من
الله عز وجل لأبيه سمع شيء أعطاه والبخاري من حديث أبي هريرة في ثبوت حديث فإذا
سألتم الله فلا تؤذوا أمرؤوس الأئمة في أوسط الجنة وعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث حماد
وعباد بن الصامت

التي قبض فيها ، فقلنا يا ناعبد الله ، كيف تجدك ؟ قال لا أدري ما أقول لكم . لا إيمانكم يستعابون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب . ثم ما رجعنا حتى أعضاه

وقال يحيى من هذا في مناجاتكم بكاد رحمتي لك مع الذنوب ، يعلب رحمتي لا تشمع الأعمال لأنني اعتمد في الأعمال على لإخلاص وكيف أحرره وأنا لا أة معروف وأخذني في الذنوب اعتمد

على عقوق ، وكيف لا تغفرها وأنت بالحدود موصوف . وقيل إن محوسيا استصاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فقال إن أسلمت أصمتك . فمر الجوسي ، فأوحى الله

تعالى إليه يا ابراهيم ، لم نطعمه إلا تعبيرة . ونحن من سبعة سنه نطعمه على كرمه ، هو أضفته ليلة ماذا كان عليك ، فمر ابراهيم سمى خب الجوسي . فردده وأضافه ، فقال له

الجوسي . ما السب فيما بذلك ؟ فذكر له . فقال له الجوسي أهكذا يا مامسى ؟ ثم قال اعرض على الإسلام . فأسلم . ورأى الأستاذ أبو سهل الصمعي أما سهل الرجاسي في المنام ،

وكان يقول بوعيد الأبد . فقال له كيف حالك . فقال وحده الأمر أهون مما توهمه ، ورأى بعضهم أباسهل الصمعي في المنام على هيئة حسنة لا توصف . فقال له يا أستاذ بهم أنت هذا ؟

فقال بحسن ملي برى . وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى . رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت . وإذا الخبار سبحانه يقول أين العلماء ؟ قال قد و

ثم قال ماذا محمدتم فيما علمتم ؟ قال بقاد يا ب نصره وأساء . قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجاب وأراد حوالا غيره ، فقالت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك ، وقد وعدت أن

تغفر ما دونه . فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك ثلاث ليال . وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ، ودفع إلى علامة أربعة دراهم ، وأمره أن

يشترى شيئا من العواكة المجنس فمر العلامة باب مجلس منصور بن عمار ، وهو يسأل لفقير شيئا ويقول : من دفع إلي أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات . قال فدفع العلامة إليه الدرام

فقال منصور . ما الذي تريد أن أدعوك ؟ فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعا منصور وقال الأخرى ؟ فقال أن يخلص الله علي دارهمي ، فدعا ، ثم قال الأخرى ، قال أن يتوب الله

على سيدي فدعا ، ثم قال الأخرى ؟ فقال أن يفر الله لي واسيدي ولك وللقوم . فدعا منصور فرجع الغلام . فقال له سيده : لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة . قال وبهم دعا ؟ فقال سألت

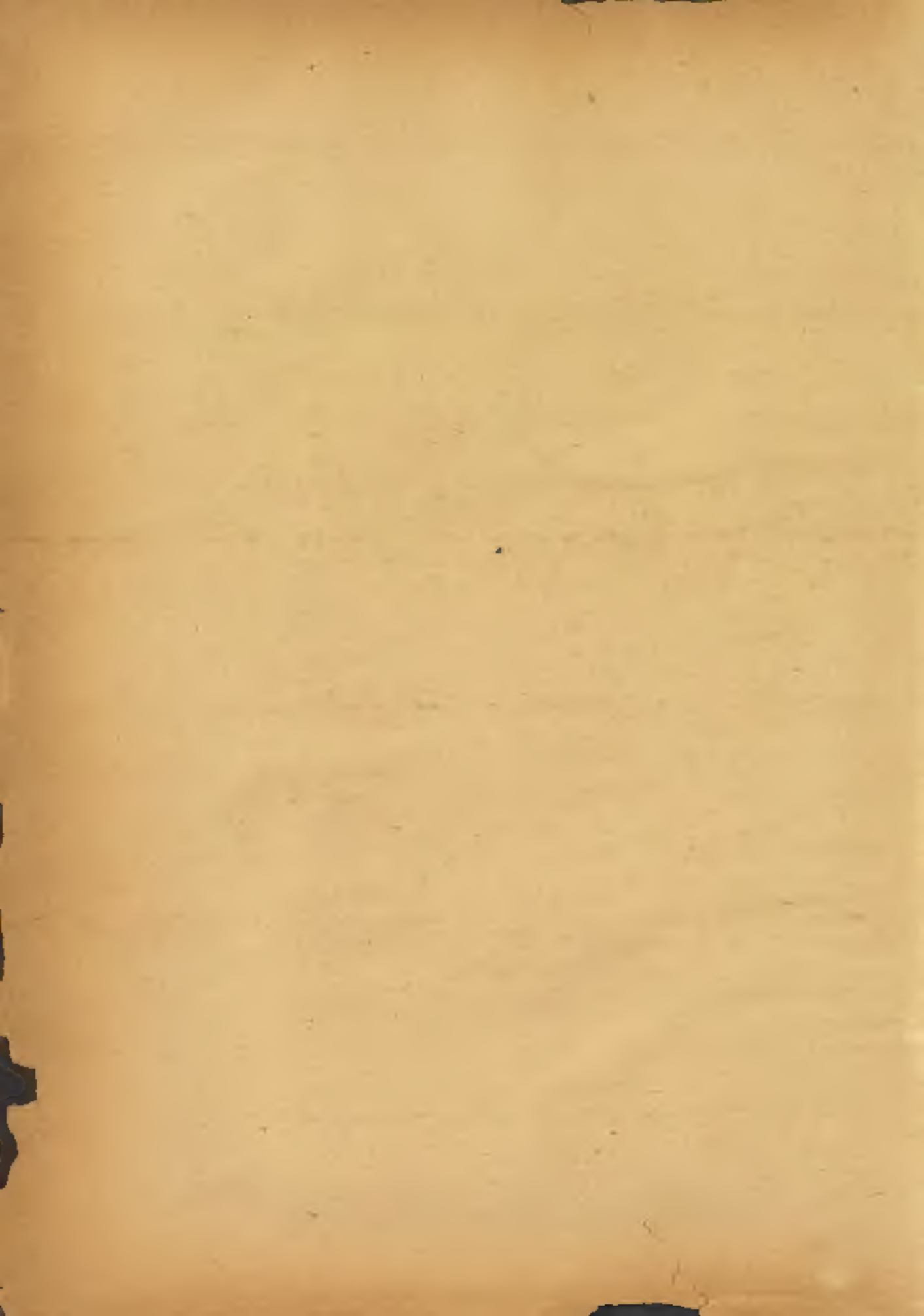
المتقى فقال له اذهب فانت حر . قال وإيش الذي ؟ قال أن يحفف الله على الدراهم
قال لك أربعة آلاف درهم . وإيش الثالث ؟ قال أن يتوب الله عليك . قال تبت إلى الله تعالى
قال وإيش الرابع ؟ قال أن يفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر . قال هذا لو احدث ليس إلى .
فما بات تلك الليلة ، رأى في المنام كأن فذلاً يقول له . أنت فعلت ما كان إليك ، أجمعين
أني لا أفعل ما إلى ؟ قد عفرت لك ، وللآلام ، ولمصور بن عمار ، وللقوم الحاضرين أفتري
وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال ، رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة
يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة ، وذهبتا إلى المقبرة ، وصليا عليها . ودعما الميت .
فقلت لامرأة من كان هذا الميت منك ؟ قالت اني . قلت ولم يكن لكم حيوان ؟ قالت بلى
ولكن صغروا أمره . قلت وإيش كان هذا ؟ قالت غنشا . قال فرحمتهما وذهبتا إلى منزلي
وأعطيتهما دراهم وحطمة وثيابا قال قرأت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر
وعليه ثياب بيض ، فجعل يشكرني فقلت من أنت ؟ فقال: المحدث الذي دفتمونى اليوم ،
رحمنى ربى ما احتقار الناس إلي . وقال إبراهيم الأبروش . كما تعودا ببغداد مع معروف
الكرخي على دجلة ، إذ مر أحداث في زورق ، يضربون بالدف ويشربون ويأججون .
فقالوا لمعرف : أما ترام يعصون الله مجاهرين ؟ ادع الله عليهم . فرمى يديه وقال إلهي كما
فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة . فقال القوم ، إنما سألتك أن تدعو عليهم . فقال إذا
فرحهم في الآخرة تاب عليهم . وكان بعض الدف يقول في دعائه : يارب ، وأي أهل
دهر لم يعصوك ، ثم كانت نعمتك عليهم سامة ، ورزقت عليهم داراً سمحاً لك ما أحلمك
وعزتك إليك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق ، حتى كأنك ياربا لا تمضب .
فهذه هي الأسباب التي بها يحب روح الرحاء إلى قلوب الخائفين والآيسين . فاما
الخطي المغرورون . فلا ينبغي أن يسموا شيئاً من ذلك ، بل يسمعون ما منورده في أسباب
الخوف ، فإن أكثر الناس لا يصح إلا على الخوف . كالعبد السوء ، والصبي العرم ، لا يستقيم
إلا بالسوط والعصا ، وإطهار الخشونة في الكلام . وأما صد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح
في الدين والدنيا

لجنة نشر الثقافة الإسلامية - ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ - ٥ وجع سنة ١٣٥٧

فهرست الجزء الثاني عشر

رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل	رقم الصفحة رقم من الجزء مسلسل	
٣	٢١٤٧	بيان دواء الصد في دوام ابوة
٤	٢١٤٨	توبة ذي النفس المطمئنة
٥	٢١٤٩	توبة ذي النفس الواهمة
٦	٢١٥٠	توبة ذي النفس الوالة
٨	٢١٥٢	توبة ذي النفس الأماراة
٩	٢١٥٣	بيان ما ينبغي أن يبادر اليه النائب - ر
١٠	٢١٥٤	عليه دم اما عن قصد وشبهة عالية
١١	٢١٥٥	وعن مدحك لا ر
١٢	٢١٥٨	شتمار المدح لا ر
١٣	٢١٥٩	ثمره التوبة
١٤	٢١٥٨	الركبة الرابع في دوام الوفاء
١٥	٢١٥٩	الملاح على عمده لأصير
١٦	٢١٦٠	لائح أبس الشرح
١٧	٢١٦١	الوثوق بالرسول صلى الله عليه وسلم
١٨	٢١٦٣	الاصفاء الى وعيد الله وتحذيره
١٩	٢١٦٤	طلب له وشبهه
٢٠	٢١٦٥	عليه أكثره مرس الملوب على مرس الأند
٢١	٢١٦٦	طريق الوفاء
٢٢	٢١٦٧	ذكر الآداب وأخبار الخوف
٢٣	٢١٦٨	ذكر حكايات ربوب الأوباء والأوباء
٢٤	٢١٦٩	ذكر محسن عفو لهوب في الله
٢٥	٢١٧٠	ذكر حدود ربوب وأخوس في حروف
٢٦	٢١٧١	أدب الوقوع في معاصي
٢٧	٢١٧٢	مكر الحسني دواء الوقوع في معاصي
٢٨	٢١٧٣	كتاب الصبر والشكر
٢٩	٢١٧٤	النظر الأول في الصبر
٣٠	٢١٧٥	بيان فضيلة الصبر
٣١	٢١٧٦	بيان حقيقة الصبر وحده
٣٢	٢١٧٧	كون الصبر نصف الإيمان
٣٣	٢١٧٨	بيان الأسامي الى سجد الصبر ولاصافه
٣٤	٢١٧٩	لي ماعنه الصبر
٣٥	٢١٨٠	بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف
٣٦	٢١٨١	تقواه وانصاف
٣٧	٢١٨٢	الصدقون بأمور ربوب
٣٨	٢١٨٣	الصدقون
٣٩	٢١٨٤	تسام الصبر مع غير الله والصبر
٤٠	٢١٨٥	تقسيمه بأقسام حكمه
٤١	٢١٨٦	بيان منشا صبره في الصبر
٤٢	٢١٨٧	لا ينبغي منه في حال من لأحوال
٤٣	٢١٨٨	الصبر على ما يوافق الهوى
٤٤	٢١٨٩	صبر الصبر على العفة
٤٥	٢١٩٠	صبر على ما يوافق الهوى
٤٦	٢١٩١	داره على الصبر
٤٧	٢١٩٢	حالات صبره امتنع إلى الصبر
٤٨	٢١٩٣	الصبر على المعصية
٤٩	٢١٩٤	الله على الأمور التي لا يمكن حياها في دونه
٥٠	٢١٩٥	الصبر على الأمور التي لا يمكن حياها في دونه
٥١	٢١٩٦	نتيجة صبره في الصبر
٥٢	٢١٩٧	الكفا لا ينافي الصبر
٥٣	٢١٩٨	بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
٥٤	٢١٩٩	سبل صعب الباء الشبواي
٥٥	٢٢٠٠	سبل عوبة البعث الديسي
٥٦	٢٢٠١	النظر الثاني من الكتاب في الشكر
٥٧	٢٢٠٢	الركن الأول في الشكر
٥٨	٢٢٠٣	بيان فضيلة الشكر
٥٩	٢٢٠٤	بيان حده الشكر وحقيقته
٦٠	٢٢٠٥	أبومور التي ينظم منها الشكر
٦١	٢٢٠٦	المدح
٦٢	٢٢٠٧	أحد من صبره من أصله
٦٣	٢٢٠٨	العدل موحب المرح
٦٤	٢٢٠٩	بيان طريق كشف المعصية عن الشكر
٦٥	٢٢١٠	حق الله تعالى

٨١	٢٢٢٥	حكم مرتب الاوت على القسمة والمذهب	١٢٦	٢٢٢٥	الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة
٨٢	٢٢٢٦	بيان تيمم ما تحته الله تعالى في حركته	١٢٧	٢٢٢٦	فائدة الرياح فائدة الشمس فائدة القمر
٨٤	٢٢٢٨	حكم العدل والعدل	١٢٨	٢٢٢٣	فائدة النجوم
٨٧	٢٢٣١	حكم حرمة الرأ	١٣٠	٢٢٢٧	الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إلين
٩٣	٢٢٣٧	وجوب التأدب عند حدود الله	١٣١	٢٢٢٥	الطرف السادس في إصلاح الأطعمة ما يحتاجه الرعي حتى يصلح للأكل
٩٧	٢٢٤١	أركان الشكر	١٣٢	٢٢٢٦	الطرف السابع في إصلاح الصالحين
٩٨	٢٢٤٢	ن حصة العبد وثقه	١٣٣	٢٢٢٧	الأسان مدى نطمة
٩٩	٢٢٤٣	تصميم الأمور بالنسبة اليها	١٣٤	٢٢٢٨	الطرف الثاني في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام طبقت الملائكة ملائكة وخداميو الصفات
١٠١	٢٢٤٥	معارضة بين العلم والذل	١٣٦	٢٢٨٠	مصلحة العلم في جمع مدركه الى
١٠٣	٢٢٤٧	مريم العذراء	١٣٧	٢٢٨١	بيان السبب الذي للحق عن الله
١٠٤	٢٢٤٨	المصائل العسية	١٣٩	٢٢٨٣	العقل الملازمة واستدراكها
١٠٥	٢٢٤٩	وجه احتياج طريق الآخرة للعال وغيره من النعم الخلقية	١٤٠	٢٢٨٤	العم الخاصة بكل عبد
١٠٨	٢٢٥٢	المصائل المسوية ومساها	١٤٥	٢٢٨٩	الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر
١٠٩	٢٢٥٣	وجه أنب دل نعمة مع أنه شرا	١٤٦	٢٢٩٠	بيان وجه احتياج الصبر والشكر على شيء واحد
١١٢	٢٢٥٦	منار الهداية	١٤٨	٢٢٩٢	البلاء المطلق البلاء التقيد
١١٤	٢٢٥٨	بيان وجه الاودح في كبره نعم الله تعالى	١٥٦	٢٣٠٠	مواضع الشكر في البلاء
١١٥	٢٢٥٩	الطرف الاول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الاذواق	١٥٩	٢٣٠٣	بيان فضل النعمة على البلاء
١١٨	٢٢٦٢	الطرف الثاني في أصناف النعم في حق الاراد	١٦٥	٢٣٠٩	بيان الأفضل من الصبر والشكر
١١٩	٢٢٦٣	الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القسرة وآلات الحركة وطبيعة اليد	١٦٨	٢٣١٢	تلازم معرفتي الشكر والصبر
١٣٠	٢٢٦٤	وصفة الصبر وصفة لسان	١٧٢	٢٣١٦	الأصناف بين الصبر الشاكر أو الفقير الصابر
١٣١	٢٢٦٥	وظيفة اللسان وصفه الرى والجره	١٧٦	٢٣٢٣	كتاب الخوف والرجاء
١٣٢	٢٢٦٦	وصفة المعدة وصفه الكبد	١٧٩	٢٣٢٤	بيان حكمة الرجاء والترغيب فيه
١٣٣	٢٢٦٧	وصفة الفراء وصفه الكليبي	١٨٠	٢٣٢٥	بيان نوا الرجاء والسبيل الذي يحصل منه
١٣٤	٢٢٦٨	وصفة العفراء	١٨١	٢٣٢٥	حال الرجاء ويعت
١٣٥	٢٢٦٩	الروح	١٨٢	٢٣٢٥	ما يجب به الرجاء
١٣٦	٢٢٧٠		١٨٣	٢٣٢٥	آيات في الرجاء
١٣٧	٢٢٧١		١٨٤	٢٣٢٥	الأخبار في الرجاء



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

[illegible]

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0038869462

893.791

0546211
v.9-12

87383418

VAT 2 1347

